{فى نسخة الشيخ عبد العزيز محاسن رحمه الله المشهورة بالصحة والضبط التى عوّل عليها فى الغالب عصابة التصحيح فى المطبعة الميرية وقد عولنا فى التصحيح على نسخة صحح عليها ما ينبئ بسمو فضل هذا الكتاب وانه جوهر وحيد فى جميع كتب الآداب ونصه}

{بسم الله الرحمن الرحيم}

سبحان من بهرت جواهر حكمته العقول وتنزهت صفات جلاله عن المعقول مرج البحرين يلتقيان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والصلاة والسلام على واسطة عقد النبيين وجوهر نظام المرسلين وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه ما نثرت قطرات المزن درر افى البحور وانتظمت اليواقيت عقودا فى نحور الحور {وبعد} فيقول ذو العمل الوجيز الفقير الى مولاه عبد العزيز طالما تمنيت من كتب الادب عدة قطعت فيها من الزمان مده ولم أزل أبحث عن كل كتاب منها لم أره لكى أنظر مخبره اذا سمعت خبره حتى أنبأنى ذو رأى سديد عن كتاب العقد الفريد تأليف الامام أحمد بن عبد ربه فلم أنصرف طالبه لافوز بحوزه أو كتبه فلما نظرت أنوار فرائده تلوح فى سلك نظمه علمت ان كل مسمى له نصيب من اسمه فعند ذلك شمرت عن ساعد جدى واشتغلت بنقله ليكون ذخيرة عندى ولما ساعدت الاقدار على نيل المرام ومن الله تعالى من جزيل انعامه بالتمام {دوبيت}

نادانى الحظ نعم ما قد حزتا * من عقد جواهر به قد فزتا
فاخترت الى نظامه فهرستا * قد أبس من سنا حلاه دستا

{ورتبته فى الرسم على هذا الاسلوب ليختبر الطالب من أبوابه وأنواعه المطلوب ولله الحمد على الكمال ونسأله حسن الختام عند المآل آمين}

{فهرست الجزء الاول من العقد الفريد للامام الوحيد احمد بن عبد ربه}

صحيفه

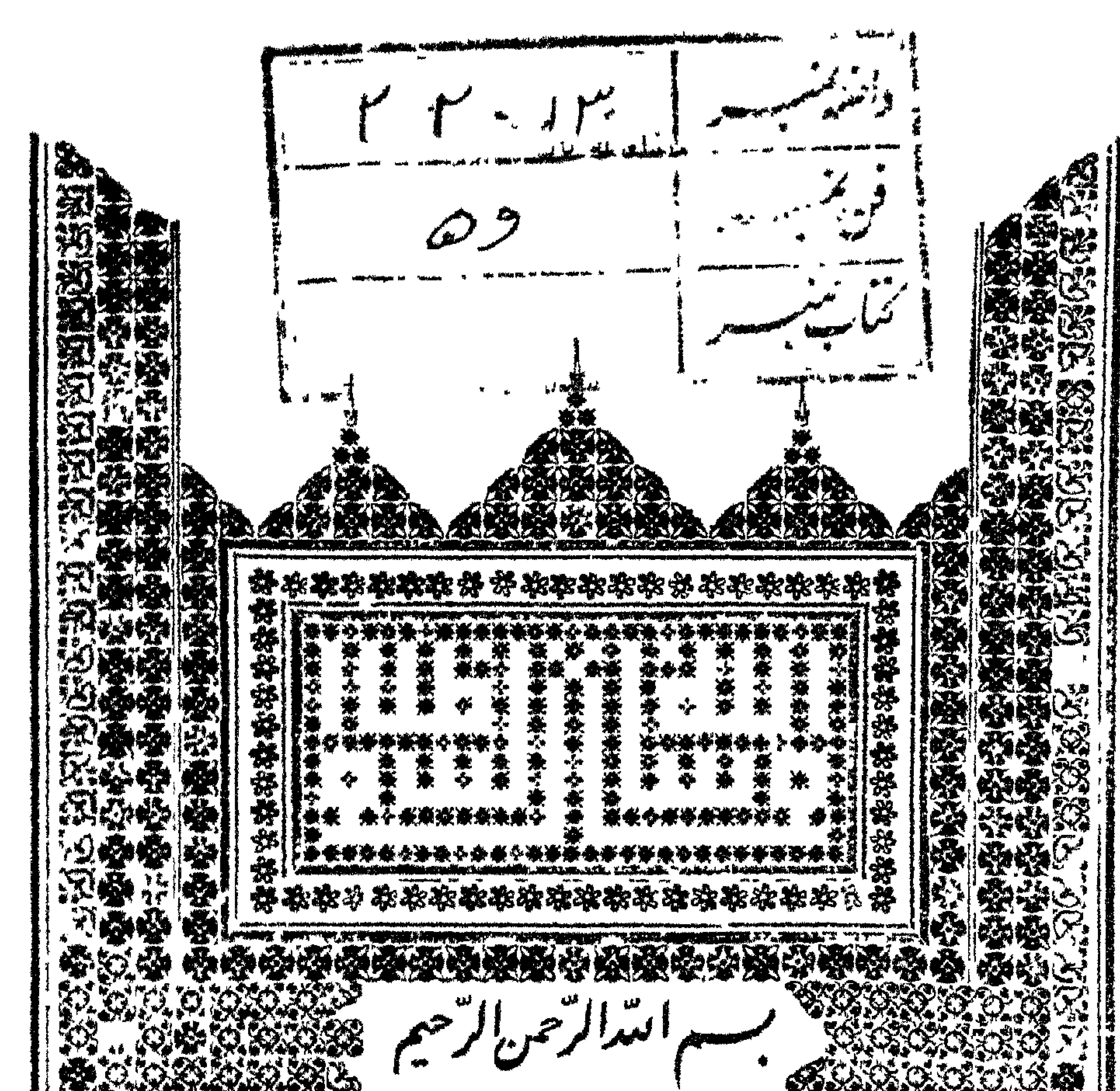
صحيفه

صحيفه

(تمت)

الجزء الاول من العقد الفريد للامام الفاضل
الوحيد شهاب الدين احمد المعروف
بابن عبد ربه الاندلسي المالكي
تغمده الله تعالى برحمته
واسكنه فسيح جنته
آمين

﴿ وبهامشه زهر الآداب وثمر الالباب لابي اسحق ابراهيم بن على ﴾ .
﴿ المعروف بالحصري القيرواني المالكي رحمه الله تعالى ﴾



(الحمد لله) الاول بلا ابتداء الآخر بلا انتهاء المنفرد بقدرته المتعالي في سلطانه الذي لا تحويه
الجهات ولا تنعته الصفات ولا تدركه العيون ولا تبلغه الظنون البادئ بالاحسان العائد
بالامتنان الدال على بقائه بفناء خلقه وعلى قدرته بعجز كل شيء سواه المغتفر اساءة المذنب بعفوه
وجهل المسيء بحلمه الذي جعل معرفته اضطرارا وعبادته اختيارا وخلق الخلق من بين ناطق
معترف بوحدانيته وصامت متخشع لربوبيته لا يخرج شيء عن قدرته ولا يعزب عن رؤيته الذي
قرن الفضل برحمته والعدل بعذابه والناس مدينون بين فضله وعذابه آذنون بالزوال آخذون
في الانتقال من دار بلاء الى دار جزاء (أحمده) على حلمه بعد علمه وعلى عفوه بعد قدرته ثنائه
رضى الحمد شكرا لجزيل نعمائه وجليل آلائه وجعله مفتاح رحمته و فاتح جنته وآخر دعوى
أهل جنته بقوله جل وعز وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين (وصلى) الله على نبيه الكريم
الشافع المقرب الذي بعث آخرا واصطفى أولا وجعلنا من أهل طاعته وعتقاء شفاعته (وبعد) فان
أهل كل طبقة وجهابذة كل أمة قد تكلموا في الادب وتفلسفوا في العلوم على كل لسان ومع كل
زمان وان كل متكلم منهم قد استفرغ غايته وبذل مجهوده في اختصار بديع معاني المتقدمين
واختيار جواهر الفاظ السالفين وأكثروا في ذلك حتى احتاج المختصر منها الى اختصار والمتخير الى
اختيار ثم اني رأيت آخر كل طبقة وواضعي كل حكمة ومؤلفي كل أدب أعذب ألفاظا وأسهل بنية
وأحكم مذهبا وأوضح طريقة من الاول لانه ناقض متعقب والاول باد متقدم فلينظر الناظر الى
الاوضاع المحكمة والكتب المترجمة بعين انصاف ثم يجعل عقله حكما عادلا فانه يعلم عند ذلك
أنها شجرة باسقة الفرع طيبة المنبت زكية التربة يانعة الثمرة فخذ منها بنصيبك ما كان على ارث
من النبوة ومنهاج من الحكمة لا يستوحش صاحبه ولا يضل من تمسك به (وقد ألفت) هذا الكتاب
وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان فكان جوهر الجوهر ولباب

{بسم الله الرحمن الرحيم}

الحمد لله الذي اختص الانسان
بفضيلة البيان وصلى الله على
محمد خاتم النبيين المرسل بالنور
المبين والكتاب المستبين الذي
تحدث الخلق أن يأتوا بمثله
فعجزوا عنه وأقروا بفضله وعلى
آله وسلم تسليما كثيرا (وبعد)
فهذا كتاب اخترت فيه قطعة
كافية من البلاغات في الشعر
والخبر والفصول والفقر مما
حسن لفظه ومعناه واستدل
بفحواه على مغزاه ولم يكن شاردا
حوشيا ولا ساقطا سوقيا بل كان
جميع ما فيه من ألفاظه ومعانيه
كما قال البحتري

في نظام من البلاغة ما شك
امرؤ أنه نظام فريد
حزن مستعمل الكلام اختيارا
وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ القريب فأدركـ
ـن به غاية المراد البعيد

ولم أذهب في هذا الاختيار الى
مطولات الاخبار كأحاديث
صعصعة بن صوحان وخالد بن
صفوان ونظائرهما اذ كانت
هذه أحسن لفظا وأسهل حفظا
وهو كتاب يتصرف الناظر فيه
من نثره الى شعره ومطبوعه
الى مصنوعه ومحاورته الى
مفاخرته ومناقلته الى مساجلته
وخطابه المسهب الى جوابه
المسكت وتشبيهاته المصيبة
الى اختراعاته الغريبة وأوصافه
الباهرة الى أمثاله السائرة
وجده المعجب الى هزله المطرب

الألباب والتغالى فيه تأليف الاختيار وحسن الاختصار وفرش لدر كل كتاب وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء ومأثور عن الحكماء والادباء واختيار الكلام أصعب من تأليفه وقد قالوا اختيار الرجل وافد عقله وقال الشاعر

قد عرفناك باختيارك اذ كا * ن دليلا على اللبيب اختياره

(وقال) أفلاطون عقول الناس مدونة فى أطراف أقلامهم وظاهرة فى حسن اختيارهم فتطلبت نظائر الكلام وأشكال المعانى وجواهر الحكم وضروب الادب ونوادر الامثال ثم قرنت كل جنس منها الى جنسه فجعلته بابا على حدته ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ونظيره من كل باب وقصدت من جملة الاخبار وفنون الآثار الى أشرفها جوهرا وأظهرها رونقا وألطفها معنى وأجزلها لفظا وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة آخذا بقول الله تبارك وتعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . وقال يحيى بن خالد الناس يكتبون أحسن ما يسمعون ويحفظون أحسن ما يكتبون ويتحدثون بأحسن ما يحفظون (وقال) ابن سيرين العلم أكثر من أن يحاط به فخذوا من كل شئ أحسنه وفيما بين ذلك سقطة الرأى وزلل القول ولكل عالم هفوة ولكل صارم نبوة * وفى بعض الكتب انفرد الله تعالى بالكمال ولم يبرأ أحد من النقصان وقيل للعتابى هل تعلم أحدا لا عيب فيه قال ان الذى لا عيب فيه لا يموت أبدا ولا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة (وقال) العتابى من قرض شعرا أو وضع كتابا فقد استهدف للخصوم واستشرف للألسن الا عند من نظر فيه بعين العدل وحكم بغير الهوى وقليل ما هم وحذفت الاسانيد من أكثر الاخبار طلبا للاستخفاف والايجاز وهربا من التثقيل والتطويل لانها أخبار ممتعة وحكم ونوادر لا ينفعها الاسناد باتصاله ولا يضرها ما حذف منها وقد كان بعضهم يحذف اسناد الحديث من سنة متبعة وشريعة مفروضة فكيف لا نحذفه من نادرة شاردة ومثل سائر وخبر مستظرف * سأل حفص بن غياث الاعمش عن اسناد حديث فأخذ بحلقه وأسنده الى حائط قال هذا اسناده وحدث ابن السماك بحديث فقيل له ما اسناده قال هو من المرسلات عرفا وحدث الحسن البصرى بحديث فقيل له يا أبا سعيد عمن قال وما تصنع بعمن يا ابن أخى أما أنت فنالتك موعظته وقامت عليك حجته (وقد نظرت) فى بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متصرفة فى فنون الاخبار ولا جامعة لجمل الآثار فجعلت هذا الكتاب كافيا جامعا لاكثر المعانى التى تجرى على أفواه العامة والخاصة وتدور على ألسنة الملوك والسوقة وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الاخبار فى معانيها وتوافقها فى مذاهبها وقرنت بها غرائب من شعرى ليعلم الناظر فى كتابنا هذا ان لمغربنا على قاصيته وبلدنا على انقطاعه حظا من المنظوم والمنثور (وسميته كتاب العقد الفريد) لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة المسلك وحسن النظام (وجزأته) على خمسة وعشرين كتابا كل كتاب منها جزآن فتلك خمسون جزأ فى خمسة وعشرين كتابا قد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد (فأولها) كتاب اللؤلؤة فى السلطان ثم كتاب الفريدة فى الحروب ومدار أمرها ثم كتاب الزبرجدة فى الاجواد والاصفاد ثم كتاب الجمانة فى الوفود ثم كتاب المرجانة فى مخاطبة الملوك ثم كتاب الياقوتة فى العلم والادب ثم كتاب الجوهرة فى الامثال ثم كتاب الزمردة فى المواعظ والزهد ثم كتاب الدرة فى التعازى والمراثى ثم كتاب اليتيمة فى النسب وفضائل العرب ثم كتاب العسجدة فى كلام الاعراب ثم كتاب المجنبة فى الاجوبة ثم كتاب الواسطة فى الخطب ثم كتاب المجنبة الثانية فى التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة ثم كتاب العسجدة الثانية فى الخلفاء وتواريخهم وأيامهم ثم كتاب اليتيمة الثانية فى أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة ثم كتاب الدرة الثانية فى أيام العرب ووقائعهم ثم كتاب الزمردة الثانية فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ثم كتاب الجوهرة الثانية فى أعاريض الشعر وعلل القوافى ثم كتاب الياقوتة الثانية فى الالحان واختلاف

وجزله الرائع الى رقيقه البارع (وقد نزعت) فيما جمعت عن ترتيب البيوت وعن ابعاد الشكل عن شكله وافراد الشئ عن مثله فجعلت بعضه مسلسلا وتركت بعضه مرسلا ليحصل محرر النقد مقدر السرد قد أخذ بطرفى التأليف واشتمل على حاشيتى التصنيف وقد يعز المعنى فالحق الشكل بنظائره وأعلق الاول بآخره وتبقى منه بقية أصرفها فى سائره ليسلم من التطويل الممل والتقصير المخل وتظهر فى التجميع افادة الاجتماع وفى التفريق لذاذة الامتاع فيكمل منه ما يونق القلوب والاسماع اذ كان الخروج من جد الى هزل ومن حزن الى سهل أنفى للكلل وأبعد من الملل وقد قال اسمعيل ابن القاسم

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة الا التنقل من حال الى حال

وكان السبب الذى دعانى الى تأليفه وندبنى الى تصنيفه ما رأيته من رغبة أبى الفضل العباس بن سليمان أطال الله مدته وأدام نعمته فى الادب وانفاق عمره فى الطلب وما له فى الكتب وان اجتهاده فى ذلك حمله على ان ارتحل الى المشرق بسببها وأغمض فى طلبها باذلا فى ذلك ماله مستعذبا فيه تعبه الى أن أورد من كلام بلغاء عصره وفصحاء دهره طرائف طريفة وغرائب غريبة وسألنى أن أجمع له من مختارها كتابا يكتفى به عن جملتها وأضيف الى ذلك من كلام المتقدمين ما قاربه وقارنه وشابهه وماثله فسارعت الى مراده وأعنته على اجتهاده وألفت له

الناس فيه ثم كتاب المرجانة الثانية في النساء وصفاتهن ثم كتاب الجمانة الثانية في المتنبئين والموسومين والبخلاء والطفيليين ثم كتاب الزبرجدة الثانية في بيان طبائع الانسان وسائر الحيوان ثم كتاب الفريدة الثانية في الطعام والشراب ثم كتاب اللؤلؤة الثانية في الفكاهات والملح

﴿كتاب اللؤلؤة في السلطان﴾

السلطان زمام الامور ونظام الحقوق وقوام الحدود والقطب الذي عليه مدار الدنيا وهو حمى الله في بلاده وظله الممدود على عباده به يمتنع حريمهم وينتصر مظلومهم وينقمع ظالمهم ويأمن خائفهم (قالت الحكماء) امام عادل خير من مطر وابل وامام غشوم خير من فتنة تدوم ولما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن (وقال) وهب بن منبه فيما انزل الله على نبيه داود عليه السلام اني أنا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن كان لي على طاعة جعلت الملوك عليهم رحمة ومن كان لي على معصية جعلت الملوك عليهم نقمة فحق على من قلده الله ازمة حكمه وملكه أمور خلقه واختصه باحسانه ومكن له في سلطانه أن يكون من الاهتمام بمصالح رعيته والاعتناء بمرافق أهل طاعته بحيث وضعه الله من الكرامة وأجرى عليه من أسباب السعادة قال الله عز وجل الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور وقال النبي صلى الله عليه وسلم عدل ساعة في حكومة خير من عبادة ستين سنة (وقال) صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكل راع مسؤل عن رعيته وقال الشاعر

فكلكم راع ونحن رعية * وكل يلاقي ربه فيحاسبه

ومن شأن الرعية قلة الرضا عن الائمة وتحجر العذر عليهم والزام الائمة لهم ورب ملوم لا ذنب له ولا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة اذ كان رضا جملتها وموافقة جماعتها من المعجز الذي لا يدرك والممتنع الذي لا يملك ولكل حصته من العدل ومنزلته من الحكم * فمن حق الامام على رعيته ان يقضي عليهم بالاغلب من فعله والاعم من حكمه ومن حق الرعية على امامها حسن القبول لظاهر طاعتها واضرابه صفحا عن مكاشفتها كما قال زياد لما قدم العراق واليا عليها أيها الناس انه قد كانت بيني وبينكم احن فجعلت ذلك دبر اذني وتحت قدمي فمن كان محسنا فليزد في احسانه ومن كان مسيأ فلينزع عن اساءته اني لو علمت ان احدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا ولم اهتك له سترا حتى يبدي صفحته لي (وقال) عبد الله بن عمر اذا كان الامام عادلا فله الاجر وعليك الشكر واذا كان الامام جائرا فله الوزر وعليك الصبر (وقال) كعب الاحبار مثل الاسلام والسلطان مثل العمود والفسطاط فالفسطاط الاسلام والعمود السلطان والاوتاد الناس ولا يصلح بعضها الا ببعض (وقال الافوه الاودي)

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة اذا جهالهم سادوا
والبيت لا يبتنى الا له عمد * ولا عماد اذا لم ترس أوتاد
وان تجمع أوتاد وأعمدة * يوما فقد بلغوا الامر الذي كادوا

﴿نصيحة السلطان ولزوم طاعته﴾ قال الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم (وقال) أبو هريرة لما نزلت هذه الآية أمرنا بطاعة الائمة وطاعتهم من طاعة الله وعصيانهم من عصيان الله (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة أو خلع يدا من طاعة مات ميتة جاهلية (وقال) صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولاولي الامر منكم فنصح الامام ولزوم طاعته فرض واجب وامر لازم ولا يتم ايمان الا به ولا يثبت اسلام الا عليه (الشعبي) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال لي أبي أرى هذا الرجل يعني عمر بن الخطاب يستفهمك ويقدمك على الاكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واني موصيك بخلال أربع لا تفشين له سرا ولا يجربن عليك كذبا ولا تطوعنه نصيحة ولا تغتابن عنده أحدا

هذا الكتاب ليستغني به عن جميع كتب الآداب اذ كان موشحا من بديع البديع ولآلئ الميكالي وشذى الخوارزمي وغرائب الصاحب ونفيس قابوس وشذور أبي منصور بكلام يمتزج بأجزاء النفس لطافة وبالهواء رقة وبالماء عذوبة وليس لي في تأليفه من الافتخار أكثر من حسن الاختيار واختيار المرء قطعة من عقله تدل على تخلفه أو فضله ولا شك ان شاء الله في استجادة ما استجدت واستحسان ما أوردت اذ كان معلوما انه ما انحدرت نفس ولا اجتمع حس ولا سال سر ولا جال فكر في أفضل من معنى لطيف ظهر في لفظ شريف فكساه من حسن الموقع قبولا لا يدفع وابرزه يختال من صفاء السبك وصحة الديباجة وكثرة المائية في أجمل حلة وأجل حلية يستنشط الروح اللطيف نسيمه أرجا ويؤكل بالضمير ويشرب (وقد) ارغبت في التعامي عن المشهور في جميع المذكور من الاسلوب الذي ذهبت اليه والنحو الذي عولت عليه لان أول ما يقرع الآذان أدعى الى الاستحسان مما مجته النفوس لطول تكراره ولفظته العقول لكثرة استمراره فوجدت ذلك يتعذر ولا يتيسر ويتمنع ولا يتسع ويوجب ترك ما ندر اذا اشتهر وهذا يوجب في التصنيف دخلا ويكسب التأليف خللا فلم أعرض الا عما أهانه الاستعمال وأذاله الابتذال والمعنى اذا استدعى القلوب الى حفظه ما ظهر من مستحسن لفظه من

قال الشعبي فقلت لابن عباس كل واحد خير من ألف قال اى والله ومن عشرة آلاف (وفى كتاب الهند) ان رجلا دخل على بعض ملوكهم فقال أيها الملك ان نصيحتك واجبة فى الصغير الحقير والكبير الخطير ولولا الثقة بفضيلة رأيك واحتمالك مايشق موقعه فى جنب صلاح العامة وتلافى الخاصة لكان خرقا منى أن أقول ولكنا اذا رجعنا الى أن بقاءنا موصول ببقائك وانفسنا متعلقة بنفسك لم نجد بدا من أداء الحق اليك وان أنت لم تسلنى ذلك فانه يقال من كتم السلطان نصيحته والاطباء مرضه والاخوان بثه فقد أخل بنفسه وانا أعلم ان كل كلام يكره سامعه لم يتشجع عليه قائله الا ان يثق بعقل المقول له ذلك فانه اذا كان عاقلا احتمل ذلك لانه ما كان فيه من نفع فهو للسامع دون القائل وانك أيها الملك ذو فضيلة فى الرأى وتصرف فى العلم فانما يشجعنى ذلك على ان أخبرك بما تكره واثقا بمعرفة نصيحتى لك وايثارى اياك على نفسى (وقال) عمرو بن عتبة للوليد حين تغير الناس عليه يا أمير المؤمنين ينطقنى الانس بك ويسكتنى الهيبة لك وأراك تأمن أشياء أخافها عليك فأسكت مطيعا أم أقول مشفقا قال كل مقبول منك ولله فينا علم غيب نحن صائرون اليه فقتل بعد ذلك بايام (وقال) خالد بن صفوان من صحب السلطان بالصحة والنصيحة أكثر عدوا ممن صحبه بالغش والخيانة لانه يجتمع على الناصح عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد فصديق السلطان ينافسه فى مرتبته وعدوه يبغضه لنصيحته ﴿ما يصحب به السلطان﴾ قال ابن المقفع ينبغى لمن خدم السلطان ان لا يغتر به اذا رضى عنه ولا يتغير له اذا سخط ولا يستثقل ما حمله ولا يلحف فى مسألته (وقال أيضا) لا تكن صحبتك السلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم فان كنت حافظا اذ ولوك حذرا اذا قربوك أمينا اذا ائتمنوك ذليلا اذا صرموك راضيا اذا سخطوك تعلمهم وكأنك متعلم منهم وتؤدبهم وكأنك متأدب بهم وتشكرهم ولا تكلفهم الشكر والا فالبعد منهم كل البعد والحذر كل الحذر (وقال) المأمون الملوك تتحمل كل شئ الا ثلاثة أشياء القدح فى الملك وافشاء السر والتعرض للحرم (وقال) ابن المقفع اذا نزلت من السلطان بمنزلة الثقة فلا تلزم الدعاء له فى كل كلمة فان ذلك يوجب الوحشة ويلزم الانقباض (وقال) الاصمعى توصلت بالملح وأدركت بالغريب (وقال) أبو حازم الاعرج لسليمان بن عبد الملك انما السلطان سوق فما نفق عنده حمل اليه (ولما) قدم معاوية من الشام وكان عمر قد استعمله عليها دخل على أمه هند فقالت له يا بنى انه قلما ولدت حرة مثلك وقد استعملك هذا الرجل فاعمل بما وافقه أحببت ذلك أم كرهته ثم دخل على أبيه أبى سفيان فقال له يا بنى ان هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم فرفعهم سبقهم وقصر بنا تأخرنا فصرنا اتباعا وصاروا قادة وقد قلدوك جسيما من أمرهم فلا تخالفن أمرهم فانك تجرى الى أمد لم تبلغه ولو قد بلغته لتنفست فيه قال معاوية فعجبت من اتفاقهما فى المعنى على اختلافهما فى اللفظ (وقال) ابرويز لصاحب بيت المال انى لا أعذرك فى خيانة درهم وعلى أن لا أحمدك على صيانة ألف ألف لانك انما تحقن دمك وتقيم أمانتك فان خنت قليلا خنت كثيرا واحترس من خصلتين النقصان فيما تأخذ والزيادة فيما تعطى واعلم انى لم أجعلك على ذخائر الملك وعماد المملكة والقوة على العدو الا وأنت عندى آمن موضعه الذى هو فيه وخواتمه التى هى عليه فحقق ظنى باختيارى اياك أحقق ظنك فى رجائك اياى ولا تتعرض بخير شرا ولا برفعة ضعة ولا بسلامة ندامة (ولما) ولى يزيد بن معاوية سلم خراسان ابن زياد قال له ان أباك كفى أخاه عظيما وقد استكفيتك صغيرا فلا تتكلن على عذر منى فقد اتكلت على كفاية منك واياك منى قبل أن أقول اياى منك فان الظن اذا اختلف منى فيك اختلف منك فى وانت فى أدنى حظك فاطلب أقصاه وقد أتعبك أبوك فلا تريحن (قال) يزيد حدثنى أبى أن عمر بن الخطاب لما قدم الشام قدم على حمار ومعه عبد الرحمن بن عوف على حمار فتلقاهما معاوية فى موكب نبيل فجاوز عمر حتى أخبر فرجع اليه فلما قرب منه نزل اليه فأعرض عنه فجعل يمشى الى جنبه راجلا فقال له عبد الرحمن بن عوف أتعبت

بارع عبارة وناصع استعارة
وعذوبة مورد وسهولة مقصد
وحسن تفصيل واصابة تمثيل
وتطابق أنحاء وتجانس أجزاء
وتمكن ترتيب ولطافة تهذيب
مع صحة طبع وجودة ايضاح
يثقفه تثقيف القداح ويصوره
أفضل تصوير ويقدره أكمل
تقدير فهو
مشرق فى جوانب السمع لا يخ
لقه عوده على المستعيد
(آخر)
وهو المشيع بالمسامع ان مضى
وهو المضاعف حسنه ان كررا
وان كنت قد استدركت على
كثير ممن سبقنى الى مثل ما جريت
اليه واقتصرت فى هذا الكتاب
على ملح أوردتها كنوافث
السحر وفقر نظمتها كالغنى بعد
الفقر من ألفاظ أهل العصر
فى محلول النثر ومعقود الشعر
وفيهم من أدركته بعمرى أو
لحقه أهل دهرى ولهم من
لطائف الابتداع وتوليدات
الاختراع أبكار لم تفترعها
الاسماع يصبو اليها القلب
والطرف ويقطر منها ماء الملاحة
والظرف وتمتزج بأجزاء النفس
وتسترجع نافر الانس تخللت
تضاعيفه ووشحت تآليفه
وطرزت ديباجه ورصعت تاجه
ونظمت عقوده ورقت بروده
فنورها يرف ونورها يشف فى
روض من الكلام مونق ورونق
من الحكم مشرق
صفا ونفى عنه القذى فكأنه
اذا ما استشفته العيون تصعدا
فهو كما قلت
بديع تفرق حتى غدا
يجرى مع الروح كما تجرى
من مذهب الوشى على وجهه
ديباجة أبهت من الشعر

الرجل فأقبل عليه عمر فقال يامعاوية أنت صاحب الموكب آنفا مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك قال نعم ياأمير المؤمنين قال ولم ذاك قال لانا في بلد لانمتنع فيها من جواسيس العدو ولابد لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان فان أمرتني بذلك أقمت عليه وان نهيتني عنه انتهيت فقال انْ كان الذي تقول حقا فانه رأي أريب وان كان باطلا فانها خدعة أديب وما آمرك به ولا انهاك عنه فقال عبد الرحمن بن عوف لحسن ما صدر هذا الفتى عما أوردته فيه فقال لحسن موارده جشمناه ما جشمناه (وقال) الربيع بن زياد الحارثي كنت عاملا لابي موسى الاشعري على البحرين فكتب اليه عمر بن الخطاب يأمره بالقدوم عليه هو وعماله وان يستخلفوا من هو من ثقاتهم حتى يرجعوا فلما قدمنا أتيت يرفا فقلت يا يرفا ابن سبيل مسترشد أخبرني أي الهيئات أحب الى أمير المؤمنين ان يرى فيها عماله فأومأ الى الخشونة فأخذت خفين مطارقين ولبست جبة صوف ولثت رأسي بعمامة دكناء ثم دخلنا على عمر فصففنا بين يديه وصعد فينا نظره وصوّب فلم تأخذ عينه أحدا غيري فدعاني فقال من أنت قلت الربيع ابن زياد الحارثي قال وما تتولى من أعمالنا قلت البحرين قال فكم ترزق قلت خمسة دراهم في كل يوم قال كثير فما تصنع بها قلت أتقوت منها شيأ وأعود بباقيها على أقارب لي فما فضل منها فعلى فقراء المسلمين فقال لا بأس ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعي من الصف ثم صعد فينا وصوب فلم تقع عينه الا علي فدعاني فقال كم سنوك فقلت ثلاث وأربعون سنة قال الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام وأصحابي حديثو عهد بلين العيش وقد تجوعت له فأتى بخبز يابس وأكسار بعير ادام فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت آكل فأجيد الأكل فنظرت فاذا به يلحظني من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت أني سخت في الارض ولم ألفظ بها فقلت ياأمير المؤمنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت الى طعام هو ألين من هذا فزجرني وقال كيف قلت قلت أقول لو نظرت ياأمير المؤمنين الى قوتك من الطحين فيخبز لك قبل ارادتك اياه بيوم ويطبخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز لينا وباللحم غريضا فسكن من غربه وقال هذا قصدت قلت نعم قال ياربيع انا لو نشاء لملأنا هذه الرحاب من صلائق وسبائك وصناب ولكني رأيت الله تعالى نعى على قوم شهواتهم فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ثم أمر أبا موسى أن يقرني وأن يستبدل بأصحابي (قوله ولثت رأسي) يقال رجل ألوث اذا كان ذا شر وذلك من اللوث ورجل ألوث اذا كان أهوج مأخوذ من اللوثة فقوله ولثت رأسي بعمامة يقول أدرتها بعضها على بعض على غير استواء (وقوله صلائق) هي شئ يعمل من اللحم فمنها ما يطبخ ومنها ما يشوى يقال صلقت اللحم اذا طبخته وصلقته اذا شويته (وسبائك) يريد الحواري من الخبز وذلك انه يسبك فيؤخذ خالصه والعرب تسمي الرقاق السبائك (والصناب) طعام يؤخذ من الزبيب والخردل ومنه قيل للفرس صنابي اذا كان في ذلك اللون حمرة قال جرير

تكلفني معايش آل زيد ❊ ومن لي بالمرقق والصناب

(ومما) يعاب به السلطان أن لا يسلم على قادم بين يديه وانما استن ذلك زياد وذلك ان عبد الله بن عباس قدم على معاوية وعنده زياد فرحب به معاوية وألطفه وقرب مجلسه ولم يكلمه زياد شيأ فابتدأ ابن عباس وقال ما حالك أبا المغيرة كأنك أردت أن تحدث بيننا وبينك هجرة قال لا ولكنه لا يسلم على قادم بين يدي أمير المؤمنين فقال له ابن عباس ما ترك الناس التحية بينهم بين يدي أمرائهم فقال له معاوية كف عنه يا ابن عباس فانك لا تشاء أن تغلب الا غلبت (أبو حاتم) عن العتبي قال قدم معاوية من الشام وعمرو بن العاص من مصر على عمر بن الخطاب فأقعدهما بين يديه وجعل يسائلهما عن أعمالهما الى أن اعترض عمرو في حديث معاوية فقال له معاوية أعملي تعيب والي تقصد هلم تخبر أمير المؤمنين عن عملي وأخبره عن عملك قال عمرو فعلمت انه بعملي أبصر مني بعمله وأن عمر لا يدع أول هذا الحديث حتى يصير الى آخره فأردت أن أفعل شيأ أشغل به عمر عن ذلك فرفعت يدي فلطمت معاوية

كزهرة الدنيا وقد أقبلت
تروق في رونقها النضر
أو كالنسيم الغض غب الندى
يختال في أردية الفجر

ولعل في كثير مما تركت ما هو أجود من قليل مما أدركت اذ كان اقتصارا من كل على بعض ومن فيض على برض ولكني اجتهدت في اختيار ما وجدت وقد تدخل اللفظة في شفاعة اللفظات ويعبر البيت في خلال الابيات وتعرض الحكاية في عرض الحكايات يتم بها المعنى المراد وليست مما يستجاد ويبعث عليها فرط الضرورة اليها في اصلاح خلل فهما تره من ذلك في هذا الاختيار فلا تعرض عنه بطرف الانكار وما أقل ذلك في جميع المسالك الجارية في هذا الكتاب (الموسوم بزهر الآداب وثمر الألباب) لكني أردت ان أشارك من يخرج من ضيقة الاغترار الى فسحة الاعتذار

ويسيء بالاحسان ظنا لا كمن
يأتيك وهو بشعره مفتون

والله المؤيد والمسدد وهو حسبنا ونعم الوكيل

(روي) عن عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما قال وفد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم فقال الزبرقان يارسول الله انا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقهم وامنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعني عمرا فقال عمرو اجل يارسول الله انه مانع لحوزته مطاع في عشيرته شديد العارضة فيهم فقال الزبرقان اما انه والله

فقال عمر تالله ما رأيت رجلا اسفه منك قم يا معاوية فاقتص منه قال معاوية ان أبي امرني أن لا اقضي امرا دونه فأرسل عمر الى أبي سفيان فلما أتاه ألقى له وسادة وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ثم قص عليه ما جرى بين عمرو ومعاوية فقال لهذا بعثت الى أخوه وابن عمه وقد أتى غير كبير وقد وهبت ذلك له (وقالوا) ينبغي لمن صحب السلطان ان لا يكتم عنه نصيحة وان استثقلها وليكن كلامه له كلام رفق لا كلام خرق حتى يخبره بعيبه من غير أن يواجهه بذلك ولكن يضرب له الأمثال ويخبره بعيب غيره ليعرف عيب نفسه (وقالوا) من تعرض للسلطان ازدراه ومن تطامن له تخطاه فشبهوا السلطان في ذلك بالريح الشديدة التي لا تضر بما لان وتمايل معها من الحشيش والشجر وما استهدف لها قصمته (قال الشاعر)

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان نجد ولا يعبأن بالرتم

وقالوا اذا زادك السلطان اكراما فزده اعظاما واذا جعلك عبدا فاجعله ربا

(اختيار السلطان لاهل عمله) لما ولى عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد الى خراسان قال له أوصيك بثلاثة حاجبك فانه وجهك الذي به تلقى الناس ان أحسن فأنت المحسن وان أساء فأنت المسيء وصاحب شرطتك فانه سوطك وسيفك حيث وضعهما فأنت وضعتهما وعمال القرى قال وما عمال القرى قال أن تختار من كل كورة رجالا لعملك فان أصابوا فهو والذي اردت وان أخطؤا فهم المخطئون وأنت المصيب (وكتب) عمر بن عبد العزيز الى عدي بن أرطاة ان اجمع بين اياس بن معاوية والقاسم ابن ربيعة الجرشي فول القضاء أنفذهما فجمع بينهما فقال له اياس أيها الرجل سل عني وعن القاسم فقيهي البصرة الحسن وابن سيرين وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين وكان اياس لا يأتيهما فعلم القاسم انه ان سألهما أشارا به فقال القاسم لا تسأل عني ولا عنه فوالله الذي لا اله الا هو ان اياس بن معاوية افقه مني واعلم بالقضاء فان كنت كاذبا فما ينبغي ان توليني وان كنت صادقا فينبغي لك ان تقبل قولي فقال له اياس انك جئت برجل فأوقفته على شفير جهنم فنجى نفسه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال له عدي أما اذ فهمتها فأنت لها فاستقضاه (وقال عدي بن ارطاة) لاياس بن معاوية دلني على قوم من القراء أولهم فقال له القراء ضربان ضرب يعملون للآخرة لا يعملون لك وضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم اذا أمكنتهم منها ولكن عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لاحسابهم فولهم (أيوب السختياني) قال طلب أبو قلابة للقضاء فهرب الى الشام فأقام حينا ثم رجع قال أيوب فقلت له لو وليت القضاء وعدلت كان لك أجران قال يا أيوب اذا وقع السابح في البحر كم عسى أن يسبح (وقال عبد الملك بن مروان) لجلسائه دلوني على رجل أستعمله فقال له روح بن زنباع أدلك يا أمير المؤمنين على رجل ان دعوتموه أجابكم وان تركتموه لم يأتكم ليس بالملحف طلبا ولا بالممعن هربا عامر الشعبي فولاه قضاء البصرة (وسأل عمر بن عبد العزيز) أبا مجلز عن رجل يوليه خراسان فقال له ما تقول في فلان قال مصنوع له وليس بصاحبها قال ففلان قال سريع الغضب بعيد عن الرضا يسأل الكثير ويمنع القليل يحسد وينافس أباه ويحقر مولاه قال ففلان قال يكافئ الاكفاء ويعادي الاعداء ويفعل ما يشاء قال ما في واحد من هؤلاء خير (وأراد) عمر بن الخطاب أن يستعمل رجلا فبدر الرجل يطلب منه العمل فقال عمر والله لقد أردتك لذلك ولكن من طلب هذا الامر لم يعن عليه (وطلب) رجل من النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعمله فقال انا لا نستعمل على عملنا من يريده (طلب العباس) عم النبي صلى الله عليه وسلم الى النبي ولاية فقال يا عم نفس تحييها خير من ولاية لا تحصيها (وقال) أبو بكر الصديق رضي الله عنه لخالد بن الوليد فر من الشرف يتبعك الشرف واحرص على الموت توهب لك الحياة (وتقول النصارى) لا تختار للجاثليق الا زاهدا فيها غير طالب لها (وقال اياس بن معاوية) أرسل الى ابن هبيرة فأتيته فسألني فسكت فلما أطلت قال هيه قلت سل عما بدا لك قال أتقرأ

قد علم أكثر مما قال ولكنه حسدني شرفي فقال عمرو أما لئن قال ما قال فوالله ما علمته الا ضيق العطن زمن المروأة أحمق الأب لئيم الخال حديث الغنى ورأى الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال يا رسول الله رضيت فقلت احسن ما علمت وغضبت فقلت اقبح ما علمت وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الثانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة ويروى لحكما والأول اصح والذي روى اهل الثبت من هذا الحديث انه قدم رجلان من اهل المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وان من بعض البيان لسحرا (وعمرو بن الاهتم) هو عمرو بن سنان بن سمى بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد ابن الحرث والحرث هو مقاعس ابن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وسمي سنان الاهتم لان قيس بن عاصم المنقري سيد اهل الوبر ضربه بقوسه فهتم فمه هذا قول ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وقال غيره بل هتم فمه يوم الكلاب الثاني وهو يوم كان لبني تميم على اهل اليمن وكان عمرو يلقب المكحل لجماله وبنو الأهتم اهل بيت بلاغة في الجاهلية والاسلام وعبد الله بن عمرو بن الاهتم هو جد خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة وكان يقال الخطابة في آل عمرو وكان

القرآن قلت نعم قال اتفرض الفرائض قلت نعم قال اتعرف من أيام العرب شيأ قلت نعم قال أتعرف من أيام العجم شيأ قلت انا بها أعرف قال انى أريد ان أستعين بك على عملي قلت ان فيّ خلالا ثلاثا لا أصلح معها للعمل قال ماهي قال انا دميم كما ترى وأنا حديد وأنا عيي قال أما دمامتك فاني لا أريد ان احاسن الناس بك وأما العي فاني أراك تعرب عن نفسك وأما الحدة فان السوط يقومك قال فولاني وأعطاني مائة درهم فهي أول مال تمولته (وقال الاصمعي) ولي سليمان بن حبيب المحاربي قضاء دمشق لعبد الملك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام وأراد عمر بن العزيز مكحولا على القضاء عليها فأبى قال له وما يمنعك قال مكحول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقضي بين الناس الا ذو شرف في قومه وأنا مولى (ولما قدم) رجال الكوفة على عمر بن الخطاب يشكون سعد بن أبي وقاص فقال من يعذرني من أهل الكوفة ان وليتهم التقي ضعفوه وان وليتهم القوي فجروه فقال له المغيرة يا أمير المؤمنين ان التقي الضعيف له تقواه وعليك ضعفه والقوي الفاجر لك قوته وعليه فجوره قال صدقت فأنت القوي الفاجر فاخرج اليهم فلم يزل عليهم أيام عمر وصدرا من أيام عثمان وأيام معاوية حتى مات المغيرة ﴿حسن السياسة واقامة المملكة﴾ كتب الوليد بن عبد الملك الى الحجاج بن يوسف يأمره ان يكتب اليه بسيرته فكتب اليه اني ايقظت رأيي وانمت هواي فأدنيت السيد المطاع في قومه ووليت المجرب الحازم في أمره وقلدت الخراج الموفر لامانته وقسمت لكل خصم من نفسي قسما أعطيه حظا من لطيف عنايتي ونظري وصرفت السيف الى النطف المسيء والثواب الى المحسن البريء فخاف المريب صولة العقاب وتمسك المحسن بحظه من الثواب (وقال أردشير) لابنه يا بني ان الملك والعدل اخوان لا غنى بأحدهما عن صاحبه فالملك أس والعدل حارس فما لم يكن له أس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع يا بني اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك لأهل الجهاد وبشرك لأهل الدين وسرك لمن عناه ما عناك من ذوي العقول (وقالت الحكماء) مما يجب على السلطان العدل في ظاهر أفعاله لاقامة أمر سلطانه وفي باطن ضميره لاقامة أمر دينه فاذا فسدت السياسة ذهب السلطان ومدار السياسة كلها على العدل والانصاف لا يقوم سلطان لاهل الكفر والايمان الا بهما ولا يدور الا عليهما مع ترتيب الأمور مراتبها وانزالها منازلها وينبغي لمن كان سلطانا ان يقيم على نفسه حجة السلطان وليكن حكمه على غيره مثل حكمه على نفسه فانما يعرف حقوق الاشياء من عرف مبلغ حدودها ومواقع اقدارها ولا يكون أحد سلطانا حتى يكون قبل ذلك رعية (وقال عبد الملك بن مروان) لبنيه كلكم يترشح لهذا الأمر ولا يصلح له منكم الا من كان له سيف مسلول ومال مبذول وعدل تطمئن اليه القلوب (وقال عمر بن الخطاب) رضي الله عنه لا يصلح لهذا الأمر الا اللين من غير ضعف القوي من غير عنف (وكتب) ارسطاطاليس الى الاسكندر املك الرعية بالاحسان اليها تظفر بالمحبة منها فان طلبك ذلك باحسانك أدوم بقاء منه باعتسافك واعلم انك انما تملك الابدان فاجمع لها القلوب واعلم ان الرعية اذا قدرت ان تقول قدرت ان تفعل فاجتهد ان لا تقول تسلم ان تفعل (وقال اردشير) لاصحابه انما أملك الاجساد لا النيات واحكم بالعدل لا بالرضا وافحص عن الأعمال لا عن السرائر (وكان عمرو بن العاص) يقول في معاوية اتقوا آدم قريش وابن كريمها من يضحك في الغضب ولا ينام الا عن الرضا ويتناول ما فوقه من تحته (وقال معاوية) اني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت فقيل له وكيف ذلك قال كنت اذا مدوها ارخيتها واذا أرخوها مددتها (وقال عمرو) رأيت معاوية في بعض أيام صفين خرج في عدة لم أره خرج في مثلها فوقف في قلب عسكره فجعل يلحظ ميمنته فيرى الخلل فيبدر اليه من ميسرته ثم يفعل ذلك بميسرته فتغنيه اللحظة عن الاشارة فدخله زهو لما رأى فقال يا ابن العاص كيف ترى هؤلاء وما هم عليه فقلت والله يا أمير المؤمنين لقد رأيت من يسوس الناس بالدين والدنيا فما رأيت أحدا

شعره حلالا منشرة عند الملوك تأخذ منه ماشاءت وهو القائل

ذريني فان البخل يا أم مالك
لصالح اخلاق الرجال سروق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها
ولكن اخلاق الرجال تضيق

(والزبرقان) اسمه حصين بن بدر ابن امرئ القيس بن الحرث بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد وسمي الزبرقان لجماله والزبرقان القمر وقيل لانه كان يزبرق عمامته اي يصفرها في الحرب وكانوا يسمون الكلام الغريب السحر الحلال ويقولون اللفظ الجميل من احدى النفثات في العقد (وذكر) بعض الرواة انه لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قدم عليه وفود اهل كل بلد فتقدم اليه وفد اهل الحجاز فاشرأب منهم غلام للكلام فقال عمر يا غلام ليتكلم من هو أسن منك فقال الغلام يا أمير المؤمنين انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله عبده لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد اجاد له الاختيار ولو ان الأمور بالسن لكان ههنا من هو احق بمجلسك منك فقال عمر صدقت تكلم فهذا السحر الحلال فقال يا أمير المؤمنين نحن وفد التهنئة لا وفد التعزية ولم يقدمنا اليك رغبة ولا رهبة لانا قد أمنا في أيامك ما خفنا وادركنا ما طلبنا فسأل عمر عن سن الغلام فقيل عشر سنين (وقد روى) ان محمد بن كعب القرظي كان حاضرا فنظر الى وجه عمر قد تهلل عند ثناء الغلام عليه فقال يا أمير المؤمنين لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك

أوتي له من طاعة رعيته ما أوتي لك من هؤلاء فقال أفتدري متى يفسد هذا وفي كم ينتقض جميعه قلت لا قال في يوم واحد قال فأكثرت التعجب قال أي والله في بعض يوم قلت وكيف ذلك يا أمير المؤمنين قال اذا كذبوا في الوعد والوعيد وأعطوا على الهوى لا على الغنى فسد جميع ما ترى (وكتب) عبد الله ابن عباس الى الحسن بن علي اذ ولاه الناس أمرهم بعد علي رضي الله عنه أن شمر للحرب وجاهد عدوك واشتر من الضنين دينه بما لا يثلم دينك وول أهل البيوتات تستصلح به عشائرهم (وقالت الحكماء) أسوس الناس لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها وخواطرها بأسبابها من الرغبة والرهبة (وقال ابرويز لابنه شيرويه) لا توسعن على جندك سعة يستغنون بها عنك ولا تضيقن عليهم ضيقة يضجون به منك ولكن أعطهم عطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا وابسط لهم في الرجاء ولا تبسط لهم في العطاء (ونحو هذا) قول المنصور لبعض قواده صدق الذي قال أجع كلبك يتبعك وسمنه يأكلك فقال له عباس الطوسي يا أمير المؤمنين ان أجعته يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك (وكتب ابرويز) الى ابنه شيرويه من الحبس اعلم أن كلمة منك تسفك دماء وأخرى تحقن دماء وان سخطك سيف مسلول على من سخطت عليه وان رضاك بركة مستفيضة على من رضيت عنه وان نفاذ أمرك مع ظهور كلامك فاحترس في غضبك من قولك أن يخطئ ومن لونك أن يتغير ومن جسدك أن يخف فان الملوك تعاقب حذرا وتعفو حلما واعلم أنك تجل عن الغضب وان ملكك يصغر عن رضاك فقدر لسخطك من العقاب كما تقدر لرضاك من الثواب (وقال الوليد بن عبد الملك) لابيه يا أبت ما السياسة قال هيبة الخاصة مع صدق مودتها واقتياد قلوب العامة بالانصاف لها واحتمال هفوات الصنائع (وخطب سعيد بن سويد) بحمص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان الاسلام حائط منيع وباب وثيق فحائط الاسلام الحق وبابه العدل ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان وليس شدة السلطان قتلا بالسيف ولا ضربا بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل (وقال) عبد الله بن الحكم انه قد يضطغن على السلطان رجلان رجل أحسن في محسنين وأثيبوا وحرم ورجل أساء في مسيئين فعوقب وعفي عنهم فينبغي للسلطان أن يحترس منهما (وفي التاج) كتب ابرويز لابنه شيرويه يوصيه ليكن من تختاره لولايتك امرأ كان في ضعة فرفعته وذا شرف كان مهملا فاصطنعته لا تجعله امرأ أصبته بعقوبة فاتضع لها ولا أحدا ممن يقع بقلبه ان ازالة سلطانك أحب اليه من ثبوته واياك أن تستعمله ضرعا غمرا كثيرا اعجابه بنفسه قليلا تجربته في غيره ولا كبيرا مدبرا قد أخذ الدهر من عقله كما أخذت السن من جسمه

(بسط المعدلة ورد المظالم) الشيباني قال حدثنا محمد بن زكريا عن عباس المفضل الهاشمي في خطبة ابن حميد قال اني لواقف على رأس المأمون يوما وقد جلس للمظالم فكان آخر من تقدم اليه وقد هم بالقيام امرأة عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثة فوقفت بين يديه فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فنظر المأمون الى يحيى بن أكثم فقال لها يحيى وعليك السلام يا أمة الله تكلمي في حاجتك فقالت

يا خير منتصف يهدى له الرشد * ويا اماما به قد أشرق البلد

تشكو اليك عميد القوم أرملة * عدا عليها فلم يترك لها سبد

وابتز مني ضياعي بعد منعتها * ظلما وفرق مني الأهل والولد

فأطرق المأمون حينا ثم رفع رأسه اليها وهو يقول

في دون ما قلت زال الصبر والجلد * عني وأقرح مني القلب والكبد

هذا أذان صلاة العصر فانصرفي * وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد

والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا * ننصفك منه والا المجلس الأحد

قال فلما كان يوم الأحد جلس فكان أول من تقدم اليه تلك المرأة فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام أين الخصم فقالت الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين وأومأت

بنفسك فان قوما خدعهم الثناء وغرهم الشكر فزلت أقدامهم فهووا في النار أعاذك الله أن تكون منهم والحقك بسالف هذه الامة فبكى عمر حتى خيف عليه وقال اللهم لا تخلنا من واعظ (وقد روي) ان عمر قال للغلام عظني فقال هذا الكلام وفيه زيادة يسيرة ونقص وأخذ قول عمر هذا السحر الحلال أبو تمام فقال يعاتب أبا سعد محمد ابن يوسف الطائي

اذا ما الحاجة انبعثت يداها
جعلت المنع منك لها عقالا

فأين قصائد لي فيك تأبى
وتأنف أن أهان وأن أذالا

هي السحر الحلال لمجتليه
ولم أر قبلها سحرا حلالا

(وكتب) ابو الفضل بن العميد الى بعض اخوانه جوابا عن كتاب ورد اليه وصل ما وصلني به جعلني الله فداك من كتابك بل نعمتك التامة ومنتك العامة فقرت عيني بوروده وشفيت نفسي بوفوده ونشرته فحكى نسيم الرياض غب المطر وتنفس الانوار في السحر وتأملت مفتتحه وما اشتمل عليه من لطائف كلمك وبدائع حكمك فوجدته قد تحمل من فنون البر عنك وضروب الفضل منك جدا وهزلا ملأ عيني وغمر قلبي وغلب فكري وبهر رأيي فبقيت لا أدري أسموط در خصصتني بها أم عقود جوهر منحتنيها كما لا أدري أبكار زففتها اليه أم روضة جهزتها نحوه ولا أدري أخدودا ضرجت حياء ضمنته أم نجوما طلعت عشاء أودعته ولا أدري أجدك أبلغ وألطف أم هزلك

الى العباس ابنه فقال يا أحمد بن أبي خالد خذ بيده فاجلسه معها مجلس الخصوم فجعل كلامها يعلو كلام العباس فقال لها أحمد بن أبي خالد يا أمة الله انك بين يدي أمير المؤمنين وانك تكلمين الامير فاخفضي من صوتك فقال المأمون دعها يا أحمد فان الحق أنطقها وأخرسه ثم قضى لها برد ضيعتها اليها وظلم العباس بظلمه لها وأمر بالكتاب لها الى العامل ببلدها أن يوغر لها ضيعتها ويحسن معاونتها وأمر لها بنفقة (العتبي) قال اني لقاعد عند قاضي هشام بن عبد الملك اذ أقبل ابراهيم بن محمد بن طلحة وصاحب حرس هشام حتى قعدا بين يديه فقال ان أمير المؤمنين جرانى في خصومة بينه وبين ابراهيم فقال القاضي شاهديك على الجراءة قال أتراني قلت على أمير المؤمنين مالم يقل وليس بيني وبينه الا هذه السترة قال بلى ولكنه لا يثبت الحق لك ولا عليك الا ببينة قال فقام الحرسي فدخل الى هشام فأخبره فلم نلبث ان قعقعت الابواب وخرج الحرس فقالوا هذا أمير المؤمنين وخرج هشام فلما نظر اليه القاضي قام فأشار اليه وبسط له مصلى فقعد عليه وابراهيم بين يديه وكنا حيث نسمع بعض كلامهم ويخفى عنا بعضه قال فتكلما واحضرا البينة فقضى القاضي على هشام فتكلم ابراهيم بكلمة فيها بعض الخرق فقال الحمد لله الذي أبان للناس ظلمك فقال له هشام لقد هممت أن أضربك ضربة ينتثر منها لحمك عن عظمك قال اما والله لئن فعلت لتفعلنه بشيخ كبير السن قريب القرابة واجب الحق فقال هشام استرها على قال لا ستر الله اذاذنبي يوم القيامة ان سترتها فقال فاني معطيك عليها مائة ألف قال ابراهيم فسترتها عليه حياته ثمنا لما أخذت منه واذعتها بعد مماته تزيينا له (قال) وورد على الحجاج بن يوسف سليك بن سلكة فقال اصلح الله الامير ارعني سمعك واغضض عني بصرك واكفف عني غربك فان سمعت خطأ أو زللا فدونك والعقوبة قال قل فقال عصى عاص من عرض العشيرة فحلق على اسمي وهدم منزلي وحرمت عطائي قال هيهات أوما سمعت قول الشاعر

جانيك من يجني عليك وقد * تعدي الصحاح مبارك الجرب
ولرب مأخوذ بذنب عشيرة * ونجى المقارف صاحب الذنب

قال اصلح الله الامير اني سمعت الله عز وجل قال غير هذا قال وماذاك قال قال الله يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فقال الحجاج علي بيزيد بن مسلم فمثل بين يديه فقال افكك لهذا عن اسمه واصكك له بعطائه وابن له منزله ومر مناديا ينادي صدق الله وكذب الشاعر (وقال معاوية) اني لاستحي ان أظلم من لا يجد على ناصرا الا الله (وكتب) الى عمر بن عبد العزيز بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينته فكتب اليه حصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم (وقال) المهدي للربيع بن أبي الجهم وهو والي أرض فارس يا ربيع آثر الحق والزم القصد وابسط العدل وارفق بالرعية واعلم ان أعدل الناس من انصف من نفسه واجورهم من ظلم الناس لغيره (وقال) ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال استعمل ابن عامر عمرو بن أصيبغ على الاهواز فلما عزله قال له ما جئت به قال له ما معي الا مائة درهم وأثواب قال كيف ذلك قال أرسلتني الى بلد أهله رجلان رجل مسلم له مالي وعليه ما علي ورجل له ذمة الله ورسوله قال فوالله ما دريت أين أضع يدي قال فأعطاه عشرين ألفا (وقال) جعفر بن يحيى الخراج عمود الملك وما استغزر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الظلم (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة

(صلاح الرعية بصلاح الامام) قال الحكماء الناس تبع لامامهم في الخير والشر (وقال) أبو حازم الاعرج الامام سوق فما نفق عنده جلب اليه (ولما) أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتاج كسرى وسواريه قال ان الذي أدى هذا الامين قال له رجل يا أمير المؤمنين أنت أمين الله يؤدون اليك ما أديت الى الله تعالى فان رتعت رتعوا (ومن أمثالهم) في هذا قولهم اذا صلحت العين صلحت

ارفع واظرف وانا اوكل بتتبع ما انطوى عليه نفسا الا ترى الحظ الا ما اقتنته منه ولا تعد الفضل الا فيما اخذته عنه وامتع بتأمله عينا لا تقر الا بمثله مما يصدر عن يدك ويرد من عندك واعطيه نظر الاجله وطرفا لا يطرف دونه واجعله مثالا ارتسمه واحتذيه وامتع خاطري برونقه واغذى نفسي ببهجته وامزج قريحتي برقته واشرح صدري بقراءته ولئن كنت عن تحصيل ما قلته عاجزا وفي تعديد ماذكرته متخلفا لقد عرفت انه ما سمعت به من السحر الحلال (وقال بعض المحدثين يمدح كاتبا)

واذا جرى قلم له في مهرق
جولان في رفلاته ووجيفه
نظمت مراشفه قلائد نظمت
بنفيس جوهر لفظه وشريفه
بدعا من السحر الحلال تولدت
عن ذهن مصقول الذكاء مشوفه
مثلا لضاربه وزاد مسافر
جعلت وتحفة قادم لأليفه

(وعلى ذكر قوله وتحفة قادم قال اسحق بن ابراهيم الموصلي) وصف رجل رجلا فقال كان والله سمحا سهلا كأنما بينه وبين القلوب نسب أو بينه وبين الحياة سبب انما هو عيادة مريض وتحفة قادم وواسطة عقد (وأخذ بعض بني العباس) رجلا طالبيا فهم بعقوبته فقال الطالبي والله لولا أن افسد بني بفساد دنياك لملكت من لساني أكثر مما ملكت من سوطك والله ان كلامي لفوق الشعر ودون السحر وان أيسره ليثقب الخردل ويحط الجندل (وقال علي بن العباس) يصف حديث امرأة

سواقيها (الاصمعي) قال يقال صنفان اذا صلحا صلح الناس الامراء والفقهاء (اطلع) مروان بن الحكم على ضيعة له بالغوطة فأنكر منها شيأ فقال لوكيله ويحك انى لاظنك تخونني قال أتظن ذلك ولا تستيقنه قال وتفعل قال نعم والله انى لاخونك وانك لتخون امير المؤمنين وان امير المؤمنين ليخون الله فلعن الله شر الثلاثة

(قولهم في الملك وجلسائه ووزرائه) قالت الحكماء لا ينفع الملك الا بوزرائه واعوانه ولا ينفع الوزراء والاعوان الا بالمودة والنصيحة ولا تنفع المودة والنصيحة الا مع الرأى والعفاف ثم على الملوك بعد أن لا يتركوا محسنا ولا مسيأ ما دون جزاء فانهم اذا تركوا ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء وفسد الامر وبطل العمل (وقال) الاحنف بن قيس من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء فلا مساغ له ومن خانه ثقاته فقد أتى من مأمنه (وقال العباس بن الاحنف)

قلبي الى ما ضرني داعي * يكثر احزاني وأوجاعي
كيف احترامي من عدولي * اذا عدوي بين أضلاعي

(وقال آخر) كنت من كربتي أفر اليهم * فهم كربتي فاين الفرار

(وأول) من سبق الى هذا المعنى عدى بن زيد في قوله للنعمان بن المنذر

لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصاري

(وقال آخر) الى الماء يسعى من يغص بريقه * فقل أين يسعى من يغص بماء

(وقال) عمرو بن العاص لا سلطان الا بالرجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل (وقالوا) انما السلطان بأصحابه كالبحر بأمواجه (قالوا) ليس شيء أضر بالسلطان من كل صاحب يحسن القول ولا يحسن الفعل لا خير في القول الا مع الفعل ولا في المال الا مع الجود ولا في الصدق الا مع الوفاء ولا في الفقه الا مع الورع ولا في الصدقة الا مع حسن النية ولا في الحياة الا مع الصحة (قالوا) ان السلطان اذا كان صالحا ووزراؤه وزراء سوء امتنع خيره من الناس ولم يستطع أحد ينتفع منه بمنفعة وشبهوا ذلك بالماء الصافي يكون فيه التمساح فلا يستطيع أحد ان يدخله وان كان محتاجا اليه

(صفة الامام العادل) كتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما ولى الخلافة الى الحسن بن أبي الحسن البصري ان يكتب اليه بصفة الامام العادل فكتب اليه الحسن رحمه الله اعلم يا امير المؤمنين ان الله جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف والامام العدل يا امير المؤمنين كالراعي الشفيق على ابله الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المرعى ويذودها عن مراتع المهلكة ويحميها من السباع ويكنفها من أذى الحر والقر والامام العدل يا امير المؤمنين كالاب الحاني على ولده يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا يكتسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته والامام العدل يا امير المؤمنين كالام الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلا تسهر بسهره وتسكن بسكونه ترضعه تارة وتفطمه أخرى وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته والامام العدل يا امير المؤمنين وصي اليتامى وخازن المساكين يربي صغيرهم ويمون كبيرهم والامام العدل يا امير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده والامام العدل يا امير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر الى الله ويريهم وينقاد الى الله ويقودهم فلا تكن يا امير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال فافقر اهله وفرق ماله واعلم يا امير المؤمنين ان الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها من يليها وان الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم واذكر يا امير المؤمنين الموت وما بعده وقلة اشياعك عنده وأنصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفزع الاكبر واعلم يا امير المؤمنين ان لك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه يطول فيه ثواؤك

وحديثها السحر الحلال لو انه
لم يجن قتل المسلم المتحرز
ان طال لم يملل وان هي أوجزت
ود المحدث انها لم توجز
شرك العقول ونزهة ما مثلها
للطمئن وعقلة المستوفز
(الم في بيته الآخر بقول الطائي)
كواعب أتراب لغيداء اصبحت
وليس لها في الحسن شكل ولا ترب
لها منظر قيد النواظر لم يزل
يروح ويغدو في خفارته الحب
(وأول) من استنار هذا المعنى امرؤ القيس بن حجر الكندي في قوله
وقد اغتدى والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الاوابد هيكل
(وقالت علية بنت المهدي)
اشرب على ذكر الغزال
الاغيد الحلو الدلال
اشرب عليه وقل له
يا غل ألباب الرجال
وكانت علية لطيفة المعنى رقيقة الشعر حسنة مجاري الكلام ولها ألحان حسان وعلقت بغلام اسمه رشا وفيه تقول
أضحى الفؤاد بزينبا
صبا كئيبا متعبا
فجعلت زينب سترة
وكتمت أمرا معجبا
فنمى الامر الى اخيها الرشيد فأبعده وقيل قتله وعلقت بعده بغلام اسمه طل فقال لها الرشيد والله لئن ذكرته لاقتلنك فدخل عليها يوما على حين غفلة وهي تقرأ فلما لم يصبها اوابل فما نهى عنه امير المؤمنين فضحك وقال ولا كل هذا (وهي القائلة)
يا عاذلي قد كنت قبلك عاذلا
حتى ابتليت فصرت صبا ذاهلا

ويفارقك أحباؤك يسلمونك في قعره فريدا وحيدا فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه واذكر يا أمير المؤمنين اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور فالاسرار ظاهرة والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل قبل حلول الاجل وانقطاع الامل لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين فانهم لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ويأكلون الطيبات في دنياهم باذهاب طيباتك في آخرتك لا تنظر الى قدرتك اليوم ولكن انظر الى قدرتك غدا وأنت مأسور في حبائل الموت وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عنت الوجوه للحي القيوم اني يا أمير المؤمنين وان لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهى من قبلي فلم آلك شفقة ونصحا فأنزل كتابي اليك كمداوي حبيبه يسقيه الادوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته

(هيبة الامام وتواضعه) قال ابن السماك لعيسى بن موسى تواضعك في شرفك أكثر من شرفك (وقال) عبد الملك بن مروان أفضل الرجال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وأنصف عن قوة (ذكر) عن النجاشي أمير الحبشة انه أصبح يوما جالسا على الارض والتاج على رأسه فأعظم ذلك أساقفته فقال لهم اني وجدت فيما أنزل الله تعالى على المسيح عليه السلام يقول له اذا أنعمت على عبدي نعمة فتواضع لي أتممتها عليه واني ولد لي الليلة غلام فتواضعت لذلك شكرا لله تعالى (وقال) ابن قتيبة لم يقل في التواضع بيت أبدع من قول الشاعر في بعض خلفاء بني أمية ٢

يغضي حياء ويغضى من مهابته * فلا يكلم الا حين يبتسم

(وأحسن منه عندي قولي) فتى زاده عز المهابة ذلة * فكل عزيز عنده متواضع

(وقال أبو العتاهية) يا من تشرف بالدنيا وبالدين * ليس التشرف رفع الطين بالطين

اذا أردت شريف الناس كلهم * فانظر الى ملك في زي مسكين

ذاك الذي عظمت والله نعمته * وذاك يصلح للدنيا وللدين

(وقال الحسن بن هانئ في هيبة السلطان مع محبة الرعية)

امام عليه هيبة ومحبة * ألا بأبي ذاك الحبيب المحبب

(وقال آخر) في الهيبة وان لم تكن في طريق السلطان

نفسي من لو مر برد بنانه * على كبدي كانت شفاء أنامله

ومن هابني في كل شيء وهبته * فلا هو يعطيني ولا أنا سائله

(وقال آخر في الهيبة) أهابك يا فتى دين ودنيا * ومن هو في اللباب من اللباب

أهابك أن أبوح بذات نفسي * وتركي للعتاب من العتاب

(وقال أشجع بن عمرو في هيبة السلطان)

منعت مهابتك النفوس حديثها * بالشيء تكرهه وان لم تعلم

ومن الولاة مفخم لا يتقى * والسيف تقطر شفرتاه من الدم

(وقال أيضا لهرون الرشيد) وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام

فاذا تنبه رعته واذا هدى * سلت عليه سيوفك الاحلام

(وقال الحسن بن هانئ فأفرط) ملك تصور في القلوب مثاله * فكأنه لم يخل منه مكان

ما تنطوي عنه القلوب بفجرة * الا يكلمه بها اللحظان

حتى الذي في الرحم لم يك صورة * لفؤاده من جوفه خفقان

الحب أول ما يكون مجانة
فاذا تحكم صار شغلا شاغلا
أرضى فيغضب قاتلي فتعجبوا
يرضى القتيل وليس يرضى القاتلا
(والقائلة)
وضع الحب على الجور فلو
انصف المعشوق فيه لسمج
ليس يستحسن في نعت الهوى
عاشق يحسن تأليف الحجج
وكأنها ذهبت في الاول الى قول
العباس بن الاحنف
وأحسن أيام الهوى يومك الذي
تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا
فأين حلاوات الرسائل والكتب
(وقد زاد النميري في هذا فقال)
راحتي في مقالة العذال
وشفائي في قيلهم بعد قال
لا يطيب الهوى ولا يحسن الحب
ب لصب الا بخمس خصال
بسماع الاذى وعذل نصيح
وعتاب وهجرة وتقال
(وقال بعض المحدثين)
لولا اطراد الصيد لم تك لذة
فتطاردي لي في الوصال قليلا
هذا الشراب أخو الحياة وماله
من لذة حتى يصيب غليلا
(وقال آخر)
دع الصب يصلى بالاذى من حبيبه
فان الاذى ممن تحب سرور
غبار قطيع الشاء في عين ذئبها
اذا ما تلا آثارهن ذرور
(وأنشد الاصمعي)
لا خير في الحب وقفا لا تحركه
عوارض اليأس أو يرتاحه الطمع
لو كان لي صبرها أو عندها جزعي
لكنت أملك ما آتي وما أدع
اذا دعا باسمها داع ليحزنني
كادت له شعبة من مهجتي تقع

فجاوز هذا البيت في افراطه ان الرجل اذا خاف شيئا أو احبه احبه بعينه و بصره وشعره و بشره ولحمه ودمه وجميع أعضائه فالنطف التي في الاصلاب داخلة في هذه الجملة (قال الشاعر)

الا ترى المكتئب * يحبك لحمه ودمه

(وقال المكفوف في آل محمد) أحبكم حبا على الله أجره * تضمنه الاحشاء واللحم والدم

(ومثل هذا قول الحسن بن هانئ) وأخفت أهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التي لم تخلق

فاذا خافته أهل الشرك خافته النطف التي في أصلابهم على المجاز الذي ذكرنا ومجاز آخر ان النطف التي اخذ الله ميثاقها فيجوز أن يصاف اليها ما هي لابد فاعلة من قبل أن تفعله كما جاء في الاثر ان الله عز وجل عرض على آدم ذريته فقال هؤلاء أهل الجنة وبعمل أهل الجنة يعملون وهؤلاء أهل النار وبعمل أهل النار يعملون (وها انا أقول في الهيبة) يا من يجرد من بصيرته * تحت الحوادث صارم العزم

رعت العدو فما مثلت له * الا تفزع منك في الحلم

أضحى لك التدبير مطردا * مثل اطراد الفعل للاسم

رفع المحسود اليك ناظره * فرآك مطلعا مع النجم

(أبو حاتم سهل بن محمد) قال أنشدني العتبي للاخطل في معاوية

تسمو العيون الى امام عادل * معطى المهابة نافع ضرار

وترى عليه العين اذ لمحته * سيم الحليم وهيبة الجبار

(حسن السيرة والرفق بالرعية) قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما أوصاه به من الرفق بالرعية ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير كله ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير كله (ولما) استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل الى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب فقال لهما أشيرا على فقال له سالم اجعل الناس أبا وأخا وابنا فبر أباك واحفظ أخاك وارحم ابنك (وقال) محمد بن كعب احب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك واعلم انك أول خليفة تموت (وقال) عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لابيه عمر يا أبت مالك لا تنفذ الامور فوالله لا أبالي في الحق لو غلت بي وبك القدور وقال له عمر لا تعجل يا بني فان الله تعالى ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة وأنا أخاف ان احمل الحق على الناس جملة فيدفعوه وتكون فتنة (وكتب عمر بن عبد العزيز) الى عدي بن ارطاة أما بعد فقد امكنتك القدرة على المخلوق فاذكر قدرة الخالق عليك واعلم ان مالك عند الله مثل ما للرعية عندك (وقال) المنصور لولده المهدي لا تبرم امرا حتى تفكر فيه فان فكرة العاقل مرآته تريه حسناته وسيآته (واعلم) ان الخليفة لا يصلحه الا التقوى والسلطان لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه (وقال) خالد بن عبد الله القسري لبلال بن أبي بردة لا يحملك فضل المقدرة على شدة السطوة ولا تطلب من رعيتك الا ما تبذله لها فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (وقال أبو عبد الله كاتب المهدي) ما أحوج ذا القدرة والسلطان الى قرين يحجزه وجليس يكفه وعقل يعدله تجربة طويلة وعين حفيظة وأعراق تسري اليه وأخلاق تذلل الامور عليه والى جليس شفيق والى عين تبصر العواقب وقلب يخاف الغير ومن لم يعرف ذم الكبر لم يسلم من فلتات اللسان ولم يتعاظمه ذنب وان عظم لا تماء ان مع (وكتب اردشير الى رعيته) من أردشير المؤيد ملك الملوك ووارث العظماء الى الفقهاء الذين هم حملة الدين والاساورة الذين هم حفظة البيضة والكتاب الذين هم زين المملكة وذوي الحروث الذين هم عماد البلاد السلام عليكم فانا بحمد الله اليكم سالمون فقد وضعنا عن رعيتنا بفضل رأفتنا بها اتاوتها الموضوعة عليها ونحن مع ذلك كاتبون بوصية لا تستشعروا الحقد فيدهمكم ولا تحتكروا فيشملكم القحط وتزوجوا

لا احل اللوم فيها او الغرام بها
لا حمل الله نفسا فوق ما تسع
وهذا البيت كقول علي بن العباس الرومي
لا تكثرن ملامة العشاق
فكفاهم بالوجد والاشواق
ان البلاء يطاق غير مضاعف
فاذا تضاعف كان غير مطاق
لا تطفئن جوى بلوم انه
كالريح تغري النار بالاحراق
(ويشبه) بيت علية الآخر بيت انشد في هذا الشعر روى لابي نواس ورواه قوم لعنان جارية الناطفي وهو
حلو العتاب بهيجه الادلال
لم يحل الا بالعتاب وصال
لم يهو قط ولم يسم بعاشق
من كان يصرف وجهه التعذال
وجميع أسباب الغرام يسيرة
ما لم يكن غدر ولا استبدال
تصف القضيب على الكثيب قناتها
ولها من البدر المنير مثال
ولرب لابسة قناع ملاحة
حسناء سار بحسنها الامثال
كست الحداثة ظرفها وجمالها
نورا فما شبابها يختال
وكأنها والكأس فوق بنانها
شمس يديها اليك هلال
حتى اذا ما استأنست بحديثها
وتكلمت بلسانها الجريال
قلنا لها ان صدقت أقوالها
أفعالها وجرى بهن الفال
قولي فليس تراك عين نميمة
حضر النصيح وغابت العذال
وضميره اشتملت عليه ضلوعنا
سر لدى ابوابه اقفال
(وقد اخذ) ابو الطيب المتنبي معنى قيد الاوابد فقال يصف كلبا
نيل المنى وحكم نفس المرسل
وعقلة الظبي وحتف المتفل

في الاقارب فانه أمس للرحم ولا تمد واعده الدنيا شيأ فانها لا تبقى على أحد ولا ترفضوها فان الآخرة لا تدرك الا بها (ولما) انصرف مروان بن الحكم من مصر الى الشام استعمل عبد العزيز ابنه على مصر وقال له حين ودعه أرسل حكيما ولا توصه انظر أي بني الى عمالك فان كان لهم عندك حق غدوة فلا تؤخرهم الى عشية وان كان لهم عشية فلا تؤخرهم الى غدوة وأعطهم حقوقهم عند محلها تستوجب بذلك الطاعة منهم واياك ان يظهر لرعيتك منك كذب لم يصدقوك في الحق واستشر جلساءك وأهل العلم فان لم يستبن لك فاكتب الي يأتك رأيي فيه ان شاء الله تعالى وان كان بك غضب على أحد من رعيتك فلا تؤاخذه به عند سورة الغضب واحبس عنه عقوبتك حتى يسكن غضبك ثم يكون منك ما يكون وأنت ساكن الغضب مطفأ الجمرة فان أول من جعل السجن كان حليما ذا أناة ثم انظر الى ذي الحسب والدين والمروأة فليكونوا أصحابك وجلساءك ثم اعرف منازلهم منك على غيرهم على غير استرسال ولا انقباض أقول هذا واستخلف الله عليك (أبو بكر بن أبي شيبة) عن عبد الله بن مجالد عن الشعبي قال قال زياد ما غلبني أمير المؤمنين معاوية في شئ من السياسة الا مرة واحدة استعملت رجلا فكسر خراجه فخشي أن أعاقبه ففر اليه واستجار به فأمنه فكتبت اليه ان هذا أدب سوء من قبلي فكتب الي انه لا ينبغي ان تسوس الناس سياسة لا تلين جميعا فتمرح الناس في المعصية ولا تشتد جميعا فتحمل الناس على المهالك ولكن تكون أنت للشدة والغلظة وأكون أنا للرأفة والرحمة (ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم) قالت الحكماء أحزم الملوك من قهر جده هزله وغلب رأيه هواه وأعرب عن ضميره فعله ولم يخدعه رضاه عن سخطه ولا غضبه عن كيده (وقال عبد الملك بن مروان) لابنه الوليد وكان ولي عهده يا بني اعلم أنه ليس بين السلطان وبين ان يملك الرعية أو تملكه الا حزم وتوان (وقالوا) لا ينبغي للعاقل ان يستصغر شيأ من الخطا والزلل فانه متى ما استصغر الصغير يوشك ان يقع في الكبير فقد رأينا الملك يؤتى من العدو المحتقر ورأينا الصحة تؤتى من الداء اليسير ورأينا الانهار تتفتق من الجداول الصغار (وقالوا) لا يكون الذم من الرعية لراعيها الا لاحدى ثلاث كريم قصر به عن قدره فاحتمل لذلك ضغنا ولئيم بلغ به ما يستحق فأورثه ذلك بطرا ورجل منع حظه من الانصاف فشكا تفريطا (وفي كتاب الهند) خير الملوك من أشبه النسر حوله الجيف لا من أشبه الجيف حولها النسور (وقيل لرجل سلب ملكه) ما الذي سلبك ملكك قال دفع شغل اليوم الى غد والتماس عدة بتضييع عدد واستكفاء كل مخدوع عن عقله والمخدوع عن عقله من بلغ قدرا لا يستحقه وأثيب ثوابا لا يستوجبه (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه) انتهزوا هذه الفرص فانها تمر مر السحاب ولا تطلبوا أثرا بعد عين (وكان) عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحزم الخلفاء وكانت عائشة رضي الله عنها اذا ذكرت عمر تقول كان والله أحوذيا نسيج وحده قد أعد للامور أقرانها وقال المغيرة بن شعبة ما رأيت أحدا هو أحزم من عمر كان والله له فضل يمنعه ان يخدع وقال عمر لست بخب والخب لا يخدعني (ومر) عمر على بنيان يبنى بآجر وجص فقال لمن هذا قيل لعاملك على البحرين فقال أبت الدراهم الا ان تخرج أعناقها فأرسل اليه فشاطره ماله (وكان) سعد بن أبي وقاص يقال له المستجاب لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا دعوة سعد فلما شاطره عمر ماله قال له سعد لقد هممت قال له عمر بأن تدعو علي قال نعم قال اذا لا تجدني بدعاء ربي شقيا (وهجا) رجل من الشعراء سعد بن أبي وقاص يوم القادسية فقال

ألم تر أن الله أظهر دينه * وسعد بباب القادسية معصم
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة * ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فقال سعد اللهم اكفني يده ولسانه فقطعت يده وبكم لسانه (ولما) عزل عمر أبا موسى الاشعري عن البصرة وشاطره ماله دعا أبا موسى فقال له ما جاريتان بلغني انهما عندك احداهما تدعى عقيلة والأخرى من بنات الملوك قال أما عقيلة فجارية بيني وبين الناس وأما التي هي من بنات الملوك فاني

كأنه من علمه بالمقتل
علم بقراط فصاد الاكحل

(وقال في بني حمدان)

متصعلكين على كثافة ملكهم
متواضعين على عظيم الشان
يتقيلون ظلال كل مطهم
أجل الظليم وربقة السرحان

(وقال اعرابي) يصف فرسا انه لدرك الطالب ومنجى الهارب قيد الرهان زين الفناء (وقال) بعض أهل العصر في وصف غلام وجهه قيد الابصار وأمد الافكار ونهاية الاعتبار وقال أبو القاسم اسمعيل بن عباد

وقد اغتدى للصيد غدوة أصيد
أعاجل فيها الوحش والوحش هجد
فمنت ظباء خفن حتى مطاق الـ
ـمدين به أيدي الوحوش تقيد
فادركتها والسيف لمعة بارق
ولم يغنها احضارها حين تجهد
وقد زعموا ان كان شعري رائعا
وطرف مشيي عن عذاري ارمد
وما بلغت حد الثلاثين مدتي
وهذا طراز الشيب فيه مجدد

وأبيات ابن الرومي من أجود ما قيل في حسن الحديث وقد توسع الشعراء في هذا الباب وكثر احسانهم كما كثر افتنانهم وسأجري شأوا في مختار ما قيل في ذلك وأعود الى ما بدأت به (قال القطامي) واسمه عمير بن شييم التغلبي وسمي القطامي بقوله

يحطهن جانبا فجانبا
حط القطامي القطا القواربا

(وقال) أبو عبيدة ويقال للصقر قطامي وقطامي

وفي الحدود غمامات برقن لنا

أردت بها غلاء الفداء قال فما حقتان تعملان عندك قال رزقتني شاة في كل يوم فيها مل نصفها غدوة ونصفها عشية قال فما مكيالان بلغني انهما عندك قال أما احدهما فاوفي به أهلي واما الآخر فيتعامل الناس به قال ادفع لماعة له والله انك لمؤمن لا تغل أوفاجر بل ارجع الى عملك عاقصا بقرنك مكتسعا بذنبك والله انه ان بلغني عنك أمر لم أجدك (ثم دعا) أبا هريرة فقال له علمت اني استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين ثم بلغني انك ابتعت أفراسا بألف دينار وستمائة دينار قال كانت لنا أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت قال قد حسبت لك رزقك ومؤنتك وهذا فضل فأده قال ليس لك ذلك قال بلى والله أوجع ظهرك ثم قام اليه بالدرة فضربه حتى أدماه ثم قال ائت بها قال احتسبتها عند الله قال ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعا أجئت من اقصى حجر البحرين يجبي الناس لك لا لله ولا للمسلمين ما رجعت بك أميمة الا لرعية الحمر واميمة ام ابي هريرة (وفي حديث) أبي هريرة قال لما عزلني عمر عن البحرين قال لي يا عدو الله وعدو كتابه سرقت مال الله قال فقلت ما أنا عدو الله ولا عدو كتابه ولكني عدو من عاداك ما سرقت مال الله قال فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف قلت خيل تناتجت وعطايا تلاحقت وسهام تتابعت قال فقبضها مني فلما صليت الصبح استغفرت لأمير المؤمنين فقال لي بعد ذلك ألا تعمل قلت لا قال قد عمل من هو خير منك يوسف صلوات الله عليه قلت يوسف نبي وأنا ابن اميمة أخشى أن يشتم عرضي ويضرب ظهري وينزع مالي (قال) ثم دعا الحرث بن وهب فقال ما قلاص وأعبد بعتها بمائتي دينار قال خرجت بنفقة معي فتجرت فيها فقال أما والله ما بعثناكم لتتجروا في أموال المسلمين أدها فقال أما والله لا عملت عملا بعدها قال انتظر حتى أستعملك (وكتب) عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص وكان عامله على مصر من عبد الله عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام عليك فانه بلغني انه فشت لك فاشية من خيل وابل وغنم وبقر وعبيد وعهدي بك قبل ذلك ان لا مال لك فاكتب الي من أين أصل هذا المال ولا تكتمه فكتب اليه عمرو بن العاص الى عبد الله أمير المؤمنين سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأما بعد فانه أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه ما فشا لي وانه يعرفني قبل ذلك لا مال لي واني أعلم أمير المؤمنين اني بأرض السعر فيه رخيص واني أعالج من الحرفة والزراعة ما يعالج اهله وفي رزق أمير المؤمنين سعة والله لو رأيت خيانتك حلالا ما خنتك فاقصر أيها الرجل فان لنا أحسابا هي خير من العمل لك ان رجعنا اليها عشنا بها ولعمري ان عندك من تذم معيشته ولا تذم له فأنى كان ذلك ولم يفتح قفلك ولم نشركك في عملك فكتب اليه عمر أما بعد فاني والله ما أنا من أساطيرك التي تسطر ونسقك الكلام في غير مرجع لا يغني عنك أن تزكي نفسك وقد بعثت اليك محمد بن سلمة فشاطره مالك فانكم أيها الرهط الامراء جلستم على عيون المال لم يزعكم عذر تجمعون لأبنائكم وتمهدون لأنفسكم أما انكم تجمعون العار وتورثون النار والسلام فلما قدم عليه محمد بن سلمة صنع له عمرو طعاما كثيرا فأبى محمد بن سلمة أن يأكل منه شيأ فقال له عمرو أتحرمون طعامنا فقال لو قدمت الي طعام الضيف أكلته ولكنك قدمت الي طعاما هو تقدمة شر والله لا أشرب عندك ماء فاكتب لي كل شيء هو لك ولا تكتمه فشاطره ماله بأجمعه حتى بقيت نعلاه فأخذ احداهما وترك الاخرى فغضب عمرو بن العاص فقال يا محمد بن سلمة قبح الله زمانا عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل والله اني لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب وعلى ابنه مثلها وما منهما الا في نمرة لا تبلغ رسغيه والله ما كان العاص بن وائل يرضى ان يلبس الديباج مزررا بالذهب قال له محمد اسكت والله عمر خير منك وأما أبوك وأبوه ففي النار والله لولا الزمان الذي سبقته فيه لألفيت معتقل شاة يسرك غزرها ويسوءك بكرها فقال عمرو هي عندك بأمانة الله فلم يخبر بها عمر (ومن حديث) زيد بن أسلم عن أبيه قال بعث معاوية الى عمر بن الخطاب وهو على الشام بمال وأدهم وكتب الى أبيه أبي سفيان أن يدفع ذلك الى عمر فخرج الرسول حتى قدم على أبي سفيان بالمال والادهم قال

حتى تصيدننا من كل مصطاد
يقتلننا بحديث ليس يعلمه
من يتقين ولا مكنونه باد
فهن ينبذن من قول يصبن به
مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

(وقال أبو حية النميري)
واسمه الهيثم بن الربيع

وخبرك الواشون أن لن أحبكم
بلى وستور الله ذات المحارم
وان دما لو تعلمين جنيته
على الحي جاني مثله غير سالم
أصد وما الصد الذي تعلمينه
عزاء بنا الا ابتلاع العلاقم
حياء وبقيا أن تشيع نميمة
بنا وبكم أف لأهل النمائم
أما انه لو كان غيرك أرقلت
اليه القنا بالراعفات اللهازم
ولكنه والله ما طل مسلما
كغر الثنايا واضحات الملاغم
اذا هن ساقطن الاحاديث للفتى
سقوط حصى المرجان من كف ناظم
رمين فأنفذن القلوب ولا ترى
دما مائرا الا جرى في الحيازم

(وقال أيضا)

حديث اذا لم تخش عينا كأنه
اذا ساقطته الشهد أو هو أطيب
لو انك تستشفي به بعد سكرة
من الموت كادت سكرة الموت تذهب

(هذا بيت طرق قول الآخر وان لم يكن منه)

أقول لأصحابي وهم يعذلونني
ودمع جفوني دائم العبرات
يذكرني نفسي فلولا اذا دنا
خروجي من الدنيا جفوف لهاتي

(وقال سديف مولى بني هاشم يصف النساء)

واذا نطقن تخالهن نواظما
درا يفصل لؤلؤا مكنونا

فذهب أبو سفيان بالادهم والكتاب الى عمر واحتبس المال لنفسه فلما قرأ عمر الكتاب قال فأين المال أبا سفيان قال كان علينا دين ومعونة ولنا في بيت المال حق فاذا اخرجت لنا شيأ قاصيتنا به فقال عمر اطرحوه في الادهم حتى يأتي بالمال قال فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمال فأمر عمر باطلاقه من الادهم قال فلما قدم الرسول على معاوية قال رأيت أمير المؤمنين أعجب بالادهم قال نعم وطرح فيه أباك قال ولم قال جاءه بالادهم وحبس المال قال اي والله والخطاب لو كان لطرحه فيه (زار) أبو سفيان معاوية بالشام فلما رجع من عنده دخل على عمر فقال اجزنا أبا سفيان قال ما أصبنا شيأ فنجيزك به فأخذ عمر خاتمه فبعث به الى هند وقال للرسول قل لها يقول لك أبو سفيان انظري الخرجين اللذين جئت بهما فاحضريهما فما لبث عمر أن أتي بخرجين فيهما عشرة آلاف درهم فطرحهما عمر في بيت المال فلما ولي عثمان ردهما عليه فقال أبو سفيان ما كنت لآخذ مالا عابه علي عمر ولما ولي عمر بن الخطاب عتبة بن أبي سفيان الطائف وصدقاتها ثم عزله تلقاه في بعض الطريق فوجد معه ثلاثين ألفا فقال أنى لك هذا قال والله ما هو لك ولا للمسلمين ولكنه مال خرجت به لضيعة اشتريها فقال عمر عاملنا وجدنا معه مالا ما سبيله الا بيت المال ورفعه فلما ولي عثمان قال لابي سفيان هل لك في هذا المال فاني لم أر لاخذ ابن الخطاب فيه وجها قال والله ان بنا اليه لحاجة ولكن لا ترد فعل من قبلك فيرد عليك من بعدك (القحذمي) قال ضرب عمر رجلا بالدرة فنادى يا آل قصي فقال أبو سفيان لو قبل اليوم تنادي قصيالاتتك منها الغطاريف فقال له عمر اسكت لا أبا لك قال أبو سفيان هاووضع سبابته على فيه (خليفة بن خياط) قال كتب يزيد بن الوليد المعروف بالناقص وانما قيل له الناقص لفرط كماله الى مروان بن محمد وبلغه عنه تلكؤ في بيعته أما بعد فاني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيتهما شئت والسلام فأتته بيعته * ولما ولي أهل مرو أبا غسان الماء وزجته الى الصحارى كتب اليهم أبو غسان الى بني الاستناءة من أهل مرو ليسرني الماء أو لتصبحنكم الخيل فما أمسى حتى أتاه الماء فقال الصدق ينبئ عنك لا الوعيد (وكتب) عبد الله بن طاهر الخراساني الى الحسن بن عمرو الثعلبي أما بعد فقد بلغني من قطع الفسقة الطريق ما بلغ فلا الطريق تحمى ولا اللصوص تكفى ولا الرعية ترضى وتطمع بعد هذا في الزيادة انك لمنفسح الامل وايم الله لتكفين من قبلك أو لاوجهن اليك رجالا لا تعرف مرة من جهم ولا عدي من رهم ولا حول ولا قوة الا بالله (وكتب) الحجاج ابن يوسف الى قتيبة بن مسلم واليه بخراسان أما بعد فان وكيع بن حسان كان بالبصرة ثم صار لصا بسجستان ثم صار الى خراسان فاذا أتاك كتابي هذا فاهدم بناءه واحلل لواءه وكان على شرطة قتيبة فعزله وولى الضبي عم مسعود بن الخطاب (وبلغ الحجاج) ان قوما من الاعراب يفسدون الطريق فكتب اليهم اما بعد فانكم قد استخفتكم الفتنة فلا عن حق تقاتلون ولا عن منكر تنهون واني اهم ان ترد عليكم مني خيل تنسف الطارف والتالد وتدع النساء ايامى والابناء يتامى فلما بلغهم كتابه كفوا عن الطريق ﴿التعرض للسلطان والرد عليه﴾ قالت الحكماء من تعرض للسلطان ارداه ومن تطامن له تخطاه وشبهوه في ذلك بالريح العاصفة التي لا تضر بما لان لها من الشجر ومال معها من الحشيش وما استهدف لها من الدوح العظام قصفته قال الشاعر

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان نبع ولا يعبأن بالرتم

(وقال حبيب) وهو أحسن ما قيل في السلطان

هو السيل ان واجهته انقدت طوعه * وتقتاده من جانبيه فيتبع

(وقال آخر) هو السيف ان لاينته لان متنه * وحداه ان خاشنته خشنان

(وقال معاوية) لابي الجهم العدوي أنا أكبر أم انت فقال لقد أكلت في عرس أمك يا أمير المؤمنين قال عند أي أزواجها قال عند حفص بن المغيرة قال يا أبا الجهم اياك والسلطان فانه يغضب غضب

واذا ابتسمن فانهن غمامة
أو اقحوان الرمل بات معينا
واذا طرفن طرفن عن حدق
المها
وفضلنهن محاجرا وعيونا
وكأن اجياد الظباء بحدها
وخصورهن لطافة ولدونا
واصح ما رأت العيون محاجرا
ولهن امرض ما رأيت عيونا
وكأنهن اذا نهضن لحاجة
ينهضن بالعقدات من يبرينا
(وقال الطائي)
تعطيك منطقها فتعلم أنه
لجنى عذوبته يمر بثغرها
وأظن حبل وصالها لمحبها
أوهى وأضعف قوة من خصرها
(أخذه أبو القاسم بن هانئ)
فقال يمدح جعفر بن علي الاانه
قلبه
قد طيب الافواه طيب ثنائه
من أجل ذا تجد الثغور عذابا
وكأنما ضرب السماء سرادقا
بالزاب او رفع النجوم قبابا
ارضا وطئت الدر رضراضها
والمسك تربا والرياض جنابا
(وقال الطائي)
بسطت اليك بنانة اسروعا
تصف الفراق ومقلة ينبوعا
كادت لعرفان النوى ألفاظها
من رقة الشكوى تكون دموعا
(ومن جيد هذا المعنى وقديمه
قول النابغة الذبياني)
لو انها عرضت لاشمط راهب
عبد الاله ضرورة يتعبد
لرنا لبهجتها وطيب حديثها
ولخاله رشدا وان لم يرشد
نظرت اليك بحاجة لم تقضها
نظر السقيم الى وجوه العود
(ومن مشهور الكلام قول
الآخر)

الصبي وبأخذ أخذ الأسد وأبو الجهم هو القائل في معاوية

نقلبه لنخبر حالتيه * فنخبر منهما كرما ولينا * تميل على جوانبه كأنا * تميل إذا تميل على أبينا

(وقدم) عقبة الأزدي على معاوية ودفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات

معاوي إننا بشر فأسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديد * أكلتم أرضنا فجردتموها *
فهل من قائم أو من حصيد * أتطمع بالخلود إذا هلكنا * وليس لنا ولا لك من خلود
فهبنا أمة هلكت ضياعا * يزيد أميرها وأبو يزيد

فدعا به فقال ما جرأك علي قال نصحتك إذ غشوك وصدقتك إذ كذبوك فقال ما أظنك إلا صادقا وقضى حوائجه (ومن حديث زياد) عن مالك بن أنس قال خطب أبو جعفر المنصور فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس اتقوا الله فقام إليه رجل من عرض الناس فقال أذكرك الله الذي ذكرتنا به يا أمير المؤمنين فأجابه أبو جعفر بلا فكرة ولا روية سمعا لمن ذكر بالله وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه فتأخذني العزة بالإثم لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين وأما أنت فوالله ما الله أردت بها ولكن ليقال قام فعوقب فصبر وأهون بها لو كانت وأنا أحذركم أيها الناس أختها فإن الموعظة علينا نزلت ومنا أخذت ثم رجع إلى موضعه من الخطبة (وقام) رجل إلى هرون الرشيد وهو يخطب بمكة فقال كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون فأمر به فضرب مائة سوط فكان يئن الليل كله ويقول الموت الموت فأخبر هرون أنه رجل صالح فأرسل إليه فاستحله فأحله (المدائني) قال جلس الوليد بن عبد الملك على المنبر يوم الجمعة حتى اصفرت الشمس فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين إن الوقت لا ينتظرك وإن الرب لا يعذرك قال صدقت ومن قال مثل مقالتك فلا ينبغي له أن يقوم مثل مقامك من ههنا من أقرب الحرس إليه يقوم فيضرب عنقه (الرياشي) عن الأصمعي قال خاطر رجل رجلا أن يقوم إلى معاوية إذا سجد فيضع يده على كفله ويقول سبحان الله يا أمير المؤمنين ما أشبه عجيزتك بعجيزة أمك هند ففعل ذلك فلما انفتل معاوية من صلاته قال يا ابن أخي إن أبا سفيان كان إلى ذلك منها فخذ ما جعلوا لك فأخذه ثم خاطر أيضا أن يقوم إلى زياد وهو في الخطبة فيقول له يا أمير المؤمنين من أبوك ففعل فقال له زياد هذا يخبرك وأشار إلى صاحب الشرطة فقدمه فضرب عنقه فلما بلغ ذلك معاوية قال ما قتله غيري ولو أدبته على الأولى ما عاد إلى الثانية (وخاطر) رجل أن يقوم إلى عمرو بن العاص وهو في الخطبة فيقول أيها الأمير من أمك ففعل فقال له النابغة بنت عبد الله أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها عبد الله بن جدعان للعاص بن وائل فولدت فأنجبت فإن كانوا جعلوا لك شيئا فخذه (دخل) خريم الناعم على معاوية بن أبي سفيان فنظر معاوية إلى ساقيه فقال أي ساقين لو أنهما على جارية فقال له خريم في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين قال واحدة بأخرى والبادي أظلم ❁ (تحلم السلطان على أهل الدين والفضل إذا اجترؤا عليه) ❁ زياد عن مالك بن أنس قال بعث أبو جعفر المنصور إلي وإلى ابن طاوس فأتيناه فدخلنا عليه فإذا هو جالس على فرش قد نضدت وبين يديه أنطاع قد بسطت وجلاوزة بأيديهم السيوف يضربون الأعناق فأومأ إلينا أن اجلسا فجلسنا فأطرق عنا قليلا ثم رفع رأسه والتفت إلى ابن طاوس فقال له حدثني عن أبيك قال نعم سمعت أبي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله فأمسك ساعة قال مالك فضممت ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأني من دمه ثم التفت إليه أبو جعفر فقال عظني يا ابن طاوس قال نعم يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد إلى قوله إن ربك لبالمرصاد قال مالك فضممت ثيابي من ثيابه مخافة أن يملأ ثيابي من دمه فأمسك ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة فأمسك عنه ثم قال ناولني هذه الدواة فأمسك عنه فقال ما يمنعك أن تناولنيها قال أخشى أن

وكنت إذا ما زرت سعدى بأرضها
أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها
إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها
تحال أحقادي إذا ما لقيتها
وترمى بلا جرم على حقودها

(وقال بشار)

وكأن أنفاظ حديثها
قطع الرياض كسين زهرا
حوراء إن نظرت إليـ
ـك سقتك بالعينين خمرا
تنسي الغوي معاده
وتكون للحكماء ذكرا
وكأنها برد الشرا
ب صفا ووافق فيه قطرا
وكأن تحت لسانها
هاروت ينفث فيه سحرا
وتخال ما جمعت عليـ
ـه ثيابها ذهبا وعطرا

وسمع بشار قول كثير بن عبد الرحمن

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة
إذا غمزوها بالأكف تلين

فقال قاتل الله أبا صخر يزعم أنها عصا ويعتذر أنها خيزرانة. ولو قال عصا مخ أو عصا زبد لكان قد هجن مع ذكر العصا هلا قال كما قلت

ودعجاء المحاجر من معد
كأن حديثها ثمر الجنان
إذا قامت لحاجتها تثنت
كأن عظامها من خيزران

وبعد قول كثير

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة

تمتع بها ما ساعفتك ولا يكن
عليك شجى في الصدر حين تبين
وإن هي أعطتك الليان فإنها
لآخر من خلانها ستلين
وإن حلفت لا ينقض النأي عهدها

تكتب بها معصية فاذكروا شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوما عني قال ابن طاوس ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم قال مالك فما زلت اعرف لابن طاوس فضله (ابو بكر بن ابي شيبة) قال قام ابو هريرة الى مروان بن الحكم وقد ابطأ بالجمعة فقال أتظل عند ابنة فلان تروحك بالمراوح وتسقيك الماء البارد وابناء المهاجرين والانصار يصهرون من الحر لقد هممت ان افعل وافعل ثم قال اسمعوا من أميركم (فرج بن سلام) عن أبي حاتم عن الاصمعي قال حدثني رجل من اهل المدينة كان ينزل بشق بني زريق قال سمعت محمد بن ابراهيم يحدث قال سمعت ابا جعفر بالمدينة وهو ينظر بين رجل من قريش وأهل بيت من المهاجرين ليسوا من قريش فقالوا لابي جعفر اجعل بيننا وبينه ابن أبي ذئب فقال أبو جعفر لابن أبي ذئب ما تقول في بني فلان قال اشرار من أهل بيت شرارة قالوا اسأله يا أمير المؤمنين عن الحسن بن زيد قال يأخذ بما لا يحققه ويقضي بالهوى فقال الحسن يا أمير المؤمنين والله لو سألته عن نفسك لرماك بداهية أو بكلمة شر قال ما تقول في قال اعفني قال لا بد أن تقول قال لا تعدل في الرعية ولا تقسم بالسوية قال فتغير وجه أبي جعفر فقال ابراهيم بن محمد بن علي بن يحيى ابن صاحب الموصل طهرنا بدمه يا أمير المؤمنين قال اقعد يا بني فليس في دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله طهر ثم تدارك ابن أبي ذئب الكلام فقال يا أمير المؤمنين دعنا مما نحن فيه بلغني ان لك ابنا صالحا بالعراق يعني المهدي قال أما انك دلت ذلك له الصوام القوام البعيد ما بين الطرفين قال ثم قام ابن أبي ذئب فخرج فقال أبو جعفر أما والله ما هو بمستوثق العقل ولقد قال بذات نفسه قال الاصمعي ابن أبي ذئب من بني عامر بن لؤي من أنفسهم * قال ودخل الحرث بن مسكين على المأمون فقال أقول فيها كما قال مالك بن أنس لابيك هرون الرشيد وذكر قوله فلم يعجب المأمون فقال لقد تيست فيها وتيس مالك قال الحرث بن مسكين فالسامع يا أمير المؤمنين من التيسين فتغير وجه المأمون وقام الحرث بن مسكين فخرج وتندم على ما كان من قوله فلم يستقر في منزله حتى أتاه رسول المأمون فأيقن بالشر ولبس ثياب أكفانه ثم أقبل حتى دخل عليه فقربه المأمون من نفسه ثم أقبل عليه بوجهه فقال له يا هذا ان الله قد امر من هو خير منك بالانة القول لمن هو شر مني فقال لنبيه موسى صلى الله عليه وسلم اذ أرسله الى فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قال يا أمير المؤمنين أبوء بالذنب وأستغفر الله تعالى قال عفا الله عنك انصرف اذا شئت (وأرسل) أبو جعفر الى سفيان الثوري فلما دخل عليه قال عظني أبا عبد الله قال وما عملت فيما علمت فأعظك فيما جهلت فما وجد له المنصور جوابا (ودخل) أبو النصر سالم مولى عمر بن عبيد الله على عامل للخليفة فقال له أبا النصر انا تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نجد بدا من انفاذها فما ترى قال له أبو النصر قد أتاك كتاب من الله تعالى قبل كتاب الخليفة فأيهما اتبعت كنت من أهله (ونظير هذا القول) ما رواه الاعمش عن الشعبي ان زيادا كتب الى الحكم بن عمرو الغفاري وكان على الطائف ان أمير المؤمنين كتب الى أن أصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة فكتب اليه اني وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين والله لو أن السموات والارض كانتا رتقا على عبد فاتقى الله لجعل له منها مخرجا ثم نادى في الناس فقسم لهم ما اجتمع من الفيء (ومثله قول) الحسن حين ارسل اليه ابن هبيرة والى الشعبي فقال له ما ترى ابا سعيد في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها فان أنفذتها وافقت سخط الله وان لم أنفذها خشيت على دمي فقال له الحسن هذا عندك الشعبي فقيه الحجاز فسأله فرفق له الشعبي وقال له قارب وسدد فانما أنت عبد مأمور ثم التفت ابن هبيرة الى الحسن وقال ما تقول يا أبا سعيد فقال الحسن يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله يا ابن هبيرة ان الله ما نعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من الله يا ابن هبيرة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فانظر ما كتب اليك فيه يزيد فاعرضه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله تعالى فانفذه وما خالف كتاب الله فلا تنفذه فان الله اولى بك من يزيد وكتاب الله أولى بك من

فليس لمخضوب البنان يمين

(وقال البحتري)

ولما التقينا والنوى موعد لنا
تعجب رائي الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجنيه عند ابتسامها
ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

(وقال المتنبي)

امنعمة بالعودة الظبية التي
بغير ولي كان نائلها الوسمي
ترشفت فاها سحرة فكأنني
ترشفت حر الوجد من بارد الظلم
فتاة تساوي عقدها وكلامها
ومبسمها الدري في النثر والنظم

(عاد الحديث الاول) قال أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي حدثنا يوسف بن يعقوب قال اخبرني جدي قراءة عليه عن ابي داود عن محمد بن عبيد الله عن ابي اسحق عن البراء يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر لحكما وان من البيان لسحرا قال ابو القاسم هكذا روينا الخبر وراجعت فيه الشيخ فقال نعم هو ان من الشعر لحكما بضم الحاء وتسكين الكاف قال ووجهه عندي اذا روي هكذا ان من الشعر ما يلزم المقول فيه كلزوم الحكم للمحكوم عليه اصابة للمعنى وقصدا للصواب وفي هذا يقول ابو تمام

ولولا سبيل سنها الشعر ما درى
بغاة الندى من اين تؤتى المكارم
يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة
ويرضى بما يقضى به وهو ظالم

اه كلام ابي قاسم * وقد وجدنا في الشعر ابياتا تجري على رسمها وتمضي على حكمها قد كان بنو أنف الناقة اذا ذكر احد عند احدهم أنف الناقة فضلا عن ان يسبهم اليه اشتد غضبهم عليه فما هو الآن قال الحطيئة

كتابه فضرب ابن هبيرة بيده على كتف الحسن وقال هذا الشيخ صدقني ورب الكعبة وأمر للحسن باربعة آلاف وللشعبي بألفين فقال الشعبي رفقنا فرفق لنا فاما الحسن فارسل الى المساكين فلما اجتمعوا فرقها وأما الشعبي فقبلها وشكر عليها (ونظير هذا) قول الاحنف بن قيس لمعاوية حين شاوره في استخلافه يزيد فسكت عنه فقال مالك لا تقول فقال ان صدقناك أسخطناك وان كذبناك أسخطنا الله فسخط أمير المؤمنين أهون علينا من سخط الله فقال له صدقت (وكتب) أبو الدرداء الى معاوية اما بعد فانه من يلتمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس (وكتبت) عائشة رضي الله عنها الى معاوية أما بعد فانه من يعمل بمساخط الله يصير حامده من الناس ذاما له والسلام (أبو الحسن) المدائني قال خرج الزهري يوما من عند هشام باربع قيل له ما هن قال دخل رجل على هشام فقال يا أمير المؤمنين احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاح ملكك واستقامة رعيتك فقال هاتهن فقال لا تعدن عدة لا تثق من نفسك بانجازها قال هذه واحدة فهات الثانية قال لا يغرنك المرتقى وان كان سهلا اذا كان المنحدر وعرا قال الثالثة قال واعلم ان للاعمال جزاء فاتق العواقب قال هات الرابعة قال واعلم ان الامور بغتات فكن على حذر (قعد) معاوية بالكوفة يبايع الناس على البراءة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له رجل يا أمير المؤمنين نطيع أحياءكم ولا نتبرأ من موتاكم فالتفت الى المغيرة فقال له هذا رجل فاستوص به خيرا (وقال) عبد الملك بن مروان للحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة ما كان يقول الكذاب في كذا وكذا يعني ابن الزبير فقال ما كان كذابا فقال له يحيى بن الحكم من أمك يا حار قال هي التي تعلم قال له عبد الملك اسكت فهي أنجب من أمك (دخل) الزهري على الوليد بن عبد الملك فقال له ما حديث يحدثنا به أهل الشام قال وما هو يا أمير المؤمنين قال يحدثوننا ان الله اذا استرعى عبدا رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيآت قال باطل يا أمير المؤمنين أنبي خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي قال بل خليفة نبي قال فان الله يقول لنبيه داود يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة فما ظنك بخليفة غير نبي قال ان الناس ليغروننا عن ديننا (الاصمعي) عن اسحق بن يحيى عن عطاء بن يسار قال قلت للوليد بن عبد الملك قال عمر بن الخطاب وددت اني خرجت من هذا الامر كفافا لا علي ولا لي فقال كذبت قلت له لو كذبت فما أفلت منه الا بجريعة الذقن

❁ (المشورة) ❁ قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ندم من استشار ولا شقي من استخار وقد أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام بمشاورة من هو دونه في الرأي فقال وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله (ولما) همت ثقيف بالارتداد بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم استشاروا عثمان بن أبي العاصي وكان مطاعا فيهم فقال لهم لا تكونوا آخر العرب اسلاما وأولهم ارتدادا فنفعهم الله برأيه (وسئل) بعض الحكماء أي الامور أشد تأييدا للعقل وأيها أشد اضرارا به فقال أشدها تأييدا له ثلاثة أشياء مشاورة العلماء وتجربة الامور وحسن التثبت وأشدها اضرارا به ثلاثة أشياء الاستبداد والتهاون والعجلة (وأشار) حكيم على حكيم برأي فقال لقد قلت بما يقول به الناصح الشفيق الذي يخلط حلو كلامه بمره وسهله بوعره ويحرك الاشفاق منه ما هو ساكن من غيره وقد وعيت النصح وقبلته اذ كان مصدره من عند من لا يشك في مودته وصفاء غيبه ونصح جيبه ومازلت بحمد الله الى الخير طريقا واضحا ومنارا بينا (وكان) عبد الله بن وهب الراسبي يقول اياكم والرأي الفطير وكان يستعيذ بالله من الرأي الدبري الخير (وكان) علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول رأي الشيخ أحسن من جلد الغلام (وأوصى) ابن هبيرة ولده فقال لا تكن أول مشير واياك والرأي الفطير ولا تشر على مستبد فان التماس موافقته لؤم والاستماع منه خيانة (وكان) عامر بن الظرب حكيم العرب يقول دعوا

عدهم

سيرى امام فان الاكثرين حصى
والاطيبين اذا ما ينسبون أبا
قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم
شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا
قوم هم الانف والاذناب غيرهم
ومن يسوي بانف الناقة الذنبا

فصار أحدهم اذا سئل عن انتسابه لم يبدأ الا به وأنف الناقة هو جعفر بن قريع بن عوف ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وكان بنو العجلان يفخرون بهذا الاسم ويتشرفون بهذا الوسم اذ كان عبد الله بن كعب جدهم انما سمي العجلان لتعجيله القرى للضيفان وذلك أن حيا من طيئ نزلوا به فبعث اليهم بقراهم عبده وقال له اعجل عليهم ففعل العبد فأعتقه لعجلته فقال القوم ما ينبغي أن يسمى الا العجلان فسمي بذلك فكان شرفا لهم حتى قال النجاشي واسمه قيس بن عمرو بن مالك بن حزن ابن الحرث بن كعب يهجوهم

أولئك أخوال اللعين وأسرة الـ
ـهجين ورهط الواهن المتذال
وما سمي العجلان الا لقولهم
خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فصار الرجل منهم اذا سئل عن نسبه قال كعبي ويكني عن العجلان وزعمت الرواة ان بني العجلان استعدوا على النجاشي لما قال هذا الشعر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقالوا هجانا قال وما قال فيكم فأنشدوه قوله

اذا الله عادى أهل لؤم ورقة
فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

الرأى يغب حتى يختمر واياكم والرأى الفطير يريد الاناة فى الرأى والتثبت فيه (ومن) امثالهم فى هذا قولهم لا رأى لمن لا يطاع (وكان المهلب) يقول ان من البلية أن يكون الرأى بيد من يملكه دون من يبصره (العتبى) قال قيل لرجل من عبس ما أكثر صوابكم قال نحن ألف رجل وفينا حازم واحد فنحن نشاوره فكأنا ألف حازم (قال الشاعر)

الرأى كالليل مسود جوانبه * والليل لا ينجلى الا باصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال الى * مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

(العتبى) قال أخبرنى من رأى عبد الله بن عبد الاعلى وهو أول داخل على الخليفة وآخر خارج من عنده ثم رأيته وانه ليتقى كما يتقى البعير الاجرب فقال لى يا أخا العراق اتهمنا القوم فى سريرتنا ولم يقبلوا منا علانيتنا ومن ورائهم وورائنا حكم عدل (ومن أحسن) ما قيل فيمن أشير عليه فلم يقبل قول سبيع لاهل اليمامة بعد ايقاع خالد بهم يا بنى حنيفة بعدا كما بعدت عاد وثمود والله لقد أنبأتكم بالامر قبل وقوعه كأنى أسمع جرسه وأبصر غبه ولكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندامة وانى لما رأيتكم تتهمون النصيح وتسفهون الحليم استشعرت بكم البأس وخفت عليكم البلاء والله ما منعكم الله التوبة ولا أخذكم على غرة ولقد أمهلكم حتى مل الواعظ وهرئ الموعوظ وكنتم كأنما يعنى بما أنتم فيه غيركم فأصبحتم وفى أيديكم من تكذيبى التصديق ومن نصيحتى الندامة وأصبح فى يدى من هلاككم البكاء ومن ذلكم الجزع وأصبح ما كان غير مردود وما بقى غير مأمون (وقال القطامى فى هذا المعنى)

ومعصية الشفيق عليك مما * يزيدك مرة منه استماعا

(ومن قولنا فى هذا المعنى) فاذ عصيت نصيحتى وعصيتها * ما كنت أول ناصح معصى

(وقال) حبيب فى بنى تغلب عند ايقاع مالك بن طوق بهم

لم يألكم مالك صفحا ومغفرة * لو كان ينفخ قين الحى فى فحم

﴿حفظ الاسرار﴾ قالت الحكماء صدرك أوسع لسرك وقالوا سرك من دمك يعنون أنه ربما كان فى افشائه سفك دمك (وكتب) عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف

لا تفش سرك الا اليك * فان لكل نصيح نصيحا
وانى رأيت غواة الرجا * ل لا يتركون أديما صحيحا

(وقالت) الحكماء ما كنت كاتمه عدوك فلا تطلع عليه صديقك (وقال) عمرو بن العاصى ما استودعت رجلا سرا فأفشاه فلمته لانى كنت أضيق صدرا منه حين استودعته منه حتى أفشاه (قيل لاعرابى) كيف كتمانك للسر قال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر (وقيل لآخر) كيف كتمانك للسر قال ما قلبى له الا قبر (وقال المأمون) الملوك تحتمل كل شئ الا ثلاثة أشياء القدح فى الملك وافشاء السر والتعرض للحرم (وقال) الوليد بن عتبة لابيه ان أمير المؤمنين أسر الى حديثا أفلا أحدثك به قال يا بنى انه من كتم سرا كان الخيار له ولا تكن مملوكا بعد ان كنت مالكا (وفى التاج) ان بعض ملوك العجم استشار وزيريه فقال أحدهما لا ينبغى للملك أن يستشير منا أحدا الا خاليا فانه أموت للسر وأحزم للرأى وأجدر بالسلامة وأعفى لبعضنا من غائلة بعض فان افشاء السر لرجل واحد أوثق من افشائه الى اثنين وافشاؤه الى ثلاثة كافشائه الى جماعة لان الواحد رهن بما أفشى اليه والاثنان مطلق عنهما ذلك الرهن والثلاثة علاوة فاذا كان السر عند واحد كان أحرى أن لا يظهر رغبة ورهبة وان كان عند اثنين دخلت على الملك الشبهة واتسعت على الرجلين المعاريض فان عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد وان اتهمهما اتهم بريئا بجناية مجرم وان عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له وعن الآخر ولا حجة معه (ومن أحسن) ما قالت الشعراء فى السر قول عمر بن أبى ربيعة

فقالت وأرخت جانب الستر انما * معى فتحدث غير ذى رقبة أهلى

فقال ان الله لا يعادى مسلما
قالوا فقد قال
قبيلته لا يغدرون بذمة
ولا يظلمون الناس حبة خردل
فقال وددت أن آل الخطاب
كانوا كذلك قالوا فقد قال
تعاف الكلاب الضاريات
لحومهم
وتأكل من عوف بن كعب بن
نهشل
فقال كفى ضياعا من تأكل
الكلاب لحمه قالوا فقد قال
ولا يردون الماء الا عشية
اذا صدر الوراد عن كل منهل
فقال ذلك أصفى للماء وأقل
للزحام قالوا فقد قال
وما سمى العجلان الا لقوله
خذ القعب واحلب أيها العبد
واعجل
فقال سيد القوم خادمهم وكان
عمر رضى الله عنه أعلم بما فى هذا
الشعر ولكنه درأ الحدود
بالشبهات وهؤلاء بنو نمير بن عامر
ابن صعصعة من القوم أحد
جمرات العرب وأشرف بيوت
قيس بن عيلان بن مضر وجمرات
العرب ثلاثة وانما سموا بذلك
لانهم يتوافرون فى أنفسهم لم
يدخلوا معهم غيرهم والتجمير فى
كلام العرب التجميع وهم بنو
عامر وبنو الحرث بن كعب وبنو
ضبة بن أد فطفئت جمرتان وهما
بنو ضبة لانها حالفت الرباب
وبنو الحرث لانها حالفت مذحج
وبقيت نمير لم تحالف فهى على
كثرتها ومنعتها وكان الرجل منهم
اذا قيل له ممن أنت قال نميرى كما
ترى أدلالا بنفسه وافتخارا بمنصبه
حتى قال جرير بن الخطفى لعبيد
ابن حصين الراعى أحد بنى نمير

فقالت لها مالي سوء من ترقب * ولكن سيري ليس يحمله مثلي

(وقال ابو محجن الثقفي)

لاتسأل الناس عن مالي وكثرته * وسائل الناس عن بأسي وعن خلقي
قد اعلم الطعنة النجلاء عن عرض * واكتم السر فيه ضربة العنق

(وقال الحطيئة يهجو) اغربالا اذا استودعت سرا * وكانونا على المتحدثين

(الاذن) قال زياد لحاجبه عجلان كيف تأذن للناس قال على البيوتات ثم على الاسنان ثم على الآداب قال فمن تؤخر قال من لا يعبأ الله بهم قال ومن هم قال الذين يلبسون كسوة الشتاء في الصيف وكسوة الصيف في الشتاء (وكان) سعيد بن عتبة بن حصين اذا حضر باب احد من السلاطين جلس جانبا فقيل له انك لتباعد من الآذن جهدك قال لأن ادعى من بعيد خير من ان اقصى من قريب ثم قال

فان مسيري في البلاد ومنزلي * هو المنزل الاقصى اذا لم اقرب
ولست وان أدنيت يوما بقائل * خلاقي ولا ديني ابتغاء التحبب
وقد عده قوم تجارة رابح * ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي

(وقال آخر) رأيت اناسا يسرعون تبادرا * اذا فتح البواب بابك اصبعا
ونحن جلوس ساكنون رزانة * وحلما الى ان يفتح الباب اجمعا

(وقف) الاحنف بن قيس ومحمد بن الاشعث بباب معاوية فاذن للاحنف ثم اذن لابن الاشعث فاسرع في مشيته حتى تقدم الاحنف ودخل قبله فلما رآه معاوية غمه ذلك واحنقه فالتفت اليه فقال والله انى ما اذنت له قبلك وانا اريد ان تدخل قبله وانا كما نلي اموركم كذلك نلي آدابكم ولا يزيد متزيد في خطوه الا لنقص يجده من نفسه (وقال هشام الرقاشي)

ابلغ ابا مسمع عني مغلغلة * وفي العتاب حياة بين اقوام
قدمت قبلي رجالا ماتكون لهم * في الحق ان يلجوا الابواب قدامي
لو عد قبر وقبر كنت اكرمهم * قبرا وابعدهم من منزل الذامي
حتى جعلت اذا ما حاجة عرضت * بباب قصرك ادلوها باقوام

(قيل) لمعاوية ان آذنك يقدم معارفه في الاذن على وجوه الناس قال وما عليه ان المعرفة لتنفع في الكلب العقور والجمل الصؤل فكيف في رجل حسيب ذي كرم ودين (وقالت) الحكماء لا يواظب احد على باب السلطان فيلقي عن نفسه الانفة ويحتمل الاذى ويكظم الغيظ الا وصل الى حاجته (وقالوا) من ادمن قرع الباب يوشك ان يفتح له وقال

اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب ان يلجا

(ونظر) رجل الى روح بن حاتم واقفا في الشمس فقال لطول وقوفي في الظل * نظر آخر الى الحسن بن عبد الحميد يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان فقال له مثلك يرضى بهذا فقال

اهين لهم نفسي لاكرمها بهم * ومن يكرم النفس التي لا يهينها

(وفي كتاب للهند) ان السلطان لا يقرب الناس لقرب آبائهم ولا يبعدهم لبعدهم ولكن ينظر ما عند كل رجل منهم فيقرب البعيد لنفعه ويبعد القريب لضره وشبهوا ذلك بالجرذ الذي هو في البيت مجاور فمن اجل ضره نفي والبازي الذي هو وحشي فمن اجل نفعه اقتني (استأذن) رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت فقال أألج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان وقل له يقول السلام عليكم أأدخل (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم الاستئذان ثلاث فان أذن لك والا فارجع (وقال) علي بن ابي طالب رضي الله عنه الاولى اذن والثانية مؤامرة والثالثة عزمة اما ان يأذنوا واما ان يرجع (الحجاب) قال زياد لحاجبه وليتك حجابتي وعزلتك عن اربع هذا المنادي

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

كعب وكلاب ابنا ربيعة بن عامر ابن صعصعة فصار الرجل منهم اذا قيل له ممن انت يقول عامري ويكنى عن نمير (ومرت امرأة بقوم من بني نمير فاحدوا النظر اليها فقال منهم قائل والله انها لرشحاء فقالت يا بني نمير والله ما امتثلتم في واحدة من اثنين لا قول الله عز وجل قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ولا قول الشاعر

* فغض الطرف انك من نمير *

البيت وساير شريك بن عبد الله النميري يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري فبرزت بغلة شريك فقال له يزيد غض من لجامها فقال انها مكتوبة اصلح الله الامير فضحك وقال ما ذهبت حيث اردت وانما عرض بقوله غض من لجامها بقول جرير

* فغض الطرف انك من نمير *

فعرض له شريك بقول ابن دارة

لا تأمنن فزاريا خلوت به
على قلوصك واكتبها باسيار

وبنو فزارة يرمون باتيان الابل ولذلك قال الفرزدق ليزيد بن عبد الملك لما ولى عمر بن هبيرة العراق

امير المؤمنين لانت مرء
امين لست بالطمع الحريص
أوليت العراق ورافديه
فزاريا احذ يد القميص
ولم يك قبلها راعي مخاض
ليأمنه على وركي قلوص
تفيهق بالعراق ابو المثنى
وعلم قومه اكل الخبيص

الرافدان الدجلة والفرات وقال بعض النميريين يجيب

الى الله في الصلاة والفلاح لا تفرجنه عني فلا سلطان لك عليه وطارق الليل لا تحجبه فشر ما جاءبه ولو كان خيرا ما جاءبه تلك الساعة ووصول الثغر فانه ان ابطأ ساعة أفسد عمل سنة فادخله على وان كنت في لحافي وصاحب الطعام فان الطعام اذا أعيد تسخينه فسد (ووقف) ابو سفيان بباب عثمان بن عفان وقد اشتغل ببعض مصالح المسلمين فحجبه فقال له رجل وأراد ان يغريه يا ابا سفيان ما كنت أرى أن تقف بباب مضرى فيحجبك فقال أبو سفيان لاعدمت من قومي من أقف ببابه فيحجبني (استأذن) ابو الدرداء على معاوية فحجبه فقال من يغش أبواب الملوك يقم ويقعد ومن يجد بابا مغلقا يجد الى جانبه بابا مفتوحا ان دعا أجيب وان سأل أعطى (وقال محمود الوراق)

شادوا بأبواب الحديد لسترها * وتنوقوا في قبح وجه الحاجب
واذا تلطف للدخول عليهم * راج تلقوه بوعد كاذب
فاطلب الى ملك الملوك ولا تكن * بادى الضراعة طالبا من طالب

(سعيد بن مسلم) قال كنت واليا بارمينية فغبر أبو دهمان أياما ببابي فلما وصل الي مثل قائما بين السماطين وقال والله انى لأعرف أقواما لو علموا ان سف التراب يقيم من أود اصلابهم لجعلوه مسكة لارماقهم ايثارا للتنزه عن عيش رقيق الحواشي أما والله لا يثنيني عنك الا ما يصرفك عني ولأن أكون مقلا مقربا أحب الي من أن أكون مكثرا مبعدا والله ما نسأل عملا لا نضبطه ولا مالا الا ونحن أكثر منه وهذا الذي قد صار اليك وفي يدك قد كان في يد غيرك فامسوا والله حديثا ان خيرا فخير وان شرا فشر فتحبب الى عباد الله بحسن البشر وابن الجانب وتسهيل الحجاب فان حب عباد الله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغضه لانهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله (أبو مسهر) قال أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الله بن عبد كان فحجبني فكتبت اليه

انى أتيتك للتسليم امس فلم * تأذن عليك لى الأستار والحجب
وقد علمت بأنى لم أرد ولا * والله ماردّ الا العلم والأدب

(فأجابني ابن عبد كان فقال)

لو كنت كافيت بالحسنى لقلت كما * قال ابن أوس وفيما قاله أدب
ليس الحجاب بمقص عنك بالأمل * ان السماء ترجى حين تحتجب

(ووقف) بباب محمد بن منصور رجل من خاصته فحجب عنه فكتب اليه

على أى باب أطلب الاذن بعدما * حجبت على باب الذى أنا حاجبه

(ووقف) أبو العتاهية الى باب بعض الهاشميين فطلب الاذن فقيل له تكون لك عودة فقال

لئن عدت بعد اليوم انى لظالم * سأصرف وجهي حيث تبغي المكارم
متى يظفر الغادى اليك بحاجة * ونصفك محجوب ونصفك نائم

(ونظير) هذا المعنى للمتنبي حيث يقول

قد أتيناك للسلام مرارا * غير مستنكف مناك المزار
فاذا أنت في استتارك بالليل على مثل حالنا بالنهار

(ووقف) رجل بباب أبي دلف فقام به حينا لا يصل اليه فتلطف في رقعة وأوصلها اليه وكتب فيها

اذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم

فأجابه

اذا كان الكريم قليل مال * ولم يعذر تعذر بالحجاب
وأبواب الملوك محجبات * فلا تستعظمن حجاب بابي

(وقال) حبيب الطائي في الحجاب

سأترك هذا الباب مادام اذنه * على ما أرى حتى يلين قليلا

سرو اعن شعره
غير جمرة العرب التي لم
تزل في الحرب تلتهب التهابا
وانى اذا أسب بها كليبا
فتحت عليهم للخسف بابا
ولولا ان يقال هجا نميرا
ولم تسمع لشاعرهم جوابا
رغبنا عن هجاء بنى كليب
وكيف يشاتم الناس الكلابا
فما نفع نميرا ولا ضر جريرا بل كان
كما قال الفرزدق
ما ضر تغلب وائل أهجوتها
ام بلت حيث تناطح البحران
(وقال) أبو جعفر محمد بن منذر
مولى بني صبير بن يربوع في
هجائه لثقيف
وسوف يزيدكم ضعة هجائى
كما وضع الهجاء بني نمير
(وسمع) الراعي منشدا ينشد
وعاوعوى من غير شئ رميته
بقافية انفاذها تقطر الدما
خروج بأفواه الرواة كأنها
قرى هندوانى اذا هز صمما
فارتاع له وقال لمن هذا قيل
لجرير فقال لعن الله من يلومني
أن يغلبني مثل هذا وقد يبنى
الشعر لقوم بيوتا شريفة وهدم
لآخرين أبنية منيفة
وما هو الا القول يسرى فتغتدى
له غرر في أوجه ومواسم
(قال) أبو عبيدة معمر بن المثنى
التميمي سمعت أبا عمرو بن العلاء
ورجل يقول انما الشعر كالميسم
فقال وكيف يكون ذلك كذلك
والميسم يذهب بذهاب الجلد
ويدرس مع طول العهد والشعر
يبقى على الابناء بعد الآباء
ما بقيت الارض والسماء والى
هذا نحا الطائي في قوله
وانى رأيت الوسم في خلق الفتى
هو الوسم لا ما كان في الشعر والجلد

فما خاب من لم يأته متعمدا * ولا فاز من قد نال منه وصولا ولا جعلت أرزاقنا بيد امرئ * حمى بابه من أن ينال دخولا
اذا لم نجد للاذن عندك موضعا * وجدت الى ترك المجئ سبيلا

(وأنشد أبو بكر بن العطار)

مالك قد حلت عن وفائك واستبدلت يا عمرو شيمة كدره * لستم ترجون للحساب ولا يوم تكون السماء منفطره
قد كان وجهي لديك معرفة * فاليوم أضحى بابا من النكره

(وقال غيره) أتيتك للتسليم لانى امرؤ * أردت بإتيانك أسباب نائلك
فألفيت بوابا لبابك مغرما * بهدم الذى وطأته من فضائلك
وقد قال قوم حاجب المرء عامل * على عرضه فاحذر خيانة عاملك

(وقال الحسن بن هانئ) أيها الراكب المزالى الفضل ترفق فدون فضل حجاب
ونعم هبك قد وصلت الى الفضل فهل فى يديك الا التراب

(وقال آخر) وهو محمود البغدادى

حجابك من مهابته عسير * وخيرك فى اليدين غدا يسير
خرجت كما دخلت اليك الا * ترابا صارفى خفى كثير

(وقال العتابى) حجابك ليس يشبهه حجاب * وخيرك دون مطلبه السحاب
وفوقك قوم من ورد المنايا * فليس له الى الدنيا اياب

(غيره) أنا بالباب واقف منذ أصبحت على السرج ممسكا بعنانى
وبعين الصواب كل الذى بى * ويرانى كأنه لا يرانى

(غيره) اذا ما أتيناه فى حاجة * رفعنا الرقاع له بالقصب
له حاجب دون ما حاجب * وحاجب حاجبه يحتجب

(قال أبو اليسير) حجبنى بعض كتاب العسكر فكتبت اليه ان من لم يرفعه الاذن لم يضعه الحجاب وأنا أرفعك عن هذه المنزلة وارغب بك عن هذه الطبقة وكل من قام فى منزلك عظم قدره أو صغر وحاول حجاب الخليفة امكنه فتأمل هذه الحال وانظر اليها بعين الفهم تراها فى أقبح صورة وأدنى منزلة (وقد قلت) اذا كنت تأتى المرء تعظم حقه * ويجهل منك الحق فالهجر أوسع
وفى الناس أبدال وفى الهجر راحة * وفى الناس عم لا يؤاتيك مقنع
وان امرأ يرضى الهوان لنفسه * حرى بجدع الانف والانف أشنع

(وقال آخر) يا أبا موسى وأنت فتى * ماجد حلو مذاهبه
كن على منهاج معرفة * ان وجه المرء حاجبه
فيه تبدو محاسنه * وبه تبدو معايبه

(وأنشد حسين بن الجمل) وبكر الى باب سليمان بن وهب فحجبه الحاجب وأدخل ابن شنوة وحمدويه
ولعمرى لئن حجبنا عن الشيخ فلا عن وجه هناك وجيه * لا ولا عن طعامه التافه النز
ر الذى حوله لطام بنيه * بل حجبنا به عن الخسف والمسخ وذاك التسبريق والتمويه
فجزى الله حاجبا لك فظا * كل خير عنا اذا نجزيه * فلقد سرنى دخول أخى شنـ
ـوة دونى وبعده حمدويه * ان ذنبى نزاهة قد تأتى * من صباحى بقبح تلك الوجوه

(وقال) احمد بن محمد البغدادى فى الحسن بن وهب الكاتب
ومستتر عن الحسن بن وهب * وعما فيه من كرم وخير أتانى كى أحبره بعلمى * فقلت له سقطت على خبير
هو الرجل المهذب غير انى * أراه كثير ارخاء الستور
وأكثر ما تغنيه فتاة * حسين حين يخلو بالسرور

وقال عمر رحمة الله تعالى عليه تعلموا الشعر فان فيه محاسن تبتغى ومساوى تتقى (وقال) أبو تمام

ان القوافى والمساعى لم تزل * مثل النظام اذا أصاب فريدا
هى جوهر نثر فان ألفته * فى الشعر كان قلائدا وعقودا
من أجل ذلك كانت العرب الاولى * يدعون هذا سوددا محدودا
وتند عندهم العلا الا علا * جعلت لها غرر القصيد قيودا

(وقال على بن الرومى)

أرى الشعر يحيى الناس والمجد بالذى * تبقيه أرواح له عطرات
وما المجد لولا الشعر الا معاهد * وما الناس الا أعظم نخرات

(رجعت) الى ما قطعت مما هو احق وأولى وأجل وأعلى وهو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الكريم البحر العظيم القدر الذى هو النهاية فى البيان والغاية فى البرهان المشتمل على جوامع الكلم وبدائع الحكم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش واسترضعت فى سعد بن بكر وليس بعض كلامه بأولى من بعض بالاختيار ولا أحق بالتقديم والايثار لكنى أورد ما تيسر منه فى أول هذا الكتاب استفتاحا وتيمنا بذلك واستصباحا (وهذه شذور) من قوله صلى الله عليه وسلم الصريح الفصيح العزيز الوجيز المتضمن قليل المبانى كثير المعانى قوله للانصار انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون

ولولا الريح أسمع أهل حجر * صليل البيض تقرع بالذكور

(ومن قولنا في هذا المعنى) ما بال بابك محروسا ببواب * يحجبه من طارق يأتي ومنتاب
لا يحتجب وجهك الممقوت عن أحد * فالمقت يحجبه من غير حجاب
فاعزل عن الباب من قد ظل يحجبه * فإن وجهك طلسام على الباب

(وقف) حبيب الطائي بباب مالك بن طوق فحجب عنه فكتب إليه يقول

قل لابن طوق رحى سعد إذا طحنت * نوائب الدهر أعلاها وأسفلها
أصبحت حاتمها جودا وأحنفها * حلما وكيسها علما ودغفلها
ما لي أرى القبة البيضاء مقفلة * دوني وقد طال ما استفتحت مقفلها
أظنها جنة الفردوس معرضة * وليس لي عمل زاك فأدخلها

{باب الوفاء والغدر}

قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب حين أيقن بزوال ملكه قد احتجت إلى أن تصير مع عدوي وتظهر الغدر بي فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك تدعوهم إلى حسن الظن بك فإن استطعت أن تنفعني في حياتي وإلا لم تعجز عن نفع حرمي من بعد مماتي فقال عبد الحميد إن الذي أمرت به أنفع الأشياء لك وأقبحها بي وما عندي غير الصبر معك حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك (أبو الحسن المدائني) قال لما قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد بعد ما صالحه وكتب له كتابا وأشهد شهودا قال عبد الملك بن مروان لرجل كان يستشيره ويصدر عن رأيه إذا ضاق به الأمر ما رأيك في الذي كان مني قال أمر قد فات دركه قال أتقول قال حزم لو قتلته وحييت قال أولست بحي فقال من أوقف نفسه موقفا لا يوثق له بعهد ولا بعقد قال عبد الملك كلام لو سبق سماعه فعلي لأمسكت (المدائني) قال لما كتب أبو جعفر أمان ابن هبيرة واختلف فيه الشهود أربعين يوما ركب في رجال معه حتى دخل على المنصور فقال إن دولتكم جديدة فأذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها تسرع محبتكم إلى قلوبهم ويعذب ذكركم على ألسنتهم وما زلت منتظرا لهذه الدعوة فأمر أبو جعفر برفع الستر بينه وبينه فنظر إلى وجهه وباسطه بالقول حتى اطمأن قلبه فلما خرج قال أبو جعفر عجبا من كل من يأمرني بقتل مثل هذا ثم قتله بعد ذلك غدرا (وقال) أبو جعفر لمسلم بن قتيبة ما ترى في قتل أبي مسلم قال لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا قال حسبك الله يا أبا أمية (قال) أبو عمرو بن العلاء كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب وكانوا يسمون الغدر في الجاهلية كيسان فقال فيهم الشاعر

إذا كنت في سعد وخالك منهم * غريبا فلا يغررك خالك من سعد
إذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم * إلى الغدر أدنى من شبابهم المرد

{(الولاية والعزل)} قال النبي صلى الله عليه وسلم ستحرصون على الإمارة وتكون حسرة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة (وقال) المغيرة بن شعبة أحب الإمارة لثلاث وأكرهها لثلاث أحبها لرفع الأولياء ووضع الأعداء واسترخاص الأشياء وأكرهها لروعة البريد وموت العزل وشماتة العدو (وقال) ولد بن بشر القاضي كنت جالسا مع أبي قبل أن يلي القضاء فمر به طارق وقد ولي ابن زياد في موكب نبيل وهو والي البصرة فلما رآه أبي تنفس الصعداء وقال

أراها وإن كانت تحب كأنها * سحابة صيف عن قريب تقشع

ثم قال اللهم لي ديني ولهم دنياهم فلما ابتلي بالقضاء قلت له يا أبت أتذكر يوم طارق قال يا بني إنهم يجدون خلفا من أبيك وإن أباك لا يجد خلفا منهم إن أباك حط في أهوائهم وأكل من حلوائهم (قيل لعبد الله بن الحسن) إن فلانا غيرته الولاية قال من ولي ولاية يراها أكبر منه تغير لها ومن ولي ولاية يرى نفسه أكبر منها لم يتغير لها (ولما) عزل عمر بن الخطاب المغيرة بن شعبة عن كتابة أبي موسى قال له

عند الفزع وقوله عليه الصلاة
والسلام المسلمون تتكافأ
دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم
وهم يد على من سواهم الناس
كابل مائة لا تجد فيها راحلة
إياكم وخضراء الدمن كل
الصيد في جوف الفرا قاله لأبي
سفيان بن حرب الناس معادن
خيارهم في الجاهلية خيارهم
في الإسلام إذا فقهوا المؤمن
للمؤمن كالبنيان يشد بعضه
بعضا أصحابي كالنجوم بأيهم
اقتديتم اهتديتم المتشبع بما
لم يعط كلابس ثوبي زور المرأة
كالضلع إن رمت قوامها
كسرتها وإن داريتها استمتعت بها
اليد العليا خير من اليد السفلى
مطل الغني ظلم يد الله مع
الجماعة الحياء شعبة من الإيمان
مثل أبي بكر كالقطر أينما وقع
نفع لا تجعلوني في أعجاز كتبكم
كقدح الراكب أربعة من
كنوز الجنة كتمان الصدقة
والمرض والمصيبة والفاقة جنة
الرجل داره الناس نيام فإذا
ماتوا انتبهوا كفى بالسلامة داء
إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم
فسعوهم بأخلاقكم ما قل وكفى
خير مما كثر وألهى كل ميسر لما
خلق له اليمين حنث أو مندمة
دع ما يريبك إلى ما لا يريبك
انصر أخاك ظالما أو مظلوما
احترسوا من الناس بسوء الظن
الندم توبة انتظار الفرج عبادة
نعم صومعة الرجل بيته المستشير
معان والمستشار مؤتمن المرء كثير
بأخيه إن للقلوب صدأ كصدأ
الحديد وجلاؤها الاستغفار
اليوم الرهان وغدا السباق

أعن عجز أم خيانة يا أمير المؤمنين قال لا عن واحدة منهما ولكني أكره أن أحمل فضل عقلك على العامة (وكتب) زياد الى معاوية قد أخذت العراق بيميني وبقيت شمالي فارغة يعرض له بالحجاز فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فرفع يده الى السماء وقال اللهم اكفنا شمال زياد فخرجت في شماله قرحة فقتلته (وولى) عمر بن الخطاب أبا هريرة فقال له ألا تعمل قال لا أريد العمل قال قد طلب العمل من هو خير منك يوسف عليه الصلاة والسلام قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم (المدائني) قال كان بلال بن أبي بردة ملازما لباب خالد بن عبد الله القسري فكان لا يركب خالد الا ورآه في موكبه فبرم به فقال لرجل من الشرط ائت ذلك الرجل صاحب العمامة السوداء فقل له يقول لك الامير ما الزومك بابي وموكبي لا أوليك ولاية أبدا فأتاه الرسول فأبلغه فقال له بلال هل أنت مبلغ عني الامير كما بلغتني عنه قال نعم قال قل له والله لئن وليتني لا عزلتني فأبلغه ذلك فقال خالد ماله قاتله الله انه ليعد من نفسه بكفاية فدعاه فولاه (وأراد) عمر بن الخطاب ان يستعمل رجلا فبادر الرجل فطلب منه العمل فقال له عمر والله لقد كنت أردتك لذلك ولكن من طلب هذا الامر لم يعن عليه (وطلب) العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم من النبي ولاية فقال له يا عم نفس تحييها خير من ولاية لا تحصيها (وطلب) رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عملا فقال له انا لا نستعين على عملنا من يريده (وتقول) النصارى لا تختار للجاثليقة الا زاهدا فيها غير طالب لها (وقال) زياد لاصحابه من أغبط الناس عيشا قالوا الامير وأصحابه قال كلا ان لاعواد المنبر لهيبة ولقرع لجام البريد لفزعة ولكن أغبط الناس عيشا رجل له دار يجري عليه كراؤها وزوجة قد وافقته في كفاف من عيشه لا يعرفنا ولا نعرفه فان عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه آخرته ودنياه (وكتب) المغيرة بن شعبة الى معاوية حين كبر وخاف ان يستبدل به أما بعد فقد كبرت سني ورق عظمي واقترب أجلي وسفهني سفهاء قريش فرأى أمير المؤمنين في عمله موفقا فكتب اليه معاوية أما ما ذكرت من كبر سنك فانت أكلت شبابك وأما ما ذكرته من اقتراب أجلك فاني لو استطيع دفع المنية لدفعتها عن آل أبي سفيان وأما ما ذكرته من سفهاء قريش فحلماؤها أحلوك ذلك المحل وأما ما ذكرت من العمل فضح رويدا يدرك الهيجا جمل وهذا مثل وقد وقع تفسيره في كتاب الأمثال فلما انتهى الكتاب الى المغيرة كتب اليه يستأذنه في القدوم عليه فأذن له وخرجنا معه فلما دخل عليه قال له يا مغيرة كبرت سنك ورق عظمك ولم يبق منك شئ ولا أراني الا مستبدلا بك قال المحدث عنه فانصرف الينا ونحن نرى الكآبة في وجهه فأخبرنا بما كان من أمره فقلنا له فما تريد ان تصنع قال ستعلمون ذلك فأتى معاوية فقال له يا أمير المؤمنين ان الانفس ليغدى عليها ويراح ولست في زمن أبي بكر وعمر فلو نصبت لنا علما من بعدك نصير اليه فاني قد كنت دعوت أهل العراق الى بيعة يزيد فقال يا أبا محمد انصرف الى عملك وارم هذا الأمر لابن أخيك فأقبلنا نركض على البريد فالتفت فقال والله لقد وضعت رجله في ركاب طويل ألقى عليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم

﴿باب من أحكام القضاة﴾

قال عمر بن عبد العزيز اذا كان في القاضي خمس خصال فقد كمل علم بما كان قبله ونزاهة عن الطمع وحلم عن الخصم واقتداء بالائمة ومشاورة أهل العلم والرأي (وقال) عمر بن عبد العزيز اذا أتاك الخصم وقد فقئت عينه فلا تحكم له حتى يأتي خصمه فلعله قد فقئت عيناه جميعا (وكتب) عمر بن الخطاب الى معاوية في القضاء يقول فيه اذا تقدم الخصمان فعليك بالبينة العادلة أو اليمين القاطعة وادن الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه وتعاهد الغريب فانك ان لم تتعاهده سقط حقه ورجع الى أهله وانما ضيع حقه من لم يرفق به وآس بين الناس في لحظك وطرفك وعليك بالصلح بين الناس ما لم يتبين لك فصل القضاء (العتبي) قال تنازع ابراهيم بن المهدي وبختيشوع الطبيب بين يدي أحمد بن أبي دواد القاضي في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد فزرى عليه ابن المهدي وأغلظ له بين يدي أحمد

والجنة العالية كل من في الدنيا ضيف وما في يده عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة (ومن جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام) ما رواه أهل الصحيح عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه (قال) ابو القاسم حمزة بن محمد الكناني سمعت اهل العلم يقولون هذا الحديث ثلث الاسلام والثلث الثاني ما رواه النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات فمن تركها كان اوفى لدينه وعرضه ومن واقعها كان كالراتع حول الحمى ألا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه قال والثالث ما رواه مالك عن ابن شهاب عن علي بن حسين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر واثاب عليه وندب حسان بن ثابت اليه وقال ان الله ليؤيده بروح القدس ما نافح عن نبيه ولما انتهى شعر ابي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب الى النبي صلى الله عليه وسلم شق عليه فدعا عبد الله بن رواحة فاستنشده فأنشده فقال انت

ابن أبي دواد فاحفظه ذلك فقال يا ابراهيم اذا نازعت أحدا في مجالس الحكم فلا تعلين عليه صوتا ولا تشر اليه بيد وليكن قصدك اما وطريقك نهجا وريحك ساكنة ووف مجالس الحكومة حقوقها مع التوقير والتعظيم والتوجيه الى الواجب فان ذلك أشبه بك وأشكل لمذهبك في محتدك وعظم خطرك ولا تعجل فرب عجلة تهب ريثا والله يعصمك من الزلل وخطل القول والعمل ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل ان ربك حكيم عليم قال ابراهيم أصلحك الله أمرت بسداد وحضضت على رشاد ولست بعائد الى ما يثلم مروأتي عندك ويسقطني من عينك ويخرجني من مقدار الواجب الى الاعتذار فها أنذا معتذر اليك من هذه البادرة اعتذار مقر بذنبه باخع بجرمه فان الغضب لا يزال يستفزني بمراده فيردني مثلك بحلمه وتلك عادة الله عندنا منك وحسبنا الله ونعم الوكيل وقد وهبت حقي من هذا العقار لبختيشوع فليت ذلك اليوم يقوم بأرش الجناية ولم يتلف مال أفاد موعظة وبالله التوفيق (وكتب) عمر بن الخطاب الى أبي موسى الاشعري رواها ابن عيينة اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم واذا أدلى اليك الخصم فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما وحرم حلالا ولا يمنعك قضاء قضيت فيه بالامس ثم راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك ان ترجع عنه فان الحق قديم والرجوع اليه خير من التمادي على الباطل الفهم الفهم عندما يتلجلج في صدرك مالم يبلغك به كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور عند ذلك ثم اعمد الى أحبها عند الله ورسوله وأشبهها بالحق واجعل للمدعي أمرا ينتهي اليه فان احضر بينة أخذت له بحقه والا وجهت عليه القضاء فان ذلك أجلى للعمى وابلغ في العذر والمسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا حدا او مجربا عليه شهادة الزور أو ظنينا في ولاء أو قرابة أو نسب فان الله تولى منكم السرائر ودرأ عنكم الشبهات ثم اياك والتأخر بالناس والتنكر للخصوم في الحقوق التي يوجب الله بها الاجر ويحسن بها الذخر فانه من يخلص نيته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه يكفيه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم خلافه منه هتك الله ستره (وكتب) عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أبي موسى الاشعري اما بعد فان للناس نفرة عن سلطانهم فاحذر أن تدركني واياك عمياء مجهولة وضغائن محمولة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة وأقم الحدود ولو ساعة من النهار وأخف الفساق واجعلهم يدا يدا ورجلا رجلا واذا كانت بين القبائل ثائرة فنادوا يال فلان فانما تلك نخوة من الشيطان فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا الى أمر الله وتكون دعواتهم الى الله والاسلام واستدم النعمة بالشكر والطاعة بالتأليف والمقدرة والنصرة بالتواضع والمحبة للناس وبلغني ان ضبة تنادي يا آل ضبة والله لا علمت ساق الله بها خيرا قط ولا صرف بها شرا فاذا جاءك كتابي هذا فانهكهم عقوبة حتى يتفرقوا ان لم يفقهوا والصق غيلان بن خرشة من بينهم وعد مرضى المسلمين واشهد جنائزهم وباشر أمورهم وافتح بابك لهم فانما أنت رجل منهم غير ان الله جعلك أثقلهم حملا وقد بلغ أمير المؤمنين انه فشت لك ولاهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ليس للمسلمين مثلها فاياك يا عبد الله ان تكون كالبهيمة همها في السمن والسمن حتفها واعلم ان العامل اذا زاغ زاغت رعيته وأشقى الناس من يشقى به الناس والسلام (أراد) عمر بن الخطاب ان يغزو قوما في البحر فكتب اليه عمرو بن العاصي وهو عامله على مصر يا أمير المؤمنين ان البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير دود على عود فقال عمر لا يسألني الله عن أحد أحمله فيه (الشعبي) قال كنت جالسا عند شريح اذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها وهو غائب وتبكي بكاء شديدا فقلت أصلحك الله ما أراها الا مظلومة قال وما علمك قلت لبكائها قال لا تفعل فان اخوة يوسف جاؤا أباهم عشاء يبكون وهم له ظالمون (وكان) الحسن بن أبي الحسن لا يرى ان يرد شهادة رجل مسلم الا ان يجرحه المشهود عليه فاقبل اليه رجل فقال يا أبا

بأعمر كريم ثم دعا كعب بن مالك فاستنشده فأنشده فقال انت تحسن صفة الحرب ثم دعا بحسان ابن ثابت فقال أجب عني فأخرج لسانه فضرب به أرنبته ثم قال والذي بعثك بالحق ما أحب ان لي مقولا في معد ولو ان لسانا فرى الشعر لفراه ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعين من أبي سفيان فقال وكيف وبيني وبينه الرحم التي قد علمت فقال اسلك منه كما تسل الشعرة من العجين فقال اذهب الى أبي بكر وكان اعلم الناس بأنساب قريش وسائر العرب وعنه أخذ جبير بن مطعم علم النسب فمضى حسان اليه فذكر له معايبه فقال حسان ابن ثابت

وان سنام المجد من آل هاشم
بنو بنت مخزوم ووالدك العبد
ومن ولدت ابناء زهرة منهم
كرام ولم يقرب عجائزك المجد
ولست كعباس ولا كابن امه
ولكن لئيم لا يقوم له زند
وان امرأ كانت سمية امه
وسمراء مغمور اذا بلغ الجهد
وانت زنيم نيط في آل هاشم
كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

فلما بلغ هذا الشعر ابا سفيان قال هذا كلام لم يغب عنه ابن ابي قحافة يعني ببني بنت مخزوم عبد الله وابا طالب والزبير بن عبد المطلب بن هاشم امهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم واخواتهم برة واميمة والبيضاء وهي ام حكيم والبيضاء جدة عثمان بن عفان ام امه وقوله * ومن ولدت ابناء زهرة منهم كرام يعني امية

سعيد ان اباسارد شهادتي فقام معه الحسن اليه فقال يا أبا رتيلة لم رددت شهادة هذا المسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا فقال يا أبا سعيد ان الله يقول ممن ترضون من الشهداء وهذا لا يرضى (ودخل) الاشعث بن قيس على شريح القاضي في مجلس الحكومة فقال مرحبا وأهلا بشيخنا وسيدنا واجلسه معه فبينما هو جالس عنده اذ دخل رجل يتظلم من الاشعث فقال له شريح قم فاجلس مجلس الخصم وكلم صاحبك قال بل أكلمه من مجلسي فقال له لتقومن او لآمرن من يقيمك فقال له الاشعث لشد ما ارتفعت قال رأيت ذلك ضرك قال لا قال فأراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها على نفسك (واقبل) ابن ابي الاسود صاحب خراسان ليشهد عند اياس بشهادة فقال مرحبا وأهلا بابي مطرف واجلسه معه ثم قال له ما جاء بك قال لاشهد لفلان فقال وما لك وللشهادة انما يشهد الموالي والتجار والسوقة قال صدقت وانصرف من عنده فقيل له خدعك انه لا يقبل شهادتك قال لو علمت ذلك لعلوته بالقضيب (دخل) عدي بن ارطاة على شريح فقال اين أنت أصلحك الله قال بينك وبين الجدار قال اني رجل من أهل الشام قال نائي المحل سحيق الدار قال قد تزوجت عندكم قال بالرفاء والبنين قال وولد لي غلام قال ليهنك الفارس قال واردت ان ارحلها قال الرجل أحق بأهله قال وشرطت لها دارها قال الشرط أملك قال فاحكم الآن بيننا قال قد فعلت قال على من قضيت قال على ابن امك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالتك يريد اقراره على نفسه (سفيان الثوري) قال جاء رجل يخاصم الى شريح في سنور قال بينتك قال ما أجد بينة في سنور ولدت عندنا قال شريح فاذهبوا بها الى امها وأرسلوها فان استقرت واستمرت ودرت فهي سنورك وان هي اقشعرت وازبأرت فليست بسنورك (سفيان الثوري) قال جاء رجل الى شريح فقال ما تقول في شاة تأكل الذبان فقال ابن طيب وعلف مجان (ودخل) رجل على الشعبي في مجلس القضاء ومعه امرأة وهي من أجمل النساء فاختصما اليه فادلت المرأة بحجتها وقربت بينتها فقال للزوج هل عندك من مدفع فانشأ يقول

فتن الشعبي لما * رفع الطرف اليها * فتنته بدلال * وبخطي حاجبيها

قال للجلواز قربها واحضر شاهديها * فقضى جورا على الخصم ولم يقض عليها

قال الشعبي فدخلت على عبد الملك بن مروان فلما نظر الي تبسم وقال فتن الشعبي لما * رفع الطرف اليها ثم قال ما فعلت بقائل هذه الابيات قلت أوجعته ضربا يا أمير المؤمنين بما انتهك من حرمتي في مجلس الحكومة وبما افترى به علي قال أحسنت

﴿فرش كتاب الحروب﴾ قال أحمد بن محمد بن عبد ربه قد مضى قولنا في السلطان وتعظيمه وما على الرعية من لزوم طاعته وادامة نصيحته وما على السلطان من العدل في رعيته والرفق بأهل مملكته ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الحروب ومدار أمرها وقود الجيوش وتدبيرها وما على المدبر لها من اعمال الخدعة وانتهاز الفرصة والتماس الغرة واذكاء العيون وافشاء الطلائع واجتناب المضايق والتحفظ من الدسيسات هذا بعد معرفة أحكامها وأحكام معرفته وطول تجربته لمقاساة الحروب ومعاناة الجيوش وعلمه ان لا درع كالصبر ولا حصن كاليقين ثم تذكر كرم اليقين ومحمود عاقبته ولؤم الفرار ومذموم مغبته والله المعين

﴿صفة الحروب﴾ رحى ثقالها الصبر وقطبها المكر ومدارها الاجتهاد وثقافها الاناة وزمامها الحذر ولكل شئ من هذه ثمرة فثمرة المكر الظفر وثمرة الصبر التأييد وثمرة الاجتهاد التوفيق وثمرة الاناة اليمن وثمرة الحذر السلامة ولكل مقام مقال ولكل زمان رجال والحرب بين الناس سجال والرأي فيها أبلغ من القتال (قال عمر بن الخطاب) لعمرو بن معدي كرب صف لنا الحرب قال مرة المذاق اذا كشفت عن ساق من صبر فيها عرف ومن نكل عنها تلف ثم أنشأ يقول

وصفية ام الزبير بن العوام امهما هالة بنت اهيب بن عبد مناف ابن زهرة وقوله * لست كعباس ولا كابن أمه ام العباس نتيلة امرأة ابن جعفر بن واسط واخوه لامه ضرار بن عبد المطلب وقوله * وان امرأ كانت سمية امه وسمراء سمية ام ابي سفيان وسمراء ام ابيه وليس هذا موضع الاطناب في رفع الانساب (وكان) عبد الاعلى بن عبد الرحمن الاموي عتب على بعض ولد الحرث فقال له معرضا بما قال حسان

خالك بالام وبالجد
مفتخر بالقدح الفرد
الهج بحسان واشعاره
فانها ادعى الى الجد
لولا سيوف الازد لم تؤمنوا
ولم تقيموا سورة الحمد
فتوعدوه نخافهم فقال

بنو هاشم اعفوا عفا الله عنكم
وان كان ثوبي حشوه ثقيبه مجرم
لكم حرم الرحمن والبيت والصفا
وجمع وما ضم الحطيم وزمزم
فان قلتم بادهتنا بعظيمة
فاحلامكم منها أجل وأعظم

وأسلم أبو سفيان رحمه الله وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين وكان ممسكا بلجام بغلته حين فر الناس وهو أحد الذين ثبتوا وهم على ما ذكره أبو محمد عبد الملك بن هشام أبو بكر وعمر وعلي والعباس وأبو سفيان بن الحرث وابنه والفضل وربيعة ابن الحرث وأسامة بن زيد وأيمن ابن ام أيمن بن عبيد قتل يومئذ وبعض الناس يعد فيهم قثم بن العباس ولا يعد ابن أبي سفيان وكان أبو سفيان من أشعر قريش وهو القائل

الحرب اول ما تكون فتية * تسعى بزينتها لكل جهول * حتى اذا حميت وشب ضرامها
عادت عجوزا غير ذات حليل * شمطاء جزت رأسها وتنكرت * مكروهة للشم والتقبيل

(وقيل) لعنترة الفوارس صف لنا الحرب فقال أولها شكوى واوسطها نجوى وآخرها بلوى (وقال الكميت)

والناس في الحرب شتى وهي مقبلة * ويستوون اذا ما أدبر القبل
كل بأمسها اصب مواسية * والعاملون بذى عذربها اقلل

(وقال نصر بن سيار) صاحب خراسان يصف الحرب ومبتدأ امرها

أرى خلل الرماد وميض نار * فيوشك ان يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى * وان الحرب اولها الكلام

(وفى) حكمة سليمان بن داود عليهما السلام الشر حلو اوله مر آخره (والعرب) تقول الحرب غشوم لانها تنال غير الجانى (وقال حبيب)

والحرب تركب رأسها فى مشهد * عدل السفيه به بألف حليم
فى ساعة لو ان لقمانا بها * وهو الحكيم لكان غير حكيم

(وقال) اكثم بن صيفى حكيم العرب لا حلم لمن لا سفيه له * ونحو هذا قول الاحنف بن قيس ما قل سفهاء قوم قط الا ذلوا وقال لان يطيعنى سفهاء قومى احب الى من أن يطيعنى حلماؤهم وقال اكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم النار والعار (وقال النابغة الجعدى)

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

وانشد هذا الشعر للنبى صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى هذا البيت قال له النبى صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك فعاش ثلاثين ومائة سنة لم تنفض له ثنية * وقال النابغة أيضا يصف الحرب

تبدو كواكبه والشمس طالعة * لا النور نور ولا الاظلام اظلام

يريد بقوله تبدو كواكبه والشمس طالعة شدة الهول والكرب كما تقول العامة أريته النجوم وسط النهار قال الفرزدق * أريك نجوم الليل والشمس حية * وقال طرفة بن العبد * وتريك النجم يجرى بالظهر * واليه ذهب جرير فى قوله

والشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

يقول ان الشمس طالعة وليست بكاسفة نجوم الليل لشدة الغم والكرب الذى فيه الناس * ومن قولنا فى صفة الحرب

ومغبر السماء اذا تجلى * يغادر أرضه كالارجوان
كأن زهاءه ظلماء ليل * كواكبه من الشمس الدوانى
سموت له سمو النقع فيه * بكل مزاق سلب السنان

(وفى صفة المعترك)

ومعترك تهز به المنايا * ذكور الهند فى أيدى ذكور * لوامع يبصر الاعمى سناها
ويعمى دونها طرف البصير * وفائقة الذوائب قد أنافت * على جمل لها اثنى طرير
يحوم حمامها عقبان موت * تخطفت القلوب من الصدور * بيوم راح فى سربال ليل
فما عرف الاصيل من البكور * وعين الشمس ترنو فى قتام * رنو البكر من بين الستور
فكم قصرت من عمر طويل * به وأطلت من عمر قصير

(العمل فى الحروب) قيل لاكثم بن صيفى صف لنا العمل فى الحرب قال أقلوا الخلاف على أمرائكم فلا جماعة لمن اختلف عليه واعلموا ان كثرة الصياح من الفشل فتثبتوا فان أحزم الفريقين الركين ورب عجلة تعقب ريثا وادرعوا الليل فانه أخفى للويل وتحفظوا من البيات * وقال شبيب الحرورى الليل يكفيك الجبان ويصف الشجاع وكان اذا أمسى يقول لاصحابه أتاكم المدد (وقالت عائشة رضى

لقد علمت قريش غير فخر
بانا نحن أجودهم حصانا
واكثرهم دروعا سابغات
وامضاهم اذا طعنوا سنانا
وادفعهم عن الضراء عنهم
وابينهم اذا نطقوا لسانا

(ويروى) أن ابن سيرين قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر قد شنق ناقته بزمامها حتى وضعت رأسها عند مقدمة الرحل فقال يا كعب ابن مالك احد بنا فقال كعب

قضينا من تهامة كل حق
وخيبر ثم أجممنا السيوفا
نخيرها ولو نطقت لقالت
قواطعهن دوسا أو ثقيفا

فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده لهى أشد عليهم من رشق النبل ويقال ان دوسا اسلمت فرقا من كلمة كعب هذه وقالوا اذهبوا فخذوا لانفسكم الامان من قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم وقتل النبى صلى الله عليه وسلم النضر ابن الحرث وكان ممن أسر يوم بدر وكان شديد العداوة لله ولرسوله وقتله على بن ابى طالب رضى الله عنه صبرا فعرضت للنبى صلى الله عليه وسلم ابنته قتيلة بنت الحرث وفى بعض الروايات ان قتيلة اخته فأنشدته

يا راكبا ان الاثيل مظنة
من صبح خامسة وأنت موفق
ابلغ به ميتا بأن تحية
ما ان تزال بها النجائب تخفق
منى اليه وعبرة مسفوحة
جادت بوا كفها وأخرى تخنق
هل يسمعنى النضر ان ناديته
ان كان يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه
لله أرحام هناك تشقق

الله عنها) يوم الجمل وسمعت منازعة أصحابها وكثرة صياحهم المنازعة في الحرب خور والصياح فيها فشل وما برأيي خرجت مع هؤلاء (وقال) عتبة بن أبي ربيعة لأصحابه يوم بدر لما رأى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترونهم خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الحيات (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أكثر النظر في العواقب لم يشجع (وقال) النعمان بن مقرن لأصحابه عند لقاء العدو اني هاز لكم الراية فليصلح كل رجل منكم من شأنه وليشد على نفسه وفرسه ثم اني هازها لكم الثانية فلينظر كل رجل منكم موقع سهمه وموضع عدوه ومكان فرصته ثم اني هازها لكم الثالثة وحامل فاحملوا على اسم الله * وللنعمان بن مقرن هذا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا تكاملت وتطلع الصحابة الى التقدم عليهم لأقلدن أعنتها رجلا يكون غداء لأول أسنة يلقاها فقلدها النعمان بن مقرن (وقال علي رضي الله عنه) انتهزوا الفرصة فانها تمر مر السحاب ولا تطلبوا أثرا بعد عين (وقال بعض الحكماء) انتهز الفرصة فانها خلسة وتثبت عند رأس الامر ولا تثبت عند ذنبه واياك والعجز فانه أذل مركب والشفيع المهين فانه أضعف وسيلة (وخرجت) خارجة بخراسان على قتيبة بن مسلم فأهمه ذلك فقيل له ما يهمك منهم وجه اليهم وكيع بن أبي سود فانه يكفيكهم فقال لا ان وكيعا رجل به كبر يتحاقر أعداءه ومن كان هكذا قلت مبالاته بأعدائه فلم يحترس منهم فيجد عدوه غرة منه (وسئل) بعض الملوك عن وثائق الحزم في القتال فقال مخاتلة العدو وعن الريف واعداد العيون على الرصد واعطاء المبلغين على الصدق ومعاقبة المتوصلين بالكذب وان لا تخرج هاربا الى قتال ولا تضيق أمانا على مستأمن ولا تشرهك الغنيمة على المحاذرة * وفي بعض كتب العجم ان حكيما سئل عن أشد الامور تدريبا للجنود وشحذا فقال تعود القتال وكثرته وان يكون لها مواد من ورائها * وقال عمرو ابن العاصي لمعاوية والله ما أدري يا أمير المؤمنين أشجاع انت أم جبان فقال معاوية

شجاع اذا ما أمكنتني فرصة * وان لم تكن لي فرصة فجبان

(وقال) الاحنف بن قيس ان رأيت الشر يتركك فاتركه قال هدبة العذري

ولا أتمنى الشر والشر تاركي * ولكن متى أحمل على الشر أركب
ولست بمفراح اذا الدهر سرني * ولا جازع من صرفه المتقلب

(الصبر والاقدام في الحرب) جمع الله تبارك وتعالى تدبير الحرب في آيتين من كتابه فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين (وتقول) العرب الشجاعة وقاية والجبن مقتلة واعتبر ذلك أمن يقتل مدبرا أكثر أم من يقتل مقبلا (ولذلك) قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه لخالد بن الوليد احرص على الموت توهب لك الحياة والعرب تقول الشجاع موقى والجبان ملقى (وقال) أعرابي الله مخلف ما أتلف الناس والدهر متلف ما جمعوا وكم من منية علتها طلب الحياة وحياة سببها التعرض للموت (وكان) خالد بن الوليد يسير في الصفوف يوم الناس ويقول يا أهل الاسلام ان الصبر عز وان الفشل عجز وان مع الصبر النصر (وكتب أنوشروان) الى مرازبته عليكم بأهل السخاء والشجاعة فانهم أهل حسن الظن بالله (وقالت الحكماء) استقبال الموت خير من استدباره (وقال حسان بن ثابت)

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما

(وقال العلوي)

محرمة أكفال خيلي على القنا * ودامية لباتها ونحورها
حرام على أرماحنا طعن مدبر * وتندق منها في الصدور صدورها

وكانوا يتمادحون بالموت قعصا ويتهاجون بالموت على الفراش ويقولون فيمن مات فلان حتف أنفه وأول من قال ذلك النبي عليه الصلاة والسلام (وخطب عبد الله بن الزبير) الناس لما بلغه قتل المصعب أخيه فقال ان يقتل فقد قتل أبوه وأخوه وعمه انا والله لا نموت حتفا ولكن قطعا بأطراف الرماح وموتا تحت ظلال السيوف وان يقتل المصعب فان في آل الزبير خلفا منه (وقال السموأل)

قسرا يقاد الى المنية متعبا
رسف المقيد وهو عان موثق
أمحمد ها أنت ضنء كريمة
في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما
منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
فالنضر أقرب من قتلت قرابة
وأحقهم ان كان عتق يعتق
أو كنت قابل فدية فلينفقن
بأعز ما يغلى به من ينفق

فذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها ودمعت عيناه وقال لأبي بكر لو كنت سمعت شعرها ما قتلته والنضر هذا هو النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار قال الزبير بن بكار وسمعت بعض أهل العلم يغمز في أبيات قتيلة بنت الحرث ويقول انها مصنوعة (ودخل) أبو بكر الصديق رضوان الله عليه على النبي عليه الصلاة والسلام وهو مسجى بثوب فكشف عنه الثوب وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وطبت ميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الانبياء من النبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا ان موتك كان اختيارا منك لجدنا لموتك بالنفوس ولولا انك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء الشؤون فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادناف يتحالفان ولا يبرحان اللهم فأبلغه عنا السلام اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نبيك عنا

وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظباة نفوسنا * وليس على غير السيوف تسيل

(وقال آخر) وانا لتسخو على المنايا بأنفسنا * ونترك أخرى مرها فنذوقها

(وقال الشنفرى) فلا تدفنونى ان دفنى محرم * عليكم ولكن خامرى أم عامر
اذا احتملت رأسى وفى الرأس أكثرى * وغودر عند الملتقى ثم سائرى
هنالك لا أبغى حياة تسرنى * سجيس الليالى مبتلى بالجرائر

قوله خامرى أم عامر هى الضبع وهذا اللفظ بعيد من المعنى (وقال على بن أبى طالب) رضى الله تعالى عنه بقية السيف أنمى عددا وأطيب ولدا يريد ان السيف اذا أسرع فى أهل بيت كثر عددهم ونمى ولدهم (ومما يستدل به) على صدق قوله ما عمل السيف فى آل الزبير وآل أبى طالب وما أكثر من عددهم

(وقال أبو دلف العجلى)

سيفى بليلى جليسى * وفى نهارى أنيسى * انى فتى عزتى
مهرى ركوب القنيص * بحمد سيفى كماقد * بحمد كرى فريسى

(وقال محمد بن عبد الله بن طاهر صاحب خراسان)

لست لريحان ولا راح * ولا على الجار بنفاح * فان أردت الآن لى موقفا
فبين أسياف وأرماح * ترى فتى تحت ظلال القنى * يقبض أرواحا بأرواح

(وقال أشهب بن رميلة) أسود شرى لاقت أسود خفية * تلاقوا على جرد ظماء الأساود

(وقيل) للمهلب بن أبى صفرة ما أعجب ما رأيت فى حرب الأزارقة قال فتى كان يخرج الينا منهم فى كل غداة فيقف فيقول
وسائلة بالغيب عنى ولو درت * مقارعتى الأبطال طال نحيبها
اذا ما التقينا كنت أول فارس * يجود بنفس أثقلتها ذنوبها

ثم يحمل فلا يقوم له شئ الا أقعده فاذا كان من الغد عاد لمثل ذلك (وقال هشام بن عبد الملك) لأخيه مسلمة هل دخلك ذعر قط لحرب أو عدو قال ما سلمت من ذلك من ذعر ينبه على حيلة ولم يغشنى ذعر سلبنى رأيى قال هشام هذه والله البسالة (وقيل لعنترة) كم كنتم يوم الفروق قال كنا مائة كالذهب لم نكثر فنتكل ولم نقل فنذل (وكان يزيد بن المهلب) يتمثل كثيرا فى الحرب بقول حصين بن الحمام
تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل ان أتقدما

(وقالت الخنساء) نهين النفوس وبذل النفو * س يوم الكريهة أبقى لها

(وقيل) لعباد بن الحصين وكان من أشد أهل البصرة فى أى عدة كنت تريد ان تلقى عدوك قال فى أجل مستأخر (وكان) مما يتمثل به معاوية رضى الله عنه يوم صفين

أبت لى شيمتى وأبى بلائى * وأخذى الحمد بالثمن الربيح
واقدامى على المكروه نفسى * وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات * وأحمى بعد عن عرض صحيح

(ونظير هذا قول قطرى بن الفجاءة)

وقولى كلما جشأت لنفسى * من الأبطال ويحك لا تراعى
فانك لو سألت حياة يوم * سوى الأجل الذى لك لم تطاعى

(وكان) على بن أبى طالب رضى الله عنه يخرج كل يوم بصفين حتى يقف بين الصفين ويقول
أى يومى من الموت أفر * يوم لا يقدر أو يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه * ومن المقدور لا ينجى الحذر

(ومثله قول جرير) قل للجبان اذا تأخر سرجه * هل أنت من شرك المنية ناج

(وهذا)

واحفظه فمنام خوبج (قوله رضى الله عنه لولا ان موتك كان اختيارا منك) انما يريد قول النبى صلى الله عليه وسلم لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير قالت عائشة رضى الله عنها فسمعته وقد شخص بصره وهو يقول فى الرفيق الأعلى فعلمت انه خير فقلت لا يختارنا اذن وقلت هو الذى كان يحدثنا وهو صحيح (وكان) أبو بكر لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرضه بالسنح فتواترت اليه الرسل أتى وقد ذهل الناس فكانوا كالخرس وتفرقت أحوالهم واضطربت أمورهم فكذب بعضهم بموته وصمت آخرون فما تكلموا الا بعد التغيير وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وحق لهم ذلك للرزية العظمى والمصيبة الكبرى التى هى بيضة العصر وبيضة الدهر ومدى المصائب ومنتهى النوائب فكل مصيبة بعدها جلل عندها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ليتعز المسلمون فى مصائبهم المصيبة بى (وكان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه ممن كذب بموته وقال ما مات وليرجعنه الله فليقطعن أيدى المنافقين وأرجلهم يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت وانما واعده ربه كما واعد موسى وهو يأتيكم (وأما عثمان) رضى الله عنه فكان ممن أخرس فجعل لا يكلم أحدا يؤخذ بيده ويجاء به فينقاد (وأما على) رضى الله عنه فلم يطبه الأرض فقعد ولم يبرح من البيت حتى دخل أبو بكر وهو فى ذلك جلد العقل والمقالة فأكب عليه وكشف عن وجهه

(وهذا) البيت فى شعره الذى أوله * هذا الفراق اقابات المحتابج * ومدح فيه الحجاج فلما أنشده قال لمسان البيت قال له جرأت على الناس يا ابن اللخناء قال والله ما ألقيت لها بالا أيها الامير الا وقى هذا (وكان) عاصم بن الحدثان عالما ذكيا وكان رأس الخوارج بالبصرة وربما جاء الرسول من الجبلة يسأله عن الامر يختصمون فيه فربه الفرزدق فقال لابنه أنشدا بافراس فانشده

وهم اذا كسروا الجفون اكارم * صبروحين تحلل الازرار * يغشون حامات المنون وانها
فى الله عند نفوسهم لصغار * يمشون بالخطى لا ثنيهم * والقوم ان ركبوا الرماح تجار

فقال له الفرزدق اكتم هذا لا يسمعه الساجون فيخرجوا علينا بسيوفهم فقال أبوه هو شاعر المؤمنين وانت شاعر الكافرين (ونظيره ذا) مما يشجع الجبان قول عنترة

بكرت تخوفنى الحتوف كأنى * أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها ان المنية منهل * لابد أن أسقى بكأس المنهل
فاقنى حياءك لا أبالك واعلمى * انى امرؤ سأموت ان لم أقتل

(ومن أحسن) ما قالوه فى الصبر قول نهشل بن حرى بن ضمرة النهشلى

ويوما كأن المصطلين بحره * وان لم تكن نار قعود على جمر
صبرنا له حتى يبوخ وانما * تفرج أيام الكريهة بالصبر

(وأحسن من هذا قول حبيب)

فأثبت فى مستنقع الموت رجله * وقال لها من تحت أخمصك الحشر
تردى ثياب الموت حمرا فما أتى * لها الليل الا وهى من سندس خضر

(وأحسن من هذا قوله) يستعذبون مناياهم كأنهم * لا يخرجون من الدنيا اذا قتلوا

(وقوله فى المعنى) قوم اذا لبسوا الحديد حسبتهم * لم يحسبوا ان المنية تخلق
انظر بحيث ترى السيوف لوامعا * أبدا وفوق رؤسهم تتألق

(وقال الجحاف بن حكيم)

شهدن مع النبى مسومات * حنينا وهى دامية الحوام * ووقعة راهط شهدت وحلت
سنابكهن بالبلد الحرام * تعرض للطعان بكل ثغر * خدود الا تعرض للاطام

اخذه من قولهم ضربة بسيف فى عز خير من لطمة فى ذل (ومن أحسن) ما وصفت به رجال الحرب قول الشاعر

روبدا بنى شيبان بعض وعيدكم * تلاقوا غدا خيلى على سفوان
تلاقوا رجالا لا تحيد عن الوغى * اذا الخليل جالت فى قنا الميدان
اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم * لاية أرض أو لاى مكان

(ونظيره هذا قول الآخر)

قوم اذا نزل الغريب بدارهم * تركوه رب صواهل وقيان
واذا دعوتهم ليوم كريهة * سدوا شعاع الشمس بالفرسان
لا ينكتون الارض عند سؤالهم * لتطلب العلات بالعيدان
بل يسفرون وجوههم فترى لها * عند السؤال كأحسن الالوان

(ومن) أحسن المحدثين تشبيها فى الحرب مسلم بن الوليد الانصارى فى قوله ليزيد بن مزيد

تلقى المنية فى أمثال عدتها * كالسيل يقذف جلمودا بجلمود
تجود بالنفس اذ ضن الضنين بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(وقوله أيضا) موف على مهج فى يوم ذى رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل
ينال بالرفق ما تعيا الرجال به * كالموت مستعجلا يأتى على مهل

وقبل جبينه وبكى بكاء شديدا وقال الكلام الذى قدمته ولما خرج الى الناس وهم فى شديد غمراتهم وعظيم سكراتهم قام فيهم خطيبا خطبة جلها الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وقال فيها أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله وأشهد أن الكتاب كما نزل وأن الدين كما شرع وان الحديث كما حدث وان القول كما قال وان الله هو الحق المبين فى كلام طويل ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت وان الله قد تقدم اليكم فى أمره فلا تدعوه جزعا وان الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم وقبضه الى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم فعاجلوه بالذى تعجزونه ولا تستنظروه فيلحق بكم فلما فرغ من خطبته قال يا عمر بلغنى انك تقول ما مات نبى الله اما علمت انه قال فى يوم كذا وكذا وفى يوم كذا وكذا قال الله تبارك وتعالى انك ميت وانهم ميتون فقال عمر والله لكأنى لم أسمع بها فى كتاب الله قبل ما نزل بنا أشهد ان الكتاب كما نزل وان الحديث كما حدث وان الله حى لا يموت وانا لله وانا اليه راجعون ثم جلس الى جنب ابى بكر رحمه الله (قالت عائشة) رضوان الله عليها لما قبض رسول الله صلى الله عليه

(وقال أبو العتاهية)

كأنك عند الكرب في الحرب انما * تفر عن الكرب الذي من ورائكا
كأن المنايا ليس تجري لدى الوغى * اذا التقت الابطال الا برايكا
فما آفة الآجال غيرك في الوغى * وما آفة الاموال الا حباؤكا

(وقال زيد الخليل) وقد علمت سلامة أن سيفي * كريه كلما دعيت نزال
أحادثه بصقل كل يوم * وأعجمه بهامات الرجال

(وقال أبو محلم السعدي) تقول وصكت وجهها بيمينها * أبعلي هذا بالرحا المتقاعس
فقلت لها الا تعجلي وتبيني * بلائي اذا التفت على الفوارس
ألست أرد القرن يركب ردعه * وفيه سنان ذو عراقيب يابس
اذا هاب أقوام تجشمت كلما * يهاب حمياه الالد المداعس
لعمر أبيك الخير اني لخادم * لضيفي واني ان ركبت لفارس

(وقال آخر يمدح المهلب بالصبر)

واذا بعدت فكل شئ نافع * واذا حددت فكل شئ ضائر
واذا أتاك مهلبي في الوغى * في كفه سيف فنعم الناصر

(ومن قولنا في القائد أبي العباس في الحرب)

نفسي فداؤك والابطال واقفة * والموت يقسم في أرواحها النقما
شاركت صرف المنايا في نفوسهم * حتى تحكمت فيها مثل ما احتكما
لو تستطيع العلا جاءتك خاضعة * حتى تقبل منك الكف والقدما

(ومن قولنا في وصف الحرب)

سيوف يقبل الموت تحت ظباتها * لها في الكلى طعم وبين الكلى شرب
اذا اصطفقت الرايات حمرا متونها * ذوائبها تهفو وفيهم فولها القلب
ولم تنطق الابطال الا فعالها * فألسنها تجحم وأفعالها عرب
اذا ما التقوا في مأزق وتعانقوا * فلقياهم طعن وتعنيقهم ضرب

(ومن) قولنا في رجال الحرب وان الوغى قد أخذت منهم ومن أجسامهم فهي مثل السيوف في رقتها وصلابتها

سيف تقلد مثله * عطف القضيب على القضيب
هذا تخذيه الرقا * ب وذا تجذبه الخطوب

(ومن قولنا أيضا) تراه في الوغى سيفا صقيلا * يقلب صفحتي سيف صقيل

(ومن قولنا أيضا) سيف عليه نجاد سيف مثله * في حده للمفسدين صلاح

(ومن قولنا أيضا في الحرب وذكر القائد)

مقيلك تحت أظلال العوالي * وبيتك فوق صهوات الجياد * تبختر في قميص من دلاص
وترفل في رداء من نجاد * كأنك للحروب رضيع ثدي * غذتك بكل داهية وناد
فكم هذا التجني للمنايا * وكم هذا التجلد للعلاد * أأمن عرف الجهاد بكل عام
فانك طول دهرك في جهاد * وانك حين أبت بكل سعد * كمثل الروح آب الى الفؤاد
رأينا السيف مرتديا بسيف * وعاينا الجواد على الجواد

(وقد) وصفنا الحرب بتشبيه عجيب لم يتقدم عليه ومعنى بديع لا نظير له (فمن ذلك قولنا)

وجيش كظهر اليم تنفحه الصبا * يعب عبابا من قنا وقنابل * فمنزل أولاه وليس بنازل
وبرحل أخراه وليس براحل * ومعترك ضنك تعاطت كماته * كؤس دماء من كلى ومفاصل
يديرونها راحا من الراح بينهم * ببيض رقاق أو بسمر ذوابل
وتسعهم أم المنية وسطها * غناء صليل البيض تحت المناصل

(ومن

وسلم نجم النفاق وارتدت العرب وكان المسلمون كالغنم الشاردة في الليلة الماطرة فحمل ابي ما لو حملته الجبال لهاضها فوالله ان اختلفوا في مقام الا ذهب بحظه ورشده وغنائه وكنت اذا نظرت الى عمر علمت انه انما خلق للاسلام فكان والله أحوذيا قسيج وحده قد أعد للامور أقرانها (وحدث أبو بكر بن دريد عن عبد الاول بن يزيد قال حدثني رجل في مجلس يزيد ابن هرون بالبصرة قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم دفن ورجع المهاجرون والانصار الى رحالهم ورجعت فاطمة الى بيتها فاجتمع اليها نساؤها فقالت

اغبر آفاق السماء وكورت
شمس النهار وأظلم العصران
فالارض من بعد النبي كئيبة
اسفا عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها
وليبكه مضر وكل يمان
وليبكه الطود المعظم جوه
والبيت ذو الاستار والاركان
ياخاتم الرسل المبارك ضوؤه
صلى عليك منزل الفرقان

(وكان أبو) بكر رضي الله عنه اذا أثني عليه يقول اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم فاجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي برحمتك ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون (وقال) رضي الله عنه في بعض خطبه انكم في مهل من ورائه أجل فبادروا في مهل آجالكم قبل أن تنقطع آمالكم فتردكم الى سوء أعمالكم (وذكر) أبو بكر الملوك فقال ان الملك اذا ملك زهده الله في ماله ورغبه في مال

(ومن قولنا في هذا المعنى) سيف من الحتف تردى به * يوم الوغى سيف من الحزم
مواصلا أعداءه عن قلى * لا صلة القربى ولا الرحم * وظل يحفى الالف من بغضه
شوقا الى الهجران والصرم * حتى اذا نادمهم سقه * بكل كأس مرة الطعم
* ترى حباها بها ماتتم * تمور بين الجلد والعظم * على أهازيج ظباتيها
ماشئت من خرق ومن خرم * ما عوا له من بعد عصيانهم * وطاعة الاعداء عن رغم
وكم اعدوا واستعدوا له * هيهات ليس الهضم كالقضم
(ومن قولنا) كم الحم السيف في ابناء ملحمة * ما منهم فوق متن الارض ديار
واوردا النار من أرواح مارقة * كادت تميز من غيظ لها النار
كأنما صال في ثنيي مفاضته * مستأسد حنق الاحشاء هدار
لما رأى الفتنة العمياء قد رحبت * منها على الناس آفاق واقطار
واطبقت ظلم من فوقها ظلم * ما يستضاء بها نور ولا نار
قاد الجياد الى الاعداء سارية * قباطواها كطي العصب اضمار
ملمومة تتبارى في ململمة * كأنها لاعتدال الخلق افهار
تزورّ عن دا حساس الطعن أعينها * وهن من فرجات النقع نظار
تفوت بالطعن أقواما وتدركه * من آخرين اذا لم يدرك الثار
فانساب ناصر دين الله يقدمهم * وحوله من جنود الله انصار
كتائب تتبارى حول رايته * وجحفل كسواد الليل جرار
قوم لهم في مكرّ الليل غمغمة * تحت العجاج واقبال وادبار
يستقبلون كراديسا مكردسة * كما تدفع بالتيار تيار
من كل اروع لا يرعى لهاجسة * كأنه مخدر في الغيل هصار
في قسطل من عجاج الحرب مدّله * بين السماء وبين الارض استار
فكم بساحتهم من شلو مطرح * كأنه فوق ظهر الارض أجار
كأنما رأسه اقلات حنظلة * وساعداه الى الزندين جمار
وكم على النهر أوصالا مفرّقة * تقسمتها المنايا فهي اشطار
قد فلقت بصفيح الهند هامتهم * فهن بين سواحي الغيل اعشار
(ومن قولنا في الحروب) وحومة غادرت فرسانها * في معرك للحرب جعجاع
مستلحم للموت مستعبر * مفرق للشمل جماع * وبلدة قد صحصحت منها الربا
لغيلق كالسيل دفاع * كأنما باضت نعام الفلا * منهم بهام فوق أدراع
تراهم عند احتماس الوغى * كأنهم جن بأجزاع * بكل مأثور على متنه
مثل مدب النمل في القاع * يرتد طرف العين من حده * عن كوكب للموت لماع
(ومن قولنا في الحروب)
ورب ملتفة العوالي * يلتمع الطرف في ذراها * اذا توطت حزون أرض
طحطحت الشم في رباها * يقودها منه ليث غاب * اذا رأى فرصة قضاها
تعصى بآرائه سيوف * يستبق الموت في ظباها * بيض تخلى القلوب سودا
اذا انتضى عزمه انتضاها * تتبعه الطير في الاعادي * يجني كلا العشب من كلاها
أقدم اذ كسع كل ليث * عن حومة الموت اذ رآها * فاقتحم الموت في غمار
تفغر بالموت لهوتاها * عنت له أوجه المنايا * فعافها القوم واشتهاها

خيره واشرب قلبه الاشفاق فهو يسخط على الكثير ويحمد على القليل جذل الظاهر حزين الباطن حتى اذا وجبت نفسه ونضب عمره ومضى ظاله حاسبه الله فاشد حسابه وأقل الانصار عنه عقوبة (وذكر) انه وصل الى أبي بكر مال من البحرين فساوى فيه بين الناس فغضبت الانصار وقالوا له فضلنا فقال أبو بكر صدقتم ان أردتم ان أفضلكم صار ما عملتموه للدنيا وان صبرتم كان ذلك لله عز وجل فقالوا والله ما عملنا الا لله تعالى وانصرفوا فرقي أبو بكر المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال يا معشر الانصار ان شئتم ان تقولوا انا آويناكم في ظلالنا وشاطرناكم في أموالنا ونصرناكم بأنفسنا لقلتم وان لكم من الفضل مالا يحصيه العدد وان طال به الامد فنحن وانتم كما قال طفيل الغنوي

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت
بنا نعلنا في الواطئين فزلت
ابوا ان يملونا ولو ان أمنا
تلاقي الذي يلقون منا لملت
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم
ظلال بيوت أدفأت وأظلت

(ونقر من كلامه رضي الله عنه) صنائع المعروف تقي مصارع السوء الموت أهون مما بعده وأشد مما قبله ليست مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر ان الله قرن وعده بوعيده ليكون العبد راغبا راهبا (ولما) توفي رضي الله عنه وقفت عائشة على قبره

﴿فرسان العرب في الجاهلية والاسلام﴾ كان فارس العرب في الجاهلية ربيعة بن مكدم من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة وكان يعقر على قبره في الجاهلية ولم يعقر على قبر احد غيره (قال) حسان بن ثابت وقد مر على قبره

نفرت قلوصي من حجارة حرة * بنيت على طلق اليدين وهوب
لا تنفري يا ناق منه فانه * شريب خمر مسعر لحروب
لولا السفار وطول قفر مهمه * لتركتها تحبو على عرقوب

(وكان) بنو فراس بن غنم بن كنانة أنجد العرب كان الرجل منهم يعدل عشرة من غيرهم وفيهم يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأهل الكوفة من فاز بكم فقد فاز بالسهم الاخيب أبدلكم الله بي من هو شر لكم وأبدلني بكم من هو خير منكم وددت والله ان لي بجميعكم وانتم مائة ألف ثلثمائة من بني فراس بن غنم (ومن فرسان العرب في الجاهلية) عنترة الفوارس وعتيبة بن الحرث بن شهاب وأبو براء عمرو بن مالك ملاعب الاسنة وزيد الخيل وبسطام بن قيس والاحيمر السعدي وعامر بن الطفيل وعمرو بن عبد ود وعمرو بن معد يكرب وفي الاسلام عبد الله بن حازم السلمي وعباد بن الحصين وعمير بن الحباب وقطري بن الفجاءة والحريش بن هلال السعدي وشبيب الحروري وقالوا اما استحيا شجاع قط أن يفر عن عبد الله بن حازم وقطري بن الفجاءة صاحب الازارقة وقالوا ذهب حاتم بالسخاء والاحنف بالحلم وخريم بالنعمة وعمير بن الحباب بالسر * وبينا عبد الله بن حازم عند عبيد الله بن زياد اذ دخل جرذ أبيض فعجب منه عبيد الله وقال هل رأيت يا أبا صالح أعجب من هذا ونظره فاذا عبد الله قد تضاءل حتى صار كأنه فرخ واصفر كأنه جرادة ذكر فقال عبيد الله أبو صالح يعصي الرحمن ويتهاون بالسلطان ويقبض على الثعبان ويمشي الى الليث ويلقى الرماح بنحره وقد اعتراه من جرذ ما ترون أشهد أن الله على كل شئ قدير (وكان) شبيب الحروري يصيح في جنبات الجيش فلا يلوي أحد على أحد (وفيه يقول الشاعر) ان صاح يوما حسبت الصخر منحدرا * والريح عاصفة والموج يلتطم

(ولما قتل) أمر الحجاج بشق صدره فاذا له فؤاد مثل فؤاد الجمل فكانوا اذا ضربوا به الارض ينزو كما تنزو المثانة المنفوخة * ورجال الانصار أشجع الناس قال عبد الله بن عباس ما استلت السيوف ولا زحفت الزحوف ولا أقيمت الصفوف حتى أسلم ابنا قيلة يعني الأوس والخزرج وهما الانصار من بني عمرو بن عامر من الازد (العتبي) لما أسن أبو براء عامر بن مالك وضعفه بنو أخيه وخرفوه ولم يكن له ولد يحميه أنشأ يقول دفعتكم عني وما دفع راحة * بشئ اذا لم يستعن بالانامل

يضعفني حلمي وكثرة جهلكم * علي واني لا أصول بجاهل

(وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه اذ رأى همدان وغناءها في الحرب يوم صفين

ناديت همدان والابواب مطبقة * ومثل همدان سنى فتحة الباب
كالهندواني لم تفلل مضاربه * وجه جميل وقلب غير وجاب

(وقال ابن براقة الهمداني) كذبتم وبيت الله لا تأخذونها * مراغمة ما دام للسيف قائم
متى يجمع القلب الذكي وصارما * وانفا حميا تجتنبك المظالم
وكنت اذا قوم غزوني غزوتهم * فهل أنا في ذا آل همدان ظالم

(وقال تأبط شرا) قليل التشكي للهم يصيبه * كثير النوى شت الهوى والمسالك
يبيت بموماة ويضحي بغيرها * جحيشا ويعروري ظهور المهالك
اذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل * له كالئ من قلب شيحان فاتك
ويجعل عينيه ربيئة قلبه * الى سلة من حد أخضر باتك
اذا هزه في عظم قرن تهللت * نواجذ أفواه المنايا الضواحك

فقالت نضر الله وجهك يا أبت وشكر لك صالح سعيك فلقد كنت للدنيا مذلا باد بارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ولئن كان أجل الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك وأعظم المصائب بعده فقدك ان كتاب الله ليعد بحسن الصبر عنك حسن العوض منك وأنا أستنجز موعود الله تعالى بالصبر فيك وأستقضيه بالاستغفار لك أما لئن كانوا قاموا بأمر الدنيا فلقد قمت بأمر الدين لما وهى شعبه وتفاقم صدعه ورجفت جوانبه فعليك سلام الله توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك (وقال أبو بكر لبلال) لما قتل امية بن خلف وقد كان يسومه سوء العذاب بمكة فيخرجه الى الرمضاء فيلقي عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الاسلام فعصمه الله من ذلك

هنيأ زادك الرحمن خيرا
فقد أدركت ثأرك يا بلال
فلا نكسا وجدت ولا جبانا
غداة تنوشك الاسل الطوال
اذا هاب الرجال ثبت حتى
تخالط أنت ما هاب الرجال
على مضض الكلوم بمشرفي
جلا اطرافه متنيه الصقال

(وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه) الى ابنه عبد الله أما بعد فانه من اتقى الله وقاه ومن توكل عليه كفاه ومن شكر له زاده ومن اقرضه جزاه فاجعل التقوى عماد قلبك وجلاء بصرك فانه لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسنة له ولا جديد لمن لا خلق

(وقال

(وقال المخزومى وكان شجاعا)

وما يريد بنوالاغيار من رجل * بالجمر مكتحل بالنبل مشتمل

لايشرب الماء الا من قليب دم * ولا يبيت له جار على وجل

(ونظير هذا قول بشار العقيلى) فتى لا يبيت على دمنة * ولا يشرب الماء الا بدم

(وقال) عبد الله بن الزبير التقيت بالاشتر يوم الجمل فما ضربته ضربة حتى ضربنى خمسا أوستا ثم أخذ برجلى فالقانى فى الخندق وقال والله لولا قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع منك عضو الى آخر (وقال) أبو بكر بن أبى شيبة اعطت عائشة الذى بشرها بحياة ابن الزبير اذ التقى مع الاشتر عشرة آلاف (وذكر) متمم بن نويرة أخاه مالكا وجلده فقال كان يخرج فى الليلة الصنبرة عليه الشملة الفلوت بين المزادتين على الجمل الثفال معتقل الرمح الخطى قالوا وأبيك ان هذا هو الجلد (وكتب) عمر بن الخطاب الى النعمان بن مقرن وهو على الصائفة ان استعن فى حربك بعمرو بن معد يكرب وطليحة الازدى ولا تولهما من الامر شيأ فان كل صانع أعلم بصناعته (وقال عمرو بن معد يكرب) يصف صبره وجلده فى الحرب

أعاذل عدتى بدنى ورمحى * وكل مقلص سلس القياد
أعاذل انما أفنى شبابى * اجابتى الصريخ الى المنادى
مع الابطال حتى سل جسمى * واقرح عاتقى حمل النجاد
ويبقى بعد حلم القوم حلمى * ويفنى قبل زاد القوم زادى
ومن عجب عجبت له حديث * بديع ليس من بدع السداد
تمنى أن يلاقينى قييس * وددت وأينما منى ودادى
فمن ذا عاذرى من ذى سفاه * يرود بنفسه شر المراد
عمانى وسابغتى قميصى * كأن قتيرها حدق الجراد
وسيف لابن ذى قيعان عندى * تخير نصله من عهد عاد
فلو لاقيتنى للقيت ليثا * هصورا ذا ظبا وشبا حداد
ولاستيقنت ان الموت حق * وصرح شحم قلبك عن سواد
أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

(ومن قوله فى قيس بن مكشوح المرادى)

تمنانى على فرس * عليه جالس أسده
على مفاضة كالنهـ * ـر خاص ماءه جدده
فلو لاقيتنى للقيـ * ـت ليثا فوقه لبده
سبنتى ضيغما هصرا * صلخدا ناشزا كتده
يسامى القرن ان قرن * تيممه فيعتضده
فيأخذه فيرفعه * فيخفضه فيقتصده
فيدمغه فيحطمه * فيخضمه فيزدرده

﴿المكيدة فى الحرب﴾ قال النبى صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة (وقال) المهلب لبنيه عليكم بالمكيدة فى الحرب فانها أبلغ من النجدة (وكان) المهلب يقول أناة فى عواقبها فوت خير من عجلة فى عواقبها درك (وقال) مسلمة بن عبد الملك ما أخذت أمرا قط بحزم فلمت نفسى فيه وان كانت العاقبة على ولا أخذت أمرا قط وضيعت الحزم فيه وان كانت لى العاقبة (وسئل) بعض أهل التمرين بالحرب أى المكايد فيها أحزم قال اذكاء العيون وافشاء الغلبة واستطلاع الاخبار واظهار السرور وأمانة الفرق والاحتراس من المكايد الباطنة من غير استقصار لمستنصح ولا استناد لمستغش واشتغال الناس عما هم فيه من الحرب بغيره (وفى كتاب) للهند الحازم يحذر عدوه على كل حال يحذر المواثبة ان قرب والغارة ان بعد والكمين ان انكشف والاستطراد ان ولى (وكتب الحجاج) الى المهلب يستعجله فى حرب الازارقة فكتب اليه ان من البلية أن تكون الرأى بيد من يملكه دون من يبصره (وكان بعض أهل التمرين) يقول لاصحابه شاوروا فى حربكم الشجعان من أولى العزم والجبناء من أولى الحزم فان الجبان لا يألو برأيه ما يقى مهجكم والشجاع لا يعدو ما يشد بصائركم ثم خلصوا من بين الرأيين نتيجة تحمل عنكم معرة الجبان وتهور الشجعان فتكونون أنفذ من السهم الزالج والحسام الوالج (وكان الاسكندر)

له (ودخل) عدى بن حاتم على عمر فسلم وعمر مشغول فقال ياأمير المؤمنين انا عدى بن حاتم فقال ما أعرفنى بك آمنت اذ كفروا ووفيت اذ غدروا وعرفت اذ انكروا واقبلت اذ أدبروا (وقال رجل لعمر) من السيد قال الجواد حين يسئل الحليم حين يستجهل الكريم المجالسة لمن جالسه الحسن الخلق لمن جاوره (وقال رضى الله عنه) ما كانت الدنيا هم رجل قط الا لزم قلبه أربع خصال فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضى مداه وشغل لا ينفد أولاه وأمل لا يبلغ منتهاه

﴿فصول قصار من كلامه رضى الله تعالى عنه﴾

من كتم سره كان الخيار فى يده اشقى الولاة من شقيت به رعيته اعقل الناس اعذرهم للناس ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا مر ذوى القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا قلما ادبر شئ فأقبل اشكوا الى الله ضعف الامين وخيانة القوى تكثروا من العيال فانكم لاتدرون بمن ترزقون لو ان الشكر والصبر بعيران ما باليت ايهما اركب من لا يعرف الشر كان اجدر أن يقع فيه (وقال معاوية بن أبى سفيان) لصعصعة ابن صوحان صف لى عمر بن الخطاب فقال كان عالما برعيته عادلا فى قضيته عاريا من الكبر قبولا للعذر سهل الحجاب مصون الباب متحريا للصواب رفيقا بالضعيف غير محاب للقريب ولا جاف للغريب (وروى) ان عمر

لا يدخل مدينة الا هدمها وقتل أهلها حتى مر بمدينة كان مؤدبه فيها فخرج اليه فاطلقه الاسكندر واعظمه فقال له أصلح الله الملك ان أحق من زين لك أمرك وأعانك على كل ما هويت لانا وان أهل هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكاني منك فأحب أن لا تسعفني فيهم وأن تخالفني في كل ما سألتك لهم فأعطاه من العهود على ذلك ما لا قدر على الرجوع عنه فلما توثق منه قال فان حاجتي اليك أن تهدمها وتقتل أهلها قال ليس الى ذلك سبيل ولا بد من مخالفتك (قيل) صالح سعيد بن العاص حصنا من حصون فارس على ان لا يقتل منهم رجلا واحدا فقتلهم كلهم الا رجلا واحدا (ابن الكلبي) قال لما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل غزة فبعث اليه علجها ان ابعث الى رجلا من أصحابك أكلمه ففكر عمرو وقال ما لهذا أحد غيري قال فخرج حتى دخل على العلج فكلمه فسمع كلاما لم يسمع قط مثله فقال العلج حدثني هل في أصحابك أحد مثلك قال لا تسأل عن هذا اني هين عليهم اذ بعثوا بي اليك وعرضوني لما عرضوني له ولا يدرون ما تصنع بي قال فأمر له بجائزة وكسوة وبعث الى البواب اذا مر بك فاضرب عنقه وخذ ما معه فخرج من عنده فمر برجل من نصارى غسان فعرفه فقال يا عمرو قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج ففطن عمرو لما أراده فرجع فقال له الملك ما ردك الينا قال نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك يسع بني عمي فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية فيكون معروفك عند عشرة خيرا من أن يكون عند واحد فقال صدقت أعجل بهم وبعث الى البواب أن خل سبيله فخرج عمرو وهو يلتفت حتى اذا أمن قال لا عدت لمثلها أبدا فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج قال له أنت هو قال نعم على ما كان من غدرك (ولما أتي) بالهرمزان أسيرا الى عمر بن الخطاب قيل له يا أمير المؤمنين هذا زعيم العجم وصاحب رئيسهم فقال له عمر أعرض عليك الاسلام نصحا لك في عاجلك وآجلك قال يا أمير المؤمنين انما أعتقد ما أنا عليه ولا أرغب في الاسلام فدعا له عمر بالسيف فلما هم بقتله قال يا أمير المؤمنين شربة من ماء أفضل من قتلي على ظمأ فأمر له بشربة من ماء فلما أخذها قال أنا آمن حتى أشربها قال نعم فرمى بها وقال الوفاء يا أمير المؤمنين نور أبلج قال صدقت لك التوقف عنك وانظر في أمرك ارفعا عنه السيف فلما رفع عنه قال الآن يا أمير المؤمنين أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وما جاء به حق من عنده قال عمر أسلمت خير اسلام فما أخرك قال كرهت ان تظن اني أسلمت جزعا من السيف وايثار الرتبة بالرهبة فقال عمر ان لأهل فارس عقولا بها استحقوا ما كانوا فيه من الملك ثم أمر به أن يبر ويكرم فكان عمر يشاوره في توجيه العساكر والجيوش لأهل فارس (وهذا) نظير فعل الاسير الذي أتي به معن بن زائدة في جملة الاسرى فأمر بقتلهم فقال له أتقتل الاسرى عطاشا يا معن فأمر بهم فسقوا فلما شربوا قال أتقتل أضيافك يا معن فخلى سبيلهم (وذكروا) ان ملكا من ملوك العجم كان معروفا ببعد الغور ويقظة الفطنة وحسن السياسة وكان اذا أراد محاربة ملك من الملوك وجه اليه من يبحث عن أخباره وأخبار رعيته قبل أن يظهر محاربته فيكشف عن ثلاث خصال من حاله فكان يقول لعيونه انظروا هل ترد على الملك أخبار رعيته على حقائقها أم يخدعه عنها المهدي ذلك اليه وانظروا الى الغنى في أي صنف هو من رعيته أفيمن اشتد أنفه وقل شرهه أم فيمن قل أنفه واشتد شرهه وانظروا في أي صنف رعيته القوام بأمره أمن نظر ليومه وغده أم من شغله يومه عن غده فان قيل له لا يخدع عن أخباره والغنى فيمن قل شرهه واشتد أنفه والقوام بأمره من نظر ليومه وغده قال اشتغلوا عنه بغيره وان قيل له ضد ذلك قال نار كامنة تنتظر موقدا وأضغان مزملة تنتظر مخرجا اقصدوا له فلا حين أحين من سلامة مع تضييع ولا عدو أعدى من أمن أدى الى اغترار (وكانت ملوك العجم) قبل ملوك الطوائف تنزل بلخ ثم نزلت بابل ثم نزل أردشير بن بابك فارس فصارت دار ملكهم وصار بخراسان ملوك الهياطلة وهم الذين قتلوا فيروز بن يزدجرد بن بهرام ملك فارس وكان غزاهم فكاده ملك الهياطلة بأن عمد الى رجل ممن عرفه بالشطارة وحسن الادارة فأظهر السخط عليه وأوقع به على أعين الناس توقيعا قبيحا

ابن الخطاب رضي الله عنه شج فلما كان بضجنان قال لا اله الا الله العلي العظيم المعطي من شاء ما شاء كنت بهذا الوادي في مدرعة صوف أرعى ابل الخطاب وكان فظا يتعبني اذا عملت ويضربني اذا قصرت وقد أمسيت الليلة ليس بيني وبين الله أحد ثم تمثل

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته
يبقى الاله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه
والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجري الرياح له
والجن والانس فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت نوافلها
من كل أوب اليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب
لا بد من ورده يوما كما وردوا

(وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يوم فتح مكة)

ألم تر أن الله أظهر دينه
على كل دين قبل ذلك حائد
وأسلمه من أهل مكة بعدما
تداعوا الى أمر من الغي فاسد
غداة أجال الخيل في عرصاتها
مسومة بين الزبير وخالد
فأمسى رسول الله قد عز نصره
وأمسى عداه من قتيل وشارد

يريد الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالد بن الوليد سيف الله تعالى في الارض (ولما قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة قالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل زوجته ترثيه

عين جودي بعبرة ونحيب
لا تملي على الامين النجيب
فجعتني المنون بالفارس المعـ
ـلم يوم الهياج والتثويب

ونكاية تنكيلا شديدا ثم ارسله وقد واطأه على امر ابطنه معه وظاهره عليه فخرج حتى أتى فيروز في طريقه فأظهر النزوع اليه والانتصار به من عظيم ما ناله فلما رأى فيروز ما به من التوقيع والنكاية فيه وثق به واستنام اليه فقال أنا أدلك أيها الملك على غرة القوم وغدرتهم واعلم لك مكان غفلتهم فسلك به سبيل مسلكة معطشة ثم خرج اليه ملك الهياطلة فأسره وأكثر اصحابه فسألهم أن يمنوا عليه وعلى من معه واعطاهم موثقا لا يغزوهم أبدا ونصب لهم حجرا جعله حدا بينه وبينهم وحلف لهم أن لا يجاوزه هو ولا جنوده ومن حضره من قرابته فمنوا عليه وأطلقوه ومن معه فلما عاد الى مملكته داخلته الانفة مما أصابه فعاد الى غزوهم ناكثا العهد غادرا الذمة الا انه لطف في ذلك بحيلة ظنها مجزية في ايمانه فجعل الحجر الذي نصبه لهم على فيل في مقدمة عسكره وتأول في ذلك انه لا يجاوزه فلما صار اليهم ناشدوه الله وذكروه الاعتاب به وما جعل على نفسه من عهده وذمته فأبى الا لجاجا ونكثا فواقعوه فظفروا به فقتلوه وقتلوا حماته واستباحوا عسكره (اسامة بن زيد الليثي) قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غزا اخذ طريقا وهو يريد اخرى ويقول الحرب خدعة (زياد) عن مالك بن أنس قال كان مالك ابن عبد الله الخثعمي وهو على الصائفة يقوم في الناس كلما أراد أن يرحل فيحمد الله تعالى ويثني عليه ثم يقول اني دارب بالغداة ان شاء الله تعالى درب كذا فتتفرق الجواسيس عنه بذلك فاذا أصبح الناس سلك بهم طريقا أخرى فكانت تسميه الروم الثعلب ﴿وصايا امراء الجيوش﴾ كتب عمر بن عبد العزيز الى الجراح انه بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث جيشا أو سرية قال اغزوا بسم الله وفي سبيل الله تقاتلون من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا امرأة ولا وليدا فاذا بعثت جيشا أو سرية فمرهم بذلك (وكان عمر بن الخطاب) يقول عند عقد الالوية بسم الله وبالله وعلى عون الله امضوا بتأييد الله وما النصر الا من عند الله ولزوم الحق والصبر فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ولا تجبنوا عند اللقاء ولا تمثلوا عند القدرة ولا تسرفوا عند الظهور ولا تقتلوا هرما ولا امرأة ولا وليدا وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان وعند شن الغارات (ولما وجه أبو بكر رضي الله عنه) يزيد بن أبي سفيان الى الشام شيعه راجلا فقال له يزيد اما ان تركب واما ان أنزل فقال ما أنت بنازل وما أنا براكب اني احتسب خطاي هذه في سبيل الله ثم قال انك ستجد قوما حبسوا أنفسهم لله فذرهم وما حبسوا أنفسهم له يعني الرهبان وستجد قوما فحصوا عن أوساط رؤسهم فاضرب ما فحصوا عنه بالسيف ثم قال له اني موصيك بعشر لا تغدر ولا تمثل ولا تقتل هرما ولا امرأة ولا وليدا ولا تعقرن شاة ولا بعيرا الا ما أكلتم ولا تحرقن نخلا ولا تخربن عامرا ولا تغل ولا تجبن (وقال أبو بكر رضي الله عنه) لخالد بن الوليد سر على بركة الله فاذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا من الحملة فاني لا آمن عليك الجولة واستظهر بالزاد وسر بالادلاء ولا تقاتل بمجروح فان بعضه ليس منه واحترس من البيات فان في العرب غرة وأقلل من الكلام فان مالك ما وعي عنك واقبل من الناس علانيتهم وكلهم الى الله في سريرتهم واستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه (كتب خالد بن الوليد) الى مرازبة فارس مع ابن نفيلة الغساني الحمد لله الذي فض حرمتكم وفرق جمعكم وأوهن بأسكم وسلب ملككم وأذل عزكم فاذا أتاكم كتابي هذا فابعثوا الي بالرهن واعتقدوا مني الذمة وأجيبوا الى الجزية والا والله الذي لا اله الا هو لأسيرن اليكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا (كتب عمر بن الخطاب) الى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ومن معه من الاجناد أما بعد فاني آمرك ومن معك من الاجناد بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة في الحرب وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لان عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فان استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة

عصمة الناس والمعين على الدهـ
ـر وغيث المحروم والمحروب
قل لاهل الضراء والبؤس موتوا
قد سقته المنون كأس شعوب

(وقالت ايضا ترثيه)

وفجعني فيروز لا در دره
بأبيض تال للكتاب منيب
رؤف على الادنى غليظ على العدا
اخي ثقة في النائبات نجيب
متى ما يقل لا يكذب القول فعله
سريع الى الخيرات غير قطوب

وعاتكة هذه هي اخت سعيد ابن زيد احد العشرة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وكانت تحت عبد الله بن ابي بكر فأصابه سهم في غزوة الطائف فمات منه فتزوجها عمر رضي الله عنه فقتل عنها فتزوجها الزبير بن العوام فقتل عنها فكان علي رضي الله عنه يقول من احب الشهادة الحاضرة فليتزوج بعاتكة ﴿ومن كلام عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه﴾ ما يزع الله بالسلطان اكثر مما يزع بالقرآن سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عي بيانا وانتم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال قاله في اول خلافته وقد صعد المنبر وأرتج عليه وكتب الى علي رضي الله عنه وهو محصور أما بعد فقد بلغ السيل الزبى وتجاوز الحزام الطبيين وطمع في من لا يدفع عن نفسه ولم يعجزك كائد ولم يغلبك كغالب فأقبل الي معي كنت او علي على اي امريك احببت

فان كنت مأكولا فكن أنت آكلي
والا فأدركني ولما امزق

وهذا البيت للممزق العبدي وبه

ولا ننصر عليهم بفضلنا لم تغلبهم بقوتنا فاعلموا ان عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ولا تقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني اسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا واسألوا الله العون على انفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم أسأل الله ذلك لنا ولكم وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيرا يتعبهم ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم فانهم سائرون الى عدو مقيم حامي الانفس والكراع وأقم بمن معك في كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك الا من تثق بدينه ولا يرزأ احدا من اهلها شيأ فان لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها فما صبروا لكم فتولوهم خيرا ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح واذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم وليكن عندك من العرب أو من أهل الارض من تطمئن الى نصحه وصدقه فان الكذوب لا ينفعك خبره وان صدقك في بعضه والغاش عين عليك وليس عينا لك وليكن منك عند دنوك من أرض العدو ان تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا امدادهم ومرافقهم وتتبع الطلائع عوراتهم وتنتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك وتخير لهم سوابق الخيل فان لقوا عدوا كان اول ما تلقاهم القوة من رأيك واجعل أمر السرايا الى أهل الجهاد والصبر على الجلاد ولا تخص بها أحدا بهوى فتضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة ونكاية فاذا عاينت العدو فاضمم اليك أقاصيك وطلائعك وسراياك واجمع اليك مكيدتك وقوتك ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتلته وتعرف الارض كلها كمعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك ثم اذك احراسك على عسكرك وتيقظ من البيات جهدك ولا تؤتى باسير ليس له عقد الا ضربت عنقه لترهب به عدو الله وعدوك والله ولي أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم والله المستعان (وأوصى عبد الملك بن مروان) أميرا سيره الى أرض الروم فقال أنت تاجر الله لعباده فكن كالمضارب الكيس الذي ان وجد ربحا تجر والا تحفظ برأس المال ولا تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة وكن من احتيالك على عدوك أشد حذرا من احتيال عدوك عليك (وكان زياد) يقول لقواده تجنبوا اثنين لا تقاتلوا فيهما العدو الشتاء وبطون الاودية (وأغزى الوليد بن عبد الملك) جيشا في الشتاء فغنموا وسلموا فقال لعباد يا أبا حرب أين رأي زياد من رأينا فقال يا أمير المؤمنين قد أخطأت وليس كل عورة تصاب (العتبي) قال جاشت الروم وغزت المسلمين برا وبحرا فاستعمل معاوية على الصائفة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد فلما كتب له عهده قال ما أنت صانع بعهدي قال أتخذه اماما لا أعصيه قال اردد علي عهدي ثم بعث الى سفيان بن عوف العامري فكتب له عهده ثم قال له ما أنت صانع بعهدي قال اتخذه اماما أمام الحزم فان خالفه خالفته فقال معاوية هذا الذي لا يكفكف من عجلة ولا يدفع في ظهره من خور ولا يضرب على الامور ضرب الجمل الثقال (وقال دريد بن الصمة) لمالك بن عوف النصري قائد هوازن يوم حنين يا مالك انك قد أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم له ما بعده من الايام مالي أسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وبكاء الصغير قال سقت مع الناس ابناءهم ونساءهم وأموالهم قال ولم قال أردت ان أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم فانقض به وقال راعي ضأن والله وهل يرد المنهزم شئ انها ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت ومالك ويحك انها لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن الى نحور الخيل شيأ ارفعهم الى ممتنع بلادهم وعلياء قومهم ثم الق الصبا على متون الخيل فان كانت لك لحق بك من وراءك وان كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك

ومالك

في المرق واستشاس وانما تمثل به عثمان رضي الله عنه وحذاق أهل النظر يدفعون هذا ويستشهدون على فساده بأحاديث تناقضه ليس هذا موضعها قالوا وكان عثمان رضي الله عنه أتقى لله أن يسعى في أمره على وعلى أتقى لله أن يسعى في أمر دم عثمان وهذا من قوله عليه الصلاة والسلام أشقى الناس من قتله نبي أو قتل نبيا وقد ذكر بعض أهل العلم انه لا يعرف لعثمان شعر وانشد له بعضهم

غنى النفس يغني النفس حتى يكفها
وان عضها حتى يضر بها الفقر
وما عسرة فاصبر لها ان تتابعت
بباقية الا سيتبعها يسر

وقول عثمان رضي الله عنه فيما روي ولم يغلبك كغالب من قول امرئ القيس

فانك لم يفخر عليك كفاخر
ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

(وقال) أبو تمام وذكر الخمر وضعفه فاذا أصابت فرصة
قتلت كذلك قدرة الضعفاء

(قال علي بن أبي طالب) رضي الله تعالى عنه لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الأمل ويقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين ان أعطي منها لم يشبع وان منع لم يقنع يعجز عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ويبغض المسيئين وهو منهم يكره الموت لكثرة

ومالك قال لا والله ما أفعل انك قد كبرت وذهل عقلك قال دريد هذا يوم لم أشهده ولم يفتني ثم أنشأ يقول

يا ليتني فيها جذع * أخب فيها وأضع * أقود وطفاء الزمع * كأنها شاة صدع

(وكان قتيبة بن مسلم) يقول لاصحابه اذا غزوتم فأطيلوا الاظفار وقصوا الشعر والحظوا الناس شزرا وكلموهم رمزا واطعنوهم وخزا (وكان أبو مسلم) يقول لقواده اشعروا القلوب الجراءة فانها من أسباب الظفر وأكثروا ذكر الضغائن فانها تبعث على الاقدام والزموا الطاعة فانها حصن المحارب (وكان) سعيد بن زيد يقول لبنيه قصروا الاعنة واشحذوا الاسنة تأكلوا القريب ويرهبكم البعيد (وقال) عيسى بن علي لما وجهني المنصور الى المدينة لمحاربة عبد الله بن الحسن جعل يوصيني ويكثر فقلت

يا أمير المؤمنين الى متى توصيني * اني أنا ذلك الحسام الهندي * أكلت جفني وفريت غمدي

* فكل ما تطلب عندي عندي * (المحاماة عن العشيرة ومنع المستجير) * قال عبد الملك بن مروان لجبل بن علقمة الثعلبي ما مبلغ عزكم قال لم يطمع فينا ولم نؤمن قال فما مبلغ حفاظكم قال يدفع الرجل منا عمن استجار به من غير قومه كدفاعه عن نفسه قال عبد الملك مثلك من يصف قومه (وقال) عبد الملك بن مروان لابن مطاع العنبري أخبرني عن مالك بن مسمع قال لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف سيف لا يسألونه في أي شيء غضب قال عبد الملك هذا والله السودد قال ولم يل قط مالك بن مسمع ولا اسماء بن خارجة شيأ للسلطان (وكانت) العرب تتمدح بالذب عن الجار فيقولون فلان منيع الجار حامي الذمار حتى كان فيهم من يحمي الجراد (وقال) مروان بن أبي حفصة يمدح معن بن زائدة ويصف مفاخر بني شيبان ومنعهم لمن استجار بهم

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل

(وقال آخر) هم يمنعون الجار حتى كأنه * كتيبة زور بين خافيتي نسر

(وذكر) أن معاوية ولى كثير بن شهاب المذحجي خراسان فاحتان مالا كثيرا ثم هرب فاستتر عند هانئ بن عروة المرادي فبلغ ذلك معاوية فهدر دم هانئ فخرج هانئ الى معاوية فكان في جواره ثم حضر مجلسه وهو لا يعرفه فلما نهض الناس ثبت مكانه فسأله معاوية عن أمره فقال انا هانئ بن عروة فقال ان هذا اليوم ليس باليوم الذي يقول فيه أبوك

ارجل جمتي وأجر ذيلي * وتحمل شكتي أفق كميت

وأمشي في سراة بني غطيف * اذا ما ساءني امر أبيت

قال أنا والله يا أمير المؤمنين اليوم أعز مني من ذلك اليوم قال بم ذلك قال بالاسلام قال اين كثير بن شهاب قال عندي وعندك يا أمير المؤمنين قال انظر الى ما احتانه فخذ منه بعضا وسوغه بعضا وقد أمناه ووهبناه لك (الشيباني) قال لما نزل محمد بن أبي بكر مصر وصير اليه معاوية ابن خديج الكندي تفرق عن محمد من كان معه فتغيب فدل عليه فأخذه وضرب عنقه وبعث برأسه الى معاوية فكان أول رأس طيف به في الاسلام وكان محمد بن جعفر بن أبي طالب معه فاستجار بأخواله من خثعم فغيبوه وكان سيد خثعم يومئذ رجلا في ظهره بزخ من كسر أصابه فكان اذا مشى ظن الجاهل انه يتبختر في مشيته فذكر لمعاوية أنه عنده فقال له اسلم الينا هذا الرجل فقال ابن أختنا لجأ الينا لنحقن دمه فدعه عنك يا أمير المؤمنين قال والله لا ادعه حتى تأتيني به قال لا والله لا آتيك به قال كذبت والله لتأتيني به انك ما علمت لاوره قال أجل اني لاوره حين اقاتلك على ابن عمك لتحقن دمه واقدم ابن عمي دونه تسفك دمه فسكت عنه معاوية وخلى بينه وبينه (الشيباني) قال سعيد بن مسلم نذر المهدي دم رجل من أهل الكوفة كان يسعى في فساد سلطنته وجعل لمن دل عليه أو جاء به مائة ألف درهم قال فأقام الرجل حينا متواريا ثم انه ظهر بمدينة السلام وكان ظاهرا كغائب خائفا مترقبا فبينا هو يمشي في بعض نواحيها اذ

ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له ان سقم ظل نادما وان صح أمن لاهيا يعجب بنفسه اذا عوفي ويقنط اذا ابتلي تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن ولا يثق بالرزق بما ضمن له ولا يعمل من العمل بما فرض عليه ان استغنى بطر وفتن وان افتقر قنط وحزن فهو من الذنب والنعمة موقر يبتغي الزيادة ولا يشكر ويتكلف من الناس ما لم يؤمر ويضيع من نفسه ما هو أكثر يبالغ اذا سأل ويقصر اذا عمل يخشى الموت ولا يبادر الفوت يستكثر من معصية غيره ما يستقله من نفسه ويستكثر من طاعته ما يستقله من غيره فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن اللغو مع الاغنياء أحب اليه من الذكر مع الفقراء يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره وهو يطاع ويعصي ويستوفي ولا يوفي (وسئل) رضي الله عنه عن مسئلة فدخل مبادرا ثم خرج في حذاء ورداء وهو متبسم فقيل له يا أمير المؤمنين انك ان سئلت عن مسئلة كنت فيها كالسكة المحماة فقال اني كنت حاقنا ولا رأي لحاقن ثم انشأ يقول

اذا المشكلات تصدين لي
كشفت حقائقها بالنظر
وان برقت في مخيل الصوا
ب عمياء لا يجتليها الذكر
مقنعة بأمور الغيوب
وضعت عليها صحيح الفكر
لسانا كشقشقة الارحبي
أو كالحسام اليماني الذكر
وقلبا اذا استنطقته الغيوب
أمر عليها بواهي الدرر

فمرّ به رجل من أهل الكوفة فعرفه فاهوى الى مجامع ثوبه وقال هذا بغية أمير المؤمنين فامكن الرجل من قياده ونظر الى الموت امامه فبيناهو على تلك الحالة اذ سمع وقع الحوافر من ورائه فالتفت فاذا معن بن زائدة فقال يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فوقف وقال للرجل الذي تعلق به ما شأنك قال بغية أمير المؤمنين الذي نذر دمه وأعطى لمن دل عليه مائة ألف فقال يا غلام انزل عن دابتك واحمل أخانا فصاح الرجل يا معشر الناس يحال بيني وبين من طلبه أمير المؤمنين قال له معن اذهب فاخبره انه عندي فانطلق الى باب أمير المؤمنين فأخبر الحاجب فدخل الى المهدي فأخبره فأمر بحبس الرجل ووجه الى معن من يحضر به فأتته رسل أمير المؤمنين وقد لبس ثيابه وقربت اليه دابته فدعا أهل بيته ومواليه فقال لا يخلصن الى هذا الرجل وفيكم عين تطرف ثم ركب ودخل حتى سلم على المهدي فلم يرد عليه فقال يا معن أتجير علي قال نعم يا أمير المؤمنين قال ونعم أيضا واشتد غضبه فقال معن يا أمير المؤمنين قتلت في طاعتكم باليمن في يوم واحد خمسة عشر ألفا ولي أيام كثيرة قد تقدم فيها بلائي وحسن عنائي فما رأيتموني اهلا ان تهبوا لي رجلا واحدا استجار بي فاطرق المهدي طويلا ثم رفع رأسه وقد سري عنه فقال قد أجرنا من أجرت قال معن فان رأى أمير المؤمنين ان يصله فيكون قد أحياه واغناه فعل قال قد أمرنا له بخمسة آلاف قال يا أمير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فاجزل له الصلة قال قد أمرنا له بمائة ألف قال فعجلها يا أمير المؤمنين بأفضل الدعاء ثم انصرف ولحقه المال فدعا الرجل فقال له خذ صلتك والحق بأهلك واياك ومخالفة خلفاء الله تعالى ❊(الجبن والفرار)❊ قال عمرو بن معد يكرب الفزعات ثلاث فمن كانت فزعته في رجليه فذلك الذي لا تقله رجلاه ومن كانت فزعته في رأسه فذلك الذي يفر عن أبويه ومن كانت فزعته في قلبه فذلك الذي يقاتل (وقال) الاحنف أسرع الناس الى الفتنة أقلهم حياء من الفرار (وقالت) عائشة أم المؤمنين ان لله خلقا قلوبهم كقلوب الطير كلما خفقت الريح خفقت معها فأف للجبناء فأف للجبناء (وقال الشاعر)

يفر جبان القوم عن أم نفسه ❊ ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه
ويرزق معروف الجواد عدوه ❊ ويحرم معروف البخيل أقاربه

(وقال) خالد بن الوليد عند موته لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسمي موضع شبر الا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية ثم ها أنا ذا أموت حتف نفسي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء ❊(ومن أشعار الفرارين الذين حسنوا فيها الفرار على قبحه حتى حسن قول الفرار السلمي)❊

وفوارس لبستها بفوارس ❊ حتى اذا التبست أملت بها يدي
وتركتهم نقص الرماح ظهورهم ❊ من بين مقتول وآخر مسند
هل ينفعني ان تقول نساؤهم ❊ وقتلت دون رجالهم لا تبعد

(وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى) ما اعتذر أحد من الفرارين باحسن مما اعتذر به الحرث بن هشام حيث يقول

والله يعلم ما تركت قتالهم ❊ حتى رموا مهري بأشقر مزبد
فصرفت عنهم والاحبة فيهم ❊ طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

وهذا الذي سمعه صاحب رتبيل فقال يا معشر العرب حسنتم كل شئ حتى حسنتم الفرار وبعد هذا يأتي قول حسان في ذلك وأسلم الحرث يوم فتح مكة وحسن اسلامه وخرج في زمن عمر الى الشام من مكة بأهله وماله فاتبعه أهل مكة يبكون فرق وبكى وقال اما لو كنا نستبدل دارا بدارنا أو جارا بجارنا ما اردنا بكم بدلا ولكنها النقلة الى الله (وقال آخر)

قامت تشجعني هند فقلت لها ❊ ان الشجاعة مقرون بها العطب
لا والذي منع الابصار رؤيته ❊ ما يشتهي الموت عندي من له أدب

ولست بامعق الرجال
أسائل عن ذا وذا ما الخبر
ولكنني مدرب الاصغرين
ابين مع ما مضى ما غبر
(وقال) معاوية رضي الله عنه لضرار الصدائي يا ضرار صف لي عليا قال اعفني يا أمير المؤمنين قال لتصفنه فقال اما اذ لا بد من صفته كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ويأتينا اذا استنبأناه ونحن مع تقريبه ايانا وقربه منا لا نكاد نكلمه لهيبته ولا نبتديه لعظمته يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا اليك عني غري غيري الي تعرضت ام الي تشوقت هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعة لي عليك فعمرك قصير وخطرك حقير وخطبك يسير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فبكى معاوية حتى اخضلت دموعه لحيته وقال رحم الله أبا الحسن فلقد كان كذلك

للحرب قوم أضل الله سعيهم * اذا دعتهم الى نيرانها وثبوا
ولست منهم ولا أهوى فعالهم * لا القتل يعجبني منهم ولا السلب

(وقال محمود الوراق) أيها الفارس المشيح المغير * ان قلبي من السلاح يطير
ليس لي قوة على رهج الخيل اذا ثور الغبار مثير * واستدارت رحا الحروب بقوم
فقتيل وهارب وأسير * حيث لا ينطق الجبان من الذعر ويعلوا الصياح والتكبير
أنا في مثل ذا وهذا بليد * ولبيب في غيره نحرير

(وقال أيمن بن خريم)
ان للفتنة ميطا عاجلا * فرويد الميط منها يعتدل * فاذا كان عطاء فانتهز
واذا كان قتال فاعتزل * انما يوقدها فرسانها * حطب النار فدعها تشتعل

(ومما يحتج) به الفارون ما قاله صاحب كليلة ودمنة ان الحازم يكره القتال ما وجد بدا منه لان النفقة فيه من النفس والنفقة في غيره من المال (أخذ هذا المعنى حبيب الطائي فنظمه في شعره حيث يقول)
كم بين قوم انما نفقاتهم * مال وقوم ينفقون نفوسا

(ومن الفارين عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث) فر من الازارقة وكان في عشرة آلاف وكان قد بعث اليه المهلب يا ابن أخي خندق على نفسك وعلى أصحابك فاني عالم بأمر الخوارج ولا تغتر فبعث اليه أنا أعلم بهم منك وهم أهون علي من ضرطة الجمل فبيته قطري صاحب الازارقة فقتل من أصحابه خمسمائة وفر لا يلوي على أحد فقال فيه الشاعر
تركت ولدانا تدمى نحورهم * وجئت منهزما يا ضرطة الجمل

(ومن الفارين أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد) فر يوم مرده عن أبي فديك فسار من البحرين الى البصرة في ثلاثة أيام فجلس يوما بالبصرة فقال سرت على فرسي المهرجان من البحرين الى البصرة في ثلاثة أيام فقال له بعض جلسائه أصلح الله الامير فلو ركبت النيروز لسرت اليها في يوم واحد فلما دخل عليه أهل البصرة لم يدروا كيف يكلمونه ولا ما يلقونه من القول أيهنونه أم يعزونه حتى دخل عليه عبد الله بن الاهتم فاستشرف الناس له وقالوا ما عسى ان يقال للمنهزم فسلم ثم قال مرحبا بالصابر المخذول الذي خذله قومه الحمد لله الذي نظر لنا عليك ولم ينظر لك علينا فقد تعرضت للشهادة جهدك ولكن علم الله حاجة أهل الاسلام اليك فابقاك لهم بخذلان من معك لك فقال أمية بن عبد الله ما وجدت أحدا أخبرني من نفسي غيرك (وفيه يقول الشاعر)
اذا صوت العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

(أتى) الحجاج بدواب من دواب أمية قد وسم على أفخاذها عدة فأمر الحجاج ان يكتب تحت ذلك للفرار (وقال) أبو دلامة كنت مع مروان أيام الضحاك الحروري فخرج فارس منهم فدعا الى البراز فخرج اليه رجل فقتله ثم ثان ثم ثالث فانقبض الناس عنه وجعل يدنو ويهدر كالفحل المغتلم فقال مروان من يخرج اليه وله عشرة آلاف قال فلما سمعت بالعشرة آلاف هانت علي الدنيا وسخوت بنفسي في سبيل العشرة آلاف وبرزت اليه فاذا عليه فرو قد بله المطر فانفعل ثم اصابته الشمس فارمعل وله عينان تتقدان كأنهما جمرتان فلما رآني فهم الذي أخرجني فأقبل نحوي وهو يرتجز يقول
وخارج أخرجه حب الطمع * فر من الموت وفي الموت وقع * من كان ينوي أهله فلا رجع
فلما رأيته قنعت رأسي ووليت هاربا ومروان يقول من هذا الفاضح لا يفوتكم فدخلت في غمار الناس (وقيل لاعرابي) ألا تغزو العدو قال وكيف يكونون لي عدوا وما أعرفهم ولا يعرفونني (وقيل) لآخر ألا تغزو العدو قال والله اني لابغض الموت على فراشي فكيف ان أخب اليه ركضا
(ومما قيل في الفارين الجبناء من الشعر) قول حسان بن ثابت يعير الحرث بن هشام بفراره يوم بدر

فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزن من ذبح واحدها في حجرها (وقال علي) رضوان الله عليه رحم الله عبدا سمع فوعى ودعي الى الرشاد فدنا وأخذ بحجزة هاد فنجا وراقب ربه وخاف ذنبه وقدم خالصا وعمل صالحا واكتسب مذخورا واجتنب محذورا ورمى غرضا وأصاب عوضا وكابر هواه وكذب مناه وحذر أجلا ودأب عملا وجعل الصبر رغبة حياته والتقى عدة وفاته يظهر دون ما يكتم ويكتفي بأقل مما يعلم لزم الطريقة الغراء والمحجة البيضاء واغتنم المهل وبادر الأجل وتزود من العمل * ولما رجع رضي الله عنه من صفين فدخل أوائل الكوفة اذا قبر فقال من هذا فقيل خباب بن الارت فوقف عليه وقال رحم الله خبابا اسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا وابتلي في جسمه احوالا ولن يضيع الله اجر من احسن عملا ومضى فاذا هو بقبور فوقف عليها وقال السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة انتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز عنا وعنهم بعفوك طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله ثم التفت الى اصحابه فقال اما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى * وذم رجل الدنيا بحضرة علي رضي الله عنه فقال الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها

وقد تقدم ذكر ذلك

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فنجوت منجى الحرث بن هشام * ترك الاحبة لم يقاتل دونهم

ونجا برأس طمرة ولجام * ملأت به الفرجين فامتدت به * وثوى أحبته بشر مقام

(وقال بعض العراقيين فى رجل أكول جبان)

اذا صوت العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

(وقال فيه) ضعيف القلب رعديد * عظيم الخلق والمنظر

رأى فى النوم عصفورا * فوارى نفسه أشهر

وقال آخر لو جرت خيل نكوصا * لجرت خيل ذفافة هى لا خيل رجاء * لا ولا خيل مخافه

(وقال آخر) خرجنا نريد مغار القنا * وفينا زياد أبو صعصعه

فستة رهط به خمسة * وخمسة رهط به اربعة

(ولم يقل احد فى وصف الجبن والفرار مثل قول الطرماح فى بنى تميم)

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

ولو أن برغوثا على ظهر قملة * رأته تميم يوم زحف لولت

ولو جمعت يوما تميم جموعها * على ذرة معقولة لاستقلت

وليس يعاب الشجاع والبهمة البطل بالفرة الواحدة تكون منه خاصة لا عامة كما قال زفر بن الحرث وفر يوم مرج راهط عن أبيه وأخيه فقال

أيذهب يوم واحد ان أسأته * بصالح أيامى وحسن بلائيا

ولم ترمنى زلة مثل هذه * فرارى وتركى صاحبى ورائيا

(وفر) عمرو بن معد يكرب من عباس بن مرداس وأسر اخته ريحانة وفيها يقول عمرو

أمن ريحانة الداعى السميع * يؤرقنى وأصحابى هجوع

(وفر) عن بنى عبس وفيهم زهير بن جذيمة العبشى وولده شاس بن زهير وقيس بن زهير فقال فيهم

أحاعلة أم الثوير خزاية * على فرارى ان لقيت بنى عبس

لقيت أبا شاس وشاسا ومالكا * وقيسا فجاشت من لقائهم نفسى

لقونا فضموا جانبينا بصادق * من الطعن مثل النار فى الحطب اليبس

ولما دخلنا تحت فىء رماحهم * خبطت بكفى أطلب الارض باللمس

وليس يعاب المرء من جبن يومه * اذا عرفت منه الشجاعة بالامس

(وقال) الحرث لامرأته وذلك انها نظرت اليه وهو يحد حربة يوم فتح مكة فقالت له ما تصنع بهذه قال اعددتها لمحمد وأصحابه فقالت ما ارى يقوم لمحمد وأصحابه شئ قال والله انى لارجو ان أخدمك بعضهم ثم أنشأ يقول

ان يقبلوا اليوم فمالى علة * هذا سلاح كامل واله

* وذو غرارين سريع السله * فلما لقيهم خالد يوم الخندمة انهزم الرجل فلامته امرأته فقال

انك لو شاهدت يوم الخندمه * اذ فر صفوان وفر عكرمه * ولحقتنا بالسيوف المسلمه

يفلقن كل ساعد وجمجمه * ضربا فلا تسمع الا غمغمه * لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

(وقال أسلم بن زرعة) وكان وجهه عبيد الله بن زياد لحرب أبى بلال الخارجى فى الفين وأبو بلال فى أربعين رجلا فشد واعليه شدة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه فلما دخل على ابن زياد عنفه فى ذلك وقال أتمضى فى ألفين وتنهزم عن أربعين فخرج عنه وهو يقول لان يذمنى ابن زياد حيا خير من أن يمدحنى وأنا ميت (وفى رواية أخرى) ان يشتمنى الامير وانا حى أحب الى من ان يدعو لى وانا ميت فقال شاعر الخوارج

أألفا مؤمن لسنم كذا كم * ولكن الخوارج مؤمنونا

ودار غنى لمن تزود منها مهبط وحى الله ومصلى ملائكته ومسجد أنبيائه ومتجر أوليائه ربحوا فيها الرحمة واكتسبوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها وذكرت بسرورها السرور وببلائها البلاء ترغيبا وترهيبا فيا أيها الذام لها المعلل نفسه بغرورها متى خدعتك الدنيا أم بماذا استذمت اليك أبمصارع آبائك فى البلى أم بمضاجع أمهاتك فى الثرى كم مرضت بكفيك وكم عللت بيديك تطلب له الشفاء وتستوصف الاطباء غداة لا ينفعه بكاؤك ولا يغنى عنه دواؤك (فقرمن كلامه) رضى الله عنه راى الشيخ خير من مشهد الغلام الناس اعداء ما جهلوا قيمة عمر المؤمن لاثمن لها يدرك بها ما فات ويحيى بها ما أمات * نقل هذا الكلام بعض أهل العصر وهو أبو الفتح على بن محمد البستى

بقية العمر عندى مالها ثمن * وان غدا وهو محبوب من الثمن

يستدرك المرء فيها ما أفات ويحيى ما أمات ويمحو السوء بالحسن

الدنيا بالاموال والآخرة بالاعمال لا تخافن الا ذنبك ولا ترجون الا ربك وجهوا آمالكم الى من تحبه قلوبكم الناس من خوف الذل فى الذل من أيقن بالخلف جاد بالعطية بقية السيف انمى عددا وأنجب ولدا (وقد تبينت) صحة ما قال فى بنيه وبنى المهلب ان من السكوت ما هو أبلغ من الجواب الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو

هم الفئة القليلة قد علمتم * على الفئة الكثيرة ينصرونا

(ومثل) ذلك قول عبد الله بن مطيع بن الأسوار العدوى وكان فر يوم الحرة من جيش مسلم بن عقبة فلما كان أيام حصار الحجاج بمكة لعبد الله بن الزبير جعل يقاتل أهل الشام ويقول

أنا الذى فررت يوم الحره * والشيخ لا يفر الا مره
فاليوم أجزى كرة بفره * لا بأس بالكرة بعد الفره

فلم يزل يقاتل حتى قتل (وأحسن الفرار كله ما قال قيس بن الخطيم)

اذا ما فررنا كان أسوأ فرارنا * صدود الخدود وازورار المناكب
اجالدهم يوم الحديقة حاسرا * كأن يدى بالسيف مخراق لاعب

(وفر) عتيبة بن الحرث بن هشام يوم ثبرة عن ابنه حزرة وقال

يا حسرتى لقد لقيت حسره * يا لتيم غشيتنى عبره
نعم الفتى غادرته بثبره * نجيت نفسى وتركت حزره * هل يترك الحر الكريم بكره

(وفر) أبو خراش الهذلى من فائد وأصحابه ورصدوه بعرفات فقال

وفونى وقالوا يا خويلد لا ترع * فقلت وأنكرت الوجوه وهم هم
وقلت وقد جاوزت أصحاب فائد * أأعجزت أهل الحلم أم أنا أحلم
فلولا دراك الشد قامت حليلتى * تخير من خطابها وهى أيم
ولولا دراك الشد آلت مهجتى * وكان خراش يوم ذلك ييتم

(وفر) خبيب بن عوف يوم مرداء هجر من أبى فديك فقال

بذلت لهم يا قوم حولى وقوتى * ونصحى وما ضمت يداى من التبر
فلما تناهى الأمر بى من عدوكم * الى مهجتى وليت أعداءكم ظهرى
وطرت ولم أحفل ملامة عاجز * يقيم لأطراف الردينية السمر
فلو كان لى روحان عرضت واحدا * لكل ردينى وأبيض ذى أثر

(رجع بنا القول الى الفرارين والجبناء وما قيل فيهم) فر خالد بن عبد الله بن أسيد عن المصعب بن الزبير بالبصرة فقال فيه الفرزدق

وكل بنى السوداء قد فر فرة * فلم يبق الا فرة فى است خالد
فضحتم أمير المؤمنين وأنتم * تعدون سودانا غلاظ السواعد

(وقيل) لرجل جبان فى بعض الوقائع تقدم (فانشأ يقول)

وقالوا تقدم قلت لست بفاعل * أخاف على فخارتى أن تحطما
فلو كان لى رأسان أتلفت واحدا * ولكنه رأس اذا راح أعقما
ولو كان مبتاعا لدى السوق مثله * فعلت ولم أحفل بأن أتقدما
فأيتم أولادا وأرمل نسوة * فكيف على هذا ترون التقدما

(وقالت هند بنت النعمان بن بشير لزوجها روح بن زنباع) كيف سودك قومك وأنت جبان غيور قال اما الجبن فانى لى نفسا واحدة فانا أحوطها وأما الغيرة فما أحق بها من كانت له امرأة حمقاء مثلك مخافة ان تأتيه بولد من غيره فترمى به فى حجره (وقال كعب بن زهير)

بخلا علينا وجبنا من عدوكم * لبئست الخلتان البخل والجبن

❁ (فضائل الخيل) ❁ قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الخيل أعرافها ادفاؤها وأذنابها مذابها والخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم بطونها كنز وظهورها حرز وأصحابها معانون عليها (وسأل) رجل النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى أريد ان اشترى فرسا اعده فى

خير المال ما أغناك وخير منه ما كفاك وخير اخوانك من واساك وخير منه من كفاك شره (وقال) بعض أهل العصر مايشا كل هذا وهو ابو الحسن محمد بن لنكك البصرى

عدينا فى زماننا
عن حديث المكارم
من كفى الناس شره
فهو فى جود حاتم

(أبو الطيب)

انا لفى زمن ترك القبيح به
من أكثر الناس احسان واجمال

اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكر القدرة عليه قيمة كل امرئ ما يحسن (ذكر أبو عثمان) عمر بن بحر الجاحظ هذه الكلمة فى كتاب البيان فقال فلو لم نقف من هذا الكتاب الا على هذه الكلمة لوجدناها شافية كافية ومجزئة مغنية بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية غير مقصرة عن الغاية وأفضل الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه ظاهرا فى لفظه وكان الله قد ألبسه من ثياب الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله فاذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا من الاستكراه منزها عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع فى القلوب صنيع الغيث فى التربة الكريمة ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة كساها الله من التوفيق ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة

سبيل الله فقال له اشترادهم أو كميتا أقرح أرثم محجلا مطلق اليمين فانها ميامن الخيل (وقيل لبعض الحكماء) أي الاموال أشرف قال فرس يتبعها فرس في بطنها فرس

﴿صفة جياد الخيل﴾

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب من الخيل الشقر وقال لو جمعت خيل العرب في صعيد واحد ما سبقها الا الأشقر (وسأله رجل) أي المال خير قال سكة مأبورة ومهرة مأمورة (وكان) عليه الصلاة والسلام يكره الشكال في الخيل وقالوا انما سميت خيلا لاختيالها (ووصف) اعرابي فرسا فقال اذا تركته نعس واذا حركته طار (وأرسل) مسلم بن عمرو لابن عم له بالشام يشتري له خيلا فقال له لا علم لي بالخيل فقال ألست صاحب قنص قال بلى قال انظر كل شيء تستحسنه في الكلب فاطلبه في الفرس فأتى بخيل لم يكن في العرب مثلها (وقال بعض الضبيين)

متقارب عبل الشوى شنج النسا * سباق اندية الجياد عميثل

واذا يعلل بالسياط جيادها * أعطاك نائله ولم يتعلل

(سأل) المهدي مطر بن دراج عن أي الخيل افضل قال الذي اذا استقبلته قلت نافر واذا استدبرته قلت زاخر واذا استعرضته قلت زاجر قال فأي هذه أفضل قال الذي طرفه امامه وسوطه عنانه (وقال آخر) الذي اذا مشى ردى واذا عدا دحا واذا استقبل اقعى واذا استدبر جفا واذا استعرض استوى (وسأل) معاوية بن أبي سفيان صعصعة بن صوحان اي الخيل أفضل قال الطويل الثلاث القصير الثلاث العريض الثلاث الصافي الثلاث قال فسر لنا قال أما الطويل الثلاث فالاذن والعنق والحزام وأما القصير الثلاث فالصلب والعسيب والقضيب وأما العريض الثلاث فالجبهة والمنخر والورك وأما الصافي الثلاث فالاديم والعين والحافر (وقال عمر بن الخطاب لعمرو بن معديكرب) كيف معرفتك بعراب الخيل قال معرفة الانسان بنفسه وأهله وولده فامر بأفراس فعرضت عليه فقال قدموا اليها الماء في التراس فما شرب ولم يكتف فهو من العراب وما ثنى سنبكه فليس منها (قلت) انما المحفوظ ان عمر شك في العتاق والهجون فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي بطست من ماء فوضع بالارض ثم قدم اليها الخيل فرسا فرسا فما ثنى سنبكه وشرب هجنه (وقال حسان بن ثابت يصف طول عنق الفرس)

بكل كميت جوزه نصف حلقه * أقب طوال مشرف في الحوارك

(وقال زهير)

وملجمنا ما ان ينال قذاله * ولا قدماه الارض الا أنامله

(وقال آخر)

له ساقا ظليم خاضب فوجئ بالرعب * حديد الطرف والمنكب والعرقوب والقلب

(وقال آخر)

هريت قصير عذار اللجام * أسيل طويل عذار الرسن

لم يرد بقوله قصير عذار اللجام قصر خده وانما أراد طويل مشق الفم واراد بطول عذار الرسن طول الخد

(وقال آخر)

بكل هريت نقي الاديم * طويل الحزام قصير اللبب

(وقال أبو عبيدة) يستدل على عتاقة الفرس برقة جحافله وأرنبته وسعة منخريه وعري نواهقه ودقة حقويه وما ظهر من أعالي اذنيه ورقة سالفته واديمه وشعره وابين من ذلك كله لين شكير ناصيته وعرفه (وكانوا) يقولون اذا اشتدت نفسه ورحب متنفسه وطال عنقه واشتد حقوه وانهرت شدقه وعظمت فصوصه وصلبت حوافره ووقحت ألحق بجياد الخيل (قيل) لرجل من بني اسد أتعرف الفرس الكريم من المقرف قال نعم أما الكريم فالجواد الجيد الذي نهز نهز العير وانف تأنيف السير الذي اذا عدا اجلهب واذا اقبل اجلعب واذا انتصب اتلأب وأما المقرف فانه الذلول الجبهة الضخم الارنبة الغليظ الرقبة الكثير الجلبة الذي اذا ارسلته قال امسكني واذا أمسكته قال ارسلني (وكان محمد بن السائب) الكلبي يحدث ان الصافنات الجياد المعروضة على سليمان بن داود عليهما السلام كانت ألف فرس ورثها عن أبيه فلما عرضت عليه ألهته عن صلاة العصر حتى توارت الشمس بالحجاب فعرقبها الا افراسا

لم

ولا تنه عن قتالهم مقول الجهالة (ومن دعائه) رضي الله عنه في حروبه اللهم انت ارضى للرضا واسخط للسخط واقدر على ان تغير ما كرهت واعلم بما تقدر لا تغلب على باطل ولا تعجز عن حق وما انت بغافل عما يعمل الظالمون (وقال) علي رضي الله عنه

لمن راية سوداء يخفق ظلها
اذا قيل قدمها حصين تقدما
فيوردها في الصف حتى تردها
حياض المنايا تقطر الموت والدما
جزى الله قوما قاتلوا في لقائهم
لدى الروع قوما ما أعزوا كرما
وأطيب أخبارا وافضل شيمة
اذا كان أصوات الرجال تغمغما

(حصين) الذي ذكره أبو ساسان الحصين بن المنذر بن الحرث بن وعلة الرقاشي وكان صاحب رايته يوم صفين ويروى عنه انه قال بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها

اري علل الدنيا علي كثيرة
وصاحبها حتى الممات عليل
لكل اجتماع من خليلين فرقة
وان الذي دون الممات قليل
وان افتقادي فاطما بعد أحمد
دليل على ان لا يدوم خليل

(ولما) قتل عمرو بن عبد ود سقط فانكشفت عورته فتنحى عنه وقال

آلى ابن عبد حين شد أليه
وحلفت فاستمعوا من الكذاب
أن لا يفر ولا يهلل فالتقى
أسدان يضطربان كل ضراب
اليوم يمنعني الفرار حفيظتي
ومصمم في الرأس ليس بناب

لم تعرض عليه فوفد أقوام من الازد وكانوا أصهاره فلما فرغوا من حوائجهم قالوا يانبي الله ان أرضنا شاسعة فزودنا زادا يبلغنا فاعطاهم فرسا من تلك الخيل وقال اذا نزلتم منزلا فاحملوا عليه غلاما واحتطبوا فانكم لا تورون ناركم حتى يأتيكم بطعامكم فساروا بالفرس فكانوا لا ينزلون منزلا الا ركبه أحدهم للقنص فلا يفلته شئ وقعت عينه عليه من ظبي أو بقر أو حمار الى أن قدموا الى بلادهم فقالوا ما فرسنا الا زاد الراكب فسموه زاد الراكب فاصل فحول العرب من نتاجه ويقال ان اعوج كان منها وكان فحلا لهلال بن عامر انتجته امه بعض بيوت الحي فنظروا الى طرف يضع جحفلته على كاذتها على الفخذ دمها دلى الحيا فقالوا أدركوا ذلك الفرس لا ينزى فرسكم لعظم أعوج وطول قوائمه فقاموا فوجدوا المهر فسموه أعوج (وأخبرنا) فوج بن سلام عن أبي حاتم عن الاصمعي قال اغير على أهل النسار وأعوج موثق بثمامة فجال صاحبه في متنه ثم زجره فاقتلع الثمامة فخرجت تخف كالخذروف وراءه فعدا بياض يومه وامسى يتمشى من جمم قباء (وقال الشاعر في وصف فرس)

واحمر كالديباج اما سماؤه * فريا وأما أرضه فمحول

قوله سماؤه اعلاه وأرضه أسفله يريد قوائمه (وللطائي نظيره هذا حيث يقول)

امتق متن وصهوتين الى * حوافر صلبة له ملس * فهو لدى الروع والجلائب ذو
أعلى مندى وأسفل يبس * صهصلق في الصهيل تحسبه * كأنه قطعة من الغلس

(وقال حبيب أيضا يصف فرسا أهداه اليه الحسن بن وهب الكاتب)

ما مقرف يختال في أشطانه * ملآن من صلف به وتلهوق * بحوافر حفر وصلب صلب
واشاعر شعر وحلق أحلق * وبشعله تبدو كأن حلولها * في صهوتيه بدو شيب المفرق
ذو أولق تحت العجاج وانما * من صحة افراط ذاك الاولق * تغرى العيون به ويفلق شاعر
في نعته عفوا وليس بمفلق * بمسعدق نعته ومصوب * ومجمع في حسنه ومفرق
قد سالت الاوضاح سيل قرارة * فيه فمفترق عليه وملتقى * صافي الاديم كأنما البسته
من سندس ثوبا ومن استبرق * مسود شطر مثل ما اسود الدجى * مبيض شطر كابيضاض المهرق
فكان فارسه يصرف اذ غدا * في متنه ابن الصباح الابلق * املسه املد لو علقت
من صهوتيه العين لم تتعلق * برق وما هو بالسليم ويفتدى * دون السلاح سلاح أروع مملق

(وقال) ابو سويد شهد أبو دلف وقعة بدر وتحته فرس ادهم وعليه نضح الدم فاستوقفه رجل من الشعراء وانشد

كم ذا تجرعه المنون ويسلم * لو يستطيع شكى اليك الادهم
في كل منبت شعرة من جلده * عن بنبقه الحسام المخذم
وكأنما عقد النجوم بطرفه * وكأنه يسري المجرة ملجم
وكانه بين السوارق لقوة * شقراء كاسرة طوت ما تطعم
ما تدرك الارواح أدنى شده * لا بل يفوت الريح فهو مقدم
رجعته اطراف الاسنة اشقرا * واللون أدهم حين ضرجه الدم

قال فامر له بعشرة آلاف (ومن قولنا في وصف الفرس)

ومقربة تشقر في النقع كنها * ويخضر حينا كلما بلها الرشح
تطير بلا ريش الى كل صيحة * وتسبح في البر الذي ما به سبح

(وقال عدى بن الرقاع) يخرجن من فرجات النقع دامية * كأن آذانها أطراف أقلام

(وطلب) البحتري الشاعر من سعيد بن حميد الكاتب فرسا ووصف له أنواعا من الخيل في شعره فقال

لا كلفن العيس أبعدهمة * يجري اليها خائف أو مرتجى
والى سراة بني حميد انهم * أمسوا كواكب أشرقت في مذحج

أعرضت حين رأيته متقطرا
كالجذع بين دكادك ورواب
وعففت عن اثوابه ولوانني
كنت المقطر بزني أثوابي
نصر الحجارة من سفاهة رايه
ونصرت دين محمد بصوابه
لا تحسبن الله خاذل دينه
ونبيه يا معشر الاحزاب

في ابيات غير هذه وبعض الرواة ينفيها عن علي رضي الله عنه (وعمرو) هذا هو ابن عبد ود بن نضر بن مالك بن حسل بن عامر ابن لؤي وكان قد جزع المزاد وهو موضع حفر فيه الخندق يوم الاحزاب وفي ذلك يقول الشاعر عمرو بن ود كان أول فارس جزع المزاد وكان فارس يليل ولما صار مع المسلمين في الخندق دعا البراز وقال

ولقد بححت من الندا
ء بجمعهم هل من مبارز
ووقفت اذ نكل الشجا
ع بموقف البطل المناجز
اني كذلك لم ازل
متسرعا نحو الهزاهز
ان السماحة والشجا
عة في الفتى خير الغرائز

فبرز علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال يا عمرو انك عاهدت الله لقريش ان لا يدعوك احد الى خلتين الا اخذت احداهما فقال اجل قال فاني ادعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فاني ادعوك الى المبارزة فقال يا ابن اخي ما احب ان اقتلك قال علي لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو فاقتحم عن فرسه وعرقبه ثم اقبل الى علي فتجاولا كعمامتين تكنفت متنيهما ريحا صبا وشمال في موقف كادت نفوس كماته

والبيت لولا أن فيه فضيلة * تعلو البيوت بفضلها لم يحجج
فأعن على غزو العدو بمنطو * أحشاؤه طي الرداء المدرج
اما باشقر ساطع أغشى الوغى * منه بمثل الكوكب المتأجج
متسربل شعلات اعطافه * بدم فما تلقاه غير مضرج
أو أدهم صافي الاديم كأنه * تحت الكريم مظهر بالنيرج
ضرم يهيج السوط من شؤبوبه * هيج الجنائب من حريق العرفج
خفت مواقع وطئه فلوانه * يجري برملة عالج لم يرهج
أو اشهب يقق يضيء وراءه * متن كمثل اللهمة المترجرج
يخفى الحجول ولو بلغن لبانه * في أبيض متألق كالدملج
أو مي مشرف اسود متعرف * فيما يليه وحافر فيروزجي
او ابلق يملا العيون اذا بدا * من كل لون معجب بمزوج
جذلان تحسده الجياد اذا مشى * عنقا باحسن حلة لم تنسج
وعريض أعلى المتن لو عليته * بالزئبق المنهال لم يتدحرج
خاضت قوائمه القويم متاؤها * أمواج تجنيب بهن مدرج
ولانت أبعد في السماحة همة * من أن تضن بملجم أو مسرج

(وأول) من شبه الخيل بالظبي والسرحان والنعامة وتبعه الشعراء وحذوا حذوه وعلى مثاله امرؤ القيس بن حجر
له أيطلا ظبي وساقا نعامة * وارخاء سرحان وتقريب تتفل
كأن على الكتفين منه اذا انتحى * مداك عروس أو صراية حنظل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
دريد كخذروف الوليد أمره * تتابع كفيه بخيط موصل
كميت يزل اللبد عن حال متنه * كما زلت الصفواء بالمتنزل *

فأخذت الشعراء هذا التشبيه من امرئ القيس فحذوا عليه (فقال طفيل الخيل)
اني وان قل مالي لا يفارقني * مثل النعامة في أوصالها طول
تقريبها المرطى والجوز معتدل * كأنه سبد بالماء مغسول
أو ساهم الوجه لم تقطع أباجله * يصان وهو ليوم الروع مبذول

(وقال) عبد الملك بن مروان لاصحابه أي المناديل أفضل فقال بعضهم مناديل مصر التي كأنها غرقئ البيض وقال بعضهم مناديل اليمن التي كأنها أنوار الربيع فقال ما صنعتم شيأ أفضل المناديل مناديل عبدة بن الطبيب حيث يقول
لما نزلنا نصبنا ظل أخبية * وفاز بالغلي للقوم المراجيل
ورد وأشقر لا يونيه طابخه * ما قارب النضج منها فهو مأكول
وقد ونبنا على عوج مسومة * أعرافهن لايدينا مناديل

﴿سوابق الخيل﴾ قال الاصمعي ما سبق في الرهان فرس اهضم قط وانشد لأبي النجم
* منتفخ الجوف عريض كلكله * (قال) وكان هشام بن عبد الملك رجلا مسبقا لا يكاد يسبق فسبقت له فرس انثى وصلت أختها ففرح لذلك فرحا شديدا وقال علي بالشعراء فقال أبو النجم فدعينا فقيل لنا قولوا في هذه الفرس واختها فسأل أصحاب القشيد النظرة حتى يقولوا فقلت له هل لك في رجل ينقدك اذا استقدؤك قال هات فقلت من ساعتي
اشاع للغراء فيناذكرها * قوائم عوج أطعن أمرها * وما نسينا بالطريق مهرها

...بمتر قبل تورد الآجال وعلت بينهما غبرة سترتهما فلم يرع المسلمين الا التكبير فعلموا أن عليا قتله ولما قتل عمرو جاءت أخته فقالت من قتله فقيل علي ابن أبي طالب فقالت كفء كريم ثم انصرفت وهي تقول
لو كان قاتل عمرو غير قاتله
لكنت أبكي عليه آخر الابد
لكن قاتله من لا يعاب به
وكان يدعى قديما بيضة البلد
من هاشم في ذراها وهي صاعدة
الى السماء تميت الناس بالحسد
قوم أبى الله الا أن يكون لهم
مكارم الدين والدنيا بلا أمد
يا أم كلثوم ابكيه ولا تدعي
بكاء معولة حرى على ولد
(أم كلثوم) بنت عمرو بن عبد ود وبيضة البلد تمدح به العرب وتذم فمن مدح به جعله أصلا كما ان البيضة أصل الطائر ومن ذم به أراد أن لا أصل له (قال) الراعي يهجو عدي بن الرقاع العاملي
يا من توعدني جهلا بكثرته
متى تهددني بالعز والعدد
أنت امرؤ نال من عرضي وعزته
كعزة العير يرعى تلعة الاسد
لو كنت من أحد يهجى هجوتكم
يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد
تأبى قضاعة ان ترضى لكم نسبا
وابنا نزار فانتم بيضة البلد
(وقال أبو عبيدة) عاملة بن عدي بن الحرث بن مرة بن أدد ابن زياد بن يشجب يطعن في نسبه من قحطان ويقال هو عاملة بن معاوية بن قاسط بن هنب فلذلك قال الراعي هذا ويقال ان جندل بن الراعي قالها

حتى نقبس قدره وقدرها * وصبره اذا عدا وصبرها * والماء يعلو نحره ونحرها
ململمة شد المليك أزرها * أسفلها وبطنها وظهرها * قد كاد هاديها يكون شطرها

قال أبو النجم فأمر لي بجائزة وانصرفت (أبو القاسم) جعفر بن أحمد بن محمد وأبو الحسن علي بن جعفر البصري قالا حدثنا أبو سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي ان هرون الرشيد ركب في سنة خمس وثمانين ومائة الى الميدان لشهود الحلبة قال الاصمعي فدخلت الميدان لشهودها فيمن شهد من خواص أمير المؤمنين والحلبة يومئذ افراس للرشيد ولولديه الامين والمأمون ولسليمان بن أبي جعفر المنصور ولعيسى بن جعفر فجاء فرس أدهم يقال له الربذ لهرون الرشيد سابقة فابتهج لذلك ابتهاجا علم ذلك في وجهه وقال علي بالاصمعي فنوديت له من كل جانب فأقبلت سريعا حتى مثلت بين يديه فقال يا اصمعي خذ بناصية الربذ ثم صفه من قونسه الى سنبكه فانه يقال ان فيه عشرين اسما من أسماء الطير قلت نعم يا أمير المؤمنين وأنشدك شعرا جامعا فيه من قول أبي حزرة قال فأنشدنا لله أبوك قال فأنشدته

واقب كالسرحان تم له * ما بين هامته الى النسر

الاقب اللاحق المخطف البطن وذلك يكون من خلقته وربما حدث من هزال أو بعد قود والانثى قباء والجمع قب والمصدر القبب والسرحان الذئب شبهه في ضموره وعدوه به وجمعه سراحين وقد قالوا سراح والهامة أعلى الراس وهي أم الدماغ وهي من أسماء الطير والنسر هو ما ارتفع من بطن الحافر من اعلاه كأنه النوى والحصى وهو من أسماء الطير وجمعه نسور

رحبت نعامته ووفر فرخه * وتمكن الصردان في النحر

رحبت اتسعت نعامته جلدة رأسه التي تغطي الدماغ وهي من أسماء الطير وقوله ووفر فرخه الفرخ هو الدماغ وهو من أسماء الطيور ووفر أي تم يقال وفرت الشئ ووفرته بالتخفيف فهو موفور والصردان عرقان في أصل اللسان ويقال انهما عرقان اخضران مكتنفان باطن اللسان منهما الريق ونفس الرئة وهما من أسماء الطير وفي الظهر صرد أيضا وهو بياض يكون في موضع السرج من أثر الدبر يقال فرس صرد اذا كان ذلك به والنحر موضع القلادة من الصدر وهو البرك

وأناف بالعصفور من سعف * هام اشم موثق الجذر

واناف أشرف والعصفور منبت الناصية والعصفور أيضا عظم ناتئ في كل جبين والعصفور من الغرر أيضا وهي التي سالت ودقت ولم تجاوز العينين ولم تستدر كالقرحة وهو من أسماء الطير والسعف يقال فرس بين السعف وهو الذي سالت ناصيته هام أي سائل منتشر أشم مرتفع والشمم في الانف ارتفاع قصبته ويروى هادا شم يريد عنقا مرتفعا وجمعه هواد وقوله موثق أي شديد قوي والجذر الاصل من كل شئ قال الاصمعي وغيره هو بالفتح وقال أبو عمرو بن العلاء هو بالكسر

وازدان بالديكين صلصله * ونبت دجاجته عن الصدر

ازدان افتعل من قولك زان يزين وكان الاصل ازتان فقلبت التاء الدال الاقرب مخرجها من مخرج الزاي وكذلك ازداد من زاد يزيد والديكان واحدهما ديك وهو العظم الناتئ خلف الاذن وهو الذي يقال له الخششاء والخشاء والصلصل بياض الناصية ويقال هو أصل الناصية والدجاجة اللحم الذي على زوره بين يديه والديك والصلصل والدجاجة من أسماء الطير

والناهضان أمر جلزهما * فكأنما عثما على كسر

الناهضان واحدهما ناهض وهو لحم المنكبين ويقال هو اللحم الذي يلي العضدين من أعلاهما والجمع نواهض ويقال في الجمع أنهض على غير قياس والناهض فرخ القطا وهو من أسماء الطير وقوله أمر جلزهما أي فتل واحكم يقال امررت الحبل فهو ممر أي فتلته والجلز الشد وقوله فكأنما عثما على كسر أي كأنهما كسرا ثم جبرا يقال عثمت يده والعثم الجبر على عقدة وعوج وعثمان فعلان منه

وقد قال يحيى بن أبي حفصة الاموي في عاملة

واسنا نبالي نأي عاملة التي
أبدمها من نحو بصرى انحدارها
تدافعها الاحياء حتى كأنها
ثياب بدا للمشترين عوارها
قد فنا بها المأذات قذف حاذف
بسود حصى حفت عليه صغارها

ويشبه قول علي رضي الله عنه وعففت عن أثوابه قول عنترة ابن شداد العبسي

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك
ان كنت جاهلة بما لم تعلم
يخبرك من شهد الوقيعة أنني
أغشى الوغى وأعف عند المغنم

(وقال حبيب بن أوس الطائي)

ان الاسود أسود الغاب همتها
يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

(قد علقت) بذيل ما أوردته والحقت بطرف ما جودته من كلام سيد الاولين والآخرين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم وعلى آله الاخيار الطيبين قطعة من كلام الخلفاء الراشدين قدمتهم أمام كل كلام لتقدمهم على الخلق واحذهم بقصب السبق وهم كما قال بعض المتكلمين يصف قوما من الزهاد الواعظين جلوا بكلامهم الابصار العليلة وشحذوا بمواعظهم الاذهان الكليلة ونبهوا القلوب من رقدتها ونقلوها عن سوء عاداتها فشفوا من داء القسوة وغباوة الغفلة وداووا من العي الفاضح ونهجوا لنا الطريق الواضح وآثرت أن الحق بعد ذلك جملة من سليم كلام الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين وأدرج في درج

مصعنفر الجنبين ملتئم * ما بين شيته الى الغرر

مصعنفر الجنبين اى منتفخهما ملتئم أى معتدل وشيته مؤخره والشية أيضا من قولك فرس بين الشية وهى بياض فيه ويقال ان تكون شامة أوشام فى جسده والغرر الاغلب على الذى يسمى الرخمة من الفرس وهى عضلة الساق

وصفت سماناه وحافره * وأديمه ومنابت الشعر

السمانى طائر وهو موضع من الفرس لا احفظه الا ان يكون أراد السمامة وهى دائرة تكون فى سالفة الفرس وهو عنقه والسمامة من الطير أيضا والاديم الجلد

وسما الغراب لموقعيه معا * فأبين بينهما على قدر

سما الغراب اى ارتفع والغراب رأس الورك ويقال للصلوين الغرابان وهما مكتنفا عجب الذنب ويقال لهما اعالى الوركين والموقعان منه فى اعالى الخاصرتين فأبين اى فرق بينهما على قدر اى على استواء واعتدال

واكتن دون قبيحه خطافه * ونأت سمامته على الصقر

اكتن اى استتر والقبيح ملتقى الساقين ولا يقال انه مركب الذراعين فى العضدين والخطاف من اسماء الطير وهو حيث ادركت عقب الفارس اذا حرك رجليه ويقال لهذين الموضعين من الفرس المركلان ونأت اى بعدت والسمامة دائرة تكون فى عنق الفرس وقد ذكرناها وهى من اسماء الطير والصقر احسبها دائرة فى الرأس ولا وقفت عليها وهى من أسماء الطير

وتقدمت عنه القطاة له * فنأت بموقعها عن الحر

القطاة مقعد الردف وهى من أسماء الطير والحر من الطير يقال انه ذكر الحمام وهو من الفرس سواد يكون فى ظاهر اذنيه

وسما على نقويه دون حداته * خربان بينهما مدى الشبر

النقوان واحدهما نقو والجمع انقاء وهو عظم ذو مخ واراد بهما هنا عظام الوركين لان الخرب هو الذى تراه مثل المدهن فى ورك الفرس وهو من الطير ذكر الحبارى والحداة من الطير واصله الهمز ولكنه خفف وهى سالفة الفرس وجمعها حداء على وزن فعال كما تقول عظاة وعظاء ويقال عظاية واذا فتحت الفاء قلت حداة وهو الفاس ذات الرأسين وجمعها حدا مثل نواة ونوى وقطاة وقطا

يدع الرضيم اذا جرى فلقا * بتوائم كمواسم سمر

الرضيم الحجارة الفلق المكسورة فلقا بتوائم جمع توام وقد قالوا توأم على وزن فعل جمع تؤم وهى على غير قياس يقال هو مثنى يعنى حوافره والمواسم جمع ميسم الحديد اى فى صلابتها وقوله سمر اى لون واحد وهو أصلب الحوافر

ركبن فى محض الشوى سبط * كفت الوثوب مشدد الاسر

الشوى ههنا القوائم والواحدة شواة ويقال فرس محض الشوى اذا كانت قوائمه معصوبة سبط سهل كفت الوثوب اى مجتمع من قولك كفت الشئ اذا جمعته وضممته مشدد الاسر اى الخلق قال الاصمعى فأمر لى بألف درهم (وقال أبو النجم يصف الحلبة)

ثم سمعنا برهان نأمله * قد لمه من كل افق جحفله * فقلت للسائس قده اعجله
واغد لعنا فى الرهان نرسله * نعلو به الحزن ولا نسهله * اداءلا الاخشب صاح جندله
ترنم النوح يبكى مثكله * كان فى الصوت الذى يفصله * زمارد فى تغنى جلعله
حتى وردنا المصر يطوى قنبله * طى التجار العصب اذ تنخله * وقد رأينا فعلهم فنفعله
نطويه والطى الرقيق يجزله * نضمر الشحم ولسنا نهزله * حتى اذا الليل تولى انجله
واتسع الايدى منه أرجله * قمنا على هول شديد وجله * غد حبلا فوق حط نعدله
نقول قدم ذا وهذا أدخله * وقام مشقوق القميص يعقله * فوق الجنابى قليلا يفضله
ادرك عقلا والرهان عمله * حتى اذا أدرك حبلا مرسله * ثار عجاج مستطير قسطله
تنفش منه الخيل ما لا تغزله * مرا يعطيها ومرا تجعله

كلامهم وانتثاره وانتظامه ثم ما التف عليه والتف [illegible] وتعلق بأغصانه وتشعب بفنونه كما تقدم واخرج الى صفات البلاغات وآخذ بعد ذلك فى نظم عقود الآداب ورقم برود الالباب

من كل معنى يكاد الميت يفهمه
حسنا ويعبده القرطاس والقلم

(قال معاوية) بن أبى سفيان رحمه الله تعالى أفضل ما أعطى الرجل العقل والحلم فاذا ذكر ذكر واذا أساء استغفر واذا وعد أنجز (وصف معاوية) الوليد بن عتبة فقال انه لبعيد الغور ساكن الفور وان العود من لحائه والولد من آبائه والله انه لنبات أصل لا يخاف ونجل فحل لا يقرف (ومرض معاوية) مرضا شديدا فارجف به مصقلة ابن هبيرة وساعده قوم على ذلك ثم تماثل وهم فى ارجافهم فحمل زياد مصقلة الى معاوية وكتب اليه انه يجمع مراقا من مراق العراق فيرجفون بأمير المؤمنين وقد حملته اليه ليرى رأيه فيه فقدم مصقلة وجلس معاوية للناس فلما دخل عليه قال ادن منى فدنا منه فأخذ بيده فجذبه فسقط مصقلة فقال معاوية

أبقى الحوادث من خليـ
ـلك مثل جندلة المراجم
صلبا اذا خار الرجا
ل أبل ممتنع الشكائم
قد رامنى الاعداء قبـ
ـلك فامتنعت من المظالم

فقال مصقلة يا أمير المؤمنين قد أبقى الله منك ما هو أعظم من ذلك حلما وكلأ ومرعى لأوليائك وسما ناقعا لاعدائك

مر القطا انصب عليه اجدله * وهو يحيّ البال سام وهله * قدامها ميلا لمن يمثله
تطيره الجن وحينا ترجله * تسبح أخراه ويطفو أوله * ترى الغلام ساجيا ما يركله
تعطيه ما شاء وليس يسأله * كأنه من زبد تسربله * في كرسف الندّاف لولا بلله
تخال مسكا عله معلله * ثم تناولنا الكلاء نتزله * عن مفرع الكتفين حلو عطله
منتفخ الجوف عريض كلكله * فوافق الخيل ونحن نشكله * والجنّ عكاف به تقبله

(وقال آخر في فرس أبي الاعور السلمي)

مرّ كلمع البرق سام ناظره * تسبح أولاه ويطفو آخره * فما يمس الارض منه حافره

قول هذا أشبه من قول أبي النجم لانه يقول تسبح أخراه ويطفو أوله وقال الاصمعي اذا وأن الفرس كما قال أبو النجم خمار الكساح أسرع منه لان اضطراب مؤخره قبيح وكان أبو النجم وصافا للخيل الا انه غلط في هذا البيت وقد غلط رؤبة أيضا في الفرس فقال يصف قوائمه * يهوين شتى ويقعن وقعا * ولما أنشده مسلم بن قتيبة قال له أخطأت في هذا يا أبا الجحاف جعلته مقيدا قال قربني من ذنب البعير

وأنشد الاصمعي قد أطرق الحي على سابح * أسطع مثل الصدع الاجرد
* لما أتيت الحي في دفة * كان عرجونا بثني يدي * أقبل يختال في شأوه
يضرب في الاقرب والابعد * كأنه سكران أو عابس * أو ابن رب حرث المولد

(وقال عنترة) أما اذا استقبلته فكأنه * جذع سما فوق الدليل مشذب
واذا عرضت له استوت اقتادة * وكأنه مستدبرا مستصوب

(وقال ابن المعتز) وقد يحضر الهيجاء في شبح النسا * تكامل في اسنانه فهو قارح
له عنق يغتال طول عنانه * وصدر اذا أعطيته الجري سابح
اذا مال عن اعطافه قلت شارب * عناه بتصريف المدامة طافح

(وقال أيضا) ولقد وطئت الغيث يحملني * طرف كلون الصبح حين وقد
يمشي ويعرض في العنان كما * صدق العشق بالدلال وصد
طارت به رجل مرصعة * وحامة لحصى الطريق ويد
وكأنه موج يسيل اذا * أطلقته واذا حبست جمد

(في الحلبة والرهان) والحلبة مجمع الخيل ويقال مجتمع الناس للرهان وهو من قولك حلب بنو فلان على بني فلان واحلبوا اذا اجتمعوا ويقال منه أخذ حلب الحالب اللبن في القدح أي جمعه فيه والحلاب الحبل الذي يمد في صدور الخيل عند الارسال للقبض والمنصبة الخيل حين تنصب للارسال وأصل الرهان من الرهن كان الرجل يراهن صاحبه في المسابقة يضع هذا رهنا وهذا رهنا فأيهما سبق فرسه أخذ رهنه ورهن صاحبه والرهان مصدر راهنته مراهنة ورهانا كما تقول قاتلته مقاتلة وقتالا وهذا كان من أمر الجاهلية وهو القمار المنهي عنه فان كان الرهن من أحدهما بشيء مسمى على انه ان سبق لم يكن له شيء وان سبقه صاحبه أخذ الرهن فهذا حلال لان الرهن انما هو من أحدهما دون الآخر وكذلك ان جعل كل واحد منهما رهنا وأدخلا بينهما محللا وهو فرس ثالث يكون مع الاولين ويسمى أيضا الدخيل ولا يجعل لصاحب الثالث شيء ثم يرسلون الافراس الثلاثة فان سبق أحد الاولين أخذ رهنه ورهن صاحبه فكان له طيبا وان سبق الدخيل أخذ الرهنين جميعا وان سبق هو لم يكن عليه شيء ولا يكون الدخيل الا رائعا جوادا لا يأمنان ان يسبقهما والا فهذا قمار لانهما كأنهما لم يدخلا بينهما محللا قال الاصمعي السابق من الخيل الاول والمصلي الثاني الذي يتلوه قال وانما قيل له مصلي لانه يكون عند صلوى السابق وهما جانبا ذنبه عن يمينه وشماله ثم الثالث والرابع لا اسم لواحد منهما الى العاشر فانه يسمى سكيتا قال أبو عبيدة لم نسمع في سوابق الخيل ممن يوثق بعلمه أسماء لشيء منها الا الثاني

كانت الجاهلية فكان أولئك سيد المشركين واصبح الناس مسلمين وانت أمير المؤمنين وقام فوصله معاوية واذن له في الانصراف الى الكوفة فقيل له كيف تركت معاوية فقال زعمتم انه لما به والله لقد غمزني غمزة كاد يحطمني وجذبني جذبة كاد يكسر عضوا مني (ودخل الاحنف بن قيس) على معاوية وافدا لاهل البصرة ودخل معه النمر بن قطبة وعلى النمر عباءة قطرانية وعلى الاحنف مدرعة صوف وشملة فلما مثلا بين يدي معاوية اقتحمتهما عينه فقال النمر يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها فأومأ اليه فجلس ثم أقبل على الاحنف فقال ثم مه فقال يا أمير المؤمنين اهل البصرة عدد يسير وعظم كسير مع تتابع من المحول واتصال من الذحول فالمكثر فيها قد اطرق والمقل قد املق وبلغ منه المخنق فان رأى أمير المؤمنين ان ينعش الفقير ويجبر الكسير ويسهل العسير ويصفح عن الذحول ويداوي المحول ويأمر بالعطاء ليكشف البلاء ويزيل اللأواء وان السيد من يعم ولا يخص ومن يدعو بالجفلى ولا يدعو النقرى ان احسن اليه شكر وان اسيء اليه غفر ثم يكون من وراء ذلك لرعيته عمادا يرفع عنهم الملمات ويكشف عنهم المعضلات فقال له معاوية ههنا يا أبا بحر ثم تلا ولتعرفنهم في لحن القول (ومن جميل المحاورات ما رواه المدائني) قال وفد أهل العراق على معاوية

والعاشر فان الثاني اسمه المصلي والعاشر السكيت وما سوى ذلك يقال له الثالث والرابع وكذلك الى التاسع ثم السكيت ويقال السكيت بالتشديد والتخفيف فما جاء بعد ذلك لم يعتد به والفسكل بالكسر الذي يجيء آخر الخيل والعامة تسميه الفسكل بالضم وقال أبو عبيدة القاشور الذي يجيء في الحلبة آخر الخيل وهو الفسكل وانما قيل للسكيت سكيت لانه آخر العدد الذي يقف العاد عليه والسكت الوقوف هكذا كانوا يقولون فاما اليوم فقد غيروا وكان من شأنهم ان يمسحوا على وجه السابق قال جرير

اذا شئتم أن تمسحوا وجه سابق * جواد فمدوا في الرهان عنانيا

(ومن قولنا في هذا المعنى) واذا جياد الخيل ماطلها المدى * وتقطعت في شأوها المبهور

خلوا عناني في الرهان ومسحوا * مني بغرة أبلق مشهور

(وصف السلاح) كانت درع علي صدرا لا ظهر لها فقيل له في ذلك فقال اذا استمكن عدوي من ظهري فلا يبق (وروى) الجراح بن عبد الله قد ظاهر بين درعين فقيل له في ذلك فقال لست أقي بدني وانما أقي صدري * واشترى زيد بن حاتم ادراعا وقال اني لست اشتري ادراعا وانما اشتري أعمارا (وقال) حبيب بن المهلب لبنيه لا يقعدن أحدكم في السوق فان كنتم لابد فاعلين فالى زراد أو سراج أو وراق (العتبي) قال بعث عمر بن الخطاب الى عمرو بن معديكرب ان يبعث اليه بسيفه المعروف بالصمصامة فبعث به اليه فلما ضرب به وجده دون ما كان يبلغه عنه فكتب اليه في ذلك فرد عليه انما بعثت الى أمير المؤمنين بالسيف ولم أبعث بالساعد الذي يضرب به * وسأله عمر بن الخطاب يوما عن السلاح فقال يسأل أمير المؤمنين عما بدا له قال ما تقول في الترس قال هو المجن وعليه تدور الدوائر قال فما تقول في الرمح قال أخوك وربما خانك فانقصف قال فالنبل قال منايا تخطئ وتصيب قال فما تقول في الدرع قال مثقلة للراجل مشغلة للفارس وانها لحصن حصين قال فما تقول في السيف قال هناك لا أم لك يا أمير المؤمنين فضربه عمر بالدرة وقال بل لا أم لك قال الحمى صرعتني (الهيثم بن عدي) قال وصف سيف عمرو بن معديكرب الذي يقال له الصمصامة لموسى الهادي فدعا به فوضع بين يديه مجردا ثم قال لحاجبه ائذن للشعراء فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فيه فبدرهم ابن أنيس فقال

حاز صمصامة الزبيدي عمرو * من جميع الانام موسى الامين

سيف عمرو وكان فيما سمعنا * خير ما أغمدت عليه الجفون

أخضر المتن بين حديه نور * من فرند تمتد فيه العيون

أوقدت فيه للصواعق نار * ثم ساطت به الزعاف المنون

فاذا ما سللته بهر الشمس ضياء فلم تكد تستبين * فكأن الفرند والرونق الجا ري في صفحتيه ماء معين

وكأن المنون نيطت اليه * فهو من كل جانبيه منون

ما يبالي من انتضاه لحرب * أشمال سطت به أم يمين

فأمر له ببدرة وخرج جوائزه وضرب الزبير يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة فقطه الى القربوس فقال ما أجود سيفك فغضب وقال الشاعر متى تلق تعدو بعرمهم * ولم كميت أو أغر محجل

تلاقي امرأ ان تلقه فبسيفه * تعلمك الايام ما كنت تجهل

(وقال أبو الشيص) خلته المنون بعد اختيال * بين صفين من قنا ونصال

في رداء من الصفيح صقيل * وقميص من الحديد مذال

وبلغ ابا الاعور ان أصحابه بالبادية قد وقع بينهم شر فوجه ابنه الاغر وقال يا بني كن يد الاصحابك على من قاتلهم واياك والسيف فانه ظل الموت واتق الرمح فانه رشاء المنية ولا تقرب السهام فانها رسل لا تؤامر مرسلها قال فبماذا أقاتل قال بما قال الشاعر

جلاميد يملأن الاكف كأنها * رؤس رجال حلقت بالمواسم

(وذكر اعرابي) قوما تحاربوا فقال اقبلت الفحول تمشي مشي الوعول فلما تصافحوا بالسيوف فغرت

المنايا

وجه الله وفدهم زياد وفيهم الاحنف فقال زياد يا أمير المؤمنين اشخصت اليك اقواما الرغبة واقعد عنك آخرين العذر فقد جعل الله تعالى في سعة فضلك ما يجبر به المتخلف ويكافئ به الشاخص فقال معاوية مرحبا بكم يا معشر العرب اما والله لئن فرقت بينكم الدعوة لقد جمعتكم الرحم ان الله اختاركم من الناس ليختارنا منكم ثم حفظ عليكم نسبكم بأن تخيرا لكم بلادا تجتاز عليها المنازل حتى صفا كم من الامم كما تصفى الفضة البيضاء من خبثها فاصلحوا أخلاقكم ولا تدنسوا انسابكم واعراضكم فان الحسن منكم احسن لقربكم منه والقبيح منكم اقبح لبعدكم عنه فقال الاحنف والله يا أمير المؤمنين ما نعدم منكم قائلا جزيلا ورأيا اصيلا ووعدا جميلا وان أخاك زيادا لمتبع آثارك فينا فنستمتع الله بالامير والمأمور فانكم كما قال زهير فانه ألقى على المداحين فصول القول

وما يك من خير أتوه فانما * توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطي الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل

وهذا البيتان لزهير بن ابي سلمى المزني في قصيدة يقول فيها

وفيهم مقامات حسان وجوهها * وأندية ينتابها القول والفعل

على مكثريهم رزق من يعتريهم * وعند المقلين السماحة والبذل

سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم * فلم يفعلوا ولم يلوا ولم يألوا

(قال بعض اهل العلم) بالمعاني اعجب بقوله ولم يألوا لانه لما

المنايا بأفواهها (وقال آخر) يذكر قوما اسروا واستنزلوهم عن الجياد بأسنة الخرصات ونزعوهم نزع الدلاء بالاشطان (وقال اعرابى) فى آخرين اتبعوا اقواما اغاروا عليهم فقال اجتثوا كل جمالية عيرانة كما يخصفون اخفاف المطى بحوافر الخيل حتى ادركوهم بعد ثالثة فجعلوا المران ارشية المنايا فاستقوا بها ارواحهم ٭ ومن احسن ماقيل فى السيف قول حبيب

ويهتز مثل السيف لو لم تسله ٭ يدان لسلته ظباه من الغمد

(وقال فى صفة الرماح) مثقفات سلبن الروم زرقتها ٭ والعرب ألوانها والعاهر القصفا

(ومن الافراط القبيح قول النابغة فى وصف السيف)

يقد السلوقى المضاعف نسجه ٭ ويوقد فى الصفاح نار الحباحب

يذكر انه يقد الدرع المضاعف نسجه والفارس والفرس ويقع بها فى الارض فيقدح النار من الحجارة (واقبح منه فى الافراط قول الآخر)

تظل تحفر عنه ان ضربت به ٭ بين الذراعين والقيدين والهادى

وقد جمع العلوى وصف الخيل والسلاح كله فأحسن وجوّد حيث يقول

بحسبى من مالى من الخيل اعيط ٭ سليم الشظا عارى النواهق أمعط

وأبيض من ماء الحديد مهند ٭ واسمر عسال الكعوب عنطنط

ومعطوفة الاطراف كبداء سمحة ٭ منجمة الاعضاد صفراء شوحط

فهذا الذى مالى غير ماقد جمعته ٭ على جبة تبارها يتغطغط

وبالبقى امسى على الدهر ليلة ٭ وليس على نفسى أمير مسلط

(ومن قولنا فى وصف الرمح والسيف) بكل ردينى كان سنانه ٭ شهاب بدا فى ظلمة الليل ساطع

تقاصرت الآجال فى طول متنه ٭ وعادت به الآمال وهى فجائع

وساءت ظنون الحرب فى حسن ظنه ٭ فهن لحبات القلوب قوارع

وذى شطب تقضى المنايا بحكمه ٭ وليس لما تقضى المنية دافع

فرند اذا ما اعتن للعين راكد ٭ وبرق اذا ما اهتز بالكف لامع ٭ يسيل أرواح الكماة انسلاله ويرتاع منه الموت والموت رائع ٭ اذا ماالتقت امثاله فى وقيعة ٭ هنالك ظن النفس بالنفس واقع

(ومن قولنا فى السيف) بكل مأثور على متنه ٭ مثل مدب النمل بالقاع

يرتد طرف العين من حده ٭ عن كوكب للموت لماع

(وقال اسحق بن خلف البهرانى فى صفة السيف)

القى بجانب خصره ٭ امضى من الأجل المتاح ٭ وكأنما ذر الهبا ٭ ء عليه أنفاس الرياح

❊(النزع بالقوس)❊ (ابراهيم الشيبانى) قال كان رجل من أهل الكوفة قد بلغه عن رجل من أهل السلطان انه يعرض له ضيعة بواسط فى مغرم لزمه للخليفة فحمل وكيلا له على بغل وازرع له خرجا بدنانير وقال له اذهب الى واسط فاشترلى هذه الضيعة المعروضة فان كفاك مافى هذا الخرج والا فاكتب الى امدك بالمال فخرج فلما أصحر عن البيوت لحق به اعرابى راكب على حمار معه قوس وكنانة فقال له الى اين تتوجه فقال الى واسط قال فهل لك فى الصحبة قال نعم فسارا حتى فوزا فعنت لهما ظباء فقال له الاعرابى أى هذه الظباء أحب اليك المتقدم منها أم المتأخر فأذكيه لك قال له المتقدم فرماه فخرمه بالسهم فاشتويا واكلا فاغتبط الرجل بصحبة الاعرابى ثم عن له زفة قطا فقال أيها تريد فأصرعها لك فأشار الى واحدة منها فرماها فاقتصدها ثم اشتويا واكلا فلما انقضى طعامهما فوق له الاعرابى سهما ثم قال اين تريد ان أصيبك فقال له اتق الله واحفظ زمام الصحبة قال لابد منه قال اتق الله ربك واستبقنى ودونك البغل والخرج فانه مترع مالا قال فاخلع ثيابك فانسلخ من ثيابه ثوبا ثوبا حتى

ذكر السبق بعدهم والتخلف عن بلوغ مساعيهم جاز ان يتوهم السامع ان ذلك لتقصير الطالبين فى طلبهم فأخبر انهم لم يألوا وانهم كانوا غير مقصرين وانهم مع الاجتهاد فى المتأخرين ثم لم يرض بان يجعل بعدهم طارفا فيهم ولاجديدا لديهم حتى جعله ارثا عن الآباء يتوارثه سائر الابناء ثم لم يرض ان يكون فى الآباء حتى جعله موروثا عن آبائهم وهذا لو تكلفه متكلف فى المنثور دون الموزون لما كان له هذا الاقتدار مع هذا الاختصار وكانت قريش معجبة بشعر زهير وقال النبى صلى الله عليه وسلم انا قد سمعنا كلام الخطباء والبلغاء وكلام ابن ابى سلمى فما سمعنا مثل كلامه من احد فجعلوا ابن أبى سلمى غاية فى التجويد كما ترى (وذكر ان عمر بن الخطاب) رضى الله عنه قال ان من اشعر شعرائكم زهيرا كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتبع حواشيه ولا يمدح الرجل الا بما يكون فى الرجال واخذ معنى قول زهير

سعى بعدهم قوم لكى يدركوهم

طريح بن اسمعيل الثقفى فقال لابى العباس عبد الله بن محمد ابن على السفاح

قد طاب الناس ما ابغت ولم
يألوا فما قاربوا وقد جهدوا
فهم ملوك مالم يروك فان
لاح لهم منك بارق خمدوا
تعروهم رعدة لديك كما
قد قف تحت الدجنة الصرد
لا خوف ظلم ولا قلى خلق
لكن جلالا كساكه الصمد
ما يبقك الله للانام فما

دنى مجردا فقال له اخلع اموافك وكان لابسا خفين طائفيين فقال له اتق الله في ودع لي الخفين اتبلغ بهما من الحرفان الرمضاء تحرق قدمي قال لابد منه قال فدونك الخف فاخلعه فلما تناول الخف ذكر الرجل خنجرا كان له في الخف فاستخرجه ثم ضرب به صدره فشقه الى عانته وقال له الاستقصاء فرقة فذهبت مثلا وكان هذا الاعرابي من رماة الحدق (وحدث العتبي) عن بعض اشياخه قال كنت عند المهاجر بن عبد الله والي اليمامة فأتي باعرابي كان معروفا بالسرق فقال له اخبرني عن بعض عجائبك قال عجائبي كثيرة ومن اعجبها انه كان لي بعير لا يسبق وكانت لي خيل لا تلحق فكنت اخرج فلا ارجع خائبا فخرجت فاحترشت ضبا فعلقته على قتبي ثم مررت بخباء ليس فيه الا عجوز فقلت يجب ان يكون لهذه رائحة من غنم وابل فلما امسيت اذا بابل واذا شيخ عظيم البطن شثن الكفين ومعه عبد اسود فلما رآني رحب بي ثم قام الى ناقة فاحتلبها وناولني العلبة فشربت ما يشرب الرجل فتناول الباقي فضرب بها جبهته ثم احتلب تسع اينق فشرب البانهن ثم نحر حوارا فطبخه فأكلت شيئا وأكل الجميع حتى ألقى عظامه بيضا وحثى على كومه وتوسدها ثم غط غطيط البكر فقلت هذه والله الغنيمة ثم قمت الى فحل ابله فخطمته ثم قرنته ببعيري وصحت به فاتبعني واتبعته الابل ارباعا ارباعا في قطار فصارت خلفي كأنها حبل ممدود فمضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة ليلة للمسرع ولم أزل أضرب بعيري مرة بيدي ومرة برجلي حتى طلع الفجر فأبصرت الثنية واذا عليها اسواد فلما دنوت منه اذا الشيخ قاعد وقوسه في حجره فقال اضيفنا قلت نعم قال اتسخو نفسك عن هذه الابل قلت لا فاخرج سهما كأنه لسان كلب ثم قال انظر بين اذني الضب المعلق في القتب ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه فقال لي ما تقول قلت انا على رأيي الاول قال انظر هذا السهم الثاني في فقرة ظهره الوسطى ثم رمى به فكأنما قدره بيده ثم قال رأيك فقلت اني احب ان استثبت قال انظر هذا السهم الثالث في عكوة ذنبه والرابع والله في بطنك ثم رماه فلم يخطئ العكوة قلت أنزل آمنا قال نعم فدفعت اليه خطام فحله وقلت هذه ابلك لم تذهب منها وبرة وانا انظر متى يرميني بسهم يقصد به قلبي فلما تباعدت قال اقبل فأقبلت والله فرقا من شره لا طمعا في خيره فقال ما أحسبك تجشمت الليلة ما تجشمت الا من حاجة قلت نعم قال فاقرن من هذه الابل بعيرين وامض لطيتك قال قلت اما والله لا أمضي حتى أخبرك عن نفسك فلا والله ما رأيت اعرابيا أشد ضرسا ولا اعدى رجلا ولا أرمى يدا ولا أكرم عفوا ولا أسخى نفسا منك فصرف وجهه عني حياء وقال خذ الابل برمتها مباركا لك فيها (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم اركبوا وارموا وان ترموا احب الي من ان تركبوا وقال كل لهو المؤمن باطل الا في ثلاث تأديبه فرسه ورميه عن كبد قوسه وملاعبته امرأته فانه حق ان الله ليدخل الجنة بالسهم الواحد عامله المحتسب والقوي به في سبيل الله أي والرامي في سبيل الله (وروى) عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو قائم على المنبر وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي وكان أرمى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن ابي وقاص لان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له فقال اللهم سدد رميته وأجب دعوته فكان لا يرد له دعاء ولا يخيب له سهم (وذكر اسامة بن زيد) ان شيوخا من اسلم حدثوه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم وهم يرمون ببطحان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا يا بني اسمعيل فقد كان أبوكم راميا وأنا مع ابن الادرع فتمسك القوم فقالوا يا رسول الله من كنت معه فقد نضل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا وانا معكم كلكم فانتضلوا ذلك اليوم ثم رجعوا بالسواء ليس لاحد على احد منهم فضل (وقال عمر) اتزروا وارتدوا وانتعلوا واحتفوا وارموا الاغراض والقوا الركب وانزوا على الخيل نزوا وعليكم بالمعدية او قال بالعربية ودعوا التنعم وزي العجم (وقال ايضا) ان تخور قواكم ما نزوتم ونزعتم * وجنى قوم من اهل المدينة جناية فارسل السلطان اليهم جندا من محاربة ابن زياد فقال رجل من اهل البادية يذمر اصحابه فقال يا معشر

يفقد من العالمين يفتقد

(وقال معاوية رحمه الله) المروءة احتمال الجريرة واصلاح امر العشيرة والنبل الحلم عند الغضب والعفو عند المقدرة

(فقر من كلامه رضي الله عنه)

ما رأيت تبذيرا قط الا والى جنبه حق مضيع انقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة التسلط على المماليك من لؤم المقدرة وسوء الملكة (وقال يحيى بن خالد) ما حسن ادب رجل الا ساء ادب غلمانه (وقال معاوية) اصلاح ما في يدك اسلم من طلب ما في ايدي الناس غنى علي من املك وما غنى على من لا املك (ولما) توفي معاوية رحمه الله تعالى واستخلف يزيد ابنه اجتمع الناس على بابه ولم يقدروا على الجمع بين تهنئة وتعزية حتى اتى عبد الله بن همام السلولي فدخل عليه فقال يا امير المؤمنين آجرك الله على الرزية وبارك لك في العطية واعانك على الرعية فلقد رزئت عظيما واعطيت جسيما فاشكر الله على ما اعطيت واصبر له على ما رزئت فقد فقدت خليفة الله ومنحت خلافة الله ففارقت جليلا ووهبت جزيلا اذ قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنبه ووليت الرياسة فأعطيت السياسة فأوردك الله موارد السرور ووفقك لصالح الامور وانشده

فاصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة
واشكر حباء الذي بالملك اصفاكا

العرب ويا بنى المحصنات قاتلوا عن احسابكم وانسابكم فوالله ان ظهر هؤلاء عليكم لا يدعون بها لبنة حمراء ولا نخلة خضراء الا وضعوها بالارض ولا اعتراكم من نشاب معهم فى جعاب كانها ايور الفيلة ينزعون بها كانها النبط تئط احداهن أطيط الزرنوق يمط أحدهم فيها حتى يتفرق شعر ابطيه ثم يرسل نشابة كانها رشاء منقطع فما بين أحدكم وبين ان تنفضخ عينه أو ينصدع قلبه منزلة فخلع قلوبهم فطاروا رعبا ﴿مشاورة المهدى لاهل بيته فى حرب خراسان﴾ هذا ما تراجع فيه المهدى ووزراؤه وما دار بينهم من تدبير الرأى فى حرب خراسان أيام تحاملت عليهم العمال واعتنفت فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكانة على ان نكثوا بيعتهم ونقضوا موثقهم وطردوا العمال والتووا بما عليهم من الخراج وحمل المهدى ما يحب من مصلحتهم ويكره من عنتهم على ان أقال عثرتهم واغتفر زلتهم واحتمل دالتهم تطولا بالفضل واتساعا بالعفو وأخذا بالحجة ورفقا بالسياسة ولذلك لم يزل مذ حمله الله اعباء الخلافة وقلده أمور الرعية رفيقا بمدار سلطانه بصيرا بأهل زمانه باسطا للمعدلة فى رعيته تسكن الى كنفه وتأنس بعفوه وتثق بحلمه فاذا وقعت الاقضية اللازمة والحقوق الواجبة فليس عنده هوادة ولا اغضاء ولا مداهنة اثرة للحق وقياما بالعدل وأخذا بالحزم فدعا اهل خراسان الاغترار بحلمه والثقة بعفوه ان كسروا الخراج وطردوا العمال وسألوا ما ليس لهم من الحق ثم خلطوا احتجاجا باعتذار وخصومة باقرار وتنصلا باعتلال فلما انتهى ذلك الى المهدى خرج الى مجلس خلائه وبعث الى نفر من لحمته ووزرائه فاعلمهم الحال واستنصحهم للرعية ثم أمر الموالى بالابتداء وقال للعباس بن محمد اى عم تعقب قولنا وكن حكما بيننا وارسل الى ولديه موسى وهرون فاحضرهما الامر وشاركهما فى الرأى وامر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم واثبات مقالتهم فى كتاب فقال سلام صاحب المظالم أيها المهدى ان فى كل امر غاية ولكل قوم صناعة استفرغت رأيهم واستغرقت اشغالهم واستنفدت اعمارهم وذهبوا بها وذهبت بهم وعرفوا بها وعرفت بهم ولهذه الامور التى جعلنا فيها غاية وطلبت معونتنا عليها اقوام من ابناء الحرب وساسة الامور وقادة الجنود وفرسان الهزاهز واخوان التجارب واطفال الوقائع الذين رضعتهم بثعالبها وفيأتهم ظلالها وعضتهم شدائدها وقرمتهم نواجذها فلو عجمت ما قبلهم وكشفت ما عندهم لوجدت نظائر تؤيد امرك وتجارب توافق نظرك واحاديث تقوى قلبك فاما نحن معاشر عمالك واصحاب دواوينك فحسن بنا وكثير منا ان نقوم بثقل ما حملتنا من عملك واستودعتناه من امانتك وشغلتنا به من امضاء عدلك وانفاذ حكمك واظهار حقك (فأجابه المهدى) ان فى كل قوم حكمة ولكل زمان سياسة وفى كل حال تدبير يبطل الآخر الاول ونحن اعلم بزماننا وتدبير سلطاننا (قال نعم) أيها المهدى انت متسع الرأى وثيق العقدة قوى المنة بليغ الفطنة معصوم النية محضور الروية مؤيد البديهة موفق العزيمة معان بالظفر مهدى الى الخير ان هممت ففى عزمك مواقع الظن وان اجمعت صدع فعلك ملتبس الشك فاعزم يهد الله الى الصواب قلبك وقل ينطق الله بالحق لسانك فان جنودك جمة وخزائنك عامرة ونفسك سخية وامرك نافذ (فأجابه) المهدى ان المشاورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة لا يهلك عليهما رأى ولا يتفيل معهما حزم فأشيروا برأيكم وقولوا بما يحضركم فانى من ورائكم وتوفيق الله من وراء ذلك (قال الربيع) أيها المهدى ان تصاريف وجوه الرأى كثيرة وان الاشارة ببعض معاريض القول يسيرة ولكن خراسان ارض بعيدة المسافة متراخية الشقة متفاوتة السبيل فاذا ارتأيت من محكم التدبير ومبرم التقدير ولباب الصواب رأيا قد احكمه نظرك وقلبه تدبيرك فليس وراءه مذهب طاعن ولا دونه معلق لخصومة عائب ثم اجمعت البريد به وانطوت الرسل عليه كان بالحرى ان لا يصل اليهم محكمه وقد حدث منهم ما ينقضه فالسران ترجع اليك الرسل وترد عليك الكتب بحقائق اخبارهم وشوارد آثارهم ومصادر امورهم فتحدث رأيا غيره وتبتدع تدبيرا سواه قد انفرجت الحلق وتحللت العقد واسترخى الحقان وامتد الزمان ثم لعل ما موقع الآخرة كمصدر

لارزء اصبح فى الاقوام نعلمه
كما رزئت ولا عقبى كعقباكا
اصبحت والى امر الناس كلهم
فانت ترعاهم والله يرعاكا
وفى معاوية الباقى لنا خلف
اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا
يريد ابا ليلى معاوية بن يزيد وولى بعد ابيه شهورا ثم انخلع عن الامر فقال القائل
* والملك بعد ابى ليلى لمن غلبا *
(واول) من فتح الباب فى الجمع بين تهنئة وتعزية عبد الله بن همام فولجه الناس (ومن جيد ما قيل فى ذلك) قصيدة أبى تمام الطائى يمدح الواثق ويرثى المعتصم يقول فيها
ان اصبحت هضبات قدس ازالها
قدر فما زالت هضاب شمام
او يفتقد ذو النون فى الهيجا فقد
دفع الاله لنا عن الصمصام
اوكنت منا غاربا غدوا فقد
رحنا باسمى غارب وسنام
تلك الرزية لا رزية مثلها
والقسم ليس كسائر الاقسام
وهذا المعنى كثير (وكان معاوية) رحمه الله قد ترك قول الشعر فى آخر عمره فنظر يوما الى جارية فى داره ذات خلق رائع فدعاها فوجدها بكرا فافترعها وانشأ يقول
شمت غوايتى فأرحت حلمى
وفى على تحملى اعتراضى
على انى اجيب اذا دعتنى
ذوات الدل والحدق المراض
﴿نقريظ جماعة الصحابة والتابعين رضى الله تعالى عنهم اجمعين﴾

الاولى ولكن الرأى لك ايها المهدى وفقك الله ان تصرف اجالة النظر وتقليب الفكر فيما جمعتنا له واستشرتنا فيه من التدبير لحربهم والحيل فى امرهم الى الطالب لرجل ذى دين فاضل وعقل كامل وورع واسع ليس موصوفا بهوى فى سوائك ولا متهما فى اثرة عليك ولا ظنينا على دخلة مكر وهنة ولا منسوبا الى بدعة محذورة فيقدح فى ملكك ويريض الامور لغيرك ثم تسند اليه امورهم وتفوض اليه حربهم وتأمره فى عهدك ووصيتك اياه بلزوم امرك ما لزمه الحزم وخلاف نهيك اذا خالفه الرأى عن استحالة الامور واشتداد الاحوال التى ينقض امر الغائب عنها ويثبت رأى الشاهد لها فانه اذا فعل ذلك فواتت امرهم من قريب وسقط عنه ما يأتى من بعيد تمت الحيلة وقويت المكيدة ونفذ العمل واحد النظر ان شاء الله (قال الفضل بن العباس) أيها المهدى ان ولى الامور وسائس الحروب ربما نحى جنوده وفرق امواله فى غير ما ضيق أمر حزبه ولا ضغطة حال اضطرته فيقعد عند الحاجة اليها وبعد التفرقة لها عديما منها فاقدا لها لا يثق بقوة ولا يصول بعدة ولا يفزع الى ثقة فالرأى لك أيها المهدى وفقك الله ان تعفى خزائنك من الانفاق للاموال وجنودك من مكابدة الاسفار ومقارعة الخطار وتغرير القتال ولا تسرع للقوم فى الاجابة الى ما يطلبون والعطاء لما يسألون فيفسد عليك ادبهم وتجرئ من رعيتك غيرهم ولكن اغزهم بالحيلة وقاتلهم بالمكيدة وصارعهم باللين وخاتلهم بالرفق وابرق لهم بالقول وارعد نحوهم بالفعل وابعث البعوث وجند الجنود وكتب الكتائب واعقد الالوية وانصب الرايات واظهر انك موجه اليهم الجيوش مع احنق قوادك عليهم واسوئهم أثرا فيهم ثم ادسس الرسل وابثث الكتب وضع بعضهم على طمع من وعدك وبعضا على خوف من وعيدك وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم واغرس أشجار التنافس بينهم حتى تملأ القلوب من الوحشة وتنطوى الصدور على البغضة ويدخل كلا من كل الحذر والهيبة فان مرام الظفر بالغيلة والقتال بالحيلة والمناصبة بالكتب والمكايدة بالرسل والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل فى القلوب القوى الموقع من النفوس المعقود بالحجج الموصول بالحيل المبنى على اللين الذى يستميل القلوب ويسترق العقول والآراء ويستميل الاهواء ويستدعى المؤاتاة أنفذ من القتال بظبات السيوف وأسنة الرماح كما أن الوالى الذى يستنزل طاعة رعيته بالحيل ويفرق كلمة عدوه بالمكايدة أحكم عملا والطف منظرا وأحسن سياسة من الذى لا ينال ذلك الا بالقتال والاتلاف للاموال والتغرير والخطار وليعلم المهدى انه ان وجه لقتالهم رجلا لم يسر لقتالهم الا بجنود كثيفة تخرج عن حال شديدة وتقدم على أسفار ضيقة وأموال متفرقة وقواد غششة ان ائتمنهم استنفدوا ماله وان استنصحهم كانوا عليه لا له (قال المهدى) هذا رأى قد اسفر نوره وأبرق ضوءه وتمثل صوابه للعيون وتجسد حقه فى القلوب ولكن فوق كل ذى علم عليم (ثم نظر) الى ابنه على فقال ما تقول قال على أيها المهدى ان أهل خراسان لم يخلعوا عن طاعتك ولم ينصبوا من دونك أحدا يقدح فى تغيير ملكك ويريض الامور لفساد دولتك ولو فعلوا لكان الخطب أيسر والشأن أصغر والحال أذل لان الله مع حقه الذى لا يخذله وعند موعده الذى لا يخلفه ولكنهم قوم من رعيتك وطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم واليا وجعل العدل بينك وبينهم حاكما طلبوا حقا وسألوا انصافا فان أجبت الى دعوتهم ونفست عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال أو يحدث من عندهم فتق اطعت أمر الرب واطفأت نائرة الحرب ووفرت خزائن المال وطرحت تغرير القتال وحمل الناس محمل ذلك على طبيعة جودك وسجية حلمك واسجاح خليقتك ومعدلة نظرك فأمنت أن تنسب الى ضعف وأن يكون ذلك فيما بقى دربة وان منعتهم ما طلبوا ولم تجبهم الى ما سألوا اعتدلت بك وبهم الحال وساويتهم فى ميدان الخطاب فما أرب المهدى أن يعمد الى طائفة من رعيته مقرين بمملكته مذعنين بطاعته لا يخرجون أنفسهم عن قدرته ولا يبرئونها من عبوديته فيملكهم أنفسهم ويخلع نفسه عنهم ويقف على الحيل معهم ثم يجازيهم السوء فى حد المنازعة ومضمار المخاطرة

(ابن عباس) الرحمة من الله صدقة فلا تردوا صدقته لكل داخل هيبة فابدؤا بالتحية ولكل طاعم حشمة فابدؤا باليمين (ابن مسعود رحمه الله) الدنيا كلها هموم فما كان منها فى سرور فهو ربح (عمرو بن العاص) من كثر اخوانه كثر غرماؤه وقال اكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم العار والنار (المغيرة بن شعبة) العيش فى القاء الحشمة وفى كل شئ سرف الا فى المعروف ❊ هذا كقول الحسن بن سهل وقد أنفق فى دخول ابنته بوران على المأمون أموالا عظيمة فقيل له لا خير فى السرف قال لا سرف فى الخير فرد اللفظ واستوفى المعنى (معاذ بن جبل) الدين هدم الدين (زياد) ارض من أخيك اذا ولى ولاية بعشر وده قبلها (مصعب بن الزبير) التواضع من مصايد الشرف (الاحنف بن قيس) من لم يصبر على كلمة سمع كلمات وقيل له من السيد قال الذى اذا أقبل هابوه واذا ادبر عابوه (وله) سرك من دمك (وله) من تسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون (وله) الكامل من عدت هفواته ❊ وقال يزيد بن محمد المهلبى

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

(الحسن البصرى) لا تستعيرون من طول ما لا تستعيرون ابن آدم راحل الى الآخرة كل يوم مرحلة ما انصفك من كلفك اجلاله ومنعك ماله بدن لا يشتكى مثل مال لا يزكى ان امرأ ليس بينه وبين آدم أب حى لمعرق فى الموتى

أريد المهدي وفقه الله الاموال فلعمري لا ينالها ولا يظفر بها الا بانفاق أكثر منها مما يطلب منهم وأضعاف ما يدعي قبلهم ولو نالها فحملت اليه أو وضعت بحرائطها بين يديه ثم تجافى لهم عنها وطال عليهم بها لكان مما اليه ينسب وبه يعرف من الجود الذي طبعه الله عليه وجعل قرة عينه ونهمة نفسه فيه فان قال المهدي هذا رأى مستقيم سديد في أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا وتحامل ولاتنا فاما الجنود الذين نقضوا مواثيق العهود وأنطقوا لسان الارجاف وفتحوا باب المعصية وكسروا قيد الفتنة فقد ينبغي لهم ان أجعلهم نكالا لغيرهم وعظة لسواهم فيعلم المهدي انه لو أتى بهم مغلولين في الحديد مقرنين في الاصفاد ثم اتسع لحقن دمائهم عفوه ولاقالة عثرتهم صفحه واستبقاهم لما هم فيه من حربه اولمن بازائهم من عدوه لما كان بدعا من رأيه ولا مستنكرا من نظره لقد علمت العرب أنه أعظم الخلفاء والملوك عفوا وأشدها وقعا وأصدقها صولة وانه لا يتعاظمه عفو ولا يتكاءده صفح وان عظم الذنب وجل الخطب فالرأى للمهدي وفقه الله تعالى ان يحل عقدهم الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم وأن يذكر أولى حالاتهم وضيعة عيالاتهم برا بهم وتوسعا لهم فانهم اخوان دولته وأركان دعوته وأساس حقه الذين بعزتهم يصول وبحجتهم يقول وانما مثلهم فيما دخلوا فيه من مساخطه وتعرضوا له من معاصيه وانطووا فيه عن اجابته ومثله في قلة ما غير ذلك من رأيه فيهم أونقل من حاله لهم أوتغير من نعمته بهم كمثل رجلين أخوين متناصرين متوازرين أصاب أحدهما خبل عارض ولمم حادث فنهض الى أخيه بالاذى وتحامل عليه بالمكروه فلم يزدد أخوه الا رقة له ولطفا به واحتيالا لمداواة مرضه ومراجعة حاله عطفا عليه وبرا به ومرحمة له (فقال المهدي) أما علي فقد كوى سمت اللبان وفض القلوب في أهل خراسان ولكل نبأ مستقر فقال ماترى يا أبا محمد يعني موسى ابنه (فقال موسى) أيها المهدي لا تسكن الى حلاوة ما يجري من القول على ألسنتهم وأنت ترى الدماء تسيل من خلال فعلهم الحال من القوم ينادي بمضمرة شر وخفية حقد قد جعلوا المعاذير عليها سترا واتخذوا العلل من دونها حجابا رجاء ان يدافعوا الايام بالتأخير والامور بالتطويل فيكسروا حيل المهدي فيهم ويفنوا جنوده عنهم حتى يتلاحم أمرهم وتتلاحق مادتهم وتستفحل حربهم وتستمر الامور بهم والمهدي من قولهم في حال غرة ولباس أمنة قد فترلها وأنس بها وسكن اليها ولولا ما اجتمعت به قلوبهم وبردت عليه جلودهم من المناصبة بالقتال والاضمار للقراع عن داعية ضلال أوشيطان فساد لرهبوا عواقب أخبار الولاة وغب سكون الامور فليشدد المهدي وفقه الله أزره لهم ويكتب كتائبه نحوهم وليضع الامر على أشد ما يحضره فيهم وليوقن انه لا يعطيهم خطة يريد بها صلاحهم الا كانت دربة الى فسادهم وقوة على معصيتهم وداعية الى عودتهم وسببا للفساد من بحضرته من الجنود ومن ببابه من الوفود الذين ان أقرهم وتلك العادة وأجراهم على ذلك الادب لم يبرح في فتق حادث وخلاف حاضر لا يصلح عليه دين ولا تستقيم به دنيا وان طلب تغييره بغير استحكام العادة واستمرار الدربة لم يصل الى ذلك الا بالعقوبة المفرطة والمؤنة الشديدة والرأى للمهدي وفقه الله أن لا يقبل عثرتهم ولا يقبل معذرتهم حتى تطأهم الجيوش وتأخذهم السيوف ويستحر بهم القتل ويحدق بهم الموت ويحيط بهم البلاء ويطبق عليهم الذل فان فعل المهدي بهم ذلك كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم وهزيمة لكل عادة سوء فيهم واحتمال المهدي في مؤنة غزوتهم هذه تضع عنه غزوات كثيرة ونفقات عظيمة (قال المهدي) قد قال القوم فاحكم يا أبا الفضل (فقال العباس) بن محمد أيها المهدي أما الموالي فأخذوا بفروع الرأي وسلكوا جنبات الصواب وتعدوا أمورا قصر بنظرهم عنها انه لم تأت تجاربهم عليها (وأما الفضل) فأشار بالاموال أن لا تنفق والجنود أن لا تفرق وبان لا يعطى القوم ما طلبوا ولا يبذل لهم ما سألوا وجاء بأمر بين ذلك استصغارا لامرهم واستهانة بحربهم وانما يهيج جسيمات الامور صغارها (وأما علي) فأشار باللين وافراد الرفق واذا جرد الوالي لمن غمط أمره وسفه حقه اللين بحتا والخير محضا لم يخلطهما بشدة

(قال الطائي)

تأمل رويدا هل تعدن سالما
الى آدم أم هل تعد ابن سالم

وقال أبو نواس

وما نحن الا هالك وابن هالك
وذونسب في الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو في ثياب صديق

(وكان المأمون) يقول لوقيل للدنيا صفي نفسك ما عدت هذا البيت وهو مأخوذ من قول مزاحم العقيلي

قضين الهوى ثم ارتمين قلوبنا
بأسهم أعداء وهن صديق

(عمر بن عبد العزيز رحمه الله) ما الجزع مما لا بد منه وما الطمع فيما لا يرجى لا تكن ممن يلعن ابليس في العلانية ويواليه في السر (الشعبي) اني لاستحيي من الحق اذا عرفته ان لا أرجع اليه

(قطعة من كلام لبني علي بن أبي طالب أهل البيت رضي الله عنهم) ولهم كلام يعرض في حلى البيان وينقش في فص الزمان ويحفظ على وجه الدهر ويفضح قلائد الدر ويخجل نور الشمس والبدر ولم لا يطؤون ذيول البلاغة ويجرون فضول البراعة وأبوهم الرسول وأمهم البتول وكلهم قد غذي بدر الحكم وربي في حجر العلم

ما منهم الا مرتدي بالحجى
مبشر بالاحوذية مؤدم

(آخر)

غنته العرانين من هاشم
الى النسب الاصرح الاوضح
الى نبعة فرعها في السما
ومغرسها في ذرى الابطح

وهم كما قال مسلم بن بلال العبدي وقد قيل له خطب جعفر بن سليمان

تعطف القلوب على لينه ولا بشر يحبسهم الى خيره فقدمه لكونهم الخلع لعذرهم ووسع لهم الفرجة لثنى أعناقهم فان أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطرهم ولا شدة ونزوة في رؤسهم يستدعون بها البلاء الى أنفسهم ويستصرخون بها رأى المهدى فيهم وان لم يقبلوا دعوته ويسرعوا الاجابة باللين المحض والخير الصراح فذلك ما عليه الظن بهم والرأى فيهم وما قد يشبه أن يكون من مثلهم لان الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم والملك الكبير ما لا يخطر على قلب بشر ولا تدركه الفكر ولا تعلمه نفس ثم دعا الناس اليها ورغبهم فيها ولولا انه خلق نارا جعلها لهم رحمة يسوقهم بها الى الجنة لما أجابوا ولا قبلوا (وأما موسى) فأشار بان يعصبوا بشدة لا لين فيها وان يرموا بشر لا خير معه واذا أضمر الوالى لمن فارق طاعته وخالف جماعته الخوف مفردا والشر مجردا ليس معهما طمع ولا لين يثنيهم اشتدت الامور بهم وانقطعت الحال منهم الى أحد أمرين اما أن تدخلهم الحمية من الشدة والانفة من الذلة والامتعاض من القهر فيدعوهم ذلك الى التمادى في الخلاف والاستبسال في القتال والاستسلام للموت واما أن ينقادوا بالكره ويذعنوا بالقهر على بغضة لازمة وعداوة باقية تورث النفاق وتعقب الشقاق فاذا أمكنتهم فرصة أو ثابت لهم قدرة أو قويت لهم حال عاد أمرهم الى أصعب وأغلظ وأشد مما كان (وقال) في قول أبي الفضل أيها المهدى أكفى دليل وأوضح برهان وأبين خبر بأن قد أجمع رأيه وحزم نظره على الارشاد ببعثة الجيوش اليهم وتوجيه البعوث نحوهم مع اعطائهم ما سألوا من الحق واجابتهم الى ما سألوه من العدل (قال المهدى) ذلك رأى (قال) هرون ما خلطت الشدة أيها المهدى باللين وانتظم أمر الدنيا بالدين فصارت الشدة أمر فطام لما تكره وعاد اللين أهدى قائد الى ما تحب ولكن أرى غير ذلك (قال المهدى) لقد قلت قولا بديعا وخالفت به أهل بيتك جميعا والمرء مؤتمن بما قال وظنين بما ادعى حتى يأتي ببينة عادلة وحجة ظاهرة فاخرج عما قلت (قال هرون) أيها المهدى ان الحرب خدعة والاعاجم قوم مكرة وربما اعتدلت الحال بهم واتفقت الاهواء منهم فكان باطن ما يسرون على ظاهر ما يعلنون وربما افترقت الحالان وخالف القلب اللسان فانطوى القلب على محجوبة تبطن واستسر بمدخولة لا تعلن والطبيب الرفيق بطبه البصير بامره العالم بمقدم يده وموضع ميسمه لا يتعجل بالدواء حتى يقع على معرفة الداء فالرأى للمهدى وفقه الله أن يفر باطن أمرهم فر المسنة ويمخض ظاهر حالهم مخض السقاء بمتابعة الكتب ومظاهرة الرسل وموالاة العيون حتى تهتك حجب عيونهم وتكشف أغطية أمورهم فان انفرجت الحال وأفضت الامور به الى تغيير حال أو داعية ضلال اشتملت الاهواء عليه وانقاد الرجال اليه وامتدت الاعناق نحوه بدين يعتقدونه واثم يستحلونه عصبهم بشدة لا لين فيها ورماهم بعقوبة لا عفو معها وان انفرجت العيون واهتصرت الستور ورفعت الحجب والحال فيهم مريعة والامور بهم معتدلة في أرزاق يطلبونها وأعمال ينكرونها وظلامات يدعونها وحقوق يسألونها بماتة سابقتهم ودالة مناصحتهم فالرأى للمهدى وفقه الله أن يتسع لهم بما طلبوا ويتجافى لهم عما كرهوا ويشعب من أمرهم ما صدعوا ويرتق من فتقهم ما قطعوا ويولى عليهم من أحبوا ويداوى بذلك مرض قلوبهم وفساد أمورهم فانما المهدى وأمته وسواد أهل مملكته بمنزلة الطبيب الرفيق والوالد الشفيق والراعى المجرب الذى يحتال لمرابض غنمه وضوال رعيته حتى يبرئ المريضة من داء علتها ويرد الصحيحة الى أنس جماعتها ثم ان خراسان بخاصة الذين لهم دالة مجهولة وماتة مقبولة ووسيلة معروفة وحقوق واجبة لانهم أيدى دولته وسيوف دعوته وأنصار حقه وأعوان عدله فليس من شأن المهدى الاضطغان عليهم ولا المؤاخذة لهم ولا التوعر بهم ولا المكافأة باساءتهم لان مبادرة حسم الامور ضعيفة قبل أن تقوى ومحاولة قطع الاصول ضئيلة قبل أن تغلظ أحزم في الرأى وأصح في التدبير من التأخير لها والتهاون بها حتى يلتئم قليلها بكثيرها وتجتمع أطرافها الى جمهورها (قال المهدى) ما زال هرون يقع وقع الحيا حتى

خطبة لم أر أحسن منها ولا أدرى أوجهه أحسن أم خطبته وقال أولئك قوم بنور الخلافة يشرقون وبلسان النبوة ينطقون وفيهم يقول القائل

لو كان يوجد عرف مجد قبلهم
لوجدته منهم على أميال
ان جئتهم أبصرت بين بيوتهم
كرما يقيك مواقف التسآل
نور النبوة والمكارم فيهم
متوقد في الشيب والاطفال

وسئل سعيد بن المسيب من أبلغ الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السائل انما أعنى من دونه فقال معاوية وابنه وسعيد وابنه وان ابن الزبير لحسن الكلام ولكن ليس على كلامه ملح فقال له رجل فأين أنت من على وابنه وابن عباس وابنه فقال انما عنيت من تقاربت أشكالهم وتدانت أحوالهم وكانوا كسهام الجعبة وبنو هاشم أعلام الانام وحكام الاسلام

(فصل لابي عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ في ذكر قريش وبنى هاشم) قد علم الناس كيف كرم قريش وسخاؤها وكيف عقولها ودهاؤها وكيف رأيها وذكاؤها وكيف سياستها وتدبيرها وكيف ايجازها وتحبيرها وكيف رجاحة أحلامها اذا خف الحليم وحدة أذهانها اذا كل الحديد وكيف صبرها عند اللقاء وثباتها في اللأواء وكيف وفاؤها اذا استحسن الغدر وكيف جودها اذا حب المال وكيف ذكرها لاحاديث غد وقلة صدودها عن جهة القصد وكيف اقرارها بالحق وصبرها عليه وكيف وصفها له ودعاؤها اليه

خروج خروج القدح من الماء قال وانسل انسلال السيف فيما ادعى فدعوا ما سبق موسى فيه انه هو
الرأى وفى بعده هرون ولكن من لاعنة الخيل وسياسة الحرب وقادة الناس ان أمعن بهم اللجاج
وافرطت بهم الدالة (قال صالح) لسنا نبلغ أيها المهدى بدوام البحث وطول الفكر أدنى فراسة رأيك
وبعض لحظات نظرك وليس ينقص عنك من بيوتات العرب ورجالات العجم ذو دين فاضل ورأى
كامل وتدبير قوى تقلده حربك وتستودعه جندك ممن يحتمل الامانة العظيمة ويضطلع
بالاعباء الثقيلة وأنت بحمد الله ميمون النقيبة مبارك العزيمة مخبور التجارب محمود العواقب
معصوم العزم فليس يقع اختيارك ولا يقف نظرك على احد توليه أمرك وتسند اليه ثغرك الا
أراك الله ما تحب وجمع لك منه ما تريد (قال المهدى) انى لارجو ذلك لقديم عادة الله فيه وحسن
معونته عليه ولكن أحب الموافقة على الرأى والاعتبار للمشاورة فى الامر المهم (قال محمد بن الليث)
أهل خراسان أيها المهدى قوم ذوو عزة ومنعة وشياطين خدعة زروع الحمية فيهم نابتة وملابس
الانفة عليهم ظاهرة فالروية عنهم عازبة والعجلة فيهم حاضرة تسبق سيولهم مطرهم وسيوفهم
عذلهم لانهم بين سفلة لا تعدو مبلغ عقولهم ومنظر عيونهم وبين رؤساء لا يلجمون الا بشدة ولا
يفطمون الا بالمر وان ولى المهدى عليهم وضيعا لم تنقد له العظماء وان ولى أمرهم شريفا تحامل على
الضعفاء وان أخر المهدى أمرهم ودافع حربهم حتى يصيب لنفسه من حشمه ومواليه أو بنى عمه
أو بنى أبيه ناصحا يتفق عليه أمرهم وثقة تجتمع له املاؤهم بلا انفة تلزمهم ولا حمية تدخلهم
ولا عصبية تنفرهم تنفست الايام بهم وتراخت الحال بأمرهم فدخل بذلك من الفساد الكبير
والضياع العظيم ما لا يتلافاه صاحب هذه الصفة وان جد ولا يستصلحه وان جهد الا بعد دهر طويل
وشر كبير وليس المهدى وفقه الله فاطما عاداتهم ولا قارعا صفاتهم بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما
ولا عدل فى ذلك بهما أحدهما لسان ناطق موصول بسمعك ويد ممثلة لعينك وصخرة لا تزعزع
وبهمة لا تثنى وبازل لا يفزعه صوت الجلجل نقى العرض نزيه النفس جليل الخطر قد اتضعت
الدنيا عن قدره وسما نحو الآخرة بهمته فجعل الغرض الاقصى لعينه نصبا والغرض الادنى
لقدمه موطئا فليس يقبل عملا ولا يتعدى أملا وهو رأس مواليك وأنصح بنى أبيك رجل قد غذى
بلطيف كرامتك ونبت فى ظل دولتك ونشأ على قوائم أدبك فان قلدته أمرهم وحملته ثقلهم واسندت
اليه ثغرهم كان قفلا فتحه أمرك وبابا أغلقه نهيك فجعل العدل عليه وعليهم أميرا والانصاف بينه
وبينهم حاكما واذا أحكم المنصفة وسلك المعدلة فأعطاهم ما لهم وأخذ منهم ما عليهم غرس فى الذى
لك بين صدورهم وأسكن لك فى السويداء داخل قلوبهم طاعة راسخة العروق باسقة الفروع
متماثلة فى حواشى عوامهم متمكنة من قلوب خواصهم فلا يبقى فيهم ريب الا نفوه ولا لزمهم
حق الا أدوه وهذا أحدهما والآخر عود من غيضتك ونبعة من أرومتك فتى السن كهل الحلم
راجح العقل محمود الصرامة مأمون الخلاف يجرد فيهم سيفه ويبسط عليهم خيره بقدر
ما يستحقون وعلى حسب ما يستوجبون وهو فلان أيها المهدى فسلطه أعزك الله عليهم ووجهه
بالجيوش اليهم ولا تمنعك ضراعة سنه وحداثة مولده فان الحلم والثقة مع الحداثة خير من الشك
والجهل مع الكهولة وانما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه واختصكم به من مكارم الاخلاق
ومحامد الفعال ومحاسن الامور وصواب التدبير وصرامة الانفس كفراخ عتاق الطير المحكمة
لاخذ الصيد بلا تدريب والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود
والتؤدة والرفق ثابت فى صدوركم مزروع فى قلوبكم مستحكم لكم متكامل عندكم بطبائع لازمة
وغرائز ثابتة (قال معاوية بن عبد الله) افناء أهل بيتك أيها المهدى فى الحلم على ما ذكر واهل
خراسان فى حال عز على ما وصف ولكن ان ولى المهدى عليهم رجلا ليس بقديم الذكر فى الجنود ولا

وكيف سماحة أخلاقها وصونها
لاعراقها وكيف وصلوا قديمهم
بحديثهم وطريفهم بتليدهم
وكيف أشبه علانيتهم سرهم
وقولهم فعلهم وهل سلامة صدر
أحدهم الا على قدر بعد غدره
وهل غفلته الا فى وزن صدق ظنه
وهل ظنه الا كيقين غيره (وقال
عمر) انك لا تنتفع بعقله حتى
تنتفع بظنه (قال أوس بن حجر)
الالمعى الذى يظن بك الظن
ن كان قد رأى وقد سمعا
(وقال آخر)
مليح نجيح اخو مازن
فصيح يحدث بالغائب
(وقال بلعاء بن قيس)
وابغى صواب الرأى اعلم انه
اذا طاش ظن المرء طاشت مقادره
بل قد علم الناس كيف جمالها
وقوامها وكيف غناؤها وبهاؤها
وكيف سرورها ونجابتها وكيف
بيانها وجهارتها وكيف تفكيرها
وبداهتها فالعرب كالبدن
وقريش روحها وقريش روح
وبنو هاشم سرها ولبها وموضع
غاية الدين والدنيا منها وهاشم
ملح الارض وزينة الدنيا وحلى
العالم والسنام الاضخم والكاهل
الاعظم ولباب كل جوهر
كريم وسر كل عنصر شريف
والطينة البيضاء والمغرس
المبارك والنصاب الوثيق
ومعدن الفهم وينبوع العلم
وثهلان ذو الهضاب فى الحلم
والسيف الحسام فى العزم مع
الاناة والحزم والصفح عن الجرم
والقصد بعد المعرفة والصفح
بعد المقدرة وهم الانف المقدم
والسنام الاكرم وكالماء الذى
لا ينجسه شئ وكالشمس التى

بنبه الصوت في الحروب ولا بطول التجربة للامور ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة في
الاعداء دخل ذلك امران عظيمان وخطران مهولان احدهما ان الاعداء يغتمزونها منه
ويحتقرونها فيه ويجترئون بها عليه في النهوض به والمقارعة له والخلاف عليه قبل ما حين الاستبار
لامره والتكشف لحاله والعلم بطباعه والأمر الآخر ان الجنود التي يقود والجيوش التي يسوس
اذا لم يختبر وامنه البأس والنجدة ولم يعرفوه بالصوت والهيبة انكسرت شجاعتهم وماتت نجدتهم
واستأخرت طاعتهم الى حين اختبارهم ووقوع معرفتهم وربما وقع البوار قبل الاختبار وبباب
المهدي وفقه الله رجل مهيب نبيه حنيك صيت له نسب زاك وصوت عال قد قاد الجيوش وساس
الحروب وتألف أهل خراسان واجتمعوا عليه بالمقة ووثقوا به كل الثقة فلو ولاه المهدي أمرهم لكفاه
الله شرهم (قال المهدي) جانبت قصد الرمية وأبيت الا عصبية اذ رأى الحدث من أهل بيتنا كرأى
عشرة حلماء من غيرنا ولكن أين تركتم ولي العهد قالوا لم يمنعنا من ذكره الا كونه شبيه جده ونسيج
وحده ومن الدين وأهله بحيث يقصر القول عن أدنى فضله ولكن وجدنا الله عز وجل حجب عن
خلقه وستر من دون عباده علم ما تختلف به الايام ومعرفة ما تجري عليه المقادير من حوادث الامور
وريب المنون المخترمة لخوالي القرون ومواضي الملوك فكرهنا شسوعه عن محلة الملك ودار
السلطان ومقر الامامة والولاية وموضع المدائن والخزائن ومستقر الجنود ومعدن الجود ومجمع
الأموال التي جعلها الله قطبا لدار الملك ومصيدة لقلوب الناس ومثابة لاخوان الطمع وثوار الفتن
ودواعي البدع وفرسان الضلال وابناء الموت وقلنا ان وجه المهدي ولي عهده فحدث في جيوشه
وجنوده ما قد حدث بجنود الرسل من قبله لم يستطع المهدي ان يعقبهم بغيره الا ان ينهد اليهم بنفسه
وهذا خطر عظيم وهول شديد ان تنفست الايام بمقامه واستدارت الحال بامامه حتى يقع عوض
لا يستغنى عنه أو يحدث أمر لابد منه صار ما بعده مما هو أعظم هولا وأجل خطرا له تبعا وبه متصلا
(قال المهدي) الخطب أيسر مما تذهبون اليه وعلى غير ما تصفون الامر عليه نحن أهل البيت نجري
من أسباب القضايا ومواقع الامور على سابق من العلم ومحتوم من الامر قد أنبأت به الكتب
وتنبأت عليه الرسل وقد تناهى ذلك بأجمعه الينا وتكامل بحذافيره عندنا فبه ندبر وعلى الله نتوكل
انه لابد لولي عهدي وولي عهد عقبي بعدي أن يقود الى خراسان البعوث ويتوجه نحوها بالجنود اما
الأول فانه يقدم اليهم رسله ويعمل فيهم حيله ثم يخرج نشطا اليهم حنقا عليهم يريد ان لا يدع
أحدا من اخوان الفتن ودواعي البدع وفرسان الضلال الا توطأه بحر القتل وألبسه قناع القهر
وقلده طوق الذل ولا أحدا من الذين عملوا في قص جناح الفتنة واخماد نار البدعة ونصرة ولاة
الحق الا أجرى عليهم ديم فضله وجداول نصله فاذا خرج مزمعا به مجمعا عليه لم يسر الا قليلا حتى
يأتيه أن قد عملت حيله وكدحت كتبه ونفذت مكايده فهدأت نافرة القلوب ووقعت طائرة
الاهواء واجتمع عليه المختلفون بالرضا فيميل نظرا لهم وبرا بهم وتعطفا عليهم الى عدو قد أخاف
سبلهم وقطع طريقهم ومنع حجاجهم بيت الله الحرام وسلب تجارهم رزق الله الحلال وأما
الآخر فانه يوجه اليهم ثم تعتقد له الحجة عليهم باعطاء ما يطلبون وبذل ما يسألون فاذا سمحت
الفرق بقراباتها له وجنح أهل النواحي باعناقهم نحوه فاصغت اليه الافئدة واجتمعت له الكلمة
وقدمت عليه الوفود قصد لاول ناحية بخعت بطاعتها وألقت بأزمتها فالبسها جناح نعمته وأنزلها
ظل كرامته وخصها بعظيم حبائه ثم عم الجماعة بالمعدلة وتعطف عليهم بالرحمة فلا تبقى فيهم
ناحية دانية ولا فرقة قاصية الا دخلت عليها بركته ووصلت اليها منفعته فاغنى فقيرها وجبر كسيرها
ورفع وضيعها وزاد رفيعها ما خلا ناحيتين ناحية يغلب عليها الشقاء وتستميلهم الأهواء فتستخف
بدعوته وتبطئ عن اجابته وتتثاقل عن حقه فتكون آخر من يبعث وابطأ من يوجه فيصطلي عليها

لاتخفى بكل مكان وكالذهب
لا يعرف بالنقصان وكالنجم
للحيران والبارد للظمآن
ومنهم الثقلان والاطيبان
والسبطان والشهيدان وأسد
الله وذو الجناحين وذو قرنيها
وسيد الوادي وساقي الحجيج
وحلم البطحاء والبحر والحبر
والانصار أنصارهم والمهاجرون
من هاجر اليهم أو معهم
والصديق من صدقهم والفاروق
من فرق بين الحق والباطل
فيهم والحواري حواريهم وذو
الشهادتين لانه شهد لهم ولا خير
الا لهم أو فيهم أو معهم أو يضاف
اليهم وكيف لا يكونون كذلك
ومنهم رسول رب العالمين
وامام الاولين والآخرين
ونجيب المرسلين وخاتم النبيين
الذي لم يتم لنبي نبوة الا بعد
التصديق به والبشارة بمجيئه
الذي عم برسالته ما بين الخافقين
وأظهره الله على الدين كله ولو
كره المشركون (قال الحسن بن
علي) عليهما السلام لحبيب بن
مسلمة الفهري رب مسير لك في
غير طاعة الله أما مسيرك الى
أبيك فليس من ذلك قال بلى
ولكنك أطعت فلانا على دنيا
يسيرة ولعمري لئن كان قام بك
في دنياك لقد قعد بك في دينك
فلو أنك اذ فعلت شرا قلت خيرا
كنت كمن قال الله عز وجل
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا
ولكنك كما قال كلا بل ران على
قلوبهم ما كانوا يكسبون وكان
الحسن عليه السلام جوادا
كريما لا يرد سائلا ولا يقطع
نائلا وأعطى شاعرا مالا كثيرا
فقيل له أتعطي شاعرا يعصي

موجودة ويبتني لها علة لا يلبث ان يحدق بلزمهم وأمر يجب عليهم فتستلحمهم الجيوش وتأكلهم السيوف ويستحر بهم القتل ويحيط بهم الاسر ويفنيهم التتبع حتى يخرب البلاد ويؤتم الاولاد وناحية لا يبسط لهم امانا ولا يقبل لهم عهدا ولا يجعل لهم ذمة لانهم اول من فتح باب الفرقة وتدرع جلباب الفتنة وربض في شق العصا ولكنه يقتل أعلامهم ويأسر قوادهم ويطلب هرابهم في لجج البحار وقلل الجبال وخمل الاودية وبطون الارض تقتيلا وتغليلا وتنكيلا حتى يدع الديار خرابا والنساء أيامى وهذا أمر لا نعرف له في كتبنا وقتا ولا نصحح منه غير ما قلنا تفسيرا واما موسى ولي عهدي فهذا أوان توجهه الى خراسان وحلوله بجرجان وما قضى الله له من الشخوص اليها والمقام فيها خير للمسلمين مغبة وله باذن الله عاقبة من المقام بحيث يغمر في لجج بحورنا ومدافع سيولنا ومجامع أمواجنا فيتصاغر عظيم فضله ويتذأب مشرق نوره ويتقال كثير ما هو كائن منه فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس (قال محمد بن الليث) أيها المهدي ان ولي عهدك أصبح لامتك وأهل ملتك علما قد تثنت نحوه أعناقها ومدت سمته أبصارها وقد كان لقرب داره منك ومحل جواره لك عطل الحال غفل الامر واسع العذر فاما اذا انفرد بنفسه وخلا بنظره وصار الى تدبيره فان من شأن العامة ان تتفقد مخارج رأيه وتستنصت لمواقع آثاره وتسأل عن حوادث أحواله في بره ومرحمته واقساطه ومعدلته وتدبيره وسياسته ووزرائه وأصحابه ثم يكون ما سبق اليهم اغلب الاشياء عليهم وأملك الامور بهم وألزمها لقلوبهم وأشدها استمالة لرأيهم وعطفا لاهوائهم فلا يعلم المهدي وفقه الله ناظرا له فيما يقوى عمد مملكته ويسدد أركان ولايته ويستجمع رضا أمته بأمر هو أزين لحاله وأظهر لجماله وأفضل مغبة لامره وأجل موقعا في قلوب رعيته وأحمد حالا في نفوس أهل ملته ولا أدفع مع ذلك باستجماع الاهواء له وأبلغ في استعطاف القلوب عليه من مرحمة تظهر من فعله ومعدلة تنتشر عن أثره ومحبة للخير وأهله وان يختار المهدي وفقه الله من خيار أهل كل بلدة وفقهاء أهل كل مصر أقواما تسكن العامة اليهم اذا ذكروا وتأنس الرعية بهم اذا وصفوا ثم تسهل لهم عمارة سبل الاحسان وفتح باب المعروف كما قد كان فتح له وسهل عليه (قال المهدي) صدقت ونصحت ثم بعث في ابنه موسى فقال أي بني انك قد أصبحت لسمت وجوه العامة نصبا ولمثنى أعطاف الرعية غاية فحسنتك شاملة واساءتك نائية وأمرك ظاهر فعليك بتقوى الله وطاعته فاحتمل سخط الناس فيهما ولا تطلب رضاهم بخلافهما فان الله عز وجل كافيك من أسخطه عليك ايثارك رضاه وليس بكافيك من يسخط عليك ايثارك رضا من سواه ثم اعلم ان لله تعالى في كل زمان فترة من رسله وبقايا من صفوة خلقه وخبايا بالنصرة حقه يجدد حبل الاسلام بدعواهم ويشيد أركان الدين بنصرتهم ويتخذ لاولياء دينه أنصارا وعلى اقامة عدله اعوانا يسدون الخلل ويقيمون الميل ويدفعون عن الارض الفساد وان أهل خراسان أصبحوا أيدي دولتنا وسيوف دعوتنا الذين نستدفع المكاره بطاعتهم ونستصرف نزول العظائم بمناصحتهم وندافع ريب الزمان بعزائمهم ونزاحم ركن الدهر ببصائرهم فهم عماد الارض اذا أرجفت كنفها وخوف الاعداء اذا أبرزت صفحتها وحصون الرعية اذا تضايقت الحال بها قد مضت لهم وقائع صادقات ومواطن صالحات أخمدت نيران الفتن وقصمت دواعي البدع وأذلت رقاب الجبارين ولم ينفكوا كذلك ما جروا مع ريح دولتنا وأقاموا في ظل دعوتنا واعتصموا بحبل طاعتنا التي أعز الله بها ذلتهم ورفع بها ضعتهم وجعلهم بها أربابا في أقطار الارض وملوكا على رقاب العالمين بعد لباس الذل وقناع الخوف واطباق البلا ومحالفة الاسى وجهد البأس والضر فظاهر عليهم لباس كرامتك وأنزلهم في حدائق نعمتك ثم اعرف لهم حق طاعتهم ووسيلة دالتهم ومانة سابقتهم وحرمة مناصحتهم بالاحسان اليهم والتوسعة عليهم والاثابة لمحسنهم والاقالة لمسيئهم أي بني ثم عليك العامة فاستدع رضاها بالعدل عليها واستجلب

الرحمن ويقول البهتان فقال ان خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك وان من ابتغاء الخير اتقاء الشر وقد روى مثل ذلك عن الحسين رضي الله عنه وقيل ان شاعرا مدحه فاجزل ثوابه فليم على ذلك فقال أترانى خفت أن يقول لست ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ولا ابن علي بن أبي طالب ولكني خفت ان يقول لست كرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كعلي رضي الله عنه فيصدق ويحمل عنه ويبقى مخلدا في الكتب محفوظا على ألسنة الرواة فقال الشاعر أنت والله يا ابن رسول الله أعرف بالمدح والذم مني (ولما) توفي الحسن أدخله قبره الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم ثم وقف محمد على قبره وقد اغرورقت عيناه وقال رحمك الله أبا محمد فائن عزت حياتك فلقد هدت وفاتك ولنعم الروح روح تضمنه بدنك ولنعم الجسد جسد تضمنه كفنك ولنعم الكفن كفن تضمنه لحدك وكيف لا تكون كذلك وأنت سليل الهدى وخامس أصحاب الكسا وخلف أهل التقى وجدك النبي المصطفى وأبوك علي المرتضى وامك فاطمة الزهرا وعمك جعفر الطيار في جنة المأوى وغذتك أكف الحق وربيت في حجر الاسلام ورضعت ثدي الايمان فطبت حيا وميتا فلئن كانت الانفس غير طيبة لفراقك انها غير شاكة ان قد خير لك وانك واخاك لسيدا شباب أهل الجنة فعليك

مودتها بالانصاف لها وتحسن بذلك اثر بك وتوثق به فى عين رعيتك واجعل عمال العذر وولاه الحج مقدمة بين يدى عمالك ونصفة منك لرعيتك وذلك ان تأمر قاضى كل بلد وخيار أهل كل مصر أن يختاروا لانفسهم رجلا توليه أمرهم وتجعل العدل حاكما بينه وبينهم فان أحسن حمدت وان أساء عذرت هؤلاء عمال العذر وولاة الحج فلا يسقطن عليك ما فى ذلك اذا انتشر فى الآفاق وسبق الى الاسماع من انعقاد ألسنة المرجفين وكبت قلوب الحاسدين واطفاء نيران الحروب وسلامة عواقب الامور ولا ينفكن فى ظل كرامتك نازلا وبعراسيلك متعلقا رجلان أحدهما كريمة من كرائم رجالات العرب واعلام بيوتات الشرف له أدب فاضل وحلم راجح ودين صحيح والآخر له دين غير مغمور وموضع غير مدخول بصير بتقليب الكلام وتصريف الرأى وانحاء العرب ووضع الكتب عالم بحالات الحروب وتصاريف الخطوب يضع آدابا نافعة وآثارا باقية من محاسنك وتحسين أمرك وتحلية ذكرك فتستشيره فى حربك وتدخله فى أمرك فرجل أصبته كذلك فهو يأوى الى محلى ويرعى فى خضرة جنانى ولا تدع ان تختار لك من فقهاء البلدان وخيار الامصار أقواما يكونون جيرانك وسمارك وأهل مشاورتك فيما تورد وأصحاب مناظرتك فيما تصدر فسر على بركة الله أصحبك الله من عونه وتوفيقه دليلا يهدى الى الصواب قلبك وهاديا ينطق بالخير لسانك وكتب فى شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد

﴿باب فى مداراة العدو﴾

(فى كتاب للهند) أن العدو الشديد الذى لا تقوى له ترد بأسه عنك بمثل الخشوع والخضوع له كما أن الحشيش انما يسلم من الريح العاصفة بلينه وانثنائه معها (وقالوا) ازفن للقرد فى دولته (وقال أحمد بن يوسف الكاتب) اذا لم تقدر أن تعض يد عدوك فقبلها (وقال سابق البربرى)

وداهن اذا ما خفت يوما مسلطا * عليك ولن يحتال من لا يداهن

(وقالت الحكماء) رأس العقل مداهنة الفرصة عند امكانها والانصراف عما لا سبيل اليه كما قيل

بلاء ليس يشبهه بلاء * عداوة غير ذى حسب ودين
يبيحك منه عرضا لم يصنه * ويرتع منك فى عرض مصون

﴿التحفظ من العدو وان أبدى لك المودة﴾ قالت الحكماء احذر الموتور ولا تطمئن اليه وكن أشد ما تكون حذرا منه ألطف ما يكون مداخلة لك فانما السلامة من العدو بتباعدك منه وانقباضك عنه عند الانس اليه والثقة تمكنه من مقاتلك (وقالوا) لا تطمئن الى العدو وان أبدى لك المقاربة وان بسط لك وجهه وخفض لك جناحه فانه يتربص بك الدوائر ويضمر لك الغوائل ولا يرتجى صلاحا الا فى فسادك ولا رفعة الا بسقوط جاهك كما قال الاخطل

بنى أمية انى ناصح لكم * فلا يبيتن فيكم آمنا زفر
واتخذوه عدوا ان شاهده * وما تغيب من أخلاقه دغر
ان الضغينة تلقاها وان قدمت * كالعر يكمن حينا ثم ينتشر

(وفى كتاب الهند) الحازم يحذر عدوه على كل حال يحذر المواثبة ان قرب والمغاورة ان بعد والكمين ان انكشف والاستطراد ان ولى والكرة ان فر (وأوصى) بعض الحكماء ملكا فقال لا يكونن العدو الذى كشف لك عن عداوته بأخوف عندك من الظنين الذى يستتر لك بمخاتلته فانه ربما تخوف الرجل السم الذى هو أقتل الاشياء وقتله الماء الذى هو محيى الاشياء وربما تخوف ان تقتله الملوك التى تملكه ثم تقتله العبيد التى يملكها ولم يقل أحد فى العدو المندمل العداوة مثل قول الاخطل

ان الضغينة تلقاها وان قدمت * كالعر يكمن حينا ثم ينتشر

(وقد أشار الحسن بن هانئ الى هذا المعنى وأجاده حيث يقول)

وابن عم لا يكاشفنا * قد لبسناه على غمره
كمن الشنآن فيه لنا * ككمون النار فى حجره

يا أبا محمد منا السلام (وقام رجل) من ولد أبى سفيان بن الحرث ابن عبد المطلب على قبره فقال ان اقدامكم قد نقلت وان أعناقكم قد حملت الى هذا القبر وليا من أولياء الله يبشرنى الله بقدمه وتفتح أبواب السماء لروحه وتبتهج الحور العين بلقائه ويأنس به سادة أهل الجنة من أمته ويوحش أهل الحجى والدين فقده رحمة الله عليه وعند الله تحتسب المصيبة به

﴿ألفاظ لاهل العصر فى ذكر المصيبة بابناء النبوة﴾

قد نعى سليل سلالة النبوة وفرع من شجر الرسالة وعضو من أعضاء الرسول وجزء من أجزاء الوصى والبتول كتبت وليتنى ما كتبت وأنا ناعى الفضل من أقطاره وداعى المجد الى شق ثوبه وصداره ومخبر ان شمس الكرم واجبة والمآثر مودعة وبقايا النبوة مرتفعة وآمال الامامة منقطعة والدين مختذل واجم وللتقوى دمعان هام وساجم كتابى وقد شلت يمين الدهر وفقئت عين المجد وقصر باع الفضل وكسفت شمس المساعى وخسف قمر المعالى وتجدد فى بيت الرسالة رزء جدد المصائب واستعاد النوائب كل هذا لفقد من حط الكرم بربعه ثم أدرج فى برده وامتزج المجد به فدفن بدفنه انها لمصيبة عمت بيت الرسالة وغضت طرف الامامة وتحيفت جانب الوحى المنزل وذكرت بموت النبى المرسل كتبت والدهر ينعى مهجته والمجد يبعثه ومهابط الوحى والرسالة تنعى ظهورها

وشبهوا العدوّ اذا كان هذا فعله بالحية المطرقة قال ابن أخت تأبط شرا

مطرق يرشح موتا كما أطـــرق أفعى تنفث السم صل

(وقال) عبد الله بن الزبير لمعاوية وقال معاوية قال لعبد الله بن الزبير مالى أراك تطرق اطراق الافعوان فى أصول الشجر (وفى كتاب الهند) اذا أحدث لك العدو صداقة لعلة الجأته اليك فمع ذهاب العلة رجوع العداوة كالماء تسخنه فاذا أمسكت عنه عاد الى أصله باردا والشجرة المرة لو طليتها بالعسل لم تثمر الا مرا (وقال دريد)

وما تخفى الضغينة حيث كانت * ولا النظر المريض من الصحيح

(وقال زهير) وما لك فى صديق أو عدوّ * تخبرك العيون عن القلوب

وقيل لزياد ما السرور قال من طال عمره حتى يرى فى عدوّه ما يسره

(باب من أخبار الازارقة)

كان أول من خرج من الخوارج بعد على رضى الله عنه حوثرة الاقطع فانه خرج الى النخيلة واجتمع اليه جماعة من الخوارج ومعاوية بالكوفة قد بايعه الحسن والحسين وقيس بن سعد بن عبادة ثم خرج الحسين يريد المدينة فوجه اليه معاوية وقد تجاوز فى طريقه يسأله أن يكون المتولى لمحاربتهم فقال الحسين والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين وما أحسب ذلك يسعنى فكيف أن أقاتل قوما أنت أولى بالقتال منهم فلما رجع الجواب وجه اليهم جيشا أكثره أهل الكوفة ثم قال لابى حوثرة تقدم فاكفنى أمر ابنك فسار اليه أبوه فدعاه الى الرجوع فأبى فأداره فصمم فقال له أى بنى أجيئك بابنك لعلك تراه فتحن اليه فقال له يا أبت أنا والله الى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق منى الى ابنى فرجع الى معاوية فاخبره فقال يا أبا حوثرة عاز هذا جدا فلما نظر الى أهل الكوفة قال يا أعداء الله أنتم بالامس تقاتلون معاوية لتهدموا سلطانه واليوم تقاتلون معه لتشدوا سلطانه ثم جعل يشدد عليهم ويقول

احمل على هذى الجموع حوثره * فعن قريب ستنال المغفره

فحمل عليه رجل من طيئ فقتله فرأى اثر السجود قد لوح جبهته فندم على قتله (وكان) مرداس أبو بلال قد شهد صفين مع على بن أبى طالب رضى الله عنه وأنكر التحكيم وشهد النهروان ونجا فيمن نجا فلما خرج من حبس ابن زياد ورأى شدة الطلب للشراة عزم على الخروج فقال لاصحابه انه والله ما يسعنا المقام مع هؤلاء الظالمين تجرى علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفضل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف واخافة السبيل لشديد ولكنا ننتبذ عنهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل الا من قاتلنا فاجتمع اليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلا منهم حريث بن حجل وكهمس بن طلق فأرادوا أن يولوا أمرهم حريثا فأبى فولوا أمرهم مرداسا فلما مضى بأصحابه لقيهم عبد الله بن رباح الانصارى وكان له صديقا فقال له يا ابن أخى أين تريد فقال أريد أهرب بدينى ودين أصحابى من أحكام هؤلاء الجورة قال أعلم أحد بكم قال لا قال فارجع قال أو تخاف على مكروها قال لا أن يؤتى بك قال فلا تخف فانى لا أجرد سيفا ولا أخيف أحدا ولا أقاتل الا من قاتلنى ثم مضى حتى نزل آسك فمر به مال يحمل الى ابن زياد وقد بلغ أصحابه الاربعين فحط ذلك المال وأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه وترك ما بقى وقال قولوا لصاحبكم انما أخذنا أعطياتنا فقال له أصحابه لماذا تترك الباقى قال انهم يقيمون هذا الفىء كما يقيمون الصلاة فلا تقاتلوهم ما داموا على الصلاة فوجه اليهم ابن زياد أسلم بن زرعة الكلابى فى ألفين فلما وصل اليهم قال له مرداس اتق الله يا أسلم فانا لا نريد قتالا ولا نروع أحدا وانما هربنا من الظلم ولا نأخذ من الفىء الا أعطياتنا ولا نقاتل الا من قاتلنا قال لا بد من ردكم الى ابن زياد قال وان أراد قتلنا قال وان أراد قتلكم قال فتشركه فى دمائنا قال نعم فشدوا عليه شدة رجل واحد فهزموه وقتلوا أصحابه ثم وجه اليهم ابن زياد عبادا فقاتلهم يوم الجمعة حتى كان وقت الصلاة فناداهم أبو بلال يا قوم هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلى فوادعوهم فلما

أسفا ومعادن الامامة والوصية والرسالة تذرى دموعها لهفا وذلك ان حادث قضاء الله استأثر بفرع النبوة وعنصر الدين والمروءة (ووقع) بين الحسن ومحمد بن الحنفية لحاء ومشى الناس بينهما بالنمائم فكتب اليه محمد بن الحنفية اما بعد فان أبى وأباك على بن أبى طالب لا تفضلنى فيه ولا أفضلك وأمى امرأة من بنى حنيفة وأمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو ملئت الارض بمثل أمى لكانت أمك خيرا منها فاذا قرأت كتابى هذا فاقدم حتى تترضانى فانك أحق بالفضل منى (وخطب) الحسين بن على رضوان الله عليهما غداة اليوم الذى استشهد فيه فحمد الله تعالى واثنى عليه قال يا عباد الله اتقوا الله وكونوا من الدنيا على حذر فان الدنيا لو بقيت على احد او بقى عليها احد لكانت الانبياء احق بالبقاء واولى بالرضاء وارضى بالقضاء غير ان الله تعالى خلق الدنيا للفناء فجديدها بال ونعيمها مضمحل وسرورها مكفهر والمنزل تلعه والدار قلعه فتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقوا الله لعلكم تفلحون (وكان) لمعاوية بن ابى سفيان عين بالمدينة يكتب اليه بما يكون من امور الناس وقريش فكتب اليه ان الحسين بن على اعتق جارية له وتزوجها فكتب معاوية الى الحسين من امير المؤمنين معاوية الى الحسين بن على اما بعد فانه بلغنى انك تزوجت جاريتك وتركت

دخلوا في الصلاة شدوا عليهم فقتلوهم وهم بين راكع وساجد وقائم في الصلاة وقاعد فقال عمران بن حطان يرثي ابا بلال

يا عين ابكي لمرداس ومصرعه * يارب مرداس اجعلني كمرداس

ابقيتني هائما أبكي لمرزأتي * في منزل موحش من بعد ايناس

أنكرت بعدك ماقد كنت أعرفه * ماالناس بعدك يامرداس بالناس

أما شربت بكاس دار أولها * على القرون فذاقوا جرعة الكاس

وليس في الافراق كلها أشد بصائر من الخوارج ولا أشد اجتهادا ولا أوطن انفسا على الموت منهم الذي طعن فأنفذه الرمح فجعل يسعى الى قاتله ويقول عجلت اليك رب لترضى (ولما) مالت الخوارج الى أصبهان حاصرت بها عتاب بن ورقاء سبعة أشهر يقاتلهم في كل يوم فينادي بهم

يا ابن بني الماخور والاشرار * كيف ترون يا كلاب النار * شد أبي هريرة الهرار

يعدكم بالليل والنهار * وهو من الرحمن في جوار

فتغاظهم ذلك فكمن له عبيدة بن هلال فضربه واحتمله أصحابه فظنت الخوارج انه قد قتل فكانوا اذا تواقفوا ينادونهم مافعل الهرار فيقولون مابه من بأس حتى أبل من علته فخرج اليهم فقال يا اعداء الله أترون بي بأسا فصاحوا به قد كنا نرى انك لحقت بأمك الهاوية في النار الحامية فلما طال الحصار على عتاب قال لأصحابه ما تنتظرون انكم والله ما تؤتون من قلة وانكم فرسان عشائركم ولقد حاربتموهم مرارا فانصفتم منهم ومابقي من هذا الحصار الا أن تفنى ذخائركم فيموت أحدكم فيدفنه صاحبه ثم يموت هو فلا يجد من يدفنه فقاتلوا القوم وبكم قوة من قبل ضعف احدكم ان يمشي الى قرنه فلما أصبح صلى بهم الصبح ثم خرج الى الخوارج وهم غارون وقد نصب لواء لجارية يقال لها ياسمين فقال من اراد البقاء فليلحق بلواء ياسمين ومن أراد الجهاد فليلحق بلوائي قال فخرج في ألفين وسبعمائة فارس فلم تشعر بهم الخوارج حتى غشوهم فقاتلوهم بجد لم تر الخوارج مثله فقتلوا أميرهم الزبير بن علي وانهزمت الخوارج فلم يتبعهم عتاب بن ورقاء وخرج قريس بن مرة وزحاف الطائي وكانا مجتهدين بالبصرة في أيام زياد فاستعرضا الناس فلقوا شيخا من بني ضبيعة فقتلوه وتنادى الناس فخرج رجل من قطيعة بالسيف فناداه الناس من بعض البيوت الحرورية انج بنفسك فنادوه لسنا حرورية استكن فوثب فقتلوه وبلغ أبا بلال خبرهما وكان على دين الخوارج الا انه كان لا يرى اعتراض الناس فقال قريس لاقربه الله خبره وزحاف لاعفا الله عنه فلقد ركباها عشواء مظلمة ثم جعلا لاعران بقبيلة الاقتلا من وجدا فيها حتى مرا على بني سور من الازد وكانوا رماة وكان فيهم مائة يجيدون الرمي فرموه رميا شديدا فصاحوا يابني سور البقيا الادماء بيننا فقال رجل منهم لاشيء للقوم عندنا سوى السهام مشحوذة في الظلام فهربت عنهم الخوارج فاستقروا في مقبرة بني يشكر حتى خرجوا الى المدينة واستقبلهم الناس فقتلوا عن آخرهم ثم عاد الناس الى زياد فقال ألا ينهى كل قوم سفهاءهم فكانت القبائل اذا أحست بخارجي فيهم أوثقوه وأتوا به زيادا فمنهم من يحبسه ومنهم من يقتله * ولزياد أخرى في الخوارج انه أتي بامرأة منهم فقتلها ثم عراها فلم تخرج النساء الابعد زياد وكن اذا أرغمن على الخروج قلن لولا التعرية لسارعنا (ومن مشاهير فرسان الخوارج عمرو القنا) من بني سعد بن زيد مناة وعبيدة بن هلال من بني يشكر بن بكر بن وائل وهو الذي طعن صاحب المهلب في فخذه فشكها مع السرج وهما اللذان يقول فيهما المنعب السدوسي من فرسان المهلب وكان قال له مولاه الجلاح وددت انا فضضنا عسكرهم فأستلب منه جارية احداهما لك والاخرى لي

اجلاح انك لن تعانق طفلة * شرقا بها الجادي كالتمثال * حتى تعانق في الكتيبة معلما

عمرو القنا وعبيدة بن هلال * وترى المقعطر في الكتيبة معلما * في عصبة يسطون مع الضلال

والمقعطر من مشاهير فرسانهم وقطري أنجدهم قاطبة وصالح بن مخراق من بعدهم وكذلك سعد

اكفاءك من قريش ممن تستحسنه للولد وتعده في الصهر فلا لنفسك نظرت ولا لولدك انتقيت فكتب اليه الحسين بن علي أما بعد فقد بلغني كتابك وتعييرك اياي بأني تزوجت مولاتي وتركت اكفائي من قريش فليس فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم منتهى في شرف ولا غاية في نسب وانما كانت ملك يميني خرجت عن يدي بأمر التمست فيه ثواب الله تعالى ثم ارتجعتها على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وقد رفع الله بالاسلام الخسيسة ووضع عنا به النقيصة فلا لوم على امرئ مسلم الافي أمر مأثم وانما اللوم لوم الجاهلية فلما قرأ معاوية كتابه نبذه الى يزيد فقرأه وقال لشد ما تفخر عليك الحسين قال لا ولكنها ألسنة بني هاشم الحدادي التي تفلق الصخر وتغرف من البحر والحسين رضي الله تعالى عنه هو القائل

لعمرك انني لاحب دارا
تحل بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل كل مالي
وليس للائم عندي عتاب

سكينة ابنته والرباب أمها وهي بنت امرئ القيس بن الجرول الكلبية * وفي سكينة يقول عمر ابن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي كذبا عليها

قالت سكينة والدموع ذوارف
تجري على الخدين والجلباب
ليت المغيري الذي لم أجزه
فيما أطال تصيدي وطلابي
كانت ترد لنا المنى أيامنا
اذ لا ملام على هوى ونضاب
خبرت ما قالت فبت كأنما

الطلائع (ولما اختلف) أمر الخوارج وانحاز قطري فيمن معه وبقي عبد ربه قال المهلب لأصحابه ان الله تعالى قد أراحكم من أقران أربعة قطري بن الفجاءة وصالح بن مخراق وعبيدة بن هلال وسعد الطلائع وانما بين أيديكم عبد ربه في حثار من حثار الشيطان وكانت الخوارج تقاتل على السوط يؤخذ منها والعلق الخسيس أشد قتال (وسقط) في بعض أيامهم رمح لرجل من مراد من الخوارج فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل وذلك مع المغرب والمرادي يرتجز

الليل ليل فيه ويل ويل * وسال بالقوم الشراة السيل * ان جاز للأعداء فينا قول

وتفرقت مقالة الخوارج على أربعة أضرب فقال نافع بن الأزرق باستعراض الناس والبراءة من عثمان وعلي وطلحة والزبير واستحلال الأمانة وقتل الأطفال * وقال أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعي ان أعداءنا كأعداء الرسول يحل لنا المقام فيهم كما أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام المسلمون بين المشركين * وقال عبد الله بن أباض لا نقول فيمن خالفنا انه مشرك لأن معهم التوحيد والاقرار بالكتاب والرسول وانما هم كفار للنعم ومواريثهم ومناكحهم والاقامة معهم حل ودعوة الاسلام تجمعهم * وقالت الصفرية بقول عبد الله بن أباض ورأت القعود حتى صار عامتهم قعدا وانما سموا صفرية لاصفرار وجوههم وقيل لأنهم أصحاب ابن الصفار

(فرش كتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفياء)

(قال الفقيه) أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه تغمده الله برحمته قد مضى قولنا في الحروب وما يدخلها من النقص والكمال وتقدم الرجال على منازلهم من الصبر والجلد والعدة والعدد ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الأجواد والأصفياء اذ كان أشرف ملابس الدنيا وأزين حللها الحمد وادفعها الذم وأسترها لعيب كرم طبيعة يتحلى بها السمح السري والجواد السخي ولو لم يكن في الكرم الا انه صفة من صفات الله تعالى تسمى بها فهو الكريم عز وجل ومن كان كريما من خلقه فقد تسمى باسمه واحتذى على صفته (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه (وفي الحديث) المأثور الخلق عيال الله فأحب الخلق الى الله أنفعهم لعياله (وقال) الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر انك قد أسرفت في بذل المال قال بأبي وأمي انتما ان الله قد عودني أن يتفضل علي وعودته أن أتفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني (وقال) المأمون لمحمد بن عبادة المهلبي انت متلاف قال منع الجود سوء الظن بالمعبود يقول الله عز وجل وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم انفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا

(مدح الكرم وذم البخل)

قال النبي صلى الله عليه وسلم اصطناع المعروف يقي مصارع السوء (وقال) عليه الصلاة والسلام ان الله يحب الجود ومكارم الأخلاق ويبغض سفسافها (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم لقوم من العرب من سيدكم قالوا الحر بن قيس على بخل فيه فقال صلى الله عليه وسلم وأي داء أدوأ من البخل (وقال) الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (وقال) أكثم بن صيفي حكيم العرب ذللوا أخلاقكم للمطالب وقودوها الى المحامد وعلموها المكارم ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم وصلوا من رغب اليكم وتحلوا بالجود يلبسكم المحبة ولا تعتقدوا البخل فتتعجلوا الفقر (أخذه الشاعر فقال)

امن خوف فقر تعجلته * وأخرت انفاق ما تجمع
فصرت الفقير وأنت الغني * وما كنت تعدو الذي تصنع

(وكتب) رجل من البخلاء الى رجل من الأسخياء يأمره بالابقاء على نفسه ويخوفه بالفقر فرد عليه الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا واني أكره أن أترك أمرا قد وقع لأمر لعله لا يقع (وكان) خالد بن عبد الله القسري يقول على المنبر أيها الناس عليكم بالمعروف فان الله لا يعدم فاعله جوازيه وما ضعفت الناس عن ادائه قوي الله على جزائه (واخذه من قول الحطيئة)

يرمي الحشى بنوافذ النشاب
أسكين ما ماء الفرات وطيبه
مني على ظمإ وفقد شراب
بألذ منك وان نأيت وقلما
ترعى النساء أمانة الغياب
ان تبذلي لي نائلا أشفي به
داء الفؤاد فقد أطلت عذابي
وعصيت فيك أقاربي وتقطعت
بيني وبينهم عرى الأسباب
فتركتني لا بالوصال ممتعا
منهم ولا أسعفتني بثواب
فقعدت كالمهريق فضلة مائه
في حر هاجرة للمع سراب

وكانت سكينة من أجمل نساء زمانها وأعقلهن وكان مصعب ابن الزبير قد جمع بينها وبين عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لما قتل مصعب قالت سكينة

فان تقتلوه تقتلوا الماجد الذي
يرى الموت الا بالسيوف حراما
وقبلك ما خاض الحسين منية
الى القوم حتى أوردوه حماما

(وقال علي بن الحسين رحمه الله تعالى) لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة وجملة الحال في فضل التبيين لأعربوا عن كل ما يتلجلج في صدورهم ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة الى كل حال سوى حالهم وعلى ان درك ذلك كان لا يعدمهم في الأيام القليلة العدة والفكرة القصيرة المدة ولكنهم من بين مغمور بالجهل ومفتون بالعجب ومعدول بالهوى عن باب التثبت ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلم (وقال رضي الله عنه) المراء يفسد الصداقة القديمة ويحل العقدة الوثيقة وأقل ما فيه أن تكون به المغالبة والمغالبة من أمتن أسباب

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

وأخذه الحطيئة من بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى فيما أنزله على داود عليه السلام من يفعل الخير يجده عندي لا يذهب العرف بيني وبين عبدي (وكان) سعيد بن العاص يقول على المنبر من رزقه الله رزقا حسنا فلينفق منه سرا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به فانما يترك ما ترك لأحد رجلين اما المصلح فلا يقل عليه شئ وأما المفسد فلا يبقى له شئ (أخذه الشاعر فقال)

أسعد بمالك في الحياة فانما * يبقى خلافك مصلح أو مفسد

فاذا جمعت لمفسد لم يغنه * وأخو الصلاح قليله يتزيد

(وقال) أبو ذر ان لك في مالك شريكين الحدثان والوارث فان استطعت أن لا تكون أبخس الشركاء حظا فافعل (وقال) بزرجمهر الفارسي اذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فانها لا تبقى (أخذ الشاعر هذا المعنى فقال)

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف

وان تولت فأحرى أن تجود بها * فالحمد منها اذا ما أدبرت خلف

(وكان) كسرى يقول عليكم بأهل السخاء والشجاعة فانهم أهل حسن الظن بالله ولو ان أهل البخل لم يدخل عليهم من ضرر بخلهم ومذمة الناس لهم واطباق القلوب على بغضهم الا سوء ظنهم بربهم في الخلف لكان عظيما (وأخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال)

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا * والبخل من سوء ظن المرء بالله

(محمد بن يزيد بن عمر بن عبد العزيز) قال خرجت مع موسى الهادي أمير المؤمنين من جرجان فقال لي اما ان تحملني واما ان أحملك ففهمت ما أراد فأنشدته أبيات ابن صرمة الانصاري

أوصيكم بالله أول وهلة * واحسابكم والبر بالله أول *

وان قومكم سادوا فلا تحسدوهم * وان كنتم أهل السيادة فاعدلوا

وان أنتم أعوزتم فتعففوا * وان كان فضل المال فيكم فافضلوا

فأمر لي بعشرين ألفا (وقال عبد الله بن عباس) سادات الناس في الدنيا الاسخياء وفي الآخرة الاتقياء (وقال أبو مسلم الخولاني) ما شئ أحسن من المعروف الا ثوابه وما كل من قدر على المعروف كانت له نية فاذا اجتمعت القدرة والنية تمت السعادة وأنشد

ان المكارم كلها حسن * والبذل أحسن ذلك الحسن * كم عارف بي لست أعرفه

ومخبر عني ولم يرني * يأتيهم خبري وان بعدت * داري وبوعد عنهم وطني

اني لحر المال ممتهن * ولحر عرضي غير ممتهن

(وقال خالد بن عبد الله القسري) من أصابه غبار مركبي فقد وجب على شكره (وقال عمرو بن العاصي) والله لرجل ذكرني ينام على شقه مرة وعلى شقه أخرى يراني موضعا لحاجته لا وجب على حقا اذا سألنيها مني اذا قضيتها له (وقال عبد العزيز بن مروان) اذا أمكنني الرجل من نفسه حتى أضع معروفي عنده فيده عندي أعظم من يدي عنده (وأنشد لابن عباس رضي الله تعالى عنهما)

اذا طارقات الهم ضاجعت الفتى * وأعمل فكر الليل والليل عاكر

وباكرني في حاجة لم يجد لها * سواي ولا من نكبة الدهر ناصر

فرجت بمالي همه عن خناقه * وزاوله الهم الطروق المساور

وكان له فضل علي بظنه * بي الخير اني للذي ظن شاكر

(وقيل) لابي عقيل البليغ العراقي كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة اليه قال رأيت رغبته في الانعام فوق رغبته في الشكر وحاجته الى قضاء الحاجة أشد من حاجة صاحب الحاجة (وقال زياد) كفى بالبخل عارا ان اسمه لم يقع في حمد قط وكفى بالجود مجدا ان اسمه لم يقع في ذم قط (وقال آخر)

الا ترانى وقد قطعتني عذلا * ماذا من الفضل بين البخل والجود

القطامية (ومن دعائه) اللهم ارزقني خوف الوعيد وسرور رجاء الموعود حتى لا أرجو الا ما رجيت ولا أخاف الا ما خوفت (وحج) هشام بن عبد الملك أو الوليد أخوه فطاف بالبيت وأراد استلام الحجر فلم يقدر فنصب له منبر فجلس عليه فبينما هو كذلك اذ أقبل علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم في ازار ورداء وكان أحسن الناس وجها وأعطرهم رائحة وأكثرهم خشوعا وبين عينيه سجادة كأنها ركبة عنز وطاف بالبيت وأتى ليستلم الحجر فتنحى له الناس هيبة واجلالا فغاظ ذلك هشاما فقال رجل من أهل الشام من الذي أكرمه الناس هذا الاكرام وأعظموه هذا الاعظام فقال هشام لا أعرفه لئلا يعظم في صدور أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا

هذا ابن خير عباد الله كلهم

هذا التقي النقي الطاهر العلم

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

والبيت يعرفه والحل والحرم

اذا رأته قريش قال قائلها

الى مكارم هذا ينتهي الكرم

يكاد يمسكه عرفان راحته

ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

في كفه خيزران ريحه عبق

في كف أروع في عرنينه شمم

يغضي حياء ويغضى من مهابته

فما يكلم الا حين يبتسم

مشتقة من رسول الله نبعته

طابت عناصره والخيم والشيم

ينمى الى ذروة العز التي قصرت

عن نيلها عرب الاسلام والعجم

ينجاب نور الهدى عن نور غرته

الا يكن ورق يوما أراح به * للخابطين فانى لين العود

لا يعدم السائلون الخير افعله * اما نوالا واما حسن مردود

(قوله) الا يكن ورق يريد المال وضربه مثلا ويقال أتى فلان يختبط ماعنده والاختباط ضرب الشجر ليسقط الورق لتأكله السائمة فجعل طالب الرزق مثل الخابط (وقالت أسماء بنت خارجة) ما أحب ان أرد أحدا فى حاجة طلبها الا انه لا يخلو ان يكون كريما فأصون له عرضه أو لئيما فأصون عرضى عنه (وقال ارسطاطاليس) من انتحل لك من بلاده فقد ابتدأك بحسن الظن بك والثقة بما عندك

﴿الترغيب فى حسن الثناء واصطناع المعروف﴾ قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند ربه فانظروا ما يتبعه من حسن الثناء (وكتب) عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى الأشعرى اعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم ان مالك عند الله مثل ما للناس عندك (وقيل لبعض الحكماء) ما أفادك الدهر قال العلم به قيل فما أحمد الأشياء قال أن تبقى للانسان احدوثة حسنة (وقال بعض أهل التفسير) فى قول الله تعالى واجعل لى لسان صدق فى الآخرين انه أراد حسن الثناء من بعده (وقال أكثم بن صيفى) انما أنتم أخبار فطيبوا أخباركم (أخذ هذا المعنى حبيب الطائى فقال)

وما ابن آدم الا ذكر صالحة * أو ذكر سيئة يسرى بها الكلم

اما سمعت بدهر باد أمته * جاءت باخبارها من بعدها الأمم

(وقالوا) الايام مزارع فما زرعت فيها حصدته (ومن قولنا فى هذا المعنى وغيره من مكارم الاخلاق)

يا من تجلد للزما * ن أما زمانك منك أجلد

سلطانك على هوا * ك وعد يومك ليس من غد

ان الحياة مزارع * فازرع بها ما شئت تحصد

والناس لا يبقى سوى * آثارهم والعين تفقد

اوما سمعت بمن مضى * هذا يذم وذاك يحمد

المال ان أصلحته * يصلح وان افسدت يفسد

(وقال الاحنف بن قيس) ما ادخرت الآباء للابناء ولا أبقت الموتى للاحياء شيأ أفضل من اصطناع المعروف عند ذوى الاحساب (وقالوا) تربيب المعروف أولى من اصطناعه لان اصطناعه نافلة وتربيبه فريضة (وقالوا) احى معروفك باماتة ذكره وعظمه بالتصغير له (وقالت الحكماء) من تمام كرم المنعم التغافل عن حجته والاقرار بالفضيلة لشاكر نعمته (وقالوا) للمعروف خصال ثلاث تعجيله وتيسيره وتستيره فمن أخل بواحدة منها فقد بخس المعروف حقه وسقط عنه الشكر (وقيل) لمعاوية أى الناس أحب اليك قال من كانت له عندى يد صالحة قيل فان لم تكن له قال فمن كانت لى عنده يد صالحة (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤنة الناس عليه فان لم يقم بتلك المؤنة عرض النعمة للزوال (ابن المبارك) عن حميد عن الحسن قال لان اقضى حاجة لاخ لى أحب الى من عبادة سنة (وقال ابراهيم بن السندى) قلت لرجل من أهل الكوفة من وجوه أهلها كان لا يجف لبده ولا يستريح قلبه ولا تسكن حركته فى طلب حوائج الرجال وادخال المرافق على الضعفاء فقلت له اخبرنى عن الحالة التى خففت عليك النصب وهونت عليك التعب فى القيام بحوائج الناس ماهى قال قد والله سمعت تغريد الطير بالاسحار فى فروع الاشجار وسمعت خفق أوتار العيدان وترجيع أصوات القيان فما طربت من صوت قط طربى من ثناء حسن بلسان حسن على رجل قد أحسن ومن شكر حر لمنعم حر ومن شفاعة محتسب لطالب شاكر قال ابراهيم فقلت له لله أبوك لقد حشيت كرما (اسمعيل ابن مسرور) عن جعفر بن محمد قال ان الله خلق خلقا من رحمته برحمته لرحمته وهم الذين يقضون الحوائج للناس فمن استطاع منكم ان يكون منهم فليكن ﴿الجود مع الاقلال﴾ قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن الانصار ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال النبى صلى الله عليه وسلم أفضل العطية ما كان من معسر الى معسر

كالشمس ينجاب عن اشراقها القتم

حمال اثقال اقوام اذا افترحوا

حلو الشمائل تحلو عنده نعم

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله

بجده انبياء الله قد ختموا

الله فضله قدما وشرفه

جرى بذاك له فى لوحه القلم

من جده دان فضل الانبياء له

وفضل امته دانت له الامم

عم البرية بالاحسان فانقشعت

عنها الغياهب والاملاق والظلم

كلتا يديه غياث عم نفعهما

تستوكفان ولا يعروهما العدم

سهل الخليقة لا تخشى بوادره

تزينه الاثنتان الحلم والكرم

لا يخلف الوعد ميمون بغرته

رحب الفناء اريب حين يعتزم

ما قال لا قط الا فى تشهده

لولا التشهد كانت لاءه نعم

ومن معشر حبهم دين وبغضهم

كفر وقربهم منجى ومعتصم

يستدفع السوء والبلوى بحبهم

ويسترب به الاحسان والنعم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم

فى كل بدء ومختوم به الكلم

ان عد اهل التقى كانوا أئمتهم

او قيل من خير اهل الارض قيل هم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم

ولا يدانيهم قوم وان كرموا

هم الغيوث اذا ما ازمة ازمت

والاسد أسد الشرى والبأس محتدم

يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم

خيم كريم وايد بالندى هضم

لا ينقص العسر بسطا من اكفهم

سيان ذلك ان أثروا وان عدموا

اى الخلائق ليست فى رقابهم

لاولية هذا اوله نعم

من يعرف الله يعرف اوليته

وقال عليه الصلاة والسلام أفضل العطية جهد المقل (وقالت الحكماء) القليل من القليل أحمد من الكثير الى الكثير (أخذ هذا المعنى حبيب) فنظمه في أبيات كتب بها الى الحسن بن وهب الكاتب واهدى اليه قلما

قد بعثنا اليك أكرمك الله بشئ فكن له ذا قبول

لا تقسه الى ندى كفك الغمر ولا نيلك الكثير الجزيل

واستجز قلة الهدية مني * ان جهد المقل غير القليل

(وقالوا) جهد المقل أفضل من غنى المكثر (وقال صريع الغواني)

ليس السماح لمكثر في قومه * لكن لمقتر قومه المتعمد

(وقال أبو هريرة) ما وددت ان أحدا ولدتني امه الا أم جعفر بن أبي طالب تبعته ذات يوم وانا جائع فلما بلغ الباب التفت فرآني فقال لي ادخل فدخلت ففكر حينا فما وجد في بيته شيأ الا نحيا كان فيه سمن مرة فأنزله من رف لهم فشقه بين أيدينا فجعلنا نلعق ما كان فيه من السمن والزيت وهو يقول

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد

(وقيل) لبعض الحكماء من أجود الناس قال من جاد من قلة وصان وجه السائل عن المذلة (وقال حماد عجرد)

أبرق بخير تؤمل للجزيل فما * ترجى الثمار اذا لم يورق العود

بث النوال ولا تمنعك قلته * فكل ما سد فقرا فهو محمود

وللبخيل على أمواله علل * زرق العيون عليها أوجه سود

(وقال حاتم) أضاحك ضيفي قبل انزال رحله * ويخصب عندي والمحل جديب

وما الخصب للأضياف ان يكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

(وقال عبد الملك بن مروان) ما كنت أحب ان أحدا ولدني من العرب الا عروة بن الورد لقوله

أتهزأ مني ان سمنت وان ترى * بجسمي مس الحق والحق جاهد

لاني امرؤ عافي انائي شركة * وأنت امرؤ عافي انائك واحد

أقسم جسمي في جسوم كثيرة * واحسو قراح الماء والماء بارد

(ومن أحسن ما قيل في الجود مع الاقلال قول صريع)

فلو لم يكن في كفه غير روحه * لجاد بها فليتق الله سائله

(ومن افرط ما قيل في الجود قول بكر بن النطاح)

أقول لمرتاد الندى عند مالك * تعلق بجدوى مالك وصلاته

فتى جعل الدنيا وقاء لعرضه * فاسدى بها المعروف قبل عداته

فلو خذلت أمواله جود كفه * لقاسم من يرجوه شطر حياته

وان لم يجز في العمر قسم لمالك * وجازله أعطاه من حسناته

وجاد بها من غير كفر بربه * وأشركه في صومه وصلاته

(وقال آخر في هذا المعنى وأحسن)

ملأت يدي من الدنيا مرارا * وما طمع العواذل في اقتصادي

ولا وجبت علي زكاة مال * وهل تجب الزكاة على الجواد

(العطية قبل السؤال) قال سعد بن العاصي قبح الله المعروف ان لم يكن ابتدئ من غير مسئلة فالمعروف عوض عن مسئلة الرجل اذا بذل وجهه فقلبه خائف وفرائصه ترعد وجبينه يرشح لا يدري ايرجع بنجح الطلب أم بسوء المنقلب قد انتقع لونه وذهب دم وجهه اللهم فان كانت الدنيا لها عندي حظ فلا تجعل لي حظا في الآخرة (وقال أكثم بن صيفي) كل سؤال وان قل أكثر من كل نوال وان جل (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه) لأصحابه من كانت له الي منكم حاجة فليرفعها في

كالدين من يرث هذا ناله الاثم

وليس قولك من هذا بضائره

العرب تعرف من انكرت والعجم

(وقد روى) ان الحزين الكناني وفد على عبد الله بن عبد الملك ابن مروان وهو أمير على مصر فانشده قصيدة منها

لما وقفت عليه في الجموع ضحى

وقد تعرضت الحجاب والخدم

حييته بسلام وهو مرتفق

وضجة القوم عند الباب تزدحم

في كفه خيزران والبيت الذى

بعده ويقال انها لداود بن سلم في قثم بن العباس بن عبيد الله ابن العباس بن عبد المطلب وهو الذى يقول فيه الاخطل

ولقد غدوت على التجار بمسمح

هزت عواذله هزير الاكلب

لذ تقبله النعيم كانما

مسحت ترائبه بماء مذهب

لباس أردية الملوك تروقه

من كل مرتقب عيون الربرب

ينظرن من خلل الستور اذا بدا

نظر الهجان الى الفانيق المصعب

ويقال بل قالها في علي بن الحسين رضي الله عنه اللعين الشنفري وسمي اللعين لان عمر سمعه ينشد شعرا والناس يصلون فقال من هذا اللعين فعلق به هذا الاسم ولقائله من شاء فقد أحسن ما شاء وأجاد وزاد (وقال ذو الرمة) في بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري

من آل أبي موسى ترى الناس حوله

كأنهم الكروان عاين بازيا

مرمين من ليث عليه مهابة

تفادى الاسود الغلب منه تفاديا

فما يعرفون الضحك الا تبسما

ولا ينبسون القول الا تناجيا

وما الفحش منه يرهبون ولا الخنا

عليه ولكن هيبة هي ماهيا

كتاب لاصون وجوهكم عن المسئلة (حبيب)

عطاؤك لا يفنى ويستغرق الثنا * وتبقى وجوه الراغبين بمائها

(وقال حبيب ايضا) ذل السؤال شجا فى الحلق معترض * من دونه شرق من خلفه جرض

ماماء كفك ان جادت وان بخلت * من ماء وجهى اذا افنيته عوض

انى بايسر ما أدنيت منبسط * كما بايسر ما أقصيت منقبض

(وقالوا) من بذل اليك وجهه فقد وفاك عن نعمتك (وقالوا) أكمل الخصال ثلاثة وقار بلا مهابة وسماح بلا طلب مكافأة وحلم بغير ذل (وقالوا) السخى من كان مسرورا ببذله متبرعا بعطائه لا يلتمس عرض دنيا فيحبط عمله ولا طلب مكافأة فيسقط شكره ويكون مثله فيما أعطى مثل الصائد الذى يلقى الحب للطائر لا يريد نفعها ولكن نفع نفسه (نظر المنذر بن أبى سبرة) الى أبى الاسود الدؤلى وعليه قميص مرقوع فقال له ما أصبرك على هذا القميص فقال له رب مملوك لا يستطاع فراقه فبعث اليه بتخت من ثياب فقال أبو الأسود

كسانى ولم استكسه فحمدته * أخ لك يعطيك الجزيل وناصر

وان أحق الناس ان كنت شاكرا * بشكرك من أعطاك والعرض وافر

(وسأل معاوية) صعصعة بن صوحان ما الجود فقال التبرع بالمال والعطية قبل السؤال

(ومن قولنا فى هذا المعنى)

كريم على العلات جزل عطاؤه * ينيل وان لم يعتمد لنوال

وما الجود من يعطى اذا ما سألته * ولكن من يعطى بغير سؤال

(وقال بشار العقيلى) مالكى تنشق عن وجهها الحر * ب كما انشقت الدجا عن ضياه

لانفساح السماء فيض يديه * لقريب ونازح الدار ناء * ليس يعطيك للرجاء وللخو * ف ولكن يلذ طعم العطاء * لا ولا أن يقال شيمته الجو * د ولكن طبائع الآباء

(وقال آخر) ان بين السؤال والاعتذار * خطة صعبة على الاحرار

(وقال حبيب) لئن جحدتك ما أوليت من نعم * انى لفى اللؤم أمضى منك فى الكرم

أنسى ابتسامك والالوان كاسفة * تبسم الصبح فى داج من الظلم * رددت رونق وجهى فى صحيفته * رد الصقال بهاء الصارم الخذم * وما أبالى وخير القول أصدقه * حقنت لى ماء وجهى أو حقنت دمى

❁(استنجاح الحوائج)❁ كانوا يستفتحون حوائجهم بركعتين يقولون فيهما اللهم بك استفتح ومن الخير وباسمك استنجح وبمحمد نبيك اليك أتوجه اللهم ذلل لى صعوبته وسهل لى حزونته وارزقنى من الخير أكثر مما أرجو واصرف عنى من الشر أكثر مما أخاف (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم استعينوا على حوائجكم بالكتمان لها فان كل ذى نعمة محسود (وقال) خالد بن صفوان لا تطلبوا الحوائج فى غير حينها ولا تطلبوها من غير أهلها فان الحوائج تطلب بالرجاء وتدرك بالقضاء (وقال) مفتاح نجح الحاجة الصبر على طول المدة ومغلاقها اعتراض الكسل دونها قال الشاعر

انى رأيت وفى الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر

وقل من جد فى أمر يحاوله * فاستصحب الصبر الا فاز بالظفر

(ومن أمثال) العرب فى هذا من أدمن قرع الباب يوشك ان يفتح له (أخذ الشاعر هذا المعنى فقال)

لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا تضايق امر أن ترى فرجا

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب ان يلجا

(وقال) خالد بن صفوان فوت الحاجة خير من طلبها الى غير أهلها وأشد من المصيبة سوء الخلف منها (وقالوا) صاحب الحاجة مبهوت وطلب الحوائج كلها تغرير (وقالت) الحكماء لا تطلب حاجتك من

فتى السن كهل الحلم يسمع قوله * يوازن أدناه الجبال الرواسيا

(ومن) أجود ما للمحدثين فى ذلك قول أبى عبادة البحترى فى الفتح بن خاقان

ولما حضرنا سدة الاذن أخرت * رجال عن الباب الذى أنا داخله

فأفضيت من قرب الى ذى مهابة * أقابل بدر التم حين أقابله

بدا لى محمود السجية شمرت * سرابيله عنه وطالت حمائله

كما انتصب الرمح الردينى ثقفت * أنابيبه واهتز للطعن عامله

وكالبدر وافته لتم سعوده * وتم سناه واستهلت منازله

فسلمت فاعتاقته جنانى هيبة * تنازعنى القول الذى أنا قائله

الى مسرف فى الجود لو ان حاتما * لديه لأضحى حاتم وهو عاذله

فلما تأملت الطلاقة وانثنى * الى ببشر آنستنى مخايله

دنوت فقبلت الندى من يد امرئ * جميل محياه سباط أنامله

صفت مثل ما تصفو المدام خلاله * ورقت كما رق النسيم شمائله

(ووقعت) فى حرب بالجزيرة بين بنى تغلب فتولى الاصلاح بينهم الفتح بن خاقان فقال البحترى فيما تعلق ببعضه بذكر الهمة

بنى تغلب أعزز على بان أرى * دياركم أمست وليس لها اهل

خلت دمنة من ساكنيها وأوحشت * مرابع من سنجار يهمى بها الوبل

اذا ما التقوا يوم الهياج تحاجزوا * وللموت فيما بينهم قسمة عدل

كفى من الاحياء لاقى كفيه * ومثل من الاقوام راجعه مثل

كذاب فانه يقربها بالقول ويبعدها بالفعل ولا من أحمق فانه يريد نفعك فيضرك ولا من رجل لها كلة من جهة رجل فانه لا يؤثر حاجتك على أكله (وقال دعبل بن على الخزعى)

جئتك مسترفدا بلا سبب * اليك الا بحرمة الادب
فاقض زمامى فاننى رجل * غير ملح عليك فى الطلب

(وقال) شبيب بن شيبة انى لاعرف أمرا لا يتلاقى به اثنان الا وجب به النجح بينهما قيل له وما ذاك قال العقل فان العاقل لا يسأل ما لا يمكن ولا يرد عما يمكن وقال الشاعر

أتيتك لا ادلى بقربى ولا يد * اليك سوى انى بجودك واثق
فان تولنى عرفا أكن لك شاكرا * وان قلت لى عذرا أقل انت صادق

(وقال الحسن بن هانئ) فان تولنى منك الجميل فاهله * والا فانى عاذر وشكور
(وقال آخر) لعمرك ما أخلقت وجها بذلته * اليك ولا عرضته لمعاير
فتى وفرت أيدى المكارم عرضه * عليه وخلت ماله غير وافر

(ودخل) محمد بن واسع على بعض الامراء فقال أتيتك فى حاجة فان شئت قضيتها وكنا كريمين وان شئت لم تقضها وكنا لئيمين أراد ان قضيتها كنت أنت كريما بقضائها وكنت أنا كريما بسؤالك اياها لانى وضعت الطلبة فى موضعها فان لم تقضها كنت أنت لئيما بمنعك وكنت أنا لئيما بسوء اختيارى لك (وسرق حبيب هذا المعنى فقال) عياش انك للئيم واننى * مذ صرت موضع مطلبى للئيم
(ودخل) سوار القاضى على عبد الله بن طاهر صاحب خراسان فقال أصلح الله الامير

لنا حاجة والعذر فيها مقدم * خفيف معناها مضعفة الاجر
فان تقضها فالحمد لله وحده * وان عاق مقدور ففى أوسع العذر

قال له ما حاجتك أبا عبد الله قال كتاب لى ان رأى الامير أكرمه الله ان ينفذه فى خاصته كتب الى موسى بن عبد الملك فى تعجيل ارزاقى قال أو غير ذلك أبا عبد الله نعجلها لك من أرزاقنا فاذا وردت خيرا بين ان تأخذ أو تردها فانشد سوار يقول

فبابك أيمن أبوابهم * ودارك مأهولة عامره * وكفك حين ترى المجتدين أندى من الليلة الماطره * وكلبك آنس بالمعتفين * من الام بابنتها الزائره

(ودخل) أبو حازم الاعرج على بعض أهل السلطان فقال أتيتك فى حاجة رفعتها الى الله قبلك فان يأذن الله فى قضائها قضيتها وحمدناك وان لم يأذن فى قضائها لم تقضها وعذرناك (وفى) بعض الحديث اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه (أخذه) الطائى فنظمه فى شعره فقال

قد تأولت فيك قول رسول الله اذ قال مفصحا افصاحا * ان طلبتم حوائجا عند قوم فتنقوا لها الوجوه الصباحا * فلعمرى لقد تنقيت وجها * ما به خاب من أراد النجاحا

(قال المنصور) لرجل دخل عليه سل حاجتك قال يبقيك الله يا أمير المؤمنين قال سل حاجتك فانك لست تقدر على هذا المقام فى كل حين قال والله يا أمير المؤمنين ما أستقصر عمرك ولا أخاف بخلك وان اعطاءك اشرف وان سؤالك لزين وما بامرئ بذل اليك وجهه نقص ولا شين فوصله وأحسن اليه

﴿استنجاز المواعد﴾ من أمثالهم فى هذا انجز حر ما وعد (وقالوا) وعد الكريم نقد ووعد اللئيم تسويف (وقال) الزهرى حقيق على من أورق بوعد ان يثمر بفعل (وقال) المغيرة من أخر حاجة فقد ضمنها (وقال) الموبذان الفارسى الوعد السحابة والانجاز المطر (وقال) غيره المواعيد رؤس الحوائج والانجاز ابدانها (وقال) عبد الله بن عمر خلف الوعد ثلث النفاق وصدق الوعد ثلث الايمان وما ظنك بشئ جعله الله مدحة فى كتابه وفخرا لانبيائه فقال تعالى واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد (وذكر) جبار بن سلمى عامر بن الطفيل فقال كان والله اذا وعد الخير وفى واذا أوعد الشر

اذا ما اخو الرماح انتهى له
أخ لا يليد فى الطعان ولا وغل
يحوطهم بالبيض الرقاق وضمر
عتاق وأفراس بها يدرك النبل
بطعن بكف الدارعين دراكه
وضرب كما ترغو المخزمة البزل
تجافى امير المؤمنين عن التى
علمتم وللعافين فى مثلها الشكل
وكانت يد الفتح بن خاقان عندكم
يد الغيث عند الارض أجدبها المحل
ولولا اطلات بالعقوق دماؤكم
فلا قود يعطى الاذل ولا عقل
تلافيت يا فتح الاراقم بعدما
سقاهم بأوحى سمه الارقم الصل
وهبت لهم بالسلم باقى نفوسهم
وقد اشرفوا ان يستتمهم القتل
اتاك وفود الشكر يثنون بالذى
تقدم من نعماك عندهم قبل
فلم ار يوما كان اكثر سوددا
من اليوم ضمتهم الى بابك السبل
تراءوك من اقصى السماط فقصروا
خطاهم وقد جازوا الستور وهم عجل
ولما قضوا صدر السلام تهافتوا
على يد بسام سجيته البذل
اذا شرعوا فى خطبة قطعتهم
جلالة طلق الوجه جانبه سهل
اذا نكسوا ابصارهم من مهابة
ومالوا بلحظ خلت انهم قبل
نصبت لهم طرفا حديدا ومنطقا
سديدا ورأيا مثل ما انتضى النصل
وسرت سخيمات الصدور فما لك الـ
ـكريم وأبرى غلها قولك الفصل
ملأت التئام الشعب الذى كان بينهم
على حين بعد منه واجتمع الشمل
فما برحوا حتى تعاطت أكفهم
قراك فلا ضغن لديهم ولا دخل

أخلف وهو القائل ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي * ويأمن مني سطوة المتهدد
وإني وإن أوعدته أو وعدته * ليكذب إيعادي ويصدق موعدي

(وقال ابن أبي حاتم) إذا قلت في شيء نعم فأتمه * فإن نعم دين على الحر واجب
وإلا فقل لا تسترح وترح بها * لئلا يقول الناس إنك كاذب

ولو لم يكن في خلف الوعد إلا قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون لكفى (وقال) عمر بن الحرث كانوا يفعلون ولا يقولون ثم صاروا يقولون ويفعلون ثم صاروا يقولون ولا يفعلون فزعم أنهم ضنوا بالكذب فضلا عن الصدق (وفي هذا المعنى يقول الحسن بن هانئ) قال لي ترضى بوعد كاذب * قلت إن لم يك شهم فنفس

(ومثله) قول الأحنف ويقال إنها لمسلم بن الوليد صريع الغواني
ما ضر من شغل الفؤاد بخله * لو كان عللني بوعد كاذب
صبرا عليك فما أرى لي حيلة * إلا التمسك بالرجاء الخائب
سأموت من كمد وتبقى حاجتي * فيما لديك وما لها من طالب

(قال) عبد الرحمن بن أم الحكم لعبد الملك بن مروان في مواعد وعدها إياه فطله بها نحن إلى الفعل أحوج منا إلى القول وأنت بالإنجاز أولى منك من المطل واعلم أنك لا تستحق الشكر إلا بإنجازك الوعد واستتمامك المعروف (القاسم بن معن المسعودي) قال قلت لعيسى بن موسى أيها الأمير ما انتفعت بك منذ عرفتك ولا أوصلت لي خيرا منذ صحبتك قال ألم أكلم لك أمير المؤمنين في كذا وأسأله لك كذا قال قلت بلى فهل استنجزت ما وعدت واستتممت ما أبدأت قال حال من دون ذلك أمور قاطعة وأحوال عاذرة قلت أيها الأمير فازدت على أن انبهت العجز من رقدته وأثرت الحزن من ربضته إن الوعد إذا لم يشفعه إنجاز يحققه كان كلفظ لا معنى له وجسم لا روح فيه (وقال) عبد الصمد بن الفضل الرقاشي لخالد ابن ديسم عامل الري أخالد إن الري قد أجحفت بنا * وضاق علينا رحبها ومعاشها
وقد أطمعتنا منك يوما سحابة * أضاءت لنا برقا وأبطا رشاشها
فلا غيمها يصحو فييئس طامع * ولا ماؤها يأتي فيروى عطاشها

(وقال) سعيد بن سلم وعد أبي بشار العقيلي حين مدحه بالقصيدة التي يقول فيها
حننت بنجد وحلت عن نجد * ثم انثنت كالنفس المرتد

(فكتب إليه بشار بالغد) ما زال ما منيتني من همي * الوعد غم فاسترح من غمي
* إن لم ترد مدحي فراقب ذمي * فقال له أبي يا أبا معاذ هلا استنجعت الحاجة بدون الوعد فإذا لم نفعل فتربص ثلاثا وثلاثا فاني والله ما رضيت بالوعد حتى سمعت الأبرش الكلبي يقول لهشام يا أمير المؤمنين لا تصنع إلى معروفا حتى تعد في فإنه لم يأتني منك سبب على غير وعد إلا هان على قدره وقل مني شكره قال له هشام لئن قلت ذلك لقد قاله سيد أهلك أبو مسلم الخولاني إن أوقع المعروف في القلوب وأبرده على الأكباد معروف منتظر بوعد لا يكدره المطل (وكان) يحيى بن خالد بن برمك لا يقضي حاجة إلا بوعد ويقول من لم يبت على سرور الوعد لم يجد للصنيعة طعما (وقالوا) الخلف ألأم من البخل لأنه من لم يفعل المعروف لزمه ذم اللؤم وحده ومن وعد وأخلف لزمه ثلاث مذمات ذم اللؤم وذم الخلف وذم الكذب (وقال زياد الأعجم) لله درك من فتى * لو كنت تفعل ما تقول
لا خير في كذب الجوا * د وحبذا صدق البخيل

(استبطأ حبيب الطائي) الحسن بن وهب في عدة وعدها إياه فكتب إليه أبياتا يستعجله بها فبعث إليه ألف درهم وكتب إليه أعجلتنا فأتاك عاجل برنا * قلا ولو أخرته لم يقلل
فخذ القليل وكن كمن لم يسأل * ونكون نحن كأننا لم نفعل

(وقال) عبد الملك بن مالك الخزاعي دخلت على أمير المؤمنين المهدي وعنده ابن دأب وهو ينشد

وجروا ذيول العصب تضفو ذيولها
عطاء كريم مات كاده بخل
وما عمهم عمرو بن غنم نسبة
كما عمهم بالأمس نائلك الجزل
فهم ما رأوا من غبطة في اصطلاحهم
فنائل بها النعمى بجوت ولك الفضل
عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل ابن قاسط وللطائيين في ذلك أشعار كثيرة مختارة منها قول البحتري يحذر عاقبة الحرب
أما لربيعة الفرس انتهاء
عن الزلال فيها والحروب
وكانوا وقعوا أيام سلم
على تلك الضغائن والندوب
إذا ما الجرح رم على فساد
تبين فيه تفريط الطبيب
رزيه هالك جلبت رزايا
وخطب بات يكشف عن خطوب
يشق الجيب ثم يجيء أمر
يصغر فيه تشقيق الجيوب
وقبر عن أيامن برقعيد
إذا هي فاخرت أفق الجنوب
تسح ترابه أبدا عليها
عهادا من مراق دم صبيب
فهل لابني عدي من رشيد
يرد شريد حلمهما الغريب
أخاف عليهما أمرار مرعى
من الكلأ الذي عقباه يوبي
واعلم أن حربهما خبال
على الداعي إليها والمجيب
لعل أبا المعمر يتليها
ببعد الهم والصدر الرحيب
فكم من سودد قد بات يعطى
عطيه مكثر فيها مطيب
أهيثم يا ابن عبد الله دعوى
مشير بالنصيحة أو مهيب

قول الشماخ وابيض قد قد السفار قميصه * يجر الشواء بالعصا غير منضج
دعوت الى ما نابنى فاجابنى * كريم من الفتيان غير مزلج
فتى يملأ الشيزى ويروى سنانه * ويضرب فى رأس الكمى المدجج
فتى ليس بالراضى بادنى معيشة * ولا فى بيوت الحى بالمتولج
فرفع رأسه الى المهدى وقال هذه صفتك أبا العباس فقلت بك نلتها يا أمير المؤمنين قال فانشدنى فانشدته قول السموأل

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل
اذا المرء أعيته المروأة يافعا * فمطلبها كهلا عليه ثقيل
تعيرنا انا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
ونحن أناس لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد السيوف نفوسنا * وليست على غير السيوف تسيل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول
فنحن كماء المزن ما فى نصابنا * كهام ولا فينا يعد بخيل
وأسيافنا فى كل شرق ومغرب * بها من قراع الدارعين فلول

فقال أحسنت اجلس بهذا بلغتم سل حاجتك قلت يا أمير المؤمنين تكتب لى فى العطاء لاثنين رجلا من أهلى فرضى قال نعم على اذا وعدت فقلت يا أمير المؤمنين انك متمكن من العدة وليس دونك حاجز عن الفعل فما معنى العدة فنظر الى ابن دأب كانه يريد منه كلاما فى فضل الوعد فقال ابن دأب

حلاوة الفعل بوعد ينجز * لا خير فى الفعل كنهب ينتهز

فضحك المهدى وقال الفعل أحسن ما يكو * ن اذا تقدمه ضمان

(وقال) المهلب بن أبى صفرة لبنيه يا بنى اذا غدا عليكم الرجل وراح مسلما فكفى بذلك تقاضيا وقال الشاعر أروح بتسليمى عليك واغتدى * وحسبك بالتسليم منى تقاضيا
(وقال آخر) كفاك مخبرا وجهى بشانى * وحسبك ان أراك وان ترانى
وما ظنى بان يعييه أمرى * ويعلم حاجتى ويرى مكانى

(كتب العتابى) الى بعض أهل السلطان اما بعد فان سحاب وعدك قد ابرقت فليكن وبلها سالما من علل المطال والسلام (وكتب) الجاحظ الى رجل وعده اما بعد فان شجرة وعدك قد أورقت فليكن ثمرها سالما من جوائح المطال والسلام (ووعد عبد الله بن طاهر) دعبلا بغلام فلما طال عليه تصدى له يوما وقد ركب الى باب الخاصة فلما رآه قال أسأت الاقتضاء وجهلت المأخذ ولم تحسن النظر ونحن أولى بالفضل فلك الغلام والدابة كما نزل ان شاء الله فاخذ بعنانه دعبل وأنشده

يا جواد اللسان من غير فعل * ليت فى راحتيك جود اللسان
عين مهران قد لطمت مرارا * فاتق ذا الجلال فى مهران
عورت عينا فدع لمهران عينا * لا تدعه يطوف فى العميان

قال فنزل له عن دابته وأمر له بالغلام (وسأل خالد بن خليفة) ابان بن الوليد جارية فوعده بها وابطأت عليه فكتب اليه
ارى حاجتى عند الامير كانها * تهم زمانا عنده بمقام
وأحصرن من ادكاره ان القيته * وشدق الحياء ملجم بلجام
اراها اذا كان النهار نسيئة * وبالليل تقضى عندكل منام
فيا رب اخرجها فانك مخرج * من الميت حيا مفصحا بكلام

فتنا س ذنوب قومك ان حفظ الذنوب اذا قدمن من الذنوب
فالسهم السديد احب غبا الى الرامى من السهم المصيب
متى احوزت نصر بنى عبيد الى اخلاص ود بنى حبيب
فقد اصبحت اغلب تغلبى على ايدى العشيرة والقلوب
(مناسب قوله)
* اذا ما الجرح رم على فساد *
قول ابى الطيب المتنبى لعلى بن ابراهيم التنوخى احد بنى القصيص
فلا تغررك السنة موالى تقلبهن افئدة اعادى
وكن كالموت لا يرثى لباك بكى منه ويروى وهو صاد
فان الجرح ينفر بعد حين اذا كان البناء على فساد
(وفى هذه القصيدة)
كأن الهام فى الهيجا عيون وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صغت الاسنة من هموم فما يخطرن الا فى فؤاد
كأن البيت الاول من هذين منظر الى قول مسلم بن الوليد من طرف خفى
ولو ان قوما يخلقون منية من بأسهم كانوا بنى جبريلا
قوم اذا احمر الهجير من الوغى جعلوا الجماجم للسيوف مقيلا
وانما اخذه من قول منصور النميرى وذكر سيفا
ذكر برونقه الدماء كانما يعلو الرجال بارجوان ناقع
وترى مساقط شفرتيه كانها ملح تبدد من وراء الدارع
وتراه معتما اذا جردته يدم الرجال على الاديم الفاقع

فيعلم ماشكري اذا ماقضيتها * وكيف صلاتي عندها وصيامي

(وكتب ابو العتاهية الى رجل وعده بعدة ومطله بها)

لا جعل الله لى اليك ولا * عندك ماعشت حاجة أبدا
ماجئت فى حاجة أمر بها * الاتثاقلت ثم قلت غدا

(وكتب دعبل الى رجل وعده وعدا وأخلفه)

أحسبت ارض الله ضيقة * عني فارض الله لم تضق
وجعلتني فقعا بقرقرة * فوطأتني وطأ على حنق
فاذا سألتك حاجة أبدا * فاضرب بها قفلا على غلق
وأعدلي غلا وجامعة * فاجمع يدي بها الى عنقي
ما أطول الدنيا وأوسعها * وأدلني بمسالك الطرق

(ومن قولنا فى رجل كتب الى بعدة فى صحيفة ومطلني بها)

صحيفة طابعها اللوم * عنوانها بالجهل مختوم
اهدى لها والخلف فى طيها * والمطل والتسويف واللوم
من وجهه نحس ومن قربه * رجس ومن عرفانه شوم
لا تهتضم ان بت ضيفا له * فخبزه فى الجوف هاضوم
تكامه الالحاظ من رقة * فهو بلحظ العين مكلوم
لا تأتدم شيئا على أكله * فانه بالجوع مأدوم

(وقلت فيه) صحيفة أفنيت ليت بها وعسى * عنوانها راحة الراجي اذا يئسا
وعد له هاجس فى القلب اذ برمت * احشاء صدري به من طول ما هجسا
راعيته غرني منها وميض سنا * حتى مددت اليها الكف مقتبسا
فصادفت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا
كأنما صيغ من بخل ومن كذب * فكان ذلك له روحا وذا نفسا

(وقلت فيه) رجاء دون اقربه السحاب * ووعد مثل ما لمع السراب
وتسويف يكل الصبر عنه * ومطل ما يقوم له حساب

❁(لطيف الاستمناح)❁ قالت الحكماء لطيف الاستمناح سبب النجاح والانفس ربما انطلقت وانشرحت بلطيف السؤال وانقبضت وامتنعت بجفاء السائل كما قال الشاعر

وجفوتني فقطعت عنك فوائدي * كالدر يقطعه جفاء الحالب

(وقال العتابي) ان طلبت حاجة الى ذي سلطان فأجمل فى الطلب اليه واياك والالحاح عليه فان الحاجة تكلم عرضك وتريق ماء وجهك فلا تأخذ منه عوضا لما يأخذ منك ولعل الالحاح يجمع عليك اخلاق ماء الوجه وحرمان النجاح فانه ربما مل المطلوب اليه حتى يستخف بالطالب وقال الحسن بن هانئ

تأن مواعيد الكرام فربما * جملت من الالحاح سمحا على بخل

(وقال آخر) ان كنت طالب حاجة فتجمل * فيها بأحسن ما طلبت وأجمل
ان الكريم اخا المروءة والنهى * من ليس فى حاجاته بمثقل

(المدائني) قال قدم قوم من بني أمية على عبد الملك بن مروان فقالوا يا أمير المؤمنين نحن ممن تعرف وحقنا ما لا تنكر وجئناك من بعد ونمت بقريب ومهما تعطنا فنحن اهله (دخل عبد الملك بن صالح) فقال أسألك بالقرابة والخاصة أم بالخلافة والعامة قال بل بالقرابة والخاصة قال يداك يا أمير المؤمنين أطلق من لساني بالمسئلة فأعطاه وأجزل له (ودخل) أبو الريان على عبد الملك بن مروان وكان عنده أشراف فرآه خاثرا فقال يا أبا الريان مالك خاثرا قال أشكو اليك الشرف يا أمير المؤمنين قال كيف ذلك قال نسئل ما لا نقدر عليه ونعتذر فلا نعذر قال عبد الملك ما أحسن ما استمنحت واستعذرت يا أبا الريان اعطوه كذا وكذا (العتابي) قال كتب الشعبي الى الحجاج يسأله حاجة فاعتل عليه فكتب اليه الشعبي

وكان وقعته بجمجمة الفتى
خدر المدامة او نعاس الهاجع
اردت هذا البيت وقول النمري
* وتراه معتما اذا جردته *
يشير اليه قول ابي الطيب وذكر سيفا
يبس النجيع عليه فهو مجرد
من غمده وكأنما هو مغمد
ريان لو قذف الذي اسقيته
لجرى من المهجات بحر مزبد
وبنو عبيد وبنو حبيب اللذان ذكرهما البحتري هم بنو عبيد ابن الحرث بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وحبيب بن الهجرس بن تيم بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن غنم بن تغلب وفيهم حبيب ابن حوقة بن تغلب بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم فلا ادري أيهما اراد

(وقال البحتري)
اساءت لاخوالي ربيعة ان عفت
مصانعها منها واقوت ربوعها
بكرهي ان باتت خلاء ديارها
ووحشا مغانيها وشتى جميعها
اذا افترقوا من وقعة جمعتهم
دماء لاخرى ما يطل نجيعها
تذم الفتاة الرود شيمة بعلها
اذا بات دون الثار وهو ضجيعها
حمية شعب جاهلي وعزة
كلايبة اعيا الرجال خضوعها
وفرسان هيجاء تجيش صدورهم
باحقادها حتى تضيق دروعها
تقتل من وتر اعز نفوسها
عليها بأيد ما تكاد تطيعها
اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها
تذكرت القربى ففاضت دموعها
شواجر ارماح تقطع بينها
شواجر ارحام ملوم قطوعها

والله لا عذرتك وأنت والى العراق وابن عظيم القريتين فقضى حاجته وكان جد الحجاج لامه عروة بن مسعود الثقفى (العتبى) قال قدم عبد الله بن زرارة الكلابى على أمير المؤمنين معاوية فقال انى لم أزل هز ذوائب الرحال اليك فلم أجد معولا الا عليك أمتطى الليل بعد النهار وأسم المجاهل بالآثار يقودنى اليك أملى وتسوقنى بلوى والمجتهد يعذر واذا بلغتك فقطنى فقال احطط عن راحلتك (ودخل) كرين ابن زفر بن الحرث على يزيد بن المهلب فقال أصلح الله الامير أنت أعظم من أن يستعان بك ويستعان عليك ولست تفعل من الخير شيأ الا وهو يصغر عنك وأنت أكبر منه ولا العجب ان تفعل ولكن العجب ان لا تفعل قال سل حاجتك قال حملت عن عشيرتى عشر ديات قال قد أمرت لك بها وشفعتها بمثلها (العتبى عن أبيه) قال أتى رجل الى حاتم الطائى فقال انها وقعت بينى وبين قوم ديات فاحتملتها فى مالى وأملى فقدمت مالى وكنت املى فان تحملها عنى فرب هم قد فرجته وغم كفيته ودين قضيته وان حال دون ذلك حائل لم اذم يومك ولم أياس من غدك فحملها عنه (المدائنى) قال سأل رجل خالدا القسرى حاجة فاعتل عليه فقال له لقد سألت الامير من غير حاجة قال وما دعاك الى ذلك قال رأيتك تحب من لك عنده حسن بلاء فأردت أن اتعلق منك بحبل مودة فوصله وحباه وأدنى مكانه (الاصمعى) قال دخل أبو بكر الهجرى على المنصور فقال يا أمير المؤمنين تعصى فى وأنتم أهل البيت بركة فلو اذنت لى فقبلت رأسك قال اخترمنها أو من الجائزة فقال يا أمير المؤمنين ان أهون على من ذهاب درهم من الجائزة أن لا تبقى حاكة فى فضحك المنصور وأمر له بجائزة (وذكروا) ان جارا لابى دلف ببغداد لزمه كبير دين فادح حتى احتاج الى بيع داره فساوموه بها فسألهم ألفى دينار فقالوا له ان دارك تساوى خمسمائة قال وجوارى من أبى دلف بألف وخمسمائة فبلغ أبا دلف فأمر بقضاء دينه وقال له لا تبع دارك ولا تنتقل من جوارنا (ووقفت) امرأة على قيس بن سعد بن عبادة فقالت اشكو اليك قلة الجرذان قال ما أحسن هذه الكناية املؤا لها بيتها خبزا ولحما وسمنا (ابراهيم بن احمد) عن الشيبانى قال كان أبو جعفر المنصور أيام بنى أمية اذا دخل دخل مستترا فكان يجلس فى حلقة أزهر السمان المحدث فلما أفضت الخلافة اليه قدم عليه أزهر فرحب به وقال له ما حاجتك يا أزهر قال دارى متهدمة وعلى أربعة آلاف درهم وأريد لو أن ابنى محمدا ابنى بعياله فوصله باثنى عشر ألفا وقال قد قضينا حاجتك يا أزهر فلا تأتنا طالبا فأخذها وارتحل فلما كان بعد سنة أتاه فلما رآه أبو جعفر قال ما جاء بك يا أزهر قال جئتك مسلما قال انه يقع فى خلد أمير المؤمنين أنك جئت طالبا قال ما جئت الا مسلما قال قد أمرنا لك باثنى عشر ألفا واذهب فلا تأتنا طالبا ولا مسلما فأخذها ومضى فلما كان بعد سنة أتاه فقال ما جاء بك يا أزهر قال أتيت عائدا قال انه يقع فى خلدى انك جئت طالبا قال ما جئت الا عائدا قال قد أمرنا لك باثنى عشر ألفا واذهب فلا تأتنا طالبا ولا مسلما ولا عائدا فأخذها وانصرف فلما مضت السنة اقبل فقال له ما جاء بك يا أزهر قال دعاء كنت اسمعك تدعو به يا أمير المؤمنين جئت لاكتبه فضحك أبو جعفر وقال انه دعاء غير مستجاب وذلك انى قد دعوت الله به ان لا أراك فلم يستجب لى وقد أمرنا لك باثنى عشر ألفا وتعال متى شئت فقد اعيتنى فيك الحيلة (اقبل اعرابى) الى داود بن المهلب فقال له انى مدحتك فاستمع قال على رسلك ثم دخل بيته وتقلد سيفه وخرج فقال قل فان أحسنت حكمناك وان أسأت قتلناك فأنشأ يقول

أمنت بداود وجود يمينه * من الحدث المخشى والبؤس والفقر

فأصبحت لا أخشى بداود نبوة * من الحدثان اذ شددت به أزرى

له حكم لقمان وصورة يوسف * وحكم سليمان وعدل أبى بكر

فتى تفرق الاموال من جود كفه * كما فرق الشيطان من ليلة القدر

فقال قد حكمناك فان شئت على قدرك وان شئت على قدرى قال بل على قدرى فأعطاه خمسين ألفا فقال له جلساؤه هلا احتكمت على قدر الامير قال لم يك فى ماله ما يفى بقدره قال له داود وأنت فى هذه

فتكت امين الله مولى حياتها * ومولاك فتح يوم ذاك شفيعها

(وقال أبو تمام الطائى)

مهلا بنى مالك لا تجلبن الى
حى الاراقم دؤلول ابنة الرقم
لم يألكم مالك صفحا ومغفرة
لو كان ينفخ قين الحى فى فحم
اخو جشم ويكر من محبته
والنار قد تنتضى من ناضر السلم
اوطأتموه على جمر العقوق ولو
يخرج الليث لم يخرج من الاجم
لولا مناشدة القربى لغادركم
حصائد المرهفين السيف والقلم
لا تجعلوا البغى ظهرا انه جمل
من القطيعة يرعى وادى النقم

(وقال ايضا)

مهلا بنى عمرو بن غنم انكم
هدف الاسنة والقنا تحطم
ما منكم الا مردى بالحجى
أو مبشر بالاحوذية مؤدم
عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتـ
ـاب بن سعد منكم لا منهم
خلعت ربيعة من لدن خلقت يدا
جشم بن بكر كفها والمعصم
تغزو فتغلب تغلب مثل اسمها
ويصيح غنم فى البلاد فتغنم
وستذكرون غدا صنائع مالك
ان حل خطب او تدوقع مغرم
مالى رايت تراكم يبسا له
مالى ارى اطوادكم تتهدم
ما هذه القربى التى لا تصطفى
ما هذه الرحم التى لا ترحم
حسد القرابة للقرابة قرحة
اعيت عوائدها وجرح اقدم
تلكم قريش لم تكن آباؤها
تهفو ولا احلامها تتقسم
حتى اذا بعث النبى محمد
فيهم غدت شحناؤهم تتضرم
عذبت عقولهم وما من معشر
الا وهم منهم الب واخرم

أشعر منك فى شعرك وأمرله بمثل ما أعطاه (الاصمعى) قال كنت عند الرشيد اذ دخل عليه ابراهيم الموصلى فأنشده

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى * فليس الى ما تأمرين سبيل
فعالى فعال المكثرين تجملا * ومالى كما قد تعلمين قليل
فكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى * ورأى أمير المؤمنين جميل

فقال لله أبيات تأتينا بها ما أحسن أصولها وأبين فصولها وأقل فضولها يا غلام أعطه عشرين ألفا قال والله لا أخذت منها درهما قال ولم قال لان كلامك والله يا أمير المؤمنين خير من شعرى قال اعطوه اربعين ألفا قال الاصمعى فعلمت والله انه اصيد لدراهم الملوك منى (العتبى) عن ابيه قال قدم زيد بن منبه من البصرة على معاوية وهو أخو يعلى بن منبه صاحب الجمل جمل عائشة رضى الله عنها ومتولى تلك الحروب ورأس أهل البصرة وكانت ابنة يعلى عند عتبة بن أبى سفيان فلما دخل على معاوية شكا دينه فقال يا كعب اعطه ثلاثين ألفا فلما ولى قال وليوم الجمل ثلاثين ألفا ثم قال له الحق بصهرك يعنى عتبة فقدم عليه مصر فقال انى سرت اليك شهرين أخوض فيهما المتالف ألبس أردية الليل مرة وأخوض فى لجج السراب أخرى موقرا من حسن الظن بك وهاربا من دهر قطم ومن دين أزم بعد غنى جدعنا به أنوف الحاسدين فقال عتبة ان الدهر أعاركم غنى وخلطكم بنا ثم استرد ما أمكنه أخذه وقد أبقى لكم منا ما لا ضيعة معه وانا رافع يدى ويدك بيد الله فأعطاه ستين ألفا كما أعطاه معاوية (ابراهيم) الشيبانى قال قال عبد الله بن على بن سويد بن منجوف أعدم أبى اعدامة بالبصرة وأبغض فخرج الى خراسان فلم يصب بها طائلا فبينا هو يشكو تعذر الاشياء عليه اذ عدا غلامه على كسوته وبغلته فذهب بهما فأتى أبا ساسان حضين بن المنذر الرقاشى فشكا اليه حاله فقال والله يا ابن أخى ما عندى ما يحمل محاملك ولكن ان احتال لك فدعا بكسوة حسنة فألبسنى اياها ثم قال امض بنا فأتى باب والى خراسان فدخل وتركنى بالباب فلم ألبث أن خرج الحاجب فقال أين على بن سويد فدخلت الى الوالى فاذا حضين على فراش جنبه فسلمت على الوالى فرد على ثم أقبل عليه حضين فقال أصلح الله الامير هذا على بن سويد بن منجوف سيد فتيان بكر بن وائل وابن سيد كهولها وأكثر الناس مالا حاضرا بالبصرة وفى كل موضع ملكت به بكر بن وائل مالا وقد تحمل بى الى الامير فى حاجة قال هى مقضية قال فانه يسألك ان تمد يدك من ماله ومراكبه وسلاحه الى ما أحببت قال لا والله لا أفعل ذلك به نحن أولى بزيادته قال فقد أعفيناك من هذه اذ كرهتها فهو يسألك ان تحمله حوائجك قال ان كانت حاجة فهو فيها ثقة ولكن أسألك أن تكلمه فى قبول معونة منا فانا نحب أن نرى على مثله من أثرنا فأقبل على فقال يا أبا الحسن عزمت عليك أن لا ترد على عمك شيئا أكرمك به فسكت قال فدعا لى بمال ودواب وكساء ورقيق فلما خرجت قلت أبا ساسان لقد أوقفتنى على خطة ما وقفت على مثلها قال اذهب اليك يا ابن أخى فعمك أعلم بالناس منك ان الناس ان علموا لك غزارة من مال حشوا لك أخرى وان يعلموك فقيرا تعدوا عليك مع فقرك (ابراهيم) الشيبانى قال ولد لابى دلامة ابنة ليلا فأوقد السراج وجعل يخيط خريطة من شقيق فلما أصبح طواها بين أصابعه وغدا بها الى المهدى فاستأذن عليه وكان لا يحجب عليه فأنشده

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا من شعاع الشمس فى درج * الى السماء فأنتم أكرم الناس

قال له المهدى احسنت والله أبا دلامة فما الذى غدا بك الينا قال ولدت لى جارية يا أمير المؤمنين قال فهل قلت فيها شعرا قال نعم قلت

فما ولدتك مريم أم عيسى * ولم يكفلك لقمان الحكيم
ولكن قد تضمك أم سوء * الى لباتها وأب لئيم

قال فضحك المهدى قال فما تريد أن اعينك به فى تربيتها أبا دلامة قال تملأ هذه يا أمير المؤمنين وأشار

لما اقام الوحى بين ظهورهم
وراوا رسول الله احمد منهم
ومن الحزامة لو تكون حزامة
ان لا تؤخر من به تتقدم
ومالك هو ابن طوق بن مالك بن عتاب بن زافر بن مرة بن شريح ابن عبد الله بن عمرو بن كلثوم ابن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ابن عمرو بن غنم بن تغلب وفيه يقول دعبل يهجوه
الناس كلهم يغدو لحاجته
من بين ذى فرح فيها ومهموم
ومالك ظل مشغولا بنسبته
يرم منها بناء غير مرموم
يبنى بيوتا خرابا لا انيس بها
ما بين طوق الى عمرو بن كلثوم
والتكثير من المعنى المعترض يريح عن ثغرة الغرض لكنى اجرى منه الى غاية الاجادة واقصد قصد الافادة ثم اعود حيث اريد (وقال) ابن الخياط المكى واسمه عبد الله بن سالم فى باب الهيبة فى مالك بن انس الفقيه رحمة الله عليه وقيل ان هذا من قول ابن المبارك
يأبى الجواب فما يراجع هيبة
والسائلون نواكس الاذقان
ادب الوقار وعز سلطان التقى
فهو المهيب وليس ذا سلطان
وقول الفرزدق
* يكاد يمسكه عرفان راحته *
قد تجاذبه جماعة من الشعراء قال اشجع بن عمرو السلمى لجعفر البرمكى
حيث انت قادما تورد الشا
م فتختال بين ارجل غيرك
ان ارضا تسرى اليها الواسطا
عت لسارت اليك من قبل سيرك
واليه اشار ابو تمام الطائى فى قوله

اليه بالخريطة بين أصبعيه فقال المهدى وما عسى أن تحمل هذه قال من لم يقنع بالقليل لم يقنع بالكثير وأمر أن تملأ مالا فلما نشرت أخذت عليهم صحن الدار فدخل فيها أربعة آلاف درهم * وكان المهدى قد كسى أبا دلامة ساجا فأخذه وهو سكران فأتى به الى المهدى فأمر بتمزيق الساج عليه وأن يحبس فى بيت الدجاج فلما كان فى بعض الليل وصحا أبو دلامة من سكره ورأى نفسه بين الدجاج صاح يا صاحب البيت فاستجاب له السجان قال مالك يا عدو الله قال ويلك من أدخلنى مع الدجاج قال أعمالك الخبيثة أتى بك أمير المؤمنين وأنت سكران فأمر بتمزيق ساجك وحبسك مع الدجاج قال له ويلك ارقب لى سراجا وجئنى بدواة وورق فكتب أبو دلامة الى المهدى

أمن صهباء صافية المزاج * كأن شعاعها لهب السراج
تهش لها النفوس وتشتهيها * اذا برزت ترقرق فى الزجاج
أمير المؤمنين فدتك نفسى * علام حبستنى وخرقت ساجى
أقاد الى السجون بغير ذنب * كأنى بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لهان ذاكم * ولكنى حبست مع الدجاج
دجاجات يطيف بهن ديك * ينادى بالصياح اذا يناجى
وقد كانت تخبرنى ذنوبى * بأنى من عذابك غير ناجى
على أنى وان لاقيت شرا * لخيرك بعد ذاك الشر راجى *

ثم قال أوصلها الى أمير المؤمنين فأوصلها اليه السجان فلما قرأها أمر باطلاقه وادخاله عليه فقال له أين بت الليلة يا أبا دلامة قال مع الدجاج يا أمير المؤمنين قال فما كنت تصنع قال كنت أقوقى معهن حتى أصبحت فضحك المهدى وأمر له بصلة جزيلة وخلع عليه كسوة شريفة (وكتب) أبو دلامة الى عيسى بن موسى وهو والى الكوفة رقعة فيها هذه الأبيات

اذا جئت الامير فقل سلام * عليك ورحمة الله الرحيم
فأما بعد ذاك فلى غريم * من الانصار قبح من غريم
لزوم ما علمت لباب دارى * لزوم الكلب أصحاب الرقيم
له مائة على ونصف أخرى * ونصف النصف فى صك قديم
دراهم ما انتفعت بها ولكن * وصلت بها شيوخ بنى تميم

قال فبعث اليه بمائة ألف درهم (وأتى أبو دلامة) أبا دلف فى مصاد له وهو بالعراق فأخذ بعنان فرسه وأنشده

انى حلفت لئن رأيتك سالما * بقرى العراق وأنت ذو وفر
لتصلين على النبى محمد * ولتملأن دراهما حجرى

فقال أما الصلاة على النبى محمد فصلى الله عليه وسلم وأما الدراهم فلما نرجع ان شاء الله تعالى قال له جعلت فداك لا تفرق بينهما فاستلفها وصبت فى حجره حتى أثقلته (ودخل) أبو دلامة على المهدى فأنشده أبياتا أعجب بها فقال له سلنى يا أبا دلامة واحتكم وافرط ما شئت فقال كلب يا أمير المؤمنين أصطاد به قال قد أمرنا لك بكلب وههنا بلغت أمنيتك قال لا تعجل على يا أمير المؤمنين فانه بقى على قال وما بقى عليك قال غلام يقود الكلب قال وغلام يقود الكلب قال وخادم يطبخ الصيد قال وخادم يطبخ الصيد قال ودار نسكنها قال ودار تسكنها قال وجارية تأوى اليها قال وجارية تأوى اليها قال قد بقى الآن المعاش قال قد أقطعناك ألف جريب عامرة وألف جريب غامرة قال وما الغامرة يا أمير المؤمنين قال التى لا تعمر قال أنا أقطع أمير المؤمنين خمسين ألف فيافى بنى أسد قال قد جعلتها كلها لك عامرة قال فيأذن لى أمير المؤمنين فى تقبيل يده قال أما هذه فدعها قال ما منعتنى شيئا أيسر على أم ولدى فقدانه (ودخل) أبو دلامة على أبى جعفر المنصور يوما وعليه قلنسوة طويلة وكان قد أخذ أصحابه بلباسها وأخذهم بلباس دراريع عليها مكتوب بين كتفى الرجل فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وأمرهم بتعليق السيوف على أوساطهم فدخل عليه أبو دلامة فى ذلك الزى فقال له كيف أصبحت أبا دلامة قال بشر حال يا أمير المؤمنين قال كيف ذلك ويلك قال وما ظنك يا أمير المؤمنين بمن أصبح وجهه

دعه تسعه القياد سكوب
فتشعبت بها السرى المكروب
ونمت نغمة لاعظام نعمى
لسى نحوها المكان الجديب
وفى هذه القصيدة فى وصف الدعة ومدح محمد بن عبد الملك الزيات
لذ شؤبوبها وطاب فلو تسطيع قامت فعانقتها القلوب
فهو ماء يجرى وماء يليه
وعزال تنشى وأخرى تسوب
ايها الغيث حى اهلا بمغدا
ك وعند السرى وحين تؤوب
لابى جعفر خلائق تحكيـ
ـهن قد يشبه النجيب النجيب
وانشدها أبا جعفر بن الزيات فقال يا أبا تمام والله انك لتحلى شعرك من جواهر لفظك وبدائع معانيك ما يزيد حسنا على بهى الجواهر فى أجياد الكواعب وما يدخر لك شئ من جزيل المكافأة الا يقصر عن شعرك فى الموازاة وكان بحضرته رجل من الفيلسوفين فقال هذا الفتى يموت شابا فقيل له من اين حكمت عليه بهذا فقال رأيت فيه من الحدة والذكاء والفطنة مع لطافة الحس ما علمت به ان النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل السيف المهند غمده قال الصولى مات وقد نيف على الثلاثين (وقال فى ابى دلف العجلى) القاسم بن عيسى
تكاد عطاياه تجن جنونها
اذا لم يعوذها بنغمة طالب
تكاد مغانيه تهش عراصها
فتركب من شوق الى كل راكب
(وقال البحترى)
لو ان مشتاقا تكلف فوق ما
فى وسعه لمشى اليك المنبر

فى وسطه وسيفه على استه ونبذ كتاب الله وراءظهره قال فضحك أبو جعفر وأمر بتغيير ذلك
دلامة بصلة (وأوصل) أبو دلامة الى العباس بن المنصور رقعة فيها هذه الابيات

قف بالديار وأى الدهر لم تقف * على منازل بين السهل والنجف
وما وقوفك فى اطلال منزلة * لولا الذى استحدثت من قلبك الكلف
ان كنت أصبحت مشغوفا بجارية * فلا وربك لايشفيك من شغف
ولا يزيدك الا العل من أسف * فهل لقلبك من صبر على الاسف
هذى مقالة شيخ من بنى أسد * يهدى السلام الى العباس فى الصحف
خطته من بوادى المصر كاتبة * قد طالما ضربت فى اللام والالف
وطالما اختلفت صيفا وشاتية * الى معلمها باللوح والكتف
حتى اذا ما استوى الثديان وامتلأت * منها وخيفت على الاشراف للعرف
صينت ثلاث سنين ماترى احدا * كما تصان بحر درة الصدف
بينا الفتى يتمشى نحو مسجده * مبادرا لصلاة الصبح بالسدف
حانت له نظرة منها فأبصرها * مطلة بين سجفيها من الغرف
فخر فى الترب مايدرى غداة اذ * أخر منكشفا أو غير منكشف
* وجاءه القوم أفواجا بمائهم * لينضحوا الرجل المغشى بالنطف
فوسوسوا بقران فى مسامعه * خوفا من الجن والانسان لم يخف
شيأ ولكنه من حب جارية * أمسى وأصبح من موت على شرف
قالوا لك الخير ما أبصرت قلت لهم * جنية اقصدتنى من بنى خلف
أبصرت جارية محجوبة لهم * تطلعت من أعالى القصر ذى الشرف
فقلت من أيكم والله يأجره * يعير قوته منى الى ضعف
* فقام شيخ زهى من تجارهم * قد طالما خدع الاقوام بالحلف
فابتاعها لى بألفى أحمر فغدا * بها الى فألقاها على كتفى
فبت ألثمها طورا وتلثمنى * طورا ونفعل بعض الشئ فى اللحف
بتنا كذلك حتى جاء صاحبها * يبغى الدنانير بالميزان ذى الكفف
وذكر حق على زند وكيف به * والحق فى طرف والعين فى طرف
وبين ذاك شهود ما أبالى بهم * أكنت معترفا أم غير معترف
فان تصلنى قضيت القوم حقهم * وان تقل لا تخفق القوم فى تلف

فلما قرأ العباس الابيات أعجب بها واستظرفها وقضى عنه ثمن الجارية واسم أبى دلامة زند (ابراهيم ابن المهدى) قال لى جعفر بن يحيى يوما انى استأذنت أمير المؤمنين فى الحجامة وأردت ان أخلو وأفر من أشغال الناس وأتروح فهل أنت مساعدى قلت جعلنى الله فداك أنا أسعد الناس بمساعدتك وآنس بخلاتك قال بكر الى بكور الغراب قال فأتيت عند الفجر الثانى فوجدت الشمعة بين يديه وهو قاعد ينتظرنى للميعاد قال فصلينا ثم أفضنا فى الحديث حتى جاء وقت الحجامة فأتى بحجام فحجمنا فى ساعة واحدة ثم قدم الينا الطعام فطعمنا فلما غسلنا ايدينا خلع علينا ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وظللنا بأسر يوم مر بنا ثم انه ذكر حاجة فدعا الحاجب فقال اذا جاء عبد الملك القهرمانى فائذن له فنسى الحاجب وجاء عبد الملك بن صالح الهاشمى على جلالته وسنه وقدره وادبه فأذن له الحاجب فما راعنا الا طلعة عبد الملك فتغير لذلك جعفر بن يحيى وتنغص عليه ما كان فيه فلما نظر عبد الملك اليه على تلك الحالة دعا غلامه فدفع اليه سيفه وسواده وعمامته ثم جاء ووقف على باب المجلس وقال اصنعوا بى ما صنعتم

ال) ابو الطيب المتنبى لبدر
عمار
مت مرا كبنا فخلنا انها
لولا حياء عاقها رقصت بنا
ل الشعر التى قاملتها
مدت محية الملك الاغصنا
(رجع ما انقطع) قال اعرابى لابى جعفر محمد بن على بن الحسين رضى الله عنه هل رايت الله حين عبدته فقال لم اكن لاعبد من لم اره قال فكيف رايته قال لم تره الابصار بمشاهدة العيان ورأته القلوب بحقائق الايمان لا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور فى القضيات ذلك الله الذى لا اله الا هو فقال الاعرابى الله اعلم حيث يجعل رسالاته قال الجاحظ قال محمد بن على صلاح شأن الدنيا بحذافيرها فى كلمتين لان صلاح شأن جميع الناس التعاشر وهو ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل قال الجاحظ لم يجعل لغير الفطنة نصيبا من الخير ولا حظا من الصلاح لان الانسان لا يتغافل عن شئ الا وقد عرفه وفطن له قال الطائى
ليس الغبى بسيد فى قومه
لكن سيد قومه المتغابى
وقال ابن الرومى لابى محمد بن وهب بن عبيد الله بن سليمان
تظل اذا نامت عيون ذوى العمى
وان حدد وازرقا الملك جواحظا
تغاضى لهم وسنان بل متواسنا
وتوقظهم يقظان بل متياقظا
وكان اخوه زيد بن على رضى الله عنه دينا شجاعا ناسكا من احسن بنى هاشم عبارة واجلهم اشارة وكانت ملوك بنى امية

بأنفسكم قال فجاء الغلام فطرح عليه ثياب المنادمة ودعا بالطعام فطعم ثم دعا بالشراب فشرب ثلاثا ثم قال ليخفف عني فانه شيء ماشربته قط فتهلل وجه جعفر وفرح وكان الرشيد قد عتب على عبد الملك بن صالح ووجد عليه فقال له جعفر بن يحيى جعلني الله فداك قد تفضلت وتطولت وأسعدت فهل من حاجة تبلغها مقدرتي أو تحيط بها نعمتي فاقضيها لك مكافأة لما صنعت قال بلى ان قلب أمير المؤمنين عاتب على فسله الرضا عني قال قد رضي عنك أمير المؤمنين ثم قال على أربعة آلاف دينار قال حاضرة ولكن من مال أمير المؤمنين أحب لك قال وابني ابراهيم أحب أن أشد ظهره بصهر من أولاد أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين عائشة قال وأحب ان تخفق الالوية على رأسه قال قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال وانصرف عبد الملك ونحن نعجب من اقدامه على قضاء الحوائج من غير استئذان أمير المؤمنين فلما كان من الغد وقفنا على باب الرشيد ودخل جعفر فلم نلبث ان دعا بأبي يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وابراهيم بن عبد الملك فعقد النكاح وحملت البدر الى منزل عبد الملك وكتب سجل ابراهيم على مصر وخرج جعفر فأشار الينا فلما صار الى منزله ونحن خلفه نزل ونزلنا بنزوله فالتفت الينا فقال تعلقت قلوبكم بأول أمر عبد الملك فأحببتم معرفة آخره واني لما دخلت على أمير المؤمنين مثلت بين يديه وابتدأت القصة من أولها فجعل يقول أحسن والله أحسن والله فما صنعت فأخبرته بما سأل وبما أجبته به فجعل يقول في ذلك أحسنت أحسنت وخرج ابراهيم واليا على مصر (وقدم) رجل على ملك من ملوك الاكاسرة فمكث ببابه حينا لا يصل اليه فتلطف في رقعة أوصلها اليه وفيها أربعة أسطر في السطر الاول الضر والامل أقدماني عليك والسطر الثاني الفقر لا يكون معه صبر السطر الثالث الانصراف بلا فائدة فتنة وشماتة للعدو والسطر الرابع فاما نعم مثمرة واما لا مريحة فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها الف مثقال وأمر له بها (وقد) دخل رجل من الشعراء على يحيى بن خالد بن برمك فأنشده

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد

فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثني عن والد بعد والد

فأمر له بعشرة آلاف (ودخل اعرابي على خالد بن عبد الله القسري فأنشده)

أخالد اني لم أزرك لخلة * سوى انني عاف وأنت جواد

أخالد بين الحمد والاجر حاجتي * فأيهما تأتي فأنت عماد

فأمر له بخمسة آلاف درهم (ومن قولنا في هذا المعنى) ودخلت على أبي العباس القائد فأنشدته

لله جرد للندى والباس * سيفا فقلده أبا العباس * ملك اذا استقبلت غرة وجهه

قبض الرجاء اليك روح الياس * وبه عليك من الحياء سكينة * ومحبة تجري من الانفاس

واذا أحب الله يوما عبده * ألقى عليه محبة للناس

ثم سألته حاجة فيها بعض الغلظ فتلكأ على فأخذت دواة من بين يديه فوقعت فيها على البديهة

ما ضر عندك حاجتي ما عزها * عذرا اذا أعطيت نفسك قدرها * انظر الى عرض البلاد وطولها

أولست أكرم أهلها وأبرها * حاشى لجودك ان يعر حاجتي * ثقتي بجودك سهلت لي وعرها

لا يجتني حلو المحامد ماجد * حتى يذوق من المطالب مرها

فقضى الحاجة وسارع اليها (وأبطأ) عبيد الله بن يحيى عن الديوان فارسل اليه المتوكل يتعرف خبره فكتب اليه

عليل من مكانين * من الافلاس والدين

في هذين لي شغل * وحسبي شغل هذين

فبعث اليه بألف دينار (عبد الله بن منصور) قال كنت يوما في مجلس الفضل بن يحيى فأتاه الحاجب فقال ان بالباب رجلا قد أكثر في طلب الاذن وزعم ان له يدا يمت بها فقال ادخله فدخل رجل جميل رث الثياب فسلم فأحسن فأومأ اليه بالجلوس فجلس فلما علم انه قد انطلق وأمكنه الكلام قال له

تكتب الى صاحب العراق أن امنع أهل الكوفة من حضور زيد بن علي فان له لسانا أقطع من ظبة السيف وأحد من شبا الاسنة وأبلغ من السحر والكهانة ومن كل نفث في عقدة وقيل لزيد بن علي الصمت خير أم الكلام فقال قبح الله المساكتة ما أفسدها للبيان وأجلبها للعي والحصر والله للمماراة أسرع في هدم العي من النار في يبس العرفج ومن السيل الى الحدور وقال له هشام ابن عبد الملك بلغني انك تروم الخلافة وأنت لا تصلح لها لانك ابن أمة قال زيد فقد كان اسمعيل ابن ابراهيم عليهما السلام ابن أمة واسحق ابن حرة فأخرج الله من صلب اسماعيل خير ولد آدم فقال له قم فقال اذا والله لا تراني الا حيث تكره فلما خرج من الدار قال ما أحب أحد الحياة قط الا ذل فقال له سالم مولى هشام لا يسمعن هذا الكلام منك أحد وكان زيد كثيرا ما ينشد

شرده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حر الجلاد

منخرق الخفين يشكو الوجى * تنكبه أطراف مرو حداد

قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

وقد رويت هذه الابيات لمحمد ابن عبد الله بن الحسن بن الحسين وقد رويت لاخيه موسى (قال) عبد الرحمن بن يحيى ابن سعيد حدثني رجل من بني هاشم قال كنا عند محمد بن علي ابن الحسين وأخوه زيد جالس فدخل رجل من أهل الكوفة

ماحاجتك قال له قد اعترت رثاثة هيئتي وضعف طاقتي قال اجل فما الذي تمت به قال ولادة تقرب من ولادتك وجوار يدنو من جوارك واسم مشتق من اسمك قال اما الجوار فقد يمكن أن يكون كما قلت وقد يوافق الاسم الاسم ولكن ما علمك بالولادة قال اعلمتني أمي انها لما وضعتني قيل انه ولد الليلة ليحيى ابن خالد غلام وسمي الفضل فسمتني فضيلا اعظاما لاسمك ان تلحقني بك فتبسم الفضل وقال كم أتى عليك من السنين قال خمس وثلاثون قال صدقت هذا المقدار الذي أتيت عليه فما فعلت امك قال توفيت رحمها الله قال فما منعك عن اللحوق بنا فيما مضى قال لم أرض نفسي للقائك في عامية وحداثة تقعدني عن لقاء الملوك قال يا غلام اعطه لكل عام من سنيه ألفا وأعطه من كسوتنا ومراكبنا ما يصلح له فلم يخرج من الدار الا وقد طاف به اخوانه وخاصة اهله (وكتب) حبيب الطائي الى احمد بن أبي دواد

اعلم وانت المرء غير معلم * وافهم جعلت فداك غير مفهم

ان اصطناع العرف ما لم توله * مستكملا كالثوب ما لم يعلم

والشكر ما لم يستتر بصنيعة * كالخط تقرؤه وليس بمعجم

ويفوتني في القول اكثار وقد * اسمحت في كرم الفعال فأجم

(وقال دعبل في طاهر بن الحسين) أبا ذا اليمينين والدعوتين * ومن عنده العرف والنائل

اترضى لمثلي فتى ان يقيم * ببابك مطرح خامل * رضيت من الود والعائدات

ومن كل ما أمل الآمل * بتسليمة بين خمس وست * اذا ضمك المجلس الحافل

وما كنت أرضى بذا من سواك * أيرضى بذا رجل عاقل * وان ناب شغل ففي دون ما

تدبره شغل شاغل * عليك السلام فاني امرؤ * اذا ضاق بي بلد راحل

(ونظر) زياد الى رجل من ضبة يأكل اكلا قبيحا وهو أقبح الناس وجها فقال يا أخا ضبة كم عيالك قال سبع بنات أنا أجمل منهن وهن آكل مني فضحك زياد وقال لله درك ما ألطف سؤالك افرضوا لكل واحدة منهن مائة وخادما وعجلوا لهن بارزاقهن فخرج الضبي وهو يقول

اذا كنت مرتاد السماحة والندى * فناد زيادا أو أخا لزياد * يجبك امرؤ يعطي على الحمد ماله

اذا ضن بالمعروف كل جواد * ومالي لا اثني عليك وانما * طريفي من معروفكم وتلادي

(ووقف دعبل) ببعض امراء الرقة فلما مثل بين يديه قال أصلح الله الامير اني لا اقول كما قال صاحب معن

بأي الخلتين عليك أثني * فاني عند منصرفي مسول * أبالحسنى وليس لها ضياء

على فمن يصدق ما أقول * ام الاخرى ولست لها باهل * وانت لكل مكرمة فعول

ولكني اقول ماذا أقول اذا أتيت معاشري * صفرا يدي من عند اروع مجزل

ان قلت أعطاني كذبت وان أقل * ضن الامير بماله لم يجمل * ولانت اعلم بالمكارم والعلا

من ان أقول فعلت ما لم تفعل * فاختر لنفسك ما أقول فانني * لا بد مخبرهم وان لم أسأل

قال له قاتلك الله وأمر له بعشرة آلاف درهم (العتبي) قال دخل ابن دعبل على بشر بن مروان لما ولي الكوفة فقعد بين السماطين ثم قال أيها الامير اني رأيت رؤيا فأذن لي في قصصها فقال قل فقال

اغفيت قبل الصبح نوم مسهد * في ساعة ما كنت قبل انامها * فرأيت انك رعتني بوليدة

مغلوجة حسن على قيامها * وببدرة حملت الي وبغلة * شهباء ناجية يصر لجامها

قال له بشر بن مروان كل شيء رأيت فهو عندي الا البغلة فانها دهماء فارهة قال امرأتي طالق ثلاثا ان كنت رأيتها الا دهماء الا اني غلطت * الشيباني عن البطين الشاعر قال قدمت على علي بن يحيى الارمني فكتبت اليه رأيت في النوم اني راكب فرسا * ولي وصيف وفي كفي دنانير

فقال قوم لهم حذق ومعرفة * رأيت خيرا وللاحلام تعبير * رؤياك فسر غدا عند الامير تجد

تعبير ذاك وفي الفال التباشير * فجئت مستبشرا مستشعرا فرحا * وعند مثلك لي بالفعل تبشير

قال فوقع لي في أسفل كتابي أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين ثم أمر لي بكل شيء ذكرته

فقال له محمد بن علي انك اثروي طرائف من نوادر الشعر فكيف قال الانصاري لاخيه فأنشده

لعمرك ما ان أبو مالك

بواه ولا بضعيف قواه

ولا بألد له نازع

يعادي أخاه اذا ما نهاه

ولكنه غير مخلافة

كريم الطبائع حلو نثاه

وان سدته سدت مطواعة

ومهما وكلت اليه كفاه

فوضع محمد يده على كتف زيد فقال هذه صفتك يا أخي وأعيذك بالله ان تكون قتيل أهل العراق وكانت بين جعفر ابن الحسن بن الحسين بن علي وبين زيد رضوان الله عليهم منازعة في وصية فكانا اذا تنازعا انثال الناس عليهما ليسمعوا محاورتهما فكان الرجل يحفظ على صاحبه اللفظة من كلام جعفر ويحفظ الآخر اللفظة من كلام زيد فاذا انفصلا وتفرق الناس عنهما قال هذا لصاحبه قال في موضع كذا وكذا وقال الآخر قال في موضع كذا وكذا فيكتبون ما قالا ثم يتعلمونه كما يتعلم الواجب من الفرض والنادر من الشعر والسائر من المثل وكانا اعجوبة دهرهما وأحدوثة عصرهما * ولما قتله يوسف بن عمر وصلب جثته بالكناسة وبعث برأسه مع شبة بن عقال وكلف آل أبي طالب البراءة من زيد وقام خطباؤهم بذلك فكان أول من قام عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رحمة الله عليه فأوجز في كلامه ثم جلس وقام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

فى أبياتى ورأيته فى مناى (وقال بشار العقيلى)

حتى متى ليت شعرى يا ابن يقطين * أثنى عليك بما لا منك تولينى * أما علمت جزاك الله صالحة
عنى وزادك خيرا يا ابن يقطين * انى أريدك للدنيا وزينتها * ولا أريدك يوم الدين للدين

(وقال آخر فى مثل هذا المعنى)

يا ابن العلاء ويا ابن القرم مرداس * انى لاطريك فى أهلى وجلاسى
اثنى عليك ولى حال تكذبنى * فيما أقول فاستحيى من الناس
حتى اذا قيل ما أعطاك من صفد * طأطأت من سوء حالى عند ها راسى

﴿(الاخذ من الامراء)﴾ حدثنا جعفر بن محمد عن يزيد بن سمعان عن عبد الله بن ثور عن عبد الحميد ابن وهب عن أبى الخلال قال سألت عثمان بن عفان عن جائزة السلطان فقال لحم طرى ذكى (جعفر ابن محمد) عن يحيى بن محمد العامرى عن المعتمر عن عمران بن جرير قال انطلقت أنا ورجل الى عكرمة فرأى الرجل عليه عمامة متخرقة فقال الرجل عندنا عمائم الا نبعث اليك بعمامة منها قال عكرمة انا لا نقبل من الناس شيأ انما نقبل من الامراء (وقال هشام بن حسان) رأيت على الحسن البصرى خميصة لها اعلام يصلى فيها اهداها اليه مسلمة بن عبد الملك (وكان النبى صلى الله عليه وسلم) يلبس خفين اسودين اهداهما اليه النجاشى صاحب الحبشة (وقال نافع) كان عبد الله بن عمر يقبل هدايا أهل الفتنة مثل المختار وغيره * ودخل مالك بن أنس على هرون الرشيد فشكا اليه دينا لزمه فأمر له بألف دينار عين فلما وضع يديه للقيام قال يا أمير المؤمنين وزوجت ابنى محمدا فصار على فيه ألف دينار قال ولابنه محمد ألف دينار قال فلقد مات مالك وتركها لوارثه فى مزود (وقال الاصمعى) حدثنى اسحق ابن يحيى بن طلحة قال كان الربيع بن خيثم فى ألف ومائة من العطاء فكلم فيه معاوية فألحقه بألفين فلما حضر العطاء نودى الربيع بن خيثم فقيل له فى الفين فقعد فنظروا فوجدوا على اسمه مكتوبا كلم فيه اسحق بن يحيى بن طلحة أمير المؤمنين فألحقه بألفين (وقال رجل) لابراهيم بن أدهم يا أبا اسحق كنت أريد ان تقبل منى هذه الجبة كسوة قال ان كنت غنيا قبلتها منك وان كنت فقيرا لم أقبلها منك قال فانى غنى قال وكم مالك قال ألفا دينار قال فانت تود أنها أربعة آلاف قال نعم قال فانت فقير لا أقبلها منك * وأمر ابراهيم بن الاغلب المعروف بزيادة الله بمال يقسم على الفقهاء فكان منهم من قبل ومنهم من لم يقبل فكان أسد بن الفرات فيمن قبل فجعل زيادة الله يغمص على كل من قبل منهم فبلغ ذلك أسد بن الفرات فقال لا عليه انما أخذنا بعض حقنا والله سائله عما بقى * وقد فخرت العرب بأخذ جوائز الملوك وكان من أشرف ما يتمولونه فقال ذو الرمة

وما كان مالى من تراث ورثته * ولا دية كانت ولا كسب مأثم
ولكن عطاء الله من كل رحلة * الى كل محجوب السرادق خضرم

(وقال آخر) يهجو مروان بن أبى حفصة ويعيبه بأخذه من العامة ويفخر بأنه لا يأخذ الا من الملوك فقال

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن * مقسمة من هؤلا وأولئكا
وما نلت حتى شيبت الاعطية * تقوم بها مصرورة فى ردائكا

﴿(تفضيل بعض الناس على بعض فى العطاء)﴾ ذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الفقراء فقال ان سعيد بن خذيم منهم فأعطاه ألف دينار وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا أعطيت فأغن * وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد من العرب فأعطاهم وفضل رجلا منهم فقيل له فى ذلك فقال كل القوم عيال عليه * وأعطى النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين المؤلفة قلوبهم فأعطى الاقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى مائة من الابل وأعطى العباس بن مرداس السلمى خمسين فشق ذلك عليه فقال أبياتا فأتاه بها وانشده اياها فقال

ابن أبى طالب فأطنب وكان شاعرا خطيبا لسنا ناسبا فانصرف الناس وهم يقولون ابن الطيار من أخطب الناس فقيل لعبد الله بن الحسن فى ذلك فقال لو شئت أن أقول لقلت ولكن لم يكن مقام سرور وانما كان مقام مصيبة وعبد الله هذا هو أبو محمد وابراهيم الخارجين على أبى جعفر المنصور وهو القائل لابنه محمد أو ابراهيم أى بنى انى مؤد حق الله فى تأديبك فأد الى حق الله فى الاستماع منى أى بنى كف الاذى وارفض البذى واستعن على الكلام بطول الفكر فى المواطن التى تدعوك فيها نفسك الى الكلام فان للقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب واحذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر مشورة العاقل اذا كان غاشا لانه يرديك بمشورته واعلم يا بنى ان رأيك اذا احتجت اليه وجدته نائما ووجدت هواك يقظان فاياك أن تستبد برأيك فانه حينئذ هواك ولا تفعل فعلا الا وأنت على يقين أن عاقبته لا ترديك وان نتيجته لا تجنى عليك وهو القائل اياك ومعاداة الرجال فانك لن تعدم مكر حليم أو معاداة لئيم (وكتب) الى صديق له أوصيك بتقوى الله تعالى فان الله جعل لمن اتقاه المخرج من حيث يكره والرزق من حيث لا يحتسب وعبد الله هو القائل

أنس حرائر ما هممن بريبة
كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الحديث زوانيا
ويصدهن عن الخنى الاسلام

ابذهب نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع * ولا كان حصن ولا حابس
يفوقان مرداس في مجمع * وما كنت غير امرئ منهم * ومن تضع اليوم لم يرفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال اقطع عني لسان العباس فاعطاه حتى أرضاه * وقال صفوان ابن امية لقد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خلق الله خلقا أبغض الي منه فما زال يعطيني حتى ما خلق الله خلقا أحب الي منه وكان صفوان بن امية من المؤلفة قلوبهم

﴿شكر النعمة﴾

سليمان التيمي قال ان الله أنعم على عباده بقدر قدرته وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم (وقالوا) مكتوب في التوراة اشكر لمن أنعم عليك وانعم على من شكرك (وقالوا) كفر النعمة يوجب زوالها وشكرها يوجب المزيد فيها (وقالوا) من حمدك فقد وفاك حق نعمتك * وجاء في الحديث من نشر معروفا فقد شكره ومن ستره فقد كفره (وقال عبد الله بن عباس) لو ان فرعون مصر اسدى الي يدا صالحة لشكرته عليها (وقالوا) اذا قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر (وقالوا) ما فضل الله تعالى عباده شيأ أقل من الشكر واعتبر ذلك بقول الله عز وجل وقليل من عبادي الشكور (محمد ابن صالح الواقدي) قال دخلت على يحيى بن خالد البرمكي فقلت ان ههنا قوما جاؤا يشكرون لك معروفا فقال يا محمد هؤلاء يشكرون معروفا فكيف لنا شكر شكرهم (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم ما أنعم الله على عبد نعمة فرأى عليه اثرها الا كتب حبيب الله شاكرا لانعمه وما انعم الله على عبد نعمة فلم ير اثرها عليه الا كتب بغيض الله كافرا لانعمه (وكتب) عدي بن ارطاة الى عمر بن عبد العزيز اني بأرض كثرت فيها النعم وقد خفت على من قبلي من المسلمين قلة الشكر والضعف عنه فكتب اليه عمر رضي الله عنه ان الله تعالى لم ينعم على قوم نعمة فحمدوه عليها الا كان ما اعطوه أكثر مما أخذ وامنه واعتبر ذلك بقول الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله فاي نعمة افضل مما اوتي داود وسليمان (وسمع) النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها تنشد ابيات زهير ابن جناب

ارفع ضعيفك لا يحيزك ضعفه * يوما فتدركه عواقب ما جنى
يجزيك او يثني عليك فان من * اثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال النبي عليه الصلاة والسلام صدق يا عائشة لا شكر الله من لا يشكر الناس (قال) انشدني الرياشي

اذا انا لم اشكر على الخير اهله * ولم اذم الجبس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشكر باسمه * وشق لي الله المسامع والفما

(وانشدني في الشكر)

سأشكر عمرا ما تراخت منيتي * ايادي لم تمنن وان هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قذى عينيه حتى تجلت

﴿قلة الكرام في كثرة اللئام﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة (وقالت) الحكماء الكرام في اللئام كالغرة في الفرس (وقال الشاعر)

تفاخرني بكثرتها قريط * وقبلي والد الحجل الصقور
فان الك في شراركم قليلا * فاني في خياركم كثير
بغاث الطير أكثرها فراخا * وام البازمقلاة نزور

(السموأل)

تعيرنا انا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

(وقال حبيب)

ولقد يكون ولا كريم تناله * حتى يخوض اليه ألف لئيم

(وقال ابن أبي حازم)

وقالوا لو مدحت فتى كريما * فقلت وكيف لي بفتى كريم * بلوت ومر بي خمسون حولا

(قال) وهذا كما روي ان عبد الملك بن مروان استقبل عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي فقال له قد علمت قريش انك اطولها صبوة وابعدها توبة ويحك أما لك في نساء قريش ما يكفيك من نساء بني عبد مناف ألست القائل

نظرت اليها بالمحصب من منى
ولي نظر لولا التحرج عارم
فقلت أصبح أم مصابيح راهب
بدت لك خلف السجف ام انت حالم
بعيدة مهوى القرط اما لنوفل
أبوها واما عبد شمس وهاشم

فقال يا أمير المؤمنين فان بعد هذا

طابن الهوى حتى اذا ما وجدنه
صدرن وهن المسلمات الكرائم

فاستحيا منه عبد الملك وقضى حوائجه ووصله (وقال) آخر في هذا المعنى

تعطلن الا من محاسن اوجه
فهن حوال في الصفات عواطل
كواس عوار صامتات نواطق
بعف الكلام باخلات بواذل
برزن عفافا واحتجبن تسترا
وشيب بحق القول منهن باطل
فذو الحلم مرتاد وذو الجهل طامع
وهن عن الفحشاء حيد نواكل

(وقال العديل بن الفرخ) فيما يتطرف طرفا من هذا المعنى

لبس النعيم بهن في اطلاله
حتى لبسن زمان عيش غافل
يأخذن زينتهن احسن ما ترى
فاذا عطلن فهن غير عواطل
واذا خبأن خدودهن اريننا
حدق المهى واخذن نبل القاتل
يرمينا الا يستترن بجنة
الا الصبا وعلمن اين مقاتلي
يلبسن اردية الشباب لاهلها
ويجر باطلهن ذيل الباطل

(وتعرض لعبد الله بن الحسين)

وحسبك بالمجرب من عليم * فلا أحد يعد ليوم خول * ولا أحد يعود على عديم

(وقال دعبل) ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم * والله يعلم اني لم أقل فندا
اني لأغلق عيني ثم أفتحها * على كثير ولكن ما أرى أحدا

(وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول حبيب الطائي)

ان الجياد كثير في البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا
لا يدهمنك من دهمائهم عجب * فان جاهم أو كاهم بقر
وكلما أضحت الاخطار بينهم * هلكى تبين من أضحى له خطر
لو لم تصادف شياه البهم أحدها * في الجد لم يمدح الارخام والغرر

(من جاد أولا وضن آخرا) نزل اعرابي برجل من أهل البصرة فأكرمه وأحسن اليه ثم امسك فقال الاعرابي تسري فلما جاشت المرء نفسه * رأى انه لا يستقيم له السرر

(وكان) يزيد بن منصور يجري ابشار العقيلي وظيفة في كل شهر ثم قطعها عنه فقال

اباخالد مازلت سابح غمرة * صغيرا فلما شبت خيمت بالشاط
جريت زمانا سابقا ثم لم تزل * تأخر حتى جئت تقطو مع القاطي
كسنور عبد الله بيع بدرهم * صغيرا فلما شب بيع بقيراط

(وقال) مسلم بن الوليد صريع الغواني لمحمد بن منصور بن زياد

أباحسن قد كنت قدمت نعمة * وألحقت شكرا ثم أمسكت وانيا
فلا ضير لم تلحقك مني ملامة * أسأت بنا عودا وأحسنت باديا
فأقسم لا أجزيك بالسوء مثله * كفى بالذي جازيتني لك جازيا

(من ضن أولا ثم جاد آخرا) قدم الحرث بن خالد المخزومي على عبد الملك فلم يصله فرجع وقال فيه

صحبتك اذ عيني عليها غشاوة * فلما انجلت قطعت نفسي ألومها
حبست عليك النفس حتى كأنما * بكفيك تجري بؤسها ونعيمها

فبلغ قوله عبد الملك فأرسل اليه فرده وقال أرأيت عليك غضاضة من مقامك ببابي قال لا ولكني اشتقت الى أهلي ووطني ووجدت فضلا من القول فقلت وعلي دين لزمني قال وكم دينك قال ثلاثون ألفا قال فقضاء دينك أحب اليك أم ولاية مكة قال بل ولاية مكة فولاه اياها (وقدم) الحطيئة المدينة فوقف الى عتيبة فقال اعطني فقال ما لك عندي حق فأعطيكه وما في مالي فضل عن عيالي فأعود به عليك فخرج عنه مغضبا وعرفه به جلساؤه فأمر برده ثم قال له ياهذا انك وقفت بنا فلم تستأنس ولم تسلم وكتمتنا نفسك كأنك الحطيئة قال هو ذاك قال اجلس فلك عندنا كل ما تحب قال له من أشعر الناس قال الذي يقول ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم فقال لوكيله خذ بيد هذا فامض به الى السوق فلا يشيرن الى شيء الا اشتريته له فمضى معه الى السوق فعرض عليه الخز والقز فلم يلتفت الى شيء منه وأشار الى الكرابيس والقطن فاشترى له منها حاجته ثم قال امسك قال فانه قد أمرني ان أبسط يدي بالنفقة قال لا حاجة لي ان يكون له علي قوي يد أعظم من هذه (ثم أنشأ يقول)

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا * فسيان لا ذم عليك ولا حمد
وانت امرؤ لا الجود منك سجية * فتعطي وقد يعدي على النائل الوجد

(من مدح أميرا فخيبه) قال سعيد بن مسلم مدحني اعرابي فما بلغ فقال

ألا قل لساري الليل لا تخش ضلة * سعيد بن سلم نور كل بلاد
لنا سيد أربى على كل سيد * جواد حثى في وجه كل جواد

قال فتأخرت عنه قليلا فهجاني فقال

رجل بما يكره فقال فيما أنشده ثعلب

أظلت سفاها من سفاهة رأيها * بأن أهجها لما هجتني محارب
فلا وأبيها انني بعشيرتي * ونفسي عن ذاك المقام لراغب

(وأنشد) هذين البيتين أبو العباس المبرد لرجل لم يسمه في رجل يعرف بابن البعير وقبلهما قوله

قولوا أبناء البعير وما لهم * سنام ولا في ذروة المجد غارب

(وساير عبد الله بن الحسن) أبا العباس السفاح بظهر مدينة الانبار وهو ينظر الى بناء قد بناه أبو العباس ويدور به فأنشد عبد الله

ألم تر حوشبا أمسى يبني * بناء نفعه لبني بقيله
يؤمل أن يعمر عمر نوح * وأمر الله يحدث كل ليله

(وكان أبو العباس) له مكرما ولحقه معظما فتبسم مغضبا وقال لو علمنا لاشترطنا حق المسايرة فقال عبد الله بوادر الخواطر واغفال المسامح والله ما قلتها عن روية ولا عارضني فيها فكر وأنت أحمل من أقال وأولى من صفح قال صدقت خذ في غير هذا (ولما قتل المنصور) ابنه محمدا وكان عبد الله في السجن بعث برأسه اليه مع الربيع حاجبه فوضع بين يديه فقال رحمك الله أبا القاسم فقد كنت من الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ثم تمثل

فتى كان يحميه عن الذل سيفه * ويكفيه سوآت الامور اجتنابها

ثم التفت الى الربيع فقال له قل

لكل اخي مدح ثواب علمته * وليس لمدح الباهلي ثواب
مدحت سعيدا والمديح مهزة * فكان كصفوان عليه تراب

(ومدح) الحسن بن رجاء أبا دلف فلم يعطه شيأ فقال

أبا دلف ما أكذب الناس كلهم * سواي فاني في مديحك أكذب

(وقال آخر في مثل هذا المعنى)

اني مدحتك كاذبا فأثبتني * لما مدحتك ما يثاب الكاذب

(وقال آخر في مثل هذا المعنى) لئن أخطأت في مدحيـ * ـك ما أخطأت في منعي
لقد أحللت حاجاتي * بواد غير ذي زرع

(ومدح) حبيب الطائي عياش بن لهيعة وقدم عليه مصر واستسلفه مائتي مثقال فشاور فيه زوجته فقالت له هو شاعر يمدحك اليوم ويهجوك غدا فاعتل عليه واعتذر اليه ولم يقض حاجته فقال فيه

عياش انك للئيم وانني * مذ صرت موضع مطلبي للئيم

ثم هجاه حتى مات وهجاه بعد موته فقال فيه

لا سقيت اطلالك الداثره * ولا انقضت عثرتك العاثره
يا أسد الموت تخلصته * من بين فكي أسد القاهره

(ومن قولنا) في هذا المعنى وسألت بعض موالي السلطان اطلاق محبوس فتلكأ فيه فقلت

حاشا لمثلك ان يفك أسيرا * او ان يكون من الزمان مجيرا
ليست قوافي الشعر فيك مدارعا * سودا وصلت أوجها وصدورا
هلا عطفت برحمة لما دعت * وبلا عليك مدائحي وثبورا
لو ان لؤمك عاد جودا عشره * ما كان عندك حاتم مذكورا

(قال) ومدح ربيعة الرقي يزيد بن حاتم الازدي وهو والي مصر فاستبطأ ربيعة فشخص اليه من مصر وقال

أراني ولا كفران لله راجعا * بخفي حنين من نوال ابن حاتم

فبلغ قوله يزيد بن حاتم فأرسل في طلبه فرده اليه فلما دخل عليه قال له أنت القائل * أراني ولا كفران لله راجعا * قال نعم قال فهل قلت غير هذا قال لا والله قال لترجعن بخفي حنين مملوءة مالا فأمر بخلع نعليه وملئت له مالا فقال فيه لما عزل عن مصر وولي يزيد بن حاتم السلمي مكانه

بكى أهل مصر بالدموع السواجم * غداة غدا منها الاغر بن حاتم

(وفيها يقول) لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والاغر بن حاتم
فهم الفتى الازدي انفاق ماله * وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام اني هجوته * ولكنني فضلت أهل المكارم

(أجواد أهل الجاهلية) الذين انتهى اليهم الجود في الجاهلية ثلاثة نفر حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي وهرم بن سنان المري وكعب بن مامة الايادي ولكن المضروب به المثل حاتم وحده وهو القائل لغلامه يسار وكان اذا اشتد البرد وكلب الشتاء أمر غلامه فأوقد نارا في يفاع من الارض لينظر اليها من أضل الطريق ليلا فيصمد نحوه فقال في ذلك

أوقد فان الليل ليل قر * والريح يا واقد ريح صر
عل يرى نارك من يمر * ان جلبت ضيفا فأنت حر

(وقالوا) لم يكن حاتم ممسكا شيأ ما عدا فرسه وسلاحه فانه كان لا يجود بهما ومر حاتم في سفره على عنزة وفيهم أسير فاستغاث بحاتم ولم يحضره فكاكه فاشتراه من العنزيين واطلقه واقام مكانه في القيد حتى أدى فداءه (وقالت) نوار امرأة حاتم اصابتنا سنة اقشعرت لها الارض واغبر افق السماء وراحت الابل

لصاحبك قد مضى من بؤسنا مدة ومن نعيمك مثلها والموعد الله تعالى قال الربيع فما رأيت المنصور قط أكثر انكسارا منه حين أبلغته الرسالة * أخذ العباس بن الاحنف هذا المعنى وقيل عمارة بن عقيل بن بلال ابن جرير فقال

فان تلحظي حالي وحالك مرة * بنظرة عين عن هوى النفس تحجب
تجد كل يوم مر من بؤس عيشتي * يمر بيوم من نعيمك يحسب

(ولما قتل المنصور) محمد بن عبد الله اعترضته امرأة معها صبيان فقالت يا أمير المؤمنين أنا امرأة محمد بن عبد الله وهذان ابناه أيتمهما سيفك واضرعهما خوفك فناشدتك الله يا أمير المؤمنين ان تصعر لهما خدك فينأى عنهما رفدك أولتعطفك عليهم ماشوابك النسب وأواصر الرحم فالتفت الى الربيع فقال اردد عليهم ما ضياع أبيهم ثم قال كذا والله أحب أن تكون نساء بني هاشم (وكان) أهل المدينة لما ظاهر محمد أجمعوا على حرب المنصور ونصر محمد فلما ظفر المنصور استحضر جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين الصادق فقال له قد رأيت اطباق أهل المدينة على حربي وقد رأيت ان ابعث اليهم من يعور عيونهم ويجمر نخلهم فقال له جعفر يا أمير المؤمنين ان سليمان أعطى فشكر وان أيوب ابتلي فصبر وان يوسف قدر فغفر فاقتد بأيهم شئت وقد جعلك الله من نسل الذين يعفون ويصفحون فقال أبو جعفر ان أحدا لا يعلمنا الحلم ولا يعرفنا العلم واغماقات

جدبا جدبا وضنت المراضع على أولادها فما تبض بقطرة وحلقت السنة المال وايقنا بالهلاك فوالله انا لفي ليلة صنبر بعيدة ما بين الطرفين اذ تضاغى صبيتنا جوعا عبدالله وعدي وسفانة فقام حاتم الى الصبيين وقمت أنا الى الصبية فوالله ما سكتوا الا بعد هدأة من الليل وأقبل يعللني بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت فلما تهورت النجوم اذا شيء قد رفع كسر البيت ثم عاد فقال من هذا قالت جارتك فلانة أتيتك من عند صبية يتعاوون عواء الذئاب فما وجدت معولا الا عليك يا أبا عدي فقال أعجليهم فقد أشبعك الله واياهم فأقبلت المرأة تحمل اثنين وتمشي جنابها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها فقام الى فرسه فوجأ لبته بمدية فخر ثم كشطه عن جلده ودفع المدية الى المرأة فقال لها شأنك فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل ثم جعل يمشي في الحي يأتيهم بيتا بيتا فيقول هبوا أيها القوم عليكم بالنار فاجتمعوا والتفع في ثوبه ناحية ينظر الينا فلا والله ان ذاق منه مزعة وانه لأحوج اليه منا فأصبحنا وما على الارض من الفرس الا عظم وحافر فأنشأ حاتم يقول

مهلا نوار أقلي اللوم والعذلا * ولا تقولي لشيء فات ما فعلا

ولا تقولي لمال كنت مهلكه * مهلا وان كنت أعطي الانس والجبلا

يرى البخيل سبيل المال واحدة * ان الجواد يرى في ماله سبلا

(ولحاتم بن عبدالله أيضا)

أماوي قد طال التجنب والهجر * وقد عذرتني في طلابكم العذر

أماوي ان المال غاد ورائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر

أماوي اما مانع فمبين * واما عطاء لا ينهنهه الزجر

أماوي اني لا أقول لسائل * اذا جاء يوما حل في مالي النذر

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

أماوي ان يصبح صداي بقفرة * من الارض لا ماء لدي ولا خمر

ترى أن ما أنفقت لم يك ضرني * وان يدي مما بخلت به صفر

اذا أنا دلاني الذين يلونني * بمظلمة لج جوانبها غبر *

وراحوا سراعا ينفضون أكفهم * يقولون قد دمى أظافرنا الحفر

أماوي ان المال مال بذلته * فأوله شكر وآخره ذكر

وقد يعلم الاقوام لو أن حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر

فاني وجدي رب واحد أمه * أخذت فلا قتل عليه ولا أسر

ولا أظلم ابن العم ان كان اخوتي * شهودا وقد أودى باخوته الدهر

غنينا زمانا بالتصعلك والغنى * وكل سقاناه بكأسيهما الدهر

فما زادنا بأوا على ذي قرابة * غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر

(وأما هرم بن سنان) فهو صاحب زهير الذي يقول فيه

متى تلاق على علاته هرما * تلق السماحة في خلق وفي خلق

وكان سنان أبو هرم سيد غطفان وماتت أمه وهي حامل به وقالت اذا أنا مت فشقوا بطني فان سيد غطفان فيه فلما ماتت شقوا بطنها فاستخرجوا منه سنانا * وفي بني سنان يقول زهير

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم * طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا

جن اذا فزعوا انس اذا أمنوا * مرزؤون بهاليل اذا قصدوا

محسدون على ما كان من نعم * لا ينزع الله منهم ما له حسدوا

(وقال

فهبت ولم ترني فعلت وانك لتعلم ان قدرتي عليهم تمنعني من الاساءة اليهم (وعزى جعفر بن محمد رجلا) فقال أعظم بنعمة في مصيبة جلبت أجرا وأفظع بمصيبة في نعمة اكسبت كفرا هذا كقول الطائي

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

(وكان) جعفر بن محمد يقول اني لأملق أحيانا فأتاجر الله بالصدقة فيربحني (وقال جعفر) رضي الله تعالى عنه من تخلق بالخلق الجميل وله خلق سوء أصيل فخلقه لا محالة زائل وهو الى خلقه الاول آيل كطلي الذهب على النحاس ينسحق وتظهر صفرته للناس وهذا كقول العرجي

يا أيها المتحلي غير شيمته * ومن خلائقه الاقصار والملق

ارجع الى خلقك المعروف وارض به * ان التخلق يأتي دونه الخلق

(وكان يقول) ما توسل الي أحد بوسيلة هي أقرب الي من يد سلفت مني اليه أتبعها أختها لتحسن ربها وحفظها لان منع الاواخر يقطع لسان الاوائل (وقيل) لجعفر رحمه الله ان أبا جعفر المنصور لا يلبس منذ صارت اليه الخلافة الا الخشن ولا يأكل الا الجشب فقال يا ويحه مع ما مكن له من السلطان وجبي اليه من الخراج قالوا انما يفعل ذلك بخلا وجمعا للمال فقال الحمد لله الذي حرمه من دنياه ما ترك له من دينه انتهى (قال) ومن دعاء جعفر رضي الله تعالى عنه اللهم انك بما أنت أهل له من العفو أولى مني بما أنا أهل له

(وقال زهير في هرم بن سنان)

وابيض فياض يداه غمامة * على معتفيه ما تغب فواضله
تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت سائله
اخو ثقة لا تتلف الخمر ماله * ولكنه قد يتلف المال نائله

(أخذ الحسن بن هانئ هذا المعنى فقال)

فتى لا تلوك الخمر شحمة ماله * ولكن أيادعود وبواد

(وقال) زهير بن هرم بن سنان وأهل بيته

اليك اعملتها فتلا مرافقها * شهرين يجهض من أرحامها العلق
حتى دفعن الى حلو شمائله * كالغيث تنبت في آثاره الورق
من أهل بيت يرى ذو العرش فضلهم * يبنى لهم في جنان الخلد مرتفق
المطعمين اذا ما أزمة أزمت * والطيبين ثيابا كلما عرقوا
كأن آخرهم في الجود أولهم * ان الشمائل والاخلاق تتفق
ان قامروا قمروا أو فاخروا فخروا * أو ناضلوا نضلوا أو سابقوا سبقوا
تنافس الارض موتاهم اذا دفنوا * كما تنفس عند الباعة الورق

(واما كعب بن مامة الايادي) فلم يأت عنه الا ماذكر من ايثاره رفيقه السعدي بالماء حتى مات عطشا ونجا السعدي وهذا أكثر من كل ما اتى لغيره وله يقول حبيب

يجود بالنفس اذ ضن البخيل بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

(وله ولحاتم الطائي) كعب وحاتم اللذان تقسما * خطط العلا من طارف وتليد
هذا الذي خلف السحاب ومات ذا * في الجهد ميتة خضرم صنديد
الا يكن فيها الشهيد فقومه * لا يسمحون به بالف شهيد

﴿(اجواد أهل الاسلام)﴾ وأما اجواد اهل الاسلام فأحد عشر رجلا في عصر واحد لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلهم فأجواد الحجاز ثلاثة في عصر واحد عبيد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص واجواد البصرة خمسة في عصر واحد وهم عبد الله بن عامر بن كريز وعبيد الله بن أبي بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسلم بن زياد وعبيد الله بن معمر القرشي ثم التيمي وطلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي (وله يقول الشاعر)

نضر الله اعظما دفنوها * بسجستان طلحة الطلحات

واجواد أهل الكوفة ثلاثة في عصر واحد وهم عتاب بن ورقاء الرياحي واسماء بن خارجة الفزاري وعكرمة بن ربعي الفياضي (فمن جود) عبيد الله بن عباس انه أول من فطر جيرانه وأول من وضع الموائد على الطرق وأول من حيا على طعامه وأول من نهبه (وفيه يقول شاعر المدينة)

وفي السنة الشهباء اطعمت حامضا * وحلوا ولحما تامكا وممزعا
وانت ربيع لليتامى وعصمة * اذا المحل من جود السماء تطلعا
أبوك أبو الفضل الذي كان رحمة * وغوثا ونور الله لا شك اجمعا

(ومن جوده) انه أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه فقال يا ابن عباس ان لي عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره وصوبه ولم يعرفه ثم قال له ما يدك عندنا قال رأيتك واقفا بزمزم وغلامك يمتح لك من مائها والشمس قد صهرتك وظللتك بطرف كسائي حتى شربت قال اني لأذكر ذلك وانه يتردد بين خاطري وفكري ثم قال لقيمه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم قال ادفعها اليه وما أراها تفي بحق يده عندنا قال فأعطاه ثلاثين ألفا فقال له الرجل والله لو لم يكن لاسمعيل ولد غيرك لكان

من العقوبة (وكان) عبد الله ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر عالما ناسبا وكان خطيبا مفوها وشاعرا مجيدا كتب الى بعض اخوانه أما بعد فقد عاقني الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك وذلك انك ابتدأتني بلطف عن غير خبرة ثم أعقبتني جفاء عن غير جريرة وأطمعني أولك في اخائك وأيأسني آخرك عن وفائك فلا أنا في غير الرجاء مجمع لك اطراحا ولا أنا في غد وانتظاره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف بايضاح الشك في أمرك عن عزيمة الرأي فيك فاجتمعنا على ائتلاف وافترقنا على اختلاف والسلام وهو القائل

رأيت فضيلا كان شيأ ملففا
فكشفه التمحيص حتى بداليا
فأنت اخي ما لم تكن لي حاجة
فان عرضت أيقنت أن لا أخاليا
كلانا غني عن أخيه حياته
ونحن اذا متنا أشد تغانيا
فلا زاد ما بيني وبينك بعدما
بلوتك في الحاجات الا تماديا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدي المساويا

(والقائل أيضا)

لسنا وان أحسابنا كرمت
يوما على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا
تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وهذا كقول عامر بن الطفيل قال أبو الحسن علي بن سليمان الاخفش أنشدني محمد بن الحسن بن الحرون لعامر بن الطفيل

تقول ابنة العمري مالك بعدما
أراك صحيحا كالسليم المعذب
فقلت لها همي الذي تعرفينه

فيه ما كفاه فكيف وقد ولد سيد الاولين والآخرين محمدا صلى الله عليه وسلم ثم شفعك به وبابيك (ومن جوده أيضا) ان معاوية حبس عن الحسين بن على صلاته حتى ضاقت عليه حاله فقيل لو وجهت الى ابن عمك عبيد الله فانه قدم بنحو من ألف ألف درهم فقال الحسين وأين تقع ألف ألف من عبيد الله فوالله لهو اجود من الريح اذا عصفت واسخى من البحر اذا زخر ثم وجه اليه مع رسوله بكتاب ذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته وضيق حاله وانه يحتاج الى مائة ألف درهم فلما قرأ عبيد الله كتابه وكان من ارق الناس قلبا وألينهم عطفا انهملت عيناه ثم قال ويلك يا معاوية مما اجترحت يداك من الاثم حين اصبحت لين المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ثم قال لقهرمانه احمل الى الحسين نصف ما املكه من فضة وذهب وثوب ودابة وأخبره انى شاطرته مالى فان اقنعه ذلك والا فارجع واحمل اليه الشطر الآخر فقال له القيم فهذه المؤن التى عليك من أين تقوم بها قال اذا بلغنا ذلك دللتك على أمر يقيم حالك فلما أتى الرسول برسالته الى الحسين قال انا لله حملت والله على ابن عمى وما حسبته يتسع لنا بهذا كله فأخذ الشطر من ماله وهو أول من فعل ذلك فى الاسلام (ومن جوده) ان معاوية بن أبى سفيان أهدى اليه وهو عنده بالشام من هدايا النيروز حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها فقال هل فى نفسك منها شئ قال نعم والله ان فى نفسى منها ما كان فى نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام فضحك عبيد الله وقال فشأنك بها فهى لك قال جعلت فداءك أخاف ان يبلغ ذلك معاوية فيجد على قال فاختمها بخاتمك وادفعها الى الخازن فاذا حان خروجها حملها اليك ليلا فقال الحاجب والله لهذه الحيلة فى الكرم أكثر من الكرم ولوددت انى لا أموت حتى أراك مكانه يعنى معاوية فظن عبيد الله انها مكيدة منه قال دع عنك هذا الكلام فانا قوم نفى بما وعدنا ولا ننقض ما أكدنا (ومن جوده أيضا) انه أتاه سائل وهو لا يعرفه فقال له تصدق فانى نبئت ان عبيد الله بن عباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر اليه فقال له وأين أنا من عبيد الله قال أين أنت منه فى الحسب ام كثرة المال قال فيهما قال أما الحسب فى الرجل فمروأته وفعله واذا شئت فعلت واذا فعلت كنت حسيبا فأعطاه ألفى درهم واعتذر اليه من ضيق الحال فقال له السائل ان لم تكن عبيد الله بن عباس فأنت خير منه وان كنت هو فأنت اليوم خير منك امس فأعطاه ألفا أخرى فقال السائل هذه هزة كريم حسيب والله لقد نقرت حبة قلبى فافرغتها فى قلبك فما أخطأت الا باعتراض الشك من جوانحى (ومن جوده أيضا) انه جاءه رجل من الانصار فقال يا ابن عم رسول الله انه ولد لى فى هذه الليلة مولود وانى سميته باسمك تبركا منى به وان أمه ماتت فقال عبيد الله بارك الله لك فى الهبة وأجزل لك الاجر على المصيبة ثم دعا بوكيله فقال انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه وادفع اليه مائتى دينار للنفقة على تربيته ثم قال للانصارى عد الينا بعد أيام فانك جئتنا وفى العيش يبس وفى المال قلة قال الانصارى لو سبقت حاتما بيوم واحد ما ذكرته العرب أبدا ولكنه سبقك فصرت له تاليا وأنا أشهد ان عفوك أكثر من مجهوده وطل كرمك أكثر من وابله ﴿جود عبد الله بن جعفر﴾ ومن جود عبد الله بن جعفر ان عبد الرحمن بن أبى عمار دخل على نخاس يعرض قيانا له فعلق واحدة منهن فشهر بذكرها حتى مشى اليه عطاء وطاوس ومجاهد يعذلونه فكان جوابه ان قال

يلومنى فيك أقوام اجالسهم ... فما ابالى أطار اللوم أم وقعا

فانتهى خبره الى عبد الله بن جعفر فلم يكن له هم غيره فحج فبعث الى مولى الجارية فاشتراها منه بأربعين الف درهم وأمر قيمة جواريه ان تزينها وتحليها ففعلت وبلغ الناس قدومه فدخلوا عليه فقال مالى لا أرى ابن ابى عمار زارنا فأخبر الشيخ فأتاه مسلما فلما أراد ان ينهض استجلسه ثم قال ما فعل حب فلانة قال فى اللحم والدم والمخ والعصب قال اتعرفها لو رأيتها قال لو أدخلت الجنة لم أنكرها فأمر بها عبد الله ان تخرج اليه وقال له انما اشتريتها لك ووالله ما دنوت منها فشأنك بها مباركا لك فيها فلما ولى قال يا غلام

من النار فى شطى زبيد وأرحب ... ان اغز زبيدا اغز قوما اعزة
مركبهم فى الحى خير مركب ... وان اغز حيى خثعم فدماؤهم
شفاء وخير النار للتأوب ... فما ادرك الأوتار مثل محقق
بأجرد طاو كالعسيب المشذب ... واسمر خطى وابيض باتر
وزغف دلاص كالغدير المثوب ... وانى وان كنت ابن سيد عامر
وفى السر منها والصريح المهذب ... فما سودتنى عامر عن وراثة
ابى الله ان اسمو بأم ولا أب ... ولكننى احمى حماها واتقى
اذاها وارمى من رماها بمنكب

(وقال ايضا يهنى بعض الهاشميين باملاك) زادالله فى نعمته عليكم وبارك لكم فى فواضله وجميل نوافله ونسأل الله الذى قسم لكم ما تحبون من السرور ان يجنبكم ما تكرهون من المحذور ويجعل ما احدثه لك زينا ومتاعا حسنا ورشدا ثابتا ويجعل سبيل ما اصحبت عليه تماما لصالح ما سموت اليه من اجتماع الشمل وحسن موافقة الاهل الف الله ذلك بالصلاح وتممه بالنجاح ومدلك فى ثروة العدد وطيب الولد مع الزيادة فى المال وحسن السلامة فى الحال وقرة العين وصلاح ذات البين (وهب ابو عاصم محمد ابن حمزة الاسلمى المدنى) الحسن ابن زيد بن الحسن بن على بن ابى طالب رحمة الله عليه فقال

له حق وليس عليه حق ... ومهما قال فالحسن الجميل
وقد كان الرسول يرى حقوقا ... عليه لغيره وهو الرسول

فلما ولى الحسن المدينة اتاه

احمل معه مائة ألف درهم ينعم بها معها قال فبكى عبد الرحمن فرحا وقال يا أهل البيت لقد خصكم الله بشرف ما خص به أحدا قبلكم من صلب آدم فتهنيكم هذه النعمة وبورك لكم فيها (ومن جوده أيضا) انه أعطى امرأة سألته مالا عظيما فقيل له انها لا تعرفك وكان يرضيها اليسير قال ان كان يرضيها اليسير فاني لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي ❁ (جود سعيد بن العاص) ❁ ومن جود سعيد بن العاص انه مرض وهو بالشام فعاده معاوية ومعه شرحبيل بن السمط ومسلم بن عقبة المري ويزيد بن شجرة الرهاوي فلما نظر سعيد معاوية وثب عن صدر مجلسه اعظاما لمعاوية فقال له معاوية أقسمت عليك أبا عثمان أن لا تتحرك فقد ضعفت بالعلة فسقط فتبادر معاوية نحوه حتى حنا عليه وأخذ بيده فأقعده على فراشه وقعد معه وجعل يسائله عن علته ومنامه وغذائه ويصف له ما ينبغي أن يتوقاه وأطال القعود معه فلما خرج التفت الى شرحبيل بن السمط ويزيد بن شجرة فقال هل رأيتما خللا في مال أبي عثمان فقالا ما رأينا شيئا ننكره فقال لمسلم بن عقبة ما تقول قال رأيت قال وما ذاك قال رأيت على حشمه ومواليه ثيابا وسخة ورأيت صحن داره غير مكنوس ورأيت التجار يخاصمون قهرمانه قال صدقت كل ذلك قد رأيته فوجه اليه مع مسلم بثلثمائة ألف فسبق رسول يبشره بها ويخبره بما كان فغضب سعيد وقال للرسول ان صاحبك ظن انه أحسن فأساء وتأول فأخطأ فأما وسخ ثياب الحشم فمن كثرة حركته اتسخ ثوبه وأما كنس الدار فليست أخلاقنا أخلاق من جعل داره مرآته وزينته لبسته ومعروفه عطره ثم لا يبالي بمن مات هزلا من ذي لحمة أو حرمة وأما منازعة التجار قهرماني فمن كثرة حوائجه وبيعه وشرائه لم يجد بدا من أن يكون ظالما أو مظلوما وأما المال الذي أمر به أمير المؤمنين فوصلته كل ذي رحم قاطعة وهناه كرامته المنعم بها عليه وقد قبلناه وأمرنا لك أيها الرسول منه بمائة ألف ولشرحبيل بن السمط بمثلها وليزيد بن شجرة بمثلها وفي سعة الله وبسط يد أمير المؤمنين ما عليه معولنا فركب مسلم بن عقبة الى معاوية فأعلمه فقال صدق ابن عمي فيما قال وأخطأت فيما انتهيت اليه فاجعل نصيبك من المال لروح بن زنباع عقوبة لك فانه من جنى جناية عوقب بمثلها كما انه من فعل خيرا كوفئ عليه (ومن جوده أيضا) ان معاوية كان يعدل بينه وبين مروان بن الحكم في ولاية المدينة فكان مروان يقارضه فلما دخل على معاوية قال له كيف تركت أبا عبد الملك يعني مروان قال تركته منفذا لأمرك مصلحا لعملك قال معاوية انه كصاحب الخبزة كفي انضاجها فأكلها قال كلا يا أمير المؤمنين انه من قوم لا يأكلون الا ما حصدوا ولا يحصدون الا ما زرعوا قال فما الذي باعد بينك وبينه قال خفته على شرفي وخافني على مثله قال فأي شئ كان له عندك قال أسوءه حاضرا وأسره غائبا قال يا أبا عثمان تركتنا في هذه الحروب قال حملت الثقل وكفيت الحزم قال فما أبطأ بك قال غناؤك عني أبطأني عنك وكنت قريبا لو دعوت لأجبتك ولو أمرت لأطعتك قال ذلك ظننا بك فأقبل معاوية على أهل الشام فقال يا أهل الشام هؤلاء قومي وهذا كلامهم ثم قال أخبرني عن مالك فقد نبئت انك تتحرى فيه قال يا أمير المؤمنين لنا مال يخرج لنا منه فضل فاذا كان ما خرج قليلا أنفقناه على قلته وان كان كثيرا فكذلك غير انا لا ندخر منه شيأ عن معسر ولا طالب ولا محتال ولا نستأثر منه بفلذة لحم ولا مزعة شحم قال فكم يدوم لك هذا قال من السنة نصفها قال فما تصنع في باقيها قال نجد من يسلفنا ويسارع الى معاملتنا قال ما أحد أحوج الى أن يصلح من شانه منك قال ان شأننا لصالح يا أمير المؤمنين ولو زدت في مالي مثله ما كنت الا بمثل هذه الحال فأمر له معاوية بخمسين ألف درهم وقال اشتر بها ضيعة تعينك على مروأتك فقال سعيد بل اشتري بها حمدا وذكرا باقيا أطعم بها الجائع وأزوج بها الأيم وأفك بها العاني وأواسي بها الصديق وأصلح بها حال الجار فلم تأت عليه ثلاثة أشهر وعنده منها درهم فقال معاوية ما فضيلة بعد الايمان بالله هي أرفع في الذكر ولا أنبه في الشرف من الجود وحسبك أن الله تبارك وتعالى جعل الجود آخر صفاته (ومن جوده أيضا) ما حكاه الاصمعي قال كان سعيد بن العاص يسمر معه سماره الى أن ينقضي

مستنكرا في زي الاعراب فقال

ستأتي مدحتي الحسن بن زيد
وتشهد لي بصفين القبور
قبور لم تزل مذ غاب عنها
ابو حسن تعاديها الدهور
قبور لو بأحمد او علي
يلوذ مجيرها حمي المجير
هما ابواك من وضعا فضعه
وانت برفع من رفعا جدير

فقال من انت قال انا الاسلمي قال ادن حياك الله وبسط له رداءه واجلسه عليه وامر له بعشرة آلاف درهم (وكان) الحسن بن زيد قد عوّد داود بن سلم مولى بني تيم ان يصله فلما مدح داود جعفر بن سليمان بن علي وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعد اغضبه ذلك وقدم الحسن من حج او عمرة فدخل عليه داود بن سلم مهنئا فقال انت القائل في جعفر بن سليمان بن علي

وكنا حديثا قبل تأمير جعفر
وكان المنى في جعفر ان يؤمرا
حوى المنبرين الطاهرين كليهما
اذا ما خطا عن منبر ام منبرا
كأن بني حواء صفوا امامه
فخير في انسابهم فتخيرا

فقال داود نعم جعلني الله فداك فكنتم خيرة اختياره وانا القائل

لعمري لئن عاقبت او جدت منعما
بعفو عن الجاني وان كان معذرا
لانت بما قدمت اولى بمدحه
واكرم فخرا ان فخرت وعنصرا
هو الغرة الزهراء من فرع هاشم
ويدعو عليا ذا المعالي وجعفرا
وزيد الندى والسبط سبط محمد
وعمك بالطف الزكي المطهرا
وما نال منها جعفر غير مجلس
اذا ما نفاه العزل عنه تأخرا
بحقكم نالوا ذراها واصبحوا

حين من الليل فانصرف عنه القوم له ورجل قاعد لم يقم فأمر سعيد باطفاء الشمعة وقال حاجتك يافتى فذكر ان عليه دينا أربعة آلاف درهم فأمر له بها وكان اطفاؤه للشمعة أكثر من عطائه

(جود عبيد الله بن أبي بكرة) ومن جود عبيد الله بن أبي بكرة انه أدلى اليه رجل بحرمة فأمر له بمائة ألف درهم فقال أصلحك الله ما وصلني أحد بمثلها قط ولقد قطعت لساني عن شكر غيرك وما رأيت الدنيا في يد أحد أحسن منها في يدك ولولا أنت لم تبق لها بهجة الا أظلمت ولا نور الا انطمس

(جود عبيد الله بن معمر القرشي التيمي) ومن جود عبيد الله بن معمر القرشي ان رجلا أتاه من أهل البصرة كانت له جارية نفيسة قد استأدبها بأنواع الادب حتى برعت وفاقت في جميع ذلك ثم ان الدهر قعد بسيدها ومال عليه وقدم عبيد الله بن معمر البصرة من بعض وجوهه فقالت لسيدها اني أريد أن أذكر لك شيأ استحي منه اذ فيه جفاء مني غير أنه يسهل ذلك على ما أرى من ضيق حالك وقلة مالك وزوال نعمتك وما أخافه عليك من الاحتياج وضيق الحال وهذا عبيد الله بن معمر قدم البصرة وقد علمت شرفه وفضله وسعة كفه وجود نفسه فلو أذنت لي فأصلحت من شأني ثم تقدمت بي اليه وعرضتني عليه هدية رجوت أن يأتيك من مكافأته ما يقلك الله به وينهضك ان شاء الله قال فبكى وجدا عليها وجزعا لفراقها منه ثم قال لها لولا انك نطقت بهذا ما ابتدأتك به أبدا ثم نهض بها حتى أوقفها بين يدي عبيد الله فقال أعزك الله هذه جارية ربيتها ورضيت بها لك فاقبلها مني هدية فقال مثلي لا يستهدي أمثالك فهل لك في بيعها فأجزل لك الثمن عليها حتى ترضى قال الذي تراه قال يقنعك مني عشرة بدر في كل بدرة عشرة آلاف درهم قال والله ياسيدي ما امتدأملي الى عشر ما ذكرت ولكن هذا فضلك المعروف وجودك المشهور وأمر عبيد الله باخراج المال حتى صار بين يدي الرجل وقبضه وقال للجارية ادخلي الحجاب فقال سيدها أعزك الله لو أذنت لي في وداعها قال نعم فوقفت وقام وقال لها وعيناه تدمعان

أبوح بحزن من فراقك موجع * أقاسي به ليلا يطيل تفكري
ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاعذري
عليك سلام لازيارة بيننا * ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر

قال عبيد الله بن معمر قد شئت ذلك فخذ جاريتك وبارك الله لك في المال فذهب بجاريته وماله فعاد غنيا فهؤلاء أجواد الاسلام المشهورون في الجود المنسوبون اليه وهم احد عشر رجلا كما ذكرنا وسمينا وبعدهم طبقة أخرى من الاجواد قد شهروا بالجود وعرفوا بالكرم وحمدت أفعالهم وسنذكر ما أمكننا ذكره منها ان شاء الله تعالى

(الطبقة الثانية من الاجواد) فمنهم الحكم بن حنطب قيل لنصيب بن رباح خرف شعرك أبا محجن قال لا ولكن خرف الكرم لقد رأيتني ومدحت الحكم بن حنطب فأعطاني ألف دينار ومائة ناقة وأربعمائة شاة (وسأل) اعرابي الحكم بن حنطب فأعطاه خمسمائة دينار فبكى الاعرابي فقال ما يبكيك يااعرابي لعلك استقللت ما أعطيناك قال لا والله ولكني أبكي لما تأكل الارض منك ثم أنشأ يقول

وكأن آدم حين حان وفاته * أوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم * فكفيت آدم عيلة الابناء

(العتبي) قال أخبرني رجل من أهل منبج قال قدم علينا الحكم بن حنطب وهو مملق فأغنانا فقال له كيف أغناكم وهو مملق قال علمنا المكارم فعاد غنينا على فقيرنا

(ومنهم معن بن زائدة) وكان يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج * وأتاه رجل يسأله ان يحمله فقال ياغلام أعطه فرسا وبرذونا وبغلا وعيرا وبعيرا وجارية وقال لو عرفت مركوبا غير هؤلاء لأعطيتك (العتبي) قال لما قدم معن بن زائدة البصرة واجتمع اليه الناس أتاه مروان بن أبي حفصة فأخذ بعضادتي الباب فأنشده شعره الذي قال فيه

فما احجم الاعداء عنك تقية * عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
له راحتان الحتف والجود فيهما * أبى الله الا ان يضر وينفعا

تزوقه بعز أهليكم ومظهرا

فعاد له الحسن بن زيد الى ما كان عليه ولم يزل يصله ويحسن اليه الى ان مات * قوله وان كان معذرا الان جعفر اعطاه على ابياته الثلاثة ألف دينار * ولما ولي الحسن بن زيد المدينة دخل عليه ابراهيم بن علي بن هرمة فقال له الحسن ياابراهيم لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك او خوف ذمك فقد رزقني الله تعالى بولادة نبيه صلى الله عليه وسلم الممادح وجنبني المقابح وان من حقه علي ان لا اغضي على تقصير في حق وجب وانا اقسم لئن اتيت بك سكران لاضربنك حد الخمر وحد السكر ولازيدن لموضع حرمتك بي فليكن تركك لها لله عز وجل تعن عليه ولا تدعها للناس فتوكل اليهم فنهض ابن هرمة وهو يقول

نهاني ابن الرسول عن المدام
وادبني بآداب الكرام
وقال لي اصطبر عنها ودعها
لخوف الله لا خوف الانام
وكيف تصبري عنها وحبي
لها حب تمكن في عظامي
ارى طيب الحلال علي خبثا
وطيب العيش في خبث الحرام

وكان ابراهيم متهوما في الخمر وجلده خيثم بن عراك صاحب شرطة المدينة لرباح بن عبد الله الحارثي في ولاية ابي العباس (ولما) وفد على ابي جعفر المنصور ومدحه استحسن شعره ووصله وقال له سل حاجتك قال تكتب لي الى عامل المدينة ان لا يحدني اذا اتي بي سكران فقال ابو جعفر هذا حد من حدود الله تعالى لا يجوز لي ان اعطله قال فاحتل

﴿ومنهم يزيد بن المهلب﴾ وكان هشام بن حسان اذا ذكره قال والله ان كانت السفن لتجرى فى جوده (وقيل) ليزيد بن المهلب مالك لا تبنى دارا قال منزلى دار الامارة أو الحبس (ولما) أتى يزيد بن عبد الملك برأس يزيد بن المهلب نال منه بعض جلسائه فقال له مه ان يزيد بن المهلب طلب جسيما وركب عظيما ومات كريما ودخل الفرزدق على يزيد بن المهلب فى الحبس فأنشده

اصبح فى قيدك السماحة والجود وفك العناة والاغلال

قال أتمدحنى وانا فى هذه الحال قال اصبتك رخيصا فاشتريتك فأمر له بعشرة آلاف وقال سليمان بن عبد الملك لموسى بن نصير اغرم ديتك خمسين مرة قال ليس عندى ما اغرم قال والله لتغرمن ديتك مائة مرة قال يزيد بن المهلب انا اغرمها عنه يا أمير المؤمنين قال اغرم فغرمها عنه مائة ألف (العتبى) قال أخبرنى عوانة قال استعمل الوليد بن عبد الملك عثمان بن حيان المرى على المدينة وأمره بالغلظة على أهل الظنة فلما استخلف سليمان أخذه بألفى ألف درهم فاجتمعت القيسية فى ذلك فتحملوا شطرها وضاقوا ذرعا بالشطر الثانى ووافق ذلك استعمال سليمان يزيد بن المهلب على العراق فقال عمر بن هبيرة عليكم بيزيد بن المهلب فمالها احد غيره فتحملوا الى يزيد وفيهم عمر بن هبيرة والقعقاع بن حبيب والهذيل بن زفر بن الحرث وانتهوا الى رواق يزيد قال يحيى بن اقتل وكان حاجبا ليزيد بن المهلب وكان رجلا من الازد فاستأذن لهم فخرج يزيد الى الرواق فقرب ورحب ثم دعا بالغداء فأتوا بطعام ما أنكروا منه أكثر مما عرفوا فلما تغدوا تكلم عثمان بن حيان وكان لسانا مفوها وقال زادك الله فى توفيقك أيها الامير ان الوليد بن عبد الملك وجهنى الى المدينة عاملا عليها وأمرنى بالغلظة على أهل الظنة والاخذ عليهم وان سليمان أغرمنى غرما والله ما يسعه مالى ولا تحمله طاقتى فأتيناك لتحمل من هذا المال ما خف عليك وما بقى والله ثقيل على ثم تكلم كل منهم بما حضره وقد اختصرنا كلامهم فقال يزيد بن المهلب مرحبا بكم واهلا ان خير المال ما قضى فيه الحقوق وحملت به المغارم وانما لى من المال ما فضل عن اخوانى وايم الله لو علمت ان احدا املأ بحاجتكم منى لهديتكم اليه فاحتكموا واكثروا فقال عثمان بن حيان النصف أصلح الله الامير قال نعم وكرامة اغدوا على مالكم فخذوه فشكروا له وقاموا فخرجوا فلما صاروا على باب السرادق قال عمر بن هبيرة قبح الله رأيكم والله ما يبالى يزيد أنصفها تحمل أم كلها فمن لكم بالنصف الباقى قال القوم هذا والله الرأى وسمع يزيد مناجاتهم فقال لحاجبه انظر يا يحيى ان كان بقى على القوم شئ فليرجعوا اليه فرجعوا وقالوا أقلنا قال قد فعلت قالوا فان رأيت ان تحملها كلها فأنت اهلها وان أبيت فمالها احد غيرك قال قد فعلت وغدا يزيد بن المهلب الى سليمان فقال يا أمير المؤمنين أتانى عثمان بن حيان واصحابه قال امسك فى المال قال نعم قال سليمان والله لآخذنه منهم قال يزيد انى قد حملته قال فأده قال يزيد والله ما حملته الا لاؤديه ثم قال يا امير المؤمنين ان هذه الحمالة وان عظم خطبها اخمدها والله اعظم منها ويدى مبسوطة بيدك فأبسطها لسؤالهم فغدا يزيد بالمال على الخزان فدفعه اليهم فدخلوا على سليمان فأخبروه بقبض المال فقال وفت يمين سليمان احملوا الى أبى خالد ماله فقال عدى بن الرقاع العاملى

ولله عينا من رأى كحمالة * تحملها كبش العراق يزيد

(الاصمعى) قال قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاعة من بنى ضبة فقال رجل منهم

والله ما ندرى اذا ما فاتنا * طلب اليك من الذى نتطلب * ولقد ضربنا فى البلاد فلم نجد
احدا سوالك الى المكارم ينسب * فاصبر لعادتنا التى عودتنا * اولا فأرشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار فلما كان فى العام المقبل وفد عليه فقال

مالى أرى ابوابهم مهجورة * وكان بابك مجمع الاسواق * حابوك ام هابوك ام شاموا الندى
بيديك فاجتمعوا من الآفاق * انى رأيتك للمكارم عاشقا * والمكرمات قليلة العشاق

لى يا امير المؤمنين فكتب الى عامل المدينة من اتاك بابن هرمة سكران فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين فكان الشرط يمرون به مطروحا فى سكك المدينة فيقولون من يشترى مائة بثمانين (وقال) موسى بن عبد الله بن الحسن بن على بن ابى طالب رحمة الله تعالى عليه

اذا انا لم اقبل من الدهر كل ما
تكرهت منه طال عتبى على الدهر
الى الله كل الامر فى الخلق كلهم
وليس الى المخلوق شئ من الامر
تعودت مس الضر حتى الفته
واسلمنى طول البلاء الى الصبر
ووسع صدرى للاذى الانس بالاذى
وان كنت احيانا يضيق به صدرى
وصيرنى يأسى من الناس راجيا
لسرعة لطف الله من حيث لا ادرى

(وموسى بن عبد الله هو القائل)

تولت بهجة الدنيا
فكل جديدها خلق
وخان الناس كلهم
فما ادرى بمن اثق
رأيت معالم الخيرا
ت سدت دونها الطرق
فلا حسب ولا نسب
ولا دين ولا خلق
فلست مصدق الاقوا
م فى شئ وان صدقوا

وكان المنصور حبسه لخروجه عليه مع اخويه ثم ضربه الف سوط فما نطق بحرف واحد فقال الربيع عذرت هؤلاء الفساق فى صبرهم فما بال هذا الفتى الذى نشأ فى النعمة والدعة فقال

انى من القوم الذين يزيدهم
جلدا وصبرا قسوة السلطان

فامر له بعشرة آلاف درهم (ومر) يزيد بن المهلب فى طريق البصرة باعرابية فاهدت اليه عنزا فقبلها وقال لابنه معاوية ما عندك من نفقة قال ثمانمائة درهم قال ادفعها اليها قال انها لا تعرفك ويرضيها اليسير قال ان كانت لا تعرفنى فانا اعرف نفسى وان كان يرضيها اليسير فانا لا ارضى الا بالكثير * (ومنهم يزيد بن حاتم) وكتب اليه رجل من العلماء يستوصله فبعث اليه ثلاثين ألف درهم وكتب اليه أما بعد فقد بعثت اليك بثلاثين ألفا لا أكثرها امتنانا ولا أقللها تجبرا ولا استثيبك عليها ثناء ولا أقطع لك بها رجاء والسلام (وكان) ربيعة الرقى قد قدم مصر فاتى يزيد بن حاتم السلمى فلم يعطه شيأ ثم عطف على يزيد بن حاتم فشغل عنه ببعض الامر فخرج وهو يقول

أرانى ولا كفران لله راجعا * بخفى حنين من نوال ابن حاتم

فسأل عنه يزيد فاخبر انه قد خرج وقال كذا وانشد البيت فارسل فى طلبه فأتى به فقال كيف قلت فانشده البيت فقال شغلنا عنك ثم أمر بخفيه فخلعتا من رجليه وملئتا مالا وقال ارجع بهما بدلا من خفى حنين فقال فيه لما عزل عن مصر وولى مكانه يزيد بن حاتم

بكى أهل مصر بالدموع السواجم * غداة غدا منها الاعز بن حاتم

(وفيها يقول) لشتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والاعز بن حاتم

فهم الفتى الازدى اتلاف ماله * وهم الفتى القيسى جمع الدراهم

فلا يحسب التمتام انى هجوته * ولكننى فضلت أهل المكارم

(وخرج) اليه رجل من الشعراء يمدحه فلما بلغ مصر وجده قد مات فقال فيه

لئن مصر فاتتنى بما كنت ارتجى * واخلفنى منها الذى كنت آمل

فما كل ما يخشى الفتى بمصيبة * ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل

وما كان بينى لو لقيتك سالما * وبين الغنى الا ليال قلائل

(ومنهم ابو دلف) واسمه القاسم بن اسمعيل وفيه يقول على بن جبلة

انما الدنيا أبو دلف * بين مبداه ومحتضره فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

(وقال فيه رجل من شعراء الكوفة)

الله أجرى من الارزاق أكثرها * على العباد على كفى أبى دلف

بارى الرياح فأعطى وهى جارية * حتى اذا وقفت أعطى ولم يقف

ما خط لا كاتباه فى صحيفته * يوما كما خط لا فى سائر الصحف

فاعطاه ثلاثين ألفا (ومدحه آخر فقال فيه)

يشبهه الرعد اذا الرعد رجف * كأنه البرق اذا البرق خطف * كأنه الموت اذا الموت أزف
تحمله الى الوغى الخيل القطف * ان سار سار المجد أو حل وقف * أنظر بعينيك الى اسنى الشرف
هل ناله بقدرة أو بكلف * خلق من الناس سوى أبى دلف

فاعطاه خمسين ألفا * (ومن أخبار معن بن زائدة) * قال شرحبيل بن معن بن زائدة حج هرون الرشيد وزميله أبو يوسف القاضى وكنت كثيرا ما أسايره اذ عرض له اعرابى من بنى أسد فانشده شعرا مدحه فيه وفرطه فقال له هرون ألم أنهك عن مثل هذا فى مدحك يا أخا بنى أسد اذا قلت فينا فقل كقول القائل فى أبى هذا

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم * أسود لها فى غيل خفان أشبل * هم يمنعون الجار حتى كأنما
لجارهم بين السماكين منزل * بهاليل فى الاسلام سادوا ولم يكن * كأولهم فى الجاهلية أول

وما يستطيع الفاعلون فعالهم * وان أحسنوا فى النائبات وأجملوا

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

(ومنهم)

(ولدت) هند لبنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة موسى ولها ستون سنة ولا يعلم امرأة ولدت بنت ستين سنة الا قرشية (اجتاز على بن محمد العلوى) بالجسر بعد ان قتل عمر بن يحيى بن عبد الله بن الحسين وقاتله الحسين بن اسمعيل هنالك وقد نجرد رجلا للقتل فلما رأت ام الرجل عليا سألته ان يشفع فيه فقال على الى الحسين فانشده

قتلت ابر من ركب المطايا
وجئتك استلينك بالكلام
وعز على أن القاك الا
وفيما بيننا حد الحسام
ولكن الجناح اذا اصيبت
قوادمه يرف على الاكام

فقال له وما حاجتك قال العفو عن ابن هذه المرأة فتركه (وسئل) العباس بن الحسين عن رجل فقال جليسه اطرب من الابل على الحداء ومن الثمل على الغناء وذكر العباس رجلا فقال ما الحمام على الاحرار وطول السقم فى الاسفار وعظم الدين على الاقتار بأشد من لقائه (وقال) العباس بن الحسين للمأمون يا امير المؤمنين ان لسانى ينطلق بمدحك غائبا وقد أحببت ان يتزيد عندك حاضرا أفتأذن يا امير المؤمنين فى الكلام فقال له قل فوالله انك لتقول فتحسن وتحضر فتزين وتغيب فتؤمن فقال ما بعد هذا كلام يا امير المؤمنين أفتأذن بالسكوت قال اذا شئت * وذكر رجلا بليغا فقال ما شبهت كلامه الا بثعبان ينهال بين رمال وماء يتغلغل بين جبال * وسمع المتجمع ابن نبهان كلام العباس بن الحسين

(ومنهم خالد بن عبد الله القسري) وهو الذي يقول فيه الشاعر

الى خالد حتى أنخن بخالد * فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

(بينا) خالد بن عبد الله القسري جالس في مظلة له اذ نظر الى اعرابي يخب به بعيره مقبلا نحوه فقال لحاجبه اذا قدم فلا تحجبه فلما قدم أدخله عليه فسلم وقال

أصلحك الله قل ما بيدي * فما أطيق العيال اذ كثروا

أناخ دهر ألقى بكلكله * فأرسلوني اليك وانتظروا

فقال خالد أرسلوك وانتظروا والله لا تنزل حتى تنصرف اليهم بما يسرهم وأمر له بجائزة عظيمة وكسوة شريفة *(ومنهم عدي بن حاتم)* دخل عليه ابن دارة فقال اني مدحتك قال أمسك حتى آتيك بمالي ثم امدحني على حسبه فاني أكره أن لا أعطيك ثمن ما تقول لي ألف شاة وألف درهم وثلاثة أعبد وثلاث اماء وفرسي هذا حبس في سبيل الله فامدحني على حسب ما أخبرتك فقال

تحن قلوصي في معد وانما * تلاقي الربيع في ديار بني ثعل * وأبقى الليالي من عدي بن حاتم
حساما كنصل السيف سل من الخلل * أبوك جواد لا يشق غباره * وأنت جواد ليس تعذر بالعلل
فان تفعلوا شرا فمثلكم اتقى * وان تفعلوا خيرا فمثلكم فعل

قال له عدي امسك لا يبلغ مالي أكثر من هذا *(اصفاد الملوك على المدح)* سعيد بن مسلم الباهلي قال قدم على الرشيد اعرابي من باهلة وعليه جبة حبرة ورداء يمان قد شده على وسطه ثم ثناه على عاتقه وعمامة قد عصبها على فوديه وأرخى لها عذبة من خلفه فمثل بين يدي الرشيد فقال سعيد يا اعرابي خذ في شرف أمير المؤمنين فاندفع في شعره فقال الرشيد يا اعرابي أسمعك مستحسنا وأنكرك متهما فقل لنا بيتين في هذين يعني محمد الامين وعبد الله المأمون ابنيه وهما حفافاه فقال يا أمير المؤمنين حملتني على الوعر القردد وأرجعتني على السهل الجدد روعة الخلافة وبهر الدرجة ونفور القوافي على البديهة فأرودني تتألف لي نوافرها ويسكن روعي قال قد فعلت وجعلت اعتذارك بدلا من امتحانك قال يا أمير المؤمنين نفست الخناق وسهلت ميدان السباق فانشأ يقول

بنيت لعبد الله ثم محمد * ذرى قبة الاسلام فاخضر عودها
هما طنباها بارك الله فيهما * وأنت أمير المؤمنين عمودها

فقال الرشيد وأنت يا اعرابي بارك الله فيك فسل ولا تكن مسئلتك دون احسانك قال الهنيدة يا أمير المؤمنين فامر له بمائة ناقة وسبع خلع (وقال مروان بن أبي حفصة) دخلت على المهدي فاستنشدني فانشدته الشعر الذي أقول فيه طرقتك زائرة فحي خيالها * بيضاء تخلط بالحياء دلالها

قادت فؤادك فاستقاد ومثلها * قاد القلوب الى الصبا فامالها

حتى انتهيت الى قولي

شهدت من الانفال آخر آية * بتراثهم فأردتم ابطالها * أتريدون مقالة عن ربه
جبريل بلغها النبي فقالها * هل تطمسون من السماء نجومها * بأكفكم أو تسترون هلالها

قال وأنشدته أيضا شعري الذي أقول فيه

يا ابن الذي ورث النبي محمدا * دون الاقارب من ذوي الارحام * الوحي بين بني البنات وبينكم
قطع الخصام فلات حين خصام * ما للنساء مع الرجال فريضة * نزلت بذلك سورة الانعام
أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبني البنات وراثة الاعمام * ألقى سهامهم الكتاب فحاولوا
ان يشرعوا فيها بغير سهام * ظفرت بنو ساقي الحجيج بحقهم * وغررتم بتوهم الاحلام

(قال) مروان بن أبي حفصة فلما أنشدت المهدي الشعرين قال وجب حقك على هؤلاء وعنده جماعة من أهل بيته قد أمرت لك بثلاثين ألفا وفرضت على موسى خمسة آلاف وعلى هرون مثلها وعلى علي

فقال هذا كلام يدل سائره على غابره وأوله على آخره (وسأل) المأمون العباس بن الحسين عن رجل فقال رأيت له حملا وأناة ولم أسمع لحنا ولا احالة يحدثك الحديث على مطاويه وينشدك الشعر على مدارجه (وكان) المأمون يقول من أراد أن يسمع لهوا بلا حرج فليسمع كلام العباس والعباس بن الحسين من اشعر الهاشميين وهو يعد في طبقة ابراهيم بن المهدي وهو القائل

أتاح لك الهوى بيض حسان
سبينك بالعيون وبالثغور
نظرت الى القصور فكدت تقضي
وأولى لو نظرت الى النحور

وهو القائل أيضا

صادتك من بعض القصور
بيض نواعم في الخدور
حور تحور الى صبا
ك بأعين منهن حور
وكأنما شعورهن
جنى الرضاب من الخمور
يصبغن تفاح الخدو
د بماء رمان الصدور

وهو العباس بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وأم عبيد الله جدة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب عم محمد بن علي أبي الخلفاء وكان الرشيد والمأمون يقربان العباس غاية التقريب لنسبه وأدبه (قال أبو دلف) دخلت على الرشيد وهو في طارمة على طنفسة ومعه عليها شيخ جميل المنظر فقال لي الرشيد يا قاسم ما خبر أرضك فقلت يا أمير المؤمنين خراب يباب أخربها

اربعة آلاف وعلى العباس كذا وعلى فلان كذا فحسبت سبعين ألفا قال فامر بالثلاثين ألفا فأتى بها ثم قال اغد على هؤلاء وخذ ما فرضت لك فأتيت موسى فأمر لي بخمسة آلاف وأتيت هرون فأمر لي بمثلها وأتيت عليا فقال قصر بي دون اخوتي ان أقصر بنفسي فأمر لي بخمسة آلاف فأخذت من الباقي سبعين ألفا (ودخل أعشى ربيعة) على عبد الملك بن مروان وعن يمينه الوليد وعن يساره سليمان فقال له عبد الملك ماذا بقي يا أبا المغيرة قال مضى ما مضى وبقي وأنشأ يقول

وما أنا في حقي ولا في خصومتي * بمهتضم حقي ولا قارع سني
ولا مسلم مولاي من سوء ما جنى * ولا خائف مولاي من سوء ما جني
وفضلي في الاقوام والشعر انني * أقول الذي أعني وأعرف ما أعني
وان فؤادي بين جنبي عالم * بما أبصرت عيني وما سمعت اذني
واني وان فضلت مروان وابنه * على الناس قد فضلت خير أب وابن

فضحك عبد الملك وقال للوليد وسليمان اتلوماني على هذا وأمر له بعشرة آلاف (العتبي) قال دخل الفرزدق على عبد الرحمن بن الحكم فقال له عبد الرحمن ابا فراس دعني من شعرك الذي لا يأتي آخره حتى ينسى أوله وقل في بيتين يعقلان أفواه الرواة وأعطيك عطية لم يعطكها أحد قبلي فهذا عليه وهو يقول

وأنت ابن بطحاوي قريش فان تشا * فكن من ثقيف سيل ذي حدب غمر
وانت ابن سوار البدين الى العلا * تلقت بك الشمس المضيئة للبدر

قال أحسنت وأمر له بعشرة آلاف (أبو سويد) قال أخبرني الكوفي قال اعترض الفضل بن يحيى بن خالد في وقت خروجه الى خراسان فتى من التجار كان شخص الى الكوفة فقطع به وأخذ جميع ما كان معه فأخذ بعنان دابة الفضل وقال

سأرسل بيتا ليس في الشعر مثله * يقطع اعناق البيوت الشوارد
اقام الندى والبأس في كل منزل * أقام به الفضل بن يحيى بن خالد

قال فأمر له بمائة ألف درهم (العتبي) قال أبو الجنوب مروان بن أبي حفصة أبياتا ورفعها الى زبيدة ابنة جعفر يمتدح ابنها محمدا وفيها يقول

لله درك يا عقيلة جعفر * ماذا ولدت من العلا والسودد
ان الخلافة قد تبين نورها * للناظرين على جبين محمد

فأمرت أن يملأ فمه درا (قال) الحسن بن رجاء الكاتب قدم علينا علي بن جبلة الى عسكر الحسن بن سهل والمأمون هنالك بانيا على خديجة ابنة الحسن بن سهل المعروفة ببوران ونحن اذ ذاك نجري على نيف وسبعين ألف ملاح وكان الحسن بن سهل مع المأمون يتصبح فكان الحسن يجلس للناس الى وقت انتباهه فلما قدم علي بن جبلة نزل بي فقلت له قد قوى شغل الامير قال اذا لا أضيع معك قلت اجل فدخلت على الحسن بن سهل في وقت ظهوره فأعلمته مكانه فقال ألا ترى ما نحن فيه قلت لست بمشغول عن الامر له فقال يعطى عشرة آلاف الى ان نتفرغ له فأعلمت علي بن جبلة فقال في كلمة له

اعطيتني يا ولي الحق مبتدئا * عطية كافأت حمدي ولم ترني
ما شمت برقك حتى نلت ريقه * كأنما كنت بالجدوى تبادرني

(عرض رجل لابن طوق) وقد خرج متنزها في الرحبة فناوله رقعة فيها جميع حاجته فأخذها فاذا فيها

جعلتك دنياي فان أنت جدت لي * بخير والا فالسلام على الدنيا

فقال والله لاصدقن ظنك فأعطاه حتى أغناه (عرض دعبل بن علي الشاعر) لعبد الله بن طاهر الخراساني وهو راكب في حراقة له في دجلة فأشار اليه برقعة فأمر بأخذها فاذا فيها

عجبت لحراقة ابن الحسين * كيف تسير ولا تغرق
وبحران من تحتها واحد * وآخر من فوقها مطبق
وأعجب من ذاك عيدانها * اذا مسها كيف لا تورق

الاكراد والأعراب فقال قائل هذا آخر فقال الحبل وهو افسده فقلت فانا اصلحه قال الرشيد وكيف ذلك قلت أفسدته وانت على واصلحه وانت معي فقال الرشيد ان همته اترمى به من وراء سنه مرمى بعيدا فسألت عن الشيخ فقيل العباس بن الحسين وكان ابوه في ذلك الوقت صغير السن (ولقى موسى بن جعفر) رضي الله عنه محمد بن الرشيد الأمين بالمدينة وموسى على بغلة فقال الفضل بن الربيع عاتب هذا فقال له الفضل كيف لقيت امير المؤمنين على هذه الدابة التي ان طلبت عليها لم تسبق وان طلبت عليها لم تلحق فقال لست احتاج ان اطلب ولا الى ان اطلب ولكنها دابة تنحط عن خيلاء الخيل وترتفع عن ذلة العير وخير الامور اوساطها واصيب علي بن موسى بمصيبة فسار اليه الحسن بن سهل فقال انا لم نأتك معزين بل جئناك مقتدين فالحمد لله الذي جعل حياتكم للناس رحمة ومصابكم لهم قدوة (وكان) علي بن موسى الرضا رحمه الله قد ولاه المأمون عهده وعقد له الخلافة بعده ونزع السواد عن بني العباس وامرهم بلباس الخضرة ومات علي بن موسى في حياة المأمون بطوس فشق قبر الرشيد ودفنه فيه تبركا به وكان الرشيد قد مات بطوس فدفن هناك ولذلك قال دعبل ابن علي الخزاعي

أربع بطوس على قبر الزكي بها * ان كنت تربع من دين على وطر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا

فامر له بخمسة آلاف درهم وجارية وفرس (وخرج عبدالله بن طاهر) فتلقاه دعبل برقعة فيها

طلعت قناتك بالسعادة فوقها * معقودة بلواء ملك مقبل
تهتز فوق طريدتين كأنما * تهفو بقصلها اجنحا أجدل
ريح البخل على احتيال عرضه * بندى يديك ووجهك المتهلل
لو كان يعلم ان نيلك عاجل * ما فاض منه جدول في جدول

فامر له بخمسة آلاف (ووقف) رجل من الشعراء الى عبدالله بن طاهر فانشده

اذا قيل أي فتى تعلمون * اهش الى الباس والنائل
واضرب للهام يوم الوغا * وأطعم في الزمن الماحل
أشار اليك جميع الانام * اشارة غرقى الى ساحل

فامر له بخمسين ألف درهم (احمد بن مطير) قال انشدت عبدالله بن طاهر ابياتا كنت مدحت بها بعض الولاة وهي

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس أنعم
فيقطر يوم الجود من كفه الندى * ويقطر يوم البؤس من كفه الدم
فلو ان يوم البؤس لم يثن كفه * على الناس لم يصبح على الارض مجرم
ولو ان يوم الجود فرغ كفه * لبذل الندى ما كان بالارض معدم

فقال لي عبدالله كم اعطاك قلت خمسة آلاف قال فقبلتها قلت نعم قال لي اخطأت ما ثمن هذه الا مائة ألف (ودخل حماد عجرد) على ابي جعفر بعد موت ابي العباس اخيه فانشده

أبوك بعد ابي العباس اذ بانا * يا اكرم الناس اعراقا وعيدانا
لو مج عود على قوم عصارته * لمج عودك فينا الشهد والبانا

فامر له بخمسة آلاف درهم (العتبي) قال جاء موسى شهوات الى سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان فقال ان هنا جارية تعشقتها وابوا ان ينقصوني من مائتي دينار فقال لو راك فيه فذهب الى سعيد بن خالد ابن اسيد وامه عائشة بنت طلحة الطلحات فدعا بمطرف خز فبسطه وعقد في كل ركن من اركانه مائة دينار وقال لموسى خذ المطرف بما فيه فأخذه ثم غدا عليه فانشده

اباخالد اعني سعيد بن خالد * اخا العرف لا اعني بن بنت سعيد
عميد الندى ما عاش يرضى به الندى * فان مات لم يرض الندى بعميد
دعوه دعوه انكم قد رقدتم * وما هو عن احسابكم برقود

(العتبي) قال سمعت عمي ينشد لابي العباس الزبيري

وكل خليفة وولي عهد * لكم يا آل مروان الفداء
امارتكم شفاء حيث كانت * وبعض امارة الاقوام داء
فانتم تحسنون اذا ملكتم * وبعض القوم ان ملكوا اساؤا
اأجعلكم وغيركم سواء * وبينكم وبينهم الهواء
هم ارض لارجلكم وانتم * لايديهم وارجلهم سواء

فقال له كم اعطي عليها قال عشرين الفا (الاصمعي) قال حدثني رؤبة قال دخلت على ابي مسلم صاحب الدعوة فلما ابصرني نادى يا رؤبة فاجبته

لبيك اذ دعوتني لبيكا * احمد ربا ساقني اليكا
الحمد والنعمة في يديكا

قال بل في يدي الله تعالى قلت له وانت اذا انعمت احمدت ثم قلت يأذن لي الامير المؤمنين في الانشاد قال نعم فانشدته

ما زال يأتي الملك في اقطاره * وعن يمينه وعن يساره
مشمرا لا يصطلي بناره * حتى اقر الملك في قراره

فقال يا رؤبة انك اتيتنا وقد شف المال واستنفده الانفاق وقد امرنا لك بجائزة وهي تافهة يسيرة ومنك العود وعلينا المعول والدهر اطرق مستتب فلا تلق بجنبيك الاشد قال رؤبة فقلت الذي افادني الامير من كلامه اكثر من الذي افادني من ماله (ودخل) صيب بن رباح على هشام فانشده

اذا استبق الناس العلا سبقتهم * يمينك عفوا ثم صلت شمالك

على الزكي بقرب الرحمن من ضرر
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت
له يداه فخذ من ذاك او فذر
قبران في طوس خير الناس كلهم
وقبر شرهم هذا من العبر

وكان دعبل مداحا لاهل البيت كثير التعصب لهم والغلو فيهم وله المرثية المشهورة وهي من جيد شعره واولها

مدارس آيات عفت من تلاوة
ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى
وبالبيت والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر
وحمزة والسجاد ذي الثفنات
قفا نسأل الدار التي خف اهلها
متى عهدها بالصوم والصلوات
واين الالى شطت بهم غربة النوى
افانين في الآفاق مفترقات
احب قصي الدار من اجل حبهم
واهجر فيهم اسرتي وثقاتي

وهي طويلة (ولما) دخل المأمون بغداد احضر دعبلا بعد ان اعطاه الامان وكان قد هجاه وهجا اباه فقال يا دعبل من الضنيض الاوهد فقال يا امير المؤمنين قد عفوت عمن هو اشد جرما مني اراد المأمون قول دعبل يهجوه

اني من القوم الذين سيوفهم
قتلت اخاك وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله
واستنقذوك من الحضيض الاوهد

يفتخر عليه بقتل طاهر بن الحسين بن مصعب ذي اليمينين اخاه محمدا وطاهر مولى لخزاعة فاستنشده هذه القصيدة الثانية فاستعفاه فقال لا بأس عليك

فقال هشام بلغت غاية المدح فسلني فقال يا أمير المؤمنين يداك بالعطية أطلق من لساني بالمسئلة قال لابد أن تفعل قال لي ابنة نفضت عليها من سوادي فكسدها فلو أنفقها أمير المؤمنين بشئ يجعله لها قال فأقطعها أرضا وأمر لها بحلي وكسوة فنفقت السوداء (الرياشي) عن الاصمعي قال مدح نصيب بن رباح عبد الله بن جعفر فأمر له بمال كثير وكسوة شريفة ورواحل موقرة برا وتمرا فقيل له أتفعل هذا بمثل هذا العبد الاسود قال أما لئن كان عبدا ان شعره لحر ولئن كان اسود ان ثناءه لابيض وانما اخذ مالا يفنى وثيابا تبلى ورواحل تنضى وأعطى مديحا يروى وثناء يبقى (وذكروا) عن أبي النجم العجلي انه أنشد هشاما شعره الذي يقول فيه * الحمد لله الوهوب المجزل * وهو من أجود شعره حتى انتهى الى قوله * والشمس في الجو كعين الاحول * وكان هشام أحول فاغضبه ذلك فأمر به فطرد فأمل أبو النجم رجعته فكان يأوي الى المسجد فأرق هشام ذات ليلة فقال لحاجبه ابغني رجلا عربيا فصيحا يحدثني وينشدني فطلب له ما سأل فوجد أبا النجم فأتى به فلما دخل عليه قال أين تكون منذ أقصيناك قال حيث ألفاني رسولك قال فمن كان أبا النجم مثواك قال رجلين أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر قال فما لك من الولد قال ابنتان قال أزوجتهما قال زوجت احداهما قال فبم أوصيتها ليلة أهديتها قال قلت لها

سبي الحماة وابهتي عليها * وان أبت فازدلفي اليها

ثم اقرعي بالعود مرفقيها * وجددي الحلف به عليها

قال فهل أوصيتها بعد هذا قال نعم

أوصيت من برة قلبا برا * بالكلب خيرا والحماة شرا * لا تسأمي خنقا لها وجرا

والحي عميهم بشر طرا * وان كسوك ذهبا ودرا * حتى يروا حلو الحياة مرا

قال هشام ما هكذا أوصى يعقوب ولده فقال أبو النجم ولا أنا كيعقوب ولا ولدي كولده قال فما حال الاخرى قال هي ظلامة التي أقول فيها

كأن ظلامة أخت شيبان * يتيمة ووالداها حيان

الرأس قمل كله وصئبان * وليس في الرجلين الا خيطان * فهي التي يذعر منها الشيطان

قال هشام لحاجبه ما فعلت الدنانير التي امرتك بقبضها قال هي عندي وهي خمسمائة دينار قال ادفعها لابي النجم ليجعلها في رجلي ظلامة مكان الخيطين (أبو عبيدة) قال حدثني يونس بن حبيب قال لما استخلف مروان بن محمد دخل عليه الشعراء يهنئونه بالخلافة فتقدم عليه طريح بن اسمعيل الثقفي قال الوليد بن يزيد فقال الحمد لله الذي أنعم بك على الاسلام اماما وجعلك لاحكام دينه قواما ولامة محمد المصطفى جنة وظلاما ثم أنشده شعره الذي يقول فيه

تسوء عداك في سداد ونعمة * خلافتنا تسعين عاما وأشهرا

فقال مروان كم الاشهر قال وفاء المائة يا أمير المؤمنين تبلغ فيها اعلى درجة وأسعد عاقبة في النصرة والتمكين وأمر له بمائة ألف درهم ثم تقدم اليه ذو الرمة مقاما كبرة قد انحلت عمامته منحدرة على وجهه فوقف يسويها فقيل له تقدم قال اني أجل أمير المؤمنين أن أخاطب بشرفه مادحا بلوثة عمامتي فقال مروان ما أملت انه أبقت لنا منك مي ولا صيدح في كلامك امتاعا قال بلى والله يا أمير المؤمنين أوده منه قراحا والاحسن امتدا حاثم تقدم فأنشد شعرا يقول فيه

فقلت لها سيري امامك سيد * تفرع من مروان أو من محمد

فقال له ما فعلت مي فقال طويت غدائرها ببردبلي ومحا التراب محاسن الخد فالتفت مروان الى العباس ابن الوليد فقال أما ترى القوافي تنثال انثيالا يعطى بكر من سمى من آبائي ألف دينار قال ذو الرمة لو علمت لبلغت به عبد شمس (الربيع حاجب المنصور) قال قلت يوما للمنصور ان الشعراء ببابك وهم كثيرون طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم فقال اخرج اليهم فاقرأ عليهم السلام وقل لهم من مدحني منكم فلا يصفني بالاسد فانما هو كلب من الكلاب ولا بالحية فانما هي دويبة منتنة تأكل التراب ولا

وقد رويتها وانما أحببت ان اسمعها منك فانشدها دعبل فلما انتهى الى قوله

ألم تراني مذ ثلاثين حجة * أروح واغدو دائم الحسرات

أرى فيأهم في غيرهم متقسما * وأيديهم من فيئهم صفرات

اذا وتروا مدوا الى أهل وترهم * أكفا عن الاوتار منقبضات

وآل رسول الله نحف جسومهم * وآل زياد غلاظ القصرات

بنات زياد في القصور مصونة * وبنت رسول الله في الفلوات

بكى المأمون وجدد له الامان وأحسن له الصلة * والشئ يستدعي ما قرع بابه وجذب أهدابه (قال سليمان بن قتيبة)

مررت على أبيات آل محمد * فلم أرها عهدي بها يوم حلت

فلا يبعد الله الديار واهلها * وان أصبحت من أهلها قد تخلت

وكانوا رجاء ثم عادوا رزية * لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وان قتيل الطف من آل هاشم * أذل رقاب المسلمين فذلت

ويشبه قوله * وكانوا رجاء ثم عادوا رزية * قول امرأة من العرب مرت بالجسر بجثة جعفر بن يحيى البرمكي مصلوبا فقالت لئن أصبحت نهاية في البلاء لقد كنت غاية في الرجاء

{ألفاظ لاهل العصر في اوصاف الاشراف لها في هذا الموضع موقع}

فلان من شرف العنصر الكريم ومعدن الشرف الصميم اصل راسخ وفرع شامخ ومجد باذخ وحسب شاذخ فلان كريم الطرفين شريف الجانبين

بالجذل فانما هو صخر أصم ولا بالصرفانما هو عطائط يخب ومن ليس فى شعره هذا فليدخل ومن كان فى شعره فلينصرف فانصرفوا كلهم الا ابراهيم بن هرمة فانه قال له انا له يا ربيع وأدخلني فأدخله فلما مثل بين يديه قال المنصور يا ربيع قد علمت انه لا يجيبك أحد غيره هات يا ابن هرمة فأنشده قصيدته التى يقول فيها

له لحظات عن حفافى سريره * اذا كرها فيها عذاب ونائل

لهم طينة بيضاء من آل هاشم * اذا اسود من كرم التراب القبائل

اذا ما أتى شيأ مضى كالذى أتى * وان قال انى فاعل فهو فاعل

فقال حسبك ههنا بلغت هذا عين الشعر قد أمرت لك بخمسة آلاف درهم فقمت اليه وقبلت رأسه وأطرافه ثم خرجت فلما كدت ان اخفى على عينيه سمعته يقول يا ابراهيم فأقبلت اليه فزعا فقلت لبيك فداك أبى وأمى قال احتفظ بها فليس لك عندنا غيرها فقلت بأبى وأمى انت احفظها حتى اوافيك بها على الصراط بخاتم الجهبذ (على بن الحسين) قال انشد على بن الجهم جعفرا المتوكل شعره الذى أوله * هى النفس ما حملتها تتحمل * وكان فى يد المتوكل جوهرتان فأعطاه التى فى يمينه وأطرق متفكرا فى شئ يقوله ليأخذ التى فى يساره فقال مالك مفكرا انما تفكر فيما تأخذ به الاخرى خذها لا بورك لك فيها فأنشأ يقول

بسر من راى امام عدل * تغرف من بحره البحار * يرجى ويخشى لكل أمر

كأنه جنة ونار * الملك فيه وفى بنيه * ما اختلف الليل والنهار

يداه فى الجود ضرتان * عليه كلتاهما تغار * لم تأت منه اليمين شيأ * الا أتت مثله اليسار

(وقال آخر فى الطول)

اذا سألت الندى عن كل مكرمة * لم تلف نسبتها الا الى الطول

لو زاحم الشمس ألقى الشمس مظلمة * أو زاحم الصم ألجاها الى الميل

أمضى من الدهر ان نابته نائبة * وعند أعدائه أمضى من السيل

(ودخل) شاعر من أهل الرى يقال له أبو زيد على عبد الله بن طاهر صاحب خراسان فأنشده

اشرب هنيأ عليك التاج مرتفعا * من شادمهر ودع غمدان لليمن

فأنت أولى بتاج الملك تلبسه * من هوذة بن على وابن ذى يزن

فأمر له بعشرة آلاف درهم (ودخلت) ليلى الاخيلية على الحجاج فأنشدته

اذا ورد الحجاج أرضا مريضة * تتبع اقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذى بها * غلام اذا هز القناة سقاها

فقال لها لا تقولى غلام ولكن قولى همام ثم قال أى النساء أحب اليك انزلك عندها قالت ومن نساؤك أيها الامير قال أم الجلاس ابنة سعيد بن العاص الاموية وهند ابنة أسماء بن خارجة الفزارية وهند ابنة المهلب بن أبى صفرة العتكية قالت القيسية أحب الى فلما كان من الغد دخلت عليه قال يا غلام أعطها خمسمائة قالت أيها الامير احسبها أدما قال قائل انما أمرلك بشاء قالت الامير أكرم من ذلك فجعلها ابلا على استحياء وانما كان أمر لها بشاء

﴿فرش كتاب الوفود﴾

(قال أحمد بن محمد بن عبد ربه) قد مضى قولنا فى الاجواد والاصفاد على مراتبهم ومنازلهم وما جروا عليه وما ندبوا اليه من الاخلاق الجميلة والافعال الجزيلة ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الوفود الذين وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى الخلفاء والملوك فانها مقامات فضل ومشاهد حفل يتخير لها الكلام ويستهذب الالفاظ ويستجزل المعانى ولا بد للوافد عن قومه أن يكون عميدهم وزعيمهم الذى عن قوسه ينزعون وعن رأيه يصدرون فهو واحد يعدل قبيلة ولسان يعرب عن ألسنة وما ظنك بوافد قوم يتكلم بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم أو خليفته أو بين يدى ملك جبار فى رغبة أو رهبة فهو يوطد لقومه مرة ويحفظ عن امامه أخرى أتراه مدخرا نتيجة من نتائج الحكمة أو مستبقيا غريبة من

قد ركب الله دوحته فى قرارة المجد وغرس نبعته فى محل الفضل اصل شريف وعرق كريم ومغرس عظيم ومغرز صميم المجد لسان اوصافه والشرف نسب اسلافه نسب فخم وشرف ضخم يستوفى شرف الارومة بكرم الابوة والامومة وشرف الخؤلة والعمومة ما اتته المحاسن عن كلالة ولا ظفر بالهدى عن ضلالة بل تناول المجد كابرا عن كابر واخذ الفخر عن اسرة ومنابر

شرف تنقل كابرا عن كابر
كالرمح انبوبا على انبوب

استقى عرقه من منبع النبوة ورضعت شجرته من ثدى الرسالة وتهدلت اغصانه عن نبعة الامامة وتبحبحت اطرافه فى عرصة الشرف والسيادة وتفقأت بيضته عن سلالة الطهارة قد جذب القرآن بضبعه وشق الوحى عن بصره وسمعه مختار من اكرم المناسب منتخب من اشرف العناصر مرتضى من اعلى المحاتد مؤثر من العشائر قد ورث الشرف جامعا عن جامع وشهد له نداء الصوامع هو من مضر فى سويداء قلبها ومن هاشم فى سواد طرفها ومن الرسالة فى مهبط وحيها ومن الامامة فى موقف عزها ينزع الى المحامد بنفس وعرق ويحن الى المكارم بوارثة وخلق يتناسب أصله وفرعه ويتناصف بحره وطبعه هو الطيب اصله وفرعه الزكى بذره وزرعه يجمع الى عز الانصاب مزية الآداب لا غرو ان يجرى الجواد على عرقه

غرائب الفطنة أم تظن القوم قدموه وافضل هذه الخطة الا وهو عندهم في غاية الحذاقة والبلاغة وجمع الشعر والخطابة الا ترى ان قيس بن عاصم المنقري لما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم بسط له رداءه وقال هذا سيد الوبر (ولما) توفي قيس بن عاصم قال فيه الشاعر

عليك سلام الله قيس بن عاصم * ورحمته ماشاء ان يترحما
تحية من ألبسته منك نعمة * اذا زار عن شحط بلادك سلما
وما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

❁(وفود العرب على كسرى)❁ ابن القطامي عن الكلبي قال قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الامم لا يستثني فارس ولا غيرها فقال كسرى وأخذته عزة الملك يانعمان لقد فكرت في أمر العرب وغيرهم من الامم ونظرت في حال من يقدم علي من وفود الامم فوجدت الروم لها حظا في اجتماع ألفتها وعظم سلطانها وكثرة مدائنها ووثيق بنيانها وان لها دينا يبين حلالها وحرامها ويرد سفيهها ويقيم جاهلها ورأيت الهند نحوا من ذلك في حكمتها وطبها مع كثرة انهار بلادها وثمارها وعجيب صناعاتها وطيب أشجارها ودقيق حسابها وكثرة عددها وكذلك الصين في اجتماعها وكثرة صناعات أيديها وفروسيتها وهمتها في آلة الحرب وصناعة الحديد وان لها ملكا يجمعها والترك والخزر على ماهم من سوء الحال في المعاش وقلة الريف والثمار والحصون وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس لهم ملوك تضم قواصيهم وتدبر أمرهم ولم أر للعرب شيأ من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ولا حزم ولا قوة ومع ان مما يدل على مهانتها وذلها وصغر همتها محلتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة والطير الحائرة يقتلون أولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضا من الحاجة قد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذاتها فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الابل التي يعافها كثير من السباع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها وان قرى أحدهم ضيفا عدها مكرمة وان أطعم أكلة عدها غنيمة تنطق بذلك أشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم ماخلا هذه التنوخية التي أسس جدي اجتماعها وشد مملكتها ومنعها من عدوها فجرى لها ذلك الى يومنا هذا وان لها مع ذلك آثارا ولبوسا وقرى وحصونا وأمورا تشبه بعض أمور الناس يعني اليمن ثم لا أراكم تستكينون على ما بكم من الذلة والقلة والفاقة والبؤس حتى تفتخروا وتريدوا أن تنزلوا فوق مراتب الناس (قال) النعمان أصلح الله الملك حق لامة الملك منها أن يسمو فضلها ويعظم خطبها وتعلو درجتها الا ان عندي جوابا في كل ما نطق به الملك في غير رد عليه ولا تكذيب له فان أمنني من غضبه نطقت به قال كسرى قل فأنت آمن قال النعمان أما أمتك أيها الملك فليست تنازع في الفضل لموضعها الذي هي به من عقولها وأحلامها وبسطة محلها وبحبوحة عزها وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك (وأما) الامم التي ذكرت فأي أمة تقرنها بالعرب الا فضلتها قال كسرى بماذا قال النعمان بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفتها ووفائها (فأما عزها ومنعتها) فانها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجند لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الارض وسقوفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر اذ غيرها من الامم انما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور (وأما حسن وجوهها وألوانها) فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المنحرفة والصين المنحفة والترك المشوهة والروم المقشرة (وأما أنسابها وأحسابها) فليست أمة من الامم الا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيرا من أولها حتى ان أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحد من العرب الا يسمي آباءه أبا فأبا أحاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا به أنسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب الى غير نسبه ولا يدعى الى غير أبيه (وأما

مفاخرها)

وتلوح مخايل المجد في شمائله ويكون النجيب فرعا مشيدا لاصله له مع نباهة شرفه نزاهة سلفه ومع كرم أرومته وجرثومته مزية أدبه وعلمه لن تخلف ثمرة غرس ارتيد لها من المنابت أزكاها ومن المغارس أطيبها وأغذاها وأغناها قد جمع شرف الاخلاق الى شرف الاعراق وكرم الآداب الى كرم الانساب له في المجد أول وآخر وفي الكرم تليد وطارف وفي الفضل حديث وقديم لاغرو ان يغمر فضله وهو نجل السيد الاكارم أن يغزر علمه وهو فيض البحور الخضارم دوحة رسب عرقها وسمق فرعها وطاب عودها واعتدل عمودها وتفيأت ظلالها وتهدلت ثمارها وتفرعت أغصانها وبرد مقيلها مجد يلحظ الجوزاء من عال ويطول النجم كل مطال شرف تضع له الافلاك خدودها وجباهها وتلثم النجوم أرضه بأفواهها وشفاهها نسب المجد به عريق وروض الشرف به أنيق ولسان الثناء بفضله نطوق فلك المجد عليه يدور ويد العلا اليه تشير محله شاهق ومجده باسق ❁(قد تم)❁ ما استفتحت به التأليف وجعلته مقدمة التصنيف مع ما اقترن به وانضاف اليه والتف به وانعطف عليه ورأيت ان ابتدئ مقدمات البلاغات بغرر التحاميد وأوصافها وما يتعلق بأثنائها وأطرافها وقد قال سهل بن هارون في أول كتاب عمله يجب على كل مبتدئ مقالة أن يبتدئ بحمد الله قبل استفتاحها كما بدأ بالنعمة قبل

سخاؤها) فان أدناهم رجلا الذي تكون عنده البكرة والناب عليها بلاغه في حموله وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة ويجتزي بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدوثة وطيب الذكر (وأما حكمة ألسنتهم) فان الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشياء وضربهم للامثال وابلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الاجناس ثم خيلهم أفضل الخيل ونساؤهم أعف النساء ولباسهم أفضل اللباس ومعادنهم الذهب والفضة وحجارة جبالهم الجزع ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سفر ولا يقطع بمثلها بلد قفر (وأما دينها وشريعتها) فانهم متمسكون به حتى يبلغ احدهم من نسكه بدينه ان لهم أشهرا حرما وبلدا محرما وبيتا محجوجا ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثاره وادراك رغمه منه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى (وأما وفاؤها) فان احدهم يلحظ اللحظة ويومئ الايماء فهي ولث وعقدة لا يحلها الا خروج نفسه وان احدهم يرفع عودا من الارض فيكون رهنا بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته وان احدهم ليبلغه ان رجلا استجار به وعسى ان يكون نائيا عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي اصابته او تفنى قبيلته لما اخفر من جواره وانه ليلجأ اليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون انفسهم دون نفسه واموالهم دون ماله (واما) قولك ايها الملك يئدون اولادهم فانما يفعله من يفعله منهم بالاناث أنفة من العار وغيرة من الازواج (واما قولك) ان افضل طعامهم لحوم الابل على ما وصفت منها فما تركوا ما دونها الا احتقارا له فعمدوا الى اجلها وافضلها فكانت مراكبهم وطعامهم مع انها اكثر البهائم شحوما واطيبها لحوما وأرقها ألبانا واقلها غائلة واحلاها مضغة وانه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها الا استبان فضلها عليه (واما) تحاربهم واكل بعضهم بعضا وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا انست من نفسها ضعفا وتخوفت نهوض عدوها اليها بالزحف وانه انما يكون في المملكة العظيمة اهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون اليهم امورهم وينقادون لهم بازمتهم (واما العرب) فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا ان يكونوا ملوكا اجمعين مع انفتهم من اداء الخراج والوطف بالعسف (واما اليمن التي وصفها الملك) فانما اتى جد الملك اليها الذي اتاه عند غلبة الحبش له على ملك متسق وامر مجتمع فاتاه مسلوبا طريدا مستصرخا قد تقاصر عن ايوائه وصغر في عينه ما شيد من بنائه ولولا ما وتر به من يليه من العرب لمال الى مجال ولوجد من يجيد الطعان ويغضب للاحرار من غلبة العبيد الاشرار (قال) فعجب كسرى لما اجابه النعمان به وقال انك لاهل لموضعك من الرياسة في اهل اقليمك ولما هو افضل ثم كساه من كسوته وسرحه الى موضعه من الحيرة فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين امرهم بعث الى اكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميين والى الحرث بن ظالم وقيس بن مسعود البكريين والى خالد ابن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين والى عمرو بن الشريد السلمي وعمرو بن معديكرب الزبيدي والحرث بن ظالم المري فلما قدموا عليه في الخورنق قال لهم قد عرفتم هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منها وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت ان يكون لها غور او يكون انما اظهرها لامر اراد ان يتخذ به العرب خولا كبعض طماطمته في تأديتهم الخراج اليه كما يفعل بملوك الامم الذين حوله فاقتص عليهم مقالات كسرى وما رد عليه فقالوا ايها الملك وفقك الله ما احسن ما رددت وابلغ ما حججته به فمرنا بأمرك وادعنا الى ما شئت قال انما انا رجل منكم وانما ملكت وعززت بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم وليس شيء احب الي مما سدد الله به امركم واصلح به شأنكم وادام به عزكم والراي ان تسيروا بجماعتكم ايها الرهط وتنطلقوا الى كسرى فاذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم ان العرب على غير ما ظن او حدثته نفسه ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه فانه ملك عظيم

استحقاقها (ولاهل العصر) اولى ما فغر به الناطق فمه وافتتح به كلامه حمد الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه حمد الله خير ما ابتدئ به القول وختم وافتتح به الخطاب وتمم (قال ابو العباس)] عبد الله بن المعتز بالله ان الله جل ثناؤه لا يمثل بنظير ولا يغلب بظهير جل عن موقع تحصيل ادوات البشر ولطف عن الحاظ خطرات الفكر لا يحمد الا بتوفيق منه يقتضي حمدا في تحصي نعماؤه ويكافأ آلاؤه عجز اقصى الشكر عن اداء نعمته وتضاءل ما خلق في سعة قدرته قدر فقدر وحكم فاحكم وجعل الدين جامعا الشمل عباده والشرائع منارا على سبيل طاعته يتبعها أهل اليقين به ويحيد عنها اهل الشك فيه اخذ ابو العباس قوله ولا يحمد الا بتوفيق منه يقتضي حمدا من قول محمود بن الحسين الوراق

اذا كان شكري نعمة الله نعمة
علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله
وان طالت الايام واتصل العمر
اذا عم بالسراء عم سرورها
وان مس بالضراء اعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة
تضيق بها الاوهام والبر والبحر

وانما اخذه محمود من قول ابي العتاهية

أحمد الله فهو الهمني الحمـ
ـد على الحمد والمزيد لديه
كم زمان بكيت فيه فلما
صرت في غيره بكيت عليه

وقد اضطربت الرواية في هذين البيتين وقائلهما وهذا البيت

السلطان كثير الاعوان مترف معجب بنفسه ولا تخزلوا له انخزال الخاضع الذليل وليكن امر بين ذلك تظهر به وثاقة حلومكم وفضل منزلتكم وعظيم اخطاركم وليكن اول من يبدأ منكم بالكلام اكثم بن صيفي لسني حاله ثم تتابعوا على الامر من منازلكم التي وضعتكم بها فانما دعاني الى التقدمة اليكم علمي بجميل كل رجل منكم على التقدم قبل صاحبه فلا يكونن ذلك منكم فيجد في آدابكم مطعنا فانه ملك مترف وقادر مسلط ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حلال الملوك كل رجل منهم حلة وعمامة وخمه بياقوتة وأمر لكل رجل منهم بنجيبة مهرية وفرس نجيبة وكتب معهم كتابا * اما بعد فان الملك ألقى الي من أمر العرب ما قد علم واجبته بما قد فهم بما احببت أن يكون منه على علم ولا يتلجلج في نفسه ان أمة من الامم التي احتجزت دونه بمملكتها وحمت ما يليها بفضل قوتها تبلغها في شئ من الامور التي يتعزز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة وقد أوفدت أيها الملك رهطا من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم فليسمع الملك وليغامض عن جفاء ان ظهر من منطقهم وليكرمني باكرامهم وتعجيل سراحهم وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا الى عشائرهم فخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن فدفعوا اليه كتاب النعمان فقرأه وأمر بانزالهم الى ان يجلس لهم مجلسا يسمع منهم فلما ان كان بعد ذلك بايام امر مرازبته ووجوه أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه وأقام الترجمان ليؤدي اليه كلامهم ثم أذن لهم في الكلام (فقام اكثم بن صيفي) فقال ان أفضل الاشياء أعاليها وأعلى الرجال ملوكهم وأفضل الملوك أعمها نفعا وخير الازمنة أخصبها وأفضل الخطباء أصدقها الصدق منجاة والكذب مهواة والشر لجاجة والحزم مركب صعب والعجز مركب وطيء آفة الراي الهوى والعجز مفتاح الفقر وخير الامور الصبر حسن الظن ورطة وسوء الظن عصمة اصلاح فساد الرعية خير من اصلاح فساد الراعي من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء شر البلاد بلاد لا أمير بها شر الملوك من خافه البرئ المرء يعجز لا المحالة أفضل من الاولاد البررة خير الاعوان من لم يراء بالنصيحة أحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته يكفيك من الزاد ما بلغك المحل حسبك من شر سماعه الصمت حكم وقليل فاعله البلاغة الايجاز من شدد نفر ومن تراخى تألف فتعجب كسرى من اكثم ثم قال ويحك يا اكثم ما أحكمك وأوثق كلامك لولا وضعك كلامك في غير موضعه قال اكثم الصدق ينبئ عنك لا الوعيد قال كسرى لو لم يكن للعرب غيرك لكفى قال اكثم رب قول انفذ من صول (ثم قام حاجب بن زرارة التميمي) قال وري زندك وعلت يدك وهيب سلطانك ان العرب امة قد غلظت اكبادها واستحصدت مرتها ومنعت درتها وهي لك وامقة ما تألفتها مسترسلة ما لاينتها سامعة ما سامحتها وهي العلقم مرارة وهي الصاب غضاضة والعسل حلاوة والماء الزلال سلالة نحن وفودها اليك وألسنتها لديك ذمتنا محفوظة وأحسابنا ممنوعة وعشائرنا فينا سامعة مطيعة ان نؤب لك حامدين خيرا فلك بذلك عموم محمدتنا وان نذم لم نخص بالذم دونها (قال) كسرى يا حاجب ما أشبه حجر التلال بألوان صخرها قال حاجب بل زئير الاسد بصولتها قال كسرى وذلك (ثم قام الحرث بن عباد البكري) فقال دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها وعلو سنائها من طال رشاؤه كثر متحه ومن ذهب ماله قل منحه تناقل الاقاويل يعرب اللب وهذا مقام سيوجف بما تنطق به الركب وتعرف به كنه حالنا العجم والعرب ونحن جيرانك الادنون وأعوانك المعينون خيولنا جمة وجيوشنا فخمة ان استنجدتنا فغير ربض وان استطرقتنا فغير جهض وان طلبتنا فغير غمض لا ننثني لذعر ولا نتنكر لدهر رماحنا طوال وأعمارنا قصار (قال) كسرى أنفس عزيزة والله ضعيفة (قال الحرث) أيها الملك وأنى يكون لضعيف عزة أو لصغير مرة قال كسرى لو قصر عمرك لم تستول على لسانك نفسك قال الحرث أيها الملك ان الفارس اذا حمل

الثاني كثير قال ابراهيم بن العباس

كذاك ايامنا لا شك نندبها
اذا تقضت ونحن اليوم نشكرها

آخر

وما مر يوم ارتجي فيه راحة
فأفقده الا بكيت على امس

ومحمود القائل ايضا

تعصي الاله وانت تظهر حبه
هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته
ان المحب لمن احب مطيع

وكان كثيرا ما ينقل اخبار الماضين وحكم المتقدمين فيحلي بها انتظامه ويزين بها كلامه وهو القائل

اني وهبت لظالمي ظلمي
وشكرت ذاك له على علمي
ورايته اسدى الي يدا
لما ابان بجهله حلمي
رجعت اساءته عليه ولي
فضل فعاد مضاعف الجرم
فكأنما الاحسان كان له
وانا المسيء اليه في الزعم
ما زال يظلمني وارحمه
حتى رثيت له من الظلم

وهو القائل

اراني اذا ما ازددت مالا وثروة
وخيرا الى خير تزايدت في الشر
فكيف بشكر الله ان كنت انما
اقوم مقام الشكر لله بالكفر
باي اعتذار ام بأية حجة
يقول الذي يدري من الامر ما ادري
اذا كان وجه العذر ليس ببين
فان اطراح العذر خير من العذر

(ولابن المعتز) البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول ومجلي الشبهة وموجب الحجة والحاكم عند اختصام الظنون والمفرق بين الشك واليقين وهو من

نفسه على الكتيبة مغررا بنفسه على الموت فهي منية استقبلها وجنان استدبرها والعرب تعلم أني أبعث الحرب قدما وأحبسها وهي تصرف بها حتى اذا جاشت نارها وسعرت لظاها وكشفت عن ساقها جعلت مقادها رمحي وبرقها سيفي ورعدها زئيري ولم أقصر عن خوض خضخاضها حتى انغمس في غمرات لججها وأكون فلكا لفرساني الى بحبوحة كبشها فاستمطرها دما وأترك حماتها جزر السباع وكل نسر قشعم ثم قال كسرى لمن حضره من العرب أكذلك هو قالوا فعاله أنطق من لسانه قال كسرى ما رأيت كاليوم وفدا أحشد ولا شهودا أوفد (ثم قام عمرو بن الشريد السلمي) فقال أيها الملك نعم بالك ودام في السرور حالك ان عاقبة الكلام متدبرة واشكال الامور معتبرة وفي كثير ثقلة وفي قليل بلغة وفي الملوك سورة العز وهذا منطق له ما بعده شرف فيه من شرف وخمل فيه من خمل لم نأت لضيمك ولم نفد لسخطك ولم نتعرض لرفدك ان في أموالنا منتقدا وعلى عزنا معتمدا ان أورينا نارا أثقبنا وان أود دهر بنا اعتدلنا الا أنا مع هذا لجوارك حافظون ولمن رامك كافحون حتى يحمد الصدر ويستطاب الخبر قال كسرى ما يقوم قصد منطقك بافراطك ولا مدحك بذمك قال عمرو كفى بقليل قصدي هاديا وبأيسر افراطي مخبرا ولم يلم من غربت نفسه عما يعلم ورضي من القصد بما بلغ قال كسرى ما كل ما يعرف المرء ينطق به اجلس (ثم قام خالد بن جعفر الكلابي) فقال أحضر الله الملك اسعادا وأرشده ارشادا ان لكل منطق فرصة ولكل حاجة غصة وعي المنطق أشد من عي السكوت وعثار القول أنكأ من عثار الوعث وما فرصة المنطق عندنا الا بما نهوى وغصة المنطق بما لا نهوى غير مستساغة وتركي ما أعلم من نفسي ويعلم من سمعي انني له مطيق أحب الي من تكلفي ما أتخوف ويتخوف مني وقد أوفدنا اليك ملكنا النعمان وهو لك من خير الاعوان ونعم حامل المعروف والاحسان أنفسنا بالطاعة لك باخعة ورقابنا بالنصيحة خاضعة وأيدينا لك بالوفاء رهينة قال له كسرى نطقت بعقل وسموت بفضل وعلوت بنبل (ثم قام علقمة بن علاثة العامري) فقال نهجت لك سبل الرشاد وخضعت لك رقاب العباد ان للأقاويل مناهج وللآراء مولج وللعويص مخارج وخير القول أصدقه وأفضل الطلب أنجحه انا وان كانت المحبة أحضرتنا والوفادة قربتنا فليس من حضرك منا بأفضل ممن عزب عنك بل لو قست كل رجل منهم وعلمت منهم ما علمنا لوجدت له في آبائه دنيا أنداداوأ كفاء كلهم الى الفضل منسوب وبالشرف والسودد موصوف وبالرأي الفاضل والادب النافذ معروف يحمي حماه ويروي نداماه ويذود أعداه لا تخمد ناره ولا يحترز منه جاره أيها الملك من يبل العرب يعرف فضلهم فاصطنع العرب فانها الجبال الرواسي عزا والبحور الزواخر طميا والنجوم الزواهر شرفا والحصى عددا فان تعرف لهم فضلهم يعزوك وان تستصرخهم لا يخذلوك قال كسرى وخشي أن يأتي منه كلام يحمله على السخط عليه حسبك أبلغت وأحسنت (ثم قام قيس بن مسعود الشيباني) فقال أطاب الله بك المراشد وجنبك المصائب ووقاك مكروه الشصائب ما أحقنا اذ أتيناك باسماعك ما لا يحنق صدرك ولا يزرع لنا حقدا في قلبك لم نقدم أيها الملك لمساماة ولم ننتسب لمعاداة ولكن لتعلم أنت ورعيتك ومن حضرك من وفود الامم انا في المنطق غير محجمين وفي الناس غير مقصرين ان جورينا فغير مسبوقين وان سومينا فغير مغلوبين قال كسرى غير انكم اذا عاهدتم غير وافين وهو يعرض به في تركه الوفاء بضمانه السواد قال قيس أيها الملك ما كنت في ذلك الا كواف غدر به أو كخافر أخفر بذمته قال كسرى ما يكون لضعيف ضمان ولا لذليل خفارة قال قيس أيها الملك ما أنا فيما أخفر من ذمتي أحق بالزامي العار منك فيما قتل من رعيتك وانتهك من حرمتك قال كسرى ذلك ان ائتمن الخانة واستنجد الا ثمة نالهم من الخطأ ما نالني وليس كل الناس سواء كيف رأيت حاجب بن زرارة لم يحكم قواه فيبرم ويعهد فيوفي ويعد فينجز قال وما أحقه بذلك وما

سلطان الرسل الذي انقاد به المستصعب واستقام الاصيد وبهت الكافر وسلم الممتنع حتى اشتب الحق بانصاره وخلا ربع الباطل من عماره وخير البيان ما كان مصرحا عن المعنى ليسرع الى الفهم تلقيه وموجزا يخف على اللفظ تعاطيه وفضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول وظاهر غير خفي يشهد بذلك عجز المتعاطين ووهن المتكلفين وتحير الكذابين وهو المبلغ الذي لا يمل والجديد الذي لا يخلق والحق الصادع والنور الساطع والماحي لظلم الضلال ولسان الصدق النافي للكذب ونذير قدمته الرحمة قبل الهلاك وناعي الدنيا المنقولة وبشير الآخرة المخلدة ومفتاح الخير ودليل الجنة ان اوجز كان كافيا وان أكثر كان مذكرا وان اوما كان مقنعا وان اطال كان مفهما وان امر فناصحا وان حكم فعادلا وان اخبر فصادقا وان بين فشافيا سهل على الفهم صعب على المتعاطي قريب المأخذ بعيد المرام سراج تستضيء به القلوب حلو اذا تذوقته العقول بحر العلوم وديوان الحكم وجوهر الكلم ونزهة المتوسمين وروح قلوب المؤمنين نزل به الروح الامين على محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين فخصم الباطل وصدع بالحق وتألف من النفرة وانقذ من الهلكة فرصل الله له النصر واضرع به خد الكفر (قال) علي بن عيسى الرماني البلاغة ما حط التكلف

رأيته الا لي قال كسرى القوم يرل فأفضلها أشدها ﴿ثم قام عامر بن الطفيل العامري﴾ فقال كثر فنون المنطق ولبس القول أعمى من حندس الظلماء وانما الفخر في الفعال والعجز في النجدة والسودد مطاوعة القدرة وما أعلمك بقدرنا وأبصرك بفضلنا وبالحرا ان أدالت الايام وثابت الاحلام أن تحدث لنا أمورا لها أعلام قال كسرى وما تلك الاعلام قال مجتمع الاحياء من ربيعة ومضر على أمر يذكر قال كسرى وما الامر الذي يذكر قال مالي علم بأكثر مما خبرني به مخبر قال كسرى متى تكاهنت يا ابن الطفيل قال لست بكاهن ولكني بالرمح طاعن قال كسرى فان أتاك آت من جهة عينك العوراء ما أنت صانع قال ما هيبتي في قفاي بدون هيبتي في وجهي وما أذهب عيني عبث ولكن مطاوعة العبث ﴿ثم قام عمرو بن معد يكرب الزبيدي﴾ فقال انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فبلاغ المنطق الصواب وملاك النجعة الارتياد وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة وتوقيف الخبر خير من اعتساف الحيرة فاجتبذ طاعتنا بلفظك واكتظم بادرتنا بحلمك وألن لنا كنفك يسلس لنا قيادنا فانا أناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضما ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضما ﴿ثم قام الحرث بن ظالم المري﴾ فقال ان من آفة المنطق الكذب ومن لؤم الاخلاق الملق ومن خطل الرأي خفة الملك المسلط فان أعلمناك ان مواجهتنا لك عن ائتلاف وانقيادنا لك عن تصاف فما أنت لقبول ذلك منا بخليق ولا للاعتماد عليه بحقيق ولكن الوفاء بالعهود واحكام ولث العقود والامر بيننا وبينك معتدل ما لم يأت من قبلك ميل أو زلل قال كسرى من أنت قال الحرث ابن ظالم قال ان في أسماء آبائك لدليلا على قلة وفائك وأن تكون أولى بالغدر وأقرب من الوزر قال الحرث ان في الحق مغضبة والسرو التغافل ولن يستوجب أحد الحلم الا مع القدرة فلتشبه أفعالك مجالسك قال كسرى هذا فتى القوم ثم قال كسرى قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم وتفنن فيه متكلموكم ولولا أني أعلم أن الادب لم يثقف أودكم ولم يحكم أمركم وأنه ليس لكم ملك يجمعكم فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة فنطقتم بما استولى على ألسنتكم وغلب على طباعكم لم أجز لكم كثيرا مما تكلمتم به واني لأكره أن أجبه وفودي أو أحنق صدورهم والذي أحب من اصلاح مدبركم وتألف شواذكم والاعذار الى الله فيما بيني وبينكم وقد قبلت ما كان في منطقكم من صواب وصفحت عما كان فيه من خلل فانصرفوا الى ملككم فأحسنوا موازرته والتزموا طاعته واردعوا سفهاءكم وأقيموا أودهم وأحسنوا أدبهم فان في ذلك صلاح العامة ﴿وفود حاجب بن زرارة على كسرى﴾ العتبي عن أبيه ان حاجب بن زرارة وفد على كسرى لما منع تميما من ريف العراق فاستأذن عليه فأوصل اليه أسيد العرب أنت قال لا قال فسيد مضر قال لا قال فسيد بني أبيك أنت قال لا ثم أذن له فلما دخل عليه قال له من أنت قال سيد العرب قال أليس قد أوصلت اليك أسيد العرب فقلت لا حتى اقتصرت بك على بني أبيك فقلت لا قال له أيها الملك لم أكن كذلك حتى دخلت عليك فلما دخلت عليك صرت سيد العرب قال كسرى آه املؤا فاه درا ثم قال انكم معشر العرب غدر فان أذنت لكم أفسدتم البلاد وأغرتم على العباد وآذيتموني قال حاجب فاني ضامن للملك أن لا يفعلوا قال فمن لي بان تفي أنت قال أرهنك قوسي فلما جاء بها ضحك من حوله وقالوا لهذه العصا يفي قال كسرى ما كان ليسلمها لشئ أبدا فقبضها منه وأذن لهم أن يدخلوا الريف (ثم) ان مضر أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هلك قومك وأكلتهم الضبع يريدون الجوع والعرب يسمون السنة الضبع والذئب قال جرير من ساقت السنة الشهباء والذئب * فدعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم فأحيوا وقد كان دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر وابعث عليهم سنين كسني يوسف (ومات) حاجب ابن زرارة فارتحل عطارد بن حاجب الى كسرى يطلب قوس أبيه فقال له ما أنت الذي رهنتها قال أجل قال فما فعل قال هلك وهو أبي وقد وفى له قومه ووفى هو للملك فردها عليه وكساه حلة فلما وفد الى النبي

فنه وبني على التبيين وكانت القافية أغلب عليه من القافية بأن جمع مع ذلك سهولة المخرج مع قرب المتناول وعذوبة اللفظ مع رشاقة المعنى وأن يكون حسن الابتداء كحسن الانتهاء وحسن الوصل كحسن القطع في المعنى والسمع وكانت كل كلمة قد وقعت في حقها والى جنب اختها حتى لا يقال لو كان كذا في موضع كذا لكان أولى حتى لا يكون فيه لفظ مختلف ولا معنى مستكره ثم ألبس بهاء الحكمة ونور المعرفة وشرف المعنى وجزالة اللفظ وكانت حلاوته في الصدر وجلالته في النفس تفتق الفهم وتنشر دقائق الحكم وكان ظاهر النفع شريف القصد معتدل الوزن جميل المذهب كريم المطلب فصيحا في معناه بينا في فحواه وكل هذه الشروط قد حواها القرآن ولذلك عجز عن معارضته جميع الانام

﴿ألفاظ لاهل العصر في ذكر القرآن﴾

القرآن حبل الله الممدود وعهده المعهود وظله العميم وصراطه المستقيم وحجته الكبرى ومحجته الوسطى وهو الواضح سبيله الراشد دليله الذي من استضاء بمصابيحه أبصر ونجا ومن أعرض عنه ضل وهوى فضائل القرآن لا تستقصى في ألف قرن حجة الله وعهده ووعيده ووعده به يعلم الجاهل ويعمل العالم العامل وينتبه الساهي ويتذكر اللاهي بشير الثواب ونذير العقاب وشفاء الصدور

وجلاء الامور من قضائه انه يقرأ دائما ويكتب ويملي ولا يمل ما اهون الدنيا على من جعل القرآن امامه وتصور الموت امامه طوبى لمن جعل القرآن مصباح قلبه ومفتاح لبه من حق القرآن حفظ ترتيبه وحسن ترتيله * قال بعض الحكماء الحكمة موقظة للقلوب من سنة الغفلة ومنقذة للبصائر من سكرة الحيرة ومحيية لها من موت الجهالة ومستخرجة لها من ضيق الضلالة والعلم دواء للقلوب العليلة ومشحذ للاذهان الكليلة ونور في الظلمة وانس في الوحشة وصاحب في الوحدة وسمير في الخلوة ووصلة في المجالس ومادة للعقل وتلقيح للفهم ونافٍ للتي المزرى باهل الاحساب المقصر بذوي الالباب انطق الله سبحانه اهله بالبيان الذي جعله صفة لكلامه في تنزيله وايد به رسله ايضاحا للمشكلات وفصلا بين الشبهات شرف به الوضيع واعز به الذليل وسود به المسود من تحلى بغيره فهو معطل ومن تعطل منه فهو مغفل لا تبليه الايام ولا تخترمه الدهور يتجدد على الابتذال ويزكو على الانفاق لله على ما من به من عباده الحمد والشكر * قيل لعمرو بن عبيد ما البلاغة قال ما بلغك الجنة وعدل بك عن النار وبصرك مواقع رشدك وعواقب غيك قال السائل ليس هذا أريد قال من لم يحسن ان يسكت لم يحسن ان يستمع ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول قال ليس هذا اريد قال قال النبي

صلى الله عليه وسلم عطارد بن حاجب وهو رئيس تميم وأسلم على يديه أهداها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها فباعها من رجل من اليهود بأربعة آلاف درهم

(وفود أبي سفيان الى كسرى) الاصمعي قال حدثنا عبد الله بن دينار عن عبد الله بن بكر المري قال أبو سفيان أهديت لكسرى خيلا وأدما فقبل الخيل ورد الادم وأدخلت عليه فكان وجهه وجهان من عظمه فألقى الي مخدة كانت عنده فقلت واسوءتاه أهذه حظي من كسرى بن هرمز قال فخرجت من عنده فما أمر لي أحد من حشمه الا أعطيها حتى دفعت الى خازن له فأخذها وأعطاني ثمانية آناء من فضة وذهب (قال الاصمعي) فحدثت بهذا الحديث أبا البورستان الفارسي فقال كانت وظيفة المخدة ألفا الآن الخازن اقتطع منها مائتين

(وفود حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر) قال وفد حسان بن ثابت على النعمان بن المنذر قال ولقيت رجلا ببعض الطريق فقال لي اين تريد قلت هذا الملك قال فانك اذا جئته متروك شهرا ثم تترك شهرا آخر ثم عسى أن يأذن لك فان أنت خلوت به وأعجبته فأنت مصيب منه خيرا وان رأيت أبا امامة النابغة فاظعن فانه لا شيء لك قال فقدمت عليه ففعل بي ما قال ثم خلوت به وأصبت مالا كثيرا ونادمته فبينا انا معه اذا رجل يرتجز حول القبة ويقول

تنام أم تسمع رب القبة * يا أوهب الناس لعنس صلبه
ضرابة بالمشفر الاذبه * ذات عباب في يديها خلبه

فقال النعمان أبو امامة ائذنوا له فدخل فحياه وشرب معه ووردت النعم السود ولم يكن لأحد من العرب بعير أسود غيره ولا يفتحل أحد فحلا أسود فاستأذنه النابغة في الانشاد فأذن له فأنشده قصيدته التي يقول فيها

فانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فأمر له بمائة ناقة من الابل السود برعاتها فما حسدت أحدا قط حسدي له في شعره وجزيل عطائه

(وفود قريش على سيف بن ذي يزن بعد قتله الحبشة) نعيم بن حماد قال أخبرنا عبد الله بن المبارك عن سفيان الثوري قال قال ابن عباس لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم أتته وفود العرب وأشرافها وشعراؤها تهنئه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثار قومه فأتاه وفد قريش فيهم عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس وأسد بن عبد العزى وعبد الله بن جدعان فقدموا عليه وهو في قصر له يقال له غمدان وله يقول أبو الصلت والد أمية بن أبي الصلت

لم يدرك الثار أمثال ابن ذي يزن * لجج في البحر للاعداء أحوالا
أتى هرقل وقد شالت نعامته * فلم يجد عنده القول الذي قالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد تاسعة * من السنين لقد أبعدت ايغالا
حتى أتى ببني الاحرار يقدمهم * انك عمري لقد أسرعت ارقالا
من مثل كسرى وبهرام الجنود له * ومثل وهرز يوم الجيش اذ جالا
لله درهم من عصبة خرجوا * ما ان رأينا لهم في الناس أمثالا
صيدا جحاجحة بيضا خضارمة * أسدا تربب في الغابات أشبالا
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد * غادرت أوجههم في الارض أفلالا
اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا * في رأس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطل بالمسك اذ شالت نعامتهم * وأسبل اليوم في برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فطلبوا الاذن عليه فأذن لهم فدخلوا فوجدوه متضمخا بالعنبر يلصق وبيص المسك في مفرق رأسه وعليه بردان أخضران قد ائتزر بأحدهما وارتدى بالآخر وسيفه بين يديه والملوك عن يمينه وشماله وأبناء الملوك والمقاول فدنا عبد المطلب فاستأذنه في الكلام فقال له قل فقال ان الله تعالى أيها الملك أحلك محلا رفيعا صعبا منيعا باذخا شامخا وأنبتك منبتا طابت أرومته وعزت جرثومته ونبل أصله وبسق فرعه في أكرم معدن وأطيب موطن فأنت أبيت اللعن رأس العرب وربيعها الذي

بمتخصب وملكها الذى به تنقاد وعمودها الذى عليه العماد ومعقلها الذى اليه يلجأ العباد سلفك خير سلف وأنت لنا بعدهم خير خلف ولن يهلك من أنت خلفه ولن يخمل من أنت سلفه نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته وسدنة بيته أشخصنا اليك الذى أنهجك لكشف الكرب الذى فدحنا فنحن وفد التهنئة قال من أنت أيها المتكلم قال أنا عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا قال نعم فأدناه وقربه ثم أقبل عليه وعلى القوم وقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا ربحلا يعطى عطاء جزلا فذهبت مثلا وكان اول ما تكلم به قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فاهل الليل والنهار أنتم ولكم القربى ما أقمتم والحباء اذا ظعنتم قال ثم استنهضوا الى دار الضيافة والوفود وأجرى عليهم الانزال فاقاموا ببابه شهرا لا يصلون اليه ولا يأذن لهم فى الانصراف ثم انتبه اليهم انتباهة فدعا بعبد المطلب من بينهم فخلا به وأدنى مجلسه وقال يا عبد المطلب انى مفوض اليك من علمى أمرا لو غيرك كان لم أبح له به ولكنى رأيتك معدنه فاطلعتك عليه فليكن مصونا حتى يأذن الله فيه فان الله بالغ أمره انى أجد فى العلم المخزون والكتاب المكنون الذى ادخرناه لانفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس كافة ولرهطك عامة ولنفسك خاصة قال عبد المطلب مثلك أيها الملك بر وسر وبشر ما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر قال ابن ذى يزن اذا ولد مولود بتهامة بين كتفيه شامة كانت له الامامة الى يوم القيامة قال عبد المطلب أبيت اللعن لقد أبت بخير ما آب به أحد فلولا اجلال الملك لسألته عما ساره الى ما ازداد به سرورا قال ابن ذى يزن هذا حينه الذى يولد فيه أو قد ولد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه قد وجدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه ويفتتح كرائم الارض ويضرب بهم الناس عن عرض يخمد الاديان ويكسر الاوثان ويعبد الرحمن قوله حكم وفصل وأمره حزم وعدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال عبد المطلب طال عمرك ودام ملكك وعلا جدك وعز فخرك فهل الملك يسرنى بأن يوضح فيه بعض الايضاح فقال ابن ذى يزن والبيت ذى الطنب والعلامات والنصب انك يا عبد المطلب لجده من غير كذب فخر عبد المطلب ساجدا قال ابن ذى يزن ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا أمرك فهل أحسست شيأ مما ذكرت لك قال عبد المطلب أيها الملك كان لى ابن كنت له محبا وعليه حدبا مشفقا فزوجته كريمة من كرائم قومه يقال لها آمنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام بين كتفيه شامة فيه كل ما ذكرت من علامة مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه (قال) ابن ذى يزن ان الذى قلت لك كما قلت فاحفظ ابنك واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فانى لست آمن أن تدخلهم النفاسة من أن تكون لكم الرياسة فيبغون لك الغوائل وينصبون لك الحبائل وهم فاعلون وأبناؤهم ولولا أنى أعلم ان الموت مجتاحى قبل مبعثه لسرت بخيلى ورجلى حتى أصير بيثرب دار مهاجره فانى أجد فى الكتاب الناطق والعلم السابق أن بيثرب دار هجرته وبيت نصرته ولولا أنى أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه وأوطأت أقدام العرب عقبه ولكنى صارف اليك ذلك عن تقصير منى بمن معك ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد وعشر اماء سود وخمسة أرطال فضة وحلتين من حلل اليمن وكرش مملوءة عنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال اذا حال الحول فانبئنى بما يكون من أمره فما حال الحول حتى مات ابن ذى يزن فكان عبد المطلب بن هاشم يقول يا معشر قريش لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك فانه الى نفاد ولكن يغبطنى بما يبقى لى ذكره وفخره ولعقبى فاذا قالوا له وماذاك قال سيظهر بعد حين ﴿وفود عبد المسيح على سطيح﴾ جرير بن حازم عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان ليلة ولد النبى صلى الله عليه وسلم ارتج ايوان كسرى فسقطت منه اربع عشرة شرافة فعظم ذلك على

صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء فينا بكء أى قلة الكلام وكانوا يكرهون ان يزيد منطق الرجل على عقله قال السائل ليس هذا اريد قال كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام ما لا يخافون من فتنة السكوت وسقطات الصمت قال ليس هذا أريد قال عمرو يا هذا فكأنك تريد تخير اللفظ فى حسن الافهام قال نعم قال انك ان أردت تقرير حجة الله عز وجل فى عقول المكلفين وتخفيف المؤنة على المستمعين وتزيين تلك المعانى فى قلوب المريدين بالالفاظ الحسنة فى الآذان المقبولة عند الاذهان رغبة فى سرعة اجابتهم ونفى الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب واستوجبت من الله جزيل الثواب فقيل لعبد الكريم بن روح الغفارى من هذا الذى صبر له عمرو هذا الصبر قال سألت عن ذلك أبا حفص الشمرى فقال ومن يجترئ عليه هذه الجراءة الا حفص بن سالم * وعمرو ابن عبيد بن باب هو رئيس المعتزلة فى وقته وهو أول من تكلم على المخلوق واعتزل مجالس الحسن البصرى وهو أول المعتزلة (ودخل) عمرو بن عبيد على أبى جعفر المنصور فقال عظنى فقال يا أمير المؤمنين ان الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها يا أمير المؤمنين ان هذا الامر لو كان باقيا لاحد قبلك ما وصل اليك ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد قال

أهل مملكته فما كان أوشك ان كتب اليه صاحب اليمن يخبره ان بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وكتب اليه صاحب السماوة يخبره ان وادي السماوة انقطع تلك الليلة وكتب اليه صاحب طبرية ان الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية وكتب اليه صاحب فارس يخبره ان بيوت النيران خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة فلما تواترت الكتب أبرز سريره وظهر لأهل مملكته فأخبرهم الخبر فقال الموبذان أيها الملك اني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتني قال له وما رأيت قال رأيت ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد اقتحمت دجلة وانتشرت في بلادنا قال رأيت عظيما فما عندك في تأويلها قال ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ولكن ارسل الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان فبعث اليه عبد المسيح بن نفيلة الغساني فلما قدم عليه أخبره كسرى الخبر فقال له أيها الملك والله ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ولكن جهزني الى خال لي بالشام يقال له سطيح قال جهزوه فلما قدم الى سطيح وجده قد احتضر فناداه فلم يجبه وكلمه فلم يرد عليه فقال عبد المسيح

أصم أم تسمع غطريف اليمن * يا فاصل الخطة أعيت من ومن * أتاك شيخ الحي من آل سنن

أبيض فضفاض الرداء والبدن * رسول قيل العجم يهوي للوثن * لا يرهب الوعد ولا ريب الزمن

فرفع اليه رأسه وقال عبد المسيح على جمل مشيح الى سطيح وقد أوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاج الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد اقتحمت في الواد وانتشرت في البلاد عبد المسيح اذا ظهرت التلاوة وفاض وادي السماوة وظهر صاحب الهراوة فليست الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات عدد سقوط الشرفات وكل ما هو آت آت (ثم قال)

ان كان ملك بني ساسان أفرطهم * فان ذا الدهر أطوار دهارير

منهم بنو الصرح بهرام واخوته * والهرمزان وسابور وسابور

فربما أصبحوا منهم بمنزلة * يهاب صولتهم الأسد المهاصير

حثوا المطي وجدوا في رحالهم * فما يقوم لهم سرج ولا كور

والناس أولاد علات فمن علموا * ان قد أقل فمحقور ومهجور

والخير والشر مقرونان في قرن * فالخير متبع والشر محذور

ثم أتى كسرى خبره فأفعمه ذلك ثم تعزى فقال الى أن يملك منا أربعة عشر ملكا يدور الزمان فهلكوا كلهم في أربعين سنة ❁ (وفود همدان على النبي صلى الله عليه وسلم) ❁ قدم مالك بن نمط في وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقوه مقبلا من تبوك فقال مالك بن نمط يا رسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تأخذهم في الله لومة لائم مخلاف خارف ويام عهدهم لا ينتقض عن سنة ما حل ولا سوداء عنقفير ما قامت لعلع وما جرى اليعفور بصلع فكتب اليهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا كتاب من محمد رسول الله الى مخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذي المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والكبش الحواري وعليهم الصالغ والقارح ❁ (وفود النخع على النبي صلى الله عليه وسلم) ❁ قدم أبو عمرو النخعي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني رأيت في طريقي هذه رؤيا رأيت أتانا تركتها في الحي ولدت جديا أسفع أحوى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك من أمة تركتها مصرة حملا قال نعم تركت أمة لي أظنها قد حملت قال فقد ولدت غلاما وهو ابنك قال فما له أسفع أحوى قال ادن مني فدنا منه فقال هل بك برص تكتمه قال نعم والذي بعثك بالحق ما رآه مخلوق ولا علم به قال فهو ذلك قال ورأيت النعمان ابن المنذر عليه قرطان ودملجان ومسكتان قال ذلك ملك العرب عاد الى أفضل زيه وبهجته قال ورأيت عجوزا شمطاء تخرج من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورأيت نارا خرجت من الارض

فبكى المنصور حتى بل ثوبه ثم قال حاجتك يا أبا عثمان وكان المنصور لما دخل عليه طرح عليه طيلسانا فقال يرفع هذا الطيلسان عني فرفع فقال له أوجه فرلا تدع اتيانا قال نعم لا يضمني واياك بلد الا دخلت اليك ولا بدت لي حاجة الا سألتك ولكن لا تعطني حتى أسألك ولا تدعني حتى آتيك قال اذن لا تأتينا أبدا * وقد روي مثل هذا لابن السماك مع الرشيد * وقوله لو كان هذا الامر باقيا لأحد قبلك ما وصل اليك كقول ابن الرومي

لعمرك ما الدنيا بدار اقامة * اذا زال عن عين البصير غطاؤها

وكيف بقاء الناس فيها وانما * ينال بأسباب الفناء بقاؤها

(ووعظ) شبيب بن شيبة المنصور فقال يا أمير المؤمنين ان الله لم يجعل فوقك أحدا فلا تجعل فوق شكره شكرا * ودخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده المهدي فقال له هذا ابن أخيك المهدي ولي عهد المسلمين فقال سميته اسما لم يستحق عمله وبقضي اليك الامر وأنت عنه مشغول * وكان عمرو بن عبيد يقول اللهم اغنني بالافتقار اليك ولا تفقرني بالاستغناء عنك وقال له المنصور يا أبا عثمان أعني بأصحابك قال يا أمير المؤمنين أظهر الحق يتبعك أهله * وقال عمر الشعري وكان عمرو بن عبيد لا يكاد يتكلم وان تكلم لم يكد يطيل وكان يقول لا خير في المتكلم اذا كان كلامه لمن يشهده دون قائله واذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ولا خير في شيء

فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو ورأيتها تقول لظى لظى بصير واعمى اطعموني آكلكم آكلكم اهلكم ومالكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم تلك فتنة في آخر الزمان قال وما الفتنة يا رسول الله قال يقتل الناس امامهم ثم يشتجرون اشتجار اطباق الرأس وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصابعه يحسب المسيء انه محسن ودم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء ﴿وفود كلب على النبي صلى الله عليه وسلم﴾ قدم قطن بن حارثة العليمي في وفد كلب على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر كلاما فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا نسخته هذا كتاب من محمد رسول الله لعمائر كلب واحلافها ومن صادة الاسلام من غيرها مع قطن بن حارثة العليمي باقامة الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة لحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر شهود من المسلمين سعد بن عبادة وعبد الله بن أنيس ودحية بن خليفة الكلبي عليهم في الحمولة الراعية البساط الظؤار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار والحمولة المائرة لهم لاغية وفي الشوى الورى مسنة حامل أو حائل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر من ثمرها مما اخرجت أرضها وفي العذى شطره بقيمة الامين فلا تزاد عليهم وظيفة ولا تفرق يشهد الله تعالى على ذلك ورسوله وكتب ثابت بن قيس بن شماس ﴿وفود ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم﴾ وفدت ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فكتب لهم كتابا حين أسلموا ان لهم ذمة الله وان واديهم حرام عضاهه وصيده وظلم فيه وان ما كان لهم من دين الى أجل فبلغ أجله فانه لياط مبرأ من الله ورسوله وان ما كان لهم من دين في رهن وراء عكاظ فانه يقضى الى رأسه ويلاط بعكاظ ﴿وفود مذحج على النبي صلى الله عليه وسلم﴾ وفد ظبيان بن حداد في سراة مذحج على النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء على الله عز وجل بما هو أهله الحمد لله الذى صدع الارض بالنبات وفتق السماء بالرجع ثم قال نحن قوم من سراة مذحج من يحابر بن مالك ثم قال فتوقلت بنا القلاص من أعالى الحوف ورؤس الهضاب ترفعها عوار الربا وتخفضها بطنان الرقاق وتلحقها دياجي الدجا ثم قال وسروات الطائف كانت لبنى مهلائيل بن قينان غرسوا وديانه وذللوا خشانه ورعوا قربانه ثم ذكر نوحا حين خرج من السفينة بمن معه قال فكان أكثر بنيه بنا تاوأسرعهم نباتا عادا وثمود فرماهم الله بالدمالق وأهلكهم بالصواعق ثم قال وكانت بنوهانئ من ثمود تسكن الطائف وهم الذين خطوا مشاربها وأتوا جداولها واحيوا غراسها ورفعوا عريشها ثم قال وان حمير ملكوا معاقل الارض وقرارها وكهول الناس وأعمارها ورؤس الملوك وغرارها فكان لهم البيضاء والسوداء وفارس الحمراء والجزية الصفراء فبطروا النعم واستحقوا النقم فضرب الله بعضهم ببعض ثم قال وان قبائل من الازد نزلوا على عهد عمرو بن عامر ففتحوا فيها الشرائع وبنوا فيها المصانع واتخذوا الدسائع ثم ترامت مذحج بأسنتها وتنزت بأعنتها فغلب العز بزأذلها وقتل الكثير أقلها ثم قال وكان بنو عمرو بن حدية يخبطون عضيدها ويأكلون حصيدها ويرشحون خضيدها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نعيم الدنيا أقل وأصغر عند الله من خردلة ولو عدلت عند الله جناح ذباب لم يكن لكافر منها خلاق ولا لمسلم منها لحاق ﴿وفود لقيط بن عامر بن المنتفق على النبي صلى الله عليه وسلم﴾ وفد لقيط بن عامر بن المنتفق على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن المنتفق قال لقيط فخرجت انا وصاحبي حتى قدمنا المدينة لانسلاخ رجب فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من صلاة الغداة فقام في الناس خطيبا فقال أيها الناس الا انى قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام الا لاسمعكم اليوم الا فهل من امرئ قد بعثه قومه فقالوا اعلم لنا ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو تلهيه الضلال الا واني مسؤل هل بلغت الا اسمعوا الا اجلسوا فجلس الناس وقمت انا وصاحبي حتى اذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت يا رسول الله ما عندك من علم الغيب فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أنى ابتغي سقطه

فقال

ما تنبلك به التكلف * قال معمر أبو الاشعث قلت لبهلة الهندى أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند ما البلاغة عند اهل الهند قال بهلة عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ولكنى لا أحسن ترجمتها ولم أعالج هذه الصناعة فأثق من نفسي بالقيام بخصائصها وتلخيص معانيها قال أبو الاشعث فلقيت تلك الصحيفة المترجمة فاذا فيها أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك ان يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ولا الملوك بكلام السوقة ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة ولا يدقق المعانى كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ولا يصفيها كل التصفية ولا يهذبها غاية التهذيب ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا عليما ومن قد تعود حذف فضول الكلام واسقاط مشتركات الالفاظ وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة لا على جهة التصفح والاعتراض ووجه التطرف والاستطراف قال اسحق ابن حسان بن قوهى لم يفسر أحد البلاغة تفسير عبد الله ابن المقفع قال البلاغة اسم لمعان تجرى في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاشارة ومنها ما يكون في الحديث ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون سجعا ومنها ما يكون خطبا ومنها

فقال ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن الا الله قال علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه وعلم ما في غد وعلم المني حين يكون في الرحم قد علمه ولا تعلمونه وعلم الغيث يشرف عليكم آزلين مشفقين فيظل يضحك قد علم ان غوثكم قريب قال لقيط لن نعدم من رب يضحك خيرا وعلم يوم الساعة قلت يا رسول الله اني سائلك عن حاجتي فلا تعجلني قال سل عما شئت قال قلت يا رسول الله علمنا ما تعلم الناس وما تعلم فانا من قبيل لا يصدقون تصديقنا أحد من مذحج التي تدنو الينا وخثعم التي توالينا وعشيرتنا التي نحن منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلبثون ما لبثتم ثم يتوفى نبيكم ثم تلبثون حتى تبعث الصيحة فلعمر الهك ما تدع على ظهرها من شئ الا مات والملائكة الذين عند ربك فيصبح ربك يطوف في الارض وقد خلت عليه البلاد فيرسل ربك السماء تهضب من عند العرش فلعمر الهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت الا شقت القبر عنه حتى يخلفه من قبل رأسه فيستوي جالسا فيقول ربك مهيم لما كان فيه يقول أمس اليوم ولعهده بالحياة يحسبه حديثا بأهله فقلت يا رسول الله كيف يجمعنا بعد ما قد تمزقتنا الرياح والبلا والسباع قال أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله أشرفت على الارض وهي مدرة بالية فقلت لا تحيا هذه أبدا ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث الا أياما حتى أشرفت عليها وهي شربة واحدة ولعمر الهك لهو أقدر على ان يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الارض فتخرجون من الاصواء قال ابن اسحق الاصواء اعلام القبور من مصارعكم فتنظرون اليه ساعة وينظر اليكم قال قلت يا رسول الله كيف ونحن ملء الارض وهو شخص واحد ينظر وننظر قال أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ساعة واحدة ويريانكم قال قلت يا رسول الله فما يفعل بنا ربنا اذا لقيناه قال تعرضون عليه بادية صفحاتكم لا تخفى منكم خافية فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها قبلكم فلعمر الهك ما تخطئ وجه واحد منكم قطرة فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء وأما الكافر فتخطمه بمثل الحمم الاسود ثم ينصرف نبيكم ويتفرق على أثره الصالحون قال فتسلكون جسرا من النار يطأ أحدكم الجمرة يقول حس يقول ربك وانه فتطلعون على حوض الرسول لا يظمأ والله ناهله فلعمر الهك ما يبسط أحدكم يده الا وقع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والاذى وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما أحدا قال قلت يا رسول الله فبم نبصر يومئذ قال بمثل بصرك ساعتك هذه وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الارض واجهته بالجبال قال قلت يا رسول الله فبم نجزى من سيئاتنا وحسناتنا قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها أو يعفو قال قلت يا رسول الله فما الجنة أم النار قال لعمر الهك ان النار سبعة أبواب ما منهما بابان الا يسير الراكب بينهما سبعين عاما قال قلت يا رسول الله فعلام نطلع من الجنة قال على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة لعمر الهك ما تعلمون وخير من مثله معه وأزواج مطهرة قال قلت يا رسول الله أولنا فيها أزواج أومنهن مصلحات قال الصالحات للصالحين تلذون بهن مثل لذاتكم في الدنيا وتلذذنكم غير أن لا توالد قال لقيط أقصى ما نحن بالغون ومنتهون اليه قال قلت يا رسول الله علام أبايعك قال فبسط الي يده قال على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وزيال الشرك فلا تشرك بالله الها غيره قال فقلت وان لنا ما بين المشرق والمغرب فقبض يده وظن اني اشترط عليه شيأ لا يعطينيه قال قلت نحل منها حيث شئنا ولا يجزي عن امرئ الا نفسه فبسط الي يده وقال ذلك لك تحل حيث شئت ولا يجزي عليك الا نفسك فانصرفنا عنه ۞ (وفود قيلة على النبي صلى الله عليه وسلم) ۞ خرجت قيلة ابنة مخرمة التميمية تبغي الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عم بناتها وهو أثوب بن أزهر قد انتزع منها بناتها فبكت جويرية منهن حديباء قد أخذتها الفرصة عليها سبيج من صوف فذهبت بها فبينما هما ترتكان الجمل اذا انتفجت الارنب فقالت الحديباء الفصية والله لا يزال كعبك أعلى من كعب أثوب ثم سنح

ما يكون رسائل فغاية هذه الابواب الوحي فيها والاشارة الى المعنى والايجاز هو البلاغة فأما الخطب فيما بين السماطين وفي اصلاح ذات البين فالاكثار في غير خطل والاطالة في غير املال وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما ان خير أبيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته كأنه يقول فرق بين صدر خطبة النكاح وخطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة التواهب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فانه لا خير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير الى مغزاك والى العمود الذي اليه قصدت والغرض الذي اليه نزعت فقيل له فان مل المستمع الاطالة التي ذكرت انها حق ذلك الموضع قال اذا أعطيت كل مقام حقه وقمت بالذي يجب من سياسة الكلام وارضيت من يعرف حقوق ذلك فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فانه لا يرضيهما شئ فأما الجاهل فلست منه وليس منك ورضا جميع الناس شئ لا ينال وقد مدحوا الاطالة في مكانها كما مدحوا الايجاز في مكانه قال أبو داود بن جرير في خطباء اياد يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء (قال) أبو وجزة السعدي يصف كلام رجل

يكفي قليل كلامه وكثيره
ثبت اذا طال النضال مصيب

الثعلب فسميته اسما انسيه ناقل الحديث ثم قالت فيه مثل ما قالت في الارنب فبينما هما يرتكان الجمل اذ برك الجمل وأخذه رعدة فقالت أخذتك والامانة أخذة أثوب قالت قيلة فقلت لها فما أصنع ويحك قالت قلبي ثيابك ظهورها لبطونها وادحرجي ظهرك لبطنك وقلبي أحلاس جملك ثم خلعت سبجها فقلبته ثم ادحرجت ظهرها لبطنها فلما فعلت ما أمرتني به انتفض الجمل ثم قام ففاج وبال فقالت أعيدي عليه أداتك ففعلت ثم خرجنا نرتك فاذا أثوب يسعى وراءنا بالسيف صلتا فوألنا الى حواء ضخم فداراه حتى ألقى الجمل الى رواقه الاوسط جملا ذلولا واقتحمت داخله وأدركني بالسيف فأصابت ظبته طائفة من قرون رأسه ثم قال ألقي الي ابنة أخي يا دفار فألقيتها اليه فجعلها على منكبيه وذهب بها وكانت أعلم به من أهل البيت وخرجت الى أخت لي ناكح في بني شيبان أبتغي الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما أنا عندها تحسب اني نائمة اذ جاء زوجها من السامر فقال لها وأبيك لقد وجدت لقيلة صاحب صدق قالت أختي من هو قال حريث بن حسان الشيباني وافد بكر بن وائل ذا صباح فقالت أختي لا تخبرها فتتبع أخا بكر بن وائل بين سمع الارض وبصرها ليس معها أحد من قومها قالت وسمعت ما قالا فغدوت الى جملي فشددت عليه ثم نشدت عنه فوجدته غير بعيد فسألته الصحبة فقال نعم وكرامة وركابهم مناخة قالت فسرت معه صاحب صدق حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالناس صلاة الغداة قد أقيمت حين شق الفجر والنجوم شابكة في السماء والرجال لا تكاد تعارف من ظلمة الليل فصففت مع الرجال وكانت امرأة قريبة عهد بجاهلية فقال الرجل الذي يليني من الصف امرأة أنت أم رجل فقلت لا بل امرأة فقال انك كدت تفتنيني فصلي في النساء وراءك فاذا صف من نساء قد حدث عند الحجرات لم أكن رأيته اذ دخلت فكنت فيهن حتى اذا طلعت الشمس دنوت فجعلت اذا رأيت رجلا ذا رواء وقشر طمح اليه بصري لأرى رسول الله فوق الناس حتى جاء رجل فقال السلام عليك يا رسول الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وعليه تعني النبي صلى الله عليه وسلم أسمال مليتين كانتا بزعفران قد نفضتا ومعه عسيب نخلة مقشو غير خوصتين من أعلاه وهو قاعد القرفصاء فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متخشعا في الجلسة أرعدت من الفرق فقال جليسه يا رسول الله أرعدت المسكينة فقال رسول الله ولم ينظر الي وأنا عند ظهره يا مسكينة عليك السكينة قالت فلما قالها صلى الله عليه وسلم أذهب الله ما كان أدخل في قلبي من الرعب وتقدم صاحبي أول رجل فبايعه على الاسلام عليه وعلى قومه ثم قال يا رسول الله اكتب بيننا وبين تميم كتابا بالدهناء لا يجاوزها الينا منهم الا مسافر أو مجاور فقال يا غلام اكتب له بالدهناء قالت فلما رأيته أمر بأن يكتب له شخص بي وهي وطني وداري فقلت يا رسول الله انه لم يسألك السوية من الارض اذ سألك انما هذه الدهناء مقيد الجمل ومرعى الغنم ونساء بني تميم وأبناؤها وراء ذلك فقال امسك يا غلام صدقت المسكينة المسلم أخو المسلم يسعهما الماء والشجر ويتعاونان على الفتان فلما رأى حريث أن قد حيل دون كتابه قال كنت أنا وأنت كما قال في المثل حتفها تحمل ضأن بأظلافها فقلت أما والله ان كنت لدليلا في الظلماء جوادا لدى الرحل عفيفا عن الرفيقة ولكن لا تلمني على حظي اذ سألت حظك قال وأي حظك في الدهناء لا أبا لك قلت مقيد جملي تريده لجمل امرأتك فقال لا جرم اني أشهد رسول الله اني لك أخ ما حييت اذ أثنيت علي عنده فقلت اذ بدأتها فلن أضيعها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيلام ابن هذه أن يفصل الخطة وينتصر من وراء الحجرة فقلت فقد والله ولدته يا رسول الله حراما فقاتل معك يوم الربذة ثم ذهب يمتري من خيبر فأصابته حماها وترك علي النساء فقال أيغلب أحدكم على أن يصاحب صويحبه في الدنيا معروفا فوالذي نفس محمد بيده ان أحدكم ليبكي فيستعبر اليه صويحبه فيا عباد الله لا تعذبوا اخوانكم فكتب لها في قطعة أديم أحمر لقيلة ونسوة قيلة أن لا يظلمن حقا ولا يكرهن على منكح وكل مؤمن مسلم لهن نصير أحسن ولا تسئن ﴿ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

لاكيد

وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ولم يسم قائله وهو مولد ولم ينقصه توليده من حظ القديم شيئا

طبيب بداء فنون الكلام
لم يعي يوما ولم يهذر
فان هو أطنب في خطبة
قضى للمطيل على المنزر
وان هو أوجز في خطبة
قضى للمقل على المكثر

(وقال آخر يصف خطيبا)

فاذا تكلم خلته متكلما
بجميع عدة ألسن الخطباء
فكأن آدم كان علمه الذي
قد كان علمه من الاسماء

(وكان) أبو داود يقول تلخيص المعاني رفق والاستعانة بالغريب عجز والتشادق في الاعراب نقص والنظر في عيون الناس عي ومس اللحية هلك والخروج عما بني عليه الكلام اسهاب (وقال) بعضهم يهجو رجلا بالعي

مليء ببهر والتفات وسعلة
ومسحة عثنون وفتل الاصابع

(ووصف العتابي رجلا بليغا فقال) كان يظهر ما غمض من الحجة ويصور الباطل في صورة الحق ويفهمك الحاجة من غير اعادة ولا استعانة قيل له وما الاستعانة قال يقول عند مقاطع كلامه يا هناه واسمع وافهمت وما أشبه ذلك وهذا من امارات العجز ودلائل الحصر وانما ينقطع عليه كلامه فيحاول وصله بهذا فيكون أشد لانقطاعه (وكان) أبو داود يقول رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحاها رواية الكلام وحليها الاعراب وبهاؤها تخير اللفظ والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه (قال)

(لأكيدر دومة) من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأكيدر دومة حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكنافها ان لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامي وأغفال الأرض والحلقة ولكم السلاح والحصن ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور بعد الخمس لا تعدل سارحتكم ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة لحقها عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ❁ (كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر الحضرمي) من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاقيال العباهلة من حضرموت باقام الصلاة وايتاء الزكاة في التيعة شاة وفي التيمة لصاحبها وفي السيوب الخمس لا خلاط ولا وراط ولا شناق ولا شغار ومن أجبى فقد أربى وكل مسكر حرام ❁ (حديث جرير بن عبد الله البجلي) ❁ قدم جرير بن عبد الله البجلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن منزله ببيشة فقال سهل ودكداك وسلم وأراك وحمض وعلاك الى نخلة ونخلة ماؤها ينبوع وجنابها مريع وشتاؤها ربيع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خير الماء الشبم وخير المال الغنم وخير المرعى الاراك والسلم اذا أخلف كان لجينا واذا سقط كان درينا واذا أكل كان لبينا وفي كلامه عليه الصلاة والسلام ان الله خلق الارض السفلى من الزبد الجفاء والماء الكباء ❁ (حديث عياش بن أبي ربيعة) ❁ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عياش بن أبي ربيعة الى بني عبد كلال وقال له خذ كتابي بيمينك وادفعه بيمينك في أيمانهم فهم قائلون لك اقرأ فاقرأ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين فاذا فرغت منها فقل آمن محمد وانا أول المؤمنين فلن تأتيك حجة الا دحضت ولا كتاب زخرف الا ذهب نوره ومحي لونه وهم قارئون فاذا رطنوا فقد ترجموا فقل حسبي آمنت بالله وبما أنزل من كتاب الله فاذا أسلموا فسلهم قضبهم الثلاثة التي اذا تخصروا بها سجدلهم وهي الاثل قضيب ملمع ببياض وقضيب ذو عجز كأنه من خيزران والاسود البهيم كأنه من ساسم ثم اخرجها فحرقها في سوقهم ❁ (حديث راشد بن عبد الله السلمي) ❁ عبد الله بن الحكم الواسطي من بعض أشياخ أهل الشام قال قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب ووجه راشد بن عبد الله أميرا على القضاء والمظالم قال راشد بن عبد الله

صحا القلب عن سلمى واقصر شأوه * وردت عليه ما نفته تماضر
وحكمه شيب القذال عن الصبا * وللشيب عن بعض الغواية زاجر
فأقصر جهلي اليوم وارتد باطلي * عن الجهل لما ابيض مني الغدائر
على انه قد هاجه بعد صحوة * بمفرض ذي الاتجام عيش بواكر
ولما دنت من جانب الفرض أخصبت * وحلت ولاقاها سليم وعامر
وخبرها الركبان ان ليس بينها * وبين قرى بصرى ونجران كافر
فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

❁ (وفود نابغة بني جعدة على النبي صلى الله عليه وسلم) ❁ وفد أبو ليلى نابغة بني جعدة على النبي صلى الله عليه وسلم فأنشده شعره الذي يقول فيه

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا * وانا لنبغي فوق ذلك مظهرا

قال له النبي صلى الله عليه وسلم الى أين أبا ليلى قال الى الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى فلما انتهى الى قوله ولا خير في حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكدرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك فعاش مائة وثلاثين سنة لم ينفض له ثنية وبقي حتى وفد على عبد الله بن الزبير في أيامه بمكة وامتدحه فقال له يا أبا ليلى ان أدنى وسائلك عندنا الشعر لك في مال الله حقان حق برؤيتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق بشركتك أهل الاسلام في فيئهم ثم أحسن صلته وأجازه ❁ (وفود طهية بن أبي زهير النهدي على رسول الله صلى الله عليه وسلم) ❁ لما

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قال بعض جهابذة الالفاظ ونقاد المعاني المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في اذهانهم المختلجة في نفوسهم المتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة في معنى ومعدومة لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه ولا معنى شريكه والمعاون له على أمره وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه الا بغيره وانما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها واخبارهم عنها واستعمالهم اياها وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفي منها ظاهرا والغائب شاهدا والبعيد قريبا وهي التي تخلص الملتبس وتحل المنعقد وتجعل المهمل مقيدا والمقيد مطلقا والمجهول معروفا والوحشي مألوفا وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون ظهور المعنى وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الاشارة أبين وأنور كانت أنفع وأنجع في البيان والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله يمدحه ويدعو اليه ويحث عليه بذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف العجم والبيان اسم لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى وهتك لك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله

قدمت وفود العرب على النبى صلى الله عليه وسلم قام طهية بن أبى زهير فقال يارسول الله اتيناك من غورى تهامة باكوار الميس ترمى بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستجيل الجهام من أرض غائلة النطا غليظة الوطا نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدى ومات الودى برئنا يارسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة السلام وشريعة الاسلام ما طما البحر وقام تعار ولنا نعم همل اغفال ما تبض ببلال ووفير كثير الرسل قليل الرسل اصابتها سنية حمراء مؤزلة ليس بها علل ولا نهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها فى الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك فى المال والولد من له أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا يابنى نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة ولا تثاقل عن الصلاة وكتب معه كتابا الى بنى نهد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى بنى نهد بن زيد السلام على من آمن بالله ورسوله لكم يابنى نهد فى الوظيفة الفريضة ولكم العارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم مالم تضمروا الاماق وتأكلوا الرباق من اقر بما فى هذا الكتاب فله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى عليه فعليه الدبوة ❁ (وفود جبلة بن الايهم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه) ❁ العجلى قال حدثنى أبو الحسن على بن أحمد بن عمرو بن الاجدع الكوفى بهيت قال حدثنى ابراهيم بن على مولى بنى هاشم قال حدثنا ثقات شيوخنا ان جبلة بن الايهم بن أبى شمر الغسانى لما اراد ان يسلم كتب الى عمر بن الخطاب من الشام يعلمه بذلك ويستأذنه فى القدوم عليه فسر بذلك عمر والمسلمون فكتب اليه ان اقدم ولك ما لنا وعليك ما علينا فخرج جبلة فى خمسمائة فارس من عك وجفنة فلما دنا من المدينة ألبسهم ثياب الوشى المنسوج بالذهب والفضة ولبس يومئذ جبلة تاجه وفيه قرط مارية وهى جدته فلم يبق يومئذ بالمدينة أحد الا خرج ينظر اليه حتى النساء والصبيان وفرح المسلمون بقدومه واسلامه حتى حضر الموسم من عامه ذلك مع عمر بن الخطاب فبيناهو يطوف بالبيت اذ وطئ على ازاره رجل من بنى فزارة فحله فالتفت اليه جبلة مغضبا فلطمه فهشم انفه فاستعدى عليه الفزارى عمر بن الخطاب فبعث اليه فقال ما دعاك ياجبلة الى ان لطمت أخاك هذا الفزارى فهشمت انفه فقال انه وطئ ازارى فحله فلولا حرمة هذا البيت لاخذت الذى فيه عيناه فقال له عمر أما أنت فقد اقررت اما ان ترضيه والا اقدته منك قال أتقيده منى وأنا ملك وهو سوقة قال ياجبلة انه قد جمعك واياه الاسلام فما تفضله بشئ الا بالعافية قال والله لقد رجوت أن أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية قال عمر هو ذلك قال اذن أتنصر قال ان تنصرت ضربت عنقك قال واجتمع قوم جبلة وبنو فزارة فكادت تكون فتنة فقال جبلة أخرنى الى غد ياأمير المؤمنين قال ذلك لك فلما كان جنح الليل خرج هو وأصحابه فلم يثن حتى دخل القسطنطينية على هرقل فتنصروا وأقام عنده وأعظم هرقل قدوم جبلة وسر بذلك واقطعه الاموال والارضين والرباع فلما بعث عمر بن الخطاب رسولا الى هرقل يدعوه الى الاسلام فأجابه الى المصالحة على غير الاسلام فلما أراد أن يكتب جواب عمر قال للرسول ألقيت ابن عمك هذا الذى ببلدنا يعنى جبلة الذى أتانا راغبا فى ديننا قال ما لقيته قال القه ثم ائتنى أعطك جواب كتابك وذهب الرسول الى باب جبلة فاذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل قال الرسول فلم أزل اتلطف فى الاذن حتى أذن لى فدخلت عليه فرأيت رجلا أصهب اللحية ذا سبال وكان عهدى به اسمر أسود اللحية والرأس فنظرت اليه فأنكرته فاذاهو قد دعا بسحالة الذهب فذرها فى لحيته حتى عاد اصهب وهو قاعد على سرير من قوارير قوائمه اربعة أسود من ذهب فلما عرفنى رفعنى معه فى السرير فجعل يسائلنى عن المسلمين فذكرت خيرا وقلت قد أضعفوا أضعافا

كائنا ما كان ذلك البيان ومن أى جنس كان ذلك الدليل لان مدار الامر والغاية التى اليها يجرى القائل والسامع انما هو الفهم والافهام فبأى شئ بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع (ثم اعلم) حفظك الله ان حكم المعانى خلاف حكم الالفاظ لان المعانى مبسوطة الى غير غاية وممتدة الى غير نهاية واسماء المعانى محصورة معدودة ومحصلة محدودة وجميع اصناف الدلالة على المعانى من لفظ أو غير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ ثم الاشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التى تسمى نصبة والنصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الاصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات ولكل واحدة من هذه الدلائل الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها وحلية مخالفة لحلية أختها وهى التى تكشف لك عن أعيان المعانى فى الجملة وعن حقائقها فى التفسير وعن أجناسها واقدارها وعن خاصها وعامها وعن طبقاتها فى السار والضار وعما يكون منها لغوا بهرجا وساقطا مطرحا * وفى نحو قول أبى عثمان ان المعانى غير مقصورة ولا محصورة يقول أبو تمام الطائى لابى دلف القاسم بن عيسى العجلى

ولو كان يفنى الشعر افنته ما قرت
حياضك منه فى العصور الذواهب
ولكنه فيض العقول اذا انجلت
سحائب منه اعقبت بسحائب

كما اشار الى قول أوس بن حجر

على ما تعرف فقال كيف تركت عمر بن الخطاب قلت بخير فرأيت الغم قد تبين فيه لما ذكرت له من سلامة عمر قال فانحدرت عن السرير فقال لم تأبى الكرامة التى أكرمناك بها قلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا قال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك من الدنس ولا تبال علام قعدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت له ويحك يا جبلة الا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله قال أبعد ما كان منى قلت نعم قد فعل رجل من بنى فزارة أكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام وقبل ذلك منه وخلفته بالمدينة مسلما قال ذرنى من هذا ان كنت تضمن لى ان يزوجنى عمر ابنته ويولينى الامر بعده رجعت الى الاسلام قال ضمنت لك التزويج ولم أضمن لك الامرة قال فأومأ الى خادم بين يديه فذهب مسرعا فاذا خدم قد جاؤا يحملون الصناديق فيها الطعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة وقال لى كل فقبضت يدى وقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل فى آنية الذهب والفضة فقال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيم أحببت قال فأكل فى الذهب والفضة وأكلت فى الخلنج فلما رفع الطعام جىء بطساس الفضة وأباريق الذهب وأومأ الى خادم بين يديه فمر مسرعا فسمعت حسا فالتفت فاذا الخدم معهن كراسى مرصعة بالجوهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن يساره ثم سمعت حسا فاذا عشر جوار قد أقبلن مطمومات الشعر متكسرات فى الحلى عليهن ثياب الديباج فلم أر وجوها قط أحسن منهن فأقعدهن على الكراسى عن يمينه ثم سمعت حسا فاذا عشر جوار أخرى فأجلسهن على الكراسى عن يساره ثم سمعت حسا فاذا جارية كأنها الشمس حسنا وعلى رأسها تاج على ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه وفى يدها اليمنى جامة فيها مسك وعنبر وفى يدها اليسرى جامة فيها ماء ورد فأومأت الى الطائر أو قال فصفرت بالطائر فوقع فى جامة ماء الورد فاضطرب فيه ثم أومأت اليه أو قال فصفرت به فطار حتى نزل على صليب فى تاج جبلة فلم يزل يرفرف حتى نفض ما فى ريشه عليه وضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ثم التفت الى الجوارى اللواتى عن يمينه فقال بالله اطربننى فاندفعن يتغنين يخفقن بعيدانهن ويقلن

* لله در عصابة نادمتهم * يوما بجلق فى الزمان الاول
يسقون من ورد البريص عليهم * راحا يصفق بالرحيق السلسل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه أعفة أحسابهم * شم الانوف من الطراز الاول

قال فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال أتدرى من قائل هذا قلت لا قال قائله حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى الجوارى اللاتى عن يساره فقال بالله أبكيننا فاندفعن يتغنين يخفقن بعيدانهن ويقلن

لمن الدار أقفرت بمعان * بين أعلى اليرموك فالجمان
ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهر محلا لحادث الازمان * قد أرانى هناك دهرا مكينا
عند ذى التاج مقعدى ومكانى * ودنا الفصح فالولائد ينظمن سراعا أكلة المرجان
لم يعللن بالمغافر والصمغ * ولا نقف حنظل الشريان

قال فبكى حتى جعلت الدموع تسيل على لحيته ثم قال أتدرى من قائل هذا قلت لا أدرى قال حسان ابن ثابت ثم انشأ يقول

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى منها لجاج ونخوة * وبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى * رجعت الى الامر الذى قال لى عمر
ويا ليتنى أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسيرا فى ربيعة أو مضر
ويا ليت لى بالشام أدنى معيشة * أجالس قومى ذاهب السمع والبصر

أقول بما صبت على غمامتى وجهدى فى حبل العشيرة أحطب (وقال) بعض البلغاء فى اللسان عشر خصال محمودة أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل الخطاب وواعظ ينهى عن القبيح وناطق يرد الجواب وشافع تدرك به الحاجة وواصف تعرف به الاشياء ومعرب يشكر به الاحسان ومعز تذهب به الاحزان وحاصد يذهب الضغينة ومونق يلهى الاسماع (وقال) أبو العباس ابن المعتز لحظة القلب أسرع خطرة من لحظة العين وابعد مجالا وهى الغائصة فى أعماق أودية الفكر والمتأملة لوجوه العواقب والجامعة بين ما غاب وحضر والميزان الشاهد على ما نفع وضر والقلب كالممل للكلام على اللسان اذا نطق واليد اذا كتبت والعاقل يكسو المعانى وشى الكلام فى قلبه ثم يبديها بألفاظ كواس فى أحسن زينة والجاهل يستعجل باظهار المعانى قبل العناية بتزيين معارضها واستكمال محاسنها (وقيل) لجعفر بن يحيى البرمكى ما البيان قال ان يكون الاسم يحيط بمعناك ويكشف عن مغزاك ويخرجه من الشركة ولا يستعان عليه بالفكرة ويكون سالما من التكلف بعيدا من الصنعة بريا من التعقيد غنيا عن التأويل * وذكر سهل ابن هرون وقيل ثمامة بن أشرس جعفر بن يحيى فقال قد جمع فى كلامه ولاعته الهذ والتمهل والجزالة والحلاوة وكان يفهم افهاما يغنيه عن

ثم سألني عن حسان أحي هو قالت نعم قد كف بصره فأمر لي بكسوة ومال ونوق موقرة برا ثم قال لي ان وجدته حيا فادفع اليه الهدية واقرئه سلامي وان وجدته ميتا فادفعها الى اهله وانحر الجمال على قبره فلما قدمت على عمر أخبرته خبر جبلة وما دعوته اليه من الاسلام والشرط الذي شرطه واني ضمنت له التزويج ولم أضمن له الامرة فقال هلا ضمنت له الامرة فاذا أفاء الله به الى الاسلام قضى عليه بحكمه عز وجل ثم ذكرت له الهدية التي أهداها الى حسان بن ثابت فبعث اليه وقد كف بصره فأتى وقائد يقوده فلما دخل قال يا أمير المؤمنين اني لأجد رياح آل جفنة عندك قال نعم هذا رجل أقبل من عنده قال هات يا ابن أخي انه كريم من كرام مدحتهم في الجاهلية فحلف أن لا يلقى أحدا يعرفني الا اهدى الي معه شيأ فدفعت اليه الهدية المال والثياب وأخبرته بما كان أمر به في الابل ان وجد ميتا فقال وددت اني كنت ميتا فنحرت على قبري قال الزبير وانصرف حسان وهو يقول

ان ابن جفنة من بقية معشر * لم تغذهم آباؤهم باللوم
لم ينسني بالشام اذ هو ربها * ملكا ولا متنصرا بالروم
يعطي الجزيل ولا يراه عنده * الا كبعض عطية المذموم

فقال له رجل كان في مجلس عمر أتذكر ملوكا كفرة أبادهم الله وأفناهم قال ممن الرجل قال مزني قال اما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لطوقتك طوق الحمامة قال ثم جهزني عمر الى قيصر وأمرني ان أضمن لجبلة ما اشترط به فلما قدمت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت ان الشقاء غلب عليه في أم الكتاب ﴿وفود الاحنف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه﴾ المدائني قال قدم الاحنف بن قيس التميمي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أهل البصرة وأهل الكوفة فتكلموا عنده في أنفسهم وما ينوب كل واحد منهم وتكلم الاحنف فقال يا أمير المؤمنين ان مفاتيح الخير بيدي الله وقد أتتك وفود أهل العراق وان اخواننا من أهل الكوفة والشام ومصر نزلوا منازل الامم الخالية والملوك الجبابرة ومنازل كسرى وقيصر وبني الاصفر فهم من المياه العذبة والجنان المختلفة في مثل حولاء السلى وحدقة البعير تأتيهم ثمارهم غضة لم تخضر وانا نزلنا أرضا نشاشة طرف في فلاة وطرف في ملح اجاج جانب منها منابت القصب وجانب سبخة نشاشة لا يجف ترابها ولا ينبت مرعاها تأتينا منافعها في مثل مري النعامة يخرج الرجل الضعيف منا يستعذب الماء من فرسخين وتخرج المرأة بمثل ذلك ترنق ولدها ترنق العنز تخاف عليه العدو والسبع فالا ترفع خسيستنا وتنعش ركيستنا وتجبر فاقتنا وتزيد في عيالنا عيالا وفي رجالنا رجالا وتصغر درهمنا وتكبر قفيزنا وتأمر لنا بحفر نهر نستعذب به الماء هلكنا قال عمر هذا والله السيد هذا والله السيد قال الاحنف فما زلت اسمعها بعدها فأراد زيد بن جبلة أن يضع منه فقال يا أمير المؤمنين انه ليس هناك وأمه باهلية قال عمر هو خير منك ان كان صادقا يريد ان كانت له نية فقال الاحنف

أنا ابن الباهلية أرضعتني * بثدي لا أجد ولا وخيم
أغض على القذى اجفان عيني * الى شر السفيه الى الحليم

قال فرجع الوفد واحتبس الاحنف عنده حولا وأشهرا ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرنا كل منافق صنع اللسان واني خفتك فاحتبستك فلم يبلغني عنك الا خير رأيت لك جولا ومعقولا فارجع الى منزلك واتق الله ربك وكتب الى أبي موسى الاشعري ان يحتفر لهم نهرا ﴿وفود الاحنف وعمرو ابن الاهتم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه﴾ العتبي عن أبيه قال وفد الاحنف وعمرو بن الاهتم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأراد أن يقرع بينهما في الرياسة فلما اجتمعت بنو تميم قال الاحنف

ثوى قدح عن قومه طالما ثوى * فلما أتاهم قال قوموا تناجوا

فقال عمرو بن الاهتم انا كنا وأنتم في دار جاهلية فكان الفضل فيها لمن جهل فسفكنا دماءكم وسبينا نساءكم وانا اليوم في دار الاسلام والفضل فيها لمن حلم فغفر الله لنا ولك قال فغلب يومئذ عمرو بن الاهتم

على

عن الاعادة للكلام ولو كان يستغني مستغن عن الاشارة بمنطقه لاستغنى عنها جعفر كما استغنى عن الاعادة فانه لا يتحسن ولا يتوقف في منطقه ولا يتلجلج ولا يتسعل ولا يترقب لفظا قد استدعاه من بعد ولا يلتمس معنى قد عصاه بعد طلبه له (قيل) لبشار بن برد بم فقت اهل عصرك وسبقت اهل عصرك في حسن معاني الشعر وتهذيب الفاظه فقال لاني لم اقبل كل ما تورده علي قريحتي ويناجيني به طبعي ويبعثه فكري ونظرت الى مغارس الفطن ومعادن الحقائق ولطائف التشبيهات فسرت اليها بفهم جيد وغريزة قوية فأحكمت سبرها وانتقيت حرها وكشفت عن حقائقها واحترزت من متكلفها والله ما ملك قيادي قط الاعجاب بشيء مما آتي به * وكان بشار بن برد خطيبا شاعرا راجزا سجاعا صاحب منثور ومزدوج ويلقب بالمرعث لقوله

من لظبي مرعث
ساحر الطرف والنظر
قال لي لن تنالني
قلت او يغلب القدر

وليس هذا موضع استقصاء ذكره واختيار شعره وسأستقبل ذلك ان شاء الله تعالى (وقال الوليد بن عبيد) البحتري كنت في حداثتي اروم الشعر وكنت ارجع فيه الى طبعي ولم اكن اقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضابه حتى قصدت ابا تمام وانقطعت فيه اليه واتكلت في تعريفه عليه فكان اول ما قال لي يا ابا عبادة تخير

على الاحنف ووقعت القرعة لآل الاهتم فقال عمرو بن الاهتم

لما دعتني للرياسة منقر * لدى مجلس اضحى به النجم باديا
شددت لها ازري وقد كنت قبلها * لامثالها مما اشد ازاريا

وعمرو بن الاهتم هو الذى تكلم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن الزبرقان فقال عمرو مطاع فى أدانيه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان والله يارسول الله انه ليعلم منى اكثر مما قال ولكن حسدنى قال اما والله يارسول الله انه لزمر المروأة ضيق العطن أحمق الولد لئيم الخال والله ما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الاخرى رضيت عن ابن عمى فقلت احسن ما علمت ولم اكذب وسخطت عليه فقلت اقبح ما علمت ولم اكذب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا

﴿وفود عمرو بن معد يكرب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه﴾ اذ أوفد سعد لما فتحت القادسية على يدى سعد بن ابى وقاص أبلى فيها عمرو بن معد يكرب بلاء حسنا فأوفده سعد على عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكتب اليه معه بالفتح واثنى فى الكتاب على عمرو فلما قدم على عمر بن الخطاب سأله عن سعد فقال اعرابى فى نمرته اسد فى تامورته نبطى فى حبوته يقسم بالسوية ويعدل فى القضية وينفر فى السرية وينقل الينا حقنا نقل الذرة فقال عمر لشد ما تقارضتما الثناء وكان عمر قد كتب الى سعد يوم القادسية ان يعطى الناس على قدر ما معهم من القرآن فقال سعد لعمرو بن معد يكرب ما معك من القرآن قال ما معى شئ قال ان أمير المؤمنين كتب الى ان اعطى الناس على قدر ما معهم من القرآن فقال عمرو

اذا قتلنا ولا يبكى لنا احد * قالت قريش ألا تلك المقادير
نعطى السوية من طعن له نفذ * ولا سوية اذ تعطى الدنانير

قال فكتب سعد بأبياته الى عمر فكتب اليه ان يعطى على مقاماته فى الحرب ﴿وفود أهل اليمامة على أبى بكر الصديق رضى الله عنه﴾ وفد أهل اليمامة على أبى بكر الصديق رضى الله عنه بعد ايقاع خالد وقتله مسيلمة الكذاب فقال لهم أبو بكر ما كان يقول صاحبكم قالوا اعفنا ياخليفة رسول الله قال لابد ان تقولوا قالوا كان يقول ياضفدع كم تنقين لا الشراب تمنعين ولا الماء تكدرين لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريش قوم لا يعدلون فقال لهم ابو بكر ويحكم ما خرج هذا من ال ولا بر فأين ذهب بكم قال ابو عبيد الال الله تعالى والبر الرجل الصالح ﴿وفود عمرو بن معد يكرب على مجاشع ابن مسعود﴾ وفد عمرو بن معد يكرب الزبيدى على مجاشع بن مسعود السلمى وكانت بين عمرو وبين سليم حروب فى الجاهلية فقدم عليه البصرة يسأله الصلة فقال له اذكر حاجتك فقال له حاجتى صلة مثلى فأعطاه عشرة آلاف درهم وفرسا من بنات الغبراء وسيفا جرازا ودرعا حصينة وغلاما خبازا فلما خرج من عنده قال له أهل المجلس كيف وجدت صاحبك قال لله بنو سليم ما أشد فى الهيجاء لقاءها واكرم فى اللأواء عطاءها واثبت فى المكرمات بناءها والله يابنى سليم لقد قاتلناكم فى الجاهلية فما اجبناكم ولقد هاجيناكم فما أفحمناكم ولقد سألناكم فما ابخلناكم

فلله مسؤلا نوالا ونائلا * وصاحب هيج يوم هيج مجاشع

﴿وفود الحسن بن على رضى الله عنهما على معاوية رضى الله عنه﴾ ابو بكر بن أبى شيبة قال وفد الحسن بن على رضى الله عنهما على معاوية بعد عام الجماعة فقال له معاوية والله لاحبونك بجائزة ما اجزت بها احدا قبلك ولا اجيز بها أحدا بعدك فأمر له بمائة ألف وفى بعض الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على ابنته فاطمة فوجد الحسن طفلا يلعب بين يديها فقال لها ان الله تعالى سيصلح على يدى ابنك هذا بين فئتين عظيمتين من المسلمين ﴿وفود زيد بن منبه على معاوية رحمه الله﴾ العتبى قال قدم زيد بن منبه على معاوية من البصرة وهو أخو يعلى بن منبه صاحب جمل عائشة ومتولى تلك الحروب ورأس أهل البصرة وكان عتبة بن أبى سفيان قد تزوج ابنة يعلى بن منبه فلما دخل على

الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة جرت فى الاوقات ان يقصد الانسان لتأليف شئ او حفظه فى وقت السحر وذلك ان النفس قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وان اردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا واكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الاشواق ولوعة الفراق فاذا اخذت فى مدح سيد ذى اياد فاشهر مناقبه واظهر مناسبه وابن معالمه وشرف مقامه ونضد المعانى واحذر المجهول منها واياك ان تشين شعرك بالالفاظ الرديئة وكن كانك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجساد واذا عارضك الضجر فارح نفسك ولا تعمل شعرك الا وانت فارغ القلب واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة الى حسن نظمه فان الشهوة نعم المعين وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله قال فأعملت نفسى فيما قال فوقفت على السياسة * وقالوا البليغ من يحوك الكلام على حسب الامانى ويخيط الالفاظ على قدود المعانى * ولذكر الطائى الليل ذكر بعض اهل العصر وهو ابو على محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمى الليل فقال فيه تجم الاذهان وتنقطع الاشغال ويصح النظر وتؤلف الحكمة وتدر الخواطر ويتسع مجال القلب والليل

معاوية شكا اليه دينا لزمه فقال يا كعب أعطه ثلاثين ألفا فلما ولى قال وليوم الجمل ثلاثين ألفا أخرى ثم قال له الحق بصهرك يعني عتبة فقدم عليه مصر فقال انى سرت اليك شهرين أخوض فيهما المتالف ألبس أردية الليل مرة وأخوض في السراب أخرى موقرا من حسن الظن بك وهاربا من دهر قطم ودين لزم بعد غنى جدعنا به أنوف الحاسدين فلم أجد الا اليك مهربا وعليك معولا فقال عتبة مرحبا بك وأهلا ان الدهر أعاركم غنى وخلطكم بنا ثم استرد ما أمكنه أخذه وقد أبقى لكم منا ما لا ضيعة معه وأنا واضع يدي ويدك بيد الله فأعطاه ستين ألفا كما أعطاه معاوية رحمه الله تعالى ﴿وفود عبد العزيز ابن زرارة على معاوية رحمه الله تعالى﴾ العتبي عن أبيه قال وفد عبد العزيز بن زرارة على معاوية وهو سيد أهل الكوفة فلما أذن له وقف بين يديه وقال يا أمير المؤمنين لم أزل أهز ذوائب الرحال اليك اذ لم أجد معولا الا عليك أمتطي الليل بعد النهار وأسم المجاهل بالآثار يقودني اليك أمل وتسوقني بلوى والمجتهد يعذر واذ بلغتك فقطني فقال معاوية أحطط عن راحلتك رحلها وخرج عبد العزيز بن زرارة مع يزيد بن معاوية الى الصائفة فهلك هنالك فكتب به يزيد بن معاوية الى معاوية فقال لزرارة أتاني اليوم نعي سيد شباب العرب قال زرارة يا أمير المؤمنين هو ابني أو ابنك قال بل ابنك قال للموت ما تلد الوالدة (أخذه سابق البربري فقال)

وللموت تغذو الوالدات سخالها * كما لخراب الدهر تبنى المساكن

(وقال آخر) للموت يولد منا كل مولود * لا شيء يبقى ولا يبقى بموجود

﴿وفود عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية﴾ المدائني قال قدم عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية فقال له كم كان عطاؤك فقال له ألف ألف قال قد أضعفناها لك قال فداك أبي وأمي وما قلتها لأحد قبلك قال أضعفناها لك ثانية فقيل ليزيد أتعطي رجلا واحدا أربعة آلاف ألف فقال ويحكم انما أعطيتها أهل المدينة أجمعين فما يده فيها الا عارية فلما كان في السنة الثانية قدم عبد الله بن جعفر وقدم مولى له يقال له نافع كانت له منزلة من يزيد بن معاوية قال نافع فلما قدمنا عليه أمر لعبد الله بن جعفر بألف ألف وقضى عنه ألف ألف ثم نظر الى فتبسم فقلت هذه لتلك الليلة وكنت سامرته ليلة في خلافة معاوية وأسمعته فيها فذكرته بها وقدمت عليه هدايا من مصر كثيرة فأمر بها لعبد الله بن جعفر وكانت له مائة ناقة فقلت لابن جعفر لو سألته منها شيئا نحتمله في طريقنا ففعل فأمر بصرفها كلها اليه فلما أراد الوداع أرسل الى فدخلت عليه فقال وبلك انما أخرتك لأتفرغ اليك هات قول جميل

خليلي فيما عشتما هل رأيتما * قتيلا بكى من حب قاتله قبلي

قال فأسمعته فقال أحسنت والله هات حاجتك فما سألته شيئا الا أعطانيه فقال ان يصلح الله هذا الامر من قبل ابن الزبير تلقانا بالمدينة فان هذا لا يحسن الا هنالك فمنع والله من ذلك شؤم ابن الزبير ﴿وفود عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان﴾ قال بديح وفد عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وكان زوج ابنته أم كلثوم من الحجاج على ألفي ألف في السر وخمسمائة ألف في العلانية وحملها اليه الى العراق فمكثت عنده ثمانية أشهر قال بديح فلما خرج عبد الله بن جعفر الى عبد الملك بن مروان خرجنا معه حتى دخلنا دمشق فاذا نحن قد حططنا رحالنا اذ جاءنا الوليد بن عبد الملك على بغلة وردة ومعه الناس فقلنا جاء الى ابن جعفر ليحييه ويدعوه الى منزله فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له لكن أنت لا مرحبا بك ولا أهلا فقال مهلا يا ابن أخي فلست أهلا لهذه المقالة منك قال بلى وشر منها قال وفيم ذلك قال لأنك عمدت الى عقيلة نساء العرب وسيدة بني عبد مناف ففرشتها عبد ثقيف يتفخذها قال وفي هذا عتب علي يا ابن أخي قال وما أكثر من هذا قال والله ان أحق الناس أن لا يلومني في هذا لأنت وأبوك ان من كان قبلكم من الولاة ليصلون رحمي ويعرفون حقي وانك وأباك منعتماني ما عندكما حتى ركبني من الدين ما والله لو أن عبدا مجدعا حبشيا أعطاني بها ما أعطاني عبد ثقيف لزوجتها فانما فديت بها

اضواف مذاهب الفكر وانفى لعمل البر وأعون على صدقة السر وأصح لتلاوة الذكر وهدير والأمور يختارون الليل على النهار فيما لم تصف فيه الاناة لرياضة التدبير وسياسة التقدير في دفع الملم وامضاء المهم وانشاء الكتب وتصحيح المعاني وتقويم المباني واظهار الحجج وايضاح المنهج واصابة نظم الكلام وتقريبه من الافهام * وقال بعض رؤساء الكتاب ليس الكاتب في كل وقت على غير نسخة لم تحرر بصواب لانه ليس أحد أولى بالاناة وبالروية ممن كانت يعرض عقله وينشر بلاغته فينبغي له ان يعمل النسخ ويرويها ويقبل عفو القريحة ولا يستكرهها ويعمل على ان جميع الناس اعداء له علماء بكتابه منتقدون عليه متفرغون اليه * وقال آخر ان لابتداء الكلام فتنة تروق وجدة تعجب فاذا سكنت القريحة وعدل التأمل وصفت النفس فليعد النظر وليكن فرحه باحسانه مساويا لغمه باساءته فقد قالت الخوارج لعبد الله بن وهب الراسبي نبايعك الساعة قد رأينا ذلك فقال دعوا الرأي حتى يبلغ اناته فانه لا خير في الرأي الفطير والكلام القضيب * وقال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله تعالى لعبد الله بن جعفر ما عندك في كذا وكذا فقال أريد أن أصقل عقلي بنومة القائلة ثم أروح فأقول ما عندي * وقال الشاعر

ان الحديث تغر القوم جلوته
حتى يغيره بالوزن منهار

رقبتي من النار قال فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك وكان الوليد اذا غضب عرف ذلك في وجهه فلما رآه عبد الملك قال مالك أبا العباس قال انك سلطت عبد ثقيف وملكته ورفعته حتى تخذ نساء عبد مناف وأدركته الغيرة فكتب عبد الملك الى الحجاج يعزم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها فطلقها فقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا قال وما زال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى هلك قال بديح فما كان يأتي عليه هلال الا وعندنا عير مقبلة من الحجاج عليها ألطاف وكسوة وميرة حتى لحق عبد الله بن جعفر بالله ثم استأذن ابن جعفر على عبد الملك فلما دخل عليه استقبله عبد الملك بالترحيب ثم أخذ بيده فأجلسه معه على سريره ثم سأله فألطف المسئلة حتى سأله عن مطعمه ومشربه فلما انقضت مسائلته قال له يحيى بن الحكم أمن خبثة كان وجهك أبا جعفر قال وما خبثة قال أرضك التي جئت منها قال سبحان الله رسول الله صلى الله عليه وسلم يسميها طيبة وتسميها خبثة لقد اختلفتما في الدنيا وأظنكما في الآخرة مختلفين فلما خرج من عنده هيأ له ابن جعفر هدايا وألطافا فقلت لبديح ما قيمة ذلك قال قيمته مائة ألف من وصف ووصائف وكسوة وحرير وألطاف من ألطاف الحجاز قال فبعثني بها فدخلت عليه وليس عنده أحد فجعلت أعرض عليه شيأ شيأ قال فما رأيت مثل اعظامه لكل ما عرضت عليه من ذلك وجعل يقول كلما أريته شيأ عافى الله أبا جعفر ما رأيت كاليوم وما كنا نريد أن يتكلف لنا شيأ من هذا وان كنا لمتذممين محتشمين قال فخرجت من عنده وأذن لأصحابه فوالله انا لبينا أنا أحدثه عن تعجب عبد الملك واعظامه لما أهدى اليه اذا بفارس قد أقبل علينا فقال أبا جعفر ان أمير المؤمنين يقرأ السلام عليك ويقول لك جمعت لنا وخش رقيق الحجاز وأباقهم وحبست عنا فلانة فابعث بها الينا وذلك انه حين دخل عليه أصحابه جعل يحدثهم عن هدايا ابن جعفر ويعظمها عندهم فقال له يحيى بن الحكم وماذا أهدى اليك ابن جعفر جمع لك وخش رقيق الحجاز وأباقهم وحبس عنك فلانة قال ويلك وما فلانة هذه فقال ما لم يسمع والله أحد بمثلها قط جمالا وكمالا وخلقا وأدبا ولو أراد كرامتك بعث بها اليك قال وأين تراها وأين تكون قال هي والله معه وهي نفسه التي بين جنبيه فلما قال الرسول ما قال وكان ابن جعفر في أذنه بعض الوقر اذا سمع ما يكره تصام فأقبل عليه فقال ما يقول يا بديح قال قلت ان أمير المؤمنين يقرأ السلام ويقول انه جاءني بريد من ثغر كذا يقول ان الله نصر المسلمين وأعزهم قال اقرئ أمير المؤمنين السلام وقل له أعز الله نصرك وكبت عدوك فقال الرسول يا أبا جعفر اني لست أقول هذا وأعاد مقالته الاولى فسألني فصرفته الى وجه آخر فأقبل علي الرسول فقال يا ماض أيرسل أمير المؤمنين يتهكم وعن أمير المؤمنين تجيب هذا الجواب أما والله لأطلبن دمك فانصرف وأقبل علي ابن جعفر فقال من ترى صاحبنا قال صاحبك بالامس قال أظنه فما الرأي عندك قلت يا أبا جعفر قد تكلفت له ما تكلفت فان منعتها اياه جعلتها سببا لمنعك ولو طلب أمير المؤمنين احدى بناتك ما كنت أرى أن تمنعها اياه قال ادعها لي فلما أقبلت رحب بها ثم أجلسها الى جنبه ثم قال أما والله ما كنت أظن أن يفرق بيني وبينك الا الموت قالت وماذاك قال انه حدث أمر وليس والله كائنا فيه الا ما أحببت جاء الدهر فيه بما جاء قالت وما هو قال ان أمير المؤمنين بعث يطلبك فان تهوي فذاك والا والله لم يكن أبدا قالت ما شئ لك فيه هوى ولا أظن فيه فرجا عنك الا فديته بنفسي وأرسلت عينيها بالبكاء فقال لها أما اذ فعلت فلا ترين مكروها فمسحت عينيها وأشار اليها فقال ويحك يا بديح استحثها قبل أن تتقدم الي من القوم بادرة قال ودعا بأربع ودعا صاحب نفقته بخمسمائة دينار ودعا مولاة له كانت تلي طيبه فدست لها ربعة عظيمة مملوءة طيبا ثم قال عجلها ويلك فخرجت أسوقها حتى انتهيت الى الباب واذا الفارس قد بلغ مني فاني كنت أحاذي أن تمس رجلاي الارض حتى أدخلت على عبد الملك وهو يتلظى فقال لي يا ماض وكذا أنت المجيب عن أمير المؤمنين والمتهكم برسله قلت يا أمير المؤمنين ائذن لي أتكلم قال وما تقول يا كذا وكذا

فعند ذلك تستكفي بلاغته أو يستمر به عيّ واكثار (وقالوا) كل مجرد بالخلاء يسر وقال أبو الطيب المتنبي

وإذا ما خلا الجبان بأرض ... طلب الطعن وحده والنزالا

(وكان) قلم ابن المقفع يقف كثيرا فقيل له في ذلك فقال ان الكلام يزدحم في صدري فيقف قلمي لتخيره (وقالوا) الكتاب يتصفح بأكثر مما يتصفح الخطاب لأن الكاتب متخير والمخاطب مضطر ومن يرد عليه كتابك فليس يعلم أسرعت فيه أم أبطأت وانما ينظر أخطأت أم أصبت فابطاؤك غير قادح في اصابتك كما أن اسراعك غير معف على غلطك (ووصف) بعض الكتاب النسخ فقال ينبغي أن يصحبوا الفكر الى استقرارها ثم تستبرأ باعادة ألفاظها بعد اختيارها ويوسع بين سطورها ثم تحرر على ثقة بصحتها وتتأمل بعد التحرير حرفا حرفا الى آخرها فقد كتب المأمون مصحفا اجتمع عليه فكان أوله بسم الله الرحيم فاغفلوا الرحمن لأن العين لا تعتبر ذلك ثقة أنه لا يغلط فيه حتى فطن المأمون له (قال) محمد بن عبد الملك الزيات للحسن بن وهب حرر هذه النسخة وبكر بها فتصبح الحسن فقال له لم تصبحت قال حتى تصفحت * وقال أحمد بن اسمعيل بطاحة كان بعض

بياض بالاصل

العلماء الاغنياء ينظر في نسخه بعد نفوذ كتبه فقال بعض الكتاب

مستلب الحب معي الشباب ... عذبه الهجر أشد العذاب

قالت ائذن لي حياني الله فداك أتكلم قال تكلم قلت يا امير المؤمنين أنا اصغر شأنا واقل خطرا من أن يبلغ كلامي من امير المؤمنين ما ارى وهل انا الا عبد من عبيد امير المؤمنين نعم قد قلت ما بلغك وقد يعلم امير المؤمنين أنا انما نعيش في كنف هذا الشيخ وان الله لم يزل اليه محسنا فخاف من قبلك شيأ ما أتاه قط مثله انما طلبت نفسه التي بين جنبيه فاحببت بما بلغك لا سهل الامر عليه ثم سألني فاخبرته واستشارني فاشرت عليه وها هي ذه قد جئتك بها قال أدخلها وبلك قال فأدخلتها عليه وعنده مسلمة ابنه غلام ما رأيت مثله ولا أجمل منه حين انصرف شاربه فلما جلست وكلمها اعجب بكلامها فقال لله أبوك أمسكك لنفسي أحب اليك أم اهبك لهذا الغلام فانه ابن أمير المؤمنين قالت يا أمير المؤمنين لست لك بحقيقة وعسى أن يكون هذا الغلام لي وجها قال فقام من مكانه ما راجعها فدخل واقبل عليها مسلمة فقال بالكاع أعلى أمير المؤمنين تختارين قالت يا عدو نفسه انما تلومني ان اخترتك امرا والله لقد قال رأى من اختيارتك قال فضيقت والله مجلسه واطلع علينا عبد الملك قد ادهن بدهن واري الشيب وعليه حلة تتلألأ كأنها الذهب بيده مخصرة يخطر بها فجلس مجلسه على سريره ثم قال ايها الله أبوك أمسكك لنفسي أحب لك أم اهبك لهذا الغلام قالت ومن أنت اصلحك الله قال لها الخصي هذا أمير المؤمنين قالت لست مختارة على أمير المؤمنين احدا قال فأين قولك آنفا قالت رأيت شيخا كبيرا واري أمير المؤمنين اشب الناس واجملهم ولست مختارة عليه أحدا قال دونكها يا مسلمة قال بذيح فنشرت عليه الكسوة والدنانير التي معي واريته الجواري والطيب قال عافى الله ابن جعفر أخشي أن لا يكون لها عندنا نفقة وطيب وكسوة فقلت بلى ولكنه احب أن يكون معها ما تكتفي به حتى تستأنس قال فقبضها مسلمة فلم تلبث عنده الا يسيرا حتى هلكت قال بذيح فوالله الذي ذهب بنفس مسلمة ما جلست معه مجلسا ولا وقفت موقفا انازعه فيه الحديث الا قال أبغني مثل فلانة فأقول ابغني مثل ابن جعفر قال فقلت لبذيح وبلك فما اجازه به قال قال حين دفع اليه حاجته ودينه لاجيزنك جائزة لو نشر لي مروان من قبره ما زدته عليها فامر له بمائة الف وايم الله اني لاحسبه أنفق في هديته ومسيره ذلك وجاريته التي كانت عدل نفسه مائتي الف ❊ (وفود الشعبي على عبد الملك بن مروان) ❊ كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج ابن يوسف أن ابعث الى رجلا يصلح للدين والدنيا اتخذه سميرا وجليسا وخليلا فقال الحجاج ماله الا عامر الشعبي وبعث به اليه فلما دخل عليه وجده قد كبا مهتما فقال ما بال أمير المؤمنين قال ذكرت قول زهير

كأني وقد جاوزت سبعين حجة * خلعت بها عني عذار لجامي * رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى
فكيف بمن يرمي وليس برامي * فلو انني أرمي بنبل رأيتها * ولكنني أرمي بغير سهام
على الراحتين تارة وعلى العصا * أنوء ثلاثا بعدهن قيامي

قال له الشعبي ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كما قال لبيد بن ربيعة وقد بلغ سبعين حجة

كأني وقد جاوزت سبعين حجة * خلعت بها عن منكبي ردائيا

ولما بلغ سبعا وسبعين سنة قال باتت تشكى الى النفس موهنة * وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فان تزادي ثلاثا تبلغي أملا * وفي الثلاث وفاء للثمانينا

ولما بلغ تسعين سنة قال ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد

ولما بلغ عشرا ومائة سنة قال أليس ورائي ان تراخت منيتي * لزوم العصا تحنى عليها الاصابع
أخبر اخبار القرون التي خلت * أنوء كأني كلما قمت راكع

ولما بلغ ثلاثين ومائة وحضرته الوفاة قال

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما * وهل أنا الا من ربيعة أو مضر * فقوما فقولا بالذي تعلمانه
ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر * وقولا هو المرء الذي لا صديقه * أضاع ولا خان الخليل ولا غدر
الى سنة ثم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

قال

يؤمل الصبر واني له به وقد مكن منه النصاب كناظر في نسخة يبتغي اصلاحها اذ نفذ الكتاب

{ اوصاف بلاغة في البلاغات على السنة اقوام من اهل الصناعات } قال بعض من ولد عقائل هذا المنثور وألف فواصل هذه الشذور يجمع قوم من اهل الصناعات فوصفوا بلاغاتهم من طريق صناعاتهم (فقال الجوهري) احسن الكلام نظاما ما ثقبته يد الفكرة ونظمته الفطنة ووصل جوهر معانيه في سموط ألفاظه فاحتملته نحور الرواة (وقال العطار) اطيب الكلام ما عجن عنبر ألفاظه بمسك معانيه ففاح نسيم نشقه وسطعت رائحة عبقه فتعلقت به الرواة وتعطرت به السراة (وقال الصائغ) خير الكلام ما احميته بكير الفكر وسبكته بمشاعل النظر وخلصته من خبث الاطناب فبرز بروز الابريز في معنى وجيز (وقال الصيرفي) خير الكلام ما نقدته يد البصيرة وجلته عين الروية ووزنته بمعيار الفصاحة فلا نظر يزيفه ولا سماع يبهرجه (وقال الحداد) أحسن الكلام ما نصبت عليه منفخة القريحة واشعلت عليه نار البصيرة ثم أخرجته من فحم الافحام ورققته بفطيس الافهام (وقال النجار) خير الكلام ما احكمت نجر معناه بقدوم التقدير وأنشرته بمنشار التدبير فصار بابا للبيت البيان وعارضة لسقف اللسان (وقال النحاد) أحسن الكلام ما نطقت زخارف ألفاظه وحسنت مطارح معانيه فتنزهت في زرابي محاسنه عيون

قال الشعبي فلقد رأيت السرور في وجه عبد الملك طمعا أن يبشرها ﴿وفود الحجاج بابراهيم بن طلحة على عبد الملك بن مروان﴾ عمر بن عبد العزيز قال لما ولي الحجاج بن يوسف الحرمين بعد قتله ابن الزبير استخص ابراهيم بن محمد بن طلحة فقربه وعظم منزلته فلم تزل تلك حاله عنده حتى خرج الى عبد الملك بن مروان فخرج معه معادلا لا يقصر له في بر واعظام حتى حضر به عبد الملك فلما دخل عليه لم يبدأ بشئ بعد السلام الا أن قال له قدمت عليك أمير المؤمنين برجل الحجاز لم أدع له بها نظيرا في الفضل والادب والمروأة وحسن المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق وعظم قدر الابوة وما بلوت منه في الطاعة والنصيحة وحسن الموازرة وهو ابراهيم بن محمد بن طلحة وقد أحضرته بابك ليسهل عليه اذنك وتعرف له ما عرفتك فقال أذكرتنا رحما قريبة وحقا واجبا يا غلام ائذن لابراهيم بن محمد بن طلحة فلما دخل عليه أدناه عبد الملك حتى اجلسه على فراشه ثم قال له يا ابن طلحة ان أبا محمد ذكرنا ما لم نزل نعرفك به في الفضل والادب والمروأة وحسن المذهب مع قرابة الرحم ووجوب الحق وعظم قدر الابوة وما بلاه منك في الطاعة والنصيحة وحسن الموازرة فلا تدعن حاجة في خاصة نفسك وعامتك الا ذكرتها فقال يا أمير المؤمنين ان أول الحوائج وأحق ما قدم بين يدي الامور ما كان لله فيه رضا ولحق نبيه صلى الله عليه وسلم أداء ولك فيه وللجماعة المسلمين نصيحة وعندي نصيحة لا أجد بدا من ذكرها ولا أقدر على ذلك الا وأنا خال فأخلني يا أمير المؤمنين ترد عليك نصيحتي قال دون أبي محمد قال نعم دون أبي محمد قال عبد الملك للحجاج قم فلما خطرف الستر أقبل علي فقال يا ابن طلحة قل نصيحتك فقال تالله يا أمير المؤمنين لقد عمدت الى الحجاج في تغطرسه وتعجرفه وبعده من الحق وقربه من الباطل فوليته الحرمين وهما ما هما وبهما من بهما من المهاجرين والانصار والموالي الاخيار يطؤهم ويسومهم الخسف ويحكم فيهم بغير السنة بعد الذي كان من سفك دمائهم وما انتهك من حرمهم ثم ظننت ان ذلك فيما بينك وبين الله زاهق وفيما بينك وبين نبيك غدا اذا جاثاك للخصومة بين يدي الله في أمته أما والله لا تنجو هنالك الا بحجة فاربع على نفسك أودع فقال له عبد الملك كذبت ومنت وظن بك الحجاج ما لم يجده فيك وقد يظن الخير بغير أهله قم فأنت الكاذب المائن قال فقمت وما أعرف طريقا فلما خطرفت الستر لحقني لاحق فقال احبسوا هذا وقال للحجاج ادخل فدخل فمكث مليا من النهار لا أشك انهما في أمري ثم خرج الاذن فقال ادخل يا ابن طلحة فلما كشف لي الستر لقيني الحجاج وهو خارج وأنا داخل فاعتنقني وقبل ما بين عيني وقال اما اذا جزى الله المتواخين خيرا بفضل تواصلهم فجزاك الله عني أفضل الجزاء فوالله لئن سلمت لك لارفعن ناظرك ولاعلين كعبك ولاتبعن الرجال غبرة قدميك قال فقلت يهزأ بي وحق الكعبة فلما وصلت الى عبد الملك أدناني حتى أدناني مجلسي الاول ثم قال يا ابن طلحة لعل أحدا شاركك في نصيحتك هذه قلت والله يا أمير المؤمنين ما أعلم أحدا اتضح عندي يدا ولا أعظم معروفا من الحجاج ولو كنت محابيا أحدا لغرض دنيا لحابيته ولكني آثرت الله ورسوله وآثرتك والمؤمنين عليه قال قد علمت انك لم ترد الدنيا ولو أردتها لكانت لك في الحجاج ولكن أردت الله والدار الآخرة وقد عزلته عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما وأعلمته انك استنزلتني له عنهما استقلالا لهما ووليته العراقين وما هنالك من الامور التي لا يدحضها الامثل وأعلمته انك استدعيتني الى ولايته عليهما استزادة له لالزمه بذلك من حقك ما يؤدي اليك عني أجر نصيحتك فاخرج معه فانك غير ذام لصحبته ﴿وفود رسول المهلب على الحجاج بقتل الازارقة﴾ أبو الحسن المدائني قال لما هزم المهلب بن أبي صفرة قطري بن الفجاءة صاحب الازارقة بعث الى مالك بن بشير فقال له اني موفدك الى الحجاج فسر فانما هو رجل مثلك وبعث اليه بجائزة فردها وقال انما الجائزة بعد الاستحقاق وتوجه فلما دخل على الحجاج قال له ما اسمك قال مالك بن بشير قال ملك وبشارة كيف تركت المهلب قال أدرك ما أمل وأمن من خاف قال كيف هو بجنده قال والد رؤف قال فكيف جنده

الناظرين واصاخت لتمارق بهجته آذان السامعين (وقال المائح) أبين الكلام ما تلقت وذم ألفاظه بكرة معانيه ثم أرسلته في قليب الفطن فامتحت به سقاه بكشف الشبهات واستنبطت به معنى يروي من ظما المشكلات (وقال الخياط) البلاغة قميص فجربانه البيان وجيبه المعرفة وكماه الوجازة ودخاريصه الافهام ودروزه الحلاوة ولابسه جسد اللفظ وروح المعنى (وقال الصائغ) احسن الكلام ما لم تنقض بهجة ايجازه ولم تكشف صبغة اعجازه قد صقلته يد الروية من كمود الاشكال فراع كواعب الآداب وألف عذار الالباب (وقال الحائك) أحسن الكلام ما اتصلت لحمة ألفاظه بسدى معانيه فخرج مفوفا منيرا وموشى محبرا (وقال البزاز) أحسن الكلام ما صدق رقم ألفاظه وحسن نشر معانيه فلم يستعجم عنك نشره ولم يستبهم عليك طيه (وقال الرائض) خير الكلام ما لم يخرج عن حد التخليع الى منزلة التقريب الا بعد الرياضة وكان كالمهر الذي أطمع أول رياضته في تمام ثقافته (وقال الجمال) البليغ من أخذ بخطام كلامه فأناخه في مبرك المعنى ثم جعل الاختصار له عقالا والايجاز له مجالا فلم يند عن الآذان ولم يشذ عن الاذهان (وقال المخنث) خير الكلام ما تكسرت أطرافه وتثنت أعطافه وكان لفظه حلة ومعناه حلية (وقال الجمار) أبلغ الكلام ما طحنته مراجل

له قال أولا دبرة قال كيف رضاهم عنه قال وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل قال فكيف تصنعون اذا لقيتم عدوكم قال نلقاهم بجدنا فنطمع فيهم ويلقونا بجدهم فيطمعون فينا قال كذلك الجد اذا لقي الجد قال فما حال قطري قال كادنا ببعض ما كدناه قال فما منعكم من اتباعه قال رأينا المقام من ورائه خيرا من اتباعه قال فأخبرني عن ولد المهلب قال أعباء القتال بالليل حماة السرح بالنهار قال أيهم أفضل قال ذلك الى أبيهم قال لتقولن قال هم كحلقة مضروبة لا يعرف طرفاها قال أقسمت عليك هل رويت في هذا الكلام قال ما اطلع الله على غيبه أحدا فقال الحجاج لجلسائه هذا والله الكلام المطبوع لا الكلام المصنوع ﴿وفود جرير على عبد الملك بن مروان﴾ لما مدح جرير بن الخطفي الحجاج بن يوسف بشعره الذي يقول فيه

من سد مطلع النفاق عليكم * أم من يصول كصولة الحجاج

وبشعره الذي يقول فيه

أم من يغار على النساء حفيظة * اذ لا يثقن بغيرة الازواج

وقوله

دعا الحجاج مثل دعاء نوح * فاسمع ذا المعارج فاستجابا

قال له الحجاج ان الطاقة تعجز عن المكافأة ولكني موفدك على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فسر اليه بكتابي هذا فسار اليه ثم استأذنه في الانشاد فأذن له فقال * أتصحو بل فؤادك غير صاح * قال له عبد الملك بل فؤادك فلما انتهى الى قوله

تعزت أم حزرة ثم قالت * رأيت الواردين ذوي امتناح
ثقي بالله ليس له شريك * ومن عند الخليفة بالنجاح
سأشكر ان رددت الى ريشي * وأنبت القوادم في جناحي
ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

ارتاح عبد الملك وكان متكئا فاستوى جالسا ثم قال من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت ثم قال له يا جرير أترى أم حزرة تروي بها مائة ناقة من نعم كلب قال اذا لم تروها يا أمير المؤمنين فلا أرواها الله فأمر له بمائة ناقة من نعم كلب كلها سود الحدقة فقال يا أمير المؤمنين انها أباق ونحن مشايخ وليس بأحدنا فضل عن راحلته فلو أمرت بالرعاء فأمر له بثمانية من الرعاء وكانت بين يدي عبد الملك صحاف من فضة يقرعها بقضيب في يده فقال له جرير والمحلب يا أمير المؤمنين وأشار الى صحفة منها فنبذها اليه بالقضيب وقال خذها لا نفعتك ففي ذلك يقول جرير

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية * ما في عطائهم من ولا سرف

﴿وفود جرير عن أهل الحجاز على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه﴾ قدم جرير بن الخطفي على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن أهل الحجاز فاستأذنه في الشعر فقال مالي وللشعر يا جرير اني لفي شغل عنه فقال يا أمير المؤمنين انها رسالة عن أهل الحجاز قال فهاتها اذا فقال

كم من ضرير أمير المؤمنين لدى * أهل الحجاز دهاه البؤس والضرر
أصابت السنة الشهباء ما ملكت * يمينه فخناه الجهد والكبر
ومن قطيع الحشا عاشت مخبأة * ما كانت الشمس تلقاها ولا القمر
لما اجتلتها صروف الدهر كارهة * قامت تنادي بأعلى الصوت يا عمر

﴿وفود دكين الراجز على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه﴾ قال دكين بن رجاء الفقيمي الراجز مدحت عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة فأمر لي بخمس عشرة ناقة كرائم صعاب فكرهت ان ارمي بها الفجاج فتنتشر علي ولم تطب نفسي ببيعها فقدمت علينا رفقة من مصر فسألتهم الصحبة فقالوا ان خرجت الليلة فقلت اني لم أودع الامير ولا بد من وداعه قالوا فان الامير لا يحجب عن طارق ليل فاستأذنت عليه فأذن لي وعنده شيخان لا أعرفهما فقال لي يا دكين ان لي نفسا تواقة فان أنا صرت الى أكثر مما أنا فيه فبعين ما أرينك قلت له اشهد لي بذلك أيها الامير قال اني أشهد الله قلت ومن خلقه قال هذين الشيخين قلت لاحدهما من أنت يرحمك الله أعرفك قال سالم بن عبد الله فقال لي عمر لقد

العلم وصقيا مرارق الفهم وضعته دنان الحكمة فتمشت في المفاصل عذوبته وفي الافكار رقته وفي العقول حدته (وقال الفقاعي) خير الكلام ما رقت الفاظه غباوة الشك ورفعت رقته فظاظة الجهل فطاب حساء فطنته وعذب مص جرعته (وقال الطبيب) خير الكلام ما اذا باشر دواء بيانه سقم الشبهة استطلقت طبيعة الغباوة فشفى من سوء التفهم وأورث صحة التوهم (وقال الكحال) كما ان الرمد قذى الابصار فكذا الشبهة قذى البصائر فاكحل عين اللكنة بميل البلاغة واجل رمص الغفلة بمرود اليقظة ثم قال اجمعوا كلهم على ان أبلغ الكلام ما اذا أشرقت شمسه انكشف لبسه واذا صدقت أنواؤه اخضرت أحماؤه ﴿فقر في وصف البلاغة لغير واحد﴾ قال اعرابي البلاغة التقرب من البعد والتباعد من الكلفة والدلالة بقليل على كثير (قال عبد الحميد بن يحيى) البلاغة تقرير المعنى في الافهام من أقرب وجوه الكلام (ابن المعتز) البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام (سهل ابن هرون) البيان ترجمان العقول وروض القلوب (وقال) العقل رائد الروح والعلم رائد العقل والبيان ترجمان العلم (ابراهيم بن الامام) يكفي من البلاغة ان لا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع (العتابي) البلاغة مد الكلام بمعانيه اذا قصر وحسن التأليف اذا طال (اعرابي) البلاغة ايجاز

استمعت الشاهد وقلت للآخر من أنت يرحمك الله قال ابو يحيى مولى الامير وكان مزاحم يكنى أبا يحيى قال دكين فخرجت بهن الى بلدي فرمى الله في اذنابهن بالبركة حتى اتخذت منهن الضياع والرباع والغلمان فاني لبصحراء فلج اذا بريد يركض الى الشام فقلت له هل من مغربة خبر قال مات سليمان ابن عبد الملك قلت فمن القائم بعده قال عمر بن عبد العزيز قال فانخت قلوصي فالقيت عليها اداتي وتوجهت عنده فلقيت جريرا في الطريق جائيا من عنده فقلت من اين يا ابا حزرة قال من عند أمير يعطي الفقراء ويمنع الشعراء قلت فما ترى فاني خرجت اليه قال عول عليه في مال ابن السبيل كما فعلت فانطلقت فوجدته قاعدا على كرسي في عرصة داره قد احاط الناس به فلم أجد اليه سبيلا للوصول فناديت بأعلى صوتي

يا عمر الخيرات والمكارم * وعمر الدسائع العظائم
اني امرؤ من قطن بن دارم * اطلب حاجي من أخي مكارم
اذ نتقي والليل غير نائم * عند ابي يحيى وعند سالم

فقام ابو يحيى ففرج لي وقال يا أمير المؤمنين ان لهذا البدوي عندي شهادة قال اعرفها ادن مني يا دكين انا كما ذكرت لك ان لي نفسا تواقة وان نفسي تاقت الى أشرف منازل الدنيا فلما أدركتها وجدتها تتوق الى الآخرة والله ما رزأت من أمور الناس شيأ فأعطيك منه وما عندي الا الفا درهم اعطيك أحدهما فأمر لي بألف درهم فوالله ما رأيت ألفا كانت أعظم بركة منه ﴿وفود كثير والاحوص على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه﴾ حماد الراوية قال قال لي كثير عزة الا اخبرك عما دعاني الى ترك الشعر قلت نعم قال شخصت انا والاحوص ونصيب الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وكل واحد منا يدل عليه بسابقة واخاء قديم ونحن لا نشك انا سيشركنا في خلافته فلما رفعت لنا اعلام خناصرة لقينا مسلمة بن عبد الملك وهو يومئذ فتى العرب فسلمنا فرد ثم قال أما بلغكم ان امامكم لا يقبل الشعر قلنا ما وضح الينا خبر حتى انتهينا اليك ووجمنا وجما عرف ذلك فينا فقال ان يك ذو دين بني مروان قد ولي وخشيتم حرمانه فان ذا دنياها قد بقي ولكم عندي ما تحبون وما البث حتى أرجع اليكم وأمنحكم ما أنتم أهله فلما قدم كانت رحالنا عنده بأكرم منزل وأكرم منزول عليه فأقمنا عنده اربعة اشهر يطلب لنا الاذن هو وغيره فلا يؤذن لنا الى ان قلت في جمعة من تلك الجمع لو اني دنوت من عمر فسمعت كلامه فحفظته كان ذلك رأيا ففعلت فكان مما حفظت من كلامه لكل سفر زاد لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الآخرة بالتقوى وكونوا كمن عاين ما اعد الله له من ثوابه او عقابه فترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم وتنقادوا لعدوكم في كلام كثير لا احفظه ثم قال اعوذ بالله ان آمركم بما انهى عنه نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيلتي وتبدو مسكنتي في يوم لا ينفع فيه الا الحق والصدق ثم بكى حتى ظننت انه قاض نحبه وارتج المسجد وما حوله بالبكاء وانصرفت الى صاحبي فقلت لهما خذا في شرج من الشعر غير ما كنا نقول لعمر وآبائه فان الرجل آخري وليس بدنيوي الى ان استأذن لنا مسلمة في يوم جمعة بعدما اذن للعامة فلما دخلت سلمت ثم قلت يا امير المؤمنين طال الثواء وقلت الفائدة وتحدث بجفائك ايانا وفود العرب قال يا كثير انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل أفي واحد من هؤلاء انت قلت بلى ابن السبيل منقطع به وانا صاحبك قال ألست صاحب أبي سعيد قلت بلى قال ما ارى ضيف أبي سعيد منقطعا به قلت يا امير المؤمنين اتأذن لي في الانشاد قال نعم ولا تقل الا حقا فقلت

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف * بريا ولم تقبل اشارة مجرم
وصدقت بالفعل المقال مع الذي * اتيت فأمسى راضيا كل مسلم
ألا انما يكفي الفتى بعد زيغه * من الاود الباقي ثقاف المقوم
وقد لبست لبس الملوك ثيابها * تراءى لك الدنيا بكف ومعصم

في غير عجز واطناب في غير خطل (وقيل) لليوناني ما البلاغة قال تصحيح الاقسام واختيار الكلام (وقيل) للرومي ما البلاغة قال حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة (وقيل) للهندي ما البلاغة قال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة (وقيل) للفارسي ما البلاغة قال معرفة الفصل من الوصل (وقال علي بن عيسى الرماني) البلاغة ايصال المعنى الى القلب في حسن صورة من اللفظ ﴿ومن كلام أهل العصر في صفة البلاغة والبلغاء﴾ ابلغ الكلام ما حسن ايجازه وقل مجازه وكثر اعجازه وتناسبت صدوره واعجازه ابلغ الكلام ما يؤنس مسمعه ويوئس مضيعه * البليغ من يجني من الالفاظ انوارها ومن المعاني ثمارها * ليست البلاغة ان يطال عنان القلم او سنانه او يبسط رهان القول وميدانه بل هي ان يبلغ امد المراد بالفاظ اعيان ومعان افراد من حيث لا تزيد على الحاجة ولا اخلال يفضي الى الفاقة * البلاغة ميدان لا يقطع الا بسوابق الاذهان ولا يسلك الا ببصائر البيان * فلان يعبث بالكلام ويقوده بالين زمام حتى كان الالفاظ تتحاسد في التسابق الى خواطره والمعاني تتغاير في الانثيال على انامله * هذا كقول ابي تمام الطائي

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له
حتى ظننت قوافيه ستقتتل

فلان مشرفي المشرق وصيرفي المنطق البيان اصغر صفاته والبلاغة عفو خطراته

وتومض احيانا بعين مريضة * وتبسم عن مثل الجمان المنظم
فأعرضت عنها مشمئزا كأنما * سقتك مدوفا من سمام وعلقم
وقد كنت في اجبالها في ممنع * ومن بحرها في مزبد الموج مفعم
ومازلت تواقا الى كل غاية * بلغت بها اعلى البناء المقوم
فلما اتاك الملك عفوا ولم يكن * لطالب دنيا بعده من تكلم
وما لك اذ كنت الخليفة مانع * سوى الله من مال رغيب ودرهم
تركت الذي يفنى وان كان رونقا * وآثرت ما يبقى برأي مصمم
واضررت بالفاني وشمرت للذي * امامك في يوم من الشر مظلم
سما لك هم في الفؤاد مؤرق * بلغت به اعلى المعالي بسلم
فما بين شرق الارض والغرب كلها * مناد ينادي من فصيح واعجم
يقول امير المؤمنين ظلمتني * لاخذ لدينار ولا اخذ درهم
ولا بسط كف لامرئ غير مجرم * ولا السفك منه ظالما ملء محجم
ولو يستطيع المسلمون لقسموا * لك الشطر من أعمارهم غير ندم
فأربح بها من صفقة لمبايع * وأعظم بها اعظم بها ثم أعظم

قال فاقبل علي وقال انك مسؤل عما قلت ثم تقدم الاحوص فاستأذنه في الانشاد فقال قل ولا تقل الا حقا فقال

وما الشعر الا حكمة من مؤلف * لمنطق حق أو لمنطق باطل
فلا تقبلن الا الذي وافق الرضا * ولا ترجعنا كالنساء الارامل
رأيناك لم تعدل عن الحق يمنة * ولا شأمة فعل الظلوم المخاتل
ولكن أخذت الحق جهدك كله * تقدم مثال الصالحين الاوائل
فقلنا ولم نكذب بما قد بدا لنا * ومن ذا يرد الحق من قول قائل
ومن ذا يرد السهم بعد مضائه * على فوقه اذ غار من نزع نائل
ولولا الذي قد عودتنا خلائف * غطاريف كانوا كالليوث البواسل
لما وخدت شهرا برحلي شملة * بقد متان البيد بين الرواحل
ولكن رجونا منك مثل الذي به * حبينا زمانا من ذويك الاوائل
فان لم يكن للشعر عندك موضع * وان كان مثل الدر في نظم قائل
وكان مصيبا صادقا لا يعيبه * سوى انه يبني بناء المنازل
فان لنا قربى ومحض مودة * وميراث آباء مشوا بالمناصل
فذادوا عدو السلم عن عقر دارهم * وأرسوا عمود الدين بعد التمايل
وقبلك ما أعطى هنيدة جلة * على الشعر كعبا من سديس وبازل
رسول الاله المستضاء بنوره * عليه سلام بالضحى والاصائل

فقال انك مسؤل عما قلت ثم تقدم نصيب فاستأذنه في الانشاد فلم يأذن له وامره بالغزو الى دابق فخرج اليها وهو محموم وأمر لي بثلثمائة وللاحوص بمثلها ولنصيب بمائة وخمسين ﴿وفود الشعراء على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه﴾ ابن الكلبي لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وفدت اليه الشعراء كما كانت تفد الى الخلفاء قبله فاقاموا ببابه اياما لا يأذن لهم بالدخول حتى قدم عدي بن ارطاة على عمر بن عبد العزيز وكانت له منه مكانة فقال جرير

يا ايها الرجل المرخي مطيته * هذا زمانك اني قد مضى زمني
ابلغ خليفتنا ان كنت لاقيه * اني لدى الباب كالمصفود في قرن

كأنما أوحي بالتوفيق الى صدره وحسن الصواب بين طبعه وفكره * فلان يحز مفاصل الكلام ويسبق فيه الى درك المرام كأنما جمع الكلام حوله حتى انتقى منه وانتخب وتناول منه ما طاب وترك بعد ذلك اذنابا لا رؤسا وأجسادا لا نفوسا * فلان يرضي بعفو الطبع ويقنع بما خف على السمع ويوجز فلا يخل ويطاب فلا يعل * لله فلان أخذ بأزمة القول يقودها كيف أراد ويجذبها اني شاء فلا تعصيه بين الصعب والذلول ولا تسلم عند الحزونة والسهول كلامه يشتد مرة حتى تقول الصخر الأملس ويلين تارة حتى تقول الماء أو أسلس يقول فيصول ويجيب فيصيب ويكتب فيطبق المفصل وينسق الدر المفصل ويرد مشارع الكلام وهي صافية لم تطرق وجامة لم ترنق يخاطره البرق أو أسرع لمعا والسيف أو أحد قطعا والماء أو أسلس جريا والفلك أو أقوم هديا هو ممن يسهل الكلام على لفظه وتتزاحم المعاني على طبعه فيتناول المرمى البعيد بقريب سعيه ويستنبط المشرع العميق بيسير جريه لسانه يفلق الصخور ويغيض البحور ويسمع الصم ويستنزل العصم خطيب لا تناله حبسة ولا ترتهنه لكنة ولا تتمشى في خطابه رتة ولا تتحيف بيانه عجمة ولا تعترض لسانه عقدة

وحش المكانة من أهلي ومن ولدي * نائي المحلة عن داري وعن وطني

قال نعم اباحمزة ونعمى عين فلما دخل على عمر قال ياأمير المؤمنين ان الشعراء ببابك وأقوالهم باقية وسهامهم مسنونة قال ياعدي مالي وللشعراء قال ياأمير المؤمنين ان النبي صلى الله عليه وسلم قد مدح وأعطى وفيه اسوة لكل مسلم قال ومن مدحه قال عباس بن مرداس فكساه حلة قطع بها لسانه قال وتروي قوله قال نعم

رأيتك ياخير البرية كلها * نشرت كتابا جاء بالحق معلما
ونورت بالبرهان أمرا مدمسا * وأطفأت بالبرهان نارا مضرما
فمن مبلغ عني النبي محمدا * وكل امرئ يجزى بما قد تكلما
تعالى علوا فوق عرش الهنا * وكان مكان الله أعلى وأعظما

قال صدقت فمن بالباب منهم قال ابن عمك عمر بن أبي ربيعة قال لاقرب الله قرابته ولاحيي وجهه أليس هو القائل

ألاليت اني يوم حانت منيتي * شممت الذي مابين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله * وليت حنوطي من مشاشك والدم
وياليت سلمى في القبور ضجيعتي * هنالك أوفي جنة أوجهنم

فليته والله تمنى لقاءها في الدنيا ويعمل عملا صالحا والله لادخل على أبدا فمن بالباب غير من ذكرت قلت جميل بن معمر العذري قال هو الذي يقول

ألا ليتنا نحيا جميعا وان نمت * يوافي لدى الموتى ضريحي ضريحها
فما أنا في طول الحياة براغب * اذا قيل قد سوى عليها صفيحها
أظل نهاري لاأراها ويلتقي * مع الليل روحي في المنام وروحها

اعزب به فوالله لادخل على أبدا فمن غير من ذكرت قال كثير عزة قال هو الذي يقول

رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خروا لعزة راكعين سجودا

أعزب به فمن بالباب غير من ذكرت قال الأحوص الانصاري قال أبعده الله وأسحقه أليس هو القائل وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جارية هربت منه

الله بيني وبين سيدها * يفر عني بها وأتبع

أعزب به فمن بالباب غير من ذكرت قال همام بن غالب الفرزدق قال أليس هو القائل يفخر بالزنا

هما دلتاني من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا * أحي يرجى أم قتيل نحاذره
وأصبحت لاالقوم الجلوس وأصبحت * مغلقة دوني عليها دساكره
فقلت ارفعوا الاحراس لايشعروا بنا * ووليت في أعقاب ليل أبادره

اعزب به فوالله لادخل على أبدا فمن بالباب غير من ذكرت قال الاخطل التغلبي قال أليس هو القائل

فلست بصائم رمضان عمري * ولست بآكل لحم الاضاحي
ولست بزاجر عنسا بكورا * الى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائم كالعير يدعو * قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولا * وأسجد عند منبلج الصباح

اعزب به فوالله لاوطئ لي بساطا أبدا وهو كافر فمن بالباب غير من ذكرت قال جرير بن الخطفي قال أليس هو القائل

لولا مراقبة العيون أرينا * مقل المها وسوالف الآرام
هل ينهينك ان قتلن مرقشا * أوما فعلن بعروة بن حزام

فلان رقيق الأسلة عذب العذبة لو وضع لسانه على الشعر حلقه أو على الصخر فلقه أو على الجمر أحرقه أو على الصفا خرقه قد أحسن السفارة واستوفى العبارة وأدى الالفاظ واستغرق الاغراض وأصاب شواكل المراد وطبق مفاصل السداد وبسط لسان الخطاب ومد أطناب الاطناب وطاب الأمد في الاسهاب قال حتى قال الكلام لو أعفيت وكتب حتى قالت الاقلام قد أحفيت قد اتسع له مشرع الاطناب وانفرج له مسلك الاسهاب أرسل لسانه في ميدانه وأرخى له من عنانه قال وأطال وجال في بسط الكلام كل مجال اذا استنفر في الكلام طفح أذيه وسال أتيه وانثال عليه الكلام كانثيال الغمام واستجاب له الخطاب كصوب الرباب ألفاظ كغمزات الالحاظ ومعان كأنها فلك عان ألفاظ كما نورت الاشجار ومعان كما تنفست الاسحار ألفاظ قد استعارت حلاوة العتاب بين الاحباب واستلانت كتشكي العشاق يوم الفراق كلام قريب شاسع ومطمع مانع كالشمس تقرب ضياء وتبعد علاء أو كالماء يرخص موجودا ويغلو مفقودا كلام لاتمجه الآذان ولا تمله الازمان ألفاظ كالبشرى مسموعة أو أزاهير الرياض مجموعة ومعان كأنفاس الرياح تعبق بالريحان والراح كلام سهل متسلسل كالمدام بماء الغمام يقرب اذنه على الافهام كلام كبرد الشراب

دم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الاقوام

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجعي بسلام

فان كان ولا بد فهذا فأذن له فخرجت اليه فقلت ادخل أبا حزرة فدخل وهو يقول

ان الذي بعث النبي محمدا * جعل الخلافة في امام عادل

وسع الخلائق عدله ووفاؤه * حتى ارعوى وأقام ميل المائل

والله أنزل في القرآن فريضة * لابن السبيل وللفقير العائل

اني لارجو منك خيرا عاجلا * والنفس مولعة بحب العاجل

فلما مثل بين يديه قال اتق الله يا جرير ولا تقل الا حقا فانشأ يقول

كم باليمامة من شعثاء أرملة * ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

ممن يعدك تكفي فقد والده * كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر

يدعوك دعوة ملهوف كأن به * خبلا من الجن أو مسا من البشر

خليفة الله ماذا تأمرن بنا * لسنا اليكم ولا في دار منتظر *

مازلت بعدك في هم يؤرقني * قد طال في الحي اصعادي ومنحدري

لا ينفع الحاضر المجهود بادينا * ولا يعود لنا باد على حضر

انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا * من الخليفة ما نرجو من المطر

أتى الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر

هذه الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

فقال يا جرير والله لقد وليت هذا الامر وما أملك الا ثلثمائة فمائة أخذها عبد الله ومائة أخذتها أم عبد الله يا غلام أعطه المائة الباقية فقال والله يا أمير المؤمنين انها لاحب مال كسبته الي ثم خرج فقالوا له ما وراءك قال ما يسوء كم خرجت من عند أمير المؤمنين يعطي الفقراء ويمنع الشعراء واني عنه لراض ثم أنشأ يقول رأيت رقى الشيطان لا يستفزه * وقد كان شيطاني من الجن راقيا

﴿وفود نابغة بني جعدة على ابن الزبير رحمه الله تعالى﴾ الزبير بن بكار قاضي الحرمين قال اقحمت السنة نابغة بني جعدة فوفد الى ابن الزبير فدخل عليه في المسجد الحرام ثم أنشده

حكيت لنا الصديق لما وليتنا * وعثمان والفاروق فارتاح معدم

وسويت بين الناس في الحق فاستووا * فعاد صباحا حالك اللون مظلم

أتاك أبو ليلى تجوب به الرجا * دجى الليل جواب الفلاة عثمثم

لتجبر منه جانبا دعدعت به * صروف الليالي والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير هون عليك أبا ليلى فالشعر أدنى وسائلك عندنا أما صفوة أموالنا فلآل الزبير وأما عفوته فان بني أسد وتيما تشغلها عنك ولكن لك في مال الله سهمان سهم برؤيتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم بشركتك في فيئهم ثم أخذ بيده ودخل به دار النعم فأعطاه قلائص سبعا وجملا رحيلا وأوقر له الركاب برا وتمرا فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحب صرفا فقال ابن الزبير ويح أبي ليلى لقد بلغ به الجهد قال النابغة أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما وليت قريش فعدلت واسترحمت فرحمت وحدثت فصدقت ووعدت فأنجزت فأنا والنبيون فراط القاصفين قال الزبير ابن بكار الفارط الذي يتقدم الى الماء يصلح الرشاء والدلاء والقاصف الذي يتقدم لشراء الطعام

﴿وفود أهل الكوفة على ابن الزبير رحمه الله تعالى﴾ قال لما قتل المصعب بن الزبير المختار بن أبي عبيد خرج حاجا فقدم على أخيه عبد الله بن الزبير بمكة ومعه وجوه أهل العراق فقال له يا أمير المؤمنين جئتك بوجوه أهل العراق لم أدع لهم بها نظيرا لتعطيهم من هذا المال قال جئتني بعبيد أهل العراق

على الاكباد الحرار وبرد الشباب في خلع العذار كلام كثير العيون سلس المتون رقيق الحواشي سهل النواحي كلام هو السحر الحلال والماء الزلال والبرود الحبر والامثال والعبير والنعيم الحاضر والشباب الناضر نظرت منه الى صورة الظرف بحتا وصورة البلاغة سكا وبحتا ألفاظ هي خدع الدهر وعقد السحر كلام يسر المحزون ويسهل الحزون ويعطل الدر المخزون كلام بعيد من التكلف نقي من التكلف كلام كما تنفس السحر عن نسيمه وتبسم الدر عن نظمه ألفاظ تأنق الخاطر في تذهيبها ومعان عني الفهم بتهذيبها ألفاظ حسبتها من رقتها منسوخة في صحيفة الصبا وظننتها من سلاستها مكتوبة في نحر الهوى كلام كالبشرى بالولد الكريم قرع به سمع الشيخ العقيم كلام قرب حتى أطمع وبعد حتى امتنع وقرب حتى صار قاب قوسين أو أدنى ثم علا حتى صار بالمنزل الاعلى رقيق المزاج حلو السماع نقي السبك مقبول اللفظ قرأت لفظا جاليا حوى معنى خفيا وكلاما قريبا رمى غرضا بعيدا لو أن كلاما أذيب به صخر أو أطفئ به جمر أو عوفي به مريض أو جبر به مهيض لكان كلامه الذي يقود سامعيه الى السجود ويجري في القلوب كجري الماء في العود ألفاظه أنوار ومعانيه ثمار كلامه أنس المقيم الحاضر وزاد الراحل المسافر كلامه يصغي اليه المقبور وينقض له العصفور

لاعطيهم مال الله والله لافعلت فلما دخلوا عليه واخذوا مجالسهم قال لهم يا أهل الكوفة وددت والله ان لي بكم من أهل الشام صرف الدينار والدرهم بل لكل عشرة رجلا قال عبيد الله بن ظبيان أتدري يا امير المؤمنين ما مثلنا ومثلك فيما ذكرت قال وماذلك قال فان مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام كما قال اعشى بكر بن وائل

علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

احببناك نحن واحببت انت أهل الشام واحب أهل الشام عبد الملك ثم انصرف القوم من عنده خائبين فكاتبوا عبد الملك بن مروان وغدروا بمصعب بن الزبير ﴿وفود رؤبة على أبي مسلم﴾ الاصمعي قال حدثني رؤبة قال قدمت على أبي مسلم صاحب الدعوة فأنشدته فناداني يا رؤبة فنوديت له من كل مكان يا رؤبة فاجبت

لبيك اذ دعوتني لبيكا * أحمد ربا ساقني اليكا * الحمد والنعمة في يديكا

قال بل في يدي الله عز وجل قلت وأنت لما انعمت حمدت ثم استأذنت في الانشاد فأذن لي فأنشدته

مازال يأتي الملك من أقطاره * وعن يمينه وعن يساره
مشمرا لا يصطلي بناره * حتى أقر الملك في قراره

فقال انك أتيتنا وقد شف المال واستنفده الانفاق وقد أمرنا لك بجائزة وهي تافهة يسيرة ومنك العود وعلينا المعول والدهر اطرق مستتب فلا تلق بجنبيك الاشدة قال فقلت الذي افادني الامير من كلامه احب الي من الذي أفادني من ماله ﴿وفود العتابي على المأمون﴾ الشيباني قال كان كلثوم العتابي أيام هرون الرشيد في ناحية المأمون فلما خرج الى خراسان شيعه الى قومس حتى وقف على سنداد سمرى فلما حاول وداعه قال له المأمون لاتدع زيارتنا ان كان لنا من هذا الامر شئ فلما افضت الخلافة الى المأمون وفد اليه العتابي زائرا فحجب عنه فتعرض ليحيي بن أكثم فقال ايها القاضي ان رأيت ان تذكرني لامير المؤمنين فقال له يحيي ما انا بالحاجب قال له قد علمت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان فدخل على المأمون فقال يا امير المؤمنين اجرني من العتابي ولسانه فلم يأذن له وشغل عنه فلما رأى العتابي جفاءه وقد تمادى كتب اليه

ماعلى ذا كنا افترقنا بسندا * د ولا هكذا رأينا الاخاء
لم أكن أحسب الخلافة يزدا * د بها ذو الصفاء الا صفاء
تضرب الناس بالمثقفة السمـ * ـر على غدرهم وتنسى الوفاء

فلما قرأ أبياته دعا به فلما دنا منه سلم بالخلافة ووقف بين يديه فقال يا عتابي بلغتنا وفاتك فغمتنا ثم انتهت الينا وفادتك فسرتنا فقال يا امير المؤمنين لو قسم هذا البر على أهل منى وعرفات لوسعهم فانه لادين الابك ولادنيا الامعك قال سل حاجتك قال يدك بالعطية أطلق من لساني بالمسئلة فأحسن جائزته وانصرف ﴿وفود أبي عثمان المازني على الواثق﴾ أبو عثمان بكر بن محمد قال له هل خلفت وراءك أحدا يهمك امره قلت اخية لي ربيتها فكأنها بنتي قال ليت شعري ماقالت حين فارقتها قال انشدتني قول الاعشى

تقول ابنتي حين جد الرحيل * أرانا سواء ومن قد يتم
ابانا فلا رمت من عندنا * فانا نخاف بان تخترم
ارانا اذا اضمرتك البلا * د نجفى وتقطع منا الرحم

قال ليت شعري ماقلت لها قال انشدتها يا امير المؤمنين قول جرير

ثقي بالله ليس له شريك * ومن عند الخليفة بالنجاح

قال انك النجاح وأمر له بعشرة آلاف درهم ثم قال حدثني حديثا ترويه عن أبي مهدية مستظرفا قلت يا امير المؤمنين حدثني الاصمعي قال قال لي أبو مهدية بلغني ان الاعراب والاعراب سواء في الهجاء قلت نعم قال فاقرأ الاعراب اشد كفرا ونفاقا ولا تقرأ الاغراب ولايغرنك الغرب وان صام وصلى فضحك الواثق حتى شغر برجله وقال لقد اتى أبو مهدية من الغريبة نثرا وأمر لي بخمسمائة دينار ﴿الوافدات على معاوية * وفود سودة ابنة عمارة على معاوية﴾ عامر الشعبي قال وفدت سودة ابنة

كلام يقضي حق البيان ويملك رق الحسن والاحسان كلام منه يجتنى الدر وبه يعقد السحر وعنده يعتب الدهر وله ينشرح الصدر ﴿ومن ألفاظهم في وصف النظم والنثر والشعر والشعراء﴾ نثر كنثر الورد نظم كنظم العقد نثر كالسحر أو ادق ونظم كالماء أو أرق رسالة كالروضة الانيقة وقصيدة كالمخدرة الرشيقة رسالة يقطر ظرفا وقصيدة تمزج بماء الراح اطفا نثره سحر البيان ونظمه قطع الجمان نثر كما تفتح الزهر ونظم كما تنفس السحر نثر ترق نواحيه وحواشيه ونظم تروق ألفاظه ومعانيه نثر كالحديقة تفتحت أحداق وردها ونظم كالخريدة توردت أسرار خدها رسالة تضحك عن غرر وزهر وقصيدة تنطوي على حبر ودرر لم ترض في برك بأخوات النثرة من نثرك حتى وصلتها ببنات الشعر من شعرك كلام كما هب نسيم السحر على صفحات الزهر ولذ طعم الكرى بعد برح السهر وشعر في نفسه شاعر توسم به المواسم والمشاعر كلام أنسى حلاوة الاولاد بحلاوته وطلاوة الربيع بطلاوته وشعر من حلة الشباب مسروق ومن طينة الوصال مخلوق قصيدة في فنها فريدة هي عروس كسوتها القوافي وحليتها المعاني شعر يترقرق فيه ماء الطبع ويرتفع له حجاب القلب والسمع شعر لامزية الاعجاز أخطأته ولا فضيلة الايجاز تخطته شعر رويته لما رأيته وحفظته لما لحظته أبيات لو حملت خلما على الزمان

عمارة بن الاشتر الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان فاستأذنت عليه فأذن لها فلما دخلت عليه سلمت فقال لها كيف أنت يا ابنة الاشتر قالت بخير يا أمير المؤمنين قال لها أنت القائلة لابيك

شمر كفعل ابيك يا ابن عمارة * يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر عليا والحسين ورهطه * واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام اخا النبي محمد * علم الهدى ومنارة الايمان
فقد الجيوش وسر امام لوائه * قدما بابيض صارم وسنان

قالت يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب فدع عنك تذكار ما قد نسي قال هيهات ليس مثل مقام أخيك نسي قالت صدقت والله يا أمير المؤمنين ما كان أخي خفي المقام ذليل المكان ولكن كما قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

وبالله اسأل يا أمير المؤمنين اعفائي مما استعفيته قال قد فعلت فقولي حاجتك قالت يا أمير المؤمنين انك للناس سيد ولامورهم مقلد والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط بسلطانك فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دياس البقر ويسومنا الخسيسة ويسألنا الجليلة هذا ابن ارطاة قدم بلادي وقتل رجالي وأخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فاما عزلته فشكرناك واما لا فعرفناك فقال معاوية اباي تهددين بقومك والله لقد هممت أن أردك اليه على قتب اشرس فينفذ حكمه فيك فسكتت ثم قالت

صلى الاله على روح تضمنه * قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به ثمنا * فصار بالحق والايمان مقرونا

قال ومن ذلك قالت علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى قال ما أرى عليك منه أثرا قالت بلى أتيته يوما في رجل ولاه صدقاتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين فوجدته قائما يصلي فانفتل من الصلاة ثم قال برأفة وتعطف ألك حاجة فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه الى السماء فقال اللهم اني لم آمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ اذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام فعزله يا أمير المؤمنين ما خزمه بخزام ولا ختمه بختام فقال معاوية اكتبوا لها بالانصاف لها والعدل عليها فقالت الي خاصة أم لقومي عامة قال وما أنت وغيرك قالت هي والله اذا الفحشاء واللؤم ان كان عدلا شاملا والا يسعني ما يسع قومي قال هيهات لطكم ابن أبي طالب الجرأة وغركم قوله

فلو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وقوله

ناديت همدان والابواب مغلقة * ومثل همدان سنى فتحة الباب
كالهندواني لم تفلل مضاربه * وجه جميل وقلب غير وجاب

اكتبوا لها بحاجتها ﴿وفود بكارة الهلالية على معاوية﴾ محمد بن عبد الله الخزاعي عن الشعبي قال استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها وهو يومئذ بالمدينة فدخلت عليه وكانت امرأة قد اسنت وعشي بصرها وضعفت قوتها ترعش بين خادمين لها فسلمت وجلست فرد عليها معاوية السلام وقال كيف أنت يا خالة فقالت بخير يا أمير المؤمنين قال غيرك الدهر قالت كذلك هو ذو غير من عاش كبر ومن مات قبر فقال عمرو بن العاص هي والله القائلة يا أمير المؤمنين

يا زيد دونك فاحتفر من دارنا * سيفا حساما في التراب دفينا
قد كنت أذخره ليوم كريهة * فاليوم ابرزه الزمان مصونا

قال مروان وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين

يجتنى بها ثمار ... ويجتنى
ويعاقروا شعرا راقني حتى شاقني
فانه مع قرب لفظه بعيد المرام
مستمر النظام قوي الأسرى
صافي الجوهر منتظم قد لبس من
البداوة فصاحتها وغشي من
الحضارة سماحتها فان شئت
قلت عبيد ولبيد وان شئت
حبيب والوليد قصيدته روضة
تجتنى بالافكار ونقل يتناول
بالاسماع والابصار ونقل العلم
والادب ألذ من نقل المآكل
والمشرب وفاكهة الكلام
أطيب من فاكهة الطعام نظم
كنظم الجمان وروض كالجنان
وأمن الفؤاد وطيب الرقاد
قصيدة لم أر غيرها بكرا استوفت
أقسام الحسنة واستكملت
احكام الدربة فعليها رونق
الشباب ولها قوة المذكيات
الصلاب روح الشعر وتاج
الدهر ومقدمة عساكر السحر
كل بيت شعر خير من بيت تبر
شعر يحكم له بالاعجاز والتبريز
ويشبه في صفاء سبكه بالذهب
الابريز شعر تأتلف القلوب على
درره ائتلافا وتصير الآذان له
اصدافا لله دره ما أحلى شعره وأنقى
دره وأعلى قدره وأعجب أمره
قد أخذ برقاب القوافي وملك
رق المعاني فضله برهان حق
وشعره لسان صدق فلان
يضرب بعجائب ويبدع فيما
يصنع حسن السبك محكم
الرصف بديع الوصف مرغوب
في شعره متنافس في دره هو
ضارب في قداح الشعر بأعلى
السهام آخذ في عيون الفضل
بأوفى الاقسام شعاره أشعاره

أترى ابن هند للخلافة مالكا * هيهات ذاك وان أراد بعيد
منتك نفسك فى الخلاء ضلالة * أغراك عمرو للشقا وسعيد

قال سعيد بن العاصى هى والله القائلة

قد كنت اطمع ان أموت ولا أرى * فوق المنابر من أمية خاطبا
فالله أخر مدتى فتطاولت * حتى رأيت من الزمان عجائبا
فى كل يوم للزمان خطيبهم * بين الجميع لآل أحمد عائبا

ثم سكتوا فقالت يا معاوية كلامك أعشى بصرى وقصر حجتى أنا والله قائلة ما قالوا وما خفى عليك منى أكثر فضحك وقال ليس يمنعنا ذلك من برك اذكرى حاجتك قالت الآن فلا ﴿ وفود الزرقاء على معاوية ﴾ عبيد الله بن عمرو الغسانى عن الشعبي قال حدثنى جماعة من بنى أمية ممن كان يسمر مع معاوية قال بينما معاوية ذات ليلة مع عمرو وسعيد وعتبة والوليد اذ ذكروا الزرقاء ابنة عدى بن قيس الهمدانية وكانت شهدت مع قومها بصفين فقال أيكم يحفظ كلامها قال بعضهم نحن نحفظه يا أمير المؤمنين قال فأشيروا على فى أمرها فقال بعضهم نشير عليك بقتلها قال بئس الرأى أشرتم به على أيحسن بمثلى أن يتحدث عنه انه قتل امرأة بعد ما ظفر بها فكتب الى عامله بالكوفة أن يوفدها اليه مع ثقة من ذوى محارمها وعدة من فرسان قومها وان يمهد لها وطاء لينا ويسترها بستر خصيف ويوسع لها فى النفقة فأرسل اليها فأقرأها الكتاب فقالت ان كان أمير المؤمنين جعل الخيار الى فانى لا آتيه وان كان حتم فالطاعة أولى فحملها وأحسن جهازها على ما أمر به فلما دخلت على معاوية قال مرحبا وأهلا قدمت خير مقدم قدمه وافد كيف حالك قالت بخير يا أمير المؤمنين أدام الله لك النعمة قال كيف كنت فى مسيرك قالت ربيبة بيت أو طفلا ممهدا قال بذلك أمرناهم أتدرين فيم بعثت اليك قالت أنى لى بعلم ما لم أعلم قال ألست الراكبة الجمل الأحمر والواقفة بين الصفين تحضين على القتال وتوقدين الحرب فما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب ولم يعد ما ذهب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والأمر يحدث بعده الأمر قال لها معاوية أتحفظين كلامك يومئذ قالت لا والله لا أحفظه ولقد أنسيته قال لكنى أحفظه لله أبوك حين تقولين أيها الناس ارعووا وارجعوا انكم قد أصبحتم فى فتنة غشتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة فيا لها فتنة عمياء صماء بكماء لا تسمع لناعقها ولا تنساق لقائدها ان المصباح لا يضىء فى الشمس ولا تنير الكواكب مع القمر ولا يقطع الحديد الا الحديد ألا من استرشدنا أرشدناه ومن سألنا أخبرناه أيها الناس ان الحق كان يطلب ضالته فأصابها فصبرا يا معشر المهاجرين على الغصص فكأن قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة الحق ودمغ الحق بالظلمة فلا يجهلن أحد فيقول كيف وأنى ليقضى الله أمرا كان مفعولا ألا وان خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء ولهذا اليوم ما بعده * والصبر خير فى الأمور عواقبا * ايها فى الحرب قدما غير ناكصين ولا متشاكسين ثم قال لها والله يا زرقاء لقد شركت عليا فى كل دم سفكه قالت أحسن الله بشارتك وأدام سلامتك فمثلك بشر بخير وسر جليسه قال أو يسرك ذلك قالت نعم والله لقد سررت بالخبر فأنى لك بتصديق الفعل فضحك معاوية وقال والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب من حبكم له فى حياته اذكرى حاجتك قالت يا أمير المؤمنين آليت على نفسى أن لا أسأل أميرا أعنت عليه أبدا ومثلك أعطى عن غير مسئلة وجاد عن غير طلبة قال صدقت وأمر لها وللذين جاؤا معها بجوائز وكساء ﴿ وفود أم سنان بنت خيثمة على معاوية رحمه الله تعالى ﴾ سعيد بن أبى حذافة قال حبس مروان وهو والى المدينة غلاما من بنى ليث فى جناية جناها فأتته جدة الغلام وهى أم سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجية فكلمته فى الغلام فأغلظ مروان فخرجت الى معاوية فدخلت عليه فانتسبت فعرفها فقال لها مرحبا يا ابنة خيثمة ما أقدمك أرضنا وقد عهدتك تشنئينا وتحضين علينا عدونا قالت ان لبنى عبد

ودأبه آدابه هو ممن يشقه فيبتدع طبعه على علمه ما الاعل الاستماع اليه قريحة غير قريحة وطبع غير طبع وخيم غير وخيم لبيد عنده بليد وعبيد لديه من العبيد والفرزدق عنده أقل من فرزدقة خبير وجرير قاد اليه بجرير قد نسج حللا لا يبلى جدتها الجديدان ولا تزداد الا حسنا على تردد الازمان نظمه قد نظم حاشيتى البر والبحر وأدرك ناحيتى الشرق والغرب أشعاره قد وردت المياه وركبت الافواه وسارت فى البلاد ولم تسر بزاد وطارت فى الآفاق ولم تمش على ساق شعره أسير من الامثال وأسرى من الخيال سار مسير الرياح وطار بغير جناح أشعاره سارت مسير الشمس وهبت هبوب الريح وطبقت نجوم الارض وانتظمت الشرق الى الغرب قد كادت الايام تنشدها والليالى تحفظها والجن تدرسها والطير تتغنى بها ابيات اسفر عنها طبع المجد فعلمت كيف يتكسر الزهر على صفحات الحدائق وكيف يغرس الدر فى رياض المهارق شعر قد احسن خدمته بكمال فكره ووقف كيف شاء عند عالى امره شعر يعلق فى كعبة المجد ويتوج به مفرق الدهر جاءت القصيدة ومعها غرة الملك وعليها رواء الصدق وفيها سيما العلم وعنده السان المجد ولها صيال الحق لا غرو اذا فاض بحر العلم على لسان الشعر ان ينتج مالا عين وقعت على مثله ولا اذن سمعت بشبهه شعر

مناقب أخلاقا طاهرة وأحلاما وافرة لا يجهلون بعد علم ولا يسفهون بعد حلم ولا ينتقمون بعد عفو وان اولى الناس باتباع ما سن آباؤه لانت قال صدقت نحن كذلك وكيف قولك

عزب الرقاد فمقلتي لا ترقد * والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمروا * ان العدو لآل أحمد يقصد
هذا علي كالهلال تحفه * وسط السماء من الكواكب اسعد
خير الخلائق وابن عم محمد * ان يهدكم بالنور منه تهتدوا
ما زال مذ شهد الحروب مظفرا * والنصر فوق لوائه ما يفقد

قالت كان ذلك يا أمير المؤمنين وأرجو ان تكون لنا خلفا فقال رجل من جلسائه كيف يا أمير المؤمنين وهي القائلة

اما هلكت ابا الحسين فلم تزل * بالحق تعرف هاديا مهديا
فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت * فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفا كما * اوصى اليك بنا فكنت وفيا

قالت يا أمير المؤمنين لسان صدق وقول نطق ولئن تحقق ما ظننا فحظك الاوفر والله ما ورثك والله الشنآن في قلوب المسلمين الا هؤلاء فادحض مقالتهم وأبعد منزلتهم فانك ان فعلت ذلك تزدد من الله قربا ومن المؤمنين حبا قال وانك لتقولين ذلك قالت سبحان الله والله ما مثلك مدح بباطل ولا اعتذر اليه بكذب وانك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا كان والله علي أحب الينا منك وانت أحب الينا من غيرك قال ممن قالت من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص قال وبم استحققت ذلك عندك قالت بسعة حلمك وكريم عفوك قال فانهما يطمعان في ذلك قالت هما والله من الرأي على ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله تعالى قال والله لقد قاربت فما حاجتك قالت يا أمير المؤمنين ان مروان تبنك بالمدينة تبنك من لا يريد منها البراح لا يحكم بعدل ولا يقضي بسنة يتتبع عثرات المسلمين ويكشف عورات المؤمنين حبس ابن ابني فأتيته فقال كيت وكيت فأسمعته اخشن من الحجر وألقمته امر من الصاب ثم رجعت الى نفسي باللائمة وقلت لم لا اصرف ذلك الى من هو اولى بالعفو منه وأتيتك يا أمير المؤمنين لتكون في أمري ناظرا وعليه معديا قال صدقت لا أسألك عن ذنبه والقيام بحجته اكتبوا لها باطلاقه قالت يا أمير المؤمنين وأنى لي بالرجعة وقد نفد زادي وكلت راحلتي فأمر لها براحلة وخمسة آلاف ۞{ وفود عكرشة بنت الاطرش على معاوية رحمه الله تعالى }۞ ابو بكر الهذلي عن عكرمة قال دخلت عكرشة بنت الاطرش بن رواحة على معاوية متوكئة على عكاز فسلمت عليه بالخلافة ثم جلست فقال لها معاوية الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين قالت نعم اذ لا علي حي قال ألست المتقلدة حمائل السيوف بصفين وانت واقفة بين الصفين تقولين أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان الجنة لا يرحل من أوطنها ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها ولا تنصرم همومها وكونوا قوما مستبصرين في دينهم مستظهرين بالصبر على طلب حقهم ان معاوية دلف اليكم بعجم العرب غلف القلوب لا يفقهون الايمان ولا يدرون ما الحكمة دعاهم بالدنيا فأجابوه واستدعاهم الى الباطل فلبوه فالله الله عباد الله في دين الله اياكم والتواكل فان ذلك ينقض عرى الاسلام ويطفئ نور الحق هذه بدر الصغرى والعقبة الاخرى يا معشر المهاجرين والانصار امضوا على بصيرتكم واصبروا على عزيمتكم فكأني بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البعير فكأني أراك على عصاك هذه وقد انكفأ عليك العسكران يقولون هذه عكرشة بنت الاطرش بن رواحة فان كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله وكان أمر الله قدرا مقدورا فما حملك على ذلك قالت يا أمير المؤمنين انه كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا وانا قد فقدنا ذلك قالت فما يجبر لنا كسير ولا ينعش لنا فقير فان كان ذلك عن رأيك فمثلك تنبه عن

يكتب في غرة الدهر ويشرح في جبهة الشمس

۞{ وهذه جملة من فصول اهل العصر تليق بهذا الموضع }۞

كتب ابو الفضل بن العميد الى ابي محمد خلاد الرامهرمزي القاضي وصل كتابك الذي وصلت جناحه بفنون صلاتك وتفقدك وضروب برك وتعهدك فارتحت لكل ما اوليت وابتهجت بجميع ما اهديت واضفت احسانك في كل فصل الى نظائره التي وكلت بها ذكري ووقفت عليها شكري وتأملت النظم فملكني العجب به وبهرني التعجب منه وقد رمت ان اجري على العادة في تشبيه مستحسن من زهر حقير وحال وحلي وشذور الفرائد في نحور الخرائد وبالعذارى يغدون في الحلل البيض وقد رحن في الخطوط السود فلم أره اشيء عدلا ولا ارضى ما عددته مثلا والله يزيدك من فضله ولا يخليك من احسانه وطوله ويلهمك من برا خوانك ما تتم به صنائعك لديهم ويرب معه احسانك اليهم (وكتب) ابو القاسم اسمعيل بن عباد الصاحب الى ابي سعيد الشبيبي قد رأى شيخ الدواتين كيف الكلف بسادتي من اهل ميكال ايدهم الله بين وداضمره على البعد وابثار اظهره على تراخي المزار وتقريظ عليه على الملوان ومدح انطق فيه بلسان الزمان حتى اذ ذكرهم اذا جرى على لساني اهتزت له نفسي وفضلهم اذا جرى على سمعي انفرج له صدري فتلك عصبة خير فضلها باهر وشرفها اعلى شرف النماء

الغفلة وراجع التوبة وان كان عن غير رأيك فما مثلك استعان بالخونة ولا استعمل الظلمة قال معاوية ياهذه انه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور تنبثق و بحور تنفهق قالت ياسبحان الله والله مافرض الله لنا حقا فجعل فيه ضررا على غيرنا وهو علام الغيوب قال معاوية ياأهل العراق نبهكم على بن أبي طالب فلم تطاقوا ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وانصافها ﴿قصة دارمية الحجونية مع معاوية رحمه الله تعالى﴾ سهل بن أبي سهل التميمي عن أبيه قال حج معاوية فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجونية يقال لها دارمية الحجونية وكانت سوداء كثيرة اللحم فأخبر بسلامتها فبعث اليها فجيء بها فقال ماجاء بك يا ابنة حام فقالت لست لحام ان عبتني انا امرأة من بني كنانة قال صدقت أتدرى لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب الا الله قال بعثت اليك لاسألك علام أحببت عليا وأبغضتني وواليته وعاديتني قالت او تعفيني قال لا أعفيك قالت أما اذا أبيت فاني أحببت عليا على عدله في الرعية وقسمه بالسوية وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالامر وطلبتك ماليس لك بحق وواليت عليا على ماعقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء وحبه المساكين واعظامه لاهل الدين وعاديتك على سفكك الدماء وجورك في القضاء وحكمك بالهوى قال فلذلك انتفخ بطنك وعظم ثدياك وربت عجيزتك قالت ياهذا بهند والله كان يضرب المثل في ذلك لابي قال معاوية ياهذه اربعي فانا لم نقل الا خيرا انه اذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها واذا عظم ثدياها تروى رضيعها واذا عظمت عجيزتها رزن مجلسها فرجعت وسكنت قال لها ياهذه هل رأيت عليا قالت اى والله قال فكيف رأيته قالت رأيته والله لم يفتنه الملك الذى فتنك ولم تشغله النعمة التى شغلتك قال فهل سمعت كلامه قالت نعم والله فكان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صدأ الطست قال صدقت فهل لك من حاجة قالت أو تفعل اذا سألتك قال نعم قالت تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها قال تصنعين بها ماذا قالت اغذو بألبانها الصغار واستحيي بها الكبار واكتسب بها المكارم واصلح بها بين العشائر قال فان أعطيتك ذلك فهل احل عندك محل على ابن أبي طالب قالت سبحان الله أودونه فأنشأ معاوية يقول

اذا لم أعد بالحلم منى عليكم * فمن ذا الذى بعدى يؤمل للحلم
خذيها هنيأ واذكرى فعل ماجد * جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال أما والله لو كان على حيا ما أعطاك منها شيأ قالت لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين ﴿وفود أم الخير بنت حريش على معاوية﴾ عبد الله بن عمر الغسانى عن الشعبي قال كتب معاوية الى واليه بالكوفة ان يحمل اليه أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقي برحلها واعلمه انى مجازيه بالخير خيرا و بالشر شرا بقولها فيه فلما ورد عليه كتابه ركب اليها فاقرأها كتابه فقالت أما أنا فغير زائغة عن طاعة ولا معتلة بكذب ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لامور تختلج في صدرى فلما شيعها واراد مفارقتها قال لها ياأم الخير ان أمير المؤمنين كتب الى انه مجازينى بالخير خيرا و بالشر شرا فمالى عندك قالت ياهذا لا يطمعك برك بى ان أسرك بباطل ولا يؤيسك معرفتى بك ان أقول فيك غير الحق فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية فانزلها مع الحرم ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه فقالت السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال لها وعليك السلام ياأم الخير بحق مادعوتنى بهذا الاسم قالت ياأمير المؤمنين لكل أجل كتاب قال صدقت فكيف حالك ياخالة وكيف كنت في مسيرك قالت لم أزل ياأمير المؤمنين في خير وعافية حتى صرت اليك فأنا في مجلس أنيق عند ملك رفيق قال معاوية بحسن نيتى ظفرت بكم قالت ياأمير المؤمنين يعيذك الله من دحض المقال وماتؤدى عاقبته قال ليس هذا أردنا أخبرينا كيف كان كلامك اذ قتل عمار بن ياسر قالت لم أكن زورته قبل ولا رويته بعد وانما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة فان أحببت ان احدث لك مقالا غير ذلك فعلت فالتفت معاوية الى جلسائه فقال أيكم يحفظ كلامها فقال رجل منهم انا أحفظ

زاهر وشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء والله يتمم اعدادها ولا يعدمنى ودادها واذا كان اكبارى لهم هذا الاكبار فكل منتسب الى جنابهم اذ يلدى تشير في يدى وطرأ على فلان منتسبا الى جنابهم وحبذا الجملة ومعتزيا الى خدمتهم ونعمت الخدمة فقررناه عن طبع سمح والفظ عذب وصلة نثر ينظم فان شاء قال انا الوليد وان شاء قال انا عبد الحميد ولم اعظم عن خرجته تلك النعمة ونقصته تلك السدة ان يأخذ من كل سنة بعروة ويقدح في كل نار بجذوة وآنسنا بالمقام مدة اكدتها شوافع عدة الى ان تذكر معاهد راى فيها الدهر طلقا والزمان غلاما والفضل رهنا والافضال لزاما فحن حنين الركاب وركب عزيم الاياب ﴿فصل كتبه الامير ابو الفضل عبد الله بن احمد الميكالى الى ابى القاسم الداودى جوابا عن كتاب له ورد عليه﴾ وابو الفضل رئيس نيسابور واعم الهاف وقتنا هذا وسيمر من كلامه ونثره ونظامه مايغنى عن التنويه ويكفى عن التفهيه ويجل عن التشبيه ويكون كما قال ابو الحسن الاخفش على ابن سليمان * استهدى ابراهيم ابن المدبر ابا العباس محمد بن يزيد جليسا يجمع الى تأديب ولده الامتاع بايناسه فندبنى لذلك وكتب اليه معى قد انفذت اليك اعزك الله فلانا وجملة امره انه كما قال الشاعر

اذا زرت الملوك فان حسبي
شفيعا عندهم ان يخبروني

بعض كلامها يا أمير المؤمنين قال هات قال كأني بها بين بردين زئبريين كثيفي النسيج وهي على جمل أرمك وبيدها سوط منتشر الضفيرة وهي كالفحل يهدر في شقشقته تقول يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ان الله قد أوضح لكم الحق وأبان الدليل وبين السبيل ورفع العلم ولم يدعكم في عمياء مدلهمة فأين تريدون رحمكم الله أفرارا عن أمير المؤمنين أم فرارا من الزحف أم رغبة عن الاسلام أم ارتدادا عن الحق أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ثم رفعت رأسها الى السماء وهي تقول اللهم قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرغبة وبيدك يارب ازمة القلوب فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى وألف القلوب على الهدى واردد الحق الى أهله هلموا رحمكم الله الى الامام العادل والرضى التقي والصديق الأكبر انها احن بدرية وأحقاد جاهلية وثب بها واثب حين الغفلة ليدرك ثارات بني عبد شمس ثم قالت قاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون صبرا يا معشر المهاجرين والانصار قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم فكأني بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة فرت من قسورة لا تدري أين يسلك بها من فجاج الارض باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وعما قليل ليصبحن نادمين حتى تحل بهم الندامة فيطلبون الاقالة ولات حين مناص انه من ضل والله عن الحق وقع في الباطل الا ان أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها واستطابوا الآخرة فسعوا لها فالله الله أيها الناس قبل ان تبطل الحقوق وتعطل الحدود وتقوى كلمة الشيطان فالى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره وأبي سبطيه خلق من طينته وتفرع من نبعته وخصه بسره وجعله باب دينه وأبان ببغضه المنافقين وها هو ذا مفلق الهام ومكسر الاصنام صلى والناس مشركون وأطاع والناس كارهون فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزيه وأفنى أهل أحد وهزم الاحزاب وقتل الله به أهل خيبر وفرق به جمع أهوائهم فيا لها من وقائع زرعت في قلوب نفاقا وردة وشقاقا وزادت المؤمنين ايمانا قد اجتهدت في القول وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله فقال معاوية يا أم الخير ما أردت بهذا الكلام الا قتلي ولو قتلتك ما حرجت في ذلك قالت والله ما يسوءني ان يجري قتلي على يدي من يسعدني الله بشقائه قال هيهات يا كثيرة الفضول ما تقولين في عثمان بن عفان رحمه الله قالت وما عسيت أن أقول في عثمان استخلفه الناس وهم به راضون وقتلوه وهم له كارهون قال معاوية يا أم الخير هذا ثناؤك الذي تثنين قالت لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا ما أردت بعثمان نقصا ولكن كان سابقا الى الخير وانه لرفيع الدرجة غدا قال فما تقولين في الزبير قالت وما أقول في ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأنا أسألك بحق الله يا معاوية فان قريشا تحدثت انك أحلمها أن تعفيني من هذه المسائل وتسألني عما شئت من غيرها قال نعم ونعمة عين قد أعفيتك منها ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردها مكرمة

﴿وفود أروى بنت عبد المطلب على معاوية رحمه الله﴾ العباس بن بكار قال حدثني عبد الله بن سليمان المدني وأبو بكر الهذلي أن أروى بنت الحرث بن عبد المطلب دخلت على معاوية وهي عجوز كبيرة فلما رآها معاوية قال مرحبا بك وأهلا يا خالة فكيف كنت بعدنا فقالت يا ابن أخي لقد كفرت يد النعمة وأسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك من غير دين كان منك ولا من آبائك ولا سابقة في الاسلام بعد ان كفرتم برسول الله صلى الله عليه وسلم فأتعس الله منكم الجدود وأضرع منكم الخدود ورد الحق الى أهله ولو كره المشركون وكانت كلمتنا هي العليا ونبينا صلى الله عليه وسلم هو المنصور فوليتم علينا من بعده وتحتجون بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أقرب اليه منكم وأولى بهذا الامر فكنا فيكم بمنزلة بني اسرائيل في آل فرعون وكان علي بن أبي طالب رحمه الله بعد نبينا بمنزلة هرون من موسى فغايتنا الجنة وغايتكم النار فقال لها عمرو بن العاصي كفي أيتها العجوز الضالة واقصري عن

﴿وفصل لأبي الفضل﴾ وقفت على ما أتحفني به الشيخ من نظمه الرائق البديع وخطه المزري بزهر الربيع موشحا بغرر ألفاظه التي لو أعيرت حلتها العاطلات قلائد النحور وأبكار معانيه التي لو قسمت حلاوتها لأعذبت موارد الصدور فسرحت طرفي منها في رياض جادتها سحائب العلوم والحكم وهب عليها نسيم الفضل والكرم وابتسمت عنها ثغور المعالي والهمم ولم أدر وقد حيرتني أصنافها وبهرتني ثغورها وأوصافها حتى كست في اهتزازا واعجابا وانشأت بيني وبين التماسك سترا وحجابا ولم أدر أدهتني لها نشوة راح أم ازدهتني نغمة ارتياح وانتظم عندي منها عقد نشاء وقريض أم قرع سمعي منها غناء معبد وغريض وكيفما كان فقد حوى رتبة الاعجاز والابداع وأصبح نزهة القلوب والاسماع فمن جارحة الاوهي تود لو كانت أذنا فتلتقط درره وجواهره أو عينا فتجتلي مطالعه ومناظره أو لسانا فتدرس محاسنه ومفاخره

﴿وله فصل من كتاب الى أبي منصور عبد الملك بن محمد بن اسمعيل الثعالبي﴾ وصل كتاب مولاي وسيدي أبدع الكتب هوادي وأعجازا وأبرعها بلاغة واعجازا فحسبت ألفاظه در السحاب أو أصفى قطرا وديمة ومعانيه در السخاب بل أوفى قدرا وقيمة وتأملت الابيات فوجدتها فائقة النظم والرصف عبقة النسيم والعرف فائزة بقداح الحسن والظرف مالكة لزمام القلب والطرف ولا غرو

قولك مع ذهاب عقلك اذ لا تجوز شهادتك وحدك فقالت له وأنت يا ابن النابغة تتكلم وأمك كانت أشهر امرأة تغنى بمكة وآخذهن لأجرة ادعاك خمسة نفر من قريش فسئلت أمك عنهم فقالت كلهم أتانى فانظروا أشبههم به فألحقوه به فغلب عليك شبه العاصى بن وائل فلحقت به فقال مروان كفى أيتها العجوز واقصرى لما جئت له فقالت وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم ثم التفتت الى معاوية فقالت والله ما جرأ على هؤلاء غيرك فان أمك القائلة فى قتل حمزة

نحن جزيناكم بيوم بدر * والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان لى من عتبة من صبر * وشكر وحشى على دهرى * حتى ترم أعظمى فى قبرى

(فأجابتها بنت عمى وهى تقول) خزيت فى بدر وبعد بدر * يا ابنة جبار عظيم الكفر

فقال معاوية عفا الله عما سلف يا خالة هات حاجتك قالت ما لى اليك حاجة وخرجت عنه

﴿فرش كتاب مخاطبة الملوك﴾

(قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه) قد مضى قولنا فى الوفود والوافدات ومقاماتهم بين يدى نبى الله صلى الله عليه وسلم وبين يدى الخلفاء والملوك ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه وتأييده وتسديده فى مخاطبة الملوك والتزلف اليهم بسحر البيان الذى يمازج الروح لطافة ويجرى مع النفس رقة والكلام الرقيق مصايد القلوب وان منه لما يستعطف المستشيط غيظا والمندمل حقدا حتى يطفئ جمرة غيظه ويسل دفائن حقده وان منه لما يستميل قلب اللئيم ويأخذ بسمع الكريم وبصره وقد جعله الله تعالى بينه وبين خلقه وسيلة نافعة وشافعا مقبولا قال تبارك وتعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم وسنذكر فى كتابنا هذا ان شاء الله تعالى من تخلص من أنشوطة الهلاك وتفلت من حبائل المنية بحسن التنصل ولطيف التوصل ولين الجواب ورقيق الاستعتاب حتى عادت سيآته حسنات وعوض بالثواب بدلا من العقاب وحفظ هذا الباب أوجب على الانسان من حفظ عرضه والزم له من قوام بدنه ﴿البيان﴾ كل شئ كشف لك قناع المعنى الخفى حتى يتأدى الى الفهم ويتقبله العقل فذلك البيان الذى ذكره الله فى كتابه ومن به على عباده فقال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان * وسئل النبى صلى الله عليه وسلم فيم الجمال فقال فى اللسان يريد البيان (وقال) صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وقالت العرب أنفذ من الرمية كلمة حفية (وقال الراجز) لقد خشيت أن تكون ساحرا * راوية مرا ومرا شاعرا

(وقال) سهل بن هرون العقل رائد الروح والعلم رائد العقل والبيان ترجمان العلم وقالوا البيان بصر والعى عمى كما أن العلم بصر والجهل عمى والبيان من نتاج العلم والعى من نتاج الجهل (وقالوا) ليس لمنقوص البيان بهاء ولو حك بيافوخه عنان السماء (وقال) صاحب المنطق حد الانسان الحى الناطق المبين وقال الروح عماد البدن والعلم عماد الروح والبيان عماد العلم ﴿تبجيل الملوك وتعظيمهم﴾ قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وقالت العلماء لا يؤم ذو سلطان فى سلطانه ولا يجلس على تكرمته الا باذنه (وقال زياد) لا يسلم على قادم بين يدى أمير المؤمنين (وقال يحيى بن خالد بن برمك) مساءلة الملوك عن حالها من سجية النوكى فاذا أردت أن تقول كيف أصبح الامير فقل صبح الله الامير بالنعمة والكرامة واذا كان عليلا فأردت أن تسأله عن حاله فقل أنزل الله على الامير الشفاء والرحمة فان الملوك لا تسئل ولا تشمت ولا تكيف وأنشد

ان الملوك لا يخاطبونا * ولا اذا ملوا يعاتبونا * وفى المقال لا ينازعونا
وفى العطاس لا يشمتونا * وفى الخطاب لا يكيفونا * يثنى عليهم ويبجلونا
* فافهم وصاتى لا تكن مجنونا * (اعتل) الفضل بن يحيى فكان اسمعيل بن صبيح الكاتب اذا أتاه عائدا لم يرد على السلام عليه والدعاء له ويخفف فى الجلوس ثم يلقى حاجبه فيسأله عن حاله ومأكله

أن يصدر مثلها على ذلك الخاطر وهو هدف الفقر والنوادر وصدف الدرر والجواهر والله يمتعه بما منحه من هذه الغرر والاوضاح كما أطلق فيه السنة الثناء والامتداح وأبو منصور هذا يعيش الى وقتنا هذا وهو فريد دهره وقريع عصره ونسيج وحده وله مصنفات فى العلم والادب تشهد له بأعلى الرتب وقد فرقت ما اخترته منها فى هذا الكتاب مع ما تعلق بشاكلته من الخطاب * منها من كتاب سماه سحر البلاغة قال فى صدر هذا الكتاب أخرجت بعضه من غرر نجوم الارض ونكت أعيان الفضل من بلغاء العصر فى النثر وحليت بعضه من نظم امراء الشعراء الذين أوردت ملح أشعارهم فى كتابى المترجم بيتيمة الدهر فلفقت جميع ذلك وزينته ونسقته وأنفقت عليه ما رزقته وعملته بكد الناظر وجهد الخاطر وتعب اليمين وعرق الجبين وتعمدت فيه لذة الجدة ورونق الحداثة وحلاوة الطراوة ولم أشبه بشئ من كلام غير أهل العصر الا فى قلائل وقلائد من ألفاظ الجاحظ وابن المعتز تخللت اثناءه وتوشحت تضاعيفه ولم أخل كلماته التى هى وسائط الآداب وصياقل الالباب وما تستمتع أنفس الادباء وتلذ أعين الكتاب من لفظ صحيح أو معنى صريح أو تجنيس أنيس او تشبيه بلا شبيه أو تمثيل بلا مثيل ولا عديل او استعارة مختارة او طباق ذى رونق باق فمن مرافق هذا الكتاب قرب تناوله من الكتاب اذا وشوا

ومشى به ونومه وكان غيره يطيل الجلوس فلما أفاق من علته قال ما عادني في علتي هذه الا اسمعيل بن صبيح (وقيل) أصحاب معاوية لمعاوية انا ربما جالسناك فوق مقدار شهوتك فنريد ان تجعل لنا علامة نعرف بها ذلك فقال علامة ذلك أن أقول اذا شئتم (وقيل) ذلك ليزيد فقال اذا قلت على بركة الله (وقيل) ذلك لعبد الملك بن مروان فقال اذا وضعت الخيزرانة * ومن تمام خدمة الملوك أن يقرب الخادم اليه نعليه ولا يدعه أن يمشي اليهما ويجعل النعل اليمنى مقابلة الرجل اليمنى واليسرى مقابلة اليسرى واذا رأى متكأ يحتاج الى اصلاح أصلحه قبل أن يؤمر فلا ينتظر في ذلك أمره ويتفقد الدواة قبل أن يأمره وينفض عنها الغبار اذا قربها اليه وان رأى بين يديه قرطاسا قد تباعد عنه قربه ووضعه بين يديه على كسره (ودخل) الشعبي على الحجاج قال له كم عطاؤك قال ألفين قال ويحك كم عطاؤك قال ألفان قال فلم لحنت فيما لا يلحن فيه مثلك قال لحن الامير فلحنت وأعرب الامير فأعربت ولم أكن ليلحن الامير فأعرب أنا عليه فأكون كالمقرع له بلحنه والمستطيل عليه بفضل القول قبله فأعجبه ذلك منه ووهبه مالا ﴿قبلة اليد﴾ عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد الله بن عمر قال كنا نقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم * ومن حديث وكيع عن سفيان قال قال قبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب * ومن حديث الشعبي قال لقي النبي عليه الصلاة والسلام جعفر بن أبي طالب فالتزمه وقبل ما بين عينيه (قال) اياس ابن دغفل رأيت أبا نضرة يقبل خد الحسين (الشيباني) عن أبي الحسن عن مصعب قال رأيت رجلا دخل على علي بن الحسين في المسجد فقبل يده ووضعها على عينيه فلم ينهه (العتبي) قال دخل رجل على عبد الملك بن مروان فقبل يده وقال يدك يا أمير المؤمنين أحق يد بالتقبيل لعلوها في المكارم وطهرها من المآثم وانك تقل التثريب وتصفح عن الذنوب فمن أرادك بسوء جعله الله حصيد سيفك وطريد خوفك (ودخل) جعفر بن يحيي في زي العامة وكتمان النباهة على سليمان صاحب بيت الحكومة ومعه ثمامة بن أشرس فقال ثمامة هذا أبو الفضل فنهض اليه سليمان فقبل يده وقال له بأبي أنت ما دعاك الى أن تحمل عبدك هذه المنة التي لا أقوم بشكرها ولا أقدر أن أكافئ عليها (الشعبي) قال ركب زيد بن ثابت فأخذ عبد الله بن عباس بركابه فقال له لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقال له زيد أرني يدك فأخرج اليه يده فأخذها وقبلها وقال هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نفعل بأهل بيت نبينا * وقالوا قبلة الامام في اليد وقبلة الاب في الرأس وقبلة الاخ في الخد وقبلة الاخت في الصدر وقبلة الزوجة في الفم ﴿من كره من الملوك تقبيل اليد﴾ (العتبي) قال دخل رجل على هشام بن عبد الملك فقبل يده فقال أف له ان العرب ما قبلت الايدي الا هلوعا ولا فعلته العجم الا خضوعا * واستأذن رجل المأمون في تقبيل يده فقال له ان قبلة اليد من المسلم ذلة ومن الذمي خديعة ولا حاجة لك أن تذل ولا بنا أن نخدع * واستأذن أبو دلامة الشاعر المهدي في تقبيل يده فقال أما هذه فدعها قال ما منعت عيالي شيأ أيسر فقدا عليهم من هذه ﴿حسن التوقيع في مخاطبة الملوك﴾ قال هرون الرشيد لمعن بن زائدة كيف زمانك يا معن قال يا أمير المؤمنين أنت الزمان فان صلحت صلح الزمان وان فسدت فسد الزمان * وهذا نظير قول سعيد بن مسلم وقد قال له أمير المؤمنين الرشيد من بيت قيس في الجاهلية قال يا أمير المؤمنين بنو فزارة قال فمن بيتهم في الاسلام قال يا أمير المؤمنين الشريف من شرفتموه قال صدقت أنت وقومك (ودخل) معن بن زائدة على أبي جعفر فقال له كبرت يا معن قال في طاعتك يا أمير المؤمنين قال وانك لتتجلد قال على أعدائك يا أمير المؤمنين قال وان فيك لبقية قال هي لك يا أمير المؤمنين قال أي الدولتين أحب اليك أو أبغض دولتنا أو دولة بني أمية قال ذلك اليك يا أمير المؤمنين ان زاد برك على برهم كانت دولتك أحب الى وان زاد برهم على برك كانت دولتهم أحب الي قال صدقت (وقال) هرون الرشيد لعبد الملك بن صالح أهذا منزلك قال هو لامير المؤمنين ولي به قال كيف ماؤه قال أطيب ماء قال فكيف هواؤه قال أفسح

ديباجة كلامهم بما يقتبسونه من نوره وسماحة قياده لافراد الشعراء اذا رصعوا عقود نظامهم بما يلتقطونه من شذوره فأما المخاطبات والمحاورات فانها تتبرج بغرة من غرره وتتوج بدرة من درره * وقد ذكر جملة من أخرج معظم كتابه من نثرهم ونظمهم وهم الصابيان والخالديان وبديع الزمان وابو نصر بن المرزبان وابن أبي العلاء الاصبهاني وابو الطيب المتنبي وابو الفتح البستي وابو الفضل الميكالي وشمس المعالي والصاحب بن عباد وجماعة يكثر بهم التعداد قد ذكرهم في كتابه فكل ما مر او يمر من ذكر الفاظ اهل العصر فمن كتابه نقلت وعليه عولت * وفي ابي منصور يقول ابو الفتح علي بن محمد البستي

قلبي رهين بنيسابور عند اخ
ما مثله حين تستقري البلاد اخ
له صحائف اخلاق مهذبة
من الحجى والعلى والظرف تنتسخ

واما الذين ذكر اسماءهم في كتابه فسأظهر من جواهر شعرهم الرصين واجلو من جواهر نثرهم الثمين ما اخذ من البلاغة باليمين ﴿فصل لابي الفضل﴾ وصل كتاب الشيخ المبشر من خبر سلامته التي هي غرة الزمان البهيم وعذر الدهر المليم بما أشرقت له آفاق الفضل والكرم وعمت به نفائس الآلاء والنعم فسرحت طرفي من محاسن ألفاظه في انوار تروق ازاهرها وقلائد تروع دررها وجواهرها ومعان يسترق الرقاب باطنها وظاهرها ﴿وله الى ابي سعيد ابن خلف الهمداني﴾ وصل

هواه (وقال) أبوجعفر المنصور لجرير بن يزيد انى اردتك لامر قال يا امير المؤمنين قد أعد الله لك منى قلبا معقودا بطاعتك ورأيا موصولا بنصيحتك وسيفا مشهورا على عدوك فاذا شئت فقل (وقال) المأمون لطاهر بن الحسين صف لى ابنك عبد الله قال يا امير المؤمنين ان مدحته عبته وان ذممته اغتبته ولكنه قدح فى كف مثقف ليوم نضال فى خدمة امير المؤمنين * وامر بعض الخلفاء رجلا بأمر فقال انا اطوع لك من الرداء واذل لك من الحذاء وقال آخر أنا اطوع لك من يدك واذل لك من نعلك (وقال) المنصور لسلم بن قتيبة ماترى فى قتل ابى مسلم قال لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا قال حسبك يا ابا امية وقال المأمون ليزيد بن مزيد ما اكثر الخلفاء فى ربيعة قال بلى ولكن منابرهم الجذوع وقال المنصور لاسحق بن مسلم افرطت فى وفائك لبنى امية قال يا امير المؤمنين انه من وفى لمن لا يرجى كان لمن يرجى أوفى (وقال) هرون لعبد الملك بن صالح صف لى منبجا قال رقيقة الهواء لينة الوطاء قال فصف لى منزلك بها قال دون منازل اهلى وفوق منازل اهلها قال ولم وقدرك فوق اقدارهم قال ذلك خلق امير المؤمنين أتأسى به واقفو أثره واحذو مثاله (ودخل) المأمون يوما بيت الديوان فرأى غلاما جميلا على اذنه قلم فقال من انت يا غلام قال انا الناشئ فى دولتك والمتقلب فى نعمتك والمؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء قال المأمون بالاحسان فى البديهة تفاضلت العقول ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته (على بن يحيى) قال انى عند المتوكل حين دخل عليه الرسول براس اسحق بن اسمعيل فقام على بن الجهم يخطر بين يدى المتوكل ويقول

اهلا وسهلا بك من رسول * جئت بما يشفى من الغليل * براس اسحق بن اسمعيل

فقال المتوكل قوموا التقطوا هذا الجوهر لا يضيع (ودخل) ابن عقال بن شبة على ابى عبيد الله كاتب المهدى فقال يا ابن عقال لم ارك منذ اليوم قال والله انى لا القاك بشوق واغيب عنك بتوق (وقال) عبد العزيز بن مروان لنصيب بن رباح وكان أسود هل لك فيما يثمر المحادثة يريد المنادمة فقال أصلح الله الامير اللون مربد والشعر مفلفل ولم أقعد اليك بكريم عنصر ولا بحسن منظر وانما هو عقلى ولسانى فان رأيت أن لا تفرق بينهما فافعل (ولما) ودع المأمون الحسن بن سهل عند مرجعه من مدينة السلام قال له يا ابا محمد الك حاجة تعهد الى فيها قال نعم يا امير المؤمنين أن تحفظ على من قلبك ما لا أستعين على حفظه الا بك (وقال) سعيد بن مسلم بن قتيبة للمأمون لو لم أشكر الله الا على حسن ما ابلانى فى امير المؤمنين من قصده الى بحديثه واشارته الى بطرفه لكان ذلك من أعظم ما توجبه النعمة وتفرضه الصنيعة قال المأمون ذلك والله لان الامير يجد عندك من حسن الافهام اذا حدثت وحسن الفهم اذا حدثت ما لا يجده عند غيرك ❁ (مدح الملوك والتزلف اليهم) ❁ فى سيرة العجم ان أردشير بن يزدجرد لما استوثق له أمره جمع الناس فخطبهم خطبة حضهم فيها على الالفة والطاعة وحذرهم المعصية ومفارقة الجماعة وصنف الناس أربعة فخروا له سجدا وتكلم متكلمهم فقال لا زلت أيها الملك محبوا من الله بعز النصر ودرك الامل ودوام العافية وتمام النعمة وحسن المزيد ولا زلت تتابع لديك المكرمات وتشفع اليك الدمامات حتى تبلغ الغاية التى يؤمن زوالها ولا تنقطع زهرتها فى دار القرار التى أعدها الله لنظرائك من أهل الزلفى عنده والحظوة لديه ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر زائدين زيادة البحور والانهار حتى تستوى أقطار الارض كلها فى علوك عليها ونفاذ أمرك فيها فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الصبح ووصل الينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم فأصبحت قد جمع الله بك الايادى بعد افتراقها وألف بين القلوب بعد تباغضها واذهب عنا الاحن والحسائد بعد توقد نيرانها بفضلك الذى لا يدرك بوصف ولا يحد بنعت فقال اردشير طوبى للممدوح اذا كان للمدح مستحقا وللداعى اذا كان للاجابة أهلا (دخل) حسان بن ثابت على الحرث الجفنى فقال أنعم صباحا أيها الملك السماء غطاؤك والارض وطاؤك ووالدى ووالدتى فداؤك أنى

كتابك متضمنا من اخبار سلامته وآثار نعم الله بساحته ماادى روح البر ونسيمه وجمع فنون الفضل وتقاسيمه وجدد عندى من ثمر مواصلته ومعسول كلامه ومحاورته ماترك غصن الالفة غضا تروق اوراقه ووجه الثقة طلقا يتهلل اشراقه فكم جنيت منه من ثمر مسرة كانت عوائق الايام تجاذبنيه وحويت به من علق مضنة قلما يجود الدهر بمثله لبنيه (وله فصل الى بعض الحكام بجوين) وصل كتاب الحاكم قد وشحه بمحاسن فقره ونتائج فكره من لفظ شهى اعطته القلوب فضل المقادة ومعنى سنى جاد صوب الاصابة والاجادة وبرهنى اتفقت على الاعتراف بفضله ألسنة الثناء والشهادة فسرحت طرفى بما حواه فى بدائع وطرف قد جمعت فى الحسن والاحسان بين واسطة وطرف حتى لم تبق فى البلاغة تتمة الا نظمتها ولا فى الظرف غنيمة الا اقتسمتها ولا فى البر نقيصة الا جبرتها وتممتها ❁ (وله الى الامير السيد ابيه يهنيه بالقدوم) ❁ كتبت وانا بمنزلة من ارتد اليه شبابه بعد المشيب وارتدى برداء من العمر قشيب والحمد لله رب العالمين وصل كتاب مولاى مبشرا من خبر عوده الى مقر عزه وشرفه محروسا فى حفظ الله وكنفه بما لم تزل الآمال تتنسم روائحه وتترقب غادى صنع الله فيه ورائحه واثقة بان عادة الله الكريمة عنده تسايره وترافقه وتلازم جنابه فلا تفارقه حتى تخرجه من غمرة الغماء خروج

ينأ وبك المنذر فوالله لقذالك أحسن من وجهه ولأمك أحسن من أبيه ولظلك خير من شخصه ولصمتك خير من كلامه ولشمالك خير من يمينه ثم أنشأ يقول

قذالك أحسن من وجهه * وأمك خير من المنذر
ويسرى يديك إذا أعسرت * كيمنى يديه فلا تمتر

(ودخل) خالد بن عبد الله القسري على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة فقال يا أمير المؤمنين من تكون الخلافة قد زانته فأنت قد زنتها ومن تكون شرفته فأنت قد شرفتها كما قال الشاعر

وإذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله أعطي صاحبكم مقولا ولم يعط معقولا (ابن أبي طاهر) قال دخل المأمون بغداد فتلقاه وجوه أهلها فقال له رجل منهم يا أمير المؤمنين بارك الله لك في مقدمك وزاد في نعمتك وشكرك عن رعيتك تقدمت من قبلك وأتعبت من بعدك وآيست أن يعاين مثلك أما فيما مضى فلا نعرفه وأما فيما بقي فلا نرجوه فنحن جميعا ندعو لك ونثني عليك خصب لنا جنابك وعذب ثوابك وحسنت نظرتك وكرمت مقدرتك جبرت الفقير وفككت الأسير فأنت يا أمير المؤمنين كما قال الأول

مازلت في البذل والنوال وإطلاق لعان بجرمه غلق
حتى تمنى البراء أنهم * عندك أسرى في القيد والحلق

ودخل رجل على خالد بن عبد الله القسري فقال أيها الأمير إنك لتبذل ما جل وتجبر ما اعتل وتكثر ما قل ففضلك بديع ورأيك جميع (وقال) رجل للحسن بن سهل لقد صرت لا أستكثر كثيرك ولا أستقل قليلك قال وكيف ذلك قال لأنك أكثر من كثيرك وإن قليلك أكثر من كثير غيرك (وقال) خالد بن صفوان لوال دخل عليه قدمت فأعطيت كلا بقسطه من نظرك ومجالسك وصلاتك وعداتك حتى كأنك من كل أحد وكأنك لست من أحد (وقال) الرشيد لبعض الشعراء هل أحدثت فينا شيئا قال يا أمير المؤمنين المديح كله دون قدرك والشعر فيك كله فوق قدري ولكني استحسن قول العتابي

ماذا عسى مادح يثني عليك وقد * ناداك في الوحي تقديس وتطهير
فت المدائح إلا أن ألسننا * مستنطقات بما تخفي الضمائر

(مدح) خالد بن صفوان رجلا فقال قريب المنطق جزل الألفاظ عربي اللسان قليل الحركات حسن الإشارات حلو الشمائل كثير الطلاوة صموتا قؤولا يهنأ الجرب ويداوي الدبر ويقل الحز ويطبق المفصل لم يكن بالزمر في مروأته ولا بالهذر في منطقه متبوعا غير تابع كأنه علم في رأسه نار (دخل) سهل بن هرون على الرشيد فوجده يضاحك ابنه المأمون فقال اللهم زده من الخيرات وابسط له في البركات حتى يكون كل يوم من أيامه موفيا على أمسه مقصرا عن غده فقال له الرشيد يا سهل من روى من الشعر أحسنه وأجوده ومن الحديث أصحه وأبلغه ومن البيان أفصحه وأوضحه إذا رام أن يقول لم يعجزه قال سهل يا أمير المؤمنين ما ظننت أحدا تقدمني إلى هذا المعنى فقال بل أعشى همدان حيث يقول

وجدتك أمس خير بني لؤي * وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غدا تزيد الخير ضعفا * كذاك تزيد سادة عبد شمس

* وكان المأمون قد استثقل سهل بن هرون فدخل عليه يوما والناس عنده على منازلهم فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب فلما فرغ أقبل سهل بن هرون على ذلك الجمع فقال ما لكم تسمعون ولا تعون وتشهدون ولا تعجبون وتجبون ولا تصفون أما والله إنه ليقول ويفعل في اليوم القصير مثل ما قالت وفعلت بنو مروان في الدهر الطويل عربكم كعجمهم وعجمهم كعرب بني تميم ولكن كيف يشعر بالدواء من لا يعرف الداء قال فرجع له المأمون إلى رأيه الأول (وكان) الحجاج يستثقل زياد بن عمرو العتكي فلما أثنى الوفد على الحجاج عند عبد الملك بن مروان قال زياد يا أمير المؤمنين إن الحجاج

السيف من الغمد والبدر من السرار إلى الانجلاء فغدوت يوم وروده عيدا أعاد عهد السرور جديدا ورد طرف الحسود كليلا وقد كان حديدا ولم أشبهه في إهداء الروح والشفاء وتلافي الروح بعد أن أشفى على المكروه كل الإشفاء إلا بقميص يوسف حين تلقاه يعقوب عليه السلام من البشير وألقاه على وجهه فنظر بعين البصير فكم أوسعته لثما واستلاما والتقطت منه بردا وسلاما حتى لم تبق غلة في الصدر إلا بردتها ولا غمة في النفس إلا طردتها ولا شرعة من الأنس إلا وردتها (وله فصل من رسالة) وكاد فرط التعجب مرة وعظم الإعجاب تارة يقف بي عند أول فصل من فصوله ويثبطني من استيفاء غرره وحجوله ويوهمني أن المحاسن ما حوته قلائده ونظمته فرائده فليس في قوس إحسان وراءها منزع ولا لاقتراح جنان فوقها متطلع حتى إذا جاوزته إلى لفقه وتزيينه وأجلت فكري في نكته وعيونه رأيت ما يحير الطرف ويعجز الوصف ويعلو على الأول محلا ومكانا ويفوقه حسنا وإحسانا فرتعته كيف شئت في رياضه وحدائقه واقتبست نور الحكم من مطالعه ومشارقه وسلمت لمعانيه وألفاظه فضيلة السبق والبراعة وتلقيتهما بواجبهما من النشر والإذاعة فإنهما جمعت إلى حسن الإيجاز درجة الإعجاز وإلى فضيلة الإبداع جلالة الموقع في القلوب والأسماع (وله فصل) وصل كتاب الشيخ فنشر عندي

سيفك الذى لا ينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن بعد ذلك عند الحجاج احد اخف ولا احب اليه منه (الشيبانى) قال اقام المنصور رجلا لابنه فتكلم فى امر فأحسن فقال شبيب بن شيبة تالله ما رأيت كاليوم ابين بيانا ولا اعرب لسانا ولا اربط جاشا ولا ابل ريقا ولا احسن طريقا وحق لمن كان المنصور اباه والمهدى أخاه ان يكون كما قال زهير

هو الجواد فان يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ماقدما من صالح سبقا

*وخرج شبيب بن شيبة من دار الخلافة يوما فقيل له كيف رأيت الناس قال رأيت الداخل راجيا والخارج راضيا (وقيل) لبعض الخلفاء ان شبيب بن شيبة يستعمل الكلام ويستعذبه فلو أمرته ان يصعد المنبر فجأة لافتضح قال فأمر رسولا فأخذ بيده فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال الا ان لامير المؤمنين أشباها أربعة فمنها الاسد الخادر والبحر الزاخر والقمر الباهر والربيع الناضر فأما الاسد الخادر فاشبه منه صولته ومضاؤه وأما البحر الزاخر فاشبه منه جوده وعطاؤه وأما القمر الباهر فاشبه منه نوره وضياؤه وأما الربيع الناضر فاشبه منه حسنه وبهاؤه ثم نزل (قال) عبد الملك بن مروان لرجل دخل عليه تكلم بحاجتك قال يا أمير المؤمنين بهر الدرجة وهيبة الخلافة يمنعانى من ذلك قال فعلى رسلك فانا لا نحب مدح المشاهدة ولا تزكية اللقاء قال يا أمير المؤمنين لست أمدحك ولكن أحمد الله على النعمة فيك قال حسبك فقد أبلغت (ودخل) رجل على المنصور فقال له تكلم بحاجتك فقال يبقيك الله يا أمير المؤمنين قال تكلم بحاجتك فانك لا تقدر على هذا المقام كل حين قال والله يا أمير المؤمنين ما استقصر أجلك ولا أخاف بخلك ولا اغتنم مالك وان عطاءك لشرف وان سؤالك لزين وما لامرئ بذل وجهه اليك نقص ولا شين قال فاحسن جائزته وأكرمه (ابراهيم بن السندى) قال دخل العمانى على المأمون وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج فقال له اياك أن تنشدنى الا وعليك عمامة عظيمة الكور وخفان دلقان قال فغدا عليه فى زى الاعراب فانشده ثم دنا فقبل يده وقال قد والله يا أمير المؤمنين أنشدت يزيد بن الوليد وابراهيم بن الوليد ورأيت وجوههما وقبلت أيديهما وأخذت جوائزهما وأنشدت مروان وقبلت يده وأخذت جائزته وانشدت المنصور ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت المهدى ورأيت وجهه وقبلت يده واخذت جائزته الى كثير من أشباه الخلفاء وكبراء الامراء والسادة الرؤساء فلا والله يا أمير المؤمنين ما رأيت فيهم أبهى منظرا ولا أحسن وجها ولا انعم كفا ولا أندى راحة منك يا أمير المؤمنين قال فاعظم له الجائزة على شعره واضعف له على كلامه واقبل عليه بوجهه وبشره فبسطه حتى تمنى جميع من حضره انهم قاموا مقامه (العتبى) عن سفيان بن عيينة قال قدم على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق فنظر الى شاب منهم يتحوس للكلام فقال أكبروا أكبروا فقال يا أمير المؤمنين انه ليس بالسن ولو كان الامر كله بالسن لكان فى المسلمين من هو اسن منك فقال عمر صدقت رحمك الله تكلم فقال يا أمير المؤمنين انا لم نأتك رغبة ولا رهبة أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا وقدمت علينا بلادنا وأما الرهبة فقد امننا الله بعدلك من جورك قال فما انتم قال وفد الشكر قال فنظر محمد بن كعب القرظى الى وجه عمر يتهلل فقال يا أمير المؤمنين لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك فان ناسا خدعهم الثناء وغرهم شكر الناس فهلكوا وأنا أعيذك بالله ان تكون منهم فالقى عمر رأسه على صدره

(التنصل والاعتذار)

قال النبى صلى الله عليه وسلم من لم يقبل من متنصل عذرا صادقا كان أو كاذبا لم يرد على الحوض وقال المعترف بالذنب كمن لا ذنب له (وقال) الاعتراف يهدم الاقتراف وقال الشاعر

اذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائبا * اليك فلم تغفر له فلك الذنب

(واعتذر) رجل الى ابراهيم بن المهدى فقال قد عذرتك غير معتذر ان المعاذير يشوبها الكذب

من جلال قدره واكرامه ومحاسن خطابه وكلامه ما لم اشبهه الا بانوار النجود وحبر البرود وقلائد العقود * وذكر ابو منصور الثعالبى الامير أبا الفضل فى كتاب اللغة فقال فى بعض فصوله من اراد أن يسمع سر النظم وسحر الشعر ورقية الدهر ويرى صوب العقل وذوب الظرف ونتيجة الفضل فليستنشد ما أسفر عنه طبع مجده واثمره عالى فكره من ملح تمتزج بالنفوس لنفاستها وتشرب بالقلوب لسلاستها

قواف اذا ما رواها المشو
ق هزت له الغانيات القدودا
كسون عبيدا ثياب العبيد
د واضحى لبيد لديها بليدا

وايم الله ما مر يوم اسعفنى فيه الزمان بمواجهة وجهه واسعدنى بالاقتباس من نوره والاغتراف من بحره فشاهدت ثمار المجد والسودد تنتثر من شمائله ورأيت فضائل الدهر عيالا على فضائله وقرأت نسخة الفضل والكرم من الحاظه وانتهبت فضائل الفوائد من ألفاظه الا تذكرت ما أنشدنيه ادام الله تأييده لابن الرومى

لولا عجائب صنع الله ما نبتت
تلك الفضائل فى لحم ولا عصب

وقول الطائى

فلو صورت نفسك لم تزدها
على ما فيك من كرم الطباع

وقول كشاجم

ما كان احوج ذا الكمال الى
عيب يوقيه من العين

وربعت قول أبى الطيب

فان تفق الانام وانت منهم
فان المسك بعض دم الغزال

ثم استعرت فيه بيان أبى اسحق

(واعتذر) رجل الى جعفر بن يحيى فقال قد اغناك الله بالعذر عن الاعتذار واغنانا بحسن النية عن سوء الظن وقال ابراهيم الموصلى سمعت جعفر بن يحيى يعتذر الى رجل من تأخر حاجة ضمنها وهو يقول احتج اليك بغالب القضاء واعتذر اليك بصادق النية (وقال) رجل لبعض الملوك أنا من لا يحاجك عن نفسه ولا يغالطك فى جرمه ولا يلتمس رضاك الا من جهة عفوك ولا يستعطفك الا بالاقرار بالذنب ولا يستميلك الا بالاعتراف بالزلة (وقال الحسن بن وهب)

ما أحسن العفو من القادر * لاسيما من غير ذى ناصر
ان كان لى ذنب ولا ذنب لى * فما له غيرك من غافر
أعوذ بالود الذى بيننا * أن يفسد الاول بالآخر

(وكتب الحسن بن وهب الى محمد بن عبد الملك الزيات)

أبا جعفر ما احسن العفو كله * ولا سيما عن قائل ليس لى عذر

وقال آخر

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من أرضاك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

(وقالت) الحكماء ليس من العدل سرعة العذل وقال الاحنف بن قيس رب ملوم لا ذنب له (وقال آخر) * لعل له عذرا وانت تلوم * (وقال حبيب)

البر بى منك وطا العذر عندك لى * فيما اتاك فلم تقبل ولم تلم
وقام علمك بى فاحتج عندك لى * مقام شاهد عدل غير متهم

وقال آخر

اذا اعتذر الجانى محا العذر ذنبه * وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

(ومن قولنا فى هذا المعنى)

عذيرى من طول البكا لوعة الاسى * وليس لمن لا يقبل العذر من عذر

وقال آخر

فهبنى مسيأ كالذى قلت ظالما * فعفو جميل كى يكون لك الفضل
فان لم أكن للعفو عندك للذى * أتيت به أهلا فانت له أهل

(ومن) الناس من لا يرى الاعتذار ويقول اياك وما يعتذر منه (وقالوا) ما اعتذر مذنب الا ازداد ذنبا وقال الشاعر محمود الوراق

اذا كان وجه العذر ليس ببين * فان اطراح العذر خير من العذر

(قال ابن شهاب) الزهرى دخلت على عبد الملك بن مروان فى رجال من أهل المدينة فرآنى أحدثهم سنا فقال لى من انت فانتسبت له فقال لقد كان أبوك وعمك نعاقين فى فتنة ابن الاشعث فقلت يا أمير المؤمنين ان مثلك اذا عفا لم يعد واذا صفح لم يثرب فاعجبه ذلك وقال اين نشأت قلت المدينة قال عند من طلبت قلت سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وقبيصة بن ذؤيب قال فاين انت من عروة بن الزبير فانه بحر لا تكدره الدلاء فلما انصرفت من عنده لم أبارح عروة بن الزبير حتى مات (ودخل) ابن السماك على محمد بن سليمان بن على فرآه معرضا عنه فقال مالى ارى الامير كالعاتب على قال ذلك لشئ بلغنى عنك كرهته قال اذا لا أبالى قال ولم قال لانه اذا كان ذنبا غفرته وان كان باطلا لم تقبله (دخل) جرير بن عبد الله على أبى جعفر المنصور وكان واجدا عليه فقال له تكلم بحجتك فقال لو كان لى ذنب تكلمت بعذرى ولكن عفو أمير المؤمنين احب الى من براءتى (واتى) موسى الهادى برجل فجعل يقرعه بذنوبه فقال يا أمير المؤمنين ان اعتذارى مما تقرعنى به رد عليك واقرارى به يلزمنى ذنبا لم اجنه ولكن اقول

فان كنت ترجو فى العقوبة راحة * فلا تزهدن عند المعافاة فى الاجر

(سعى) بعبد الملك بن الفارسى الى المأمون فقال له المأمون ان العدل من عدله أبو العباس وقد كان وصفك بما وصف به ثم أتتنى الاخبار بخلاف ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان الذى بلغك عنى تحميل على ولو كان كذلك لقلت نعم كما بلغك فاخذت بحظى من الله فى الصدق واتكلت على أمير المؤمنين فى سعة عفوه قال صدقت (محمد بن القاسم الهاشمى) أبو العيناء قال كان أحمد بن يوسف الكاتب قد

الصابى حيث يقول الصاحب ورثه الله اعمارها وكما بلغه فى البلاغة أنوارها (شعر)

الله حسبى فيك من كل ما * تعود العبد على المولى
فلا تزل ترفل فى نعمة * أنت بها من غيرك الاولى

(وقال) فى فصل منه وما انسى لا انسى ايامى عنده بفيروزاباد احدى قراه برستاق جوين سقاها الله ما يحكى اخلاق صاحبها من سيل القطر فانها كانت بطلعته البدريه وعشرته العطريه وآدابه العلويه والفاظه اللؤلؤيه مع جلائل نعمه المذكوره ودقائق كرمه المشكوره وفوائد مجالسه المعموره ومحاسن اقواله وافعاله التى يعيابها الواصفون انموذجات من الجنة التى وعد المتقون واذا تذكرتها فى تلك المرابع التى هى مراتع النواظر والمصانع التى هى مطالع العيش الناضر والبساتين التى اذا أخذت بدائع زخارفها ونشرت طرائف مطارفها طوى لها الديباج الخسروانى ونفى معها الوشى الصنعانى فلم تشبه الا شيمه وآثار قلمه وازهار كلمه تذكرت سحرا وسيما وخيرا عميما وارتياحا مقيما وروحا وريحانا ونعيما وكثيرا ما احكى للاخوان انى استغرقت أربعة أشهر بحضرته وتوفرت على خدمته ولازمت فى أكثر اوقاتى عالى مجلسه وتعطرت بغبار موكبه فبالله عينا كنت غبنا عنها لو خفت حسابها انى ما انكرت طرفا من اخلاقه ولم ولم اشاهد الا مجدا وشرفا من

تولى صدقات البصرة فجار فيها وظلم فكثر الشاكي له والداعي عليه ووافى باب أمير المؤمنين زهاء خمسين رجلا من جلة البصريين فعزله المأمون وجلس لهم مجلسا خاصا وأقام أحمد بن يوسف لمناظرتهم فكان مما حفظ من كلامه أن قال يا أمير المؤمنين لو أن أحدا ممن ولي الصدقات سلم من الناس لسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون فأعجب المأمون جوابه واستجزل مقامه وخلى سبيله (محمد بن القاسم الهاشمي) أبو العيناء قال قال لي أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد دخلت على الواثق فقال لي ما زال قوم في ثلبك ونقصك فقلت يا أمير المؤمنين لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم والله ولي جزائه وعقاب أمير المؤمنين من ورائه وما ذل من كنت ناصره ولا ضاع من كنت حافظه فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين قال قلت أبا عبد الله

وسعى إلي بعيب عزة معشر * جعل الإله خدودهن نعالها

(قال) أبو العيناء قلت لأحمد بن أبي دواد إن قوما تظافروا علي قال يد الله فوق أيديهم قلت إنهم عدد وأنا واحد قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة قلت إن للقوم مكرا قال ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله قال أبو العيناء فحدثت بهذا الحديث أحمد بن يوسف الكاتب فقال ما يرى ابن أبي دواد إلا أن القرآن أنزل عليه (هجا) نهار بن توسعة قتيبة بن مسلم وكان ولي خراسان بعد يزيد بن المهلب فقال

كانت خراسان أرضا إذ يزيد بها * وكل باب من الخيرات مفتوح

فبدلت بعده قردا نطوف به * كأنما وجهه بالخل منضوح

فطلبه فهرب منه ثم دخل عليه بكتاب أمه فقال ويحك بأي وجه تلقاني قال بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك فقربه ووصله وأحسن إليه (وأقبل) المنصور يوما راكبا والفرج ابن فضالة جالس عند باب الذهب فقام الناس إليه ولم يقم فاستشاط المنصور غيظا وغضبا ودعا به فقال ما منعك من القيام مع الناس حين رأيتني قال خفت أن يسألني الله تعالى لم فعلت ويسألك عنه لم رضيت وقد كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن غضبه وقربه وقضى حوائجه (يحيى بن أكثم) قال إني عند المأمون يوما حتى أتي برجل ترعد فرائصه فلما مثل بين يديه قال له المأمون كفرت نعمتي ولم تشكر معروفي قال يا أمير المؤمنين وأين يقع شكري في جنب ما أنعم الله لك علي فنظر إلي وقال متمثلا

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد * لكثرة مال أو علو مكان

لما ندب الله العباد لشكره * فقال اشكروا لي أيها الثقلان

ثم التفت إلى الرجل فقال له هلا قلت كما قال أصرم بن حميد

رشحت حمدي حتى إنني رجل * كلي بكل ثناء فيك مشتغل

خولت شكري ما خولت من نعم * فحر شكري لما خولتني خول

❁(الاستعطاف والاعتراف)❁ لما سخط المهدي على يعقوب بن داود قال له يا يعقوب قال لبيك يا أمير المؤمنين تلبية مكروب لموجدتك قال ألم أرفع من قدرك إذ كنت وضيعا وأبعد من ذكرك إذ كنت خاملا وألبسك من نعمتي ما لم أجد لك بها يدين من الشكر فكيف رأيت الله أظهر عليك ورد إليك منك قال إن كان ذلك بعلمك يا أمير المؤمنين فتصديق معترف منيب وإن كان مما استخرجته دفائن الباغين فعائذ بفضلك فقال والله لولا الحنث في دمك بما تقدم لك لألبستك منه قميصا لا تشد عليه زرا ثم أمر به إلى الحبس فتولى وهو يقول الوفاء يا أمير المؤمنين كرم والمودة رحم وأنت بهما جدير (أخذت) الشعراء معنى قوله لألبستك منه قميصا لا تشد عليه زرا فقال معلى الطائي

طوقته بحسام طوق داهية * ما يستطيع عليه شد أزرار

وقال حبيب

طوقته بالحسام طوق ردى * أغناه عن مس طوقه بيده

احواله وما رأيته اغتاب غائبا أو سب حاضرا أو حرم سائلا أو خيب آملا أو اطاع سلطان الغضب في الحضر أو تصلى بنار الضجر في السفر أو بطش بطش المتجبر ولا وجدت المآثر إلا ما يتعاطاه والمآثم إلا ما يتخطاه (وقال في فصل منه يصفه) وأما فنون الأدب فهو ابن بجدتها وأخو جملتها وأبو عذرتها ومالك أزمتها وكأنما يوحى إليه في الاستئثار بمحاسنها والتفرد ببدائعها ولله هو إذا غرس الدر في القراطيس وطرز بالظلام رداء النهار وألقت بحار خواطره جواهر البلاغة على أنامله فهنالك الحسن برمته والحسنى بكليته * وذكر عروني على المطوعي في كتاب ألفه في شعر أبي الفضل ومنثوره والشعراء فقال رأيت أهل هذه الصناعة قد تشعبوا على طرق وانقسموا على ثلاث فرق فمنهم من اكتسى كلامه شرف الاكتساب دون شرف الانتساب كالمكتسبين من الشعراء بالمدائح المترشحين بها لأخذ الجوائز والمنائح وهم الأكثرون من أهل هذه الصناعة ومنهم من شرفت بنات فكره عند أهل العقول وجلبت لديهم فضائل القبول لشرف قائلها لا لكثرة عقائلها وكرم واشيها لا لرقة حواشيها كالعدد الكثير والجم الغفير من الخلفاء والأمراء والجلة والوزراء ومنهم من أخذ بحبل الجودة من طرفيه وجمع رداء الحسن من حاشيتيه كامرئ القيس بن حجر الكندي في المتقدمين وهو أمير الشعراء غير منازع وسيدهم غير

(وقال) طوقته بالحسام منصلتا * آخر طوق يكون فى عنقه

(ولما) رضى الرشيد عن يزيد بن مزيد اذن له بالدخول عليه فلما مثل بين يديه قال الحمد لله الذى سهل لى سبيل الكرامة بلقائك ورد على النعمة بوجه الرضا منك وجزاك الله يا امير المؤمنين فى حال سخطك جزاء المحسنين المراقبين وفى حال رضاك جزاء المنعمين المتطولين فقد جعلك الله وله الحمد تثبت تحرجا عند الغضب وتمتن تطولا بالنعم وتستبقى المعروف عند الصنائع تفضلا بالعفو (لما ظفر) المأمون بابراهيم بن المهدى وهو الذى يقال له ابن شكلة امر بادخاله عليه فلما مثل بين يديه قال ولى الثار محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى وقد جعل الله كل ذنب دون عفوك فان صفحت فبكرمك وان أخذت فبحقك قال المأمون انى شاورت أبا اسحق والعباس فى قتلك فاشارا على به قال اما ان يكونا قد نصحاك فى عظم قدر الملك وما جرت عليه عادة السياسة فقد فعلا ولكن أبيت أن تستجلب النصر من حيث عودك الله ثم استعبر باكيا فقال له المأمون ما يبكيك قال جذلا اذ كان ذنبى الى من هذه صفته ثم قال يا امير المؤمنين انه وان كان جرمى يبلغ سفك دمى فحلم امير المؤمنين وتفضله يبلغانى عفوه ولى بعدهما شفعة الاقرار بالذنب وحرمة الاب بعد الاب قال المأمون لو لم يكن فى حق نسبك ما يبلغ الصفح عن زلتك لبلغك اليه حسن توصلك ولطيف تنصلك فصواب تصويب ابراهيم لراى ابى اسحق والعباس ألطف فى طلب الرضا ودفع المكروه عن نفسه من تخطئتهما (وقال المأمون) لاسحق بن العباس لا تحسبنى اغفلت اجلابك مع ابن المهلب وتأييدك لرأيه وايقادك لناره قال يا أمير المؤمنين والله لاجرام قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم من جرمى اليك ولرحمى امس من ارحامهم وقد قال كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وانت يا أمير المؤمنين احق وارث لهذه المنة وممتثل بها قال هيهات تلك اجرام جاهلية عفاعنها الاسلام وجرمك جرم فى اسلامك وفى دار خلافتك قال يا أمير المؤمنين فوالله للمسلم احق باقالة العثرة وغفران الزلة من الكافر هذا كتاب الله بينى وبينك يقول الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين فهى للناس يا امير المؤمنين سنة دخل فيها المسلم والكافر والشريف والمشروف قال صدقت اجلس وريت بك زنادى فلا قدح نارى من الغابرين من أهلك امثالك (العتبى) عن أبيه قال قبض مروان بن محمد لمعاوية بن عمرو بن عتبة ماله بالبرذاسان فقال انى قد وجدت قطيعة عمك لابيك انى اقطعتك بستانى والبستان لا يكون الا عامرا وانا مسلم اليك العامر وقابض منك الغامر فقال يا امير المؤمنين ان سلفك الصالح لو شهدوا مجلسنا هذا كانوا شهودا على ما ادعيته وشفعاء فيما طلبته يسألونك باحسانك الى مكافأة احسان سلفى اليهم فشفع فينا الاموات واحفظ منا القرابات واجعل مجلسك هذا مجلسا يلزم من بعدنا شكره قال لا والله الا ان اجعلها طعمة منى لك لا قطيعة من عمك لابيك قال قد قبلت ذلك ففعل (العتبى) قال أمر عبد الملك بن مروان بقطع ارزاق آل ابى سفيان وجوائزهم لموجدة وجدها على خالد بن يزيد بن معاوية فدخل عليه عمرو بن عتبة فقال يا أمير المؤمنين ان ادنى حقك متعب وبعضه فادح لنا ولنا مع حقك علينا حق عليك باكرام سلفنا لسلفك فانظر الينا بالعين التى نظروا بها اليهم وضعنا بحيث وضعتنا الرحم منك قال عبد الملك انما يستحق عطيتى من استعطاها فاما من ظن انه يكتفى بنفسه فسنكله الى نفسه ثم امر له بعطية وبلغ ذلك خالدا فقال ابا لحرمان يهددنى يد الله فوق يده باسطة وعطاء الله دونه مبذول فاما عمرو فقد اعطى من نفسه اكثر مما اخذ له (العتبى) قال حدثنا طارق ابن المبارك عن عمرو بن عتبة قال جاءت دولة المسودة وانا حديث السن كثير العيال متفرق المال فجعلت لا انزل قبيلة من قبائل العرب الا اشتهرت فيها فلما رأيت امرى لا يكتتم اتيت سليمان بن على فاستأذنت عليه قرب المغرب فاذن لى وهو لا يعرفنى فلما صرت اليه قلت اصلحك الله لفظتنى البلاد

بجاذب ولا مدافع وعبد الله بن المعتز بالله امير المؤمنين فى المولدين وهو اشعر ابناء الخلافة الهاشمية وابرع انشاء الدولة العباسية ومن جل كلامه فى التشبيه عن ان يمثل بنظير او شبيه وغلت اشعاره فى الاوصاف عن ان تتعاطاها ألسنة الوصاف والامير ابى فراس بن حمدان فارس البلاغة وبطل الفصاحة ومن حكمت له شعراء العصر قاطبة بالسيادة واعترفت لكلامه بالاحسان والاجادة حتى قال ابو القاسم اسمعيل بن عباد الصاحب بدئ الشعر بملك وختم بملك يعنى امرأ القيس وابا فراس وهذه الطائفة اشهر الثلاثة تقدما واثبتها فى مواطن الفخر ومواطئ الشرف قدما وأسبق الشعراء فى ميدان البلاغة وارجحهم فى ميزان البراعة فان الكلام الصادر عن الاعيان والصدور أقر للعيون واشفى للصدور فشرف القلائد بمن قلدها كما ان شرف العقائل بمن ولدها

وخير الشعر اكرمه رجالا
وشر الشعر ما قال العبيد

واذا اتفق من اجتمعت فيه هذه الشرائط وانتظمت عنده هاتيك المحاسن كان خليقا بان تخلد فى صحائف القلوب اشعاره وتدون فى ضمائر النفوس آثاره وتكتب على الاحداق والعيون اخباره وجديرا بان يختص بسعة المجال فى المجالس وحفة المدار فى المدارس كالامير الجليل السيد مولانا ابى الفضل من نال السماء بفضله

اليك ردانى فضلك عليك فما قبلنى غانما واما ردتنى سالما قال ومن أنت فانتسبت له فعرفنى وقال مرحبا اقعد فتكلم غانما سالما فقلت أصلحك الله ان الحرم التى أنت أقرب الناس اليهن معنا وأولى الناس بهن بعدنا قد خفنا بخوفنا ومن خاف خيف عليه قال فاعتمد سليمان على يديه وسالت دموعه على خديه ثم قال يا ابن أخى يحقن الله دمك ويستر حرمك ويسلم مالك ان شاء الله تعالى ولو أمكننى ذلك فى جميع قومك لفعلت فلم أزل فى جوار سليمان آمنا (وكتب) سليمان الى أبى العباس أمير المؤمنين اما بعد يا أمير المؤمنين فانا انما حاربنا بنى أمية على عقوقهم ولم نحاربهم على أرحامهم وقد دفت الى منهم دافة لم يشهروا سلاحا ولم يكثروا جمعا وقد أحسن الله اليك فأحسن فان رأى أمير المؤمنين ان يكتب لهم امانا ويأمر بانفاذه الى فليفعل فكتب لهم كتابا منشورا وانفذه الى سليمان بن على فى كل من لجأ اليه من بنى أمية فكان يسميه أبو مسلم كهف الاباق (دخل) عبد الملك بن صالح يوما على الرشيد فلم يلبث فى مجلسه أن التفت الرشيد فقال متمثلا

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

ثم قال اما والله لكأنى أنظر شؤبوبها قد همع وعارضها قد لمع وكأنى بالوعيد قد وقع فأقلع عن براجم بلا معاصم وجماجم بلا غلاصم فهلا مهلا فبى والله سهل لكم الوعر وصفا لكم الكدر وألقت اليكم الامور مقاليد أزمتها فالتدارك التدارك قبل حلول داهية خبوط باليد لبوط بالرجل قال عبد الملك أفذا ما تكلمت أم توأما يا أمير المؤمنين قال بل فذا قال اتق الله فى ذى رحمك وفى رعيتك التى استرعاك الله ولا تجعل الكفر مكان الشكر ولا العقاب موضع الثواب فقد محضت لك النصيحة وأديت لك الطاعة وشددت أواخى ملكك بأثقل من ركنى يلملم وتركت عدوك سبيلا تتعاوره الاقدام فالله الله فى ذى رحمك ان تقطعه بعد ان وصلته ان الكتاب لنميمة واش وبغى باغ ينهش اللحم ويلغ الدم فكم ليل تمام فيك كابدته ومقام ضيق فرجته وكنت كما قال الشاعر أخو بنى كلاب

ومقام ضيق فرجته * بلسانى ومقامى وجدل

لو يقوم الفيل أو فياله * زل عن مثل مقامى وزحل

فرضى عنه ورحب به وقال وريت بك زنادى (والتفت) الرشيد يوما الى عبد الملك بن صالح فقال أكفرا بالنعمة وغدرا بالامام قال لقد بؤت اذا باعباء الندم وسعيت فى استجلاب النقم وما ذاك يا أمير المؤمنين الا بغى باغ نافسنى فيك بقديم الولاية وحق القرابة يا أمير المؤمنين انك خليفة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فى أمته وأمينه على رعيته لك عليها فضل الطاعة وأداء النصيحة ولها عليك التثبت فى حادثها والعدل فى حكمها فقال له هرون تضع لى من لسانك وترفع على من جنانك بحيث يحفظ الله لى عليك هذا قمامة كاتبك يخبرنى بفعلك فقال عبد الملك أحقا يا قمامة قال نعم لقد أردت ختل أمير المؤمنين والغدر به فقال عبد الملك كيف لا يكذب على من خلفى من يبهتنى فى وجهى قال الرشيد هذا ابنك شاهد عليك قال يا أمير المؤمنين هو بين مأمور وعاق فان كان مأمورا فمعذور وان كان عاقا فما أخاف من عقوقه أكثر (وقال) له الرشيد يوما وكان ممتلئا عليه أتدعون بالرقة قال وتبرغث قال له يا ابن الفاعلة ما حملك على ان سألتك عن مسئلة فرددت على فى مسئلتين وأمر به الى الحبس فلم يزل فى حبسه حتى اطلقه الامين (ابراهيم بن السندى) قال سمعت عبد الملك بن صالح يقول بعد اخراج المخلوع له من الحبس وذكر الرشيد وفعله به فقال والله ان الملك لشئ ما نويته ولا تمنيته ولا نصبت له ولا اردته ولو اردته لكان لى أسرع من الماء الى الحدور ومن النار الى يبس العرفج وانى لمأخوذ بما لم أجن ومسؤل عما لا أعرف ولكن حين رآنى للملك قمينا وللخلافة خطيرا ورأى لى يدا تنالها اذا مدت وتبلغها اذا بسطت ونفسا تكمل لخصالها وتستحقها بفعالها وان كنت لم احن تلك الخصال ولم اصطنع تلك الفعال ولم أترشح لها فى السر ولا اشرت اليها فى الجهر ورآها تحن حنين الوالدة الوالهة وتميل

ومن وعدته نفسه بمزيد

تود عقود الدر لو كن لفظه
فينظمها من توأم وفريد

(وهذه مقطعات لاهل العصر فى وصف البلاغة) قال أبو الفتح البستى

مدحتك فالتامت قلائد لم يفز
بامثالها الصيد الكرام الاعاظم

لانك بحر والمعانى لآلئ
وفكرى غواص وشعرى ناظم

(وقال أيضا)

ما ان سمعت بنوار له ثمر
فى الوقت يمتع منه المرء والبصرا

حتى اتانى كتاب منك مبتسم
عن كل لفظ ومعنى يشبه الدررا

فكان لفظك فى لألائه زهرا
وكان معناه فى اثنائه ثمرا

تسابقا فأصاب القصد فى طلق
لله من ثمر قد سابق الزهرا

(وقال ايضا)

لما اتانى كتاب منك مبتسم
عن كل بر ولفظ غير محدود

حكت معانيه فى اثناء اسطره
آثارك البيض فى احوالى السود

كأنه ألم بقول الطائى

يرى اقبح الاشياء اوبة آمل
كستها يد المأمول حلة خائب

واحسن من نور تفتحه الصبا
بياض العطايا فى سواد المطالب

(وقال ابو الفتح البستى فى ابى نصر احمد بن على الميكالى)

جمع الله فى الامير ابى نصـ * ـر خصالا تعلو بها الاقدار

راحة برة وصدر افضاء
وذكاء تبدو له الاسرار

خطه روضة والفاظه الاز
هار يضحكن والمعانى ثمار

(وقال عمر بن على المطوعى) يمدح ابا الفضل الميكالى من قصيدة

مثل الملوك تخاف ان ترغب الى غير مرغب وتنزع الى اخصب منزع عاقبني عقاب من سعى في طلبها وجهد في التماسها فان كان انما حسبني انى اصلح لها وتصلح لى واليق بها وتليق بي فليس ذلك بذنب جنيته فاتوب منه ولا تطاولت له فاحط نفسي عنه وان زعم انه لا صرف لعقابه ولا نجاة من عذابه الا ان اخرج له من حد العلم والحلم والحزم فكما لا يستطيع المضياع ان يكون مصلحا كذلك لا يستطيع العاقل ان يكون جاهلا وسواء عليه اعاقبني على علمي وحلمي ام عاقبني على نسبي وسني وسواء عليه عاقبني على جمالي او عاقبني على محبة الناس لي ولو اردتها لاعجلته عن التفكير وشغلته عن التدبير ولما كان فيها من الخطب الا اليسير (ابراهيم بن السندى) قال كنت اساير سعد بن سلم حتى قيل له ان امير المؤمنين قد غضب على رجاء بن ابي الضحاك وامر باخذ ماله فارتاع بذلك وجزع فقيل له ما يروعك منه فوالله ما جعل الله بينكما نسبا ولا سببا فقال بلى النعمة نسب بين اهلها والطاعة سبب مؤكد بين الاولياء (وبعث) بعض الملوك الى رجل وجد عليه فقال لما مثل بين يديه ايها الامير ان الغضب شيطان فاستعذ بالله منه وانما خلق العفو للذنب والتجاوز للمسيء فلا تضق عما وسع الرعية من حلمك وعفوك فعفا عنه واطلق سبيله (لما) اتهم سالم بن قتيبة ابا مجلز على بعض الامر قال اصلح الله الامير تثبت فان التثبت نصف العفو (قال) الحجاج لرجل دخل عليه انت صاحب الكلمة قال ابوء بالذنب واستغفر الرب واسأل العافية قال قد عفونا عنك (وارسل) بعض الملوك في رجل اراد عقوبته فلما مثل بين يديه قال اسألك بالذي انت بين يديه اذل منى بين يديك وهو على عقابك اقدر منك على عقابي الا نظرت في امري نظر من برئي احب اليه من سقمي وبراءتي احب اليه من جرمي (وقال) خالد بن عبد الله لسليمان بن عبد الملك حين وجد عليه يا امير المؤمنين ان القدرة تذهب الحفيظة وانت تجل عن العقوبة ونحن مقرون بالذنب فان تعف عني فاهل ذلك انت وان تعاقبني فاهل ذلك انا (امر) معاوية ابن ابي سفيان بعقوبة روح بن زنباع فقال انشدك الله يا امير المؤمنين ان تضع مني خسيسة انت رفعتها او تنقض مني مريرة انت ابرمتها او تشمت بي عدوا انت وقمته الا اتى حلمك وصفحك عن خطئي وجهلي فقال معاوية خليا عنه اذا اراد الله امرا يسره (ووجد) عبد الملك بن مروان على رجل فجفاه واطرحه ثم دعا به ليسأله عن شيء فرآه شاحبا ناحلا وقال له متى اعتللت فقال ما مسني سقم ولكني جفوت نفسي اذ جفاني الامير وآليت ان لا ارضى عنها حتى يرضى عني امير المؤمنين فاعاده الى نفسه (وقعد) الحسن ابن سهل لنعيم بن حازم فاقبل اليه حافيا حاسرا وهو يقول ذنبي اعظم من السماء ذنبي اعظم من الارض فقال له الحسن ايها الرجل لا بأس عليك قد تقدمت لك طاعة وحدثت لك توبة وليس للذنب بينهما موضع وائن وجد موضعا فما ذنبك في الذنوب باعظم من عفو امير المؤمنين في العفو (اذنب) رجل من بني هاشم ذنبا الى المأمون فعاتبه فيه فقال يا امير المؤمنين من حمل مثل حالتي ولبس ثوب حرمتي ومت بمثل قرابتي اغتفر له فوق زلتي قال صدقت يا ابن عمي وصفح عنه (واعتذر) رجل الى المأمون من ذنب فقال له وان كانت زلتي قد احاطت بحرمتي فان فضلك محيط بها وكرمك موقوف عليها (اخذه صريع الغواني فقال)

ان كان ذنبي قد احاط بحرمتي * فاحط بذنبي عفوك المأمولا

(دخل) يزيد بن عمر بن هبيرة على ابي جعفر المنصور بعد ما كتب امانه فقال يا امير المؤمنين ان امارتكم بكر ودولتكم جديدة فاذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها تخف على قلوبهم طاعتكم وتسرع الى انفسهم محبتكم وما زلت منتظرا لهذه الدعوة فلما قام قال ابو جعفر عجبا من كل من يأمر بقتل هذا ثم قتله بعد ذلك غدرا (الهيثم بن عدى) قال لما انهزم عبد الله بن علي من الشام قدم على المنصور وفد منهم فتكلموا عنده ثم قام الحرث فقال يا امير المؤمنين انا لسنا وفد مباهاة وانما نحن وفد توبة ابتلينا بفتنة استخفت كريمنا واستفزت حليمنا ونحن بما قدمنا معترفون ومما سلف منا معتذرون فان تعاقبنا فقد اجرمنا وان تعف عنا فطالما احسنت الى من اساء فقال المنصور للحرسي هذا

والى الاميرابن الامير المعتلى
بكمال سودده على الامراء
وطئت بي الوجناء وجنة مهمه
متقاذف الاكناف والارجاء
كيما الاحظ منه في افق العلا
فلكا بدير كواكب العلياء
كالبدر غير دوامه متكاملا
كالبحر غير عذوبة وصفاء
يا الفضل يكنى وهو فيه كامن
كالري يكمن في زلال الماء
يامن اذا خط الكتاب بعينه
اهدى الينا الوشي من صنعاء
لم تجر كفك في البياض موقعا
الا تجات عن يد بيضاء
قرم بداه وقلبه ما منهما
في النظم والاعطاء الا الطائي
(وقال فيه ايضا)
كلام الامير الندب في تنظمه
ينوب عن الماء الزلال لمن يظما
فنروى متى نروى بدائع نظمه
ونظما اذا لم نرو يوما له نظما
(وكتب اليه ايضا)
اقول وقد جادت جفوني بادمع
كأني قد استملتهن من السحب
وقد علقت بي للنزاع نوازع
كتبن معاناة العناء على قلبي
الى سيد اوفى على الشمس قدره
وزادت معاليه ضياء على الشهب
ابي الفضل من راحت فواضل كفه
وراحته تربي على عدد الترب
سقى الله ارضا حل فيها سحائبا
كنائله الفياض او لفظه العذب
سحائب يحدوها نسيم كخلقه
ويقذف فيها برق كصارمه العضب
ولا زال افلاك السعود مطيفة
بحضرتها تنتابها وهو كالقطب
(وقال ابو منصور الثعالبي)
للامير ابي الفضل
للشافي الفضائل معجزات جمة
ابدا لغيرك في الورى لم تجمع

خطبهم وأمر بردضياعه عليه بالغوطة (قال) أحمد بن أبي دواد ما رأيت رجلا نزل به الموت فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يجب ان يفعله الا تميم بن جميل فانه كان تغلب على شاطئ الفرات وأوفى به الرسل باب أمير المؤمنين المعتصم في يوم الموكب حين يجلس للعامة ودخل عليه فلما مثل بين يديه دعا بالنطع والسيف فاحضرا فجعل تميم بن جميل ينظر اليهما ولا يقول شيأ وجعل المعتصم يصعد النظر فيه ويصوبه وكان جسيما وسيما ورأى ان يستنطقه لينظر أين جنانه ولسانه من منظره فقال يا تميم ان كان لك عذر فأت به أو حجة فأدل بها فقال اما اذ قد أذن لي أمير المؤمنين فاني أقول الحمد لله الذي أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. يا أمير المؤمنين ان الذنوب تخرس الألسنة وتصدع الافئدة ولقد عظمت الجريرة وكبر الذنب وساء الظن ولم يبق الا عفوك أو انتقامك وأرجو ان يكون اقربهما منك وأسرعهما اليك أولاهما بامتنانك واشبههما بخلافتك ثم أنشأ يقول

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا * يلاحظني من حيثما اتلفت
وأكبر ظني انك اليوم قاتلي * وأي امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يدلي بعذر وحجة * وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الاوس بن تغلب موقف * يسل على السيف فيه واسكت
وما جزعي من ان اموت وانني * لأعلم ان الموت شئ موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم * واكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعى اليهم * وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا خافضين بغبطة * اذود الردى عنهم وان مت موتوا
فكم قائل لا يبعد الله روحه * وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فتبسم المعتصم وقال كاد والله يا تميم ان يسبق السيف العذل اذهب فقد غفرت لك الصبوة وتركتك للصبية (وحكى) ان أمير المؤمنين المهدي قال لابي عبيد الله لما قتل ابنه انه لو كان في صالح خدمتك وما تعرفناه من طاعتك وفاء يجب به الصفح عن ولدك ما تجاوز أمير المؤمنين ذلك به الى غيره ولكنه نكص على عقبيه وكفر بربه قال أبو عبيد الله رضانا عن انفسنا وسخطنا عليها موصول برضاك وسخطك ونحن خدم نعمتك تثيبنا على الاحسان فنشكر وتعاقبنا على الاساءة فنصبر (أبو الحسن المدائني) قال لما حج المنصور مر بالمدينة فقال للربيع الحاجب على بجعفر بن محمد قتلني الله ان لم اقتله فطال به ثم الح عليه فحضر فلما كشف الستر بينه وبينه ومثل بين يديه همس جعفر بشفتيه ثم تقرب وسلم فقال لا سلم الله عليك يا عدو الله تعمل على الغوائل في ملكي قتلني الله ان لم اقتلك قال يا أمير المؤمنين ان سليمان صلى الله على محمد وعليه أعطى فشكر وان ايوب ابتلي فصبر وان يوسف ظلم فغفر وأنت على ارث منهم واحق من تأسى بهم فنكس أبو جعفر رأسه مليا وجعفر واقف ثم رفع رأسه فقال الي أبا عبد الله فأنت القريب القرابة وذو الرحم الواشجة السليم الناحية القليل الغائلة ثم صافحه بيمينه وعانقه بشماله واجلسه معه على فراشه وانحرف له عن بعضه واقبل عليه بوجهه يحادثه ويسائله ثم قال يا ربيع عجل لابي عبد الله كسوته وجائزته واذنه فلما حال الستر بيني وبينه امسكته بثوبه فقال ما أرانا يا ربيع الا وقد حبسنا فقلت لا عليك هذه مني لا منه فقال هذا أيسر سل حاجتك فقلت له اني منذ ثلاث ادفع عنك وادارى عليك ورأيتك دخلت همست بشفتيك ثم رأيت الامر انجلى عنك وانا خادم سلطان ولا غنى لي عنه فاحب منك ان تعلمنيه قال نعم قلت اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكفني بحفظك الذي لا يرام ولا اهلك وانت رجائي فكم من نعمة انعمتها علي قل لك عندها شكري فلم تحرمني وكم من بلية ابتليتني بها قل عندها صبري فلم تخذلني بك ادرأ في نحره واستعيذ بخيرك من شره فانك على كل شئ قدير وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم (المدائني) قال لما

بحران بحرف البلاغة شأنه
شعر الوليد وحسن لفظ الاصمعي
كالنور أو كالسحر أو كالدر أو
كالوشي في برد عليه موشع
شكرا فكم من فقرة لك كالغنى
وافى الكريم بعيد فقر مدقع
واذا تفتق نور شعرك ناضرا
فالحسن بين مرصع ومصرع
ارجلت فرسان الكلام ورضت افـ
ـراس البديع وانت امجد مبدع
ونقشت في فص الزمان بدائعا
تزرى بآثار الربيع الممرع
يا مهدى الطرف الجواد كأنما
قد انعلوه بالرياح الاربع
لاشئ اسرع منه الا خاطرى
في شكر ذاك اللطف الموقع
ولو انني انصفت في اكرامه
لجلال مهديه الكريم الاروع
اقضمته حب القلوب لحبه
وجعلت مربطه سواد المدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيق
برد الشباب لجله والبرقع
(وكتب اليه في جواب كتاب ورد عليه)
انسيم الرياض حول الغدير
مازجته ريا الحبيب الاثير
ام ورود البشير بالنجح من فكـ
ـك اسيرا ويسر امر عسير
في ملاء من الشباب جديد
تحت ابك من التصابي نضير
ام كتاب الأمير سيدنا الفر
د فيا حبذا كتاب الأمير
وثمار السعود ما اجتنيه
في سطور فيها شفاء الصدور
ضمنها ناملا تعتق الانـ
ـوار والزهر في رياض السطور
كالى قد جمعن لي انعم العمر
مع الامن من صروف الدهور
يا ابا الفضل وابنه واخاه
جل باريك من لطيف خبير

كان يزيد بن راشد خطيبا وكان فيمن دعا الى خلع سليمان بن عبد الملك والبيعة لعبد العزيز بن الوليد فنذر سليمان قطع لسانه فلما افضت الخلافة اليه دخل عليه يزيد بن راشد فجلس على طرف البساط مفكرا ثم قال يا أمير المؤمنين كن كنبي الله صلى الله عليه وسلم ابتلي فصبر واعطى فشكر وقدر فغفر قال ومن انت قال يزيد بن راشد فعفا عنه (حبس) الرشيد رجلا فلما طال حبسه كتب اليه ان كل يوم يمضي من نعمك يمضي من بؤسي مثله والأمد قريب والحكم لله فاطلقه (ومر) أسد بن عبد الله القسري وهو والي خراسان بدار من دور الاستخراج ودهقان يعذب في حبسه وحول اسد مساكين يستجدونه فأمر لهم بدراهم تقسم فيهم فقال الدهقان يا اسد ان كنت تعطي من يرحم فارحم من يظلم فان السموات تنفرج لدعوة المظلوم يا اسد احذر من ليس له ناصر الا الله واتق من لا جنة له الا الابتهال الى الله ان الظلم مصرعه وخيم فلا تغتر بابطاء الغياث من ناصر متى شاء ان يجيب أجاب وقد املى لقوم ليزدادوا اثما فأمر اسد بالكف عنه (عتب) المأمون على رجل من خاصته فقال له يا أمير المؤمنين ان قديم الحرمة وحديث التوبة يمحوان ما بينهما من الاساءة فقال صدقت ورضي عنه (وكان) ملك من ملوك فارس عظيم المملكة شديد النقمة وكان له صاحب مطبخ فلما قرب اليه طعامه صاحب المطبخ سقطت نقطة من الطعام على يديه فزوى لها الملك وجهه وعلم صاحب المطبخ انه قاتله فكفأ الصحفة على يديه فقال الملك علي به فلما أتاه قال له قد علمت ان سقوط النقطة أخطأت بها يدك فما عذرك في الثانية قال استحييت للملك أن يقتل مثلي في سني وقديم حرمتي في نقطة فأردت أن أعظم ذنبي ليحسن به قتلي فقال له الملك لئن كان لطف الاعتذار يخلصك من القتل ما هو بمخلصك من العقوبة اجلدوه وخلوه (الشيباني) دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض ضياعهم فقال يا أمير المؤمنين محمد بن عبد الملك بين يديك ربيب دولتك وسليل نعمتك وغصن من أغصان دوحتك أتأذن في الكلام قال نعم قال استمتع الله حياطة ديننا ودنيانا ورعاية أدنانا وأقصانا ببقائك ونسأله ان يزيد في عمرك من أعمارنا وفي أثرك من آثارنا ويقيك الأذى بأسماعنا وأبصارنا هذا مقام العائذ بفضلك الهارب الى كنفك وظلك الفقير الى رحمتك وعدلك ثم تكلم في حاجته فقضاها (وقال) عبيد بن أيوب وكان يطلبه الحجاج لجناية جناها فهرب منه وكتب اليه

أذقني طعم النوم أو سل حقيقة * علي فان قامت ففصل بنانيا
خلعت فؤادي فاستطار وأصبحت * ترامى به البيد القفار تراميا

ولم يقل أحد في هذا المعنى أحسن من قول النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر

أتاني أبيت اللعن انك لمتني * وتلك التي تصطك منها المسامع
فبت كأني ساورتني ضئيلة * من الرقش في أنيابها السم ناقع
لكلفتني ذنب امرئ وتركته * كذي العر يكوى غيره وهو راتع
فانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت ان المنتأى عنك واسع

(وقال فيه أيضا)

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب
فان أك مظلوما فعبد ظلمته * وان تك ذا عتبى فمثلك يعتب
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني جناية * لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كل ملك دونها يتذبذب
فانك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقال ابن الطثرية

فهبني امرأ اما بريئا علمته * واما مسيئا تاب منه واعتبا
وكنت كذي داء تبغى لدائه * طبيبا فلما لم يجده تطببا

ويعبرن عن نسيم العبير
وسجايا كأنهن لدى الفقـ
ـر رضاب الحيا أري مشور
ومحيا لدى الملوك محيا
صادق البشر مخجل للبدور

فأجابه أبو الفضل بأبيات يقول فيها في صفة أبياته

وهدي زفت الى السمع بكر
تتهادى في حلية وشذور
عجب الناس ان بدت من سواد
في بياض كالمسك في الكافور
نظمت في بلاغة من معان
مثل نظم العقود فوق النحور
كم تذكرت عندها من عهود
للتلاقي في ظل عيش نضير
قدمت الزمان اذ ضن عنا
باجتماع يضم شمل السرور
ولئن راعنا الزمان ببين
ألبس الانس ذلة المهجور
فعسى الله أن يعيد اجتماعا
في أمان من حادثات الدهور
انه قادر على رد ما فا
ت وتيسير كل أمر عسير

(وقال أبو اسحق) ابراهيم بن هلال الصابي في الوزير المهلبي

قل للوزير أبي محمد الذي
قد أعجزت كل الورى أوصافه
لك في المجالس منطق يشفي الجوى
ويسوغ في أذن الأديب سلافه
وكأن لفظك جوهر متنخل
وكأنما آذاننا أصدافه

والمهلبي هذا هو أبو محمد الحسن ابن هرون بن ابراهيم بن عبد الله بن يزيد بن حاتم بن قبيصة ابن المهلب وزر لأحمد بن بويه الديلمي وكانت وزارته سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وكان أبو محمد من سروات الناس وأدبائهم وأجوادهم وأعفائهم وفيه يقول أبو اسحق الصابي

{وقال الممزق العبدي لعمرو بن هند}

تروح وتغدو ماتحل وضينها * اليك ابن ماء المزن وابن المحرق
احقا أبيت اللعن ان ابن مزنبا * على غير اجرام بريقى مشرق
فان كنت مأكولا فكن خير آكل * والا فادركني ولما امزق
فأنت عميد الناس مهما تقل نقل * ومهما تضع من باطل لا يحقق

(وتمثل) بهذه الابيات عثمان بن عفان فى كتابه الى على بن أبى طالب يوم الدار* وكتب محمد بن الزيات لما أحس بالموت وهو فى حبس المتوكل برقعة الى المتوكل فيها

هى السبيل فن يوم الى يوم * كأنه ماتريك العين فى النوم
لا تجعلن رويدا انها دول * دنيا تنقل من قوم الى قوم
ان المنايا وان أصبحت ذا فرج * تحوم حولك حوما ايما حوم

فلما وصلت الى المتوكل وقرأها أمر باطلاقه فوجده ميتا (وقال) عمرو للمنصور وقد أراد عقوبة رجل يا أمير المؤمنين ان الانتقام عدل والتجاوز فضل والمتفضل قد جاوز حد المنصف ونحن نعيذ أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه أوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين (جرى) بين أبى مسلم صاحب الدعوة وقائد من قواده يقال له شهرام كلام فقال له قائده كلمة فيها بعض الغلظ ثم ندم على ما كان منه فجعل يتضرع ويتنصل اليه فقال له أبو مسلم لا عليك لسان سبق ووهم أخطأ وانما الغضب شيطان وانما جرأتك على طول احتمالى عنك فان كنت للذنب متعمدا فقد شاركتك فيه وان كنت مغلوبا فان العذر يسعك وقد عفونا على كل حال فقال أصلح الله الامير ان عفو مثلك لا يكون غرورا قال أجل قال فان عظم الذنب لا يدع قلبى يسكن وألح فى الاعتذار فقال له أبو مسلم عجبا لك انك أسأت فأحسنت فلما أحسنت أسيء (دخل) أبو دلف على المأمون وقد كان عتب عليه ثم أقاله فقال له وقد خلا مجلسه قل أبا دلف وما عسيت أن تقول وقد رضى عنك أمير المؤمنين وغفر لك مافعلت فقال يا أمير المؤمنين

ليالى تدنى منك بالبشر مجلسى * ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لى بالعين التى كنت مرة * الى بها فى سالف الدهر تنظر

قال المأمون لك بها رجوعك الى مناصحتك واقبالك على طاعتك ثم عاد له الى ما كان عليه* وقال له المأمون يوما أنت الذى تقول

انى امرؤ كسروى الفعال * أصيف الجبال وأشتو العراقا

ما أراك قدمت لحق طاعة ولا قضيت واجب حرمة قال يا أمير المؤمنين انما هى نعمتك ونحن فيها خدمك وما هراقة دمى فى طاعتك الا بعض ما يجب لك (ودخل) أبو دلف على المأمون فقال أنت الذى يقول فيك ابن جبلة

انما الدنيا أبو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

فقال يا أمير المؤمنين شهادة زور وكذب شاعر وملق مستجد ولكن الذى يقول فيه ابن أخيه

ذرينى أجوب الارض فى طلب الغنى * فما الكرخ الدنيا ولا الناس قاسم

الكرخ منزل أبى دلف وكان اسمه قاسم بن عبد الله (وقال) المنصور لمعن بن زائدة ما أظن ما قيل عنك من ظلمك أهل اليمن واعتسافك عليهم الا حقا قال كيف ذلك يا أمير المؤمنين قال بلغنى عنك انك أعطيت شاعرا ألف دينار لأجل هذا البيت وهو

معن بن زائدة الذى زيدت به * فخرا الى فخر بنو شيبان

قال نعم يا أمير المؤمنين قد أعطيته ألف دينار لكن على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلما * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه * من وقع كل مهند وسنان

قال فاستحيا المنصور وجعل ينكت بالمخصرة ثم رفع راسه وقال اجلس ابا الوليد (اتى) عبد الملك بن

نعم الله كالوحوش فما تأ
لف الا الاخيار النسا كا
نفرتها آثام قوم وصير
ن لها البر والتقى اشراكا

وكان قبل اتصاله بالسلطان سائحا فى البلاد على طريق الفقر والتصوف قال ابو على الصوفى كنت معه فى بعض أوقاته اماشيه فى احدى طرقاته فضجر لضيق الحال فقال

ألا موت يباع فأشتريه
فهذا العيش مالا خير فيه
الا رحم المهيمن نفس حر
تصدق بالوفاة على اخيه

ثم تصرف بما يرضيه الدهر وبلغ المهلبي مبلغه قال ابو على دخلت البصرة فاجتزت بسر من رأى واذا انا بناشطات وحراقات ودبادب وطيارات فى عدة وعدد فسألت لمن هذا فقيل للوزير المهلبي ونعتوا الى صاحبى فوصلت اليه حتى رايته فكتبت اليه رقعة وتوصلت حتى دخلت فسلمت وجلست حتى خلا مجلسه فدفعت اليه الرقعة وفيها

الا قل للوزير بلا احتشام
مقال مذكر ما قد نسيه
اتذكر اذ تقول لضيق عيش
الا موت يباع فاشتريه

فنظر الى وقال نعم ثم نهض وأنهضنى معه الى مجلس الانس وجعل يذاكرنى مامضى ويذكر لى كيف ترقت حاله وقدم الطعام فطعمنا واقبل ثلاثة من الغلمان على راس احدهم ثلاث بدر ومع الآخر تخوت ثياب ومع الآخر طيب وبخور واقبلت بغلة رائعة بسرج ثقيل فقال لى يا ابا على تفضل بقبول هذا ولا تتخلف عن حاجة تعرض لك فشكرته

مروان باعرابي سرق فأمر بقطع يده فانشأ يقول

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها * بعفوك أن تلقى مكانا يشينها

ولا خير في الدنيا وكانت خسيسة * اذا ما شمالي فارقتها يمينها

فابى الا قطعه فقالت أمه يا أمير المؤمنين واحدي وكاسبي قال بئس الكاسب كان لك وهذا حد من حدود الله قالت يا أمير المؤمنين اجعله من بعض ذنوبك التي تستغفر الله منها فعفا عنه ❁(تذكير الملوك بذمام متقدم)❁ قال ثمامة بن أشرس للمأمون لما صارت اليه الخلافة كان لي أملان أمل لك وأمل بك فاما أملي لك فقد بلغته وأما أملي بك فلا أدري ما يكون منك فيه قال يكون أفضل ما رجوت وأملت فجعله من سماره وخاصته (الاصمعي) قال لما مات يزيد بن عبد الملك وصارت الخلافة الى هشام بن عبد الملك خر أصحابه سجودا الا الابرش الكلبي فقال له يا أبرش ما منعك أن تسجد كما سجدوا قال يا أمير المؤمنين لانك ذهبت عنا وتركتنا قال فان ذهبت بك معي قال أوتفعل يا أمير المؤمنين قال نعم قال فالآن طاب السجود ثم سجد (ولما) صارت الخلافة الى أبي جعفر كتب اليه رجل من اخوانه

انا بطانتك الالى * كنا نكابد ما تكابد ونرى فنعرف بالعدا * وةوالبعاد لمن تباعد

ونبيت من شفق عليك لك ربيئة والليل هاجد * هذا أوان وفائها * سبقت به منك المواعد

فوقع أبو جعفر على كل بيت منها صدقت صدقت ثم دعا به وألحقه في خاصته (وقال حبيب) الشاعر في هذا المعنى

وان أولى الموالي أن تواسيه * عند السرور لمن واساك في الحزن

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في الموطن الخشن

❁(حسن التخلص من السلطان)❁ أبو الحسن المدائني قال كان العباس بن سهل والي المدينة لعبد الله ابن الزبير فلما بايع الناس عبد الملك بن مروان ولى عثمان بن حيان المري وأمره بالغلظة على أهل الظنة فعرض يوما بذكر الفتنة وأهلها فقال له قائل هذا العباس بن سهل على ما فيه كان مع ابن الزبير وعمل له فقال عثمان بن حيان ويلي والله لاقتلنه قال العباس فبلغني ذلك فتغيبت حتى أضر بي التغيب فأتيت ناسا من جلسائه فقلت لهم ما لي أخاف وقد أمنني عبد الملك بن مروان فقالوا والله ما يذكرك الا تغيظ عليك وقلما كلم على طعامه في ذنب الا انبسط فلو تنكرت وحضرت عشاءه وكلمته قال ففعلت وقلت على طعامه وقد أتى بجفنة ضخمة ذات ثريد ولحم والله لكأني أنظر الى جفنة حيان بن معبد والناس يتكاوسون عليها وهو يطوف في حاشيته يتفقد مصالحها يسحب اردية الخز حتى ان الحسك ليتعلق به فما يميطه ثم يؤتى بجفنة تهادى بين أربعة ما يستقلون بها الا بمشقة وعناء وهذا بعد ما يفرغ الناس من الطعام ويتنحون عنه فيأتي الحاضر من أهله والطارى من اشراف قومه وما بأكثرهم من حاجة الى الطعام وما هو الا الفخر بالدنو من مائدته والمشاركة ليده قال هيه انت رأيت ذلك قلت اجل والله قال لي ومن انت قلت وانا آمن قال نعم قلت العباس بن سهل بن سعد الانصاري قال مرحبا وأهلا أهل الشرف والحق قال فلقد رأيتني بعد ذلك وما بالمدينة رجل اوجه مني عنده فقيل له بعد ذلك أنت رأيت حيان بن معبد يسحب أردية الخز ويتكاوس الناس على مائدته فقال والله لقد رأيته ونزلنا الماء وغشينا وعليه عباءة تذكوانية فلقد جعلنا نذوده عن رحالنا مخافة ان يسرقه (أبو حاتم) قال حدثنا أبو عبيدة قال أخذ سراقة بن مرداس أسيرا يوم جبانة السبيع فقدم في الاسرى الى المختار فقال سراقة

امنن على اليوم يا خير معد * وخير من لبى وصلى وسجد

فعفا عنه المختار وخلى سبيله ثم خرج مع اسحق بن الاشعث فأتى به المختار أسيرا فقال له ألم أعف عنك وأمنن عليك أما والله لاقتلنك قال لا والله لا تفعل ان شاء الله قال ولم قال لان أبي أخبرني انك تفتح الشام حتى تهدم مدينة دمشق حجرا حجرا وانا معك ثم أنشده

الا أبلغ أبا اسحق أنا * حملنا حملة كانت علينا * خرجنا لا نرى الضعفاء منا

وكان

قرأت انا همت بالخروج

عن الباب استردني وانشدني بيتها

رق الزمان لفاقتي

ورثى لطول تحرقي

وانالني ما ارتجي

واجارمما اتقي

فلأغفرن له الكثير من الذنوب السبق

الا جنايته التي

فعل المشيب بمفرقي

قال بعض العلماء العقول لها صور مثل صور الاجسام فاذا انت لم تسلك بها سبيل الادب حارت وضلت وان بعثتها في أوديتها كلت وملت فاسلك بعقلك شعاب المعاني والفهم واسبقه بالجام للعلم وارتد لعقلك افضل طبقات الادب وتوق عليه آفة العطب فان العقل شاهدك على الفضل وحارسك من الجهل واعلم ان مغارس العقول كمغارس الاشجار فاذا طابت بقاع الارض للشجر زكا ثمرها واذا كرمت النفوس للعقول طاب خبرها فاعمر نفسك بالكرم تسلم من الآفة والسقم واعلم ان العقل في النفس اللئيمة بمنزلة الشجرة الكريمة في الارض الذميمة ينتفع بثمرها على خبث المغرس فاجتن ثمر العقول وان أتاك من لئام الانفس وقيل الحكمة ضالة المؤمن اينما وجدها اخذها * وسمع الشعبي الحجاج ابن يوسف وهو على المنبر يقول اما بعد فان الله كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء فلا فناء لما كتب عليه البقاء ولا بقاء لما كتب عليه الفناء فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن

وكان خروجنا بطرا وحينا * تراهم في مصافهم قليلا * وهم مثل الدبا لما التقينا
فأسجح اذ قدرت فلو قدرنا * لجرنا في الحكومة واعتدينا * تقبل توبة مني فاني
* سأشكر ان جعلت العقد دينا * قال فخلى سبيله ثم خرج اسحق بن الاشعث ومعه سراقة فأخذ اسيرا
وأتى به المختار فقال الحمد لله الذي أمكنني منك يا عدو الله هذه ثالثة فقال سراقة أما والله ما هؤلاء الذين
أخذوني فأين هم لا أراهم انا لما التقينا رأيناقوما عليهم ثياب بيض وتحتهم خيل بلق تطير بين السماء
والارض فقال المختار خلوا سبيله ليخبر الناس ثم دعا لقتاله فقال

الا من مبلغ المختار عني * بان البلق دهم مضمرات * أرى عيني ما لم ترأياه
كلانا عالم بالترهات * كفرت بوحيكم وجعلت نذرا * على قتالكم حتى الممات

(كان معن بن زائدة) قد امر بقتل جماعة من الاسرى فقام اليه أصغر القوم فقال له يا معن أتقتل
الاسرى عطاشا فأمر لهم بالماء فلما سقوا قال يا معن أتقتل ضيفانك فأمر معن باطلاقهم (لما) اتى عمر بن
الخطاب بالهرمزان أسيرا دعاه الى الاسلام فأبى عليه فأمر بقتله فلما عرض عليه السيف قال لو
أمرت لي يا امير المؤمنين بشربة من ماء فهو خير من قتلي على الظمأ فأمر له بها فلما صار الاناء بيده قال انا
آمن حتى اشرب قال نعم فالقى الاناء من يده وقال الوفاء يا امير المؤمنين نور ابلج قال لك التوقف حتى
انظر في أمرك ارفعا عنه السيف فلما رفع عنه قال الآن أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا
عبده ورسوله فقال له عمر ويحك اسلمت خير اسلام فما اخرك قال خشيت يا امير المؤمنين ان يقال ان
اسلامي انما كان جزعا من الموت فقال عمر ان لفارس حلوما بها استحقت ما كانت فيه من الملك ثم
كان عمر يشاوره بعد ذلك في اخراج الجيوش الى ارض فارس ويعمل برأيه (لما اتى الحجاج) بالاسرى
الذين خرجوا مع ابن الاشعث امر بقتلهم فقال رجل اصلح الله الامير ان لي حرمة قال وما هي قال
ذكرت في عسكر ابن الاشعث فشتمت في ابويك فعرضت دونهما فقلت لا والله ما في نسبه مطعن فقولوا
فيه ودعوا نسبه قال ومن يعلم ما ذكرت فالتفت الى اقرب الاسرى اليه فقال هذا يعلمه قال له الحجاج
ما تقول فيما يقول قال صدق أصلح الله الامير قال خليا عن هذا لنصرته وعن هذا لحفظ شهادته
(عمرو بن بحر الجاحظ) قال اتى روح بن حاتم برجل كان متلصصا في طريق الرفاق فأمر بقتله فقال
أصلح الله الامير لي عندك يد بيضاء قال وما هي قال انك جئت يوما الى مجمع موالي بني نهشل والمجلس
محتفل فلم يتفسح لك احد فقمت من مكاني حتى جلست فيه ولولا محض كرمك وشرف قدرك ونباهة
أوليتك ما ذكرتك هذه عند مثل هذا قال ابن حاتم صدق وامر باطلاقه وولاه تلك الناحية وضمنه
اياها (ولما) ظفر المأمون بابي دلف وكان يقطع في الجبال امر بضرب عنقه فقال يا امير المؤمنين دعني
اركع ركعتين قال افعل فركع وحبر ابياتا ثم وقف بين يديه فقال

بع بي الناس فاني * خلف ممن تبيع * واتخذني لك درعا
قلصت عنه الدروع * وارم بي كل عدو * فأنا السهم السريع

فاطلقه وولاه تلك الناحية فاصلحها (اتى معاوية) يوم صفين بأسير من اهل العراق فقال الحمد لله الذي
امكنني منك قال لا تقل ذلك يا معاوية فانها مصيبة قال واي نعمة اعظم من ان امكنني الله من رجل
قتل جماعة من اصحابي في ساعة واحدة اضرب عنقه يا غلام فقال الاسير اللهم اشهد ان معاوية لم
يقتلني فيك وانك لا ترضى بقتلي وانما يقتلني في الغلبة على حطام هذه الدنيا فان فعل فافعل به ما هو
أهله وان لم يفعل فافعل به ما انت اهله قال له ويحك لقد سببت فابلغت ودعوت فأحسنت خليا عنه
(أمر) مصعب بن الزبير برجل من أصحاب المختار ان تضرب عنقه قال ايها الامير ما اقبح بك ان اقوم يوم
القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذي يستضاء به فاتعلق أطرافك واقول اي رب سل
هذا فيم قتلني قال اطلقوه فاني جاعل ما وهبت له من حياته في خفض اعطوه مائة الف قال الاسير بأبي

غائب الآخرة واقصروا من الامل لقصر الاجل فقال كلام حكمة خرج من قلب خرب واخرج الواحد فكتب وقد روى ذلك عن سفيان الثوري وقد سمع ابراهيم بن هشام وهو يخطب على المنبر ويقول ان يوما أشاب الصغير واسكر الكبير ليوم شره مستطير * قال الجاحظ الكتاب وعاء ملئ علما وظرف حشي ظرفا وبستان يحمل في ردن وروضة تقلب في حجر ينطق عن الموتى ويترجم كلام الاحياء وقال من صنف كتابا فقد استهدف فان احسن فقد استعطف وان اساء فقد استقذف وقال لا اعلم جارا ابر ولا خليطا انصف ولا رفيقا اطوع ولا معلما اخضع ولا صاحبا اظهر كفاية واقل جناية ولا اقل املالا وابراما ولا اقل خلافا واجراما ولا اقل غيبة ولا ابعد من عضيهة ولا اكثر اعجوبة وتصرفا ولا اقل صلفا وتكلفا ولا ابعد من مراء ولا اترك لشغب ولا ازهد في جدال ولا اكف عن قتال من كتاب ولا اعلم قرينا احسن مواتاة ولا اعجل مكافأة ولا احضر معونة ولا اقل مؤنة ولا شجرة أطول عمرا ولا اجمع امرا ولا اطيب ثمرة ولا اقرب مجتنى ولا اسرع ادراكا في كل اوان ولا اوجد في غير ابان من كتاب ولا أعلم نتاجا في حداثة سنه وقرب ميلاده ورخص ثمنه وامكان وجوده يجمع من التدابير الحسنة والعلوم الغريبة

أنت وأمي اشهد ان لقيس الرقيات منها خمسين ألفا قال ولم قال لقوله

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

(أمر عبد الملك) بقتل رجل فقال يا أمير المؤمنين انك اعز ما تكون احوج ما تكون الى الله فاعف عنه

(اتى الحجاج) باسرى من الخوارج فامر بضرب اعناقهم فقدم فيهم شاب فقال والله يا حجاج لئن كنا

أسأنا فى الذنب فما أحسنت فى العفو فقال اف لهذه الجيف ما كان فيهم من يقول مثل هذا وامسك

عن القتل (واتى الحجاج) باسرى فأمر بقتلهم فقال له رجل منهم لاجزاك الله يا حجاج عن السنة خيرا

فان الله تعالى يقول فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا

بعد واما فداء فهذا قول الله فى كتابه وقد قال شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الاخلاق

وما نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا اثقل الاعناق حمل القلائد

فقال الحجاج ويحكم أعجزتم ان تخبرونى بما اخبرنى هذا المنافق وامسك عمن بقى (الهيثم بن عدى) قال أتى

الحجاج بحرورية فقال لاصحابه ما تقولون فى هذه قالوا اقتلها اصلح الله الامير ونكل بها غيرها فتبسمت

الحرورية فقال لها لم تبسمت فقالت لقد كان وزراء اخيك فرعون خيرا من وزرائك يا حجاج استشارهم فى

قتل موسى فقالوا ارجه واخاه وهؤلاء يأمرونك بتعجيل قتلى فضحك الحجاج وامر باطلاقها * قال معاوية

ليونس الثقفى اتق الله لا طيرنك طيرة بطيئا وقوعها قال اليس بى وبك المرجع الى الله قال نعم فاستغفر

الله ودخل رجل من بنى مخزوم على عبد الملك بن مروان وكان زبيريا فقال له عبد الملك أليس الله قد ردك

على عقبيك قال ومن رد اليك يا أمير المؤمنين فقد رد على عقبيه فسكت عبد الملك وعلم انه اخطأ

(دخل) يزيد بن أبى مسلم على سليمان بن عبد الملك فقال له سليمان على امرئ أمرك وجرّأك وسلطك

على الامة لعنة الله أتظن الحجاج استقر فى قعر جهنم أم هو يهوى فيها قال يا أمير المؤمنين ان الحجاج

يأتى يوم القيامة بين اخيك وابيك فضعه من النار حيث شئت (قال) عبيد الله بن زياد لقيس بن عباد ما

تقول فىّ وفى الحسين قال اعفنى اعفاك الله قال لابد ان تقول قال يجىء أبوه يوم القيامة فيشفع له ويجىء

أبوك فيشفع لك قال قد علمت غشك وخبثك لئن فارقتنى يوما لاضعن اكثرك شعرا بالارض (الاصمعى)

قال بعث الحجاج الى يحيى بن يعمر فقال له أنت الذى تقول ان الحسين بن على ابن عم رسول الله صلى

الله عليه وسلم ابن رسول الله لتأتينى بالمخرج مما قلت أو لاضربن عنقك فقال له ابن يعمر وان جئت

بالمخرج فأنا آمن قال نعم قال اقرأ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه الى قوله ومن ذريته داود

وسليمان وأيوب ويوسف وموسى الى قوله وعيسى فمن أبعد عيسى من ابراهيم وانما هو ابن بنته أو

الحسين من محمد صلى الله عليه وسلم فقال له الحجاج والله لكأنى ما قرأت هذه الآية قط وولاه قضاء

بلده فلم يزل بها قاضيا حتى مات (أبو بكر بن أبى شيبة) قال دخل عبد الرحمن بن أبى ليلى على الحجاج

فقال لجلسائه ان اردتم ان تنظروا الى رجل يسب امير المؤمنين عثمان بن عفان فهذا عندكم يعنى عبد

الرحمن فقال عبد الرحمن معاذ الله ايها الامير ان اكون أسب أمير المؤمنين انه ليحجزنى عن ذلك ثلاث

آيات فى كتاب الله تعالى قال الله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم

يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون فكان عثمان منهم ثم قال

والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم الآية فكان أبى منهم ثم قال والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا

اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية فكنت أنا منهم فقال صدقت (أبو عوانة) قال بعث الىّ

الحجاج فقال لى ما اسمك قلت ما أرسل الىّ الامير حتى عرف اسمى قال متى هبطت هذا البلد قلت حين

هبط أهله قال ما تقرأ من القرآن قلت اقرأ منه ما اذا تبعته كفانى قال انى أريد أن أستعين بك فى عملى

قلت ان تستعن بى تستعن بكبير أخرق ضعيف يخاف أعوان السوء وان تدعنى فهو أحب الىّ وان

تقحمنى اقتحم قال ان لم اجد غيرك أقحمتك وان وجدت غيرك لم اقحمك قلت وأخرى أكرم الله

ومن آثار العقول الصحيحة والجهود الاختبار اللطيفة ومن الحكم الرقيقة ومن المذاهب القديمة والتجارب الحكيمة والاخبار عن القرون الماضية والبلاد المتراخية والامثال السائرة والامم البائدة ما يجمع الكتاب (ودخل الرشيد) على المأمون وهو ينظر فى كتاب فقال ما هذا فقال كتاب يشحذ الفكرة ويحسن العشرة فقال الحمد لله الذى رزقنى من يرى بعين قلبه اكثر مما يرى بعين جسمه (وقيل) لبعض العلماء ما بلغ من سرورك بأدبك وكتبك فقال هى ان خلوت لذتى وان اهتممت سلوتى وان قلت ان زهر البستان ونور الجنان يجلوان الابصار ويمتعان بحسنهما الالحاظ فان بستان الكتب يجلو العقل ويشحذ الذهن ويحيى القلب ويقوى القريحة ويعين الطبيعة ويبعث نتائج العقول ويستثير دفائن القلوب ويمتع فى الخلوة ويؤنس فى الوحشة ويضحك بنوادره ويسر بغرائبه ويفيد ولا يستفيد ويعطى ولا يأخذ وتصل لذته الى القلب من غير سآمة تدركك ولا مشقة تعرض لك

وقال ابو الطيب المتنبى

وللسر منى موضع لا يناله
نديم ولا يفضى اليه شراب
وللخود منى ساعة ثم بيننا
فلاة الى غير اللقاء تجاب
وما العشق الا غرة وطماعة
يعرض قلب نفسه فيصاب
وغير فؤادى للغوانى رمية
وغير بنانى للرخاخ ركاب
تركنا لاطراف القنا كل لذة

الاميرانى ماعلمت الناس هابوا أميراقط هيبتهم لك والله انى لا تعار من الليل فما يأتينى النوم من ذكرك حتى أصبح هذا ولست لك على عمل قال هيه كيف قلت فاعدت عليه فقال انى والله لا أعلم على وجه الارض خلقا هو أجرأ على دم منى انصرف قال فقمت فعدلت عن الطريق كأنى لا أبصر فقال أرشدوا الشيخ * لما أتى الحجاج بأسرى الجماجم أتى فيهم عامر الشعبى ومطرف بن عبد الله الشخير وسعيد بن جبير وكان الشعبى ومطرف يريان التقية وكان سعيد بن جبير لا يراها وكان قد تقدم كتاب عبد الملك ابن مروان الى الحجاج فى أسرى الجماجم أن يعرضهم على السيف فمن أقر منهم بالكفر فى خروجهم علينا فخلى سبيله ومن زعم انه مؤمن فيضرب عنقه فقال الحجاج للشعبى وأنت ممن ألب علينا مع ابن الاشعث اشهد على نفسك بالكفر فقال أصلح الله الامير نبا بنا المنزل وأحزن بنا الجناب واستحلسنا الخوف واكتحلنا السهر وخبطتنا فتنة لم نكن فيها اتقياء بررة ولا فجرة أقوياء قال لله أبوك لقد صدقت ما بررتم بخروجكم علينا ولا قويتم خلوا سبيل الشيخ ثم قال لمطرف أتقر على نفسك بالكفر قال أصلح الله الامير ان من شق العصا وسفك الدماء ونكث البيعة وفارق الجماعة وأخاف المسلمين لجدير بالكفر فخلى سبيله ثم قال لسعيد بن جبير أتقر على نفسك بالكفر قال ما كفرت منذ آمنت بالله فضرب عنقه ثم استعرض الاسرى فمن أقر بالكفر خلى سبيله ومن أبى قتله حتى أتى بشيخ وشاب فقال للشاب أكافر أنت قال نعم قال لكن الشيخ لا يرضى بالكفر فقال له الشيخ أعن نفسى تخادعنى يا حجاج والله لو علمت أعظم من الكفر لقلته فضحك الحجاج وخلى سبيله فلما مات الحجاج وقام سليمان قال الفرزدق

لئن نفر الحجاج آل معتب * لقوا دولة كان العدو يدالها
لقد أصبح الاحياء منهم أذلة * وموتاهم فى النار كلحا سبالها
وكانوا يرون الدائرات بغيرهم * فصار عليهم بالعذاب انفتالها
ألكنى الى من كان بالصين أورمى * به الهند ألواح عليها خلالها
هلم الى الاسلام والدين عندنا * فقد مات عن أهل العراق خبالها

(لما) ولى سليمان بن عبد الملك كتب الى عامله بالاردن اجمع يدى عدى بن الرقاع الى عنقه وابعث به الى على قتب بلا وطاء ووكل به من ينخس به ففعل ذلك فلما انتهى الى سليمان بن عبد الملك ألقى بين يديه القاء لا روح فيه فتركه حتى ارتد اليه روحه ثم قال له أنت أهل لما نزل بك ألست القائل فى الوليد

معاذ ربى أن نبقى ونفقده * وان نكون لراع بعده تبعا

قال لا والله يا أمير المؤمنين ما هكذا قلت وانما قلت

معاذ ربى أن نبقى ونفقدهم * وان نكون لراع بعدهم تبعا

فنظر اليه سليمان واستضحك فأمر له بصلة وخلى سبيله (العتبى) قال كان بين شريك القاضى والربيع حاجب المهدى معارضة فكان الربيع يحمل عليه المهدى فلا يلتفت اليه حتى رأى المهدى فى منامه شريكا القاضى مصروفا وجهه عنه فلما استيقظ من نومه دعا الربيع وقص عليه رؤياه فقال يا أمير المؤمنين ان شريكا مخالف لك وانه فاطمى محض قال المهدى على به فلما دخل عليه قال له يا شريك بلغنى انك فاطمى قال له شريك أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ان تكون غير فاطمى الا أن تعنى فاطمة بنت كسرى قال ولكنى أعنى فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم قال أفتلعنها يا أمير المؤمنين قال معاذ الله قال فماذا تقول فيمن يلعنها قال عليه لعنة الله قال فالعن هذا يعنى الربيع فانه يلعنها فعليه لعنة الله قال الربيع لا والله يا أمير المؤمنين ما ألعنها قال له شريك يا ماجن فما ذكرك لسيدة نساء العالمين وابنة سيد المرسلين فى مجالس الرجال قال المهدى دعنى من هذا فانى رأيتك فى منامى كان وجهك مصروف عنى وقفاك الى وما ذلك الا بخلافك على ورأيت فى منامى كأنى أقتل زنديقا قال شريك ان رؤياك يا أمير المؤمنين ليست برؤيا يوسف الصديق صلوات الله على محمد وعليه وان الدماء لا تستحل بالاحلام

فليس لنا الا بهن لعاب
نصرفه للطعن فوق سوابح
قد انقصفت فيهن منه كعاب
أعز مكان فى الدنا سرج سابح
وخير جليس فى الزمان كتاب
(فقر فى الكتب) اتفاق الفضة على كتب الآداب يخالفك عليه ذهب الالباب ان هذه الآداب شوارد فاجعلوا الكتب لها أزمة كتاب الرجل عنوان عقله ولسان فضله (ابن المعتز) من قرأ سطرا من كتاب قد نقط عليه فقد خان كاتبه لان النقط يحرز ما تحته (بزرجمهر) الكتب أصداف الحكم تنشق عن جواهر الكلام (بعض الكتاب) اعجام الخط يمنع من استعجامه وشكله يؤمن من اشكاله كأن هذا الكاتب نحا الى قول أبى تمام
ترى الحادث المستعجم الخطب معجما
لديه ومشكولا اذا كان مشكلا
ما كتب قر وما حفظ فر الخطوط المعجمة كالبرود المعلمة وقال ابن المعتز يصف كتابا
وذو نكت موشى نمنمته
وحاكته الانامل أى حوك
بشكل يرفع الاشكال عنه
كأن سطوره أغصان شوك
(جملة من ألفاظ أهل العصر فى صفة الكتب وتهاديها وما يتعلق بأسمائها ومعانيها) حضرة مولاى تجل عن ان يهدى اليها غير الكتب التى لا يترفع عنها كبير ولا يمتنع منها خطير وقد فكرت فيما أنفذت به مقيما للرسم فى جملة الخدم وحافظا للاسم فى غمار الحشم فلم أجد الا الرق الذى سبق ملكه له والمال

وان علامة الزندقة بينة قال وما هي قال شرب الخمر والرشا في الحكم ومهر البغي قال صدقت والله أبا عبد الله أنت والله خير من الذي حباني عليك * ودخل شريك القاضي على المهدي فقال له الربيع خنت مال الله ومال أمير المؤمنين قال لو كان ذلك لاتاك سهمك (العتبي) قال دخل جامع المحاربي على الحجاج وكان جامع شيخا صالحا خطيبا لبيبا جريئا على السلطان وهو الذي قال للحجاج اذ بنى مدينة واسط بنيتها في غير بلدك وتورثها غير ولدك فجعل الحجاج يشكو سوء طاعة أهل العراق وقبح مذهبهم فقال له جامع أما انهم لو أحبوك لاطاعوك على أنهم ما شنؤك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك فدع عنك ما يبعدهم منك الى ما يقربهم اليك والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك وليكن ايقاعك بعد وعيدك ووعيدك بعد وعدك قال الحجاج ما أرى ان ارد بني اللكيعة الى طاعتي الا بالسيف قال أيها الامير ان السيف اذا لاقى السيف ذهب الخيار قال الحجاج الخيار يومئذ لله قال أجل ولكنك لا تدري لمن يجعله الله فغضب وقال ياهناه انك من محارب فقال جامع

وللحرب سمينا وكنا محاربا * اذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرا

فقال الحجاج والله لقد هممت بأن أخلع لسانك فأضرب به وجهك قال جامع ان صدقناك أغضبناك وان غششناك أغضبنا الله فغضب الامير أهون علينا من غضب الله قال أجل وسكن وشغل الحجاج ببعض الامر فانسل جامع فمر بين الصفوف من أهل الشام حتى جاوزها الى صفوف العراق فأبصر كبكبة فيها جماعة من بكر العراق وقيس العراق وتميم العراق وازد العراق فلما رأوه اشرأبوا اليه وقالوا له ما عندك دفع الله عنك قال ويحكم عموه بالخلع كما يعمكم بالعداوة ودعوا التعادي ما عادا كم فاذا ظفرتم تراجعتم وتعافيتم أيها التميمي هو أعدى لك من الازدي وأيها القيسي هو أعدى لك من التغلبي وهل ظفر بمن ناواه منكم الا بمن بقي معه منكم وهرب جامع من فوره ذلك الى الشام واستجار بزفر بن الحرث فأجاره (العتبي) قال كان هرون الرشيد يقتل أولاد فاطمة وشيعتهم وكان مسلم بن الوليد صريع الغواني قد رمي عنده بالتشيع فأمر بطلبه فهرب منه ثم أمر بطلب أنس بن أبي شيخ كاتب البرامكة فهرب منه ثم وجد هو ومسلم بن الوليد عند قينة ببغداد فلما أتي بهما قيل له يا أمير المؤمنين قد أتي بالرجلين قال أي الرجلين قيل أنس بن أبي شيخ ومسلم بن الوليد فقال الحمد لله الذي أظفرني بهما يا غلام أحضرهما فلما دخلا عليه نظر الى مسلم وقد تغير لونه فرق له وقال ايه يا مسلم أنت القائل

أنس الهوى ببني علي في الحشا * وأراه يطمع عن بني العباس

قال بل أنا الذي أقول يا أمير المؤمنين

أنس الهوى ببني العمومة في الحشا * مستوحشا من سائر الايناس
واذا تكاملت الفضائل كنتم * أولى بذلك يا بني العباس

قال فعجب هرون من سرعة بديهته وقال له بعض جلسائه استبقه يا أمير المؤمنين فانه من أشعر الناس وامتحنه فسترى منه عجبا فقال له قل شيأ في أنس فقال يا أمير المؤمنين أفرخ روعي أفرخ الله روعك يوم الحاجة الى ذلك فاني لم أدخل على خليفة قط ثم أنشأ يقول

تلمظ السيف من شوق الى أنس * فالموت يلحظ والاقدار تنتظر
فليس يبلغ منه ما يؤمله * حتى يؤامر فيه رأيك القدر
أمضى من الموت يعفو عند قدرته * وليس للموت عفو حين يقتدر

قال فاجلسه هرون وراء ظهره لئلا يرى ما هم به حتى اذا فرغ من قتل أنس قال له أنشدني أشعر شعر لك فكلما فرغ من قصيدة قال له التي تقول فيها الوحل فاني رويتها وأنا صغير فأنشده شعره الذي أوله

أديرا على الراح لا تشربا قبلي * ولا تطلبا من عند قاتلتي ذحلي

حتى انتهى الى قوله

اذا ما علت منا ذؤابة شارب * تمشت بنا مشي المقيد في الوحل

فعجب

الذي مضى والحو له فعدلت الى الاداب الذي تنفق سوقه بباب سيدنا ولا تكسد وتهب ريحه بجانبه ولا تركد وأنفذت كتابي هذا راجيا ان أشرف بقبوله ويوقع الى بحصوله ولما وجب على ذوي الاختصاص لسيدنا اهداء ما جرت العادة بتسابق الاولياء الى الاجتهاد في اهدائه وجبا له دول في اقامة رسم الخدمة الى اتباع ما صدر عنه من الرخصة فيما تسهل كلفته وتجل عند ذوي الالباب قيمته وتحلو ثمرته وهو علم يقتنى وادب يجتنى (قال أبو الحسن بن طباطبا العلوي)

لا تنكرن اهداءنا لك منطقا
منك استفدنا حسنه ونظامه
فالله عز وجل يشكر فعل من
يتلو عليه وحيه وكلامه

(وأهدى) أحمد بن يوسف الى المأمون في يوم مهرجان هدية قيمتها ألف ألف درهم وكتب

على العبد حق فهو لابد فاعله
وان عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي الى الله ماله
وان كان عنه ذا غنى وهو قابله

(قال أبو الفتح البستي)

لا تنكرن اذا أهديت نحوك من
علومك الغر أو آدابك النتفا
فقيم الباغ قد يهدي لمالكه
برسم خدمته من باغه التحفا

(وكتب أبو اسحق الصابي الى عضد الدولة في هذا المعنى) العبيد تلاطف ولا تكاثر الموالي في هداياها والموالي تقبل الميسور منها قبولا هو محسوب في عطاياها ولما كان أدام الله تعالى عزه مبرزا على ملوك

فضحك هرون وقال عليك أما رضيت ان قيدته حتى عشى فى الوحل ثم أمر له بجائزة وخلى سبيله (قال) كسرى ابيوسف الغبى وقد قتل الفلهبد تلميذه كنت استريح منك اليه ومنه اليك فاذهب حسدك ونغل صدرك شطر تمتعى وأمر ان يطرح تحت أرجل الفيلة فقال أيها الملك اذا كنت أنا قد أذهبت شطر تمتعك وأذهبت أنت الشطر الآخر أليس جنايتك على نفسك مثل جنايتى عليك قال كسرى دعوه فما دله على هذا الكلام الا ما جعل له من طول المدة (يعقوب بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس) قال دخلت يوما على الرشيد أمير المؤمنين وهو متغيظ متربد فندمت على دخولى عليه وقد كنت أفهم غضبه فى وجهه فسلمت فلم يرد فقلت داهية نادتم أومأ الى فجلست فالتفت الى وقال لله عبد الله بن جعفر ابن أبى طالب فلقد نطق بالحكمة حيث يقول

يا أيها الزاجرى عن شيمتى سفها * عمدا عصيت مقام الزاجر الناهى
أقصر فانك من قوم أرومتهم * فى اللؤم فافخر بهم ما شئت أو باهى
يزين الشعر أفواها اذا نطقت * بالشعر يوما وقد يزرى بأفواه
قد يرزق المرء لا من فضل حيلته * ويصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهى
لقد عجبت لقوم لا أصول لهم * اثروا وليسوا وان اثروا بأشباه
ما نالنى من غنى يوما ولا عدم * الا وقولى عليه الحمد لله *

فقلت يا أمير المؤمنين ومن ذا الذى بلغت عليه المقدرة أن يسامى مثلك او يدانيه قال لعله من بنى ابيك وامك * كان الكميت بن يزيد يمدح بنى هاشم ويعرض ببنى امية فطلبه هشام فهرب منه عشرين سنة لا يستقر به القرار من خوف هشام وكان مسلمة بن عبد الملك له على هشام حاجة فى كل يوم يقضيها له ولا يرده فيها فلما خرج مسلمة بن عبد الملك يوما الى بعض صيوده اتى الناس يسلمون عليه واتاه الكميت ابن يزيد فيمن اتى فقال السلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته اما بعد

قف بالديار وقوف زائر * وتأن انك غير صاغر

حتى انتهى الى قوله

يا مسلم ابن ابى الوليد لميت ان شئت ناشر
علقت حبالى من حبا * لك ذمة الجار المجاور
فالآن صرت الى امية والامور الى المصائر
والآن كنت به المصيب كمهتد بالامس حائر

فقال مسلمة سبحان الله من هذا الهندكى الجلحاب الذى أقبل من اخريات الناس فبدأ بالسلام ثم أما بعد ثم الشعر قيل له هذا الكميت بن يزيد فأعجب به لفصاحته وبلاغته فسأله مسلمة عن خبره وما كان فيه طول غيبته فذكر له سخط امير المؤمنين عليه فضمن له مسلمة امانه وتوجه به حتى ادخله على هشام وهشام لا يعرفه فقال الكميت السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الحمد لله قال هشام نعم الحمد لله ما هذا قال الكميت مبتدئ الحمد ومبتدعه الذى خص بالحمد نفسه وأمر به ملائكته جعله فاتحة كتابه ومنتهى شكره وكلام اهل جنته احمده حمد من علم يقينا وابصر مستبينا واشهد له بما شهد به لنفسه قائما بالقسط وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده العربى ورسوله الامى ارسله والناس فى هفوات حيرة ومدلهمات ظلمة عند استمرار ابهة الضلال فبلغ عن الله ما امر به ونصح لامته وجاهد فى سبيله وعبد ربه حتى اتاه اليقين صلى الله عليه وسلم ثم انى يا امير المؤمنين تهت فى حيرة وحرت فى سكرة ادلأم بى خطرها واهاب بى داعيها واجابنى غاويها (١) فاقطوطيت الى الضلالة وتسكعت فى الظلمة والجهالة حائرا عن الحق قائلا بغير صدق فهذا مقام العائذ ومنطق التائب ومبصر الهدى بعد طول العمى يا امير المؤمنين كم من عاثر أقلتم عثرته ومجترم عفوتم عن جرمه فقال له هشام وايقن انه الكميت ويحك من سن لك الغواية وأهب بك فى العماية قال الذى أخرج أبى آدم من الجنة فنسى ولم

١ (قوله فاقطوطيت) أى قاربت المشى اسراعا مأخوذ فى الاصل من القطا بمعنى الطائر اه

لارض فى الخطر الذى قصروا عنه شديدا والسبق الذى وقفوا منه بعيدا والآداب التى عجزوا عن استعلائها فضلا عن علمها والادوات التى نكلوا عن استفهامها فضلا عن فهمها وجب ان يعدل عن اختياراتهم فيما تحظى به الجسوم البهيمية الى اختياره فيما تحظى به النفوس العقلية وعما ينفق فى سوقهم العامية الى ما ينفق فى سوقه الخاصية افرادا لرتبته العليا وغايته القصوى وتمييزا له عمن لا يجرى معه فى هذا المضمار ولا يتعلق منه بالغبار وقد حملت الى انا خزانته عمرها الله شيأ من الدفاتر وآلة النجوم فان رأى مولانا ان يتطول على عبده بالاذن فى عرض ذلك عليه مشرفا له وزائدا فى احسانه اليه فعل ان شاء الله تعالى (وأهدى أبو الطيب المتنبى) الى أبى الفضل ابن العميد فى يوم نوروز قصيدة مدحه فيها بقوله فى آخرها

كثر الفكر كيف يهدى كما أهـ * ـدى الى ربها الرئيس عباده
والذى عندنا من المال والخيـ * ـل فمنه هباته وقياده
فبعثنا بأربعين مهارا * كل مهر ميدانه انشاده
فارتبطها فان قلبا نماها * مربط يسبق الجياد جياده

وفى هذه الكلمة يقول وقد احتفل فيها واجتهد فى تجويد ألفاظها ومعانيها فتعقب عليه أبو الفضل فى مواضع وقف عليها فقال

هل لعذرى الى الهمام أبى الفضـ * ـل قبول سواد عينى مداده
أنا من شدة الحياء عليل * مكرمات المعله عواده

يجد له عزما وأمير المؤمنين كريح رحمة أثارت سحابا متفرقا فلفقت بعضه الى بعض حتى التحم فاستحكم هدار رعده وتلألأ برقه فنزل الارض فرويت واخضلت واخضرت واسقت فروى ظمآنها وامتلأ عطشانها فكذلك نعمتك أنت يا أمير المؤمنين أضاء الله بك الظلمة الداجية بعد الغموس فيها وحقن بك دماء قوم أشعرخوفك قلوبهم فهم يبكون لما يعلمون من حزمك وبصيرتك وقد علموا انك الحرب وابن الحرب اذا احمرت الحدق وعضت المغافير بالهام عزأسك واستربط جاشك مسعار هتان وكاف بصير بالاعداء مغري الخيل بالنكراء مستغن برأيه عن رأي ذوي الالباب برأي اريب وحلم مصيب فأطال الله لامير المؤمنين البقاء وتمم عليه النعماء ودفع به الاعداء فرضي عنه هشام وامر له بجائزة (العتبي) قال لما أتي بابن هبيرة الى خالد بن عبد الله القسري وهو والي العراق أتي به مغلولا مقيدا في مدرعة فلما صار بين يدي خالد القته الرجال الى الارض فقال ايها الامير ان القوم الذين انعموا عليك بهذه النعمة قد انعموا بها على من قبلك فأنشدك الله ان تستن في بسنة يستن بها فيك من بعدك فأمر به الى الحبس فأمر ابن هبيرة غلمانه فحفروا له تحت الارض سردابا حتى خرج الحفر تحت سريره ثم خرج منه ليلا وقد أعدت له افراس يداولها حتى اتى مسلمة بن عبد الملك فاستجار به فأجاره واستوهبه مسلمة بن عبد الملك فوهبه اياه فلما قدم خالد بن عبد الله القسري على هشام وجد عنده ابن هبيرة فقال له اباق العبد ابقت قال له حين نمت نومة الامة فقال الفرزدق في ذلك

لما رأيت الارض قد سد ظهرها * فلم يبق الا بطنها لك مخرجا *
دعوت الذي ناداه يونس بعدما * ثوى في ثلاث مظلمات ففرجا
فأصبحت تحت الارض قد سرت ليلة * وما سار سار مثلها حين ادلجا
خرجت ولم تمنن عليك طلاقة * سوى حثك التقريب من آل اعوجا

(ودخل) الناس على ابن هبيرة بعد ما امنه هشام بن عبد الملك يهنونه ويحمدون له رأيه فقال متمثلا

من يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

ثم قال لهم ما كان قولكم لو عرض لي أو ادركت في طريقي (ومثل هذا قول القطامي)

والناس من يلق خيرا قائلون له * ما يشتهي ولام المخطئ الهبل

(عبد الله بن سوار) قال قال لي الربيع الحاجب أتحب أن تسمع حديث ابن هبيرة مع مسلمة قلت نعم قال فأرسل الى خصي كان لمسلمة يقوم على وضوئه فجاءه فقال حدثنا حديث ابن هبيرة مع مسلمة قال كان مسلمة بن عبد الملك يقوم من الليل فيتوضأ ويتنفل حتى يصبح فيدخل على أمير المؤمنين فاني لاصب الماء على يديه من آخر الليل وهو يتوضأ اذ صاح صائح من وراء الرواق أنا بالله وبالامير فقال مسلمة صوت ابن هبيرة اخرج اليه فخرجت اليه ورجعت فأخبرته فقال أدخله فدخل فاذا رجل يميد نعاسا فقال أنا بالله وبالامير قال أنا بالله وأنت بالله ثم قال أنا بالله وبالامير قال انا بالله وأنت بالله حتى قالها ثلاثا ثم قال أنا بالله فسكت عنه ثم قال لي انطلق به فوضئه وليصل ثم اعرض عليه أحب الطعام اليه فأته به وافرش له في تلك الصفة لصفة بين يدي بيوت النساء ولا توقظه حتى يقوم متى قام فانطلقت به فتوضأ وصلى وعرضت عليه الطعام فقال شربة سويق فشرب وفرشت له فنام وجئت الى مسلمة فأعلمته فغدا الى هشام فجلس عنده حتى اذا حان قيامه قال يا أمير المؤمنين لي حاجة قال قضيت الا ان تكون في ابن هبيرة قال رضيت يا أمير المؤمنين ثم قام منصرفا حتى اذا كاد ان يخرج من الايوان رجع فقال يا أمير المؤمنين ما عودتني ان تستثني في حاجة من حوائجي واني أكره ان يتحدث الناس انك أحدثت على الاستثناء قال لا استثني عليك قال فهو ابن هبيرة فعفا عنه ❁ (فضيلة العفو والترغيب) ❁ كان للمأمون خادم وهو صاحب وضوئه فبيناه يصب الماء على يديه اذ سقط الاناء من يده فاغتاظ المأمون عليه فقال يا أمير المؤمنين ان الله يقول والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي عنك قال والعافين عن

ما كفاني تقصير ما قلت فيه
عن علاه حتى ثناه انتقاده
ما تعودت أن ارى كأبي الفضـ
ـل وهذا الذي اتاه اعتياده
غمرتني فوائد شاء منها
ان يكون الكلام مما افاده
ما سمعنا بمن احب العطايا
فاشتهى ان يكون منها فؤاده
وقد كان مدحه بقصيدته التي
اولها
باد هواك صبرت ام لم تصبرا
وبكاك ان لم يجر دمعك اوجرى
وفيها معان مخترعة وابيات
مبتدعة يقول فيها
من مبلغ الاعراب اني بعدها
جالست رسطاليس والاسكندرا
ومللت نحر عشارها فأضافني
من ينحر البدر النضار لمن قرا
وسمعت بطليوس دارس كتبه
متملكا متبديا متحضرا
ورأيت كل الفاضلين كأنما
رد الاله نفوسهم والاعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدما
وأتى فذلك اذ اتيت مؤخرا
وفيها يقول
فدعاك حسدك الرئيس وامسكوا
ودعاك خالقك الرئيس الاكبرا
خلفت صفاتك في العيون كلامه
كالخط يملأ مسمعي من ابصرا
اخذه من قول الطائي يصف
قصائده
يقرب يراها من يراها بسمعه
ويدنو اليها ذو الحجا وهو شاسع
كتاب كتب لي امانا من الدهر
وهناني ايام العمر كتاب
اوجب من الاعتداد فوق
الاعداد واودع بياض الوداد
سواد الفؤاد كتاب النظر فيه
نعيم مقيم والظفر به فتح عظيم
كتاب ارتجت اعيانه واهتززت

الناس قال قد عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فانت حر (أمر عمر بن عبد العزيز)
بعقوبة رجل فقال له رجاء بن حيوة يا أمير المؤمنين ان الله قد فعل ما تحب من الظفر فافعل ما يحبه من
العفو (الأصمعي) قال عزم عبد الله بن علي على قتل بني امية بالحجاز فقال له عبد الله بن حسن بن حسن
ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم اذا اسرعت بالقتل في اكفائك فمن تباهي بسلطانك فاعف يعف
الله عنك (دخل ابن خريم) على المهدي وقد عتب على بعض أهل الشام وأراد ان يغزوهم جيشا فقال
يا أمير المؤمنين عليك بالعفو عن الذنب والتجاوز عن المسيء فلان تطيعك العرب طاعة محبة خير لك
من ان تطيعك طاعة خوف (أمر) المهدي بضرب عنق رجل فقام اليه ابن السماك فقال له ان هذا
الرجل لا يجب عليه ضرب العنق قال فما يجب عليه قال تعفو عنه فان كان من أجر كان لك دوني وان
كان من وزر كان علي دونك فخلى سبيله (كلم) الشعبي ابن هبيرة في قوم حبسهم فقال ان كنت حبستهم
بباطل فالحق يطلقهم وان كنت حبستهم بحق فالعفو يسعهم (العتبي) قال وقعت دماء بين حيين من
قريش فاقبل أبو سفيان فما بقي أحد واضع رأسه الا رفعه فقال يا معشر قريش هل لكم في الحق
أو فيما هو أفضل من الحق قالوا وهل شيء أفضل من الحق قال نعم العفو فتهادر القوم واصطلحوا (وقال
عدي بن أبي طلحة) ليزيد بن عاتكة ما ظلم أحد ظلمك ولا نصر نصرك فهل لك في الثالثة نقلها قال
وما هي قال ولا عفا عفوك (وقال المبارك بن فضالة) كنت عند أبي جعفر جالسا في السماط اذ أمر
برجل ان يقتل فقلت يا أمير المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد
بين يدي الله الا من كانت له عند الله يد فليتقدم فلا يتقدم الا من عفا عن مذنب فأمر باطلاقه (وقال
الأحنف بن قيس) أحق الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم أقرب
ما يكون العبد من غضب الله اذا غضب وتقول العرب في أمثالها ملكت فاسجح وارحم ترحم وكما
تدين تدان ومن بر يوما بر به (بعد الهمة وشرف النفس) دخل نافع بن جبير بن مطعم على الوليد وعليه
كساء غليظ وخفان جسيان فسلم وجلس فلم يعرفه الوليد فقال لخادم بين يديه سل هذا الشيخ من هو
فسأله فقال له اعزب فعاد الى الوليد فأخبره فقال عد اليه واسأله فعاد اليه فقال له مثل ذلك فضحك
الوليد وقال له من أنت قال نافع بن جبير بن مطعم (وقال زياد بن ظبيان) لابنه عبيد الله الا أوصي بك
الأمير زيادا قال يا أبت اذا لم يكن للحي الا وصية الميت فالحي هو الميت (وقال معاوية) لعمرو بن سعيد
الى من أوصى بك أبوك قال ان أبي أوصى الي ولم يوص بي قال وبم أوصى اليك قال ان لا يفقد اخوانه
منه الا وجهه (وقال مالك بن مسمع) لعبيد الله بن ظبيان ما في كنانتي سهم انا به أوثق مني بك قال واني
لفي كنانتك أما والله لئن كنت فيها قائما لاطولها ولئن كنت فيها قاعدا لاخرقها قال كثر الله
مثلك في العشيرة قال لقد سألت الله شططا (وقال يزيد بن المهلب) ما رأيت اشرف نفسا من الفرزدق
هجاني ملكا ومدحني سوقة (وقدم عبيد الله بن ظبيان) على عتاب بن ورقاء الرياحي وهو والي
خراسان فأعطاه عشرين ألفا فقال له والله ما أحسنت فاحمدك ولا أسأت فألومك وانك لأقرب البعداء
وأحب البغضاء وعبيد الله بن ظبيان هذا هو القائل والله ما ندمت على شيء قط ندمي على عبد الملك بن
مروان اذ أتيته برأس المصعب بن الزبير فخر لله ساجدا أن لا أكون قد ضربت عنقه فأكون قد
قتلت ملكين من ملوك العرب في يوم واحد (ومن) أشرف الناس همة عقيل بن علفة المري وكان
اعرابيا يسكن البادية وكان تصهر اليه الخلفاء وخطب اليه عبد الملك بن مروان ابنته لاحد أولاده
فقال له جنبني هجناء ولدك (وقال عمر بن عبد العزيز) لرجل من بني أمية كان له اخوال في بني مرة
قبح الله شبها غلب عليك من بني مرة فبلغ ذلك عقيل بن علفة فأقبل اليه فقال له قبل أن يبتدئه
بالسلام بلغني يا أمير المؤمنين أنك غضبت على رجل من بني عمك له اخوال في بني مرة فقلت قبح الله
شبها غلب عليك من بني مرة وأنا أقول قبح الله ألأم الطرفين ثم انصرف فقال عمر بن عبد العزيز من

بعنوانه كتاب هو من الكتب
الميامين التي تأتي من قبل
اليمين كتاب عددته من حجول
العمر وغرره واعتددته من
فرص العيش وغرره كتاب
هو انفس طالع واكرم متطلع
واحسن واقع واجمل متوقع
كتاب لو قرئ على الحجارة
لانفجرت او على الكواكب
لانتثرت كتاب كدت ألثمه طما
ونشرا وقبلته الفا ويفطامله
عشرا كتاب نسيت لحسنه
الروض والزهر وغفرت للزمان
ما تقدم من ذنبه وما تأخر كتاب
أملته همة المجد على بنانك
ونطق به لسان الفضل عن
لسانك انا التقط من كل حرف
تدبره انامك تحفة وأخذ من
كل سطر تجشم تخطيطه نزهة
اذا قرأت من خطك حرفا وجدت
على قلبي خفا واذا تأملت من
كلامك لفظا ازددت من انسي
حظا كتاب كتب لي امانا من
الزمان وتوقيع وقع مني موقع
الماء من العطشان كتاب هو
تعلة المسافر وانسة المستوحش
وزبدة الوصال وعقلة المستوفز
كتاب هو رقية القلب السليم
وغرة العيش البهيم كتاب هو
سمر بلا سهر وصفو بلا كدر
كتاب تمتعت منه بالنعيم الابيض
والعيش الاخضر واستلمته
استلام الحجر الاسود وكان طرفي
من سطوره يرعى مهال وناج
مكال واودعت سمعي من محاسنه
ما انساني سماع الاغاني من
مطربات الغواني نشأت
سحابة من لفظك غيثها نعمة
سابغة وغيثها حكمة بالغة
سقت روضة الادب وقد جهدتها

رأى أعجب من هذا الشيخ الذى أقبل من البادية ليست له حاجة الاشتمنا ثم انصرف فقال له رجل من بنى مرة والله يا أمير المؤمنين ما شتمك وما شتم الا نفسه نحن والله الام الطرفين (أبو حاتم السجستانى) عن محمد بن العتبى بن عبد الله قال سمعت أبى يحدث عن ابى عمرو المرى قال كان بنو عقيل بن علفة بن مرة بن غطفان يتقاتلون ويقتتلون الغيث فسمع عقيل بن علفة بنتا له ضحكت فشهقت فى آخر ضحكها فاخترط السيف وحمل عليها وهو يقول

فرقت انى رجل فروق * بضحكة آخرها شهيق

وقال عقيل

انى وان سيق الى المهر * ألف وعبدان وذود عشر

* أحب اصهارى الى القبر

(وقال الاصمعى) كان عقيل بن علفة المرى رجلا غيورا وكان يصهر اليه الخلفاء واذا خرج يمتار خرج بابنته الجرباء معه قال فنزلوا ديرا من ديرة الشام يقال له دير سعد فلما ارتحلوا قال عقيل

قضت وطرا من دير سعد وربما * على عرض ناطحنه بالجماجم

ثم قال لابنه يا عملس أجز فقال

فأصبحن بالموماة يحملن فتية * نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال لابنته يا جرباء أجيزى فقالت

كأن الكرى أسقاهم صرخدية * عقارا تمشى فى المطا والقوائم

قال وما يدريك أنت ما نعت الخمر فاخذ السيف وهوى نحوها فاستعانت بأخيها عملس فحال بينه وبينها قال فأراد ان يضربه قال فرماه بسهم فاختل فخذيه فبرك ومضوا وتركوه حتى اذا بلغوا ادنى ماء للاعراب قالوا لهم انا اسقطنا جزورا فأدركوها وخذوا معكم الماء ففعلوا فاذا عقيل بارك وهو يقول

ان بنى زملونى بالدم * شنشنة أعرفها من أخزم * من يلق ابطال الرجال يكلم

والشنشنة الطبيعة وأخزم فحل معروف وهذا مثل للعرب (ومن) أعز الناس نفسا وأشرفهم همما الانصار وهم الاوس والخزرج ابنا قيلة لم يؤدوا اتاوة قط فى الجاهلية الى أحد من الملوك وكتب اليهم تبع يدعوهم الى طاعته ويتوعدهم ان لم يفعلوا فكتبوا اليه

العبد تبعكم يروم قتالنا * ومكانه بالمنزل المتذال

انا أناس لا ننام بأرضنا * عض الرسول ببظر ام المرسل

فغزاهم تبع أبو كرب فكانوا يقاتلونه نهارا ويخرجون اليه القرى ليلا فتذمم من قتالهم ورحل عنهم (ودخل) الفرزدق على سليمان بن عبد الملك فقال له من أنت وتجهم له كأنه لا يعرفه فقال له الفرزدق وما تعرفنى يا أمير المؤمنين قال لا قال انا من قوم منهم أوفى العرب وأسود العرب وأجود العرب وأحلم العرب وأفرس العرب وأشعر العرب قال والله لتبينن ما قلت أولا وجعن ظهرك ولاهدمن دارك قال نعم يا أمير المؤمنين اما أوفى العرب فحاجب بن زرارة الذى رهن قوسه عن جميع العرب فوفى بها وأما أسود العرب فقيس بن عاصم الذى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه وقال هذا سيد الوبر وأما أحلم العرب فعتاب بن ورقاء الرياحى وأما أفرس العرب فالحريش بن عبد الله السعدى وأما أشعر العرب فها أنا ذا بين يديك يا أمير المؤمنين فاغتم سليمان مما سمع من فخره ولم ينكره وقال ارجع على عقبيك فما لك عندنا شئ من خير فرجع الفرزدق وقال

أتيناك لا من حاجة عرضت لنا * اليك ولا من قلة فى مجاشع

(وقال الفرزدق فى الفخر) بنو دارم قومى ترى حجزاتهم * عتاقا حواشيها رقاقا نعالها

يجرون هداب اليمانى كأنهم * سيوف جلا الاطباع عنها صقالها

(وقال الاخوص) فى الفخر وهو افخر بيت قالته العرب

[illegible] فاهتزت وربت وما كتبت ما كتبت كتاب أحسبته ساقطا الى من السماء اهتزازا لمطالعه وانها احسن موقعه تناولته كما يتناول الكتاب المرقوم وفضضته كما يفض الرحيق المختوم كتاب كالمشترى شرف به المسير وقميص يوسف جاء به البشير كتاب هو من الحسن روضة حزن بل جنة عدن وفى شرح النفس وبسط الانس برد الاكباد والقلوب وقميص يوسف فى أجفان يعقوب قد اهديت الى محاسن الدنيا مجموعة فى ورقة ومباهج الحلى والحلل محصورة فى طبقه كتاب ألصقته بالقلب والكبد وشممته شم الولد وردمنك المسك ذكيا والزهر جنيا والماء مريا والعيش هنيا والسحر بابليا كتاب مطالعه مطالع اهلة الاعياد وموقعه موقع نيل المراد كتاب وجدته قصير المركما الى الوصال بعد الهجر لم ابدأ به حتى استكمل وقارب الآخر منه الاول كتاب منتقص الاطراف منقطع الاكتاف ابتر الجوارح مضطرب الجوانح كتاب كأنه توقيع متحرز أو تمريض متبرز كاد يلتقى طرفاه ويتقارب مفتتحه ومنتهاه كتاب التقط طرفاه صغرا واجتمعت حاشيتاه قصرا ما اظننى ابتدأته حتى ختمته ولا استفتحته حتى أتممته ولا لمحته حتى استوفيته ولا نشرته حتى طويته واحسبنى لولم اجود ضبطه ولم الزم يدى حفظه لطار حتى يختلط بالجو فلا ارى منه الاهباء منثورا وهواء منشورا كتاب حسبته يطير من يدى

ما من مصيبة نكبة أرمى بها * الا تشرفني وترفع شاني
واذا سألت عن الكرام وجدتني * كالشمس لا تخفى بكل مكان

(وقال) ابو عبيدة اجتمعت وفود العرب عند النعمان بن المنذر واخرج اليهم بردي محرق وقال ليقم اعز العرب قبيلة فليلبسهما فقام عامر بن احيمر السعدي فاتزر باحدهما وارتدى بالآخر فقال النعمان بم انت أعز العرب قال العز والعدد من العرب في معد ثم في نزار ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب ثم في عوف ثم في بهدلة فمن أنكر هذا من العرب فلينافرني فسكت الناس ثم قال النعمان هذه حالك في قومك فكيف انت في نفسك واهل بيتك قال انا ابو عشرة وخال عشرة وعم عشرة واما انا في نفسي فهذا شاهدي ثم وضع قدمه في الارض ثم قال من ازالها عن مكانها فله مائة من الابل فلم يقم اليه أحد فذهب بالبردين (ففيه يقول الفرزدق)

فما تم في سعد ولا آل مالك * غلام اذا ما قيل لم يتبهدل
لهم وهب النعمان بردي محرق * بمجد معد والعديد المحصل

وفي أهل هذا البيت من سعد بن زيد مناة كانت الافاضة في الجاهلية ومنهم بنو صفوان الذي يقول فيهم أوس بن مغراء السعدي

ولا يريمون في التعريف موقفهم * حتى يقال اجيزوا آل صفوانا
ما تطلع الشمس الا عند أولنا * ولا تغيب الا عند اخرانا

(وقال الفرزدق في مثل هذا المعنى)

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا * وان نحن أومأنا الى الناس أوقفوا

(وكانت) هند بنت صعصعة هي عمة الفرزدق تقول من جاءت من نساء العرب بأربعة كأربعتي يحل لها ان تضع عندهم خمارها عندهم فصرمتي لها أبي صعصعة وأخي غالب وخالي الأقرع بن حابس وزوجي الزبرقان بن بدر فسميت ذات الخمار (وممن) شرفت نفسه وبعدت همته طاهر بن الحسين الخراساني وذلك انه لما قتل محمد بن زبيدة وخاف المأمون أن يغدر به امتنع عليه بخراسان ولم يظهر خلعه وقال

أيسومني المأمون خطة عاجز * أو ما رأى بالامس راس محمد
يوفي على راس الخلائق مثل ما * توفي الجبال على رؤس الفدفد
أني من القوم الذين هم هم * قتلوا أخاك وأقعدوك بمرصد

(وهو القائل)

غضبت على الدنيا فانهبت ما حوت * واعقبتها مني باحدى المتالف
قتلت أمير المؤمنين وانما * بقيت فناء بعده للخلائف
وقد بقيت في أم رأسي فتكة * فاما لرشد أو لرأي مخالف

(فأجابه محمد بن يزيد بن مسلمة)

عتبت على الدنيا فلا كنت راضيا * فلا اعقبت الا باحدى المتالف
فمن أنت أو ما أنت يا فقع فرقد * اذا أنت منا لم تعلق بكانف
ستعلم ما تجني عليك وما جنت * يداك فلا تفخر بقتل الخلائف

(وهو القائل)

مدمن الاغضاء موصول * ومديم العتب مملول * ومدين البيض في تعب
وغريم البيض مطول * وأخو الوجهين حيث رمى * بهواه فهو مدخول
اقصري عما طمعت به * ففرادي عنك مشغول * سائلي عمن تسائلني
قد يرد الخير مسؤل * أنا من تعرف نسبته * سلفي الغر البهاليل
سل بهم تنبيك نجدتهم * مشرفيات مصاقيل * كل عضب مشرب علقا
وغرار الحد مفلول * مصعب جدي نقيب بني * هاشم والامر مجبول
وحسين رأس دعوتهم * بعده والحق مقبول * وأبي من لا كفاء له

تلقته ويلطف عن حسي لقائه وعجبت كيف لم تحمله الرياح قبل وصوله الي وكيف لم يختلط بالهواء عند حصوله لدي كتاب قص الاقتصار اجنحته فلم يدع لدقوادم ولا خوافي واخذ الاختصار حشته فلم يبق الفاظا ولا معاني طلع كتابك كايماء بطرف أو وحي بكف (وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز) استعرت من علي بن يحيى المنجم جزأ فيه اخبار معبد بخط حماد ابن اسحق الموصلي وكان وعدني به فبعث الي بست ورقات لطاف فرددتها وكتبت اليه ان كنت اردت بقولك جزأ الجزء الذي لا يتجزا فقد اصبت وان كنت اردت جزأ فيه فائدة للقارئ ومتعة للسامع فقد اخلت وقد رددته عليك بعد ان طار للحظ عليه طيرة فأجابني اذا كان السفر عندك مضاة فما اصنع (وقال ابو العباس) دخل رجل على الحسن بن سهل بعد ان تأخر عنه اياما فقال ما ينقضي يوم من عمري لا اراك فيه الا علمت انه مبتور القدر منحوس الحظ مغبون الايام فقال الحسن هذا لانك توصل الي بحضورك سرورا لا اجده عند غيرك واتنسم من ارواح عشرتك ما تجد الحواس به بغيتها وتستوفي منه لذتها فنفسك تألف مني مثل ما آلفه منك (وكان) يقال محادثة الرجال تلقيح الالباب وقال ابن الرومي

ولقد سئمت مآربي
فكان اطيبها خبيث
الا الحديث فانه
مثل اسمه ابدا حديث

من يسامي مجده قولوا * صاحب الراى الذى حصلت * رايه القوم المحاصيل

ـل منهم بالذراشرفا * دونه عز وتبجيل * تفصح الانباء عنه اذا

أسكت الانباء مجهول * ـل نبي الجبار يرم عدا * حوله الجرد الاباييل

اذ علت مفرقه يده * نوطها أبيض مصقول * ابطن المخلوع كالكه

وحواليه المقاويل * فثوى والترب مصرعه * غال عنه ماكه غول

قاد جيشا نحو بابله * ضاق عنه العرض والطول * وهبوالله أنفسهم

لا معزيل ولا ميل * ملك تحتاج صولته * ونداه الدهر مبذول

نزعت منه تمائمه * وهو مرهوب ومأمول * وتره يسعى اليه به

ودم يجنيه مطلول * وبدت يوم الوداع لنا * غادة كالشمس عطبول

ثم ولت اتودعنا * كحلها بالدمع مغسول * أيها البادي بنطته * لاغاليطك تصل

(فأجابه) محمد بن يزيد بن مسلمة وكان من أصحابه وآثرهم عنده ثم اعتذر اليه وزعم انه لم يدعه الى اجابته الاقوله * من يسامي مجده قولوا * فأمر له بمائة ألف وزاده اثرة ومنزلة

لا برملك القال والقيل * كل ماجات تحميل * ماهوى لى كنت اعرفه * بهوى غيرك موصول

ايخون العهد ذو ثقة * لايخون العهد مقبول * جلتنى كل لائمة * كل ماجات محمول

واحكمى ماشئت واحتكمى * غير رامى لك تحليل * ابن لى عنك الى بدل

لابدل منك مقبول * لداري منك مقفرة * وضميري منك مأهول

تتعاطى شدة مئزرها * ونطاق الخصر محلول * شملنا اذ ذاك مجتمع

وجناح البين مشكول * قد تأوّلت على جهة * ولنا ويحك تأويل

ان دلماك يوم غدا * بك فى الحين اضليل * قاتل المخلوع مقتول

ودم القاتل مطلول * قد يخون الرمح حامله * وسنان الرمح مصقول

وينال الوتر طالبه * بعد ما تسلوا المثاكيل * ياأخا المخلوع طلت يدا

لم يكن فى باعها طول * وبنعماه الذى كفرت * جالت الخيل الاباييل

وبراع غير ذى شفق * فعلت تلك الافاعيل * يا ابن بنت النار موقدها

ما لحاذ سراويل * من حسين وأبوه ومن * مصعب غالتهم غول

ان خير القول أصدقه * حين تمطلك الاقاويل

(أبو جعفر البغدادى) قال لما انقبض طاهر بن الحسين بخراسان عن المأمون واخذ حذره أدب له المأمون وصيفا بأحسن الآداب وعلمه فنون العلم ثم أهداه اليه مع ألطاف كثيرة من طرائف العراق وقد واطأه على ان يسمه واعطاه سم ساعة ووعده على ذلك بأموال كثيرة فلما انتهى الى خراسان واوصل طاهر الهدية قبل الهدية وأمر بانزال الوصيف فى دار وأجرى عليه ما يحتاج اليه من التوسعة فى النزالة وتركه أشهرا فلما برم الوصيف بمكانه كتب اليه ياسيدى ان كنت تقبلنى فاقبلنى والا فردنى الى أمير المؤمنين فأرسل اليه وأوصله الى نفسه فلما انتهى الى باب المجلس الذى كان فيه أمره بالوقوف عند باب المجلس وقد جلس على لبد أبيض وتزع رأسه وبين يديه مصحف منشور وسيف مسلول فقال قد قبلنا ما بعث به أمير المؤمنين غيرك فانا لا نقبلك وقد صرفناك الى أمير المؤمنين وليس عندى جواب أكتبه الا ماترى من حالى فابلغ أمير المؤمنين السلام واعلمه بالحال التى رأيتنى فيها فلما قدم الوصيف على المأمون وكلمه ما كان من أمره ووصف له الحالة التى رآه فيها شاور وزراءه فى ذلك وسألهم عن معناه ولم يعلمه واحد منهم فقال المأمون لكنى قد فهمت معناه أما تقريعه رأسه وجلوسه على اللبد الابيض فهو يخبرنا انه عبد ذليل وأما المصحف المنشور فانه يذكرنا بالعهود التى له علينا وأما السيف المسلول فانه

يقول

(قال مخارق) لقينى أبو اسحق اسمعيل بن القاسم قبل نسكه فقال أنا والله صب بك ولوع اليك مغمور القلب بشكرك واللسان بذكرك متشوق الى قربك متشوف الى رؤيتك ومفاوضتك وقد طالت الايام على ما أعدبه نفسى من الاجتماع معك ومن قضاء الوطر منك فما عندك انا الفداء لك اتزورنى أم أزورك قلت جعلنى الله فداك ما يكون عند من هو منك بهذا الموضع وفى هذا المحل الا الانقياد الى أمرك والسمع والطاعة لك ولولا ان اسيء الادب فى أمر بدأت فيه بالفضل لقلت ان كثيرا مما ابتدأت به من القول يقل فيما عندى من الشوق اليك والشغف بك دون ما حرك هذا القول منى فوجبت لك المنة به على وأنا بين يديك فاثن عنانى الى ما أردت وقدنى كيف شئت تجدنى كما قال القائل

ماقشتم به فانى اليوم فاعله

والقلب صب فما جشمته جشما

(وذكر سهل بن هرون رجلا) فقال لم أر أحسن منه فهما لجليل ولا تفهما منه لرقيق أشار اليه أبو تمام فقال

وكنت أعز عزا من قنوع

تعرضه صفوح من ملول

فصرت أذل من معنى رقيق

به فقر الى ذهن جليل

(وقال سعيد بن مسلم للمأمون) لولم أشكر الله تعالى الا على حسن ما أبلانى من أمير المؤمنين من قصده الى بحديثه واشارته الى بطرفه لقد كان فى ذلك أعظم الرفعة وارفع ما توجبه الحرمة فقال يفعل أمير المؤمنين ذلك

يقول ان نكثت تلك العهود فهذا يحكم بيني وبينك اغلقوا عنا باب ذكره ولا تهيجوه في شئ مما هو فيه فلم يهجه المأمون حتى مات طاهر بن الحسين وقام عبد الله بن طاهر مكانه وكان أحكم الناس على المأمون (وكتب) طاهر بن الحسين الى المأمون في اطلاق ابن السندي من حبسه وكان عامله على مصر فعزله عنها وحبسه فأطلقه له (وكتب اليه)

أخي أنت ومولاى * فما ترضاه أرضاه * وما تهوى من الامر
فاني أنا أهواه * لك الله على ذاك * لك الله لك الله

﴿مراسلة بين الملوك﴾ العتبي عن أبيه قال أهدى ملك اليمن عشر جزائر الى مكة وأمران ينحرها أعز قرشي فقدمت وأبو سفيان عروس بهند بنت عتبة فقالت له أيها الرجل لا يشغلنك النساء عن هذه المكرمة التي لعلها ان تفوتك فقال لها يا هذه دعي زوجك وما يختار لنفسه والله ما نحرها غيري الا نحرته فكانت في عقالها حتى خرج أبو سفيان في اليوم السابع فنحرها (زهير عن أبي الجويرية الجرمي) قال كتب قيصر الى معاوية أخبرني عمن لا قبلة له وعمن لا أب له وعمن لا عشيرة له وعمن سار به قبره وعن ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم وعن شئ ونصف شئ ولا شئ وابعث الي في هذه القارورة ببزر كل شئ فبعث معاوية بالكتاب والقارورة الى ابن عباس فقال أما من لا قبلة له فالكعبة وأما من لا أب له فعيسى وأما من لا عشيرة له فآدم وأما من سار به قبره فيونس وأما ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم فكبش ابراهيم وناقة ثمود وحية موسى وأما شئ فالرجل له عقل يعمل بعقله وأما نصف شئ فالرجل ليس له عقل ويعمل برأى ذوى العقول وأما لا شئ فالذى ليس له عقل يعمل به ولا يستعين بعقل غيره وملأ القارورة ماء وقال هذا بزر كل شئ فبعث به الى معاوية فبعث به معاوية الى قيصر فلما وصل اليه الكتاب والقارورة قال ما خرج هذا الا من أهل بيت النبوة (نعيم بن حماد) قال بعث ملك الهند الى عمر بن عبد العزيز كتابا فيه من ملك الاملاك الذى هو ابن ألف ملك والذى تحته ابنة ألف ملك والذى في مربطه ألف فيل والذى له نهران ينبتان العود والالوة والجوز والكافور والذى يوجد ريحه على مسيرة اثنى عشر ميلا الى ملك العرب الذى لا يشرك بالله شيأ أما بعد فاني قد بعثت اليك بهدية وما هى بهدية ولكنها تحية قد أحببت أن تبعث الي رجلا يعلمني ويفهمني الاسلام والسلام يعني بالهدية الكتاب (الرياشي) قال لما هدم الوليد كنيسة دمشق كتب اليه ملك الروم انك هدمت الكنيسة التى رأى أبوك تركها فان كان صوابا فقد أخطأ أبوك وان كان خطأ فما عذرك فكتب اليه وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما (وكتب) ملك الروم الى عبد الملك بن مروان أكلت لحم الجمل الذى هرب عليه أبوك من المدينة لاغزونك جنودا مائة ألف ومائة ألف فكتب عبد الملك الى الحجاج أن يبعث الى على بن الحسين ويتوعده ويكتب اليه بما يقول ففعل فقال ان لله عز وجل لوحا محفوظا يلحظه كل يوم ثلثمائة لحظة ليس منها لحظة الا يحيى فيها ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وانى لارجو أن يكفينك منها بلحظة واحدة فكتب به الحجاج الى عبد الملك بن مروان وكتب به عبد الملك الى ملك الروم فلما قرأه قال ما خرج هذا الا من كلام النبوة (بعث) ملك الهند الى هرون الرشيد بسيوف قلعية وكلاب سيورية وثياب من ثياب الهند فلما أتته الرسل بالهدية أمر الاتراك فصفوا صفين ولبسوا الحديد حتى لا يرى منهم الا الحدق وأذن للرسل فدخلوا عليه وقال لهم ما جئتم به قالوا هذه أشرف كسوة بلدنا فأمر هرون النطاع بأن يقطع منها جلالا وبراقع كثيرة لخيله فتصلب الرسل على وجوههم وتذمموا ونكسوا رؤسهم ثم قال لهم ما عندكم غير هذا قالوا انه هذه سيوف قلعية لا نظير لها فدعا هرون بالصمصامة سيف عمرو بن معديكرب فقطعت السيوف بين يديه سيفا سيفا كما يقطع الفجل من غير أن تنثنى له شفرة ثم عرض عليهم حد السيف فاذا لا فل فيه فتصلب القوم على وجوههم ثم قال لهم ما عندكم غير هذا قالوا هذه كلاب سيورية لا يلقاها

لان أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الافهام اذا حدثت وحسن الفهم اذا حدثت ما لم يجده عند أحد ممن مضى ولا يظن انه يجده عند أحد ممن بقي فانك لتستقصي حديثي وتقف عند مقاطع كلامي وتخبر بما كنت أغفلته منه (وقال المتوكل) لابي العيناء ما تحسن قال افهم وافهم * وقال بعض الحكماء لتلميذه وقد ضرب الموسيقي افهمت قال نعم قال بل لم تفهم لانى لا ارى عليك سرور الفهم * وقد قيل من نظر الى الربيع وأنواره والروض واصباغه ولم يبتهج كان عديم حسن أو سقيم نفس * ومر أبو تمام بابرشهر من أرض فارس فسمع جارية تغني بالفارسية فشاقه شجي الصوت فقال

ومسمعة تفوق السمع حسنا
ولم تصممه لا يصمم صداها
لوت أوتارها فشجت وشاقت
فلو يستطيع حاسدها فداها
ولم أفهم معانيها ولكن
وردت كبدي فلم اجهل شداها
فكنت كأنني أعمى معنى
يحب الغانيات ولا يراها

(قال ابو الفضل) أحمد بن أبي طاهر قلت لأبي تمام أخذت هذا المعنى من أحد قال نعم اخذته من قول بشار بن برد

ياقوم أذني لبعض الحي عاشقة
والاذن تعشق قبل العين احيانا
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم
الاذن كالعين توفي القلب ما كانا

(وقال بشار) أيضا في هذا المعنى

قالت عقيل بن كعب اذ تعلقها
قلبي فأضحى به من حبها أثر
انى ولم ترها تهذي فقلت لهم

سبع الا عقرته فقال لهم هرون فان عندى سبعا فان عقرته فهى كما ذكرتم ثم أمر بالاسد فأخرج اليهم فلما نظروا اليه هالهم وقالوا ليس عندنا مثل هذا السبع فى بلدنا قال لهم هرون هذه سباع بلدنا قالوا فنرسلها عليه وكانت الاكلاب ثلاثة فأرسلت عليه فزقته وأعجب بها هرون وقال لهم تمنوا فى هذه الكلاب ما شئتم من طرائف بلدنا قالوا ما نتمنى الا السيف الذى قطعت به سيوفنا قال لهم هذا مما لا يجوز فى ديننا أن نهاديكم بالسلاح ولولا ذلك ما بخلنا به عليكم ولكن تمنوا غير ذلك ما شئتم قالوا ما نتمنى الا به قال لا سبيل اليه ثم أمر لهم بتحف كثيرة وأحسن جائزتهم

﴿ كتاب الياقوتة فى العلم والادب ﴾

قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه قد مضى قولنا فى مخاطبة الملوك ومقاماتهم وما تفننوا فيه من بديع حكمهم والتزلف اليهم بحسن التوصل ولطيف المعانى وبارع منطقهم واختلاف مذاهبهم ونحن قائلون بحمد الله وتوفيقه فى العلم والادب فانهما القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا وفرق ما بين الانسان وسائر الحيوان وما بين الطبيعة الملكية والطبيعة البهيمية وهو مادة العقل وسراج البدن ونور القلب وعماد الروح وقد جعل الله بلطيف قدرته وعظيم سلطانه بعض الاشياء عمدا لبعض ومتولدا من بعض فاجالة الوهم فيما تدركه الحواس تبعث خواطر الذكر وخواطر الذكر تنبه روية الفكر وروية الفكر تثير مكامن الارادة والارادة تحكم أسباب العمل فكل شئ يقوم فى العقل ويمثل فى الوهم يكون ذكرا ثم فكرا ثم ارادة ثم عملا والعقل متقبل للعلم لا يعمل فى غير ذلك شيأ والعلم علمان علم حمل وعلم استعمل فما حمل منه ضر وما استعمل نفع والدليل على أن العقل انما يعمل فى تقبل العلوم كالبصر فى تقبل الالوان والسمع فى تقبل الاصوات وان العاقل اذا لم يعلم شيأ كان كمن لا عقل له والطفل الصغير لو لم تعرفه أدبا وتلقنه كتابا كان كابله البهائم وأضل الدواب فان زعم زاعم فقال انا نجد عاقلا قليل العلم فهو يستعمل عقله فى قلة علمه فيكون أسد رأيا وأنبه فطنة وأحسن موارد ومصادر من الكثير العلم مع قلة العقل فان حجتنا عليه ما قد ذكرنا من حمل العلم واستعماله فقليل العلم يستعمله العقل خير من كثيره يحفظه القلب (قيل) للمهلب بم أدركت ما أدركت قال بالعلم قيل له فان غيرك قد علم أكثر مما علمت ولم يدرك ما أدركت قال ذلك علم حمل وهذا علم استعمل وقد قالت الحكماء العلم قائد والعقل سائق والنفس ذود فان كان قائد بلا سائق هلكت وان كان سائق بلا قائد أخذت يمينا وشمالا واذا اجتمعا أنابت طوعا أو كرها ﴿ (فنون العلم) ﴾ قال سهل بن هرون وهو عند المأمون من أصناف العلم ما لا ينبغى للمسلمين أن يرغبوا فيه وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال فقال المأمون قد يسمى بعض الناس الشئ علما وليس بعلم فان كان هذا أردت فوجهه الذى ذكرت ولو قلت أيضا ان العلم لا يدرك غوره ولا يسبر قعره ولا تبلغ غايته ولا تستقصى أصوله ولا تنضبط أجزاؤه صدقت فان كان الامر كذلك فابدأ بالاهم فالاهم والاوكد فالاوكد وبالفرض قبل النفل يكن ذلك عدلا قصدا ومذهبا جميلا وقد قال بعض الحكماء لست أطلب العلم طمعا فى غايته والوقوف على نهايته ولكن التماس ما لا يسع جهله فهذا وجه لما ذكرت (وقال) آخرون علم الملوك النسب والخبر وعلم أصحاب الحروب درس كتب الايام والسير وعلم التجار الكتاب والحساب فاما أن يسمى الشئ علما وينهى عنه من غير أن يشمل عما هو أنفع منه فلا (وقال) محمد بن ادريس رضى الله عنه العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان (وقال) عبد الله بن مسلم بن قتيبة من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ومن أراد أن يكون أديبا فليتفنن فى العلوم (وقال) أبو يوسف القاضى ثلاثة لا يسلمون من ثلاثة من طلب النجوم لم يسلم من الزندقة ومن طلب الكيمياء لم يسلم من الفقر ومن طلب غرائب الحديث لم يسلم من الكذب (وقال) ابن سيرين رحمه الله تعالى العلم أكثر من أن يحاط به فخذوا من كل شئ أحسنه (وقال ابن عباس رضى الله عنهما) كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسع جهله وكفاك من علم الادب أن تروى الشاهد والمثل وقول الشاعر

وما من كاتب الا ستبقى * كتابته وان فنيت يداه

ان الفؤاد يرى ما لا يرى البصر

(وقال)

يزهدنى فى حب عبدة معشر
قلوبهم فيها مخالفة قلبى
فقلت دعوا قلبى وما اختار وارتضى
فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب
وما تبصر العينان فى موضع الهوى
ولا تسمع الاذنان الا من القلب

(وقد قال أبو يعقوب الخزيمى) فى هذا المعنى وكان قد عور ثم عمى وقيل انها للخليل بن أحمد

قالت اتهزأ بى غداة لقيتها
بالرجال بصبوة العميان
فاجبتها نفسى فداؤك انما
اذنى وعينى فى الهوى سيان

وقريب من هذا قول الحكم ابن قنبر وان لم يكن منه

ان كنت لست معى فالذكر منك معى
يرعاك قلبى وان غيبت عن بصرى
العين تبصر من تهوى وتفقده
وناظر القلب لا يخلو من النظر

(وقال آخر)

اما والذى لو شاء لم يخلق الهوى
لئن غبت من عينى ما غبت عن قلبى
توهمك عين الوهم حتى كأننى
اناجيك من قرب وان لم تكن قربى

(وقال أبو عثمان سعيد بن الحسن الناجم)

لئن كان عن عينى أحمد غائبا
فما هو عن عين الضمير بغائب
له صورة فى القلب لم يقصها النوى
ولم تتخطفها أكف النوائب
اذا ساءنى منه شحوط مزاره
وضاقت بقلبى فى نواه مذاهبى
عطفت على شخص له غير نازح
محلته بين الحشا والترائب

فلا تكتب بكفك غير شئ * يسرك فى القيامة أن تراه

(وقال) الاصمعى وصلت بالملح ونلت بالغريب (وقالوا) من أكثر من النحو حمقه ومن أكثر من الشعر بذله ومن أكثر من الفقه شرفه (وقال) أبو نواس الحسن بن هانئ

كم من حديث معجب عندك لكا * لو قد نبذت به اليك لسركا
مما تخيره الرواة مهذب * كالدر منتظما بسمر السلكا
أتتبع العلماء اكتب عنهم * كيما أحدث من لقيت فيضحكا

❁ (الحض على طلب العلم) ❁ قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل (وقال) عليه الصلاة والسلام الناس عالم ومتعلم وسائرهم همج (وعنه) صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب ولمداد ما جرت به أقلام العلماء خير من دماء الشهداء فى سبيل الله (وقال) داود لابنه سليمان عليهما السلام اجعل العلم حول عنقك واكتبه فى ألواح قلبك (وقال) أيضا اجعل العلم مالك والادب حليتك (وقال) على بن أبى طالب رضى الله عنه قيمة كل انسان ما يحسن (وقيل) لابى عمرو بن العلاء هل يحسن بالشيخ أن يتعلم قال ان كان يحسن به أن يعيش فانه يحسن به أن يتعلم (وقال) عروة بن الزبير رحمه الله تعالى يا بنى اطلبوا العلم فان تكونوا صغار الا يحتاج اليكم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغنى عنكم (وقال) ملك الهند لولده وكان له أربعون ولدا يا بنى أكثروا من النظر فى الكتب وازدادوا فى كل يوم حرفا فان ثلاثة لا يستوحشون فى غربة الفقيه العالم والبطل الشجاع والحلو اللسان الكثير مخارج الرأى (وقال) المهلب لبنيه ايا كم أن تجلسوا فى الاسواق الا عند زراد أو وراق أراد الزراد للحرب والوراق للعلم (وقال الشاعر)

نعم الانيس اذا خلوت كتاب * تلهو به ان خانك الاحباب
لا مفشيا سرا اذا استودعته * وتفاد منه حكمة وصواب

(وقال) ولكل طالب لذة متنزه * ولذة نزهة عالم فى كتبه

(ومر) رجل بعبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر وهو جالس فى المقبرة وبيده كتاب فقال له ما أجلسك ههنا قال انه لا أوعظ من قبر ولا أمتع من كتاب (وقال) رؤبة بن العجاج قال لى النسابة البكرى يا رؤبة لعلك من قوم ان سكت عنهم لم يسألونى وان حدثتهم لم يفهمونى قلت انى أرجو أن لا أكون كذلك قال فما آفة العلم ونكرته وهجنته قلت تخبرنى قال آفته النسيان ونكرته الكذب وهجنته نشره عند غير أهله (وقال) عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا (وقال) ذللت طالبا فعززت مطلوبا (وقال) رجل لابى هريرة اريد ان أطلب العلم وأخاف أن أضيعه قال كفاك بترك طلب العلم اضاعة له (وقال) عبد الله بن مسعود ان الرجل لا يولد عالما وانما العلم بالتعلم (وأخذه الشاعر فقال)

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل

(ولآخر) تعلم فليس المرء يخلق عالما * وما عالم أمرا كمن هو جاهله

(ولآخر) ولم أر فرعا طال الا باصله * ولم أر بدو العلم الا تعلما

(وقال آخر) العلم يحيى قلوب الميتين كما * تحيا البلاد اذا ما مسها المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه * كما يجلى سواد الظلمة القمر

(وقال) بعض الحكماء اقصد من أصناف العلم الى ما هو أشهى لنفسك وأخف على قلبك فان نفاذك فيه على حسب شهوتك له وسهولته عليك ❁ (فضيلة العلم) ❁ حدثنا أيوب بن سليمان بن عامر بن معاوية عن أحمد بن عمران الاخفش عن الوليد بن صالح الهاشمى عن عبد الله بن عبد الرحمن الكوفى عن أبى مخنف عن كميل النخعى قال أخذ بيدى على بن أبى طالب كرم الله وجهه فخرج بى الى ناحية الجبانة فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال يا كميل ان هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فاحفظ عنى

(وذكر أبو عبيدة) كيسان مستملية فى بعض الامر فقال والله ما فهم ولو فهم لوهم وكان كيسان يوصف بالبلادة والغفلة (وقال الجاحظ) كان يكتب غير ما يسمع ويستقى غير ما يكتب ويقرأ غير ما يستقى ويملى غير ما يقرأ أمليت عليه يوما

عجبت لمعشر عدلوا
بمعتمر أبا عمرو

فكتب أبا بشر وقرأ أبا حفص واستقى أبا زيد (قال أبو عباد) للمحدث على جليسه السامع لحديثه ان يجمع له باله ويصغى الى حديثه ويكتم عليه سره ويبسط له عذره وقال ينبغى للمحدث اذا أنكر عين السامع ان يستفهمه عن معنى حديثه فان وجده قد أخلص له الاستماع اتم له الحديث وان كان لاهيا عنه حرمه حسن الاقبال عليه ونفع المؤانسة له وعرفه بسوء الاستماع والتقصير فى حق المحدث * وقال نشاط المحدث على قدر فهم المستمع (وكان عبد الله بن مسعود) رضى الله عنه يقول حدث الناس ما حدجوك باسماعهم ولحظوك بابصارهم فاذا رأيت منهم فتورا فأمسك وقال أبو الفتح البستى

اذا أحسست فى لفظى فتورا
وحفظى والبلاغة والبيان
فلا ترتب بفهمى ان رقصى
على مقدار ايقاع الزمان

(وقال عامر بن عبد قيس) الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت فى القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان (وقال الحسن) وقد سمع متكلما يعظ فلم تقع موعظته من قلبه

ما أقول لك الناس ثلاثة عالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق مع كل ريح يميلون لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق يا كميل محبة العالم دين يدان به تكسب الطاعة فى حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته ومنفعة المال تزول بزواله والعلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقى الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة ها ان ههنا لعلما جما وأشار بيده الى صدره لو وجدت له حملة فلا أجد الا غير مأمون يستعمل الدين للدنيا ويستظهر بحجج الله على أوليائه وبنعم الله على كتابه أو منقاد لحملة الحق ولا بصيرة له فى احيائه ينقدح الشك فى قلبه لأول عارض من شبهة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ليس من رعاة الدين أقرب شبها بسماء الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم بحجة لله ظاهرا أو خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم وأين أولئك الاقلون عددا والاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه حتى يودعوها نظائرهم ويزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الايمان حتى باشروا روح اليقين فاستلانوا ما استخشن المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالرفيق الاعلى يا كميل أولئك خلفاء الله فى أرضه والدعاة الى دينه هاه هاه شوقا اليهم انصرف اذا شئت (قيل) للخليل بن أحمد أيها أفضل العلم أو المال قال العلم قيل له فما بال العلماء يزدحمون على أبواب الملوك والملوك لا يزدحمون على أبواب العلماء قال ذلك لمعرفة العلماء بحق الملوك وجهل الملوك بحق العلماء (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم فضل العلم خير من فضل العبادة (وقال) عليه الصلاة والسلام يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف القائلين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين (وقال) الاحنف بن قيس كاد العلماء ان يكونوا أربابا وكل عز لم يكسب بعلم فالى ذل ما يصير (وقال) أبو الاسود الدؤلى الملوك حكام على الدنيا والعلماء حكام على الملوك (وقال) أبو قلابة مثل العلماء فى الارض مثل النجوم فى السماء من تركها ضل ومن غابت عنه تحير (وقال) سفيان بن عيينة انما العالم مثل السرج من جاءه اقتبس من علمه ولا ينقصه شيأ كما لا ينقص القابس من نور السراج شيأ * وفى بعض الاحاديث ان الله لا يعذب نفس التقى العالم جوعا * وقيل للحسن بن أبى الحسن البصرى لم صارت الحرفة مقرونة مع العلم والثروة مقرونة مع الجهل فقال ليس كما قلتم ولكن طلبتم قليلا فى قليل فأعجزكم طلبتم المال وهو قليل فى أهل العلم وهم قليل ولو نظرتم الى من تحارف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر ﴿ضبط العلم والتثبت فيه﴾ قيل لمحمد بن عبد الله بن عمر رضى الله عنه ما هذا العلم الذى نفت به عن العالم قال كنت اذا أحدث كتابا جعلته مزرعة (وقيل) لمصقلة ما أكثر شكك قال محاماة عن اليقين (وسأل) شعبة أيوب السختيانى عن حديث فقال اشك فيه فقال شكك أحب الى من يقينى (وقال) أيوب ان من أصحابى من أرتجى بركة دعائه ولا أقبل حديثه (وقالت) الحكماء علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فاذا فعلت ذلك حفظت ما علمت وعلمت ما جهلت (وسأل) ابراهيم النخعى عامرا الشعبى عن مسئلة فقال لا أدرى فقال هذا والله العلم سئل عما لا يدرى فقال لا أدرى (وقال) مالك بن أنس اذا ترك العالم لا أدرى أصيبت مقاتله (وقال) عبد الله بن عمرو بن العاص من سئل عما لا يدرى فقال لا أدرى فقد احرز نصف العلم (وقالوا) العلم ثلاثة حديث مسند وآية محكمة ولا أدرى فجعلوا لا أدرى من العلم اذا كان صوابا من القول (وقال) الخليل بن أحمد انك لا تعرف خطأ معلمك حتى تجالس غيره وكان الخليل قد غلبت عليه الاباضية حتى جالس أيوب (وقالوا) عواقب المكاره محمودة (وقالوا) الخير كله فيما أكرهت النفوس عليه ﴿انتحال العلم﴾ قال بعض لا ينبغى لاحد ان ينتحل العلم لان الله عز وجل يقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا (وقال) عز وجل وفوق كل ذى علم عليم (وقد) ذكر عن موسى بن عمران عليه السلام انه لما كلمه الله تعالى تكليما

ولم يرق لها يا هذا ان يقلبك لشرا أو يقلبى (وقال محمد بن صبيح) المعروف بابن السماك لجارية له كيف ترين ما اعظ الناس به قالت هو حسن الا انك تكرره قال انما أكرره ليفهمه من لم يكن فهمه قالت الى أن يفهمه البطئ يثقل على سمع الذكى (واستعيد ابن عباس) حديثا فقال لولا انى أخاف أن أغض من بهائه وأريق من مائه وأخلق من جدة روائه لاعدته وقال أبو تمام الطائى يصف قصائده

منزهة عن السرق المؤدى
مكرمة عن المعنى المعاد

أخذه البحترى فقال

لا يعمل المعنى المكرر
رفيه واللفظ المردد

والاطالة مملولة كما مل التكرير وقد قال الحسن بن سهل الآداب عشرة فثلاثة شهرجانية وثلاثة انوشروانية وثلاثة عربية وواحدة اربت عليهن فأما الشهرجانية فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج واما الانوشروانية فالطب والهندسة والفروسية واما العربية فالشعر والنسب وايام الناس واما الواحدة التى اربت عليهن فقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس بينهم فى المجالس وكان يقال خذ من العلوم نتفها ومن الآداب طرفها * وكان يقال مقطعات الآدب قراضات الذهب وحضر بشار بن برد مجلسا فقال لا تجعلوا مجلسنا غناء كله ولا شعرا كله ولا سمرا كله ولكن انتهبوه انتهابا (وقال الحسن) رحمه الله تعالى حادثوا

ودرس التوراة وحفظها حدثته نفسه ان الله لم يخلق خلقا أعلم منه فهون الله اليه نفسه بالخضر عليه السلام (وقال) مقاتل بن سليمان وقد دخلته ابهة العلم سلونى عما تحت العرش الى أسفل من الثرى فقام اليه رجل من القوم فقال ما نسألك عما تحت العرش ولا أسفل الثرى ولكن نسألك عما كان فى الارض وذكره الله فى كتابه اخبرنى عن كلب أهل الكهف ما كان لونه فافحم (وقال) قتادة ما سمعت شيأ قط ولا حفظت شيأ قط فنسيته ثم قال يا غلام هات نعلى فقال هما فى رجليك ففضحه الله (وانشد أبو عمرو بن العلاء فى هذا المعنى)

من تحلى بغير ما هو فيه * فضحته شواهد الامتحان

(وقال) قتادة حفظت ما لم يحفظ أحد وانسيت ما لم ينس أحد حفظت القرآن فى سبعة اشهر وقبضت على لحيتى وانا أريد قطع ما تحت يدى فقطعت ما فوقها (ومر) الشعبى بالسدى وهو يفسر القرآن فقال لو كان هذا الساعة نشوان يضرب على استه بالطبل أما كان أحسن له (وقال بعض المنتحلين)

تجهلنى قومى وفى عقدهم تزرى * تمنون امثالا لهم محكم العقل

وماعن لى من غامض العلم غامض * مدى الدهر الا كنت منه على فهم

(وقال عدى بن الرقاع) وعلمت حتى ما أسائل عالما * عن حرف واحدة لكى ازدادها

❁(شرائط العلم)❁ وقالوا لا يكون العالم عالما حتى تكون فيه ثلاث خصال لا يحتقر من دونه ولا يحسد من فوقه ولا يأخذ على العلم ثمنا (وقالوا) رأس العلم الخوف لله (وقيل) للشعبى افتنى أيها العالم فقال انما العالم من اتقى الله (وقال) الحسن يكون الرجل عالما ولا يكون عابدا ويكون عابدا ولا يكون عاقلا (وكان) مسلم بن يسار عالما عابدا عاقلا (وقالوا) ما قرن شئ الى شئ أفضل من حلم الى علم ومن عفو الى قدرة (وقالوا) من تمام آلة العلم ان يكون شديد الهيبة رزين المجلس وقورا صموتا بطئ الالتفات قليل الاشارات ساكن الحركات لا يصخب ولا يغضب ولا يبهر فى كلامه ولا يمسح عثنونه عند كلامه فى كل حين فان هذه كلها من آفات العى (وقال الشاعر)

ملئ ببهر والتفات وسعلة * ومسحة عثنون وفتل الاصابع

(ومدح) خالد بن صفوان رجلا فقال كان بديع المنطق جزل الالفاظ عربى اللسان قليل الحركات حسن الاشارات حلو الشمائل كثير الطلاوة صموتا وقورا يهنأ الجرب ويداوى الدبر ويقد الحز ويطبق المفصل لم يكن بالزمر المروءة ولا الهذر المنطق متبوعا غير تابع كأنه علم فى رأسه نار (وقال عبد الله بن المبارك) فى مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه

يأبى الجواب فما يراجع هيبة * فالسائلون نواكس الاذقان

هدى الوقار وعز سلطان التقى * فهو المهيب وليس ذا سلطان

وقال عبد الله بن المبارك فيه أيضا

صموت اذا ما الصمت زين أهله * وفتاق ابكار الكلام المختم

وعى ما وعى القرآن من كل حكمة * وسيطت له الآداب باللحم والدم

(ودخل) رجل على عبد الملك بن مروان وكان لا يسأله عن شئ الا وجد عنده منه علما فقال له أنى لك هذا فقال لم أمنع قط يا أمير المؤمنين علما أفيده ولم أحتقر علما استفيده وكنت اذا لقيت الرجل أخذت منه وأعطيته (وقالوا) لو أن اهل العلم صانوا علمهم لسادوا اهل الدنيا لكن وضعوه غير موضعه فقصروا فى حقهم أهل الدنيا ❁(حفظ العلم واستعماله)❁ قال عبد الله بن مسعود تعلموا فاذا علمتم فاعملوا (وقال) مالك بن دينار العالم اذا لم يعمل بعلمه زالت موعظته عن القلب كما يزل الماء عن الصفا (وقالوا) لولا العمل لم يطلب العلم ولولا العلم لم يطلب العمل (وقال الطائى)

ولم يحمدوا من عالم غير عامل * ولم يحمدوا من عامل غير عالم

(وقال) عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يا ايها الناس تعلموا كتاب الله تعرفوا به واعملوا به تكونوا من

هذه القلوب فانها سريعة الدثور واقدعوا هذه الانفس فانها طلعة وانكم الا تزعوها تنزع بكم الى شر غاية * وقال اردشير بن بابك ان للاذهان كلالا وللقلوب مللا ففرقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماما (وروى) فى حكمة آل داود لا ينبغى للعاقل ان يخلى نفسه من اربع عدة لمعاده وصلاح لمعاشه وفكر يقف به على ما يصلحه من فساده ولذة فى غير محرم يستعين بها على الحالات الثلاث * وما احسن ما قال ابو الفتح بن كشاجم

عجبى ممن تناهت حاله
وكفاه الله ذلات الطلب
كيف لا يقسم شطرى عمره
بين حالين نعيم وادب
ساعة يمتع فيها نفسه
من غذاء وشراب منتخب
ودنو من دمى هن له
حين يشتاق الى اللعب لعب
فاذا ما نال من ذا حظه
فحديث ونشيد وكتب
مرة جد واخرى راحة
فاذا ما غسق الليل انتصب
فقضى الدنيا نهارا حقها
وقضى لله ليلا ما وجب
تلك اقسام متى يعمل بها
دهره يسعد ويرشد ويصب

(وقال ابو العباس) محمد بن يزيد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس لقضاء الحوائج (قال الحسن بن خالويه) ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم قد جزأ

اهله (وقالوا) الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت فى القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان (وروى) زياد عن مالك قال كن عالما أو متعلما واياك والثالثة فانها مهلكة ولا تكون عالما حتى تكون عاملا ولا تكون مؤمنا حتى تكون تقيا (وقال) ابو الحسن كان ابن الجراح يحفظ كل يوم ثلاثة أحاديث (وكان) الشعبي والزهري يقولان ما سمعنا حديثا يتساقط وسألنا اعادته

﴿رفع العلم وقولهم فيه﴾ قال عبد الله بن مسعود تعلموا العلم قبل أن يرفع (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء (وقال) عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما لما دفن زيد بن ثابت فى قبره من سره أن يرى كيف يقبض العلم فهكذا يقبض

﴿تحامل الجاهل على العالم﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم ويل لعالم أمر من جاهله (وقالوا) اذا أردت أن تفحم عالما فأحضره جاهلا (وقالوا) لا تناظر جاهلا ولا لجوجا فانه يجعل المناظرة ذريعة الى التعلم بغير شكر (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم ارحموا عزيزا ذل ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالما ضاع بين جهال (وجاء) كيسان الى الخليل بن أحمد يسأله عن شئ ففكر فيه الخليل ليجيبه فلما استفتح الكلام قال له لا أدرى ما تقول فانشأ الخليل يقول

لو كنت تعلم ما اقول عذرتنى * أو كنت أعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتى فعذلتنى * وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

(وقال حبيب)

وعاذل عذلته فى عذله * فظن انى جاهل من جهله
ما غبن المغبون مثل عقله * من لك يوما بأخيك كله

﴿تبجيل العلماء وتعظيمهم﴾ الشعبي قال ركب زيد بن ثابت فأخذ عبد الله بن عباس بركابه فقال لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقال زيد أرنى يدك فلما أخرج يده قبلها وقال هكذا أمرنا أن نفعل بابن عم نبينا (وقالوا) خدمة العالم عبادة (وقال على بن أبي طالب) رضوان الله عليه من حق العالم عليك اذا أتيته أن تسلم عليه خاصة وعلى القوم عامة وتجلس قدامه ولا تشر بيدك ولا تغمز بعينك ولا تقل قال فلان خلاف قولك ولا تأخذ بثوبه ولا تلح عليه فى السؤال فانما هو بمنزلة النخلة المرطبة التى لا يزال يسقط عليك منها شئ (وقالوا) اذا جلست الى العالم فسل تفقها ولا تسل تعنتا

﴿عويص المسائل﴾ الاوزاعى عن عبد الله بن سعيد عن الصنابحى عن معاوية بن أبي سفيان قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاغلوطات قال الاوزاعى يعنى صعاب المسائل (وكان) ابن سيرين اذا سئل عن مسئلة فيها أغلوطة قال للسائل أمسكها حتى تسأل عنها أخاك ابليس (وسأل) عمرو بن قيس مالك بن أنس عن محرم نزع نابى ثعلب فلم يرد عليه شيأ (وسأل) عمر بن الخطاب رضى الله عنه على بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال ما تقول فى رجل أمه عند رجل آخر فقال يمسك عنها أراد عمر ان الرجل يموت وأمه عند رجل آخر وقول على يمسك عنها يريد الزوج يمسك عن أم الميت حتى تستبرئ من طريق الميراث * وسأل رجل عمرو بن قيس عن الحصاة يجدها الانسان فى ثوبه أو فى خفه أو جبهته من حصى المسجد فقال ارم بها قال الرجل زعموا أنها تصيح حتى ترد الى المسجد فقال دعها تصيح حتى ينشق حلقها فقال الرجل سبحان الله ولها حلق قال فمن أين تصيح (وسأل) رجل مالك بن أنس عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى كيف هذا الاستواء قال الاستواء معقول والكيف مجهول ولا أظنك الا رجل سوء (وروى) مالك بن أنس الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخل يده فى الاناء حتى يغسلها فان أحدكم لا يدرى اين باتت يده فقال له رجل فكيف تصنع فى المهراس يا أبا عبد الله والمهراس حوض مكة الذى يتوضأ الناس فيه فقال من الله العلم وعلى الرسول البلاغ ومنا التسليم أمروا الحديث (وقيل) لابن عباس رضى الله عنهما ما تقول فى رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء قال يكفيه كوكب الجوزاء (وسئل)

نهاره ثلاثة اجزاء جزء لله وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة وكان يقول ابلغونى حاجة من لا يستطيع ابلاغى فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها امنه الله تعالى يوم الفزع الاكبر (وقال شبيب بن شيبة) انا نليت بمقام لا بد لك فيه من الاطالة فقدم احكام البلوغ فى طلب السلامة من الخطل قبل التقدم من احكام البلوغ فى شرف التجويد ثم اياك ان تعدل بالسلامة شيأ فقليل كاف خير لك من كثير غير شاف (وكان جعفر بن يحيى) يقول لكتابه ان استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا (وقال) ثمامة بن اشرس لم ار قط انطق من جعفر ابن يحيى بن خالد وكان صاحب ايجاز (وكان) ابو واثلة اياس ابن معاوية على تقدمه فى البلاغة وفضل عقله وعلمه بالاكثار معيبا والى التطويل منسوبا وقال له عبد الله بن شبرمة انا وانت لا نتفق انت لا تشتهى ان تسكت وانا لا اشتهى ان اسمع وقيل له ما فيك عيب الا كثرة كلامك قال افتسمعون صوابا ام خطأ قالوا بل صوابا قال فالزيادة فى الخير خير (قال الجاحظ) وليس كما قال بل للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن مقدار الاحتمال ودعا الى الاستثقال والكلال فذلك هو الفضال والهذر وهو الخطل والاسهاب الذى سمعت الخطباء يعيبونه (وذكر الاصمعى) ان ابن هبيرة

علي بن أبي طالب رضوان الله عليه أين كان ربنا قبل أن يخلق السماء والارض فقال أين توجب المكان وكان الله عزوجل ولا مكان

﴿التصحيف﴾

وذكر الاصمعي رجلا بالتصحيف فقال كان يسمع فيعي غير ما يسمع ويكتب غير ما وعى ويقرأ في الكتاب غير ما هو فيه (وذكر) آخر رجلا بالتصحيف فقال كان اذا نسخ الكتاب مرتين عاد سريانيا

﴿طالب العلم لغير الله﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أعطى الناس العلم ومنعوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله فأصمهم واعمى أبصارهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بشر الناس قالوا بلى يارسول الله قال العلماء اذا فسدوا (وقال) الفضيل بن عياض كان العلماء ربيع الناس اذا رآهم المريض لم يسره ان يكون صحيحا واذا نظر اليهم الفقير لم يود ان يكون غنيا (قال) احمد بن أبي الحواري قال لي أبو سليمان في طريق الحج يا احمد ان الله قال لموسى بن عمران مر ظلمة بني اسرائيل أن لا يذكروني فاني لا اذكر من ذكرني منهم الا بلعنة حتى سكت ويحك يا أحمد بلغني انه من حج بمال من غير حله ثم لبى قال الله تبارك وتعالى لا لبيك ولا سعديك حتى تؤدي ما بيديك فما يؤمننا ان يقال لنا ذلك

﴿باب من أخبار العلماء والادباء﴾

أملى أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الحسني ان عبد الله بن عباس سئل عن ابي بكر رضي الله عنه فقال كان والله خيرا كله مع الحدة التي كانت فيه قالوا فاخبرنا عن عمر رضوان الله عليه قال كان والله كالطير الحذر الذي نصب فخ له فهو يخاف ان يقع فيه قالوا فاخبرنا عن عثمان رضوان الله عليه قال كان والله صواما قواما قالوا فأخبرنا عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال كان والله ممن حوى علما وحلما حسبك من رجل اعزته سابقته وقدمته قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلما اشرف على شئ الا ناله قالوا يقال انه كان محدودا قال انتم تقولونه (وذكروا) ان رجلا اتى الحسن وقال يا سعيد انهم يزعمون انك تبغض عليا فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال كان علي بن أبي طالب سهما صائبا من مرامي الله على عدوه ورباني هذه الامة وذا سابقتها وذا فضلها وذا قرابة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالنومة عن أمر الله ولا بالملولة في حق الله ولا بالسروقة لمال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة واعلام بينة ذاك علي بن أبي طالب يالكع (وقال) عيسى بن مريم عليه السلام سيكون في آخر الزمان علماء يزهدون في الدنيا ولا يزهدون ويرغبون في الآخرة ولا يرغبون ينهون عن اتيان الولاة ولا ينتهون يقربون الاغنياء ويبعدون الفقراء وينبسطون للكبراء وينقبضون عن الحقراء اولئك اخوان الشياطين وأعداء الرحمن (وقال) محمد بن واسع لان تطلب الدنيا بأقبح مما تطلب به الآخرة خير من ان تطلبها باحسن مما تطلب به الآخرة (وقال) الحسن العلم علمان علم في القلب فذلك العلم النافع وعلم في اللسان فذلك حجة الله على عباده (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم ان الزبانية لتخرج الى فقيه ولا الى حملة القرآن الا قال لهم اليكم عنا دونكم عبدة الاوثان فيشتكون الى الله فيقول ليس من علم كمن لا يعلم (وقال) مالك بن دينار من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة (وقال) ابن شبرمة ذهب العلم الا غبارات في أوعية سوء (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم من طلب العلم لاربع دخل النار من طلبه ليباهي به العلماء او ليماري به السفهاء وليستميل به وجوه الناس اليه او ليأخذ به من السلطان (وتكلم) مالك بن دينار فابكى اصحابه ثم افتقد مصحفه فنظر الى أصحابه وكلهم يبكي فقال ويحكم كلكم يبكي فمن اخذ هذا المصحف (وسئل) خالد ابن صفوان عن الحسن البصري فقال كان اشبه الناس علانية بسريرة وسريرة بعلانية وآخذ الناس لنفسه عما يأمر به غيره من رجل استغنى عما في ايدي الناس من دنياهم واحتاجوا الى ما في يديه من دينهم (ودخل) عروة بن الزبير بستانا لعبد الملك بن مروان فقال عروة ما احسن هذا البستان فقال له عبد الملك انت والله احسن منه ان هذا يؤتي أكله كل عام وانت تؤتي اكلك كل يوم (وقال) محمد بن شهاب الزهري دخلت على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة فرآني أحدثهم سنا فقال من

لما ارادا ياسا على القضاء قال اني والله لا اصلح له قال وكيف ذاك قال لاني دميم ولاني حديد ولاني عيي قال ابن هبيرة اما الحدة فان السوط يقومك واما العي فقد عبرت عما تريد واما الدمامة فاني لا اريد ان احاسن بك ولم يصفه احد بالعي وانما كان يعاب بالاكثار ولكنه اراد المدافعة عن نفسه والحديث شجون (وقال) ابو العيناء ذكرت لبعض القيان فعشقتني على السماع فلما رأتني استقبحتني فقالت

وشاطرة لما رأتني تنكرت
وقالت قبيح احول ماله جسم
فان تنكري مني احولالا فانني
اديب اريب لا عيي ولا فدم

فكتبت الي انا لم نرد ان نوليك ديوان الزمام (وكان) عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كتب الى عدي بن ارطاة ان قبلك رجلين من مزينة يعني بكر بن عبد الله واياس بن معاوية فول احدهما قضاء البصرة فأحضرهما فقال بكر والله ما أحسن القضاء فان كنت صادقا فما تحل توليتي وان كنت كاذبا فذلك اوجب لتركي فقال اياس انكم اوقفتموه على شفير جهنم فافتدى منها بيمين يكفرها ويستغفر الله تعالى منها فقال له عدي اما اذا اهتديت لها فأنت احق بها فولاه (ودخل) اياس الشام وهو غلام صغير فقدم خصما له الى بعض القضاة وكان الخصم شيخا فصال عليه اياس بالكلام فقال له القاضي خفض عليك فانه شيخ كبير قال الحق اكبر منه قال اسكت قال فمن ينطق

أنت فانتسبت اليه فعرفني فقال لقد كان أبوك وعمك نعاقين في فتنة ابن الزبير قلت يا أمير المؤمنين مثلك اذا عفا لم يعدد واذا صفح لم يثرب قال لي أين نشأت قلت بالمدينة قال عند من طلبت قلت عند ابن يسار وابن أبي ذئب وسعيد بن المسيب قال لي وأين كنت من عروة بن الزبير فانه بحر لا تكدره الدلاء (وذكر) الصحابة عند الحسن البصري فقال رحمهم الله شهدوا وغبنا وعلموا وجهلنا فما اجتمعوا عليه تبعنا وما اختلفوا فيه وقفنا (وقال) جعفر بن سليمان سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول ما رأيت أحدا أقشف من شعبة ولا أعبد من سفيان ولا أحفظ من ابن المبارك (وقال) ما رأيت مثل ثلاثة عطاء بن أبي رباح بمكة وطاوس ومحمد بن سيرين بالعراق ورجاء بن حيوة بالشام (وقيل) لاهل مكة كيف كان عطاء ابن أبي رباح فيكم فقالوا كان مثل العافية التي لا يعرف فضلها حتى تفقد (وكان) عطاء بن أبي رباح أسود أعور أفطس أشل أعرج ثم عمي وأمه سوداء تسمى بركة (وكان) الاحنف بن قيس أعور أعرج ولكنه اذا تكلم جلا عن نفسه (وقال) الشعبي لولا أني زوحمت في الرحم ما قامت لاحد معي قائمة وكان توأما (وقيل) لطاوس هذا قتادة يريد أن يأتيك قال لئن جاء لاقومن قيل انه فقيه قال ابليس أفقه منه قال رب بما أغويتني (وقال) الشعبي القضاة أربعة عمر وعلي وأبو موسى وعبد الله (وقال) الحسن ثلاثة صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم الابن والاب والجد عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة ومعن بن يزيد ابن الاخنس السلمي (وكان) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود فقيها شاعرا وكان أحد السبعة من فقهاء المدينة (وقال) الزهري كنت اذا لقيت عبيد الله بن عبد الله فكأنما أفجر به بحرا (وقال) عمر ابن عبد العزيز وددت لو أن لي مجلسا من عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود لم يفتني (ولقيه) سعيد بن المسيب فقال له أنت الفقيه الشاعر قال لا بد للمصدور أن ينفث (وكتب) عبيد الله بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز وبلغه عنه شئ كرهه

أبا حفص أتاني عنك قول * قطعت به وضاق به جوابي * أبا حفص فلا أدري أرغمي
تريد بما تحاول أم عتابي * فان تك عاتبا تعتب والا * فما عودي اذا بيراع غاب
وقد فارقت أعظم منك رزأ * وواريت الاحبة في التراب
وقد عزوا علي وأسلموني * معا فلبست بعدهم ثيابي

(وكان) خالد بن يزيد بن معاوية أبو هاشم عالما كثير الدراسة للكتب وربما قال الشعر * ومن قوله

هل أنت منتفع بعلمك مرة والعلم نافع ومن المشير عليك بالرأي المسدد أنت سامع
الموت حوض لا محا * لة فيه كل الخلق شارع ومن التقى فازرع فانك حاصد ما أنت زارع

(وقال) عمر بن عبد العزيز ما ولدت أمية مثل خالد بن يزيد ما أستثني عثمان ولا غيره (وكان) الحسن في جنازة فيها نوائح ومعه سعيد بن جبير فهم سعيد بالانصراف فقال له الحسن ان كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا أسرع ذلك في دينك * وعن عيسى بن اسمعيل عن ابن عائشة عن ابن المبارك قال علمني سفيان الثوري اختصار الحديث (وقال) الاصمعي حدثنا شعبة قال دخلت المدينة فاذا لمالك حلقة واذا نافع قد مات قبل ذلك بسنة وذلك سنة ثماني عشرة ومائة (وقال) أبو الحسن بن محمد ما خلق الله أحدا كان أعرف بالحديث من يحيى بن معين كان يؤتى بالاحاديث قد خلطت وقلبت فيقول هذا الحديث لذا وذا لهذا فيكون كما قال (وقال) شريك اني لاسمع الكلمة فيتغير لها لوني (وقال) ابن المبارك كل من ذكر لي عنه وحدته دون ما ذكر الا حيوة بن شريح وأبا عون (وكان) حيوة بن شريح يقعد للناس فتقول له أمه قم يا حيوة ألق الشعير للدجاج فيقوم (وقال) أبو الحسن سمع سلمان التيمي من سفيان الثوري ثلاثة آلاف حديث (وكان) يحيى بن اليمان يذهب بابنه داود كل مذهب فقال له يوما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان عبد الله ثم كان علقمة ثم كان ابراهيم ثم كان منصور ثم كان سفيان ثم كان وكيع قم يا داود يعني أنه أهل للامامة ومات داود سنة أربع ومائتين وقال الحسن حدثني أبي

قال لا اله الا الله فدخل القاضي على عبد الملك فأخبره فقال اقض حاجته الساعة وأخرجه من الشام لا يفسدها (وقال) احمد بن الطيب السرخسي تلميذ يعقوب بن اسحق الكندي كنت يوما عند العباس بن خالد وكان ممن حبب الله اليه أن يحدث فأخذ يحدثني وينتقل من حديث الى حديث وكنا في صحن له فلما بلغتنا الشمس انتقلنا الى موضع آخر حتى صار الظل فيأ فلما أكثر وأضجر وملأت حسن الادب في حسن الاستماع وذكرت قول الاوزاعي ان حسن الاستماع قوة للمحدث قلت له اذا كنت وأنا أسمع قد عييت مما لا كلفة علي فيه فكيف أراك وأنت المتكلم فقال ان الكلام يحلل الفضول اللزجة الغليظة التي تعرض في اللهوات وأصل اللسان ومنابت الاسنان فوثبت وقلت لا أراني معك اليوم الا بارح الفقرا وأنت تتغرغر بي فاجتهد في أن أجلس فلم أفعل (قال) احمد بن الطيب كنا مرة عند بعض اخواننا فتكلم وأعجبه من نفسه البيان ومنا حسن الاستماع حتى أفرط فعرض لبعض من حضر ملل فقال اذا بارك الله في الشئ لم يفن وقد جعل الله تعالى في حديث أخينا البركة * ولعبد الله ابن سالم الخياط في رجل كثير الكلام

لي صاحب في حديثه البركة
يزيد عند السكون والحركة
لو قال لا في قليل أحرفها
لردها بالحروف مشتبكة

قال أمر الحجاج أن لا يؤم بالكوفة الاعربي وكان يحيى بن وثاب يؤم قومه بني أسد وهو مولى لهم فقالوا اعتزل فقال ليس عن مثلي نهي انا لاحق بالعرب فأتوا فأتى الحجاج فقرأ فقال من هذا فقالوا يحيى بن وثاب قال ماله قال أمرت أن لا يؤم الاعربي فنحاه قومه فقال ليس عن مثل هذا نهيت يصلي بهم قال فصلى بهم الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم قال اطلبوا اماما غيري انما أردت ان لا تستذلوني فاما اذا صار الامر الي فانا أؤمكم لا ولا كرامة (وقال) الحسن كان يحيى بن اليمان يصلي بقومه فتعصب عليه قوم منهم فقالوا الا تصلي بنا الا برضانا ان تقدمت نحيناك فجاء بالسيف فسل منه أربع أصابع ثم وضعه في المحراب وقال لا يدنو مني أحد الا ملأت السيف منه فقالوا بيننا وبينك شريك فقدموه الى شريك وقالوا ان هذا كان يصلي بنا وكرهناه فقال لهم شريك من هو فقالوا يحيى بن اليمان فقال يا أعداء الله وهل بالكوفة أحد يشبه يحيى لا يصلي بكم غيره فلما حضرته الوفاة قال لابنه داود يا بني كاد ديني يذهب مع هؤلاء فان اضطروا اليك بعدي فلا تصل بهم (وقال) يحيى بن اليمان تزوجت أم داود وما كان عندي ليلة العرس الا بطيخة أكلت أنا نصفها وهي نصفها وولدت داود فما كان عندنا شئ نلفه فيه فاشتريت له كسوة بحبتين فلففناه فيه (وقال) الحسن بن محمد كان لعلي ضفيرتان ولابن مسعود ضفيرتان (وذكر) عبد الملك بن مروان روحا فقال ما أعطى أحد ما أعطى أبو زرعة اعطي فقه الحجاز ودهاء أهل العراق وطاعة أهل الشام (وروى) ان مالك بن أنس كان يذكر عليا وعثمان وطلحة والزبير فيقول والله ما اقتتلوا الا على الثريد الاعفر ذكره محمد بن يزيد في الكامل (قال) وأما أبو سعيد الحسن البصري فانه كان ينكر الحكومة على علي وكان اذا جلس متمكنا في مجلسه ذكر عثمان فترحم عليه ثلاثا ولعن قتلته ثلاثا ثم يذكر عليا فيقول لم يزل علي أمير المؤمنين صلوات الله عليه مظفرا مؤيدا بالنجح حتى حكم ثم يقول ولم تحكم والحق معك الا تمضي قدما لا ابا لك وهذه الكلمة وان كان فيها جفاء فان بعض العرب يأتي بها على طريق المدح فيقول انظر في أمر رعيتك لا ابا لك وقال اعرابي

رب العباد ما لنا وما لكا * قد كنت تسقينا فما بدا لكا * أنزل علينا الغيث لا ابا لكا

(وقال) ابن أبي الحواري قلت لسفيان بلغني في قول الله عز وجل الا من أتى الله بقلب سليم انه الذي يلقى الله وليس في قلبه أحد غيره قال فبكى وقال ما سمعت منذ ثلاثين سنة أحسن من هذا (وقال) ابن المبارك كنت مع محمد بن النضر الحارثي في سفينة فقلت بأي شئ استخرج منه الكلام فقلت ما تقول في الصوم في السفر قال انما هي المبادرة يا ابن أخي فجاءني والله بفتيا غير فتيا ابراهيم والشعبي * وقال الفضيل بن عياض اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار في مجلس بالبصرة فقال مالك بن دينار ما هو الا طاعة الله أو النار فقال محمد بن واسع لمن كان عنده كما تقول ما هو الا عفو الله أو النار قال مالك بن دينار انه ليعجبني ان تكون للانسان معيشة قدر ما يقوته فقال محمد بن واسع ما هو الا كما تقول وليس يعجبني ان يصبح الرجل وليس له غداء ويمسي وليس له عشاء وهو مع ذلك راض عن الله عز وجل فقال مالك ما أحوجني الى ان يعظني مثلك (وكان) يجلس الى سفيان فتى كثير الفكرة طويل الاطراق فأراد سفيان أن يحركه ليسمع كلامه فقال يا فتى ان من كان قبلنا مروا على خيل عتاق وبقينا على حمير دبرة قال يا أبا عبد الله ان كنا على الطريق فما أسرع لحوقنا بالقوم (وقال) الاصمعي عن شعبة قال ما احدثكم عن أحد ممن تعرفون وممن لا تعرفون الا وأيوب ويونس وابن عون خير منه قال الاصمعي وحدثني سلام بن مطيع قال أيوب افقههم وسليمان التيمي أعبدهم ويونس أشدهم عند الدراهم وابن عون أضبطهم لنفسه في الكلام (وكان) ابراهيم النخعي في طريق فلقيه الاعمش فانصرف معه فقال له يا ابراهيم ان الناس اذا رأونا قالوا أعمش وأعور قال وما عليك ان يأثموا ونؤجر قال وما عليك ان يسلموا ونسلم (وروى) سفيان الثوري عن واصل الاحدب قال قلت لابراهيم ان سعيد بن جبير يقول كل امرأة أتزوجها طالق ليس بشئ فقال له ابراهيم قل له ينقع استه في الماء البارد قال فقلت لسعيد ما أمرني

(ومن ظرائف التطويل) ما انشأه البديع وسيره من كلامه مما هو آنق من زهر الربيع (وقال) الاصمعي بالعلم وصلنا وبالملح نلنا (وقال) الاصمعي أيضا أنشدت محمد بن عمران قاضي المدينة وكان أعقل من رأيته

يا أيها السائل عن منزلي
نزلت في الخان على نفسي
يغدو علي الخبز من خابز
لا يقبل الرهن ولا ينسي
آكل من كيسي ومن كسرتي
حتى لقد أوجعني ضرسي

(فقال) اكتب لي هذه الابيات فقلت اصلحك الله هذا لا يشبه مثلك وانما يروي مثل هذا الاحداث فقال اكتبها فالاشراف تعجبهم الملح (وقد قال) أبو الدرداء رحمه الله تعالى اني لاستجم نفسي ببعض الباطل ليكون أقوى لها على الحق (وقال) ابن الماجشون لقد كنا بالمدينة وان الرجل ليحدثني بالحديث من الفقه فيمليه علي ويذكر الخبر من الملح فاستعيده ولا يفعل ويقول لا اعطيك ملحي واهلك ظرفي وادبي (وقال) ابن الماجشون اني لاسمع بالكلمة المليحة وما لي الا قميص واحد فادفعه الى صاحبها واستكسي الله عز وجل (وقال) الزبير بن بكار رؤي الغاضري ينازع أشعب الطمع عند بعض الولاة ويقول أصلح الله الامير ان هذا يدخل علي في صناعتي ويطلب مشاركتي في بضاعتي وهيئته هيئة قاض والامير يضحك وكانا جميعا فرسي رهان ورضيعي لبان في بيانهما الا ان

به فقال قل له اذا مررت بوادي النوكى فاحلل به (وقال محمد بن مناذر)

ومن يبغ الوصاة فان عندي * وصاة للكهول وللشباب
خذوا عن مالك وعن ابن عون * ولا ترووا أحاديث ابن داب

(وقال آخر)

أيها الطالب علما * ائت حماد بن زيد
فاقتبس حلما وعلما * ثم قيده بقيد

(وقيل) لابي نواس قد بعثوا في أبي عبيدة والاصمعي ليجمعوا بينهما قال اما أبو عبيدة فان مكنوه من سفره قرأ عليهم اساطير الاولين واما الاصمعي فبلبل في قفص يطربهم بصفيره (وذكر) عند المنصور محمد ابن اسحق وعيسى بن داب فقال اما ابن اسحق فاعلم الناس بالسيرة واما ابن داب فاذا أخرجته عن داحس والغبراء لم يحسن شيأ (وقال) المأمون رحمه الله تعالى من اراد لهوا بلا حرج فليسمع كلام الحسن الطائي (وسئل) العتابي عن الحسن الطائي فقال ان جليسه لطيب عشرته لاطرب من الابل على الحداء ومن الثمل على الغناء ❁{قولهم في حملة القرآن}❁ وقال رجل لابراهيم النخعي اني اختم القرآن كل ثلاث قال ليتك تختمه كل ثلاثين وتدري أي شئ تقرأ (وقال) الحرث الاعور حدثني علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين والذكر العظيم والصراط المستقيم خذها اليك يا أعور (وقيل) للنبي صلى الله عليه وسلم عجل عليك الشيب يا رسول الله قال شيبتني هود واخواتها (وقال) عبد الله بن مسعود الحواميم ديباج القرآن (وقال) اذا رتعت رتعت في رياض دمثة أتأنق فيهن (وقالت) عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تنزل علينا الآية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحفظ حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها ولا نحفظها (وقال) صلى الله عليه وسلم سيكون في امتي قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شرار الخلق والخليقة (وقال) ان الزبانية لاسرع الى فساق حملة القرآن منهم الى عبدة الاوثان فيشكون الى ربهم فيقول ليس من علم كمن لا يعلم (وقال) الحسن حملة القرآن ثلاثة نفر رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر الى مصر يطلب به ما عند الناس ورجل حفظ حروفه وضيع حدوده واستدر به الولاة واستطال به على أهل بلده وقد كثر هذا الضرب في حملة القرآن لا كثرهم الله عز وجل ورجل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قلبه فسهر ليلته وهملت عيناه وتسربل الخشوع وارتدى الوقار واستشعر الحزن والله لهذا الضرب من حملة القرآن أقل من الكبريت الاحمر بهم يسقي الله الغيث وينزل النصر ويدفع البلاء ❁{العقل}❁ قال سحبان وائل العقل بالتجارب لان عقل الغريزة سلم الى عقل التجربة ولذلك قال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه رأي الشيخ خير من جلد الغلام وعلى العاقل ان يكون عالما بأهل زمانه مقبلا على شانه (وقال) الحسن البصري لسان العاقل من وراء قلبه فاذا اراد الكلام تفكر فان كان له قال وان كان عليه سكت وقلب الاحمق من وراء لسانه فاذا اراد ان يقول قال (وقال محمد بن الغاز) دخل رجل على سليمان بن عبد الملك فتكلم عنده بكلام اعجب سليمان فأراد ان يختبره لينظر اعقله على قدر كلامه ام لا فوجده مضعوفا فقال فضل العقل على المنطق حكمة وفضل المنطق على العقل هجنة وخير الامور ما صدق بعضها بعضا وانشد

وما المرء الا الاصغران لسانه * ومعقوله والجسم خلق مصور
فان ترمنه ما يروق فربما * امر مذاق العود والعود اخضر

ومن أحسن ما قيل في هذا المعنى قول زهير

وكائن ترى من معجب لك صامت * زيادته أو نقصه في التكلم

الغاضري كان لا يتخلق بالطمع تخلق أشعب (وأتى) الغاضري يوما الحسن بن زيد فقال جعلت فداك اني عصيت الله ورسوله قال بئسما صنعت وكيف ذلك قال لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يفلح قوم ولو أمرهم امرأة وانا أطعت امرأتي فاشتريت غلاما فهرب قال الحسن فاختر واحدة من ثلاث ان شئت فثمن الغلام قال بأبي انت قف عنده ولا تتجاوزها قال أعرض عليك الخصلتين قال لا حسبي هذه (وقد روى) نحو هذا عن أشعب انه قال له بعض أخوانه لو صرت الى العشية تتفرج قال أخاف أن يجيء ثقيل قلت ليس معنا ثالث فمضى معي فلما صلينا الظهر ودعوت بالطعام فاذا بداق يدق الباب قال ترى أن قد صرنا الى ما نكره قلت له انه صديق وفيه عشر خصال ان كرهت واحدة منهن لم آذن له قال هات قلت أولها انه لا يأكل ولا يشرب فقال التسع لك قل له يدخل (ورأى) سفيان الثوري الغاضري وهو يضحك الناس فقال يا شيخ أوما علمت ان لله يوما يخسر فيه المبطلون فوجم الغاضري وما زال ذلك يعرف فيه حتى لقي الله عز وجل (واشعب الطمع) هو اشعب بن جبير مولى عبد الله بن الزبير وكان أحلى الناس (قال) الزبير بن أبي بكر كان اهل المدينة يقولون تغير كل شئ الا ملح اشعب وخبز ابي الغيث ومشية برة وكان ابو الغيث يعالج الخبز بالمدينة وبرة بنت سعيد

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

(وقال) على رضى الله عنه العقل فى الدماغ والضحك فى الكبد والرأفة فى الطحال والصوت فى الرئة (وسئل) المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فقال كان والله أفضل من أن يخدع وأعقل من أن يخدع وهو القائل لست بخب والخب لا يخدعنى (وقال) زياد ليس العاقل الذى اذا وقع فى الامر احتال له ولكن العاقل يحتال للامر حتى لا يقع فيه (وقيل) لعمرو بن العاص ما العقل فقال الاصابة بالظن ومعرفة ما يكون بما قد كان (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه من لم ينفعه ظنه لم تنفعه عينه * وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه وذكر ابن عباس رضى الله عنهما فقال لقد كان ينظر الى الغيب من ستر رقيق (وقالوا) العاقل فطن متغافل (وقال) معاوية العقل مكيال ثلثه فطنة وثلثاه تغافل (وقال) المغيرة بن شعبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ عزله عن كتابة أبى موسى أعن عجز عزلتنى أم عن خيانة فقال لا عن واحد منهما ولكنى كرهت أن أحمل على العامة فضل عقلك (وقال) معاوية لعمرو بن العاص ما بلغ من عقلك قال ما دخلت فى شئ قط الا وخرجت منه فقال معاوية لكنى ما دخلت فى شئ قط وأريد الخروج منه (وقال) الاصمعى ما سمعت الحسن بن سهل مذ صار فى مرتبة الوزارة يتمثل الا بهذين البيتين

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول
وقد كانوا اذا ذكروا قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

وقال محمد بن عبد الله بن طاهر

لعمرك ما بالعقل يكتسب الغنى * ولا باكتساب المال يكتسب العقل
وكم من قليل المال يحمد فضله * وآخر ذو مال وليس له فضل
وما سبقت من جاهل قط نعمة * الى أحد الا أضر بها الجهل
وذو اللب ان لم يعط احمدت عقله * وان هو أعطى زانه القول والفعل

وقال محمد بن مناذر

وترى الناس كثيرا فاذا * عد أهل العقل قلوا فى العدد
لا يقل المرء فى القصد ولا * يعدم القلة من لم يقتصد
لا تعد شرا وعد خيرا ولا * تخلف الوعد وعجل ما تعد
لا تقل شعرا ولا تهمم به * واذا ما قلت شعرا فأجد

(ولآخر)

يعرف عقل المرء فى أربع * مشيته أولها والحرك
ودور عينيه والفاظه * بعد عليهن بدور الفلك
وربما أخلفن الا التى * آخرها منهن سميت لك
هذى دليلات على عقله * والعقل فى أركانه كالملك
ان صح صح المرء من بعده * ويهلك المرء اذا ما هلك
فانظر الى مخرج تدبيره * وعقله ليس الى ما انتهك
فربما حاط أهل الحجا * وقد يكون النوك فى ذى النسك
فان امام سال عن فاضل * فادال على العاقل لا أملك *

(وكان) هوذة بن على الحنفى يجيز لطيمة كسرى فى كل عام واللطيمة عير تحمل الطيب والبز فوفد على كسرى فسأله عن بنيه فسمى له عددا فقال أيهم أحب اليك قال الصغير حتى يكبر والغائب حتى يرجع والمريض حتى يفيق فقال له ما غذاؤك فى بلدك قال الخبز فقال كسرى لجلسائه هذا عقل الخبز يفضله على عقول أهل البوادى الذين غذاؤهم اللبن والتمر * وهوذة بن على الحنفى هو الذى يقول فيه أعشى بكر

من ير هوذة يسجد غير متئب * اذا تعصب فوق التاج أو وضعا
له أكاليل بالياقوت فصلها * صواغها لا ترى عيبا ولا طبعا

ابن الاسود كانت من أجمل النساء وأحسنهن مشية وأشعب يضرب به المثل فى الطمع وكان أشعب قد نشأ فى حجر عائشة بنت عثمان رحمها الله تعالى مع أبى الزناد قال أشعب فلم يزل يعلو وانحط حتى بلغنا الغاية * وقال أشعب أسلمتنى امى الى بزاز فسألتنى بعد سنة اين بلغت فقلت فى نصف العمل قالت وكيف قلت تعلمت النشر وبقى الطى قالت انت لا تفلح (وسأله) صديق له خاتما فقالت اذكرك به قال اذكرى انك سألتنى ومنعتك (وقيل له) كم كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قال ثلثمائة وثلاثة عشر درهما ثم تنسك فى آخر عمره وغزا ومات على خير رحمه الله تعالى (وقيل) لاشعب ارأيت اطمع منك قال نعم كلبة آل فلان رأت رجلين يمضغان علكا فتبعتهما فرسخين تظن انهما يا كلان شيأ (واهدى) رجل من ولد عامر بن لؤى الى اسمعيل الاعرج فالوذجة واشعب حاضر فقال كل يا اشعب فأكل منها فقال كيف تراها فقال عليه الطلاق ان لم تكن عملت قبل أن يوحى ربك الى النحل اى ليس فيها حلاوة (وروى ابو عفان) قال دخل ابو نواس الحسن بن هانئ على يحيى بن خالد فقال له انشدنى بعض ما قلت فانشده

انى انا الرجل الحكيم بطبعه
ويزيد فى علمى حكاية من حكى
اتتبع الظرفاء اكتب عنهم
كيما احدث من احب فيضحك

فقال له يحيى بن خالد ان زندك

(وقال) ابو عبيدة عن ابى عمرو لم يتتوج معدّى قط وانما كانت التيجان لليمن فسألته عن هوذة بن علي الحنفي فقال انما كانت خرزات تنظم له * وقد كتب النبيّ صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن علي يدعوه الى الاسلام كما كتب الى الملوك (وفى بعض الحديث) ان الله عز وجل لما خلق العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحب الىّ منك ولا وضعتك الا في أحب الخلق الىّ وإما خلق الحمق قال له أقبل فأدبر ثم قال له أدبر فأقبل فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أبغض الىّ منك ولا وضعتك الا في أبغض الخلق الىّ وبالعقل أدرك الناس معرفة الله عز وجل ولا يشك فيه أحد من أهل العقول بقول الله عز وجل في جميع الامم ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله (وقال) أهل التفسير في قول الله قسم لذى حجر قالوا الذى عقل (وقالوا) ظن العاقل كهانة (وقال) الحسن البصرى لو كان للناس كلهم عقول خربت الدنيا وقال الشاعر

يعد رفيع القوم من كان عاقلا * وان لم يكون في قومه بحسيب
وان حل أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقل في بلدة بغريب

(وقالوا) العاقل يقى ماله بسلطانه ونفسه بماله ودينه بنفسه (وقال) الاحنف بن قيس أنا للعاقل المدبر ارجى مني للاحمق المقبل

﴿الحكمة﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أخلص عبد العمل لله أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه (وقال) عليه الصلاة والسلام الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ولا يبالى في أى وعاء خرجت (وقال) عليه الصلاة والسلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم (وقال) الحكماء لا يطلب الرجل حكمة الا بحكمة عنده (وقالوا) اذا وجدتم الحكمة مطروحة على السكك فخذوها (وفى الحديث) خذوا الحكمة ولو من ألسنة المشركين (وقال) زياد أيها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا فان الشاعر يقول

اعمل بعلمي وان قصرت في عملي * ينفعك قولي ولا يضررك تقصيرى

﴿نوادر من الحكمة﴾

قيل لقس بن ساعدة ما أفضل المعرفة قال معرفة الرجل نفسه قيل له فما أفضل العلم قال وقوف المرء عند علمه قيل له فما أفضل المروءة قال استبقاء الرجل ماء وجهه (وقال) الحسن التقدير نصف الكسب والتودد نصف العقل وحسن طلب الحاجة نصف العلم (وقالوا) لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق ولا غنى كرضا عن الله وأحق ما صبر عليه ما ليس الى تغييره سبيل (وقالوا) افضل البر الرحمة ورأس المودة الاسترسال ورأس العقوق مكاتمة الادنين ورأس العقل الاصابة بالظن (وقالوا) التفكر نور والغفلة ظلمة والجهالة ضلالة والعلم حياة والاول سابق والآخر لاحق والسعيد من وعظ بغيره * حدّث أبو حاتم قال حدثني أبو عبيدة قال حدثني غير واحد من هوازن من أولى العلم وبعضهم قد أدرك أبوه الجاهلية قالوا اجتمع عمرو بن الظرب العدواني وحممة بن رافع الدوسى ويزعم النساب ان ليلى بنت الظرب أم دوس وزينب بنت الظرب أم ثقيف عند ملك من ملوك حمير فقال تساءلا حتى اسمع ما تقولان فقال عمرو لحممة أين تحب أن تكون أياديك قال عند ذى الرثية العديم وعند ذى الخلة الكريم والمعسر الغريم والمستضعف الحليم قال من أحق الناس بالمقت قال الفقير المختال والضعيف الصوّال والعيى القوّال قال فمن أحق الناس بالمنع قال الحريص الكاند والمستميد الحاسد والملحف الواجد قال من أجدر الناس بالصنيعة قال من اذا أعطى شكر واذا منع عذر واذا مطل صبر واذا قدم العهد ذكر قال من أكرم الناس عشرة قال من اذا قرب منح واذا ظلم صفح وان ضويق سمح قال من ألأم الناس قال من اذا سأل خضع واذا سئل منع واذا ملك كنع ظاهره جشع وباطنه طبع قال فمن أجل الناس قال من عفا اذا قدر وأجمل اذا انتصر ولم تطغه عزة الظفر قال فمن أحزم الناس قال من أخذ رقاب الامور بيديه وجعل العواقب نصب عينيه ونبذ التهيب دبر اذنيه قال فمن أخرق الناس قال من ركب الخطار واعتسف

ليورى بأول قدحة فقال ارتجالا في معنى قول يحيى

اما وزندا بى على أنه
زند اذا استوريت سهل قدحكا
ان الاله اعلى بعباده
قد صاغ جدك للسماح ومنحكا
تأبى الصنائع همتى وقريحتى
من اهلها وتعاف الامدحكا

(ووصف ابو عبد الله الجماز) ابا نواس فقال كان اظرف الناس منطقا واغزرهم ادبا واقدرهم على الكلام واسرعهم جوابا واكثرهم حياء وكان ابيض اللون جميل الوجه مليح النغمة والاشارة ملتف الاعضاء بين الطويل والقصير مسنون الوجه قائم الانف حسن العينين والمضحك حلو الصورة لطيف الكف والاطراف وكان فصيح اللسان جيد البيان عذب الالفاظ حلو الشمائل كثير النوادر واعلم الناس كيف تكلمت العرب راوية للاشعار علامة بالاخبار كأن كلامه شعر موزون وأقبل ابو شراعة العبسي والجماز في حديثه وكان أقبح الناس وجها وكانت يدا ابى شراعة كأنها كربة نخل فقال الجماز فلو كانت أطرافه على أبى شراعة لتم حسنه فغضب أبو شراعة وانصرف يشتمه (والجماز) هو أبو عبد الله محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن ياسر وكانوا يزعمون انهم من حمير نالهم سباء في خلافة ابى بكر رضي الله عنه وهم موالى بنى سليم الخاص عمه وكان الجماز من أحلى الناس حكاية وأكثرهم نادرة (وقال) بعض جلساء المتوكل كنا نكثر عند المتوكل ذكر الجماز حتى

العثار واسرع فى البدار قبل الاقتدار قال من أجود الناس قال من بذل المجهود ولم يأس على المفقود قال من أبلغ الناس قال من حلى المعنى المزيز باللفظ الوجيز وطبق المفصل قبل التحزيز قال من أنعم الناس عيشا قال من تحلى بالعفاف ورضى بالكفاف وتجاوز ما يخاف الى ما لا يخاف قال فمن أشقى الناس قال من حسد على النعم وسخط على القسم واستشعر الندم على ما انحتم قال من أغنى الناس قال من استشعر الياس وأظهر التجمل للناس واستكثر قليل النعم ولم يسخط على القسم قال فمن أحكم الناس قال من صمت فادكر ونظر فاعتبر ووعظ فازدجر قال من أجهل الناس قال من راى الخرق مغنما والتجاوز مغرما (وقال) أبو عبيدة الخلة الحاجة والخلة الصداقة والكافد الذى يكفر النعمة والكنود الكنوز والمستميد مثل المستمير والمستعطى يكون منه اشتقاق المائدة لانها تماد وكنع تقبض يقال منه تكنع جلده اذا تقبض يريد انه ممسك بخيل والجشع أسوأ الحرص والطبع الدنس والاعتساف ركوب الطريق على غير هداية وركوب الأمر على غير معرفة والمزيز من قولهم هذا أمز من هذا أى أفضل منه وأزيد والمطبق من السيوف الذى يصيب المفاصل لا يجاوزها (وقال) عمرو بن العاص ثلاث لا أناة فيهن المبادرة بالعمل الصالح ودفن الميت وتزويج الكفء (وقالوا) ثلاثة لا يندم على ما سلف اليهم الله فى عمل له والمولى الشكر فيما أسدى اليه والارض الكريمة فيما بذر فيها (وقالوا) ثلاثة لا بقاء لها ظل الغمام وصحبة الاشرار والثناء الكاذب (وقالوا) ثلاثة لا تكون الا فى ثلاثة الغنى فى النفس والشرف فى التواضع والكرم فى التقوى (وقالوا) ثلاثة لا تعرف الا فى ثلاثة ذو البأس لا يعرف الا عند اللقاء وذو الامانة لا يعرف الا عند الاخذ والعطاء والاخوان لا يعرفون الا عند النوائب (وقالوا) من طلب ثلاثة لم يسلم من ثلاثة من طلب المال بالكيمياء لم يسلم من الافلاس ومن طلب الدين بالفلسفة لم يسلم من الزندقة ومن طلب الفقه بغرائب الحديث لم يسلم من الكذب (وقالوا) عليكم بثلاث جالسوا الكبراء وخالطوا الحكماء وسائلوا العلماء (وقال) عمر بن الخطاب رضوان الله عليه أخوف ما أخاف عليكم شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه (واجتمعت) علماء العرب والعجم على أربع كلمات لا تحمل على ظنك ما لا تطيق ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بامرأة ولا تثق بمال وان كثر (وقال) الرياحى فى خطبته بالمربد يا بنى رياح لا تحقروا صغيرا تأخذون عنه فانى أخذت من الثعلب روغانه ومن القرد حكايته ومن السنور ضرعه ومن الكلب نصرته ومن ابن آوى حذره ولقد تعلمت من القمر سير الليل ومن الشمس ظهور الحين بعد الحين (وقالوا) ابن آدم هو العالم الكبير الذى جمع الله فيه العلم كله فكان فيه بسالة الليث وصبر الحمار وحرص الخنزير وحذر الغراب وروغان الثعلب وضرع السنور وحكاية القرد وجبن الصرد (ولما) قتل كسرى بزرجمهر وجد فى منطقته مكتوبا اذا كان الغدر فى الناس طباعا فالثقة بالناس عجز واذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان الموت راصدا فالطمأنينة حمق (وقال) أبو عمرو بن العلاء خذ الخير من أهله ودع الشر لاهله (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تنهكوا وجه الارض فان شحمها فى وجهها (وقال) بع الحيوان أحسن ما يكون فى عينك (وقالوا) فرقوا بين المنايا واجعلوا الرأس رأسين ولا تلبثوا بدار معجزة (وقالوا) اذا قدمت المصيبة تركت التعزية واذا قدم الاخاء سمج الثناء (وفى كتاب للهند) ينبغى للعاقل أن يدع التماس ما لا سبيل اليه والا يعد جاهلا كرجل أراد أن يجرى السفن فى البر والعجل فى البحر وذلك ما لا سبيل اليه (وقالوا) احسان المسىء أن يكف عنك أذاه واساءة المحسن أن يمنعك جدواه (وقال) الحسن البصرى اقدعوا هذه النفوس فانها طلعة وحادثوها بالذكر فانها سريعة الدثور فانكم الا تزعوها تنزع بكم الى شر غاية يقول حادثوها بالحكمة كما يحادث السيف بالصقال فانها سريعة الدثور يريد الصدا الذى يعرض للسيف واقدعوها من قذعت أنف الجمل اذ دفعته فانها طلعة يريد متطلعة الى الاشياء (قال) أردشير بن بابك ان للآذان مجة وللقلوب مللا ففرقوا

اشتاقه فكتب فى حمله اليه فلما دخل أفحم فقال له المتوكل تكلم فانى اريد ان استبرئك فقال بحضة أو بحضتين يا أمير المؤمنين فقال له الفتح قد كلمت امير المؤمنين ويلك على القرود والكلاب قال أفلست سامعا مطيعا فضحك المتوكل وامر له بعشرة آلاف درهم (وكان) لا يدخل بيته اكثر من ثلاثة لضيقه فدعا ثلاثة فجاء ستة وقرعوا الباب ووقفوا على رجل رجل فمد أرجلهم من خلف الباب فلما حصلوا عنده قال اخرجوا عنى فانما دعوت ناسا ولم ادع كراكى (وقال الطائى) فى عمر بن طوق التغلبى

الجد شيمته وفيه فكاهة
سمح ولا جد لمن لم يلعب
شرس ويتبع ذاك لين خليقة
لا خير فى الصهباء ما لم تقطب

(وقال فى الحسن بن وهب)

لله أيام خطبنا لينها
فى ظله بالخندريس السلسل
بمدامة نغم السماع خفيرها
لا خير فى المعلول غير معلل
يغشى عليها وهو يجلو مقلتى
بازو يغفل وهو غير مغفل
لا طائش تهفو خلائقه ولا
خشن الوقار كأنه فى محفل
فكه يجد الجد احيانا وقد
ينضى ويهزل عيش من لم يهزل

(وقال فيه)

ولقد رأيتك والكلام لآلئ
تؤم فبكر فى النظام وثيب
وكأن قسا فى عكاظ يخطب
وابن المقفع فى اليتيمة يسهب
وكأن ليلى الاخيلية تندب
وكثير عزة يوم بين ينسب
بكسو الوقار ويستخف موقرا

بين الحكمتين يكن ذلك استحساما ﴿البلاغة وصفتها﴾ قيل لعمرو بن عبيد ما البلاغة قال
ما بلغك الجنة وعدل بك عن النار قال السائل ليس هذا أريد قال فما بصرك مواضع رشدك وعواقب
غيك قال ليس هذا أريد قال من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يسمع ومن لم يحسن أن يسمع لم يحسن
أن يسأل ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يقول قال ليس هذا أريد قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم انا معشر بكاء أي قليلوا الكلام وهو جمع بكئ وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله قال
السائل ليس هذا أريد قال فكأنك تريد تخير الالفاظ في أحسن افهام قال نعم قال انك ان أردت
تقرير حجة الله في عقول المتكلمين وتخفيف المؤنة على المستمعين وتزيين المعاني في قلوب المستفهمين
بالالفاظ الحسنة رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الناطقة عن الكتاب
والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب (وقيل) لبعضهم ما البلاغة قال معرفة الوصل من الفصل
(وقيل) لآخر ما البلاغة قال ايجاز الكلام وحذف الفضول وتقريب البعيد (وقيل) لبعضهم
ما البلاغة قال أن لا يؤتى القائل من سوء فهم السامع ولا يؤتى السامع من سوء بيان فهم القائل (وقال)
معاوية لصحار العبدي ما البلاغة قال أن تجيب فلا تبطئ وتصيب فلا تخطئ ثم قال أقلني يا أمير المؤمنين
قال قد أقلتك قال لا تبطئ ولا تخطئ قال أبو حاتم استطال الكلام الاول فاستقال وتكلم بأوجز منه
(وسمع) خالد بن صفوان رجلا يتكلم ويكثر فقال اعلم رحمك الله ان البلاغة ليست بخفة اللسان وكثرة
الهذيان ولكنها باصابة المعنى والقصد الى الحجة فقال له أبا صفوان ما من ذنب أعظم من اتفاق الصنعة
(وتكلم) ربيعة الرأي يوما فأكثر والى جنبه اعرابي فالتفت اليه فقال ما تعدون البلاغة يا اعرابي قال
قلة الكلام وايجاز الصواب قال فما تعدون العي قال ما كنت فيه منذ اليوم فكأنما ألقمه حجرا
﴿ومن أمثالهم في البلاغة﴾ قولهم يقل الحز ويطبق المفصل وذلك انهم شبهوا البليغ الموجز الذي يقل
الكلام ويصيب الفصول والمعاني بالجزار الرفيق يقل حز اللحم ويصيب مفاصله (ومثله قولهم) يضع
الهناء مواضع النقب أي لا يتكلم الا فيما يجب فيه الكلام مثل الطالي الرفيق الذي يضع الهناء مواضع
النقب والهناء القطران والنقب الجرب (وقولهم) قرطس فلان فأصاب الغرض وأصاب عين القرطاس
كل هذا مثل للمصيب في كلامه الموجز في لفظه ﴿وجوه البلاغة﴾ البلاغة تكون على أربعة أوجه
تكون باللفظ والخط والاشارة والدلالة وكل منها له حظ من البلاغة والبيان وموضع لا يجوز فيه غيره
(ومنه قولهم) لكل مقام مقال ولكل كلام جواب ورب اشارة أبلغ من لفظ فأما الخط والاشارة
عند الخاصة فمفهومان عند الخاصة وأكثر العامة وأما الدلالة فكل شئ دلك على شئ فقد أخبرك به
كما قال الحكيم أشهد أن السموات والارض آيات دالات وشواهد قائمات كل يؤدي عنك الحجة
ويشهد لك بالربوبية (وقال الآخر) سل الارض من غرس أشجارك وشق أنهارك وجنى ثمارك
فان لم تجبك احبارا أجابتك اعتبارا (وقال الشاعر)

لقد جئت أبغي لنفسي مجيرا * فجئت الجبال وجئت البحورا
فقال لي البحر اذ جئته * فكيف يجير ضرير ضريرا

نطقت عينه بما في الضمير (وقال نصيب بن رباح)

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

يريد لو سكتوا لاثنت عليك حقائب الابل التي يحتقبها الركب من هباتك وهذا الثناء انما هو بالدلالة
لا باللفظ (وقال حبيب) الدار ناطقة وليست تنطق * بدثورها ان الجديد سيخلق
وهذا في قديم الشعر وحديثه وطارف الكلام وتليده أكثر من أن يحيط به وصف أو يأتي من ورائه
نعت (وقال) رجل للعتابي ما البلاغة قال كل من بلغك حاجته وأفهمك معناه بلا اعادة ولا حبسة ولا
استعانة فهو بليغ قالوا قد فهمنا الاعادة والحبسة فما معنى الاستعانة قال أن يقول عند مقاطع كلامه

طورا فيبكي سامعه ويطرب
(وقال أبو الفتح البستي)
أفد طبعك المكدود بالهم راحة
براح وعلله بشئ من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن
بمقدار ما تعطي الطعام من الملح
وما زال الاشراف يمزحون
ويسمعون بما لا يقدح في أديانهم
ولا يغض من مروآتهم (وقال)
النبي صلى الله عليه وسلم بعثت
بالحنيفية السمحة (وقال) اني
لأمزح ولا أقول الا حقا (وقيل
لسعيد بن المسيب) ان قوما من
أهل العراق لا يرون انشاد الشعر
فقال انسكوا انسكا أعجميا
(وقيل لابن سيرين) ان قوما
يزعمون أن انشاد الشعر ينقض
الوضوء فأنشد
لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزا
ولو رضيت رمح استه لاستقرت
وقام يصلي (وقيل) بل أنشد
أنبئت ان عجوزا جئت أخطبها
عرقوبها مثل شهر الصوم في
الطول
(وقيل) لابي السائب المخزومي
أترى أحدا لا يشتهي النسيب
فقال أما من يؤمن بالله واليوم
الآخر فلا (وروى) مصعب بن
عبد الله الزبيري عن عروة بن
عبيد الله بن عروة الزبيري قال
كان عروة بن أذينة نازلا في دار
أبي بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه
ان التي زعمت فؤادك ملها
خلقت هواك كما خلقت هوى لها
فبك الذي زعمت بها وكلاكما
أبدى لصاحبه الصبابة كلها
ولعمرها لو كان حبك فوقها
يوما وقد ضحيت اذن لأظلها
فاذا وجدت لها وساوس سلوة
شفع الضمير الى الفؤاد فسلها

اسمع مني وافهم عني أو يمسح عثنونه أو يفتل أصابعه أو يكثر التفاته من غير موجب أو يتساعل من غير سعلة أو ينبهر في كلامه وقال الشاعر

ملئ ببهر والتفات وسعلة * ومسحة عثنون وفتل اصابع

وهذا كله من العي (وقال) ابرويز لكاتبه اعلم أن دعائم المقالات أربع ان التمس لها خامس لم يوجد فان نقص منها واحد لم تتم وهي سؤالك الشئ وأمرك بالشئ واخبارك عن الشئ وسؤالك عن الشئ فاذا طلبت فأسجح واذا سألت فأوضح واذا أمرت فاحكم واذا أخبرت فحقق واجمع الكثير فيما تريد في القليل مما تقول يريد الكلام الذي تقل حروفه وتكثر معانيه (وقال) ربيعة الرأي اني لأسمع الحديث عطلا فأشنفه وأقرطه فيحسن وما زدت فيه شيأ ولا غيرت له معنى (وقالوا) خير الكلام ما لم يحتج بعده الى كلام وللعرب من موجز اللفظ ولطيف المعنى فصول عجيبة وبدائع غريبة وسنأتي على صدر منها ان شاء الله * (فصول من البلاغة) * قدم قتيبة بن مسلم خراسان والياً عليها فقال من كان في يده شئ من مال عبد الله بن حازم فلينبذه وان كان في فيه فليلفظه وان كان في صدره فلينفثه فعجب الناس من حسن ما فصل (وقيل) لابن السماك الاسدي أيام معاوية كيف تركت الناس قال تركتهم بين مظلوم لا ينتصف وظالم لا ينتهي (وقيل) لشبيب بن شيبة عند باب الرشيد رحمه الله تعالى كيف رأيت الناس قال رأيت الداخل راجيا والخارج راضيا (وقال حسان بن ثابت في عبد الله بن عباس)

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * بملتقطات لا ترى بينها فصلا

كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع * لذي اربة في القول جدا ولا هزلا

(ولقي) الحسين بن علي رضوان الله عليهما الفرزدق في مسيره الى العراق فسأله عن الناس فقال القلوب معك والسيوف عليك والنصر في السماء (وقال) مجاشع النهشلي الحق ثقيل فمن بلغه اكتفى ومن جاوزه اعتدى (وقيل) لعلي بن أبي طالب عليه السلام كم بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس قيل له فكم بين السماء والارض قال مسيرة ساعة لدعوة مستجابة (وقيل) لاعرابي كم بين موضع كذا الى موضع كذا قال بياض يوم وسواد ليلة (وشكا) قوم الى المسيح عليه السلام ذنوبهم فقال اتركوها تغفر لكم (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه قيمة كل انسان ما يحسن (وقيل) لخالد بن يزيد بن معاوية ما أقرب شئ قال الاجل قيل له فما أبعد شئ قال الامل قيل له فما أوحش شئ قال الميت قيل له فما آنس شئ قال الصاحب المواتي (مر) عمرو بن عبيد بسارق يقطع فقال سارق السريرة قطع سارق العلانية (وقيل) للخليل بن أحمد ما لك تروي الشعر ولا تقوله قال لاني كالمسن أشحذ ولا أقطع (وقيل) لعقيل بن علفة ما لك لا تطيل الهجاء قال يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق (ومر) خالد بن صفوان برجل صلبه الخليفة فقال أنبتته الطاعة وحصدته المعصية (ومر) اعرابي برجل صلبه السلطان فقال من طلق الدنيا فالآخرة صاحبته ومن فارق الحق فالجذع راحلته (ومن النطق بالدلالة) ما حدث به العباس بن الفرج الرياشي قال نزل النعمان بن المنذر ومعه عدي بن زيد العبادي في ظل شجرة مورقة ليلهو النعمان هناك فقال له عدي أبيت اللعن أتدري ما تقول هذه الشجرة قال ما تقول قال تقول

رب شرب قد أناخوا حولنا * يمزجون الخمر بالماء الزلال

ثم أضحوا عصف الدهر بهم * وكذاك الدهر حالا بعد حال

فتنغص على النعمان ما هو فيه * وقال رجل لخالد بن صفوان انك لتكثر قال أكثر لضربين أحدهما فيما لا تغني فيه القلة والآخر لتمرس اللسان فان حبسه يورث العقلة (وكان) خالد بن صفوان يقول لا تكون بليغا حتى تكلم أمتك السوداء في الليلة الظلماء في الحاجة المهمة بما تتكلم به في نادي قومك وانما اللسان عضو اذا مرنته مرن واذا تركته كان كاليد تخشنها بالممارسة والبدن الذي تقويه برفع الحجر وما أشبهه والرجل اذا عودت المشي مشت (وكان) نوفل بن مساحق اذا دخل على امرأته صمت فاذا خرج

بيضاء باكرها النعيم فصاغها
بلباقة فادقها وأجلها
لما عرضت مسلما لي حاجة
أخشى صعوبتها وأرجو ذلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي
ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا وقال لعلها معذورة
في بعض رقبتها فقلت لعلها

قال فأتاني أبو السائب المخزومي فقلت له بعد الترحيب به ألك حاجة فقال نعم أبيات لعروة بلغني انك سمعته ينشدها وأنشدته الابيات فلما بلغت قوله

* فدنا وقال لعلها معذورة *

البيت طرب وقال هذا والله الدائم الصبابة الصادق العهد لا الذي يقول

ان كان أهلك يمنعونك رغبة
عني فأهلي بي أضن وأرغب

لقد عدا هذا الاعرابي طوره واني لأرجو ان يغفر الله لصاحب هذه الابيات لحسن الظن بها وطلب العذر لها قال فعرضت عليه الطعام فقال لا والله ما كنت لأخلط بهذه الأبيات طعاما حتى الليل وانصرف (وكان أبو السائب) غزير الادب كثير الطرب وله فكاهات مذكورة وأخبار مشهورة وكان جده يكنى أبا السائب أيضا وكان خليط رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكره قال نعم الخليط كان أبو السائب لا يشاري ولا يماري واسم ابي السائب عبد الله وكان اشراف اهل المدينة يستظرفونه ويقدمونه لشرف منصبه وحلاوة ظرفه وكان عروة بن اذينة على زهده وورعه وكثرة علمه وفقهه رقيق الغزل

عنها تتكلم فقالت له اذا كنت عندي سكت واذا كنت عند الناس تنطق قال انى أجل عن دقيقك وتدق عن جليلى (وذكر) شبيب بن شيبة خالد بن صفوان فقال ليس له صديق فى السر ولا عدو فى العلانية وهذا كلام لا يعرف قدره الا أهل صناعته (وقال) أبو جعفر لعمرو بن عبيد أعنى باصحابك يا أبا عثمان قال ارفع علم الحق يتبعك أهله

﴿آفات البلاغة﴾ قال محمد كاتب ابراهيم وكان شاعرا راويا وطالبا للنحو علامة قال سمعت أبا داود وجرى شئ من ذكر الخطب وتمييز الكلام فقال تلخيص المعانى رفق والاستعانة بالغريب عجز والتشادق فى غير أهل البادية نقص والنظر فى عيوب الناس عى ومس اللحية هلك والخروج مما بنى عليه الكلام اسهاب (قال) وسمعته يقول رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحها الاعراب وبهاؤها تخيير اللفظ والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه وانشدنى بيتا فى خطبة اياد

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحى الملاحظ خيفة الرقباء

(وقال) ابن الاعرابى قلت للمفضل ما الايجاز عندك قال حذف الفضول وتقريب البعيد (وتكلم) ابن السماك يوما وجارية له تسمع فلما دخل قال لها كيف سمعت كلامى قالت الى أن تفهمه من لم يفهمه مله من فهمه

﴿باب الحلم ودفع السيئة بالحسنة﴾

قال الله تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم (وقال) رجل لعمرو بن العاص والله لاتفرغن لك قال هنالك وقعت فى الشغل قال كأنك تهددنى والله لئن قلت لى كلمة لاقولن لك عشرا قال وأنت والله لئن قلت لى عشرا لم أقل لك واحدة (وقال) رجل لابى بكر رضى الله عنه والله لاسبنك سبا يدخل القبر معك قال معك يدخل لا معى (وقيل) لعمرو بن عبيد لقد وقع فيك اليوم أيوب السختيانى حتى رحمناك قال اياه فارحموا (وشتم) رجل الشعبى فقال له ان كنت صادقا فغفر الله لى وان كنت كاذبا فغفر الله لك (وشتم) رجل أباذر فقال يا هذا لا تغرق فى شتمنا ودع للصلح موضعا فانا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه (ومر) المسيح بن مريم عليه الصلاة والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وتقول لهم خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده (وقال الشاعر)

ثالبنى عمرو وثالبته * فأثم المثلوب والثالب
قلت له خيرا وقال الخنى * كل على صاحبه كاذب

(وقال آخر)

وذى رحم قلمت أظفار جهله * بحلمى عنه حين ليس له حلم
اذا سمته وصل القرابة سامنى * قطيعتها تلك السفاهة والاثم
فداويته بالحلم والمرء قادر * على سهمه ما كان فى كفه السهم

(وكتب رجل الى صديق له وبلغه انه وقع فيه)

لئن ساءنى ان نلتنى بمساءة * لقد سرنى انى خطرت ببالكا

(وانشد طاهر بن عبد العزيز)

اذا ما خليلى أساء مرة * وقد كان من قبل ذا مجملا
تحملت ما كان من ذنبه * ولم يفسد الآخر الاولا

﴿صفة الحلم وما يصلح له﴾ قيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم المنقرى رأيته قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه حتى أتى برجل مكتوف ورجل مقتول فقيل له هذا ابن أخيك قتل ابنك فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه ثم التفت الى ابن أخيه قال له يا ابن أخى اثمت بربك ورميت نفسك بسهمك وقتلت ابن عمك ثم قال لابن له آخر قم يا بنى فوار أخاك وحل كتاف ابن عمك وسق الى أمه مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة ثم أنشأ يقول

كثيرة وهو القائل

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى
أقبلت نحو سقاء القوم ابترد
هبنى بردت ببرد الماء ظاهره
فمن لنار على الاحشاء تتقد

وقد روى هذان البيتان لغيره (ومرت) به سكينة بنت الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم فقالت له انت الذى تزعم انك غير عاشق وانت تقول

قالت وأبثثتها سرى فبحت به
قد كنت عندى تحت الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى فقلت لها
غطى هواك وما ألقى على بصرى

والله ما خرج هذا من قلب سليم قط (وروى الزبير) عن رجل لم يسمه قال قال لى أبو السائب أنشدنى للاحوص فأنشدته

قالت وقلت تحرجى وصلى
حبل امرئ بوصالكم صب
صاحت اذن بعلى فقلت لها
الغدر شئ ليس من ضربى
شيآن لا أدنو لوصلهما
عرس الخليل وجارة الجنب
أما الخليل فلست فاجعه
والجار أوصانى به ربى
عوجا كذا نذكر لغانية
بعض الحديث مطيكم صحبى
ونقل لها فيم الصدود ولم
نذنب بل انت بدأت بالذنب
ان تقبلى نقبل وننزلكم
منا بدار السهل والرحب
او تهجرى تكدر معيشتنا
وتصدعى متلائم الشعب

فقال هذا والله المحب حقا لا الذى يقول

وكنت اذا حبيب رام هجرى
وجدت وراى منفسحا عريضا

اذهب فلا صحبك الله ولا وسع عليك (وخرج أبو حازم) يوما

انى امرؤ لا يطبى حسبى * دنس يهجنه ولا أفن
من معشر فى بيت مكرمة * والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم * بيض الوجوه أعفة لسن
لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحفظ جواره فطن

وقال رجل للاحنف بن قيس علمنى الحلم يا أبا بحر قال هو الذل يا ابن أخى أفتصبر عليه (وقال) الاحنف لست حليما ولكنى أتحالم (وقيل) له من أحلم أنت أم معاوية قال تالله ما رأيت أجهل منكما ان معاوية يقدر فيحلم وأنا أحلم ولا أقدر فكيف أقاس عليه أو أدانيه (وقال) هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان بم بلغ فيكم الاحنف ما بلغ قال ان شئت بخلتين وان شئت بثلاث قال فما الخلتان قال كان أقوى الناس على نفسه قال فما الثلاث قال كان موقى الشر ملقى الخير قال فما الثلاث قال كان لا يجهل ولا يبغى ولا يبخل (وقيل) لقيس بن عاصم ما الحلم قال ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك (وقالوا) ما قرن شئ الى شئ أزين من حلم الى علم ومن عفو الى قدرة (وقال) لقمان الحكيم ثلاثة لا تعرفهم الا ثلاثة لا يعرف الحلم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا تعرف أخاك الا اذا احتجت اليه

(وقال الشاعر) ليست الأحلام فى حين الرضا * انما الاحلام فى حين الغضب

(وفى الحديث) أقرب ما يكون المرء من غضب الله اذا غضب (وقال) الحسن المؤمن حليم لا يجهل وان جهل عليه وتلا قول الله عز وجل واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (وقال) معاوية انى لاستحى من ربى أن يكون ذنب أعظم من عفوى أو جهل أكبر من حلمى أو عورة لا أواريها بسترى (وقال) مورق العجلى ما تكلمت فى الغضب بكلمة ندمت عليها فى الرضا (وقال) يزيد بن أبى حبيب انما غضبى فى نعلى فاذا سمعت ما أكره أخذتهما ومضيت (وقالوا) اذا غضب الرجل فليستلق على قفاه واذا عيى فليرفع رجليه (وقيل) للاحنف ما الحلم فقال قول ان لم يكن فعل وصمت ان ضر قول (وقال) على بن أبى طالب رضى الله عنه من لانت كلمته وجبت محبته (وقال) حلمك على السفيه يكثر أنصارك عليه (وقال) الاحنف من لم يصبر على كلمة سمع كلمات (وقال) رب غيظ تجرعته مخافة ما هو أشد منه (وأنشد)

رضيت ببعض الذل خوف جميعه * كذلك بعض الشر أهون من بعض

(وأسمع) رجل عمر بن عبد العزيز بعض ما يكره فقال لا عليك انما أردت أن يستفزنى الشيطان بعزة السلطان فأنال منك اليوم ما تناله منى غدا انصرف اذا شئت (وقال الشاعر فى هذا المعنى)

لن يدرك المجد أقوام وان كرموا * حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان كاسفة * لا ذل عجز ولكن ذل أحلام

(ولآخر) اذا قيلت العوراء أغضى كأنه * ذليل بلا ذل ولو شاء لانتصر

(ومن أحسن بيت فى الحلم قول كعب بن زهير)

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنى * أصبت حليما أو أصابك جاهل

(وقال) الاحنف آفة الحلم الذل وقال لا حلم لمن لا سفيه له (وقال) ما قل سفهاء قوم الا ذلوا (وأنشد)

لا بد للسودد من رماح * ومن رجال مصلتى السلاح
يدافعون دونه بالراح * ومن سفيه دائم النباح

(وقال النابغة الجعدى) ولا خير فى حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

(ولما) أنشد هذا البيت للنبى صلى الله عليه وسلم قال لا يفضض الله فاك فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية (وقالوا) لا يظهر الحلم الا مع الانتصار كما لا يظهر العفو الا مع الاقتدار (وقال) الاصمعى سمعت أعرابيا يقول كان سنان بن أبى حارثة أحلم من فرخ الطائر قلت وما حلم فرخ الطائر قال انه يخرج من بيضة فى رأس نيق ولا يتحول حتى يتوفر ريشه ويقوى على الطيران

﴿باب السودد﴾

يرمى الجمار فاذا هو بامرأة حاسرة قد فتنت الناس بحسن وجهها والهتهم بجمالها فقال لها يا هذه انك بمشعر حرام وقد فتنت الناس وشغلتيهم عن مناسكهم فاتقى الله واستترى فان الله عز وجل يقول فى كتابه العزيز وليضربن بخمرهن على جيوبهن فقالت انى من اللاتى قيل فيهن

اماطت كساء الخز عن حر وجهها * وارخت على المتنين بردا مهلهلا
من اللاء لم يحججن يبغين حسبة * ولكن ليقتلن البرى المغفلا

الشعر للحرث بن خالد المخزومى فقال ابو حازم لاصحابه تعالوا ندع الله لهذه الصورة الحسنة ان لا يعذبها بالنار فجعل ابو حازم يدعو وأصحابه يؤمنون فبلغ ذلك الشعبى فقال ما ارقكم يا اهل الحجاز واظرفكم اما والله لو كان من قرى العراق لقال اعزبى عليك لعنة الله (وكان) أبو حازم من فضلاء التابعين وله مقامات جميلة مع الملوك وكلام محفوظ يدل على فضله وعقله وهو القائل كل عمل تكره من اجله الموت فاتركه ولا يضرك متى مت وكان يقول ما احببت ان يكون معك غدا فقدمه اليوم وكان يقول انما بينى وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته وانا واياهم من غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون اليوم وقال ابو العتاهية

حتى متى نحن فى الايام نحسبها * وانما نحن فيها بين يومين
يوم تولى ويوم نحن نأمله * لعله اجلب اليومين للحين

(وروى) الزبير بن ابى بكر قال

(قيل) لعدى بن حاتم ما السودد قال السيد الاحمق في ماله الذليل في عرضه المطرح لحقده (وقيل) لقيس بن عاصم بم سوّدك قومك قال بكف الاذى وبذل الندى ونصر المولى (وقال) رجل للاحنف بم سوّدك قومك وما انت باشرفهم بيتا ولا اصبحهم وجها ولا احسنهم خلقا قال بخلاف ما فيك يا ابن أخى قال وما ذاك قال بتركى من امرك ما لا يعنينى كما عناك من أمرى ما لا يعنيك (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل من سيد قومك قال أنا قال كذبت لو كنت كذلك لم تقله (وقال) ابن الكلبي قدم أوس بن حارثة بن لام الطائى وحاتم بن عبد الله الطائى على النعمان بن المنذر فقال لاياس بن قبيصة الطائى أيهما افضل قال ابيت اللعن ايها الملك انى من احدهما ولكن سلهما عن انفسهما فانهما يخبرانك فدخل عليه اوس فقال أنت أفضل أم حاتم فقال أبيت اللعن ان أدنى ولد حاتم افضل منى ولو كنت أنا وولدى ومالى لحاتم لا تهبنا فى غداة واحدة ثم دخل عليه حاتم فقال له أنت افضل ام اوس فقال أبيت اللعن ان أدنى ولد لاوس أفضل منى فقال النعمان هذا والله السودد وأمر لكل واحد منهما بمائة من الابل (وسأل) عبد الملك بن مروان روح بن زنباع عن مالك بن مسمع فقال لو غضب مالك لغضب معه مائة ألف سيف لا يسأله واحد منهم لم غضبت فقال عبد الملك هذا والله السودد (وقال) أبو حاتم عن القتبى أهدى ملك اليمن سبع جزائر الى مكة وأوصى ان ينحرها أعز قرشى بها فأتت وأبو سفيان عروس بهند فقالت له هند يا هذا لا تشغلك النساء عن هذه الاكرومة التى لعلك ان تسبق اليها فقال لها يا هذه ذرى زوجك وما اختار لنفسه فوالله لا ينحرها أحد الا نحرته فكانت فى عقلها حتى خرج اليها بعد السابع فنحرها (ونظر) رجل الى معاوية وهو غلام صغير فقال انى أظن أن هذا الغلام سيسود قومه فسمعته أمه هند فقالت ثكلته اذا لم يسد غير قومه (وقال) الهيثم بن عدى كانوا يقولون اذا كان الصبى سابل الغرة طويل الغرلة ملتاث الازرة فذلك الذى لا يشك فى سودده (ودخل) ضمرة بن أبى ضمرة على النعمان بن المنذر وكانت به دمامة شديدة فالتفت النعمان الى أصحابه وقال تسمع بالمعيدى خير من ان تراه فقال أيها الملك انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فان قال قال ببيان وان قاتل قاتل بجنان قال صدقت وبحق سوّدك قومك (وقيل) لعرابة الاوسى بم سوّدك قومك قال بأربع خلال انخدع لهم فى مالى واذل لهم فى عرضى ولا احقر صغيرهم ولا احسد كبيرهم (وفى) عرابة الاوسى يقول الشماخ وهو ضرار

رأيت عرابة الاوسى يسمو * الى الخيرات منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

(وقالوا) يسود الرجل بأربعة أشياء بالعقل والادب والعلم والمال (وكان) سلم بن نوفل سيد بنى كنانة فوثب رجل على ابنه وابن أخيه فجرحهما فأتى به فقال ما امنك من انتقامى قال فلم سوّدناك الا ان تكظم الغيظ وتحلم عن الجاهل وتحتمل المكروه فخلى سبيله (فقال فيه الشاعر)

يسوّد اقوام وليسوا بسادة * بل السيد الصنديد سلم بن نوفل

(وقال) ابن الكلبى قال لى خالد القسرى ما تعدون السودد قلت اما فى الجاهلية فالرياسة واما فى الاسلام فالولاية وخير من ذا وذلك التقوى قال صدقت كان أبى يقول لم يدرك الاوّل الشرف الا بالعقل ولم يدرك الآخر الا بما أدرك به الاوّل قلت له صدق أبوك انما ساد الاحنف بن قيس بحلمه ومالك بن مسمع بحب العشيرة له وقتيبة بن مسلم بدهائه وساد المهلب بهذه الخلال كلها (الاصمعى) قال قيل لاعرابى يقال له منتجع بن نبهان ما السميدع قال السيد الموطأ الاكناف (وكان) عمر بن الخطاب يفرش له فراش فى بيته فى وقت خلافته فلا يجلس عليه أحد الا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب وقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى سفيان كل الصيد فى جوف الفرا والفرا الحمار الوحشى وهو مهموز وجمعه فراء ومعناه انه فى الناس مثل الحمار الوحشى فى الوحش ودخل عمرو بن العاص مكة

قدمت امرأة من هذيل المدينة وكانت جميلة ومعها ابن لها صغير وهى ايم فخطبها الناس واكثروا فقال فيها عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود

أحبك حبا لا يحبك مثله
قريب ولا فى العالمين بعيد
احبك حبا لو علمت ببعضه
لجدت ولم يصعب عليك شديد
وحبك يا ام الصلاء متيمى
شهيدى ابو بكر فذاك شهيد
ويعلم وجدى القاسم بن محمد
وعروة ما القى بكم وسعيد
ويعلم ما اخفى سليمان كله
وخارجة يبدى بنا ويعيد
متى تسألى عما اقول فتخبرى
فللحب عندى طارف وتليد

فقال له سعيد بن المسيب قد امنت ان تسألنا ولو سألتنا ما شهدنا لك بزور (وكان عبيد الله) احد الفقهاء السبعة الذين انتهى اليهم علم المدينة وقد ذكرهم عبيد الله فى هذه الابيات وهم ابو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومى والقاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق وعروة ابن الزبير بن العوام وسعيد بن المسيب بن حزن وسليمان بن يسار وخارجة بن زيد بن ثابت الانصارى (وقيل) لعبيد الله اتقول الشعر على شرفك فقال لابد للمصدور ان ينفث وعبيد الله هو القائل

شققت القلب ثم ذررت فيه
هواك فليم والتأم الفطور
تغلغل حب عثمة فى فؤادى
فباديه مع الخافى يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب
ولا حزن ولم يبلغ سرور

فرأى قوما من قريش قد تحلقوا حلقة فلما رأوه رموا بأبصارهم اليه فعدل اليهم فقال أحسبكم كنتم في شيء من ذكري قالوا أجل كنا نفاضل بينك وبين أخيك هشام أيكما أفضل فقال عمرو ان لهشام على أربعة أمه ابنة هشام بن المغيرة وأمي من قد عرفتم وكان أحب الناس الى أبيه مني وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد وأسلم قبلي واستشهد وبقيت (قال) قيس بن عاصم لبنيه لما حضرته الوفاة احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني اما اذا انا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيحقر الناس كباركم (وقال) الاحنف بن قيس السودد مع السواد (وهذا) المعنى يحتمل وجهين من التفسير أحدهما أن يكون أراد بالسواد سواد الشعر يقول من لم يسد مع الحداثة لم يسد مع الشيخوخة والوجه الآخر ان يكون أراد بالسواد سواد الناس ودهماءهم يقول من لم يطر له اسم على ألسنة العامة بالسودد لم ينفعه ما طار له في الخاصة (وقال ابان بن سلمة)

واسنا كقوم محدثين سيادة * يرى مالها ذلا يحسن فعالها
مساعيهم مقصورة في بيوتهم * ومسعاتنا ذبيان طرا وعامر

(الهيثم بن عدي) قال لما انفرد سفيان بن عيينة ومات نظراؤه من العلماء تكاثر الناس عليه فأنشد يقول

خلت الديار فسدت غير مسود * ومن الشقاء تفردي بالسودد

(سودد الرجل بنفسه) قال النبي صلى الله عليه وسلم من أسرع به عمله لم يبطئ به حسبه ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه (وقال) قس بن ساعدة من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه (وقالوا) انما الناس بأبدانهم (وقال الشاعر)

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما

(وقال عبد الله بن معاوية)

لسنا وان كرمت أوائلنا * يوما على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا * تبني ونفعل مثل ما فعلوا

(وقال) قس بن ساعدة لاقضين بين العرب بقضية لم يقض بها أحد قبلي ولا يردها أحد بعدي أيما رجل رمى رجلا بملامة دونها كرم فلا لوم عليه وأيما رجل ادعى كرما دونه لؤم فلا كرم له (وقالت) عائشة رضي الله عنها كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به وكل لؤم دونه كرم فالكرم أولى به تريد أن أولى الامور بالانسان خصال نفسه وان كان كريما وآباؤه لئام لم يضره ذلك وان كان لئيما وآباؤه كرام لم ينفعه ذلك (وقال عامر بن الطفيل العامري)

واني وان كنت ابن سيد عامر * وفارسها المشهور في كل موكب
فما سودتني عامر عن وراثة * أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها واتقي * اذاها وارمي من رماها بمنكبي

(وتكلم) رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب فأعجب عبد الملك ما سمع من كلامه فقال له ابن من أنت قال أنا ابن نفسي يا أمير المؤمنين التي بها توصلت اليك قال صدقت فأخذ الشاعر هذا المعنى فقال

مالي عقلي وهمتي حسبي * ما أنا مولى ولا أنا عربي
اذا انتمى منتم الى أحد * فانني منتم الى أدبي

(وقال بعض المحدثين)

رأيت رجال بني دالق * ملوكا بفضل تجاراتهم * وبربرنا عند حيطانهم
يخوضون في ذكر أمواتهم * وما الناس الا بأبدانهم * وأحسابهم في حواماتهم

(المروأة) قال النبي صلى الله عليه وسلم لا دين الا بمروأة * وقال ربيعة الرأي المروأة ست خصال ثلاثة في الحضر وثلاثة في السفر فأما التي في السفر فبذل الزاد وحسن الخلق ومداعبة الرفيق وأما التي في

أخذه مسلم بن عمرو والخامر فقال

سقتني بعينيها الهوى وسقيتها * فدب دبيب الخمر في كل مفصل

وقال ابو نواس

احب اللوم فيها ليس الا * لترداد اسمها فيما الام
ويدخل حبها في كل قلب * مداخل لا تغلغلها المدام

ومنه قول المتنبي

واسر مني موضع لا يناله * نديم ولا يفضي اليه شراب

وقال بعض المحدثين

ما زالت تعذلني وتطلب خلتي * حتى حللت بحيث حل شرابي
ثم انصرفت بغير جرم كان لي * ما هكذا الاحباب للاحباب

اخذ ابو نواس قوله احب اللوم فيها البيت من قول ابي محمد بن ابي امية

وحدثني عن مجلس كنت زينه * رسول امين والنساء شهود
فقلت له رد الحديث الذي مضى * وذكرك من بين الحديث اريد
اناشده بالله الا اعدته * كأني بطيء الفهم عنه بعيد

وقول ابي نواس في البيت الاول كقوله

اذا غاديتني بصبوح لوم * فمزوجا بتسمية الحبيب
لاني لا اعد اللوم فيها * عليك اذا فعلت من الذنوب
ولا انا آن عمدت ارى جنانا * وان ضنت بمسوس النصيب
مقنعة بثوب الحسن ترعى * بغير تكلف ثمر القلوب

وقيل في جنان هذه يقول ابو نواس

يا ذا الذي عن جنان ظل يخبرنا * بالله قل واعد يا طيب الخبر
قالوا اشتكتك وقالت ما ابتليت به

الحضر وتلاوة القرآن ولزوم المساجد وعفاف الفرج (وقال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه المروأة مروأتان مروأة ظاهرة ومروأة باطنة فالمروأة الظاهرة الرياش والمروأة الباطنة العفاف (وقدم) وفد على معاوية فقال لهم ماتعدون المروأة قالوا العفاف واصلاح المعيشة قال اسمع يا يزيد (وقيل) لابي هريرة ما المروأة قال تقوى الله وتفقد الضيعة (وقيل) للاحنف ما المروأة قال العفة والحرفة (وقال عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما انا معشر قريش لانعد الحلم والجود سوددا ونعد العفاف واصلاح المال مروأة (وقال) الاحنف لامروأة لكذوب ولا سودد لبخيل ولاورع لسيئ الخلق (وقال النبي) صلى الله عليه وسلم تجاوزوا لذوي المروآت عن عثراتهم فوالذي نفسي بيده ان احدهم ليعثر وان يده لبيد الله (وقال العتبي) عن أبيه لا تتم مروأة الرجل الا بخمس أن يكون عالما صادقا عاقلا ذا بيان مستغنيا عن الناس وقال الشاعر

وما المرء الاحيث يجعل نفسه * ففي صالح الاعمال نفسك فاجعل

(وقيل) لعبد الملك بن مروان أكان مصعب بن الزبير يشرب الطلاء فقال لوعلم مصعب ان الماء يفسد مروأته ماشربه (وقالوا) من أخذ من الديك ثلاثة أشياء ومن الغراب ثلاثة أشياء تم بها أدبه ومروأته من أخذ من الديك سخاءه وشجاعته وغيرته ومن الغراب بكوره لطلب الرزق وشدة حذره وستر سفاده

﴿طبقات الرجال﴾ قال خالد بن صفوان الناس ثلاث طبقات طبقة علماء وطبقة خطباء وطبقة أدباء ورجرجة بين ذلك يغلون الاسعار ويضيقون الاسواق ويكدرون المياه (وقال الحسن) الرجال ثلاثة فرجل كالغذاء لا يستغنى عنه ورجل كالدواء لا يحتاج اليه الا حينا بعد حين ورجل كالداء لا يحتاج اليه أبدا (وقال) مطرف بن عبد الله بن الشخير الناس ثلاثة ناس ونسناس وناس غمسوا في ماء الناس (وقال) الخليل بن أحمد الرجال أربعة فرجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فسلوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك الناسي فذكروه ورجل لايدري ويدري انه لايدري فذلك الجاهل فعلموه ورجل لايدري ولايدري انه لايدري فذلك الاحمق فارفضوه وقال الشاعر

اليس من البلوى بانك جاهل * وانك لاتدري بانك لاتدري
اذا كنت لاتدري ولست كمن درى * فكيف اذا تدري بانك لاتدري

(ولآخر)

وما الداء الا ان تعلم جاهلا * ويزعم جهلا انه منك اعلم

(وقال) على بن أبي طالب رضي الله عنه الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة ورعاع همج يميلون مع كل ريح (وقالت) الحكماء الاخوان ثلاثة فأخ يخلص لك وده ويبذل لك رفده ويستفرغ في مهمك جهده وأخ ذو نية يقتصر بك على حسن نيته دون رفده ومعونته وأخ يتملق لك بلسانه ويتشاغل عنك بشانه ويوسعك من كذبه وايمانه (وقال الشعبي) مر رجل بعبد الله بن مسعود فقال لاصحابه هذا لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم ولا يتعلم ممن يعلم (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم كن عالما او متعلما ولا تكن الثالثة فتهلك ﴿الغوغاء﴾ الدبا وهي صغار الجراد وشبه بها سواد الناس (وذكر) الغوغاء عند عبد الله بن عباس فقال مااجتمعوا قط الا ضروا ولا افترقوا الا نفعوا فقيل له قد علمنا ما ضر اجتماعهم فما نفع افتراقهم قال يذهب الحجام الى دكانه والحداد الى اكياره وكل صانع الى صناعته (ونظر) عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الى قوم يتبعون رجلا اخذ في ريبة فقال لامرحبا بهذه الوجوه التي لاترى الا في كل شر (وقال حبيب بن اوس الطائي)

ان شئت ان تسود ظنك كله * فأجله في هذا السواد الاعظم

وقال دعبل

ما اكثر الناس لابل ما اقلهم * الله يعلم اني لم اقل فندا
اني لأفتح عيني حين افتحها * على كثير ولكن لا ارى احدا

﴿الثقلاء﴾ قالت عائشة رضي الله عنها نزلت آية في الثقلاء * فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث (وقال) الشعبي من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء (وقيل) لجالينوس بم صار الرجل الثقيل

اثقل

اراه من حيث ما اقبلت في اثري
ويرفع الطرف نحوي ان مررت به
حتى ليخجلني من شدة النظر
وان وقفت له كيما يكلمني
في الموضع الخلو لم ينطق من الحصر
مازال يفعل بي هذا ويديمه
حتى لقد صار من همي ومن وطري
وفي جنان ايضا يقول ابو نواس
وكان بها صبا ولها محبا
جنان تسبني ذكرت بخير
وتزعم انني رجل خبيث
وان مودتي كذب ومين
واني للذي تطوي بثوث
وليس كذا ولا لا دعليها
ولكن الملول هو النكوث
ولي قلب ينازعني اليها
وشوق بين اضلاعي حثيث
زاد كلفي بها وقديم وجدي
فلمتني كذا كان الحديث
وكانت جنان مولاة لبعض
الثقفيين وفي معنى قول ابن ابي
امية يقول العباس بن الاحنف
وحدثتني ياسعد عنها فزدتني
جنونا فزدني من حديثك ياسعد
واهل المدينة اكثر الناس ظرفا
واكثرهم طيبا واحلاهم
مزاحا واشدهم اهتزازا للسماع
وحسن ادب عند الاستماع
(وقال) عبد الله بن جعفر لي
عند السماع هزة لوسئلت
عندها لاعطيت ولو قاتلت
لابليت (وروى) ابو العيناء قال
قال الاصمعي مررت بدار الزبير
بالبصرة فاذا شيخ قديم من اهل
المدينة من ولد الزبير يكنى ابا
ريحانة جالس بالباب عليه سملة
تستره فسلمت عليه وجلست اليه
فبينما انا كذلك اذ طلعت علينا
سوداء تحمل قربة فلما نظر
اليها لم يتمالك ان قام اليها فقال

أثقل من الحمل الثقيل فقال لان الرجل الثقيل انما ثقله على القلب دون الجوارح والحمل الثقيل يستعين فيه القلب بالجوارح (وقال) سهل بن هرون من ثقل عليك بنفسه وغمك بسؤاله فاعره اذنا صماء وعينا عمياء (وكان) أبو هريرة اذا استثقل رجلا قال اللهم اغفرله وأرحنا منه (وكان) الاعمش اذا حضر مجلسه ثقيل يقول

فما الفيل تحمله ميتا * بأثقل من بعض جلاسنا

(وقال) أبو حنيفة للاعمش وأتاه عائدا في مرضه لولا ان أثقل عليك أبا محمد لعدتك والله في كل يوم مرتين فقال له الاعمش والله يا ابن أخي أنت ثقيل علي وأنت في بيتك فكيف لو جئتني في كل يوم مرتين وذكر رجلا ثقيلا كان يجلس اليه فقال والله اني لابغض شقي الذي يليه اذا جلس الي (ونقش) رجل على خاتمه أبرمت فقم فكان اذا جلس اليه ثقيل ناوله اياه وقال اقرأ ما على هذا الخاتم (وكان) حماد بن سلمة اذا رأى من يستثقله قال ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون (وقال بشار العقيلي) في ثقيل يكنى أبا عمران

ربما يثقل الجليس وان كا * ن خفيفا في كفة الميزان

ولقد قلت اذ أطل على القو * م ثقيل يربي على ثهلان

كيف لا تحمل الامانة أرض * حملت فوقها أبا عمران

(ولآخر) أنت يا هذا ثقيل * وثقيل وثقيل * أنت في المنظر انسا * ن وفي الميزان فيل

(وقال الحسن بن هانئ في رجل ثقيل)

ثقيل يطالعنا من أمم * اذا سره رغم أنفي ألم * أقول له اذ بدا لا بدا

ولا حملته اليناقدم * فقدت خيالك لا من عمى * وصوت كلامك لا من صمم

(وله فيه) وما أظن القلاص منجيتي * منك ولا الفلك أيها الرجل

ولو ركبت البراق أدركني * منك على نأي دارك الثقل

هل لك فيما ملكته هبة * تأخذه جملة وترتحل

(وله فيه) يا من على الجلاس كالفتق * كلامك التخديش في الحلق

هل لك في مالي وما قد حوت * يداي من جل ومن دق

تأخذه مني كذا فدية * واذهب ففي البعد وفي السحق

(وله فيه) ألا يا جبل المقت الذي أرسى فما يبرح

لقد أكثرت تفكيري * فما أدري لما تصلح * فما تصلح أن تهجى * ولا تصلح أن تمدح

(أهدى) رجل من الثقلاء الى رجل من الظرفاء جملا ثم نزل عليه حتى أبرمه فقال فيه

يا مبرما أهدى جمل * خذوانصرف ألفي جمل * قال وما أوقارها * قلت زبيب وعسل

قال ومن يقودها * قلت له ألفا رجل * قال ومن يسوقها * قلت له ألفا بطل

قال وما لباسهم * قلت حلي وحلل * قال وما سلاحهم * قلت سيوف وأسل

قال عبيد لي اذا * قلت نعم ثم خول * قال بهذا فاكتبوا * اذن عليكم لي سجل

قلت له ألفي سجل * فاضمن لنا ان ترتحل * قال وقد أضجرتكم * قلت أجل ثم أجل

قال وقد أبرمتكم * قلت له الامر جلل * قال وقد أثقلتكم * قلت له فوق الثقل

قال فاني راحل * قلت العجل ثم العجل * يا كوكب الشؤم ومن * أربى على نحس زحل

يا جبلا من جبل * في جبل فوق جبل

(وقال الحمدوني في رجل بغيض مقيت)

أيا ابن البغيضة وابن البغيض * ومن هو في البغض لا يلحق * سألتك بالله الا صدقت

وعلمي بأنك لا تصدق * أتبغض نفسك من بغضها * والا فأنت اذن أحمق

(وله فيه) في حريم الناس اذ كنـ * ـت من الناس تعد

لها بالله غني صوتا فقالت ان موالي أعجلوني فقال لابد من ذلك قالت أما والقربة على كتفي فلا قال فأنا احملها فأخذ القربة منها فاندفعت تغني

فؤادي أسير لا يفك ومهجتي
تفيض وأحزاني عليك تطول
ولي مقلة قرحى لطول اشتياقها
اليك وأجفاني عليك همول
فديتك أعدائي كثير وشقتي
بعيد وأشياعي اليك قليل

فطرب وصرخ صرخة وضرب بالقربة الى الارض فشقها فقامت الجارية تبكي وقالت ما هذا جزائي منك أسعفتك بحاجتك فعرضتني لما أكره من موالي قال لا تغتمي فان المصيبة على حصلت ونزع الشملة ووضع يدا من خلف ويدا من قدام وباع الشملة وابتاع لها قربة جديدة وقعد بتلك الحال فاجتاز به رجل من ولد علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فعرف حاله فقال يا أبا ريحانة أحسبك من الذين قال الله تعالى فيهم فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قال لا يا ابن رسول الله ولكني من الذين قال الله تعالى فيهم فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فضحك وأمر له بألف درهم (ومر) بالاوقص المخزومي وهو قاضي المدينة سكران وهو يتغنى بليل فأشرف عليه وقال يا هذا شربت حراما وأيقظت نياما وغنيت خطأ خذه عني وأصلح له الغناء وسمع سعيد بن المسيب منشدا ينشد

فلم ترعيني مثل سرب رأيته
خرجن من التنعيم معتمرات

ولقد أبقت ابليس اذا ما راك يعدو

(ولحبيب الطائي في مثله أي في رجل مقيت)

يا من تبرمت الدنيا بطلعته * كما تبرمت الأجفان بالرمد

يمشي على الارض مختالا فاحسبه * لبغض طلعته يمشي على كبدي

لو ان في الارض جزأ من سماجته * لم يقدم الموت اشفاقا على أحد

(وللحسن بن هانئ في الفضل الرقاشي)

رأيت الرقاشي في موضع * وكان الي بغيضا مقيتا

فقال اقترح بعض ما تشتهي * فقلت اقترحت عليك السكوتا

(وأنشد الشعبي)

اني بليت بعشر * نوكى أخفهم ثقيل

بله اذا جالستهم * صدئت لقربهم العقول

لا يفهموني قولهم * ويدق عنهم ما أقول

فهم كثير بي كما * اني بقربهم قليل

(وقال العتبي كتب الكسائي الى الرقاشي)

شكوت الينا مجانينكم * وأشكو اليك مجانيننا

وأنشأت تذكر اقذارهم * فأنتن واقذر من عندنا

فلولا السلامة كنا كهم * ولولا البلاء لكانوا كما

(وقال حبيب الطائي) وصاحب لي مللت صحبته * افقدني الله شخصه عجلا

سرقت سكينه وخاتمه * أقطع ما بيننا فافعلا

(وقال حبيب) يا من له في وجهه اذبدا * كنوز قارون من البغض

لو فر شئ قط من شكله * فر اذا بعضك من بعض

كونك في صلب أبينا الذي * اهبطنا جميعا الى الارض

(وقال أبو حاتم) أنشدني أبو زيد الانصاري النحوي صاحب النوادر

وجه يحيي يدعو الى البصق فيه * غير أني أصون عنه بصاقي

(قال أبو حاتم وأنشدني العتبي) لهو وجه يحل البصق فيه * ويحرم أن يلقى بالتحيه

(قال وأنشدني) قيص أبي أمية ما علمتم * وأوسخ منه جلد أبي أميه

❁(التفاؤل بالاسماء)❁ سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا أراد أن يستعين به على عمل عن اسمه واسم أبيه فقال ظالم بن سراقة فقال تظلم أنت ويسرق أبوك ولم يستعن به في شئ (وأقبل) رجل الى عمر بن الخطاب فقال له عمر ما اسمك فقال شهاب بن حرقة قال ممن قال من أهل حرة النار قال وأين مسكنك قال بذات لظى قال اذهب فان أهلك قد احترقوا فكان كما قال عمر رضي الله عنه (ولقي) عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مسروق بن الاجدع فقال له من أنت قال مسروق بن الاجدع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاجدع شيطان (وروى) سفيان عن هشام الدستوائي عن يحيى ابن أبي كثير قال كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أمرائه لا تبردوا بريدا الا حسن الوجه حسن الاسم (ولما) فرغ المهلب بن أبي صفرة من حرب الازارقة وجه بالفتح الى الحجاج رجلا يقال له مالك ابن بشير فلما دخل على الحجاج قال له ما اسمك قال مالك بن بشير قال ملك وبشارة وقال الشاعر

واذا تكون كريهة فرجتها * أدعو بأسلم مرة ورباح

يريد التطير بأسلم ورباح للسلامة والربح (الرياشي) عن الاصمعي قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل على رجل من الانصار فصاح الرجل بغلاميه يا سالم ويا يسار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لنا الدار في يسر (وقال) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي قدم جدي حزن بن أبي وهب على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له كيف اسمك قال حزن قال له رسول الله صلى الله

يخرجن أطراف البنان من التقى * ويخرجن شطر الليل معتجرات

بلبين للرحمن مؤتجرات * ولما رأت ركب النميري اعرضت

وكن بأن يلقينه حذرات * دعت نسوة شم العرانين بزلا

نواعم لا شعثا ولا غبرات * فأبرزن لما قمن يحجبن دونها

حجابا من القسي والحبرات * تضوع طيبا بطن نعمان ادمشت

به زينب في نسوة عطرات * يخبئن أطراف البنان من التقى

ويخرجن شطر الليل معتجرات * فقال سعيد هذا والله مما يلذ

استماعه ثم قال

وليست كأخرى وسعت جيب درعها * وأبدت بنان الكف للجمرات

وغالت بنان المسك وحفا مرجلا * على مثل بدر لاح في الظلمات

وقامت ترائي بين جمع فأفتنت * برؤيتها من راح من عرفات

قال فكانوا يرون ان الشعر الثاني له والاول لمحمد بن عبد الله بن نمير الثقفي يقوله في زينب بنت يوسف اخت الحجاج وطلبه الحجاج حتى ظفر به فقال أنت القائل ماقلت قال وهل قلت أصلح الله الامير الا

يخبئن أطراف البنان من التقى * ويخرجن شطر الليل معتجرات

قال له كم كنتم اذ تقول

ولما رأت ركب النميري أعرضت

قال والله ما كنت الا انا وصاحب لي على حمار هزيل فضحك وعفا عنه وهو القائل

أهاجتك الظعائن يوم بانوا * بذي الزي الجميل من الاثاث

ظعائن أسلكت في بطن قو * تحث اذا ونت أي احتثاث

كأن على الهوادج يوم بانوا

عليه وسلم بل سهل قال ما كنت لادع اسما سمتني به أمي قال سعيد فانا نجد تلك الحزونة في أخلاقنا الى اليوم وانما تطيرت العرب من الغراب للغربة اذ كان اسمه مشتقا منها (وقال أبو الشيص)

اشاقك والليل ماقي الجران * غراب ينوح على غصن بان
وفي نعبات الغراب اغتراب * وفي البان بين بعيد التداني

(ولآخر في السفرجل) أهدى اليه سفرجلا فتطيرا * منه فظل مفكرا مستعبرا
خوف الفراق لان شطر هجائه * سفر وحق له بأن يتطيرا

(ولآخر في السوسن) ياذا الذي أهدى لنا السوسنا * ما كنت في اهدائه محسنا
شطر اسمه سوء فقد سؤتني * ياليت انى لم أر السوسنا

(ولآخر في الاترج) أهدى اليه حبيبه أترجة * فبكى وأشفق من عيافة زاجر
خاف التبدل والتلون انها * لونان باطنها خلاف الظاهر

(وقال الطائي في الحمام) هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

(وكان) أشعب يختلف الى قينة بالمدينة فلما أراد الخروج سألها أن تعطيه خاتم ذهب في يدها ليذكرها به فقالت انه ذهب وأخاف أن تذهب ولكن هذا العود فلعلك أن تعود

﴿باب الطيرة﴾

(قال) النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكاد يسلم منهن أحد الطيرة والظن والحسد قيل فما المخرج منهن يا رسول الله قال اذا تطيرت فلا ترجع واذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ (وقال أبو حاتم) السانح ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك مياسره والحائد ما استقبلك من تجاهك والقعيد الذى يأتيك من خلفك (وقال) اذا رأى أحدكم الطيرة فقال اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك لم تضره (وقد) كانت العرب تتطير ويأتي ذلك في اشعارهم وقال بعضهم

وما صدقتك الطير يوم لقيتنا * وما كان من دلاك فينا بخابر

(وقال حسان رضى الله تعالى عنه)

ياليت شعري وليت الطير تخبرني * ما كان بين علي وابن عفانا
لتسمعن وشيكا في ديارهم * الله أكبر ياثارات عثمانا

(وقال الحسن بن هانئ)

قام الامين بأمر الله في البشر * واستقبل الملك في مستقبل الثمر
فالطير تخبرنا والطير صادقة * عن طيب عيش وعن طول من العمر

(وقال الشيباني) لما قدم قتيبة بن مسلم الباهلي خراسان قام خطيبا فسقطت المخصرة من يده فتطير به أهل خراسان فقال أيها الناس ليس كما ظننتم ولكنه كما قال الشاعر

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

﴿اتخاذ الاخوان وما يجب لهم﴾ روى الاوزاعي عن يحيى بن أبي كثير ان داود قال لابنه سليمان عليهما السلام يابني لا تستقل عدوا واحدا ولا تستكثر ألف صديق ولا تستبدل بأخ قديم أخا مستحدثا ما استقام لك (وفي الحديث المرفوع) المرء كثير بأخيه (وقال شبيب بن شيبة) اخوان الصفا خير من مكاسب الدنيا هم زينة في الرخاء وعدة في البلاء ومعونة على الاعداء (وأنشد ابن الاعرابي)

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة * ولكن اخوان الصفاء الذخائر

(وقال الاحنف بن قيس) خير الاخوان ما ان استغنيت عنه لم يزدك في المودة وان احتجت اليه لم ينقصك منها وان كوثرت عضدك وان استرفدت رفدك وأنشد

أخوك الذى ان تدعه لملمة * يجبك وان تغضب الى السيف يغضب

نعاجا ترتعي بقل البراث
يهيجك الحمام اذا تغنى
كما هيج النوادب بالمراثي
(وقال ابن المعتز) وعد الدنيا الى خلاف وبقاؤها الى تلف وبعد عطائها المنع وبعد أمانها الفجع طواحة طراحة آسية جراحة كم راقد في ظلها قد أيقظته وواثق بها قد خانته حتى يلفظ نفسه ويودع دنياه ويسكن رمسه وينقطع عن أمله ويشرف على عمله وقد رحج الموت بحياته ونقض قوى حركاته وطمس البلى جمال بهجته وقطع نظام صورته وصار كخط من رماد تحت صفائح انضداد وقد أسلمه الاحباب وافترش التراب في بيت قد نجرته المعاول وفرشت فيه الجنادل مازال مضطربا في أمله حتى استقر في أجله ومحت الايام ذكره واعتادت الا لحاظ فقره
(وكتب وهو معتقل الى أستاذه) أبي العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب يتشوقه
ماوجد صاد بالحبال موثق
بماء مزن بارد مصفق
بالريح لم يكدر ولم يرنق
جادت به أخلاف دجن مطبق
بصخرة ان ترشسا تبرق
مادعليها كالزجاج الازرق
صريح غيث خالص لم يمذق
الا كوجدي بك لكن أتقي
يا بأبي الكل باب مغلق
وصيرفي ناقد المنطق
ان قال هذا بهرج لم ينفق
انا على البعاد والتفرق
لنلتقي بالذكر ان لم نلتق
(فأجابه) أخذت أطال الله

(ولآخر) أخاك أخاك ان من لا أخاله * كساع الى الهيجا بغير سلاح
وان ابن عم المرء فاعلم جناحه * وهل ينهض البازي بغير جناح

(ومما) يجب للصديق على الصديق النصيحة جهده فقد قالوا صديق الرجل مرآته يريه حسناته وسيآته (وقالوا) الصديق من صدقك وده وبذل لك رفده (وقالوا) خير الاخوان من أقبل عليك اذا أدبر الزمان عنك وقال الشاعر

فان أولى الموالي من تواليه * عند السرور لمن واساك في الحزن
ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

(ولآخر) الصبر من كرم الطبيعة * والمن مفسدة الصنيعة
ترك التعهد للصديق * يكون داعية القطيعة

(أنشد) محمد بن يزيد المبرد لعبد الصمد بن المعذل في ابراهيم بن الحسن

يا من فدت نفسه نفسي ومن جعلت * له وقاء لما يخشى واخشاه
أبلغ أخاك وان شط المزار به * اني وان كنت لا ألقاه ألقاه
وان طرفي موصول برؤيته * وان تباعد عن مثواي مثواه
الله يعلم أني لست أذكره * وكيف يذكره من ليس ينساه
عدوا فهل حسن لم يحوه حسن * وهل فتى عدلت جدواه جدواه
فالدهر يفنى ولا تفنى مكارمه * والقطر يحصى ولا تحصى عطاياه

(وقيل) لبعض الولاة كم صديق لك قال لا أدري الدنيا مقبلة علي والناس كلهم أصدقائي وانما أعرف ذلك اذا أدبرت عني (ولما) صارت الخلافة الى المنصور كتب اليه رجل من اخوانه كتابا فيه هذه الابيات

أنا بطانتك الأولى * كنا نكابد ما تكابد * ونرى فنعرف بالعدا
وة والبعاد ان تباعد * ونبيت عن شفق عليك * ك ربيئة والليل هاجد

فلما وصلت الابيات الى أبي جعفر وقع على كل بيت منها صدقت ودعا به فألحقه باخوانه ۞(معاتبة الصديق واستبقاء مودته)۞ قالت الحكماء مما يجب للصديق على الصديق الاغضاء عن زلاته والتجاوز عن سيآته فان رجع وأعتب والا عاتبته بلا اكثار فان كثرة العتاب مدرجة للقطيعة (وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه) لا تقطع أخاك على ارتياب ولا تهجره دون استعتاب (وقال أبو الدرداء) من لك بأخيك كله (وقالوا) أي الرجال المهذب (وقال بشار العقيلي)

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

(وقالوا) معاتبة الاخ خير من فقده (وقال الشاعر)

اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقي العتاب

(ولاحمد بن أبان) اذا أنا لم أصبر على الذنب من أخ * وكنت أجازيه فأين التفاضل
ولكني أداريه فان صح سرني * وان هو أعيا كان فيه تحامل

وقال الاحنف من حق الصديق أن يحتمل ثلاثا ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة (لعبد الله بن معاويه)

واست بيادي صاحبي بقطيعة * ولست بمفش سره حين يغضب
عليك باخوان الثقة فانهم * قليل فصلهم دون من كنت تصحب
وما الخدن الا من صفا لك وده * ومن هو ذو نصح وأنت مغيب

۞(فضل الصداقة على القرابة)۞ قيل لابزرجمهر من أحب اليك أخوك أو صديقك فقال ما أحب أخي الا اذا كان لي صديقا (وقال أكثم بن صيفي) القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة (وقال عبد الله بن عباس) القرابة تقطع والمعروف يكفر وما رأيت كتقارب القلوب (وقالوا) اياكم

ومن

فلولا أول هذه الابيات مما
مليته عليك من قول جميل
وما صاديات حمن يوما وليلة
على الماء يغشين العصي حوانى
لواغب لم يصدرن عنه لوجهة
ولا هن من برد الحياض دوانى
يرين حباب الماء والموت دونه
فهن لاصوات السقاة روانى
بأكثر مني غلة وصبابة
اليك ولكن العدو عرانى
وأخذت آخرها من قول رؤبة
ابن العجاج
اني وان لم ترني فانني
أخوك والراعي اذا استرعيتني
أراك بالود وان لم ترني
فاستخفني في ذلك ونسب الى
سوء الادب (وكان أبو العباس)
عبد الله بن المعتز في المنصب
العالي من الشعر والنثر وفي النهاية
من اشراق ديباجة البيان والغاية
من رقة حاشية اللسان وكان كما
قال المرزبان اذا انصرف من
بديع الشعر الى رقيق النثر أتى
بحلال السحر وليس بعد ذي
الرمة أكثر افتنانا وأكثر تصرفا
واحسانا في التشبيه منه وانما
فرقت جملة ما اخترت من شعره
ونثره في جملة هذا الكتاب لئلا
اخرج عما تقدم به الشرط في
البسط وآتي ههنا ببعض ما اختاره
له قال

وفتيان سروا والليل داج
وضوء الصبح منهم الطلوع
كأن بزاتهم أمراء جيش
على أكتافهم صدأ الدروع
(وقال أيضا)
في ليلة أكل المحاق هلالها
حتى تبدى مثل وقف العاج
والصبح يتلو المشتري فكأنه
عريان يمشي في الدجى بسراج

ومن تكرهه قلوبكم فان القلوب تجازى القلوب (وقال عبد الله بن طاهر الخراسانى)

أميل مع الرفاق على ابن أمى * واحمل للصديق على الشقيق
وان ألفيتنى ملكا مطاعا * فانك واجدى عبد الصديق
افرق بين معروفى ومنى * واجمع بين مالى والحقوق

(وقال حبيب الطائى)

ولقد سبرت الناس ثم خبرتهم * ووصفت ما وصفوا من الاسباب
فاذا القرابة لا تقرب قاطعا * واذا المودة أقرب الانساب

(وللبرد) ما القرب الا لمن صحت مودته * ولم يخنك وليس القرب للنسب
كم من قريب دوى الصدر مضطغن * ومن بعيد سليم غير مقترب

(وقالت الحكماء) رب أخ لك لم تلده امك (وقالوا) القريب من قرب نفعه (وقالوا) رب بعيد اقرب من قريب (وقال آخر) رب بعيد ناصح الجيب * وابن أب متهم الغيب

وقال آخر أخو ثقة يسر ببعض شأنى * وان لم تدنه منى قرابه
أحب الى من أنى قريب * تبيت صدورهم لى مسترابه

وقال آخر فصل حبال البعيد ان وصل الحبل واقص القريب ان قطعه
قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
فارض من الدهر ما أتاك به * من قر عينا بعيشه نفعه

وقال لكل ضيق من الهموم سعه * والليل والصبح لا بقاء معه
لا تهين الفقير علك ان * تركع يوما والدهر قد رفعه

(وقال ابن هرمة) لله درك من فتى فجعت به * يوم البقيع حوادث الايام
هش اذا نزل الوفود ببابه * سهل الحجاب مؤدب الخدام
واذا رأيت صديقه وشقيقه * لم تدر ايهما اخو الارحام

(التحبب الى الناس) فى الحديث المرفوع أحب الناس الى الله أكثرهم تحببا الى الناس (وفيه) ايضا اذا أحب الله عبدا حببه الى الناس (ومن قولنا فى هذا المعنى)

وجه عليه من الحياء سكينة * ومحبة تجرى مع الانفاس
واذا أحب الله يوما عبده * ألقى عليه محبة للناس

(وكتب) عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سعد بن أبى وقاص ان الله اذا أحب عبدا حببه الى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم ان مالك عند الله مثل ما للناس عندك (وقال أبو دهمان) لسعيد بن مسلم ووقف الى بابه فحجبه حينا ثم اذن له فمثل بين يديه وقال ان هذا الامر الذى صار اليك وفى يديك قد كان فى يدى غيرك فامسى والله حديثا ان خيرا فخير وان شرا فشر فتحبب الى عباد الله بحسن البشر وتسهيل الحجاب ولين الجانب فان حب عباد الله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغض الله لانهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله (وقال الجارود) سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل (وقيل) لمعاوية من أحب الناس اليك قال من كانت له عندى يد صالحة قيل له ثم من قال من كانت لى عنده يد صالحة (وقال) محمد بن يزيد النحوى اتيت الخليل فوجدته جالسا على طنفسة صغيرة فوسع لى وكرهت أن أضيق عليه فانقبضت فاخذ بعضدى وقربنى الى نفسه وقال انه لا يضيق سم الخياط بمتحابين ولا تسع الدنيا متباغضين (ومن قولنا فى هذا المعنى)

صل من هويت وان أبدى معاتبة * فأطيب العيش وصل بين الفين
واقطع حبائل خدن لا تلائمه * فربما ضاقت الدنيا باثنين

(وقال) أيضا يصف فرسا
ولقد غدوت على طمر سابح
عقدت سنابكه عجاجة قسطل
متلثم لجم الحديد يلوكها
لوك الفتاة مساوكا من اسحل
ومحجل غير اليمين كأنه
متبختر يمشى بكم مسبل

(وقال)
قد اغتدى بفارح
مسوم يعبوب
ينفى الحصى بحافر
كالقدح المكبوب
قد ضحكت غرته
فى موضع التقطيب

(وقال أيضا)
ولقد وطئت الغيث يحملنى
طرف كلون الصبح حين وفد
يجتاب أطراف الصوار فالـ
ـد أخرى عليه اذا جرى بأشد
يمشى فيعرض فى العنان كما
صدف المعشق ذو الدلال وصد
فكأنه موج يذوب اذا
أطلقته فاذا حبست جمد

(وقال أيضا يصف سيفا)
ولى صارم فيه المنايا كوامن
فما ينتضى الا لسفك دماء
ترى فوق متنيه الفرند كأنه
بقية غيم رق دون سماء

(وقال يصف نارا)
مشهرة لا يحجب النخل ضوءها
كأن سيوفا بين عيدانها تجلى
يفرج أغصان الوقود اضطرامها
كما شقت الشقراء عن متنها جلا

(وقال بعض أهل العصر وهو السرى الموصلى)
يوم رذاذ ممسك الجيب
يضحك فيه السرور من كثب
ومجلس أسبلت ستائره
على شموس البهاء والحسب
وقد سرت خيل راحنا خببا

﴿صفة المحبة﴾ أبو بكر الوراق قال سأل المأمون عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ما هو فقال يا أمير المؤمنين اذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة انبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الاعضاء فتحرك لاشراقها طبائع الحياة فيتصور من ذلك خلق حاضر للنفس متصل بخواطرها يسمى الحب (وسئل) حماد الراوية عن الحب ما هو وقال الحب شجرة أصلها الفكر وعروقها الذكر واغصانها السهر واوراقها الاسقام وثمرتها المنية (وقال معاذ بن سهل) الحب اصعب ما ركب واسكر ما شرب وافظع ما لقي وأحلى ما اشتهى وأوجع ما بطن وأشهى ما علن وهو كما قال الشاعر

وللحب آفات اذا هي صرحت * تبدت علامات لها غرر صفر
فباطنه سقم وظاهره جوى * وأوله ذكر وآخره فكر

(وقالوا) لا يكن حبك كلفا ولا بغضك سرفا (وقال بشار العقيلي)

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدني اليك فان الحب أقصاني

وقال غيره

أحبك حبا لو تحبين مثله * أصابك من وجد على جنون
لطيفا مع الاحشاء أما نهاره * فدمع وأما ليله فأنين

﴿مواصلتك من كان يواصل أباك﴾ من حديث ابن أبي شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقطع من كان يواصل اباك تطفئ بذلك نورك فان ودك ود أبيك (وقال) عبد الله بن مسعود من بر الحي بالميت أن يصل من كان يصل أباه (وقال ابو بكر) الحب والبغض يتوارثان (ومن أمثالهم) في هذا المعنى لا تقتني من كلب سوء جروا (وقال الشاعر)

ترجو الوليد وقد أعياك والده * وما رجاؤك بعد الوالد الولدا

(واجتمع) عند ملك من ملوك العرب تميم بن مرة وبكر بن وائل فوقعت بينهما منازعة ومفاخرة فقالا أيها الملك أعطنا سيفين نتجالد بهما بين يديك حتى تعلم اينا أجلد فأمر الملك فنحت لهما سيفان من عود وأعطاهما فجعلا يضطربان مليا من النهار فقال بكر بن وائل * لو كان سيفانا حديدا قطعا * قال تميم ابن مرة * أو نحتا من جندل تصدعا * وحال الملك بينهما فقال تميم بن مرة لبكر بن وائل * أسا جلك العداوة ما بقينا * فقال له بكر * وان متنا نورثها البنينا * فيقال ان عداوة بكر وتميم من أجل ذلك الى اليوم (أبو زيد) قال أبو عبيدة نبي دكان بسجستان بنته بكر بن وائل فهدمته تميم ثم بنته تميم فهدمته بكر فتواقعوا في ذلك أربعة وعشرين وقيعة فقال ابن حلزة اليشكري في ذلك

قربي يا خلي ويحك درعي * لقحت حربنا وحرب تميم
اخوة فرشوا الذنوب علينا * في حديث من دهرهم وقديم
طلبوا صلحنا ولات أوان * ان ما يطلبون فوق النجوم

﴿الحسد﴾ قال علي رضي الله عنه لا راحة لحسود ولا اخاء لملول ولا محب لسيئ الخلق (وقال الحسن) ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد نفس دائم وحزن لازم وغم لا ينفد (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم كاد الحسد يغلب القدر (وقال معاوية) كل الناس أقدر أرضيهم الا حاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها (وقال الشاعر)

كل العداوة قد ترجى اماتتها * الا عداوة من عاداك من حسد

(وقال عبد الله بن مسعود) لا تعادوا نعم الله قيل له ومن يعادي نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله يقول الله في بعض الكتب الحسود عدو نعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي (وقال) الحسد أول ذنب عصي الله به في السماء وأول ذنب عصي الله به في الارض فأما في السماء فحسد ابليس لآدم وأما في الارض فحسد قابيل هابيل (ولأبي العتاهية)

يا رب ان الناس لا ينصفونني * وكيف ولو أنصفتهم ظلموني
وان كان لي شيء تصدوا لأخذه * وان جئت أبغي منهم منعوني
وان نالهم بذلي فلا شكر عندهم * وان أنا لم أبذل لهم شتموني

[illegible] وهمتي بالحبب
ألهبت نارنا فمنظرها
يغنيك عن كل منظر عجب
اذا ارتمت بالشرار فاطردت
على ذراها مطاردا للهب
رأيت ياقوتة مشبكة
تطير عنها قراضة الذهب
فانهض الى المجلس الذي ابتسمت
فيه رياض الجمال والادب
(وقال) بعض أهل العصر وهو
أبو الفرج الببغاء
فما قدم الغلام وأهدى
في كوانينه حياة النفوس
كان كالآبنوس غير محلى
فغدا وهو مذهب الآبنوس
لقي النار في ثياب حداد
فكسته مصبغات عروس
(وقال أبو الفضل الميكالي)
كأن الشرار على نارنا
وقد راق منظرها كل عين
سحالة تبر اذا ما علا
فاما هوففتات اللجين
(وقال) ابن المعتز يصف سحابة
وموقرة بثقل الماء جاءت
تهادى فوق اعناق الرياح
فباتت ليلها سحا وويلا
وهطلا مثل أفواه الجراح
كأن سماءها لما تجلت
خلال نجومها عند الصباح
رياض بنفسج خضل نراه
تفتح بينه نور الاقاح
(وقال)
ولجة للمنايا خضت غمرتها
بصارم ذكر صمصامة خذم
وقارح صبغ الحملان دهمته
بشهبة كاختلاط الصبح بالظلم
(وقال)
وليل كحل العين خضت ظلامه
بأزرق لماع وأبيض صارم
ومضبورة الاعضاد حرف كأنها

وان طرقتني نقمة فرحوا بها * وان صحبتني نعمة حسدوني

سأمنع قلبي ان يحن اليهم * واحجب عنهم ناظري وجفوني

(ابو عبيدة) معمر بن المثنى قال مرقيس بن زهير بلاد غطفان فرأى ثروة وعددا فكره ذلك فقيل له أيسوءك ما يسر الناس قال انك لا تدري ان مع النعمة والثروة التحاسد والتخاذل وان مع القلة التحاشد والتناصر (وقال) وكان يقال ما أثرى قوم قط الا تحاسدوا وتخاذلوا (وقال بعض الحكماء) ألزم الناس كآبة اربعة رجل حديد ورجل حسود وخليط الادباء وهو غير اديب وحكيم محتقر لدى الاقوام (علي ابن بشر المروزي) قال كتب الى ابن المبارك هذه الابيات

كل العداوة قد ترجى اماتتها * الا عداوة من عاداك من حسد

فان في القلب منها عقدة عقدت * وليس يفتحها راق الى الأبد

* الا الاله فان يرحم يحللها * وان اباه فلا ترجوه من احد

(سئل بعض الحكماء) أي اعدائك تحب أن يعود لك صديقا قال الحاسد الذي لا يرده الا زوال نعمتي (قال سليمان التيمي) الحسد يضعف اليقين ويسهر العين ويكثر الهم (الاحنف بن قيس) صلى على حارثة بن قدامة السعدي فقال رحمك الله كنت لا تحسد غنيا ولا تحقر فقيرا (وكان) يقال لا يوجد الحر حريصا ولا الكريم حسودا (وقال بعض الحكماء) جهد البلاء أن تظهر الخلة وتطول المدة وتعجز الحيلة ثم لا يعدم صديقا مواسيا عم شامتا وجارا حاسدا ووليا قد تحول عدوا وزوجة مختلفة وجارية مستعتبة وعبدا يحقرك وولدا ينتهرك فانظر اين موضع جهدك في الهرب (لرجل من قريش)

حسدوا النعمة لما ظهرت * فرموها بأباطيل الكلم

واذا ما الله أسدى نعمة * لم يضرها قول أعداء النعم

(وقيل) اذا سرك أن تسلم من الحاسد فعم عليه أمرك (وكانت) عائشة رضي الله عنها تتمثل بهذين البيتين

اذا ما الدهر جر على اناس * حوادثه اناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

(ولبعضهم) اياك والحسد الذي هو آفة * فتوقه وتوق غرة من حسد

ان الحسود اذا اراك مودة * بالقول فهو لك العدو المجتهد

(الليث بن سعد) قال بلغني ان ابليس لقي نوحا صلى الله عليه وسلم فقال له ابليس اتق الحسد والشح فاني حسدت آدم فخرجت من الجنة وشح آدم على شجرة واحدة منع منها حتى خرج من الجنة (وقال الحسن) أصول الشر وفروعه ستة فالاصول الثلاثة الحسد والحرص وحب الدنيا والفروع كذلك حب الرياسة وحب الثناء وحب الفخر (وقال الحسن) يحسد أحدهم أخاه حتى يقع في سريرته وما يعرف علانيته ويلومه على ما لا يعلمه منه ويتعلم منه في الصداقة ما يعيره به اذا كانت العداوة والله ما ارى هذا بمسلم (ابن ابي الدنيا) قال بلغني عن عمر بن ذر أنه قال اللهم من أرادنا بشر فاكفناه أي حكمتك شئت اما بتوبة واما براحة (قال ابن عباس) ما حسدت أحدا ما حسدت علي هاتين (وقال ابن عباس) لا تحقرن كلمة الحكمة ان تسمعها من الفاجر فانما مثله كما قال الاول رب رمية من غير رام (وقال بعض الحكماء) ما أمحق للايمان ولا اهتك للستر من الحسد وذلك ان الحاسد معاند لحكم الله باغ على عباده عات على ربه يعتد نعم الله نقما ومزيده غيرا وعدل قضائه حيفا للناس حال وله حال ليس يهدأ ليله ولا ينام جشعه ولا ينفعه عيشه محتقر لنعم الله عليه متسخط ما جرت به اقداره ولا يبرد غليله ولا تؤمن غوائله ان سالمته وترك وان واصلته قطعك وان صرمته سبقك * ذكر حاسد عند بعض الحكماء فقال يا عجباه لرجل اسلكه الشيطان مهاوي الضلالة وأورده قحم الهلكة فصار لنعم الله تعالى بالمرصاد ان أنالها من أحب من عباده أشعر قلبه الاسف على ما لم يقدر له وأغاره الكلف بما لم يكن لينا له

تصافح رضراض الحصى بمناسم

(وقال يصف حية)

نعت رقطاء لا يحيا لرقيتها

لو قدها السيف لم يعلق به بال

تلقى اذا انسلخت في الارض جلدتها

كأنها كم درع قد بطل

(وقال أيضا)

وأسأرمني الدهر عضبا مهندا

بفل شباخطبي وقلبا مشيعا

ورأيا كمرآة الصناع أرى به

سرائر غيب الدهر من حيثما سعى

(أخذه من قول المنصور لابنه المهدي)

لا تبرمن أمرا حتى تفكر فيه

فان فكرة العاقل مرآته تريه

قبيحه وحسنه ولما دفن المنصور

وقف الربيع على قبره فقال

رحمك الله يا امير المؤمنين

وغفر لك فقد كان لك حمى من

العقل لا يطير به الجهل وكنت

ترى باطن الامر بمرآة من الرأي

كما ترى ظاهره ثم التفت الى

يحيى بن محمد أخي المنصور فقال

هذا كما قال أبو دعبل

الجمحي

عقم النساء فما يلدن شبيهه

ان النساء بمثله عقم

وبعده

متهلل بنعم بلا متباعد

سيان منه الوفر والعدم

نزر الكلام من الحياء تخاله

صمتا وليس بجسمه سقم

أخذ البيت الاخير من قول

ليلى الاخيلية

لا تقرب الدهر آل مطرف

ان ظالما ابدا وان مظلوما

قوم رباط الخيل حول بيوتهم

وأسنة زرق يخلن نجوما

ومخرق عنه القميص تخاله

(أنشدني فتى بالرملة)

اصبرعلى حسد الحسو * دفان صبرك قاتله
النار تأكل بعضها * ان لم تجد ما تاكله

(وقال بعض أهل التفسير) فى قوله تعالى ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين انه أراد بالذى من الجن ابليس والذى من الانس قابيل وذلك ان ابليس أول من سن الكفر وقابيل أول من سن القتل وانما كان أصل ذلك كله الحسد (وقال) عبد الملك بن مروان للحجاج انه ليس من أحد الا وهو يعرف عيب نفسه فصف لى عيوبك قال اعفنى يا أمير المؤمنين قال لست أفعل قال انا لجوح لدود حقود حسود قال ما فى ابليس شئ من هذا (وقال) المنصور لسليمان بن معاوية المهلبى ما أسرع الناس الى قومك فقال يا أمير المؤمنين

ان العرانين تلقاها محسدة * ولن ترى للئام الناس حسادا

(وأنشد أبو موسى لنصر بن سيار)

انى نشأت وحسادى ذوو عدد * ياذا المعارج لاتنقص لهم عددا
ان يحسدونى على حسن البلاء بهم * فمثل حسن بلائى جر لى حسدا

(وقال آخر)

ان يحسدونى فانى غير لائمهم * قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم مابى ومابهم * ومات أكثرنا غيظا بما يجد

وقال آخر

ان الغراب وكان عشى مشية * فيما مضى من سالف الاحوال
حسد القطاة فرام يمشى مشيها * فاصابه ضرب من العقال

(وقال حبيب الطائى)

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

(وقال محمد بن مناذر)

ياأيها العائبى ومابى من * عيب ألا ترعوى وتزدجر * هل لك عندى وترة تطلبه
أم أنت مما أتيت معتذر * ان لك قسم الاله فضلنى * وأنت صلد ما فيك معتصر
فالحمد والشكر والثناء له * وللحسود التراب والحجر * فما الذى يجتنى جليسك أو
يبدو له منك حين يختبر * اقرأ لنا سورة تذكرنا * فان خير المواعظ السور
أوصف لنا الحكم فى فرائضنا * ما تستحق الانثى أو الذكر * أوارو فقها تحيا القلوب به
جاء به عن نبينا الاثر * أو من أعاجيب جاهليتنا * فانها حكمة ومعتبر
أوارو عن فارس لنا مثلا * فان أمثالها لنا عبر * فان تكن قد جهلت ذاك وذا
ففيك للناظرين معتبر * فغن صوتا تشجى القلوب به * وبعض ما قد أتيت يغتفر

(الاصمعى) قال كان رجل من أهل البصرة بذيا شريرا يؤذى جيرانه ويشتم اعراضهم فاتاه رجل فوعظه فقال له ما بال جيرانك يشكونك قال انهم يحسدونى قال له على أى شئ يحسدونك قال على الصلب قال وكيف ذاك قال أقبل معى فاقبل معه الى جيرانه فقعد متحازنا فقالوا له مالك قال طرق الليلة كتاب معاوية أن أصلب أنا ومالك بن المنذر وفلان وفلان فذكر رجالا من أشراف أهل البصرة فوثبوا عليه وقالوا يا عدو الله أنت تصلب مع هؤلاء ولا كرامة لك فالتفت الى الرجل فقال أما تراهم قد حسدونى على الصلب فكيف لو كان خيرا (وقيل) لابى عاصم النبيل ان يحيى بن سعيد يحسدك وربما قرظك فانشأ يقول

وشر الموت من اللماسة ما
تحت اذا رفع اللواء رأيته
يوم الهياج على الخميس زعيما

(وقال)

يشبهون ملوكا فى تجلتهم
وطول منصبة الاعناق واللمم
اذا بدا المسك يجرى فى مفارقهم
راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(وقال أبو على الحاتمى) وما أحسن أبياتا أنشدها أبو عمر المطرز غلام ثعلب يعترض فى أثنائها هذا المعنى

تخالهم للعلم صما عن الخنا
وخرسا عن الفحشاء عند التهاتر
ومرضى اذا لاقوا حياء وعفة
وعند الحروب كالليوث الخوادر
لهم عز انصاف وذل تواضع بهم
ولهم ذلت رقاب العشائر كان
بهم وصما يخافون عاره وليس
بهم الا وتقاء المعاثر (وأنشد)
أحلام عاد لايخاف جليسهم
وان نطق العوراء عذب لسان
اذا حدثوا لم يخش سوء استماعهم
وان حدثوا أدوا بحسن بيان

(وقال ابن المعتز)

وعاقد زنار على غصن الآس
دقيق المعانى مخطف الخصر مياس
سقانى عقارا صب فيها مزاجها
فاضحك عن ثغر الحباب فم الكاس

(وقال)

ياليلة نسى الزمان بها
أحداثه كونى بلا فجر
باح المساء ببدرها ووشت
فيها الصبا بمواقع القطر

فلست بحى ولاميت * اذالم تعادولم تحسد

(محاسدة الاقارب) كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أبى موسى الاشعرى مرذوى القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا (وقال) اكثم بن صيفى تباعدوا فى الدار تقاربوا فى المودة (وقالوا) أزهد الناس فى عالم أهله (فرج بن سلام) قال وقف أمية بن أبى الاشكر على ابن عم له فقال

نشدتك بالبيت الذى طاف حوله * رجال بنوه من لؤى بن غالب

فانك قد جربتنى فوجدتنى * أعينك فى الجلى وأكفيك جانبى

وان دب من قوم اليك عداوة * عقاربهم دبت اليك عقاربى

قال نعم كذلك أنت قال فما بال مثلك لا يزال الى دسيسا قال لا أعود قال قد رضيت وعفا الله عما سلف (وقال) يحيى بن سعيد من أراد أن يبين عمله و يظهر علمه فليجلس فى غير مجلس رهطه (وقالوا) الاقارب هم العقارب (وقيل) لعطاء بن مصعب كيف غلبت على البرامكة وكان عندهم من هو آدب منك قال كنت بعيد الدار منهم غريب الاسم عظيم الكبر صغير الجرم كثير الالتواء فقربنى اليهم تبعدى منهم ورغبهم فى رغبتى عنهم وليس للقرباء ظرافة الغرباء (وقال) رجل لخالد بن صفوان انى أحبك قال وما يمنعك من ذلك ولست لك بجار ولا أخ ولا ابن عم يريد ان الحسد موكل بالادنى فالادنى (الشيبانى) قال خرج أبو العباس أمير المؤمنين متنزها بالانبار فامعن فى نزهته وانتبذ من أصحابه فوافى خباء لاعرابى فقال له الاعرابى ممن الرجل قال من كنانة قال من أى كنانة قال من أبغض كنانة الى كنانة قال فانت اذا من قريش قال نعم قال فمن أى قريش قال من أبغض قريش الى قريش قال فانت اذا من ولد عبد المطلب قال نعم قال فمن أى ولد عبد المطلب أنت قال من أبغض ولد عبد المطلب الى ولد عبد المطلب قال فانت اذا أمير المؤمنين السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فاستحسن ما رأى منه وأمر له بجائزة (وقال ذو الاصبع العدوانى)

لى ابن عم على ما كان من خلق * محاسد لى اقليه ويقلينى

ازرى بنا اننا شالت نعامتنا * فخالنى دونه أوخلته دونى

ياعمرو الاتدع شتمى ومنقصتى * اضربك حتى تقول الهامة اسقونى

ماذا على وان كنتم ذوى رحمى * أن لا أحبكم ان لم تحبونى

لا أسأل الناس عما فى ضمائرهم * ما فى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

وقال آخر

مهلا بنى عمنا مهلا موالينا * لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

لا تجمعوا ان تهينونا ونكرمكم * وأن نكف الاذى عنكم وتؤذونا

الله يعلم انا لا نحبكم * ولا نلومكم ان لم تحبونا

وقال آخر

ان النفوس لاجناد مجندة * بالاذن من ربنا تجرى وتختلف

فما تعارف منها فهو مؤتلف * وما تناكر منها فهو مختلف

وقال أيضا

ذو الود منى وذو القربى بمنزلة * واخوتى اسوة عندى واخوانى

عصابة جاورت آدابهم أدبى * فهم وان فرقوا فى الارض جيرانى

وقال أيضا

ان نفترق نسبا يؤلف بيننا * أدب أقمناه مقام الوالد

أونختلف فالوصل منا ماؤه * عذب تحدر من غمام واحد

(وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم الانفس اجناد مجندة وانها اتتسام فى الهوى كما تتسام الخيل فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف (وقال) صلى الله عليه وسلم الصاحب رقعة فى الثوب فلينظر الانسان بم يرقع ثوبه (وقال) عليه الصلاة والسلام اعتبروا الناس باخوانهم (وقال الشاعر)

فاعتبروا الارض بسكانها * واعتبروا الصاحب بالصاحب

ثم انقضت والقلب يتبعها
فى حيثما سقطت من الدهر
(وقال)
يارب اخوان صحبتهم
لا عل يكون اسلوة قلبا
لو تستطيع قلوبهم نفرت
أجسامهم فتعانقت حبا
(هذا كقول ابن الرومى)
أعانقه والنفس بعد مشوقة
اليه وهل بعد العناق تدان
وألثم فاه كى تزول حرارتى
فيشتد ما ألقى من الهيمان
ولم يك مقدار الذى بى من الجوى
ليروبه ما قد ترشف الشفتان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله
سوى أن يرى الروحان تمتزجان
(ومن منثوره) لا يزال الاخوان يسافرون فى المودة حتى يبلغوا الشقة فاذا بلغوها ألقوا عصا التسيار واطمأنت بهم الدار وأقبلت وفود النصائح وأمنت خبايا الضمائر فحلوا عقد التحفظ ونزعوا ملابس التخلق (وله) وسار فلان فى جيوش عليهم أردية السيوف وأقمصة الحديد وكأن رماحهم قرون الوعول وكأن ادراعهم زبد السيول على خيل تأكل الارض بحوافرها وتمد بالنقع سرادقها قد نشرت فى وجوهها غرر كأنها صحائف الرق وأمسكها تحجيل كأنه أسورة اللجين وقرطت عذرا كأنها الشنف تتلقف الاعداء أوائله ولم تنهض أواخره قد صب عليهم وقار الصبر وهبت معهم ريح النصر (وله فى عليل) أذن الله فى شفائك وتلقى داءك بدوائك ومسح بيد العافية عليك ووجه وفد السلامة اليك وجعل علتك

(وقالوا) كل ألف الى الفه ينزع (وقال الشاعر)

والالف ينزع نحو الاليف كما * طير السماء على ألافها تقع

(وقال امرؤ القيس) اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

(وقال آخر)

اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم * ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

(وقال آخر) اصحب ذوي الفضل وأهل الدين * فالمرء منسوب الى القرين

(أيوب) بن سليمان قال حدثنا أبان بن عيسى عن أبيه عن ابن القاسم قال بينما سليمان بن داود عليهما السلام تحمله الريح اذ مر بنسر واقع على قصر فقال له كم لك مذ وقعت ههنا قال سبعمائة سنة قال فمن بنى هذا القصر قال لا أدري هكذا وجدته ثم نظر فاذا فيه كتاب منقور بابيات من شعر وهي

خرجنا من قرى اصطخر * الى القصر فقلناه * فمن يسأل عن القصر

فبنيا وجدناه * فلا تصحب أخا السوء * واياك واياه *

فكم من جاهل أردى * حكيما حين آخاه * يقاس المرء بالمرء

اذا ما المرء ماشاه * وفي الناس من الناس * مقاييس واشباه

وفي العين غنى للعين أن تنطق أفواه

﴿السعاية والبغي﴾ قال الله تعالى ذكره يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم (وقال) عز وجل ثم بغي عليه لينصرنه الله (وقال الشاعر)

فلا تسع على أحد ببغي * فان البغي مصرعه وخيم

(وقال العتابي) بغيت فلم تقع الا صريعا * كذاك البغي يصرع كل باغ

(وقال) المأمون يوما لبعض ولده اياك أن تصغي لاستماع قول السعاة فانه ما سعى رجل برجل الا انحط من قدره عندي ما لا يتلافاه أبدا (ووقع) في رقعة ساع سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (ووقع) في رقعة رجل سعى اليه ببعض عماله قد سمعنا ما ذكره الله عز وجل في كتابه فانصرف رحمك الله وكان اذا ذكر عنده السعاة قال ما ظنكم بقوم يلعنهم الله على الصدق (وسعى) رجل الى بلال بن أبي بردة فقال له انصرف حتى أكشف عما ذكرت ثم كشف عن ذلك فاذا هو لغير رشدة فقال أنا أبو عمرو ما كذبت ولا كذبت حدثني أبي عن جدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الساعي لغير رشدة (وسأل) رجل عبد الملك الخلوة فقال لاصحابه اذا شئتم فقوموا فلما تهيأ الرجل للكلام قال له اياك أن تمدحني فانا أعلم بنفسي منك أو تكذبني فانه لا رأي لكذوب أو تسعى الي بأحد وان شئت أقلتك قال أقلني (ودخل) رجل على الوليد بن عبد الملك وهو والي دمشق لابيه فقال للامير عندي نصيحة فقال ان كانت لنا فاذكرها وان كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها قال جار لي عصى وفر من بعثه قال أما أنت فتخبر انك جار سوء وان شئت أرسلنا معك فان كنت صادقا أقصيناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت تاركناك قال تاركني (وفي سير العجم) ان رجلا وشى برجل الى الاسكندر فقال أتحب أن نقبل منه عليك ومنك عليه قال لا قال فكف عن الشر يكف عنك الشر (وقال الشاعر)

اذا الواشي بغى يوما صديقا * فلا تدع الصديق لقول واش

(وقال) ذو الرياستين قبول النميمة شر من النميمة لان النميمة دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ كمن قبله واجازه (ذكر) السعاة عند المأمون فقال لو لم يكن في عيبهم الا انهم أصدق ما يكونون أبغض ما يكونون الى الله تعالى (وعاتب) مصعب بن الزبير الاحنف في شئ فانكره فقال أخبرني الثقة قال كلا ان الثقة لا يبلغ وقد جعل الله السامع شريك القائل وقال سماعون للكذب أكالون

للسحت

المذوابك (وكتب) الى عبيد الله بن سليمان بن وهب في يوم عيد أخرتني العلة عن الوزير أعزه الله فحضرت بالدعاء في كتابي لينوب عني ويعمر ما أخلته العوائق مني وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العيد أعظم الاعياد السالفة بركة على الوزير ودون الاعياد المستقبلة فيما يحب ويحب له ويقبل ما توسل به الى مرضاته ويضاعف الاحسان اليه على الاحسان منه ويمتعه بصحبة النعمة ولباس العافية ولا يريه في مسرة نقصا ولا يقطع عنه مزيدا ويجعلني من كل سوء فداءه ويصرف عيون الغير عنه وعن حظي منه (وله الى بعض الرؤساء) لا تشن حسن الظفر بقبح الانتقام وتجاوز عن كل مذنب لم يسلك من الاقتدار طريقا حتى اتخذ من رجاء عفوك رفيقا (وله اعتذار الى القاسم بن عبيد الله) ترفع عن ظلمي ان كنت بريا وتفضل بالعفو ان كنت مسيئا فوالله اني لاطلب عفو ذنب لم أجنه والتمس الاقالة مما لا أعرفه لتزداد تطولا وأزداد تذللا وأنا أعيذ حالي عندك بكرمك من واش يكيدها واحرسها بوفائك من باغ يحاول افسادها وأسأل الله تعالى أن يجعل حظي منك بقدر ودي لك ومحلي من رجائك بحيث استحق منك (وله اليه) لو كان في الصمت موضع يسع حالي لخففت عن سمع الوزير ونظره ولم أشغل وجها من فكره ولازالت الشكوى تعرب عن لسان البلوى ومن

للصمت (وقال) حسبك من شر سماعه وقال الشاعر

لعمرك ماسب الامير عدوه * ولكنما سب الامير المبلغ

وقال آخر

لاتقبلن نميمة بلغتها * وتحفظن من الذى أنباكها

لاتنقشن برجل غيرك شوكة * فتقى برجلك رجل من قد شاكها

ان الذى انباك عنه نميمة * سيدب عنك بمثلها قد حاكها

وقال دعبل

وقد قطع الواشون ماكان بيننا * ونحن الى ان نوصل الحبل احوج

رأوا عورة فاستقبلوها بالهم * ولم ينههم حلم ولم يتحرجوا

وكانوا اناسا كنت آمن غيبهم * فراحوا على مالايحب فادلجوا

(الغيبة) قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا قلت فى الرجل مافيه فقد اغتبته واذا قلت ماليس فيه فقد بهته (ومر) محمد بن سيرين بقوم فقام اليه رجل منهم فقال أبا بكر انا قد نلنا منك فحللنا فقال انى لا احل ما حرم الله (وكان) رقبة بن مصقلة جالسا مع أصحابه فذكروا رجلا بشئ فاطلع ذلك الرجل فقال بعض أصحابه الا اخبره بما قلنا فيه لئلا يكون غيبة قال أخبره حتى يكون نميمة (اغتاب) رجل رجلا عند قتيبة بن مسلم فقال له أمسك عليك ايها الرجل فوالله لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام (محمد بن مسلم الطائفى) قال جاء رجل الى ابن سيرين فقال بلغنى انك نلت منى قال نفسى أعز من ذلك (وقال) لبكر بن محمد بن عصمة بلغنى انك تقع فى قال انت اذا على أكرم من نفسى (ووقع) رجل فى طلحة والزبير عند سعد بن ابى وقاص فقال له اسكت فان الذى بيننا لم يبلغ ديننا (وعاب) رجل رجلا عند بعض الاشراف فقال له قد استدللت على كثرة عيوبك بما تكثر من عيوب الناس لان طالب العيوب انما يطلبها بقدر مافيه منها اما سمعت قول الشاعر

لاتهتكن من مساوى الناس ما ستروا * فيهتك الله سترا من مساويكا

واذكر محاسن مافيهم اذا ذكروا * ولا تعب احدا منهم بما فيكا

وقال آخر

لاتنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فان انتهت عنه فأنت حكيم

(وقال) محمد بن السماك تجنب القول فى أخيك لخلتين اما واحدة فلعلك تعيبه بشئ هو فيك واما الاخرى فان يكن الله عافاك مما ابتلاه كان شكرك الله فيه على العافية تعييرا لاخيك على البلاء (وقيل) لبعض الحكماء فلان يعيبك قال انما يقرض الدرهم الوازن (وقيل) لعمرو بن عبيد لقد وقع فيك ايوب السختيانى حتى رحمناك قال اياه فارحموا (وقال) ابن عباس اذكر اخاك اذا غاب عنك بما تحب ان تذكر به ودع منه ما تحب ان يدع منك (وقدم) العلاء بن الحضرمى على النبى صلى الله عليه وسلم فقال له هل تروى من الشعر شيأ قال نعم قال فانشدنى فانشده

تحبب ذوى الاضغان تسب نفوسهم * تحببك القربى فقد ترقع النعل

وان حسدوا بالكفر فاعف تكرما * وان غيبوا عنك الحديث فلا تسل

فان الذى يؤذيك منه سماعه * وان الذى قالوا وراءك لم يقل

فقال النبى عليه السلام ان من الشعر لحكمة (وقال) الحسن البصرى لاغيبة فى ثلاثة فاسق مجاهر وامام جائر وصاحب بدعة لم يدع بدعته (وكتب الكسائى الى الرقاشى)

تركت المسجد الجامـع والترك له ريبة * فلا نافلة تقضى * ولا تقضى لمكتوبه

واخبارك تأتينا * على الاعلام منصوبه * فان زدت من الغيبـة زدناك من الغيبه

(مداراة أهل الشر) قال النبى عليه الصلاة والسلام شر الناس من أتقاه الناس لشره (وقال) عليه الصلاة والسلام اذا لقيت اللئيم فخالقه واذا لقيت الكريم فخالطه (وقال) أبو الدرداء انا لنكشر

اختلت حالته كان فى الصمت هلكته وقد كان الصبر ينصرنى على ستر امرى حتى خذلنى (وهذا كقول أحمد بن اسمعيل) فصاحة الشكوى على قدر البلوى الا ان يكون بالشاكى انقباض وبالمشكو اليه اعراض (وقد احسن) أبو العباس بن المعتز فى صفة الماء فى ارجوزته التى انشدتم ما آنفا وقد قال فى قصيدة له وذكر ابلا

فتبدى لهن بالنجف الما
ء برماء صافى الجمام عرى
يمشى على حصى يسلب الما
ء قذاه فتنه مجلى
واذا داخلته درة شمس
حلته كسرت عليه الحلى

(وقال)

لامثل منزلة الدويرة منزل
يادار جادك وابل وسقاك
بؤس الدهر غيرتك صروفه
لم يمح من قلبى الهوى ومحاك
لم يحل للعينين بعدك منظر
ذم المنازل كلهن سواك
أى المعاهد منك أندب طيبه
ممساك بالآصال أم مغداك
أم برد ظلك ذى الغصون وذى الجنى
أم أرضك الميثاء أم رياك
وكأنما سطعت مجامر عنبرا
أوفت فأر المسك فوق ثراك
وكأنما حصباء أرضك جوهر
وكأن ماء الورد دمع نداك
وكأنما أيدى الربيع ضحية
نشرت ثياب الوشى فوق رباك
وكأن درعا مفرغا من فضة
ماء الغدير جرت عليه صباك

(وعشقت) عاتكة المرية ابن عم لها فراودها عن نفسها فقالت فـاطم ماء أى ماء تقوله
تحدر عن غر طوال الذوائب

فى وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم (وسئل) شبيب بن شبة عن خالد بن صفوان فقال ليس له صديق فى السر ولا عدو فى العلانية (وقال) الاحنف رب رجل لا تغيب فوائده وان غاب وآخر لا يسلم منه جليسه وان احترس (وقال) كثير بن هراسة ان من الناس ناسا ينقصونك اذا زدتهم وتهون عندهم اذا خاصصتهم ليس لرضاهم موضع تعرفه ولا لسخطهم موضع تحذره فاذا عرفت أولئك باعيانهم فابذل لهم موضع المودة واحرمهم موضع الخاصة يكن ما بذلت لهم من المودة حائلا دون شرهم وما حرمتهم من الخاصة قاطعا لحرمتهم (وانشد العتبى)

لى صديق يرى حقوقى عليه * نافلات وحقه الدهر فرضا
لو قطعت البلاد طولا اليه * ثم من بعد طولها سرت عرضا
لرأى ما فعلت غير كثير * واشتهى ان يزيد فى الارض أرضا

(وفى هذه الطبقة من الناس من يقول فيه دعبل الخزاعى)

اسقهم السم ان ظفرت بهم * وامزج لهم من لسانك العسلا

(كتب) سهل بن هرون الى موسى بن عمران فى أبى هذيل العلاف

ان الضمير اذا سألتك حاجة * لابى الهذيل أخاف ما أبدى
حتى اذا طالت شقارته * وعناؤه وأجبه بالرد

(وقال صالح بن عبد القدوس)

تجنب صديق السوء واصرم حباله * وان لم تجد عنه محيصا فداره
ومن يطلب المعروف من غير أهله * يجده وراء البحر أو فى قراره
ولله فى عرض السموات جنة * ولكنها محفوفة بالمكاره

وقال آخر

بلاء ليس يشبهه بلاء * عداوة غير ذى حسب ودين
يبيحك منه عرضا لم يصنه * ليرتع منك فى عرض مصون

(عرض) على أبى مسلم صاحب الدعوة فرس جواد فقال لقواده لماذا يصلح مثل هذا الفرس قالوا انا نغزو عليه العدو قال لا ولكن يركبه الرجل فيهرب عليه من جار السوء (ذم الزمان) قالت الحكماء جبل الناس على ذم زمانهم وقلة الرضا عن أهل عصرهم (فمنه) قولهم رضا الناس غاية لا تدرك (وقولهم) لا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة (وقولهم) الناس يعيرون ولا يغفرون والله يغفر ولا يعير (وفى الحديث) لو أن المؤمن كالقدح لقال الناس ليس ولولا (وقال الشاعر)

من لابس الناس لم يسلم من الناس * وضرسوه بانياب واضراس

(هشام بن عروة) عن أبيه عن عائشة انها قالت رحم الله لبيدا كان يقول

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

فكيف لو ابصر زماننا هذا لقد كان بعضهم يقول ذهب الناس وبقى النسناس فكيف لو ادرك زماننا هذا (قال) عروة ونحن نقول رحم الله عائشة فكيف لو ادركت زماننا هذا (دخل) مسلم بن يزيد بن وهب على عبد الملك بن هرون فقال له عبد الملك أى زمان ادركت افضل وأى الملوك أكمل قال أما الملوك فلم أر الا حامدا أو ذاما وأما الزمان فيرفع أقواما ويضع أقواما وكلهم يذم زمانه لانه يبلى جديدهم ويفرق عديدهم ويهرم صغيرهم ويهلك كبيرهم (وقال الشاعر)

أيا دهر ان كنت عاديتنا * فها قد صنعت بنا ما كفا
جعلت الشرار علينا خيارا * وولّيتنا بعد وجه قفا

(وقال آخر)

اذا كان الزمان زمان تيم * وعكل فالسلام على الزمان
زمان صار فيه الصدر عجزا * وصار الزج قدام السنان

يخرج من بطن واد تقابلت
عليه رياح الصيف من كل جانب
نفت جرية الماء القذى عن متونه
فما ان به عيب تراه لشارب
باطيب ممن يقصر الطرف دونه
تقى الله واستحياء بعض العواقب
(وانشد الاصمعى) قال أنشدنى أبو عمرو بن العلاء لجابر بن الارق وقال هو احسن ما قيل فى معناه
ايا ويح نفسى كلما التحت لوحة
على شربة من ماء احواض مارب
بقايا نطاف أودع الغيم صفوها
مصقلة الارجاء زرق المشارب
ترقرق دمع المزن فيهن والتوت
عليهن أنفاس الرياح الغرائب
(وانشد) اسحق بن ابراهيم لابيرد اليربوعى ورويت لمضرس بن ربعى الاسدى
فألقت عصا التسيار عنها وخيمت
بارجاء عذب الماء زرق محافره
أزال القذى عن مائه وافد الصبا
يروح عليه ناسما ويباكره
وأول من أتى بهذا زهير بن أبى سلمى فى قوله
فلما وردن الماء زرقا جمامه
وضعن عصى الحاضر المتخيم
(وقال ابن الرومى)
وما عجلت من حوضته القذى
من الريح معطار الاصائل والبكر
به عبق مما تسحب فوقه
نسيم الصبا يجرى على النور والزهر
ويتعلق بهذا الباب قول البحترى يصف بركة الجعفرى وهو قصر ابتناه المتوكل فى

لعل

لعل زماننا سيعود يوما * كما عاد الزمان على بطان

(ابو جعفر) الشيبانى قال أتانا يوما أبو نواس الشاعر ونحن فى جماعة فقال ما أنتم وما تتذاكرون قلنا نذكر الزمان وفساده قال كلا انما الزمان وعاء وما ألقى فيه من خير أوشر كان على حاله ثم أنشأ يقول

أرى حللا تصان على أناس * واخلاقا تداس فما تصان

يقولون الزمان به فساد * وهم فسدوا وما فسد الزمان

(أنشد فرج بن سلام)

هذا الزمان الذى كنا نحذره * فيما يحدث كعب وابن مسعود

ان دام ذا الدهر لم نحزن على أحد * يموت منا ولم نفرح بمولود

(وقال حبيب الطائى)

لم ابك فى زمن لم أرض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم

(وقال آخر فى طاهر بن الحسين)

اذا كانت الدنيا تنال بطاهر * تجنبت منها كل ما فيه طاهر

واعرضت عنها عفة وتكرما * وارجئتها حتى تدور الدوائر

(وقال) مؤمن بن سعيد فى معقل الضبى وابن أخيه عثمان

لقد ذلت الدنيا وقد ذل أهلها * وقدمها أهل الندى والتفضل

اذا كانت الدنيا تجود بخيرها * الى مثل عثمان ومثل المحول

ففى است ام دنيانا وفى است ام خيرها * وفى است ام عثمان وفى است ام معقل

(وقال محمد بن مناذر)

ياطالب الاشعار والنحو * هذا زمان فاسد الحشو * نهاره أوحش من ليله

ونشوه من أخبث النشو * فدع طلاب النحو لا تبغه * ولا تقل شعرا ولا تروه

فما يجوز اليوم الا امرؤ * مستحكم العرف أو الشذو * أو طرمذان قوله كاذب

* لا يفعل الخير ولا يزو *

(ومن قولنا فى هذا المعنى)

رجاء دون أقربه السحاب * ووعد مثل ما لمع السراب * ودهر سادت العبدان فيه

وعاثت فى جوانبه الذئاب * وأيام خلت من كل خير * ودنيا قد تدرعها الكلاب

كلاب لو سألتهم ترابا * لقالوا عندنا انقطع التراب

يعاقب من أساء القول فيهم * وان يحسن فليس له ثواب

(كتب) عمرو بن بحر الجاحظ الى بعض اخوانه فى ذم الزمان بسم الله الرحمن الرحيم حفظك الله حفظ من وفقه للقناعة واستعمله بالطاعة كتبت اليك وحالى حال من كثفت غمومه واشكلت عليه اموره واشتبه عليه حال دهره ومخرج امره وقل عنده من يثق بوفائه أو يحمد مغبة اخائه لاستحالة زماننا وفساد أيامنا ودولة انذالنا وقدما كان من قدم الحياء على نفسه وحكم الصدق فى قوله وآثر الحق فى أموره ونبذ المشتبهات عليه من شؤنه تمت له السلامة وفاز بوفور حظ العافية وحمد مغبة مكروه العاقبة فنظرنا ذحال عندنا حكمه وتحولت دولته فوجدنا الحياء متصلا بالحرمان والصدق آفة على المال والقصد فى الطلب بترك استعمال القحة واخلاق العرض من طريق التوكل دليلا على مخافة الرأى اذ صارت الحظوة الباسقة والنعمة السابغة فى لؤم المشيئة وسناء الرزق من جهة محاشاة الرخاء وملابسة معرة العار ثم نظرنا فى تعقب المتعقب لقولنا والكاسر لحجتنا فأوجدناه علما واضحا وشاهدا قائما ومنارا بينا اذ وجدنا من فيه السفولية الواضحة والمثالب الفاضحة والكذب المبرح والخلف

مرءمن رأى

يامن رأى البركة الحسنا

ورونقها

والآنسات اذا لاحت معانيها

مابال دجلة كالغيرا تنافسها

فى الحسن طورا وأطوارا تباهيها

اذا علتها الصبا أبدت لها حبكا

من الجواشن مصقولا حواشيها

فحاجب الشمس احيانا يغازلها

وريق الغيث أحيانا يباكيها

اذا النجوم تراءت فى جوانبها

ليلا حسبت سماء ركبت فيها

كانما الفضة البيضاء سائلة

من السبائك تجرى فى مجاريها

تنصب فيها وفود الماء معجلة

كالخيل خارجة من حبل مجريها

كان جن سليمان الذين ولوا

ابداعها فأدقوا فى معانيها

فلو تمر بها بلقيس معرضة

قالت هى الصرح تمثيلا وتشبيها

لا يبلغ السمك المقصور غايتها

لبعد ما بين قاصيها ودانيها

يعمن فيها بأوساط مجنحة

كالطير تنشر فى جو خوافيها

ولم ينفق أحد من خلفاء بنى العباس فى البناء ما أنفقه المتوكل وذلك أنه انفق فى أبنيته ثلثمائة ألف ألف وفى أبنيته يقول

(على بن الجهم)

ومازلت أسمع أن الملو

ك تبنى على قدر أخطارها

واعلم أن عقول الرجا

ل يقضى عليها بآثارها

صحون تسافر فيها العيون

فتحسر من بعد أقطارها

وقبة ملك كأن النجو

م تفضى اليه بأسرارها

اذا أوقدت نارها بالعراق

أضاء الحجاز سنا نارها

المصرح والجهالة المفرطة والركاكة المستخفة وضعف اليقين والاستثبات وسرعة الغضب والجراءة قد استكمل سروره واعتدلت أموره وفاز بالسهم الاغلب والحظ الاوفر والقدر الرفيع والجواز الطائع والامر النافذ ان زل قيل حكم وان أخطأ قيل أصاب وان هذى في كلامه وهو يقظان قيل رؤيا صادقة من نسمة مباركة فهذه حجتنا والله على من زعم ان الجهل يخفض وان النوك يردي وان الكذب يضر وان الحلف يزري ثم نظرنا في الوفاء والامانة والنبل والبلاغة وحسن المذهب وكمال المروأة وسعة الصدر وقلة الغضب وكرم الطبيعة والفائق في سعة علمه والحاكم على نفسه والغالب لهواه فوجدنا فلان بن فلان ثم وجدنا الزمان لم ينصفه من حقه ولا قام له بوظائف فرضه ووجدنا فضائله القائمة له قاعدة به فهذا دليل ان الطلاح اجدى من الصلاح وان الفضل قد مضى زمانه وعفت آثاره وصارت الدائرة عليه كما كانت الدائرة على ضده ووجدنا العقل يشقى به قرينه كما ان الجهل والحمق يحظى به حديثه ووجدنا الشعر ناطقا على الزمان ومعربا عن الايام حيث يقول

تحامق مع الحمقى اذا ما لقيتهم * ولاقهم بالجهل فعل أخي الجهل

وخلط اذا لاقيت يوما مخلطا * يخلط في قول صحيح وفي هزل

فاني رأيت المرء يشقى بعقله * كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

فبقيت أبقاك الله مثل من أصبح على أوفاز ومن النقلة على جهاز لا يسوغ له نعمة ولا تطعم عينيه غمضة في أهاويل يباكره مكروهها ويراوحه عقابيها فلو ان الدعاء أجيب والتضرع سمع لكانت العدة العظمى والرجفة الكبرى فليت أي أخي من أستبطئه من النفخة ومن فجأة الصيحة قضى فخان وأذن به فكان فوالله ما عذبت أمة برجفة ولا ريح ولا سخطة عذاب عيني برؤية المغايظة المدمنة والاخبار المهلكة كان الزمان يوكل بعذابي أو ينصب بايامي فما عيش من لا يسر بأخ شفيق ولا يصطبح في أول نهاره الا برؤية من يكرهه وبغمه من بغمه طلعته فقد طالت الغمة وواظبت الكربة وادلهمت الظلمة وخمد السراج وتباطأ الانفراج ❁(فساد الاخوان)❁ قال أبو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه (وقيل) لعروة بن الزبير الا تنتقل الى المدينة قال ما بقي بالمدينة الا حاسد على نعمة أو شامت بمصيبة (الحسني) أنشدني الرياشي

اذا ذهب التكرم والوفاء * وباد رجاله وبقي الغثاء * وأسلمني الزمان الى رجال

كأمثال الذئاب لها عواء * صديق كلما استغنيت عنهم * وأعداء اذا جهد البلاء

اذا ما جئتهم يتدافعوني * كأني أجرب أعداه داء

أقول ولا ألام على مقال * على الاخوان كلهم العفاء

(وقالت) الحكماء لا شئ أضيع من مودة من لا وفاء له واصطناع من لا شكر عنده والكريم يود الكريم عن لقية واحدة واللئيم لا يصل أحدا الا عن رغبة أو رهبة (وفي كتاب للهند) ان الرجل السوء لا يتغير عن طبعه كما ان الشجرة المرة لو طليتها بالعسل لم تثمر الا مرا (وسمع رجل أبا العتاهية ينشد)

فارم بطرفك حيث شئـ * ـت فلا ترى الا بخيلا

(وقال أيضا في هذا المعنى)

لله در أبيك أي زمان * أصبحت فيه وأي أهل زمان

كل يوازيك المودة جاهدا * يعطي ويأخذ منك بالميزان

فاذا رأى رجحان حبة خردل * مالت مودته الى الرجحان

(وقال)

أرى قوما وجوههم حسان * اذا كانت حوائجهم الينا

وان كانت حوائجنا اليهم * يقبح حسن أوجههم علينا

فان منع الاشحة ما لديهم * فانا سوف نمنع ما لدينا

وقال

لها شرفات كان الربيع
كساها الرياض بأنوارها
فهن كمصطفيات خرجن
لفصح النصارى وافطارها
نظمن القصور كنظم الحلي
بعون النساء وأبكارها
فمن بين عاقصة شعرها
ومصلحة عقد زنارها
(وللبحتري فيها شعر كثير منه)
أرى المتوكلية قد تعالت
محاسنها وأكملت التماما
قصور كالكواكب لامعات
يكدن يضئن للساري الظلاما
وروض مثل برد الوشي فيه
جنى الحوذان ينشر والخزاما
غرائب من فنون النور فيها
جنى الزهر الفرادى والتواما
يضاحك نورها طورا وطورا
عليه الغيم ينسجم انسجاما
ولولم يستهل لها غمام
بريقه لكنت لها غماما
(وقال أيضا)
قد تم حسن الجعفري ولم يكن
ليتم الا بالخليفة جعفر
ملك تبوأ خير دار انشئت
في خير مبدو للانام ومحضر
في رأس مشرفة حصاها اللؤلؤ
وترابها مسك يشاب بعنبر
مخضرة والغيث ليس بساكب
ومضيئة والليل ليس بمقمر
رفعت بمخترق الرياح وجاورت
ظل الغمام الصعب المستعبر
وبعده ورفعت بنيانا كان زهاءه
اعلام رضوى أو شواهق منبر
عال على لحظ العيون كأنما
ينظرن منه الى بياض المشتري
ملأت جوانبه الفضاء وعانقت
شرفاته قطع السحاب الممطر
وتسيل دجلة تحته ففناؤه
من لجة فرشت وروض أخضر

(وقال) موالينا اذا احتاجوا الينا * وليس لنا احتياج للموالي

(لابكرى) وخليل لم اخنه ساعة * فى دمى كفيه ظلما قد غمس
كان فى سرى وجهرى ثقتى * لست عنه فى مهم احترس
ستر البغض بألفاظ الهوى * وادعى الود بغش ودلس
ان رآنى قال لى خيرا وان * غبت عنه قال شرا وحرس
ثم لما أمكنته فرصة * حل السيف على مجرى النفس
وأراد الروح لكن خانه * قدر أيقظ من كان نعس

وانشد العتبى اذا كنت تغضب من غير ذنب * وتعتب من غير جرم عليا
طلبت رضاك فان عزنى * عددتك ميتا وان كنت حيا
فلا تعجبن بما فى يديكا * فاكثر منه الذى فى يديا

(وقال ابن أبى حازم)

وصاحب كان لى وكنت له * أشفق من والد على ولد
كنا كساق تسعى بها قدم * أوكذراع نيطت الى عضد
حتى اذا دبت الحوادث فى * عظامى وحل الزمان من عقدى
احول عنى وكان ينظر من * طرفى ويرمى بساعدى ويدى

(وقال) وخل كان يخفظ لى جناحا * فود عى فنابذنى جماحا
فقلت له ولى نفس عزوف * اذا همت تقحمت الرماحا
سأبدل بالمطامع منك ياسا * وباليأس استراح من استراحا

(وقال عبد الله بن معاوية بن جعفر)

وأنت أخى ما لم تكن لى حاجة * فان عرضت أيقنت ان لا اخاليا
فلا زال ما بينى وبينك بعدما * بلوتك فى الحاجات الا تماديا
كلانا غنى عن أخيه حياته * ونحن اذا متنا أشد تغانيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدى المساويا

(وقال البحترى) أشرق أم أغرب ياسعيد * وانقص من رباعى أو أزيد
غدتنى عن نصيبين الغوادى * فيخفى أبله فيها بليد
وخلفنى الزمان على رجال * وجوههم وأيديهم حديد
ألا ليت المقادر لم تقدر * ولم تكن العطايا والجدود
لهم حال حسن فهن بيض * واخلاق سمجن فهن سود

(وقال ابن أبى حازم)

وقالوا لو مدحت فتى كريما * فقلت وكيف لى بفتى كريم
بلوت ومر بى خمسون حولا * وحسبك بالمجرب من عليم
فلا أحد يعد ليوم خير * ولا أحد يعود على عديم

(وقال) قد بلوت الناس طرا * لم أجد فى الناس حرا

صار حلو الناس فى العين اذا ما ذيق مرا (وقال) من سلا عنى اطالت * حبالى من حباله
أو احذ الوصل سارعت بجهدى فى فصاله * انما احذو على فعل صديقى بمثاله
غير مستحز اذا الزور * ركانى من عياله * ان يرانى أبدا أعظم ذا مال لماله
لا ولا أدرى بمن يشغل عنى سوء حاله * انما أقضى على ذا * لك وهذا بفعاله

شجر تلاعبه الرياح فتنثنى
أعطافه فى سائح متفجر
(أخذ أبو بكر) الصنوبرى
قول البحترى فى صفة البركة
فقال يصف موضعا *
سقاه لما سافك دمه
بطىء الرقوء اذا ما سفك
ميادينه بسطهن الرياض
وساحاته بينهن البرك
ترى الريح تنسج من مائه
دروعا مضاعفة أو شبك
كان الزجاج عليها أذيب
وماء اللجين بها قد سبك
هى الجو من رقة غير ان
ن مكان الطيور يطير السمك
وقد نظم الزهر نظم النجوم
ففترق النظم أو مشتبك
كما درج الماء مر الصبا
ودبج وجه السماء الحبك
بما هين اعلام قص القيان
ونقش عصابها والتكك
واخذ قوله
اذا النجوم تراءت فى جوانبها
فقال
ولما تعالى البدر وامتد ضوءه
بدجله فى تشرين فى الطول
والعرض
وقد قابل الماء المفضض نوره
وبعض نجوم الليل يقفو سنا بعض
توهم ذو العين البصيرة انه يرى
باطن الافلاك من ظاهر الارض
ولاهل المصر فى هذا النحو كلام
قال الامير أبو الفضل الميكالى
يصف بركة وقع عليها شعاع
الشمس فالقته على مموه مطل
عليها (بقوله)
اما ترى البركة الغراء قد لبست
نورا من الشمس فى حافاتها سطعا
والماء من فوقها بالموج منتظره
كانه ملك فى دسته ارتفعا

كيف بأيصرفني الدهر * رقاني من رجاله

(ومن قولنا في هذا المعنى)

أباصالح جاءت على الناس غفلة * على غفلة ماتت بكل كريم

فليت الاولى كانوا يفادون بالاولى * أقاموا فيفدى ظاعن بمقيم

﴿من قاده الكبر الى النار﴾ نظر الحسن الى عبد الله بن الاهتم يخطر في المسجد فقال انظروا الى هذا ليس منه عضو الا ولله عليه نعمة وللشيطان فيه لعنة (وقال) سعد بن أبي وقاص لابنه يابني اياك والكبر وليكن فيما تستعين به على تركه علمك بالذي منه كنت والذي اليه تصير وكيف الكبر مع النطفة التي منها خلقت والرحم التي منها قذفت والغذاء الذي به غذيت (وقال) يحيى بن حيان الشريف اذا تقوى تواضع والوضيع اذا تقوى تكبر (وقال) بعض الحكماء كيف يستقر الكبر فيمن خلق من تراب وطوى على القذر وجرى مجرى البول (وقال) الحسن عجبا لابن آدم كيف يتكبر وفيه تسع سموم كلها يقذى (وذكر) الحسن المتكبرين فقال يكفي أحدهم ينفض نصابا ينفض مذرويه ويصرف اصدريه يلخ في الباطن ملغا يقول ها أناذا فاعرفوني قد عرفناك يا أحمق مقتك الله ومقتك الصالحون (ووقف) عيينة بن حصن بباب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال استأذنوا لي على أمير المؤمنين وقولوا هذا ابن الاخيار بالباب فأذن له فلما دخل عليه قال له أنت ابن الاخيار قال نعم قال له بل أنت ابن الاشرار وأما ابن الاخيار فهو يوسف بن يعقوب بن ابراهيم (وقيل) لعبد الله بن ظبيان كثر الله في العشيرة أمثالك فقال لقد سألتم الله شططا (وقيل) لرجل من عبد الدار عظيم الكبر الا تأتي الخليفة قال أخشى أن لا يحمل الجسر شرفي (وقيل) له الا تلبس فان البرد شديد فقال حسبي يدفيني (وقيل) للحجاج كيف وجدت منزلك بالعراق أيها الامير قال خير منزل لو أدركت بها أربعة نفر فتقربت الى الله سبحانه وتعالى بدمائهم قيل له ومن هم قال مقاتل بن مسمع ولي سجستان فأتاه الناس وأعطاهم الاموال فلما قدم البصرة بسط له الناس أرديتهم فمشى عليها فقال لمثل هذا فليعمل العاملون وعبد الله بن ظبيان خطب خطبة أوجز فيها فناداه الناس من اعراض المسجد كثر الله فينا أمثالك قال لقد كلفتم ربكم شططا ومعبد بن زرارة كان ذات يوم جالسا على طريق فمرت به امرأة فقالت يا عبد الله أين الطريق لمكان كذا فقال لمثلي يقال يا عبد الله ويلك وأبو سماك الحنفي أضل ناقته فقال والله ائن لم تردعلي ناقتي لاصليت أبدا (وقال) ناقل الحديث ونسي الحجاج نفسه وهو خامس هؤلاء الاربعة بل هو أشدهم كبرا وأعظمهم الحادا حين كتب الى عبد الملك في عطسة عطسها فشمته أصحابه ورد عليهم بلغني ما كان من عطاس أمير المؤمنين وتشميت أصحابه له ورده عليهم فياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما (وكتابه) اليه ان خليفة الرجل في أهله أكرم عليه من رسوله اليهم وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزلة من المرسلين (العتبي) قال رأيت محرزا مولى باهلة يطوف على بغلة بين الصفا والمروة ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد راجلا فقلت له أراجل أنت في مثل هذا الموضع قال نعم اني ركبت في موضع يمشي الناس فيه فكان حقيقا على الله أن يرجلني في موضع يركب الناس فيه (وقال بعض الحكماء)

ويا ليتها الكبرى فتطوى سماؤنا * لها وتمد الارض مدأديم

فما الموت الا عيش كل مبخل * وما العيش الا ترك كل ذميم

واعذر من ادمى الجفون من البكا * كريم رأى الدنيا بكف لئيم

(ومثله في هذا المعنى)

أباصالح أين الكرام باسرهم * افدني كريما فالكريم رضاء

أحقا يقول الناس في جود حاتم * وابن سنانا كان فيه سخاء

ولما عمن تحته التقى الشعاع على
اعلى سمواته فارتج ملتهبا
كأنه السيف مصقولا تقلبه
كف الكمي الى ضرب الكمي سعى
(وقال) علي بن محمد الايادي يمدح المعز ويصف دارا والبحر بالمنصورية
ولما استطال المجد واستولت البنا
على النجم وامتد الرواق المروق
بنى قبة للملك في وسط جنة
لها منظر يزهى به الطرف مونق
معشوقة الساحات أما عراصها
فخضر وأما طيرها فهي نطق
تحف بقصر ذي قصور كأنما
ترى البحر في أرجائه وهو متأق
له بركة للماء ملء فضائه
تخب بقصريها العيون وتمتق
لها جدول ينصب فيها كأنه
حسام جلاه القين بالارض ملصق
لها مجلس قد قام في وسط مائها
كما قام في فيض الفرات الخورنق
كأن صفاء الماء فيها وحسنه
زجاج صفت أرجاؤه وهو أزرق
اذا ابت فيها الليل أشخاص نحوه
رأيت وجوه الزنج بالنار تحرق
وان صافحتها الشمس لاحت كأنها
فرند على تاج المعز ورونق
كأن شرافات المقاصر حولها
عذارى عليهن الملاء الممنطق
يذوب الجفاء الجعد عن وجه مائها
كما ذاب آل الصحصحان المرقوق
* وقال عبد الكريم بن ابراهيم
يارب فتيان صدق رحت بينهم
والشمس كالدنف المشوق في الافق
مرضى اصائلها حسرى تمائلها

عذيري من خاف تخاف منهم * عباء ولؤم فاضح وجفاء

حجارة بخل ماتجود وربما * تفجر من صم الحجارة ماء

ولو ان موسى جاء يضرب بالعصا * لما انبجست من ضربه البخلاء

بقاء لئام الناس موت عليهم * كما ان موت الاكرمين بقاء

عزيز عليهم ان تجودا كفهم * عليهم من الله العزيز عفاء

(ومثله قولنا فى هذا المعنى)

وساق ترنم بشدو فوقه ساق * كانه حنين الصوت مشتاق

ياضيعة الشعر فى بله جرامقة * تشابهت منهم فى اللؤم اخلاق

(قالوا) من عز باقبال الدهر ذل بادباره (وقالوا) من أبطره الغنى أذله الفقر (وقالوا) من ولى ولاية يرى نفسه اكبر منها لم يتغير لها ومن ولى ولاية يرى ولايته أكبر من نفسه تغير لها (وقال) يحيى بن حيان الشريف اذا تقوى تواضع والوضيع اذا تقوى تكبر (وقال) كسرى احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع (وكتب) على بن الجهم الى ابن الزيات

أبا جعفر عرج على خلطائكا * واقصر قليلا من مدى غلوائكا

فان كنت قد أوتيت فى اللؤم رفعة * فان رجائى فى غد كرجائك

(وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابى)

لقد عجبت منه الليالى لانه * صبور على عضلاء تلك البلابل

اذا نال لم يفرح وليس لنكبة * ألمت به بالخاشع المتضائل

(وقال الحسن بن هانئ) ولقد حزنت فلم أمت حزنا * ولقد فرحت فلم أمت فرحا

(كتب) عقيل بن أبى طالب الى أخيه على بن أبى طالب عليه السلام يسأله عن حاله فكتب اليه على رضى الله عنه

فان تسألنى كيف أنت فاننى * جليد على عض الزمان صليب

عزيز على أن ترى بى كآبة * فيفرح واش أو يساء حبيب

﴿باب فى التواضع﴾

قال النبى صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله (قالت) الحكماء كل نعمة يحسد عليها الا التواضع (وقال) عبد الملك بن مروان رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم أفضل الرجال من تواضع عن رفعة وزهد عن قدرة وانصف عن قوة الحديث (وقال) ابن السماك لعيسى بن موسى تواضعك فى شرفك أكبر من شرفك (وأصبح) النجاشى يوما جالسا على الارض والتاج عليه فأعظمت بطارقته ذلك وسألوه عن السبب الذى أوجبه فقال وجدت فيما أنزل الله على المسيح اذا أنعمت على عبدى نعمة فتواضع اتممتها عليه وانه ولد لى هذه الليلة غلام فتواضعت شكرا لله (خرج) عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويده على المعلى بن الجارود العبدى فلقيته امرأة من قريش فقالت له يا عمر فوقف لها فقالت كنا نعرفك مدة عميرا ثم صرت من بعد عمير عمر ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين فاتق الله يا ابن الخطاب وانظر فى أمور الناس فانه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشى الفوت فقال المعلى ايها يا أمة الله فقد أبكيت أمير المؤمنين فقال له عمر اسكت أتدرى من هذه هذه خولة بنت حكيم التى سمع الله قولها من سمائه فعمر احرى أن يسمع قولها ويقتدى به (وقال) أبو عباد ما جلس الى رجل قط الا خيل الى انى أنا جالس اليه (وسئل) الحسن عن التواضع فقال هو ان تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا الا رأيت له الفضل عليك (وقال) رجل لبكر بن عبد الله علمنى التواضع فقال اذا رأيت من هو أكبر منك فقل سبقنى الى الاسلام والعمل الصالح فهو خير منى وان رأيت أصغر منك فقل سبقته الى الذنوب

تروح الغصن الممطور فى الورق معاطيا شمس ابريق اذا مزجت تقلدت عقد مرجان من العرق

من ماحل طافح بالماء معتلج كانما نفسه صيغت من الحدق تضمه الريح احيانا وتفرقه فالماء ما بين محبوس ومنطلق

من اخضر ناضر والطل يلحقه وأبيض تحت قبطى الضحى يقق

تهزه الريح احيانا فيمضها للزجر خفق فؤاد العاشق القلق كأن حافاته نطفن من زبد مناطقا رصعت من لؤلؤ نسق

كأن قبته من سندس نمط حسناء مجلوة اللبات والعنق اذا تبلج فجر فوق زرقته حسبته فرساد هماء فى بلق

أو لازورد ابوى فى متنه ذهب فلاح فى شارق من مائه شرق عشية كالت حسنا وساعدها ليل عدد أطنابا على الافق

تجلى بغرة وضاح الجبين له ماشئت من كرم واف ومن خلق

﴿ألفاظ لاهل العصر فى وصف الماء وما يتصل به﴾ ماء كالزجاج الازرق غدير كعين الشمس موارد كالمبارد وماء كلسان الشمعه فى صفاء الدمعه يسبح فى الرضراض سبح النضناض ماء أزرق كعين السنور صاف كقضيب البلور ماء اذا مسته يد النسيم حكى سلاسل الفضة ماء اذا صافحته راحة الريح لبس الدرع كالمسيح كأن الغدير بتراب الماء رداء مصندل بركة كأنها مرآة السماء بركة مفروزة بالخضرة كأنها مرآة مجلوة على ديباجة خضراء بركة ماء كأنها مرآة الصناع غدير ترقرقت

والعمل السيئ ما ناشر منه وقال أبو العتاهية

يامن تشرف بالدنيا وزينتها * ليس التشرف رفع الطين بالطين
اذا أردت شريف الناس كلهم * فانظر الى ملك فى زى مسكين

﴿(الرفق والاناة)﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم من أوتى حظه من الرفق فقد أوتى حظه من خير الدنيا والآخرة (وقالت) الحكماء يدرك بالرفق مالا يدرك بالعنف ألا ترى ان الماء على لينه يقطع الحجر على شدته وقال أشجع السلمى لجعفر بن يحيى بن خالد ما كاد يدرك بالرجال ولا بالمال ما أدركت بالرفق وقال النابغة

الرفق يمن والاناة سعادة * فاستأن فى رفق تلاق نجاحا

(وقالوا) العجل بريد الزلل * اخذ القطامى التغلبى هذا المعنى فقال

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

(وقال عدى بن زيد)

قد يدرك المبطئ من حظه * والخير قد يسبق جهد الحريص

﴿(استراحة الرجل بكنون سره الى صديقه)﴾ تقول العرب افضيت اليك بشقورى واطلعتك على عجرى وبجرى ولو كان فى جسدى برص ما كتمته (وقال) الله تبارك وتعالى لكل نبإ مستقر (وقالت الحكماء) لكل سر مستودع (وقالوا) مكاتمة الاذنين صريح العقوق وقال الشاعر

وأبثثت عمرا بعض مافى جوانحى * وجرعته من مر ما أتجرع
ولا بد من شكوى الى ذى حفيظة * اذا جعلت اسرار نفسى تطلع

(وقال حبيب) شكوت وما الشكوى لمثلى عادة * ولكن تفيض النفس عند امتلائها

(وانشد ابو الحسن محمد المصرى)

لعب الهوى بمعالمى ورسومى * ودفنت حيا تحت ردم همومى
وشكوت همى حين ضقت ومن شكا * هما يضيق به فغير ملوم

(وقال آخر)

اذا لم أطق صبرا رجعت الى الشكوى * وناديت تحت الليل ياسامع النجوى
وامطرت صحن الخد غيثا من البكا * على كبد حرا تروى فما تروى

﴿(الاستدلال باللحظ على الضمير)﴾ قالت الحكماء العين باب القلب فما كان فى القلب ظهر فى العين (ابو حاتم) عن الاصمعى عن يونس عن ابن مصعب عن عثمان بن ابراهيم بن محمد قال انى لاعرف فى العين اذا عرفت واعرف فيها اذا انكرت واعرف فيها اذا لم تعرف ولم تنكر اما اذا عرفت فيحوص واما اذا انكرت فيجحظ وأما اذا لم تعرف ولم تنكر فبسجو (وقال صريع الغوانى)

جعلنا علامات المودة بيننا * مصايد لحظ هن أخفى من السحر
فاعرف فيها الوصل فى لين طرفها * واعرف فيها الهجر فى النظر الشزر

(وقال محمود الوراق)

ان العيون على القلوب شواهد * فبغيضها لك بين وحبيبها
واذا تلاحظت العيون تفاوضت * وتحدثت عما تجن قلوبها
ينطقن والافواه صامتة فما * يخفى عليك بريئها ومريبها

(وقال ابن أبى حازم) خذ من العيش ما كفا * ومن الدهر ما صفا
عين من لا يحب وصـ * ـلك تبدى لك الجفا

(ومن قولنا فى هذا المعنى)

صادق فى الحب مكذوب * دمعه للشوق مسكوب

قيد سوغ السحائب وتواترت عليه انفاس الرياح الغرائب مائرق جمامه طامية ارجاؤه يبوح باسراره صفاؤه وتلوح فى قراره حصباؤه ماء كأنما رقرقة من يشمه ويتسلسل كالزرافين ويرضع اولاد الرياحين انحل عقد السماء وهى عقد لا نواء انحل سلك القطر عن در البحر اسعد السحاب جفون العشاق واكف الاجواد وانحل خيط السماء وانقطع شريان الغمام سحابة يجلى عليها ماء البحر وتفض عليها عقود الدر سحاب حكى المحب فى انسكاب دموعه والتهاب النار بين ضلوعه سحابة تحدو من الغيوم جمالا وتمد من الامطار حبالا سحابة ترسل الامطار أمواجا والامواج أفواجا تحللت عقد السماء بالديمة الهطلاء غيث أجش يروى الهضاب والآكام ويحيى النبات والسوام غيث كغزارة فضلك وسلاسة طبعك وسلامة عقدك وصفاء ودك وبل كالنبل سحابة يضحك من بكائها الروض ويخضر من سوادها الارض سحابة لا تجف جفونها ولا يخف أنينها ديمة روت أديم الثرى ونبهت عيون النور من الكرى سحابة ركبت أعناق الرياح وسحت كأفواه الجراح مطر كأفواه القرب وصل الى الركب أندية من الله معها على البيوت بالثبوت وعلى السقوف بالوقوف أقبل السيل ينحدر انحدارا ويحمل أحجارا وأشجارا كان يجنبه أوفى احشائه اجنه وبعض ما مر من هذه الالفاظ محلول نظام ما تقدم

كل ما تطوى جوانحه * فهو فى العينين مكتوب

(وقال الحسن بن هانئ) وانى لطير العين بالعين زاجر * فقد كدت لا يخفى على ضمير

﴿الاستدلال بالضمير على الضمير﴾ كتب حكيم الى حكيم اذا أردت معرفة ما لك عندى فضع يدك على صدرك فكما تجدنى كذلك أجدك (وقالوا) اياكم ومن تبغضه قلوبكم فان القلوب تجازى القلوب وقال ذو الاصبع

لا أسأل الناس عما فى ضمائرهم * ما فى ضميرى لهم من ذاك يكفينى

(وقال محمود الوراق)

لا تسألن المرء عما عنده * واستمل ما فى قلبه من قلبكا

ان كان بغضا كان عندك مثله * أو كان حبا فاز منك بحبكا

﴿الاصابة بالظن﴾ قيل لعمرو بن العاص ما العقل قال الاصابة بالظن ومعرفة ما يكون بما قد كان (وقال) على بن أبى طالب رضى الله عنه لله در ابن عباس ان كان لينظر الى الغيب من ستر رقيق (وقال الشاعر) وقلما يخبأ المكروه صاحبه * حتى يرى لوجوه الشر أسبابا

وانما ركب الله العقل فى الانسان دون سائر الحيوان ليستدل بالظاهر على الباطن ويفهم الكثير بالقليل (ومن قولنا فى هذا المعنى)

يا غافلا ما يرى الا محاسنه * ولو درى ما رأى الا مساويه

أنظر الى باطن الدنيا بظاهرها * كل البهائم يجرى طرفها فيه

﴿تقديم القرابة وتفضيل المعارف﴾ قال الشيبانى أول من آثر القرابة والاولياء عثمان بن عفان رضى الله عنه وقال كان عمر يمنع أقاربه ابتغاء وجه الله ولا يرى أفضل من عمر (وقال) لما آوى طريد النبى صلى الله عليه وسلم ما نقم الناس على أن وصلت رحما وقربت عما (وقيل) لمعاوية بن أبى سفيان ان آذنك يقدم معارفه وأصدقاءه فى الاذن على اشراف الناس ووجوههم فقال ويلكم ان المعرفة لتنفع فى الكلب العقور والجمل الصؤول فكيف فى رجل حسيب ذى كرم ودين (وقال) رجل لزياد أصلح الله الامير ان هذا يدل بمكانه يدعى أنه منك قال نعم وأخبرك ما ينفعه من ذلك ان كان الحق له عليك أخذتك به أخذا شديدا وان كان عليه قضيته عنه (وقال الشاعر)

أقول لجارى اذ أتانى مخاصما * يدل بحق أو يدل بباطل

اذا لم يصل خيرى وأنت مجاورى * اليك فما شرى اليك بواصل

(العتبى) قال ولى عبد الله بن خالد بن عبد الله القسرى البصرة فكان يحابى أهل مودته فقيل له أى رجل أنت لولا أنك تحابى قال وما خير الصديق اذا لم يقطع لصديقه قطعة من دينه (وولى) ابن شبرمة قضاء البصرة وهو كاره فأحسن السيرة فلما عزل اجتمع اليه أهل خاصته ومودته فقال لهم والله لقد وليت هذه الولاية وأنا كاره وعزلت عنها وأنا كاره وما بى فى ذلك الا مخافة أن يلى هذه الوجوه من لا يعرف حقها ثم تمثل بقول الشاعر

فما السجن أبكانى ولا القيد شفنى * ولا اننى من خشية الموت أجزع

بلى ان أقواما أخاف عليهم * اذا مت أن يعطوا الذى كنت أمنع

(وقال الشاعر) اذا كان الامير عليك خصما * فليس يقابل منك الشهودا

(وقال) زياد أحب الولاية لثلاث وأكرهها لثلاث أحبها لنفع الاولياء وضر الاعداء واسترخاص الاشياء وأكرهها لروعة البريد وموت العزل وشماتة العدو (ويقول) الحكماء أحق من شاركك فى النعمة شركاؤك فى المصيبة (أخذه الشاعر فقال)

وان أولى الموالى أن تواسيه * عند السرور لمن واساك فى الحزن

انشاده (ولهم فى مقدمات المطر) لبست السماء جلبابها وسحبت السحائب أذيالها قد احتجبت الشمس فى سرادق الغيم ولبس الجو مطرفه الادكن باحت الريح بأسرار الندى وضربت خيمة الغمام ورش جيش النسيم وابتل جناح الهواء واغرورقت مقلة السماء وبشر النسيم بالندى واستعدت الارض للقطر هبت شمائل الجنائب لتأليف شمل السحائب تألفت أشتات الغيوم وأسبلت الستور على النجوم (وفى الرعد والبرق) قام خطيب الرعد ونبض عرق البرق سحابة ارتجزت رواعدها وأذهبت بسير وقها مطاردها نطق لسان الرعد وخفق قلب البرق فالرعد ذو صخب والبرق ذو لهب ابتسم البرق عن قهقهة الرعد زأرت أسد الرعد ولمعت سيوف البرق رعدت الغمائم وبرقت وانحلت عزالى السماء فطبقت اهدرت رواعدها وقربت ابلعدها وصدقت مواعدها كان البرق قلب مشوق بين التهاب وخفوق (ويتصل بهذه الانحاء) ما حكاه عمر بن على المطوعى قال راى الامير السيد ابو الفضل عبيد الله بن احمد ادام الله عزه ايام مقامه بجوين أن يطالع قرية من قرى ضياعه تدعى بجاب على سبيل التنزه والتفرج فكنت فى جملة من استصحبه اليها من اصحابه واتفق انا وصلنا والسماء مصحية والجو صاف لم يطرز ثوبه بعلم الغمام والافق فيروزج لم يعبق به كافور السحاب فوقع الاختيار على ظل شجرة باسقة الفروع

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

(وقال حبيب)

قبح الاله عداوة لاتتقى * ومودة يدلى بها لا تنفع

{فضل العشيرة} قال على بن أبى طالب رضى الله عنه عشيرة الرجل خير للرجل من غير العشيرة ان كف عنهم يدا واحدة كفوا عنه أيديا كثيرة مع مودتهم وحفاظهم ونصرتهم ان الرجل ليغضب للرجل لا يعرفه الا بنسبه وسأتلو عليكم من ذلك آيات من كتاب الله قال الله عز وجل فيما حكاه عن لوط لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد يعنى العشيرة ولم يكن للوط عشيرة فوالذى نفسى بيده ما بعث الله نبيا من بعده الا فى ثروة من قومه ومنعة من عشيرته ثم ذكر شعيبا اذ قال له قومه انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وكان مكفوفا والله ما هابوا الا عشيرته * وقيل لابن جهرما تقول فى ابن العم قال هو عدوك وعدو عدوك *{الدين}* من حديث عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الدين ينقص ذا الحسب وقال عمر لا يغرنكم أسيفع جهينة رضى من دينه وأمانته أن يقال سبق الحاج ألا وانه قد اذان معرضا وأصبح قد دين به فمن كان له عنده شئ فليأتنا بالغداة نقسم ماله بين غرمائه واياكم والدين فان أوله هم وآخره حزن (وقال مولى قضاعة)

فلو كنت مولى قيس عيلان لم تجد * على لانسان من الناس درهما

ولكننى مولى قضاعة كلها * فلست أبالى أن أدين وتغرما

(وقال آخر)

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن كان غرما على غرم

(وقال) سفيان الثورى الدين هم بالليل وذل بالنهار فاذا اراد الله أن يذل عبدا جعله قلادة فى عنقه (ورأى) عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا متقنعا فقال له كان لقمان الحكيم يقول القناع ريبة بالليل ذل بالنهار فقال الرجل ان لقمان الحكيم لم يكن عليه دين وقال ابن المقفع العنوى

يعيروننى بالدين قومى وانما * تداينت فى أشياء تكسبهم حمدا

اذا أكلوا لحمى وفرت لحومهم * وان هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

{مجانبة الخلف والكذب} قال النبى صلى الله عليه وسلم مجانبة الايمان وقالت الحكماء ليس لكذاب مروأة وقالوا من عرف بالكذب لم يجز صدقه وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا يجوز الكذب فى جد ولا هزل وقال لا يكون المؤمن كذابا (وقال) عبد الله بن عمر خلف الوعد ثلث النفاق وقال حبيب فى عياش

يا أكثر الناس وعدا حشوه خلف * وأكثر الناس قولا حشوه كذب

(ومن قولنا فى هذا المعنى)

فصادمت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما انبجسا

كأنما صيغ من بخل ومن كذب * فكان ذاك له روحا وذا نفسا

صحيفة أفنيت ليت بها وعسى * عنوانها راحة الراجى اذا يئسا

وعد له هاجس فى القلب قد برمت * أحشاء صدرى به من طول ما حبسا

مواعد غرنى منها وميض سنا * حتى مددت اليها الكف مقتبسا

{التنزه عن استماع الخنى والقول به} اعلم أن السامع شريك القائل فى الشر قال الله سماعون للكذب وقال العتبى حدثنى أبى عن سعد القصير قال نظر عمرو بن عتبة رجلا يشتم عندى رجلا فقال لى ويلك وما قال لى ويلك قبلها نزه نفسك عن استماع الخنى كما تنزه لسانك عن الكلام به فان السامع شريك القائل وانما عمد الى شر ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك ولو ردت كلمة جاهل فى فيه لسعد رادها كما شقى قائلها

(باب

(الهامش)

بيستة الاوراق والغصون قد سترت ما حوالها من الارض طولا وعرضا فتراءتا تحتها مستظلين بسمارة افنانها مستترين من وهج الشمس بستارة اغصانها واخذنا نتجاذب اذيال المذاكرة ونتساجل اهداب المناشدة والمحاورة فما شعرنا بالسماء الا وقد ارعدت وابرقت واظلمت بعدما اشرقت ثم جادت بمطر كافواه القرب فأجادت وحكت أنامل الاجواد ومدامع العشاق بل أوفت عليها وزادت حتى كاد غيثها يعود عيثا وهم وابلها ان يستحيل ويلا فصبرنا على أذاها وقلنا سحابة صيف عما قليل تنقشع فاذا نحن بها قد أمطرتنا بردا كالثغور لكنها من ثغور العذاب لامن الثغور العذاب فأذقنا بالبلاء وسلمنا لاسباب القضاء فما مرت الاساعة من النهار حتى سمعنا خرير الانهار وراينا السيل قد بلغ الزبا والماء قد غمر القيعان والربا فبادرنا الى حصن القرية لائذين من السيل بأفنيتها وعائذين من القطر بأبنيتها واتو بنا قد صندل كافور بياضنا الوبل وغلف طراز بياطين الوحل ونحن نحمد الله تعالى على سلامة الابدان وان فقدنا بياض الاكمام والاردان ونشكره على سلامة الانفس والارواح شكر التاجر على بقاء رأس المال اذا فجع بالارباح فبتنا تلك الليلة فى سماء تكف ولا تكف وتبكى علينا الى الصباح بأدمع هوام وأربعة سجام فلما سل سيف الصبح من غمد الظلام وصرف بوالى الصور

﴿باب في الغلو في الدين﴾

(توفي) رجل في عهد عمر بن ذر ممن أسرف على نفسه في الذنوب وجاوز في الطغيان فتجافى الناس عن جنازته فحضرها عمر بن ذر وصلى عليه فلما أدلي في قبره قال يرحمك الله أبا فلان صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك لله بالسجود فان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وذي خطايا (ومن حديث) أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يرى أشعث أغبر يمد يديه الى السماء يقول يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام فأنى يستجاب له قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني بالحنيفية السمحة ولم يبعثني بالرهبانية المبتدعة سنتي الصلاة والنوم والافطار والصوم فمن رغب عن سنتي فليس مني وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه خير هذه الامة النمط الاوسط يرجع اليهم الغالي ويلحق بهم التالي وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير لابنه وكان قد تعبد يا بني ان الحسنة بين السيئتين يعني الدين بين الافراط والتقصير وخير الامور أوسطها وشر السير الحقحقة * وقال سلمان الفارسي القصد والدوام فأنت الجواد السابق وقالوا عامل البركات الطعام ان أكل منه قوتا عصمه وان أسرف منه بشمه وفي بعض الحديث ان عيسى بن مريم عليه السلام اتى رجلا فقال له ما تصنع قال أتعبد قال فمن يعود عليك قال أخي قال هو أعبد منك * ونظير هذا ان رفقة من الاشعريين كانوا في سفر فلما قدموا قالوا ما رأينا يارسول الله بعدك افضل من فلان كان يصوم النهار فاذا نزلنا قام من الليل حتى نرتحل قال فمن كان يمهن له ويكفله قالوا كلنا قال كلكم أفضل منه وقيل للزهري ما الزهد في الدنيا قال انه ما هو بتشعث اللمة ولا قشف الهيئة ولكنه خلاف النفس عن الشهوة (علي بن عاصم) عن أبي اسحق عن الشيباني قال رأيت محمد بن الحنفية واقفا بعرفات على برذون وعليه مطرف خز أصفر (السدي) عن ابن جريج عن ابن عباس قال كان يرتدي رداء بألف (اسمعيل) بن عبد الله بن جعفر عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثوبان مصبوغان بالزعفران رداء وعمامة وقال معمر رأيت قميص أيوب السختياني يكاد يمس الارض فسألته عن ذلك فقال ان الشهرة كانت فيما مضى في تذييل القميص وانها اليوم في تشميره أبو حاتم عن الاصمعي ان ابن عون اشترى برنسا فمر على معاذة العدوية فقالت مثلك يلبس هذا فذكرت ذلك لابن سيرين قال أفلا أخبرتها أن تميما الداري اشترى حلة بألف فصلى فيها (قدم) حماد بن سلمة البصرة فجاءه فرقد السبخي وعليه ثياب صوف فقال له حماد دع عنك نصرانيتك هذه فقال له لقد رأيتنا ننتظر ابراهيم وعليه معصفرة ونحن نرى أن الميتة قد حلت له (أبو الحسن المدايني) قال دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم والي خراسان في مدرعة صوف فقال له ما يدعوك الى لباس هذه فسكت فقال له قتيبة أكلمك لا تجيبني قال أكره أن أقول زهدا فأزكي نفسي أو أقول فقرا فأشكو ربي فما جوابك الا السكوت قال ابن السماك لاصحاب الصوف والله لئن كان لباسكم وفقا لسرائركم فقد أحببتم أن يطلع الناس عليها وان كان مخالفا لقد هلكتم وكان القاسم بن محمد يلبس الخز وسالم بن عبد الله يلبس الصوف ويقعدان في مسجد المدينة فلا ينكر هذا على هذا ولا هذا على هذا (ودخل) رجل على محمد بن المنكدر فوجده قاعدا على حشايا مضاعفة وجارية تغلفه بالغالية فقال رحمك الله جئت أسألك عن شيء وجدتك فيه يريد التزين قال على هذا أدركت الناس (وصلى) الاعمش في مسجد قوم فأطال بهم الامام فلما فرغ قال له يا هذا لا تطل صلاتك فانه يكون خلفك ذو الحاجة والكبير والضعيف قال الامام وانها لكبيرة الا على الخاشعين فقال له الاعمش أنا رسول الخاشعين اليك انهم لا يحتاجون الى هذا منك (العتبي) قال اصابت الربيع بن زياد نشابة على جبينه فكانت تنتقض عليه كل عام فأتاه علي

عامل الغمام رأينا صواب الرأي ان نوسع الاقامة بها رفضا ونتخذ الارتحال عنها فرضا فما زلنا نطوي الصحاري أرضا فأرضا الى ان وافينا المستقر ركضا فلما نفضنا غبار ذلك المسير الذي جمعنا في ربقة الاسير وأفضينا الى ساحة التيسير بعدما اصبنا بالامر العسير وتذكرنا ما لقينا من التعب والمشقة في قطع ذلك الطريق وطي تلك الشقة أخذ الامير السيد أطال الله بقاءه القلم فعلق هذه الابيات ارتجالا

دهتنا السماء غداة السحاب
بغيث على أفقه مسبل *
فجاء برعد له رنة
كرنة ثكلى ولم تثكل
وثني بوبل عدا طوره
فعادوا بالاعلى المهمل
وأشرف أصحابنا من اذاه
على خطر هائل معضل
فمن لائذ بفناء الجدار
وآو الى نفق مهمل
ومن مستجير ينادي الغريق
هناك ومن صارخ معول
وجادت علينا سماء السقوف
بدمع من الوجد لم يهمل
كأن خواما لها ان توى
بيبسا من الارض لم يبلل
وأقبل سيل له روعة
فأدبر كل عن المقبل
يقلع ما شاء من دوحة
وما يلتقي من صخرة يحمل
كأن بحافاته اذ بدا
اجنة حبلى ولم تحبل
فمن عامر رده غامرا
ومن معلم عاد كالمجهل
كفانا بليته ربنا
فقد وجب الشكر للمفضل

ابن أبي طالب عائدا فقال له كيف تجدك يا أبا عبد الرحمن قال أجدني لو كان لا يذهب ما بي الا بذهاب بصري لتمنيت ذهابه قال وما قيمة بصرك عندك قال لو كانت لي الدنيا لفديته بها قال لا جرم يعطيك الله على قدر الدنيا لو كانت لك فأنفقتها في سبيل الله ان الله يعطي على قدر الالم والمصيبة وعنده بعد تضعيف كثير قال له الربيع يا أمير المؤمنين اني لاشكو اليك عاصم بن زياد قال وما له قال لبس العباء وترك الملاء وغم أهله وأحزن ولده قال علي عاصما فلما أتاه عبس في وجهه وقال ويلك يا عاصم أترى الله أباح لك اللذات وهو يكره أخذك منها أنت أهون على الله من ذلك أوما سمعته يقول مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان حتى قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وتالله لابتذال نعم الله بالفعال أحب الي من ابتذالها بالمقال وقد سمعته يقول وأما بنعمة ربك فحدث وقوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قال عاصم فعلام اقتصرت أنت يا أمير المؤمنين على لبس الخشن وأكل الجشب قال ان الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام لئلا يشنع بالفقير فقره قال فما خرج حتى لبس الملاء وترك العباء (محمد بن حاطب الجمحي) قال حدثني من سمع عمرو بن شعيب وكنت سمعته أنا وأبي جميعا قال حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عمرو وكانت امرأته تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف أنت يا أم عبد الله قالت كيف أكون وعبد الله بن عمرو رجل قد تخلى من الدنيا قال لها كيف ذلك قالت حرم فلا ينام ولا يفطر ولا يطعم اللحم ولا يؤدي الى أهله حقهم قال وأين هو قالت خرج ويوشك أن يرجع الساعة قال فاذا رجع فاحبسيه علي فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء عبد الله وأوشك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجعة فقال يا عبد الله بن عمرو ما هذا الذي بلغني عنك انك لا تنام قال أردت بذلك الامن من الفزع الاكبر قال وبلغني انك لا تفطر قال أردت بذلك ما هو خير منه في الجنة قال وبلغني انك لا تؤدي الى أهلك حقهم قال أردت بذلك نساء هن خير منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله بن عمرو ان لك في رسول الله أسوة حسنة فرسول الله يصوم ويفطر ويأكل اللحم ويؤدي الى أهله حقوقهم يا عبد الله بن عمرو ان لله عليك حقا وان لبدنك عليك حقا وان لاهلك عليك حقا فقال يا رسول الله ما تأمرني أن أصوم خمسة أيام وأفطر يوما قال لا قال فأصوم أربعة وأفطر يوما قال لا قال فأصوم ثلاثة وأفطر يوما قال لا قال فيومين وأفطر يوما قال لا قال فيوما قال ذلك صيام أخي داود يا عبد الله بن عمرو كيف بك اذا بقيت في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم ومواثيقهم فكانوا هكذا وخالف بين أصابعه قال فما تأمرني يا رسول الله قال تأخذ ما تعرف وتدع ما تنكر وتعمل بخاصة نفسك وتدع الناس وعوام أمرهم قال ثم أخذ بيده وجعل يمشي به حتى وضع يده في يد أبيه وقال له أطع أباك فلما كان يوم صفين قال له أبوه عمرو يا عبد الله اخرج فقاتل فقال يا أبتاه أتأمرني أن أخرج فأقاتل وقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمعت وعهد الي قال أنشدك الله ألم يكن آخر ما قال لك أن أخذ بيدك فوضعها في يدي وقال أطع أباك قال اللهم بلى قال فاني أعزم عليك أن تخرج فتقاتل قال فخرج فقاتل متقلدا سيفين (القول في القدر) أتى قوم من أهل القدر محمد بن المنكدر فقالوا له أنت الذي تقول ان الله يعذب الخلق على ما قدر عليهم فصرف وجهه عنهم ولم يجبهم فقالوا له أصلحك الله ان كنت لا تجيبنا فلا تخلنا من بركة دعائك فقال اللهم لا تردنا بعقوبتك ولا تمكر بنا في خلائك ولا تؤاخذنا بتقصيرنا عن رضاك قليل أعمالنا تقبل وعظيم خطايانا تغفر أنت الله الذي لم يكن شيء قبلك ولا يكون شيء بعدك ولي الاشياء ترفع بالهدى من تشاء لا من أحسن استغنى عن عونك ولا من أساء عليك ولا استبد بشيء من حكومتك وقدرتك فكيف لنا بالمغفرة وليست الا بيدك وكيف لنا بالرحمة وليست الا عندك يا حفيظ لا ينسى وقديم لا يبلى وحي لا يموت بك عرفناك وبك اهتدينا اليك ولولا أنت لم ندر ما أنت سبحانك وتعاليت فقال القوم قد والله أخبر وما قصر (وقال)

فقل للسماء أرعدي وابرقي
فانا رجعنا الى المنزل
(أخذ المطوعي) قوله فلما سل
سيف الصبح من غمد الظلام من
قول (أبي الفتح البستي)
ورب ليل أغمد الانوار الا
نور ثغر أو مدام أو ندام
قد نعمنا به وتاجيه الى أن
سل سيف الصبح من غمد الظلام
(وقال بعض أهل العصر وهو أبو
العباس الناشي)
خليلي هل للمزن مقلة عاشق
أم النار في أحشائها وهي لا تدري
أشارت الى أرض العراق فأصبحت
وكاللؤلؤ المنثور أدمعها تجري
سحاب حكت ثكلى أصيبت بواحد
فعاجت له نحو الرياض على قبر
تسربل وشيا من خزون تطرزت
مطارفها طرزا من البرق كالتبر
فوشي بلا رقم ورقم بلا يد
ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر
(وقال آخر)
أرقت لبرق شديد الوميض
ترامى غواربه بالشهب
كأن تألقه في السماء
سطور كتبن بماء الذهب
(وقال ابن المعتز)
كأن الرباب الجون دون سحابه
خليع من الفتيان يسحب مئزرا
اذا لحقته خيفة من رعوده
تلفت واستل الحسام المذكرا
(وقد قال حسان بن ثابت)
كأن الرباب دوين السحاب
نعام تعلق بالارجل
(وقال ابن المعتز)
وباكية يضحك فيها برقها
موصولة بالارض مرخاة الطنب
رأيت فيها برقها منذ بدا
كمثل طرف العين أو قلب يجب
جرت بها ريح الصبا حتى بدا

ذكر القدر في مجلس الحسن البصري فقال ان الله خلق الخلق للابتلاء لم يطيعوه باكراه ولم يعصوه
بغلبة ولم يهملهم من الملك وهو القادر على ما اقدرهم عليه والمالك لما ملكهم اياه فان يأتمر العباد
بطاعة الله لم يكن منبطا بل يزيدهم هدى الى هداهم وتقوى الى تقواهم وان يأتمروا بمعصية الله كان
الله قادرا على صرفهم ان شاء وان حال بينهم وبين المعصية فمن بعد اعذار وانذار (مروان بن موسى)
قال حدثنا أبو ضمرة ان غيلان قدم بكلمة قد صاغها حتى وقف على ربيعة فقال له أنت الذي تزعم ان
الله أحب ان يعصى فقال له ربيعة أنت الذي تزعم ان الله يعصى كرها فكانما ألقمه حجرا (قيل)
لطاوس هذا قتادة يحب ان يأتيك فقال ان جاء لاقومن قيل له انه فقيه قال ابليس أفقه منه قال رب
بما أغويتني (وقيل) للشعبي رأيت قتادة قال نعم رأيت كناسة بين حشين القدر هو العلم والكتاب
والكلمة والاذن والمشيئة (قال) الاصمعي سألت اعرابيا فقلت له ما فضل بني فلان على بني فلان قال
الكتاب يعني القدر (وقال) الله عز وجل انا كل شئ خلقناه بقدر (وقال) كل في كتاب مبين
(وقال) ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين يعني القدر (وقال) ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما
(قال) الخشني أبو عبد الله محمد بن عبد السلام شاعران من فحول الجاهلية ذهب أحدهما في بيته
مذهب العدلية والآخر ذهب مذهب الجبرية فالذي ذهب مذهب العدلية فأعشى بكر حيث يقول

استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجلا

والذي ذهب مذهب الجبرية فلبيد بن ربيعة حيث يقول

ان تقوى ربنا خير نفل * وباذن الله ريث وعجل
من هداه سبل الخير اهتدى * ناعم البال وما شاء أضل

(وقال) اياس بن معاوية كلمت الفرق كلها ببعض عقلي وكلمت القدري بعقلي كله فقلت له دخولك
فيما ليس لك ظلم منا قال نعم قلت فان الامر كله لله (وقول) الله عز وجل في القدر قل فلله الحجة البالغة
فلو شاء لهداكم أجمعين (وقال) يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان
هداكم للايمان ان كنتم صادقين (ابن شهاب) قال أنزل الله على نبيه آية في القدرية الذين قالوا
لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين (وقال) لو كنتم في
بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم (وقال) محمد بن سيرين ما ينكر القدرية أن يكون
الله علم من خلقه علما فكتبه عليهم (وقال) رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ما تقول في القدر
قال ويحك أخبرني عن رحمة الله أكانت قبل طاعة العباد قال نعم قال علي أسلم صاحبكم وقد كان كافرا
فقال الرجل له أليس بالمشيئة الاولى التي أنشأني بها أقوم واقعد واقبض وابسط قال له انك بعد في
المشيئة أما اني أسألك عن ثلاث فان قلت في واحدة منهن لا كفرت وان قلت نعم فأنت أنت فمد القوم
أعناقهم ليسمعوا ما يقول فقال له علي أخبرني عنك أخلقك الله كما شئت أو كما شاء قال بل كما شاء قال
فخلقك الله لما شئت أو لما شاء قال بل لما شاء قال فيوم القيامة تأتيه بما شئت أو بما شاء قال بل بما
شاء قال قم فلا مشيئة لك (قال) هشام بن محمد السائب الكلبي كان هشام بن عبد الملك قد انكر على
غيلان التكلم في القدر وتقدم اليه في ذلك أشد التقدم وقال له في بعض ما توعده به من الكلام
ما أحسبك تنتهي حتى تنزل بك دعوة عمر بن عبد العزيز اذا احتج عليك في المشيئة بقول الله عز وجل
وما تشاؤن الا ان يشاء الله فزعمت أنك لم تلق لها بالا فقال عمر اللهم ان كان كاذبا فاقطع يده ورجله
ولسانه واضرب عنقه فانته أولى بك ودع عنك ما ضره اليك أقرب من نفعه فقال له غيلان لحينه
وشقوته ابعث الي يا أمير المؤمنين من يكلمني ويحتج علي فان أخذته بحجتي أمسكت عني فلا سبيل لك
الي وان اخذني بحجته فسألتك بالذي اكرمك بالخلافة الا انفذت في ما دعا به عمر علي فغاظ قوله
هشاما فبعث الى الاوزاعي فحكى له ما قال لغيلان وما رد غيلان عليه فالتفت اليه الاوزاعي فقال له

منها الى البرق كامثال الشهب
تحسبه طورا اذا ما انصدعت
احشاؤها عنه شجاعا يضطرب
وتارة تحسبه كانه
ابلق مال جله حين وثب
وتارة تحسبه كأنه
سلاسل مفصولة من الذهب

(وقال الطائي)

يا سهم البرق الذي استطارا
صار على رغم الدجا نهارا
آض لنا ماء وكان نارا

(وينشد اصحاب المعاني)

نار تجدد للمبين نضرتها
والنار تلفح عيدانا فتحترق

(وقال ابن المعتز) يمدح الشرب في الصحو ويذمه في المطر

أنا لا اشتهي سماء كبطن العـ
ـير والشرب تحتها في خراب
بين سقف قد صار منخل ماء
وجدار ملقى وتل تراب
وبيوت يوقع الوكف فيهن
ن وايقاعه بغير صواب
انما اشتهي الصبوح على وجـ
ـه سماء مصقولة الجلباب
ونسيم من الصبا يتمشى
فوق روض مجدد الشباب
وكان الشمس المضيئة دينا
ر جلته حدائد الضراب
في غداة وكاسها مثل شمس
طلعت في ملاءة من شراب
أو عروس قد ضمخت بخلوق
فهي صفراء في قميص حباب
وغناء لا عذر للعود فيه
يقتدي الاوتار والمضراب
وبراه البساط من وضر الطيـ
ـن ومسح الاقدام في كل باب
ونشاط الغلمان ان عرضت حا
جاتنا في مجيئهم والذهاب
وجفاف الريحان والنرجس
الغض

أسألك عن خمس أو ثلاث فقال غيلان عن ثلاث قال الاوزاعى هل علمت أن الله أعان على ما حرم قال غيلان ما علمت وعظمت عنده قال فهل علمت ان الله قضى على ما نهى قال غيلان هذه أعظم مالى بهذا من علم قال فهل علمت ان الله حال دون ما أمر قال غيلان حال دون ما أمر ما علمت قال الاوزاعى هذا مرتاب من أهل الزيغ فأمر هشام بقطع يده ورجله ثم ألقى فى الكناسة فاحتوشه الناس يعجبون من عظيم ما أنزل الله به من نقمته ثم أقبل رجل كان كثيرا ما ينكر عليه التكلم فى القدر فتخلل الناس حتى وصل اليه فقال يا غيلان اذكر دعاء عمر فقال غيلان أفلح اذا هشام ان كان الذى نزل بى بدعاء عمر أو بقضاء سابق فانه لا حرج على هشام فيما أمر به فبلغ كلمته هشاما فأمر به بقطع لسانه وضرب عنقه لتمام دعوة عمر ثم التفت هشام الى الاوزاعى وقال له قد قلت يا أبا عمرو ففسر فقال نعم قضى على ما نهى عنه نهى آدم عن أكل الشجرة وقضى عليه بأكلها وحال دون ما أمر به أمر ابليس بالسجود لآدم وحال بينه وبين ذلك وأعان على ما حرم حرم الميتة وأعان المضطر على أكلها (الرياشى) عن سعيد بن عامر عن جويرية عن سعيد بن أبى عروبة قال لما سألت قتادة عن القدر فقال رأى العرب تريد أم رأى العجم فقلت بل رأى العرب قال فانه لم يكن احد من العرب الا وهو يثبت وأنشد

ما كان قطعى هول كل تنوفة * الا كتابا قد خلا مسطورا

(وقال) اعرابى الناظر فى قدر الله كالناظر فى عين الشمس يعرف ضوأها ولا يحتم على حدودها وقال كعب بن زهير

لو كنت أعجب من شئ لأعجبنى * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها * فالنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل * لا تنتهى العين حتى ينتهى الاثر

(وقال آخر)

والجد انهض بالفتى من عقله * فانهض بجد فى الحوادث أوذر
ما أقرب الاشياء حين يسوقها * قدر وابعدها اذا لم تقدر

(عبد الرحمن بن القصير) قال حدثنا يونس بن بلال عن يزيد بن أبى حبيب ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أيقدر الله على الشر ثم يعذبنى عليه قال نعم وأنت أظلم (قال) وحدثنى أبو عبد الرحمن المقرى يرفعه الى أبى هريرة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم (ومن) حديث عبد الله بن مسعود قال ما كان كفر بعد نبوة قط الا كان مفتاحه التكذيب بالقدر (ثمامة بن أشرس) قال دخل أبو العتاهية على المأمون لما قدم العراق فأمر له بمال وجعل يحادثه فقال له يوما ما فى الناس أجهل من القدرية قال له المأمون أنت بصناعتك أبصر فلا تتخطاها الى غيرها قال له يا أمير المؤمنين اجمع بينى وبين من شئت منهم فأرسل الى فدخلت عليه فقال لى هذا يزعم انك وأصحابك لا حجة عندكم قلت فليسأل عما بدا له فحرك أبو العتاهية يده وقال من حرك هذه قلت من ناك أمه فقال يا أمير المؤمنين شتمنى قلت له نقضت أصلك يا عاض بظر أمه فضحك المأمون فقلت له يا جاهل تحرك يدك ثم تقول من حركها فلم أشتمك وان كنت أنت المحرك لها فهو قولى قال له المأمون عندك زيادة فى المسئلة (قال الكندى) فى الفن التاسع من التوحيد اعلم ان العالم كله مسوس بالقضاء والقدر أعنى بالقضاء ما قسم لكل مفعول مما هو أصلح وأحكم وأتقن فى بنية الكل لانه جل ثناؤه خالق وابدع مضطرا ومختارا بتمام القدرة فلما كان المختار عن تمام الحكمة لأن تمام الحكمة لمبدع الكل كان لو اطلق واختياره لاختار كثيرا مما فيه فساد الكل فقدر جل ثناؤه بنية للكل تقديرا محكما فصير بعضه سوانح لبعض يختار بارادته ومشيئته غير مقهور بما هو أصلح وأحكم فى بنية الكل فتقدير هذه السوانح هو القدر فبالقضاء والقدر ساس جل ثناؤه جميع ما ابدع بهذه السياسة المحكمة المتقنة التى لا يدخلها زلل ولا نقص فاتضح ان كل مفعول فيما قسم له رب من الاحوال لا خارج عنها وان بعض ذلك باضطرار وبعضه

باختيار

لا تندى أنوفهم كما حـ
نوا بضغث تندى أنوف الكلاب
ذاك يوم أراه غنما وحظا
من عطاء المهيمن الوهاب
(وقال الصنوبرى)
أنيس ظباء بوحش الظبا
وصبغ حيا مثل صبغ الحبا
ويوم تكاله الشمس من
صفاء الهوا وصفاء الهوى
بشمس الدنان وشمس القيان
وشمس الجنان وشمس السما
(وشبيه) بالابيات التى كتبها ثعلب الى أبى العباس بن المعتز بجميل (قول الآخر)
وما وجد ملواح من الهيم خليت
عن الورد حتى جوفها متصلصل
تحوم وتغشاها العصى وحولها
أقاطيع أنعام تعل وتنهل
بأكثر منى لوعة وصبابة
الى الورد الى أننى أتجمل
(وقال أبو حية النميرى)
كفى حزنا أنى ارى الماء معرضا
لعينى ولكن لا سبيل الى الورد
وما كنت أخشى أن تكون منيتى
بكف اعز الناس كلهم عندى
وقال ابن المقفع كان لى أخ أعظم الناس فى عينى وكان رأس ما عظمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه وكان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهى ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان خارجا من سلطان فرجه فلا تدعوه اليه مؤنة ولا يستخف له رأيا ولا بدنا وكان لا يتأثر عند نعمة ولا يستكين عند مصيبة وكان خارجا من سلطان لسانه فلا يتكلم بما لا يعلم ولا يمارى فيما علم وكان خارجا من سلطان

باختيار وان المختار عن سوابغ قدره و بارادته لا بالكره فعل (سئل) اعرابى عن القدر فقال ذاك علم اختصمت فيه الظنون و كثر فيه المختلفون والواجب علينا أن نرد ما اشكل من حكمه الى ما سبق من علمه (اصطحب) مجوسى وقدرى فى سفر فقال القدرى للمجوسى مالك لا تسلم قال ان أذن الله فى ذلك كان قال ان الله قد أذن الا ان الشيطان لا يدعك قال وأنا مع أقواهما (وقال) رجل لهشام بن الحكم أنت تزعم ان الله فى فضله و كرمه وعدله كلفنا ما لا نطيقه ثم يعذبنا عليه قال هشام قد والله فعل ولكن لا نستطيع ان نتكلم (اجتمع) عمرو بن عبيد مع الحرث بن مسكين بمنى فقال له ان مثلى ومثلك لا يجتمعان فى مثل هذا الموضع فيفترقان من غير فائدة فان شئت فقل وان شئت فأنا أقول قال له قل قال هل تعلم أحدا أقبل للعذر من الله عز وجل قال لا قال فهل تعلم عذرا أبين من عذر من قال لا أقدر فيما تعلم أنت انه لا يقدر عليه قال لا قال فلم تقبل قول من لا أقبل للعذر منه عذرا ولا أبين من عذر فانقطع الحرث بن مسكين فلم يرد شيأ ❁(رد المأمون على الملحدين وأهل الاهواء)❁ قال المأمون للثنوى الذى تكلم عنده أسألك عن حرفين لا أزيد عليهما هل ندم مسىء قط على اساءته قال بلى قال فالندم على الاساءة اساءة أم احسان قال بل احسان قال فالذى ندم هو الذى أساء أم هو غيره قال بل هو الذى أساء قال فأرى صاحب الخير هو صاحب الشر قال فانى أقول الذى ندم غير الذى أساء قال فندم على شئ كان منه أم على شئ كان من غيره (قال) له أيضا اخبرنى عن قولك باثنين هل يستطيع أحدهما ان يخلق خلقا لا يستعين فيه بصاحبه قال نعم قال فما تصنع باثنين واحد يخلق كل شئ خير لك وأصح (وقال) المأمون للمرتد الخراسانى الذى أسلم على يديه وحمله معه الى العراق فارتد عن الاسلام أخبرنى ما الذى أوحشك مما كنت به آنسا من ديننا فوالله لان استحييك بحق أحب الى من ان أقتلك بحق وقد صرت مسلما بعد ان كنت كافرا ثم عدت كافرا بعد ان صرت مسلما وان وجدت عندنا دواء لدائك تداويت به وان اخطأك الشفاء ونبا عليك الدواء كنت قد أبليت العذر فى نفسك ولم تقصر فى الاجتهاد لها فان قتلناك ففى الشريعة وترجع أنت فى نفسك الى الاستبصار واليقين ولم تفرط فى الدخول من باب الحزم قال المرتد أوحشنى منكم ما رأيت من الاختلاف فى دينكم قال المأمون لنا اختلافان أحدهما كاختلافنا فى الاذان وتكبير الجنائز وصلاة العيدين والتشهد والتسليم من الصلاة ووجوه القرا آت واختلاف وجوه الفتيا وما أشبه ذلك وهذا ليس باختلاف وانما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من السنة فمن أذن مثنى وأقام مثنى لم يأثم ومن ربع لم يأثم والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا فى تأويل الآية من كتابنا وتأويل الحديث عن نبينا مع اجتماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر فان كان انما أوحشك هذا فينبغى ان يكون اللفظ بجميع التوراة والانجيل متفقا على تأويله كما يكون متفقا على تنزيله ولا يكون بين اليهود والنصارى اختلاف فى شئ من التأويلات ولو شاء الله أن ينزل كتبه مفسرة ويجعل كلام أنبيائه ورسله لا يختلف فى تأويله لفعل ولكنا لم نجد شيأ من أمور الدين والدنيا وقع الينا على الكفاية الا مع طول البحث والتحصيل والنظر ولو كان الامر كذلك لسقطت البلوى والمحن وذهب التفاضل والتباين ولما عرف الحازم من العاجز ولا الجاهل من العالم وليس على هذا بنية الدنيا قال المرتد أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان المسيح عبد الله وان محمدا صادق وانك أمير المؤمنين ❁ وقال المأمون لعلى بن موسى الرضا بم تدعون هذا الامر قال بقرابة على من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له المأمون ان لم يكن ههنا الا القرابة فقد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بيته من كان أقرب اليه من على أو من فى مثل قعدده وان كان بقرابة فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الحق بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعلى فى هذا الامر حق وهما حيان فاذا كان الامر كذلك فان عليا قد ابتزهما حقهما وهما صحيحان واستولى على ما لا يجب له فما أجابه على بن موسى بشئ (كتب) واصل بن عطاء الغزالى الى

الجهالة فلا يتقدم أبدا الا على ثقة بمنفعة وكان أكثر دهره صامتا فاذا قال بذ القائلين وكان ضعيفا مستضعفا فاذا وجد الجد فهو الليث عاديا وكان لا يدخل فى دعوى ولا يشارك فى مراء ولا يدلى بحجة حتى يرى قاضيا فهما وشهودا عدولا وكان لا يلوم أحدا فيما يكون العذر فى مثله حتى يعلم ما عذره وكان لا يشكو وجعه الا عند من يرجو عنده البرء ولا يستشير صاحبا الا ان يرجو منه النصيحة وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكى ولا يتشهى ولا ينتقم من العدو ولا يغفل عن الولى ولا يخص نفسه بشئ دون اخوانه من اهتمامه وحيلته وقوته فعليك بهذه الاخلاق ان أطقتها وان تطيق ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع

(وعلى) قوله وان قال بذ القائلين قال ابن كناسة واسمه محمد بن عبد الله ويكنى أبا يحيى فى ابراهيم بن أدهم الزاهد

رأيتك لا ترضى بما دونه الرضا
وقد كان يرضى دون ذاك ابن أدهما
وكان يرى الدنيا صغيرا عظيمها
وكان لامر الله فيها معظما
وأكثر ما تلقاه فى الناس صامتا
وان قال بذ القائلين فأفحما
يشيع الغنى فى الناس ان مسه الغنى
وتلقى به لبأساء عيسى بن مريما
أهان الهوى حتى تجنبه الهوى
كما اجتنب الجانى الدم الطالب الدما

❁(ألفاظ لاهل العصر فى ذكر

عمرو بن عبيد اما بعد فان انسلاب نعمة العبد بيد الله وتعجيل المعاقبة ومهما يكن ذلك فباستكمال الآثام والمجاورة للعدال الذى يحول بين المرء وقلبه وقد عرفت ما كان يطعن به عليك وينسب اليك ونحن بين ظهرانى الحسن بن أبى الحسن رحمه الله لاستبشاع قبح مذهبك نحن ومن قد عرفته من جميع أصحابنا واولئك اخواننا الحاملين الواعين عن الحسن فبالله بل كم لمة وأعيان وحفظة ما أدمث الطبائع وارزن المجالس وأبين الزهد وأصدق الالسنة اقتدوا والله عن مضى شبهابهم وأخذوا بعهدهم عهدى والله بالحسن وعهدكم به أمس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم شرق الاجفة وآخر حديث حدثنا اذذكر الموت وهول المطلع فأسف على نفسه واعترف بذنبه ثم التفت والله عنه ويسرة معتبرا باكيا فكأنى أنظر اليه يمسح مرفض العرق عن جبينه ثم قال اللهم انى قد شددت وضين راحلتى وأخذت فى أهبة سفرى الى محل القبر وفرش العفو فلا تؤاخذنى بما ينسبون الى من بعدى اللهم انى قد بلغت ما بلغنى عن رسولك وفسرت من محكم كتابك ما قد صدقه حديث نبيك الا وانى خائف عمرا الا وانى خائف عمرا شكاية لك الى ربه جهرا وانت لا أنت عن عين أبى حذيفة أقربنا اليه وقد بلغنى كثيرا مما حملته نفسك وقلدته عنقك من تفسير التنزيل وعبارة التأويل ثم نظرت فى كتبك وما أهدته البنار واتلك من تنقيص المعانى وتفريق المبانى فدات شكاية الحسن عليك بالتحقيق بظهور ما ابتدعت وعظيم ما تحملت فلا يغررك تدبير من حولك وتعظيمهم طولك وخفضهم أعينهم عنك اجلالا لك غدا والله تمضى الخيلاء والتفاخر وتجزى كل نفس بما تسعى ولم يكن كتابى اليك وتجليى عليك الا لتذكرك بحديث الحسن رحمه الله وهو آخر حديث حدثناه فأد المسموع وانطق بالمفروض ودع تأويلك الاحاديث على غير وجهها وكن من الله وجلا (انتهى النصف من كتاب الياقوتة فى العلم والادب) يتلوه باب من أخبار الخوارج (وجدت) فى بعض النسخ زيادة فأوردتها وهى ﴿ماجاء فى ذم الحمق والجهل﴾ قال النبى صلى الله عليه وسلم الجاهل يظلم من خالطه ويعتدى على من هو دونه ويتطاول على من هو فوقه ويتكلم بغير تمييز وان رأى كريمة أعرض عنها وان عرضت فتنة أردته وتهور فيها (وقال) أبو الدرداء علامة الجاهل ثلاث العجب وكثرة المنطق وأن ينهى عن شئ ويأتيه (وقال) أردشير بحسبكم دلالة على عيب الجاهل ان كل الناس تنفر منه ويغضب من أن ينسب اليه (وكان) يقال لا تغررك قرابة ولا اخوة ولا الف فان أحق الناس بتحريق النار أقربهم منها (وقيل) خصلتان لا تقر بانك من الاحمق كثرة الالتفات وسرعة الجواب (وقيل) تصحب الجاهل فانه يريد أن ينفعك فيضرك (ولبعضهم)

لكل داء دواء يستطب به * الا الحماقة أعيت من يداويها

(ولابى العتاهية) احذر الاحمق لا تصحبه * انما الاحمق كالثوب الخلق

كلما رقعته من جانب * زعزعته الريح يوما فانخرق

أو كصدع فى زجاج فاحش * هل ترى صدع زجاج يلتصق

فاذا عاتبته كى يرعوى * زاد شرا وتمادى فى الحمق

﴿أصناف الاخوان﴾ قال العتابى الاخوان ثلاثة أصناف فرع بائن من أصله وأصل متصل بفرعه وفرع ليس له أصل فاما الفرع البائن من أصله فاخاء بنى على مودة ثم انقطعت فحفظ على زمام الصحبة وأما الاصل المتصل بفرعه فاخاء أصله الكرم وأغصانه التقوى وأما الفرع الذى لا اصل له فالمموه الظاهر الذى ليس له باطن وقال النبى صلى الله عليه وسلم الصاحب رقعة فى قميصك فانظر بما ترقعه (وقالوا) من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ولعدو صديقه عدوا (ودخل) دحيم الكلبى على أمير المؤمنين على رضى الله عنه فما زال يذكر معاوية ويطريه فى مجلسه فقال على رضى الله عنه صديق عدوى داخل فى عداوتى * وانى لمن ود الصديق ودود

فلان عذب المشرب عف المطلب نقى الساحة من المآثم برئ الذمة من الجرائم اذا رضى لم يقل غير الصدق واذا سخط لم يتجاوز جانب الحق يرجع الى نفس امارة بالخير بعيدة من الشر مدلولة على سبيل البر اعرض عن زبرج الدنيا وخدعها وأقبل على اكتساب نعم الآخرة ومتعها كف كفه عن زخرف الدنيا ونضرتها وغض طرفه عن متاعها وزهرتها وأعرض عنها وقد تعرضت له بزينتها وصد عنها وقد تصدت له فى حلتها فلان ليس ممن يقف فى ظل الطمع فيسف الى حضيض التصنع نقى الصحيفة على عن الفضيحة عف الازار طاهر من الاوزار قد عاد لاصلاح المعاد واعداد الزاد (وكان) ابن المقفع من أشراف فارس وهو من حكماء زمانه وله مصنفات كثيرة ورسائل مختارة وكان محجما عن قول الشعر وقيل له لم لا تقول الشعر فقال الذى ارضاه لا يجيئنى والذى يجيء لا أرضاه وأخذه بعضهم فقال

أبى الشعر الا أن يفيء رديه الى ويأبى منه ما كان محكما

فياليتنى اذ لم أجد حوك وشيه ولم اك من فرسانه كنت مفحما

وكان ظريفا فى دينه * وذكر انه مر ببيت النار فقال

يابيت عاتكة الذى أتعزل حذر العدا وبه الفؤاد موكل

أصبحت أمنحك الصدود واننى قسما اليك مع الصدود لاميل

البيتان للاحوص بن محمد بن

فلا تقربن منى وانت صديقه * فان الذى بين القلوب بعيد

(وفى هذا المعنى قول العتابى)

تودعدوى ثم تزعم اننى * صديقك ان الراى عنك لعازب
وليس أخى من ودنى رأى عينه * ولكن أخى من ودنى وهو غائب

وقال آخر

ليس الصديق الذى ان زل صاحبه * يوما رأى الذنب منه غير مغفور
وان أضاع له حقا فعاتبه * فيه أتاه بتزويق المعاذير
ان الصديق الذى تلقاه يعذرنى * ما ليس صاحبه فيه بمعذور

وقال آخر

كم من أخ لك لم يلده أبوكا * وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا
صاف الكرام اذا أردت اخاءهم * واعلم بان أخا الحفاظ أخوكا
والناس ما استغنيت كنت أخاهم * واذا افتقرت اليهم رفضوكا

(وقال بعضهم)

أخوك الذى ان قمت بالسيف عامدا * لتضربه لم يستغشك فى الود
ولو جئت تبغى كفه لتبينها * لبادر اشفاقا عليك من الود
يرى انه فى الود كان مقصرا * على انه قد زاد فيه على الجهد

(وقال آخر)

ان كنت متخذا خليلا * فتنق وانتقد الخليلا
من لم يكن لك منصفا * فى الود فابغ به بديلا
ولقلما تلقى اللئيم عليك الا مستطيلا

(وللعطوى)

صن الود الا عن الاكرمين * ومن بمواخاته تشرف
فكم من أخ ظاهر ورده * ضعيف مودته أجيف
ولا تغترر من ذوى خلة * بما هو هوى لك أو زخرف
اذا أنت عاتبته فى الاخا * تنكر منه الذى تعرف

(وكتب العباس بن جرير الى الحسن بن مخلد)

ارع الاخاء أبا محمد الذى يصفو وصنه
واذا رأيت منافسا * فى نيل مكرمة فكنه * ان الصديق هو الذى
يرعاك حيث تغيب عنه * فاذا كشفت اخاءه * أحمدت ما كشفت عنه
مثل الحسام اذا انتضا * ه ذو الحفيظة لم يخنه
يسعى لما يسعى له * كرما وان لم تستعنه

(ولآخر)

خير اخوانك المشارك فى المر وأين الشريك فى المر أينا
الذى ان شهدت فى الحضر انسر وان غبت كان أذنا وعينا

(ولآخر)

ومن العناء أخ حنايته * علق بنا ولغيرنا سلبه

(وقال آخر)

اذا رأيت انحرافا من أخى ثقة * ضاقت على برحب الارض أوطانى
فان صددت بوجهى كى أكفئه * فالعين غضبى وقلبى غير غضبان

(وكتب بعضهم الى محمد بن بشار)

من لم يردك فلا ترد * ه وكن كمن لم تستعده * باعد أخاك لبعده
واذا دنا شبرا فزده * كم من أخ لك على ابن بشار وأمك لم تلده
وأخى مناسبة يسو * ءك عيبه لم تفتقده

(فأجابه محمد بن بشار)

غلط الفتى فى قوله * من لم يردك فلا ترده * من نافس الاخوان لم

عاصم بن ثابت بن أبى الافلح الانصارى أخى بنى عمرو بن عوف وعاصم بن ثابت حمى الدبر قتله بنو لحيان من هذيل يوم الرجيع فأرادوا ان يبعثوا برأسه الى مكة وكانت سلافة بنت سعد نذرت لتشربن فى رأسه الخمر وكان قتل بعض ولدها من طلحة ابن أبى طلحة احد بنى عبد الدار يوم احد فلما ارادوا اخذ رأسه حمته الدبر وهى النحل فلم يجدوا اليه سبيلا وجعلوا يقولون ان الدبر لو قد امسى صرنا الى حشواسته فلما امسوا بعث الله أثنا فواراه منهم وعاتكة التى ذكرهى عاتكة بنت يزيد بن معاوية * ولما دخل ابو جعفر المنصور المدينة قال للربيع ابغنى رجلا عاقلا عالما بالمدينة ليقفنى على دورها فقد بعد عهدى بديار قومى فالتمس له الربيع فتى من اعقل الناس واعلمهم فكان لا يبتدى باخبار حتى يسأله المنصور فيجيبه باحسن عبارة واجود بيان واوفى معنى فأعجب المنصور به وامر له بمال فتأخر عنه ودعته الضرورة الى استنجازه فاجتاز ببيت عاتكة فقال يا امير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الاحوص
* يا بيت عاتكة الذى اتغزل *
البيت ففكر المنصور فى قوله وقال لم يخالف عادته بابتداء الاخبار دون الاستخبار الا لامر وأقبل يردد القصيدة ويتصفحها بيتا بيتا حتى انتهى الى قوله فيها
وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق اللسان يقول ما لا يفعل

يبدا العتاب ولم يعده * عاتب أخاك اذا هفا * واعطف بودك واستمده
واذا أتاك بغيبة * واش فقل لم تعتمده

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه من لانت كلمته وجبت محبته (وينشد)
كيف أصبحت كيف أمسيت مما * يثبت الود فى فؤاد الكريم

وعلى الصديق أن لا يأتى صديقه الا بما يحب ولا يؤذى جليسه فيما هو عنه بمعزل ولا يأتى بما يعيب مثله ولا يعيب ما يأتى شكله (وقد قال المتوكل الليثى)
لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

(وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثلاث يثبتن لك الود فى صدر أخيك ان تبدأه بالسلام وتوسع له فى المجالس وتدعوه بأحب الاسماء اليه (وقال) ليس شر فى خير ولا شر من صاحب وقال الشاعر
ان كنت تبغى المرء أو أصله * وشاهدا يخبر عن غائب
فاعتبر الارض بأسمائها * واعتبر الصاحب بالصاحب

(لعدى بن زيد)
عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه * فان القرين بالمقارن يقتدى

(ولعمرو بن جميل التغلبى)
سأصبر من صديقى ان جفانى * على كل الاذى الا الهوانا
فان الصبر يأنف فى خلاء * وان حضر الجماعة أن يهانا

(قال) رجل لطميع بن اياس جئتك خاطبا مودتك فقال له قد زوجتك على شرط أن تجعل صداقها أن لا تسمع فى مقالة الناس (ويقال) فى المثل من لم يزدرد الريق لم يستكثر من الصديق وما أحسن ما قال ابراهيم بن العباس
ياصديقى الذى بذلت له الود * وأنزلته على أحشائى * ان عيناقذيتها التراعة
لك على ما بها من الاقذاء * ما بها حاجة اليك ولكن * هى معقودة بحبل الوفاء

(ولابن أبى حازم)
أرض من المرء فى مودته * بما يؤدى اليك ظاهره
من يكشف الناس لم يجد أحدا * يصح منه غدا سرائره
يوشك أن لا يتم وصل أخ * فى كل زلاته تنافره
أن ساءنى صاحبى احتملت وان * سرفانى أخوه شاكره
أصفح عن ذنبه وان طلب العذر فانى عليه عاذره

(ولغيره)
انى اذا اعطلت عنك فلم أزد * لاحداث دهر لا يزال يعوق
لقد أصبحت نفسى عليك شفيقة * ومثلى على أهل الوفاء شفيق
أسر بما فيه سرورك اننى * جدير بكون الاخاء حقيق
عدو لمن عاديت سلم مسالم * لكل امرئ يهوى هواك صديق

(ولابى عبد الله بن عرفة)
همو رجال فى أمور كثيرة * وهمى من الدنيا صديق مساعد
يكون كروح بين جسمين فرقا * بجسماهما جسمان والروح واحد

وقال بعض الحكماء الاخاء جوهرة رقيقة وهى مالم ترقها وتحرسها معرضة للافات فرض الابى بالجدال له حتى تصل الى قربه وبالكظم حتى يعتذر اليك من ظلمك والرضا حتى لا تستكثر من من نفسك بالفضل ولا من أخيك بالتقصير (ولمحمود الوراق)

الرجل ما أمر الله به فقال أخرته عنه لعله ذكرها الربيع فقال عجل له مضاعفا وهذا ألطف تعريض من الرجل وحسن فهم من المنصور (ومن كلام ابن المقفع) الحاسد لا يزال زاريا على نعمة الله ولا يجد لها مزالا ومكدرا على نفسه ما به من النعمة فلا يجد لها طعما ولا يزال ساخطا على من لا يترضاه ومتسخطا لما لا ينال فهو مكظوم هلوع جزوع ظالم اشبه شئ بظلوم محروم الطلبة منغص العيشة دائم التسخط لا بما قسم له يقنع ولا على ما لم يقسم له يغلب والمحسود يتقلب فى فضل نعم الله مباشرا للسرور ممهلا فيه الى مدة لا يقدر الناس لها على قطع ولا انتقاص ولو صبر الحاسد على ما به لكان خيرا له لانه كلما اراد ان يطفئ نور الله علاه ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وقال الطائى
لولا التخوف للعواقب لم تزل
للحاسد النعمى على المحسود
واذا اراد الله نشر فضيلة
طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود
(اخذه البحترى فقال)
وان تستبين الدهر موضع نعمة
اذا انت لم تدلل عليها بحاسد
(ولقد أحسن القائل)
ان يحسدونى فانى غير لائمهم
قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم ما بى وما بهم

لابرأعظم من مساعدة * فاشكر أخاك على مساعدته
وإذا هفا فاقله هفوته * حتى يعود أخا كعادته
فالصفح عن زلل الصديق وان * أعياك خير من معاندته

(لعبد الصمد بن المعذل)

من لم يردك ولم ترده * لم يستفدك ولم تفده
قرب صديقك ما نأى * ورد التقارب واسترده
واذا وهت أركانه * ومن أخي ثقة فشده

{بقية الياقوتة في العلم والادب}

{باب من أخبار الخوارج}

لما خرجت الخوارج على علي رضي الله عنه وكانوا من أصحابه فلما كان من أمر الحكمين ما كان واختداع عمرو لابي موسى قالوا لا حكم الا لله فلما سمع علي رضي الله عنه نداءهم قال كلمة حق يراد بها باطل وانما مذهبهم أن لا يكون أمير ولابد من أمير برا كان أو فاجرا (وقالوا) لعلي شككت في أمرك وحكمت عدوك في نفسك وخرجوا الى حروراء وخرج اليهم علي رضي الله عنه فخطبهم متوكئا على قوسه وقال هذا مقام من أفلح فيه أفلح يوم القيامة أنشدكم الله هل علمتم ان أحدا كان أكره للحكومة مني قالوا اللهم نعم قال فعلام خالفتموني وبايعتموني قالوا انا أتينا ذنبا عظيما فتبنا الى الله منه فتب الى الله منه واستغفره نعد اليك فقال علي اني أستغفر الله من كل ذنب فرجعوا معه وهم في ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة أشاعوا ان عليا رجع عن التحكيم وتاب منه ورآه ضلالا فأتى الاشعث بن قيس عليا رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين ان الناس قد تحدثوا انك رأيت الحكومة ضلالا والاقامة عليها كفرا وتبت فخطب علي الناس فقال من زعم اني رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فهو أضل منها فخرجت الخوارج من المسجد فحكمت فقيل لعلي انهم خارجون فقال لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون فوجه اليهم عبد الله بن العباس فلما سار اليهم رحبوا به وأكرموه فرأى منهم جباها قرحت لطول السجود وأيديا كثفنات الابل وعليهم قمص مرحضة وهم مشمرون قالوا ما جاء بك يا ابن عباس قال جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه ومن عند المهاجرين والانصار فقالوا انا أتينا عظيما حين حكمنا الرجال في دين الله فان تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا فقال ابن عباس نشدتكم الله الا ما صدقتم انفسكم أما علمتم ان الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم وفي شقاق امرأة ورجلها فقالوا اللهم نعم قال فانشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين الحديبية قالوا نعم ولكن عليا محا نفسه من خلافة المسلمين قال ابن عباس ذلك يزيلها عنه وقد محا رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة وقال سهل بن عمرو لو علمت أنك رسول الله ما حاربتك فقال للكاتب اكتب محمد بن عبد الله وقد أخذ علي الحكمين أن لا يجورا فعلي أولى من معاوية وغيره وقالوا ان معاوية يدعي مثل دعوى علي قال فأيهما رأيتموه أولى فولوه قالوا صدقت قال ابن عباس ومتى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما فاتبعه منهم ألفان وبقي اربعة آلاف فصلى بهم صلاتهم ابن الكواء وقال متى حدث حرب فرئيسكم شبث بن ربعي الرياحي فلم يزالوا على ذلك حتى اجتمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي فخرج بهم الى النهروان وأوقع بهم علي فقتل منهم ألفين وثمانمائة وكان عددهم ستة آلاف وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين ممن يسر أمره فخرج منهم رجل بعد أن قال علي رضي الله عنه ارجعوا وادفعوا الينا قاتل عبد الله بن خباب قالوا كلنا قتله وشرك في دمه وذلك انهم لما خرجوا اليهم لقوا مسلما ونصرانيا فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني خيرا وقالوا احفظوا ذمة نبيكم ولقوا عبد الله بن خباب وفي عنقه المصحف ومعه امرأته وهي حامل فقالوا ان هذا الذي في عنقك

ومات أكثرنا غيظا بما يجد
أنا الذي يجدوني في صدورهم
لا ارتقي صدرا عنها ولا ارد
وقال ابن الرومي لصاعد بن مخلد
وضدلكم لا زال يسفل جده
ولا برحت انفاسه تتصعد
يرى زبرج الدنيا يزف اليكم
ويغضي عن استحقاقكم فهو يفاد
ولو قاس باستحقاقكم ما منحتم
لاطفأ نارا في الحشا تتوقد
وآنق من عقد العقيلة جيدها
وأحسن من سربالها المتجرد
(وقال معن بن زائدة)
اني حسدت فزاد الله في حسدي
لا عاش من عاش يوما غير محسود
ما يحسد المرء الا من فضائله
بالعلم والظرف أو بالبأس والجود
{الفاظ لاهل العصر في ذكر الحسد} قد دبت عقارب الحسدة
وكمنت افاعيهم بكل مرصدة
فلان معجون من طينة
الحسد والمنافسة مضروب في
قالب الضيق والمناقشة قد وكل
بي لحظا يتصل بأسهم الحسد
فلان جسد كله حسد وعقد كله
حقد الحاسد يعمى عن محاسن
الصبح بعين تدرك دقائق القبح
(كتب) محمد بن حماد يعرض
في حاجة له ببيتي شعر الى
الواثق يقول
جذبت دواعي النفس عن طلب
المنى
وقلت لها كفي عن الطلب المزري
فان أمير المؤمنين بكفه
مدار رحى بالرزق دائمة تجري
فوقع تحتهما جذبك نفسك
عن امتهانها بالمسألة دعاني الى
صونك بسعة فضلي عليك فخذ
ما طلبت هنيا * قال علي بن
عبيدة أتيت الحسن بن سهل

بأمرنا بقتلك فقال لهم أحيوا ما أحيا القرآن وأميتوا ما أمات القرآن قالوا حدثنا عن أبيك قال حدثني أبي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسي مؤمنا ويصبح كافرا فكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل قالوا فما تقول في أبي بكر وعمر فأثنى خيرا قالوا فما تقول في الحكومة والتحكيم قال أقول ان عليا أعلم بالله منكم وأشد توقيا على دينه وأبعد بصيرة قالوا انك لست تتبع الهدى بل الرجال على أسمائها ثم قربوه الى شاطئ النهر فذبحوه فاندفر دمه أي جرى مستقيما على رقة وساموا رجلا نصرانيا بنخلة فقال هي لكم هبة قالوا ما كنا نأخذها الا بثمن فقال ما أعجب هذا تقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا نخلة الا بثمن * ثم افترقت الخوارج على أربعة أضرب (الاباضية) أصحاب عبد الله بن اباض (والصفرية) واختلفوا في نسبهم فقال قوم سموا بابن الصفار وقال قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم (ومنهم البيهسية) وهم أصحاب ابن بيهس (ومنهم الازارقة) أصحاب نافع بن الازرق الحنفي وكانوا قبل على رأي واحد لا يختلفون الا في الشيء الشاذ فبلغهم خروج مسلم بن عقبة الى المدينة وقتله أهل حرة وانه مقبل الى مكة فقالوا يجب علينا أن نمنع حرم الله منهم ونمتحن ابن الزبير فان كان على رأينا تابعناه فلما صاروا الى ابن الزبير عرفوه أنفسهم وما قدموا له فأظهر لهم انه على رأيهم حتى أتاهم مسلم بن عقبة وأهل الشام فدافعوه الى أن يأتي رأي يزيد بن معاوية ولم يتابعوا ابن الزبير ثم تناظروا فيما بينهم فقالوا ندخل الى هذا الرجل فننظر ما عنده فان قدم أبا بكر وعمر وبرئ من عثمان وعلي وكفر أباه وطلحة بايعناه وان تكن الاخرى ظهر لنا ما عنده وتشاغلنا بما يجدي علينا فدخلوا على ابن الزبير وهو متبذل وأصحابه متفرقون عنه فقالوا له انا جئناك لتخبرنا رأيك فان كنت على صواب بايعناك وان كنت على خلاف دعوناك الى الحق ما تقول في الشيخين قال خيرا قالوا فما تقول في عثمان الذي حمى الحمى وآوى الطريد وأظهر لاهل مصر شيئا وكتب بخلافه وأوطأ آل بني معيط رقاب الناس وآثرهم بفيء المسلمين وفي الذي بعده الذي حكم الرجال وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم وفي أبيك وصاحبه وقد بايعا عليا وهو امام عادل مرضي لم يظهر منه كفر ثم نكثا بيعته وأخرجا عائشة فقاتلت وقد أمرها الله وصواحبها أن يقررن في بيوتهن وكان في ذلك ما يدعوك الى التوبة فان أنت قبلت كل ما نقول فلك الزلفى عند الله والنصر على أيدينا ان شاء الله ونسأل الله لك التوفيق وان أبيت خذلك الله وانتصر منك بأيدينا فقال ابن الزبير ان الله أمر وله العزة والقدرة في مخاطبة أكفر الكافرين وأعتى العاتين بأرق من هذا القول قال لموسى وأخيه صلى الله عليهما اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات فنهى عن سب أبي جهل من أجل عكرمة ابنه وأبو جهل عدو الله ورسوله والمقيم على الشرك والجاد في محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة والمحارب له بعدها وكفى بالشرك ذنبا وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذي سميتم فيه طلحة وأبي أن تقولوا تبرأ من الظالمين فان كانا منهم دخلا في غمار المسلمين وان لم يكونا منهم لم تحفظوني بسب أبي وصاحبه وأنتم تعلمون ان الله جل وعز قال للمؤمن في أبويه وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا وقال وقولوا للناس حسنا وهذا الذي دعيتم اليه أمر له ما بعده وليس يقنعكم الا التوقيف والتصريح ولعمري ان ذلك أحرى بقطع الحجج وأوضح لمنهاج الحق وأولى بان يعرف كل صاحبه من عدوه فروحوا الي من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه ان شاء الله تعالى فلما كان العشي راحوا اليه فخرج اليهم وقد لبس سلاحه فلما رأى ذلك نجدة قال هذا خروج منابذ لكم فجلس على رفيع من الارض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر ثم ذكر عثمان في السنين الاوائل من خلافته ثم وصلهن بالسنين التي أنكروا سيرته فيها فجعلها كالماضية وأخبر انه آوى الحكم بن أبي العاصي باذن رسول الله

يقسم الصلح فلقت سابمثلاثة أشهر لا أحظى منه بطائل فكتبت اليه

مدحتك أني جاهل ذا الايادي
وماله بذاك يد عندي ولا قدم بعد
وما ذنبه والناس الا أقلهم
عيال له ان كان لم يك لي جد
سأحمد للناس حتى اذا بدا
له في رأي عاد لي ذلك الحمد

فكتب الي باب السلطان يحتاج الى ثلاث خلال عقل وصبر ومال فقلت للواسطة تؤدي عني قال نعم قلت تقول له لو كان لي مال لاغناني عن الطلب اليك او صبر لصبرت عن الذل ببابك او عقل لاستدللت به على النزاهة عن رفدك فأمر لي بثلاثين الف درهم * وقال علي بن عبيدة الريحاني يوما وقد رأى جارية يهواها لولا البقيا على الضمائر لهم ناجيا تجنه السرائر لكن نيران الحب تتدارك بالاخفاء ولا تعاجل بالابداء فان دوامها مع اغلاق أبواب الكتمان وزوالها في فتح مصارع الاعلان (وقد قال محمد بن يزيد الاموي)

لا وحبيك لا أصا
فح بالدمع مدمعا
من بكى حبه استرا
ح وان كان موجعا

(ومن كلام علي بن عبيدة) اجعل انسك آخر ما تبذل من ودك وصن الاسترسال منك حتى تجد له مستحقا فان الانس لباس العرض وتحفة الثقة وحباء الاكفاء وشعار الخاصة فلا تخلق جدته الا لمن يعرف قدر ما بذلت له منك (وقال) لولا حركات من الابتهاج أجدها عند رؤيتك في

عليه وسلم وذكر الحمى وما كان فيه من الصلاح فان القوم استعتبوه ما كان له أن يفعله ولا عمه عيابهم
اعتبهم بعد ذلك محمدا وان أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا انه منه بعد ان ضمن لهم العتبى ثم كتب
ذلك الكتاب بقتلهم فدفعوا الكتاب اليه فحلف بالله انه لم يكتبه ولم يأمر به وقد أمر الله عز وجل
بقبول اليمين ممن ليس له مثل سابقته مع ما اجتمع له من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه
الامامة وأن بيعة الرضوان تحت الشجرة انما كانت بسببه وعثمان الرجل الذي لزمته يمين لو حلف
عليها لحلف على حق فافتداها بمائة ألف ولم يحلف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف
بالله فليصدق ومن حلف بالله فليقبل وعثمان أمير المؤمنين وأنا ولي وليه وعدو عدوه وأبي وصاحبه
صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن الله عز وجل يوم أحد لما قطعت اصبع طلحة سبقته
الى الجنة وقال أوجب طلحة وكان الصديق اذا ذكر يوم أحد قال ذلك يوم كله لطلحة والزبير حواري
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفوته وقد ذكرانهما في الجنة وقال عز وجل لقد رضي الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وما أخبرنا بعد انه سخط عليهم وان يكن ما صنعوا حقا فاهل
ذلك هم وان يكن زلة ففي عفو الله تمحيصها وفيما وفقهم من السابقة مع نبيهم صلى الله عليه
وسلم ومهما ذكرتموهما فقد بدأتكم بامكم عائشة فان أبي آب أن تكون له أما نبذ اسم الايمان
عنه وقد قال جل ذكره النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم فنظر بعضهم الى
بعض ثم انصرفوا عنه (وكتب) بعد ذلك نافع بن الازرق الى عبد الله بن الزبير يدعوه الى أمره
أما بعد فاني أحذرك من الله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن
بينها وبينه أمدا بعيدا فاتق الله ربك ولا تول الظالمين فان الله يقول ومن يتولهم منكم فانه منهم وقال
لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ وقد
حضرت عثمان يوم قتل فلعمري لئن كان قتل مظلوما لقد كفر قاتلوه وخاذلوه وان كان قاتلوه مهتدين
وانهم لمهتدون لقد كفر من تولاه ونصره ولقد علمت ان أباك وطلحة وعليا كانوا أشد الناس عليه
وكانوا في أمره بين قاتل وخاذل وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان فكيف ولاية قاتل متعمد ومقتول
في دين واحد وكيف ولي علي بعده فنفى الشبهات وأقام الحدود وأجرى الاحكام مجاريها وأعطى
الامور حقها فيما عليه وله فبايعه أبوك وطلحة ثم خلعا بيعته ظالمين له وان القول فيك وفيهما كما قال
ابن عباس رحمه الله ان يكن علي في وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان مؤمنا لقد كفرتم بقتال المؤمنين
وأئمة العدل وان كان كافرا كما زعمتم وفي الحكم جائرا فقد بؤتم بغضب من الله لفراركم من الزحف
ولقد كنت له عدوا ولسيرته عائبا فكيف توليته بعد موته (وكتب) نجدة وكان من الصفرية القعدية
الى نافع بن الازرق لما بلغه عنه استعراضه للناس وقتله الاطفال واستحلاله الامانة بسم الله الرحمن
الرحيم أما بعد فان عهدي بك وأنت لليتيم كالاب الرحيم وللضعيف كالاخ البر لا تأخذك في الله لومة
لائم ولا ترى معونة ظالم فلما شريت نفسك في طاعة ربك ابتغاء رضوانه وأصبت من الحق فصه تحير
ذلك الشيطان فلم يكن أحد أثقل وطأة عليه منك ومن أصحابك فاستمالك واستغواك فغويت
وكفرت الذين عذرهم الله في كتابه من قعدة المسلمين وضعفتهم فقال جل ثناؤه وقوله الحق ووعده
الصدق ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله
ورسوله ثم سماهم أحسن الاسماء فقال ما على المحسنين من سبيل ثم استحللت قتل الاطفال وقد نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم وقال جل ثناؤه ولا تزر وازرة وزر أخرى وقال في القعد خيرا
وفضل الله من جاهد عليهم ولا يرفع أكثر الناس عملا ومنزلة عمن هو دونه الا اذا اشتركا في أصل أوما
سمعت قوله تبارك وتعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر فجعلهم من المؤمنين
وفضل عليهم المجاهدين بأعمالهم ورأيت من رأيك أن لا تؤدي الامانة الى من يخالفك والله يأمرك أن

نفسي لا أعرف لها مثيرا من
مظانها الا مؤانستك لي أبقيت
عليك من العناء وخففت عنك
مؤنة اللقاء لكني أجد من
الزيادة بك عندي أكثر من
قدر راحتك في تأخرك عني
فاضيق عن احتمال الخسران
بالوحدة منك (وقال) لو حلي
من طلوع الملالة بكر اللقاء
استخف التجافي مع شدة الشوق
لتبقى جدة الحال عند من
احب دوامه لي ورد طرف الشوق
باطنا أيسر من معاينة الجفاء
من الودود ظاهرا (وقال بعض
المحدثين)

كم استراح الى صبر فلم يرح
صب اليكم من الاشواق في ترح
تركتم قلبه من حزن فرقتكم
لو يرزق الوصل لم يقدر على الفرح

(وقال اعرابي)

الا قل لدار بين أكثبة الحمى
وذات الغضى جادت عليك
الهواضب
أجدك لا آتيك الا تتابعت
دموع اضاعت ما حفظت
سواكب
ديار تقسمت المنى غوارضها
وطاوعني فيها الهوى والحبائب
ليالي لا الهجران محتكم بها
على وصل من أهوى ولا الظن
كاذب

(تنازع) ابراهيم بن المهدي
وابن بختيشوع الطبيب بين
يدي أحمد بن أبي دواد في
مجلس الحكم في عقار بناحية
السواد فأربى عليه ابراهيم
وأغلظ له فاحفظ ذلك ابن ابي
دواد فقال يا ابراهيم اذا نازعت
في مجلس الحكم بحضرتنا امرأ
فلا أعلمن انك رفعت عليه

تؤدى الامانات الى أهلها فاتق الله وانظر لنفسك واتق يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ فان الله بالمرصاد وحكمه العدل وقوله الفصل والسلام (فكتب) اليه نافع بن الازرق بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فقد اتانى كتابك تعظنى فيه وتذكرنى وتنصح لى وتزجرنى وتصف ما كنت عليه من الحق وما كنت اوثره من الصواب وانا اسأل الله ان يجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وعبت على مادنت به من اكفار القعد وقتل الاطفال واستحلال الامانة وسافسر لك ذلك ان شاء الله اما هؤلاء القعد فليسوا كمن ذكرت ممن كان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون الى الهرب سبيلا ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقا وهؤلاء قد فقهوا فى الدين وقرؤا القرآن والطريق لهم نهج واضح وقد عرفت ما يقول الله لمن كان مثلهم اذ قال الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقال فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقال وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم فسماهم بالكفر وأما امر الاطفال فان نبى الله نوحا كان أعرف بالله يا نجدة منى ومنك قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فسماهم بالكفر وهم اطفال وقبل ان يولدوا فكيف جاز ذلك فى قوم نوح ولا يجوز فى قومنا والله يقول اكفاركم خير من أولئكم ام لكم براءة فى الزبر وهؤلاء كمشركى العرب لا تقبل منهم جزية وليس بيننا وبينهم الا السيف أو الاسلام وأما استحلال الامانات ممن خالفنا فان الله عز وجل احل لنا أموالهم كما احل لنا دماءهم فدماؤهم حلال طلق وأموالهم فىء للمسلمين فاتق الله وراجع نفسك فانه لا عذر لك الا بالتوبة ولا يسعك خذلاننا والقعود دوننا والسلام على من اقر بالحق وعمل به (وكان) مرداس أبو بلال من الخوارج وكان مستترا فلما رأى جد ابن زياد فى قتل الخوارج وحبسهم قال لاصحابه انه والله لا يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجرى علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للعقل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف واخافة السبيل لامر عظيم ولكنا لا نبتديهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل الا من قاتلنا فاجتمع عليه أصحابه وهم ثلاثون رجلا فأرادوا ان يولوا أمرهم حريث بن حجر فأبى فولوا أمرهم مرداسا أبا بلال فلما مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رباح الانصارى وكان له صديقا فقال له يا أخى اين تريد قال اريد ان اهرب بدينى ودين أصحابى هؤلاء من احكام الجورة والظلمة فقال له اعلم بكم احد قال لا قال فارجع قال اوتخاف على مكروها قال نعم قال فلا تخف فانى لا اجرد سيفا ولا اخيف احدا ولا اقاتل الا من قاتلنى ثم مضى حتى نزل آبل وهو موضع دون خراسان فربه مال يحمل الى ابن زياد وقد بلغ اصحابه اربعين رجلا فحط ذلك المال واخذ منه عطاءه واعطيات اصحابه ورد الباقى عن الرسل فقال قولوا لصاحبكم انا قبضنا اعطياتنا فقال بعض اصحابه فعلام ندع الباقى فقال انهم يقيمون هذا الفىء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم مع الصلاة ولابى مرداس هذا اشعار فى الخروج (منها قوله)

ابعد ابن وهب ذى النزاهة والتقى * ومن خاض فى تلك الحروب المهالكا
أحب بقاء أو أرجى سلامة * وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا
فيارب سلم نيتى وبصيرتى * وهب لى التقى حتى الاقى اولئكا

(وقالوا) ان رجلا من اصحاب زياد قال خرجنا فى جيش نريد خراسان فمررنا بآبل فاذا نحن بمرداس واصحابه وهم اربعون رجلا فقال اقاصدون لقتالنا انتم قلنا لا انما نريد خراسان قال فأبلغوا من لقيتم انا لم نخرج لنفسد فى الارض ولا لنروع احدا ولكن هربنا من الظلم ولسنا نقاتل الا من قاتلنا ولا نأخذ من الفىء الا اعطياتنا ثم قال اندب لنا احدا فقلنا نعم اسلم بن زرعة الكلابى قال فمتى ترونه يصل الينا قلنا له يوم كذا وكذا فقال أبو بلال حسبنا الله ونعم الوكيل وندب عبد الله بن زياد أسلم بن

فتوقا ولا اشرت بسد ولكن لصدك أماور يحاسبانكه بكلامك معتدلا ووف مجالس الخليفة حقوقها من التعظيم والتوقير والاستكانة والتوجه الى الواجب فان ذلك أشكل بك واشمل لمذهبك فى مجتدك وعظيم خطرك ولا تعجلن الرب بمجلة تهب رشاوالله عصمك من خطل القول والعمل ويتم نعمته عليك كما أتمها على أبويك من قبل ان ربك حكيم عليم فقال ابراهيم أصلحك الله تعالى أمرت بسداد وحضضت على رشاد ولست عائدا لما نثلم مروأتى عندك ويسقطنى من عينك ويخرجنى من مقدار الواجب الى الاعتذار فها أنا معتذر اليك من هذه البادرة اعتذار مقر بذنبه معترف بجرمه ولا يزال الغضب يستفزنى بمواده فيردنى مثلك بحلمه وتلك عادة الله عندك وعندنا منك وقد جعلت حقى من هذا العقار لابن بختيشوع فليت ذلك يكون وافيا بأرش الجناية عليه ولم يتلف مال أفاد موعظة وحسبنا الله ونعم الوكيل * لما استوثق امر أردشير بن بابك وجمع ملوك الطوائف وتم له ملكه جمع الناس فخطبهم خطبة حض فيها على الالفة والطاعة وحذرهم المعصية ومفارقة الجماعة وصنف الناس أربعة أصناف فخروا له سجدا وتكلم متكلمهم فقال لا زلت أيها الملك محبوا من الله تعالى بعز النصر ودرك الامل ودوام العافية وتمام النعمة وحسن

زرعة الكلابي ووجهه اليهم في الفين فلما صار اليهم صاح به أبو بلال اتق الله يا أسلم فانا لا نريد قتالا ولا نحتجز مالا فما الذي تريد قال أريد ان أردكم الى ابن زياد قال اذا يقتلنا قال وان قتلكم قال أفتشرك في دمائنا قال نعم انه محق وأنتم مبطلون قال أبو بلال وكيف هو محق وهو فاجر يطيع الظلمة ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضبا شديدا وقال انهزمت وأنت في ألفين عن أربعين رجلا قال له أسلم والله لئن تذمني حيا أحب الي من أن تحمدني ميتا وكان اذا خرج الى السوق ومر بالصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك حتى شكا الى زياد فأمر الشرط أن يكفوا الناس عنه ﴿رد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه على شوذب الخارجي﴾ الهيثم بن عدي قال أخبرني عوانة بن الحكم عن محمد بن الزبير قال بعثني عمر بن عبد العزيز مع عون بن عبد الله بن مسعود الى شوذب الخارجي وأصحابه اذ خرجوا بالجزيرة وكتب معنا كتابا فقدمنا عليهم ودفعنا كتابه اليهم فبعثوا معنا رجلا من بني شيبان ورجلا فيه حبشية يقال له شوذب فقدما معنا على عمر وهو بخاصرته فصعدنا اليه وكان في غرفة ومعه ابنه عبد الملك وحاجبه مزاحم فأخبرناه بمكان الخارجيين قال عمر فتشوهما لا يكن معهما حديد وادخلوهما فلما دخلا قالا السلام عليكم ثم جلسا فقال لهما عمر أخبراني ما الذي أخرجكم عن حكمي هذا وما نقمتم فتكلم الاسود منهما فقال انا والله ما نقمنا عليك في سيرتك وتحريك العدل والاحسان الى من وليت ولكن بيننا وبينك أمر ان أعطيتناه فنحن منك وأنت منا وان منعتناه فلست منا ولسنا منك قال عمر ما هو قال رأيناك خالفت أهل بيتك وسميتها مظالم وسلكت غير طريقهم فان زعمت أنك على هدى وهم على ضلال فالعنهم وابرأ منهم فهذا الذي يجمع بيننا وبينك أو يفرق فتكلم عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اني قد علمت أو ظننت انكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا ومتاعها ولكنكم أردتم الآخرة فأخطأتم سبيلها واني سائلكما عن أمر فبالله أصدقاني فيه مبلغ علمكما قالا نعم قال أخبراني عن أبي بكر وعمر أليسا من أسلافكما ومن تتوليان وتشهدان لهما بالنجاة قالا اللهم نعم قال فهل علمتما ان أبا بكر حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتدت العرب قاتلهم فسفك الدماء وأخذ الاموال وسبى الذراري قالا نعم قال فهل علمتم أن عمر قام بعد أبي بكر فرد تلك السبايا الى عشائرها قالا نعم قال فهل برئ عمر من أبي بكر أو تبرؤن أنتم من أحد منهما قالا لا قال فأخبراني عن أهل النهروان أليسوا من صالحي أسلافكم وممن تشهدون له بالنجاة قالا نعم قال فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا كفوا أيديهم فلم يسفكوا دما ولم يخيفوا آمنا ولم يأخذوا مالا قالا نعم قال فهل علمتم ان أهل البصرة حين خرجوا مع مسعر بن فديك استعرضوا يقتلون الناس ولقوا عبد الله بن خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوه وقتلوا جاريته ثم قتلوا النساء والاطفال حتى جعلوا يلقونهم في قدور الاقط وهي تفور قالا قد كان ذلك قال فهل برئ أهل الكوفة من أهل البصرة قالا لا قال فهل تبرؤن أنتم من احدى الفئتين قالا لا قال أفرأيتم الدين أليس هو واحدا أم الدين اثنان قالا بل واحد قال فهل يسعكم منه شئ يعجزني قالا لا قال فكيف وسعكم أن توليتم أبا بكر وعمر وتولى كل واحد منهما صاحبه وتوليتم أهل الكوفة والبصرة وتولى بعضهم بعضا وقد اختلفوا في أعظم الاشياء والدماء والفروج والاموال ولا يسعني الا لعن أهل بيتي والتبرؤ منهم ورأيت لعن أهل الذنوب فريضة مفروضة لا بد منها فان كان ذلك فمتى عهدك بلعن فرعون وقد قال أنا ربكم الاعلى قال ما أذكرني لعنته قال ويحك أيسعك أن لا تلعن فرعون وهو أخبث الخلق ولا يسعني أن لا ألعن أهل بيتي والبراءة منهم ويحكم انكم قوم جهال أردتم أمرا فأخطأتموه فأنتم تردون على الناس ما قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الله اليهم وهم عبدة أوثان فدعاهم الى ان يخلعوا الاوثان وأن يشهدوا أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فمن قال ذلك حقن بذلك دمه وأحرز ماله ووجبت حرمته وأمن به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسوة المسلمين وكان حسابه على الله أفلستم

المزيد ولا زالت تتابع لديك المكرمات وتشفع اليك الذمامات حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها وتصل الى دار القرار التي أعدها الله تعالى لنظرائك من أهل الزلفى عنده والمكانة منه ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر زائدين زيادة البحور والانهار حتى تستوي أقطار الارض كلها في علو قدرك عليها ونفاذ أمرك فيها فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الصبح ووصل الينا من عظيم رأفتك ما اتصل بأنفسنا اتصال النسيم فأصبحت قد جمع الله بك الايدي بعد افتراقها وألف القلوب بعد توقد نيرانها فضلك الذي لا يدرك بوصف ولا يحد بنعت فقال أردشير طوبى للممدوح اذا كان للمدح مستحقا وللداعي اذا كان للاجابة أهلا * وقيل لاردشير أيها الملك الرفيع الذي حاب العصور وجوب الدهور أي الكنوز أعظم قدرا قال العلم الذي خف محمله فثقلت مفارقته وكثرت مرافقته وخفي مكانه فأمن من السرق عليه فهو في الملا جمال وفي الوحدة أنيس يراس به الخسيس ولا يمكن حاسدك عليه انتقاله عنك قيل له فالمال قال ليس كذلك محمله ثقيل والهم به طويل ان كنت في ملا شغلك الفكر فيه وان كنت في خلوة أتعبتك حراسته (قال الجاحظ) حدثني الفضل بن سهل قال كانت رسل الملوك اذا جاءت بالهدايا يجعل أخلافهم الى فتكون المأمرات

تلقون من خلع الاوثان ورفض الاديان وشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله تستحلون دمه وماله ويلعن عندكم ومن ترك ذلك وأباه من اليهود والنصارى وأهل الاديان فتحرمون دمه وماله فقال الأسود ما سمعت كاليوم أحدا أبين حجة ولا أقرب مأخذا أما أنا وأشهد أنك على الحق واني بريء ممن بريء منك فقال عمر لاصحابه يا أخا بني شيبان ما تقول أنت قال ما أحسن ما قلت ووصفت غير اني لا أفتات على الناس بأمر حتى ألقاهم بما ذكرت وانظر ما حجتهم قال أنت وذاك فاقام الحبشي مع عمر وأمر له بالعطاء فلم يلبث ان مات ولحق الشيباني بأصحابه فقتل معهم بعد وفاة عمر ❁﴿القول في أصحاب الاهواء﴾❁ وذكر رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فذكروا فضله وشدة اجتهاده في العبادة فبينما هم في ذكره حتى طلع عليهم الرجل فقالوا يا رسول الله هو هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما اني أرى بين عينيه سفعة من الشيطان فاقبل الرجل حتى وقف عليهم فسلم فقال هل حدثتك نفسك اذ اطلعت علينا أنه ليس في القوم أحسن منك قال نعم ثم ذهب الى المسجد يصف بين قدميه يصلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيكم يقوم اليه فيقتله فقال أبو بكر أنا يا رسول الله فقام اليه فوجده يصلي فهابه فانصرف قال ما صنعت قال وجدته يصلي يا رسول الله فهبته فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيكم يقوم اليه فيقتله قال عمر أنا يا رسول الله فقام اليه فوجده يصلي فهابه فانصرف فقال يا رسول الله وجدته يصلي فهبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم يقوم اليه فيقتله فقال علي أنا يا رسول الله قال أنت له ان أدركته فقام اليه فوجده قد انصرف فقال النبي عليه الصلاة والسلام هذا أول قرن يطلع في أمتي لو قتلتموه ما اختلف بعده اثنان ان بني اسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة وهي الجماعة ❁﴿الرافضة﴾❁ وانما قيل لهم رافضة لانهم رفضوا أبا بكر وعمر ولم يرفضهما أحد من أهل الاهواء غيرهم والشيعة دونهم وهم الذين يفضلون عليا على عثمان ويتولون أبا بكر وعمر (فأما) الرافضة فلها غلو شديد في علي ذهب بعضهم مذهب النصارى في المسيح وهي السبائية أصحاب عبد الله بن سبا عليهم لعنة الله (وفيهم يقول السيد الحميري)

قوم غلوا في علي لا أبا لهم * وأجشموا أنفسا في حبه تعبا
قالوا هو ابن الاله جل خالقنا * من أن يكون له ابن أو يكون ابا

وقد أحرقهم علي رضي الله عنه بالنار (ومن الروافض) المغيرة بن سعد مولى بجيلة قال الاعمش دخلت على المغيرة بن سعد فسألته عن فضائل علي فقال انك لا تحتملها قلت بلى فذكر آدم صلوات الله عليه فقال علي خير منه ثم ذكر من دونه من الانبياء فقال علي خير منهم حتى انتهى الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال علي مثله فقلت كذبت عليك لعنة الله قال قد أعلمتك أنك لا تحتمله (ومن الروافض) من يزعم أن عليا رضي عنه في السحاب فاذا أظلت عليه سحابة قالوا السلام عليك يا أبا الحسن وقد ذكرهم الشاعر فقال

برئت من الخوارج لست منهم * من الغزال منهم وابن داب
ومن قوم اذا ذكروا عليا * يردون السلام على السحاب
ولكني أحب بكل قلبي * وأعلم ان ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حقا * به أرجو غدا حسن الثواب

وهؤلاء من الرافضة يقال لهم المنصورية وهم أصحاب أبي منصور الكسف وانما سمي الكسف لانه كان يتأول في قول الله عز وجل وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فالكسف علي وهو في السحاب وكان المغيرة بن سعد من السبائية الذين أحرقهم علي رضي الله تعالى عنه بالنار وكان يقول لو شاء علي لاحيا عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا (وخرج) خالد بن عبد الله

فقتله

فسماهم من ديواني فكنت أسأل رجلا رجلا منهم عن سير ملوكهم وأخبار عظمائهم فسألت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم فقال بذل عرفه وجرد سيفه فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة لا يطرف جنده ولا يخرج رعيته سهل النوال حزن النكال الرجاء والخوف معقودان في يده قلت فكيف حكمه فقال يرد الظلم ويردع الظالم ويعطي كل ذي حق حقه فالرعية اثنان راض ومغتبط قلت فكيف هيبتهم له قال يتصور في القلوب فتغضي له العيون قال فنظر رسول ملك الحبشة الى اصغائي اليه واقبالي عليه فسأل الترجمان ما الذي يقوله الرومي قال يذكر ملكهم ويصف سيرته فتكلم مع الترجمان بشيء فقال لي الترجمان انه يقول ان ملكهم ذو أناة عند القدرة وذو حلم عند الغضب وذو سطوة عند المغالبة وذو عقوبة عند الاجترام قد كسا رعيته جميل نعمته وخوفهم عسف نقمته فهم يتراءونه رأي الهلال خيالا ويخافونه مخافة الموت نكالا وسعهم عدله وردعتهم سطوته فلا تمتهنه مزحة ولا تؤمنه غفلة اذا أعطى أوسع واذا عاقب أوجع فالناس اثنان راج وخائف فلا الراجي خائب الامل ولا الخائف بعيد الاجل قلت فكيف هيبتهم له قال لا ترفع اليه العيون أجفانها ولا تتبعه الابصار انسانها كان رعيته قطا رفرفت عليها صقور صوائد فحدقت المأمون بهذين

فقتله خالد وصلبه بواسط عند قنطرة العاشر (ومن الروافض) كثير عزة الشاعر ولما حضرته الوفاة دعا ابنة أخ له فقال يا ابنة أخي ان عمك كان يحب هذا الرجل فأحبيه يعني علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فقالت نصيحتك يا عم مردودة عليك أحبه والله خلاف الحب الذي أحببته أنت فقال لها برئت منك (وأنشد يقول)

برئت الى الاله من ابن أروى * ومن قول الخوارج أجمعينا
ومن عمر برئت ومن عتيق * غداة دعي أمير المؤمنينا

ابن أروى عثمان والروافض كلها تؤمن بالرجعة وتقول لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي وهو محمد ابن علي فيملؤها عدلا كما ملئت جورا ويحيي موتاكم فيرجعون الى الدنيا ويكون الناس أمة واحدة (وفي ذلك يقول الشاعر)

الا ان الائمة من قريش * ولاة العدل أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيه * هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان وبر * وسبط غيبته كربلاء

أراد بالاسباط الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وهو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان (ومن الروافض) السيد الحميري وكان يأتي له وسائد في مسجد الكوفة يجلس عليها وكان يؤمن بالرجعة (وفي ذلك يقول)

اذا ما المرء شاب له قذال * وعلله المواشط بالخضاب
فقد ذهبت بشاشته وأودى * فقم يا باك فابك على الشباب
فليس بعائد ما فات منه * الى أحد الى يوم المآب
الى يوم يؤوب الناس فيه * الى دنياهم قبل الحساب
أدين بان ذلك كذاك حقا * وما أنا في النشور بذي ارتياب
لان الله خبر عن رجال * حيوا من بعد درس في التراب

(وقال يرثي أخاه)

يا ابن أمي فدتك نفسي ومالي * كنت ركني ومفزعي وجمالي
ولعمري لئن تركتك ميتا * رهن رمس ضنك عليك مهال
لوشيكا ألقاك حيا صحيحا * سامعا مبصرا على خير حال
قد بعثتم من القبور فأبتم * بعد ما رمت العظام البوالي
أو كسبعين وافدا مع موسى * عاينوا الهائلات من الاهوال
حين راموا من خبثهم رؤية الله وأنى برؤية المتعال
فرماهم بصعقة أحرقتهم * ثم أحياهم شديد المحال

(دخل) رجل من الحسانية على المأمون فقال لثمامة بن أشرس كلمه فقال له ما تقول وما مذهبك فقال أقول ان الاشياء كلها على التوهم والحسبان وانما يدرك منها الناس على قدر عقولهم ولا حق في الحقيقة فقام اليه ثمامة فلطمه لطمة سودت وجهه فقال يا أمير المؤمنين يفعل بي مثل هذا في مجلسك فقال له ثمامة وما فعلت بك قال لطمتني قال ولعل انما دهنتك بالبان (ثم انشأ يقول شعرا)

ولعل آدم امنا * والاب حواء في الحساب * ولعل ما أبصرت من
بيض الطيور هو الغراب * وعساك حين قعدت قمت وحين جئت هو الذهاب
وعسى البنفسج زنبق * وعسى النهار هو السذاب
وعساك تأكل من خرا * ك وأنت تحسبه كباب

(ومن حديث) ابن أبي شيبة ان عبد الله بن شداد قال قال لي عبد الله بن عباس لاخبرنك بأعجب شئ

الحديث بشين فقال كم عندك قلت الفا درهم قال يا فضل ان قيمتها عندي أكثر من الخلافة أما عرفت قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قيمة كل امرئ ما يحسن أفتعرف أحدا من الخطباء البلغاء يحسن أن يصف أحدا من خلفاء الله الراشدين المهديين بهذه الصفة قلت لا قال فقد أمرت لهما بعشرين الف دينار واجعل العذر مادة بيني وبينهما في الجائزة على المقدور فلولا حقوق الاسلام وأهله لرأيت اعطاءهما ما في بيت مال الخاصة والعامة دون ما يستحقانه (وقال الجاحظ) حدثني حميد ابن عطاء قال كنت عند الفضل بن سهل وعنده رسول ملك الخزر وهو يحدثنا عن أخت الملك قال أصابتنا سنة احتدم شواظها علينا بحر المصائب وصنوف الآفات ففزع الناس الى الملك فلم يدر ما يجيبهم به فقالت أخته أيها الملك ان الخوف لله خلق لا يخلق جديده وسبب لا يهن عزيزه وهو دال الملك على استصلاح رعيته وزاجره عن استفسادها وقد فزعت اليك رعيتك بفضل العجز عن الالتجاء الى من لا تزيده الاساءة الى خلقه عزا ولا ينقصه العود بالاحسان اليهم ملكا وما أحد أولى بحفظ الوصية من الموصي ولا بركوب الدلالة من الدال ولا بحسن الرعاية من الراعي ولم تزل في نعمة لم تغيرها نقمة وفي رضا لم يكدره سخط الى ان جرى القدر بما عمي عنه البصر وذهل عنه الحذر

قرع اليوم على الباب رجل كما وضعت ثيابي للظهيرة فقلت ما أتى به في مثل هذا الحين الا أمر مهم أدخلوه فلما دخل قال متى يبعث ذلك الرجل قلت أي رجل قال علي بن أبي طالب قلت لا يبعث حتى يبعث الله من في القبور قال وانك لتقول بقول هذه الجهلة قلت أخرجوه عني لعنه الله (ومن الروافض) الكيسانية قلت وهم أصحاب المختار بن أبي عبيد ويقولون اسمه كيسان (ومن الرافضة) الحسينية وهم أصحاب ابراهيم بن الاشتر وكانوا يطوفون بالليل في أزقة الكوفة وينادون يا ثارات الحسين فقيل لهم الحسينية (ومن الرافضة) الغرابية سميت بذلك لقولهم علي أشبه بالنبي من الغراب بالغراب (ومن الرافضة) الزيدية وهم أصحاب زيد بن علي المقتول بخراسان وهم أقل الرافضة غلوا غير أنهم يرون الخروج مع كل من خرج (مالك بن معاوية) قال قال لي الشعبي وذكرنا الرافضة يا مالك لو أردت أن يعطوني رقابهم عبيدا وان يملؤا بيتي ذهبا على أن أكذبهم على علي كذبة واحدة لفعلوا ولكني والله لا أكذب عليه أبدا يا مالك اني درست الاهواء كلها فلم أر قوما أحمق من الرافضة فلو كانوا من الدواب لكانوا حميرا أو كانوا من الطير لكانوا رخما ثم قال أحذرك الاهواء المضلة شرها الرافضة فانها يهود هذه الامة يبغضون الاسلام كما يبغض اليهود النصرانية ولم يدخلوا في الاسلام رغبة ولا رهبة من الله ولكن مقتا باهل الاسلام وبغيا عليهم وقد حرقهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنار ونفاهم الى البلدان منهم عبد الله بن سبأ نفاه الى ساباط وعبد الله بن سباب نفاه الى الحازر وأبو الكروس وذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود قالت اليهود لا يكون الملك الا في آل داود وقالت الرافضة لا يكون الملك الا في آل علي بن أبي طالب وقالت اليهود لا يكون جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح المنتظر وينادي مناد من السماء وقالت الرافضة لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينزل سبب من السماء واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم وكذلك الرافضة واليهود لا ترى الطلاق الثلاث شيأ وكذا الرافضة واليهود لا ترى على النساء عدة وكذلك الرافضة واليهود تستحل دم كل مسلم وكذلك الرافضة واليهود حرفوا التوراة وكذلك الرافضة حرفت القرآن واليهود تبغض جبريل وتقول هو عدونا من الملائكة وكذلك الرافضة تقول غلط جبريل في الوحي الى محمد بترك علي بن أبي طالب واليهود لا تأكل لحم الجزور وكذلك الرافضة ولليهود والنصارى فضيلة على الرافضة في خصلتين سئل اليهود من خير أهل ملتكم فقالوا أصحاب موسى وسئلت النصارى فقالوا أصحاب عيسى وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد أمرهم بالاستغفار لهم فشتموهم فالسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لا يثبت لهم قدم ولا تقوم لهم راية ولا تجمع لهم كلمة دعوتهم مدحورة وكلمتهم مختلفة وجمعهم مفرق كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله (وذكرت) الرافضة يوما عند الشعبي فقال لقد بغضوا الينا حديث علي بن أبي طالب (وقال الشعبي) ما شبهت تأويل الروافض في القرآن الا بتأويل رجل مضعوف من بني مخزوم من أهل مكة وجدته قاعدا بفناء الكعبة فقال للشعبي ما عندك في تأويل هذا البيت فان بني تميم يغلطون فيه يزعمون ان ما قيل في رجل منهم وهو قول الشاعر

بيتا زرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فقلت له وما عندك أنت فيه قال البيت هو هذا البيت وأشار بيده الى الكعبة وزرارة الحجر زرر حول البيت فقلت له فمجاشع قال زمزم جشعت بالماء قلت فأبو الفوارس قال هو أبو قبيس جبل مكة قلت فنهشل ففكر فيه طويلا ثم قال أصبته هو مصباح الكعبة طويل أسود وهو النهشل ﴿قولهم في الشيعة﴾ قال أبو عثمان بن بحر الجاحظ أخبرني رجل من رؤساء التجار قال كان معنا في السفينة شيخ شرس الاخلاق طويل الاطراق وكان اذا ذكر له الشيعة غضب واربد وجهه وزوى من حاجبيه فقلت له يوما يرحمك الله ما الذي تكرهه من الشيعة فاني رأيتك اذا ذكروا غضبت وقبضت قال ما أكره منهم الا هذه الشين في أول اسمهم فاني لم أجدها قط الا في كل شر وشؤم

فسلب الموهوب والواهب هو السالب فعد اليه بشكر النعم وعذبه من فظيع النقم في نفسه بنسك ولا تجعلن الحياء من التذلل للمعز المذل ستر بينك وبين رعيتك فتستحق مذموم العاقبة ولكن مرهم وتفسك بصرف القلوب الى الاقرار له بكنه القدرة وبتذال الالسن في الدعاء ببعض الشكر له فان الملك ربما عاقب عبده ليرجعه عن سيئ فعل الى صالح عمل أو ليبعثه على دائب شكر ليحرز به فضل اجر فأمرها الملك ان تقوم فيهم فتنذرهم بهذا الكلام ففعلت ترجع القوم وقد علم الله منهم قبول الوعظ في الامر والنهي فحال عليهم الحول وما منهم مفتقد نعمة كان سلبها وتواترت عليهم الزيادات بجميل الصنع فاعترف لها الملك بالفضل فقلدها الملك فاجتمعت الرعية لها على الطاعة في المكروه والمحبوب قال وهذا وهم اعداء الله تعالى وضرائر نعمته ومستوجبو نقمته اعاد لهم بالشكر ما ارادوا واعطاهم بالاقرار له بكنه قدرته ما تمنوا فكيف بمن يجمعه على الشكر نوران اثنان قرآن منزل ونبي مرسل لو صدقت النيات واجتمعت على الافتقار اليه الطلبات لكنهم انكروا ما عرفوا وجهلوا ما علموا فانقلب جدهم هزلا وشكرهم خبلا ﴿قطعة صادرة من اقوال الملوك دالة على فضل كرمهم وبعد هممهم﴾ غضب كسرى انوشروان على بعض مرازبته فقال يحط عن مرتبته ولا ينقص

وشيطان وشغب وشقاء وشنار وشرر وشين وشوك وشكوى وشهرة وشتم وشح قال أبو عثمان فما ثبت لشيء بعدها قائمة (قال رجل) لبعض ولاة بني العباس انا اجعل في هشام بن عبد الملك انه كان يقول في علي رضي الله عنه انه ظالم قال له نشدتك الله أبا محمد أما تعلم ان عليا بارز العباس عند أبي بكر قال نعم قال فمن الظالم منهما فكره ان يقول العباس فيواقع سخط الخليفة أو يقول علي فينقض أصله قال ما منهما ظالم قال فكيف يتنازع اثنان في شيء لا يكون أحدهما ظالما قال قد تنازع الملكان عند داود عليه السلام وما فيهما ظالم ولكن لينبها داود على الخطيئة وكذلك هذان أرادا تنبيه أبي بكر من خطيئته فاسكت الرجل وأمر الخليفة لهشام بصلة

﴿باب جامع الآداب﴾

(أدب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم) قال أبو عبد الله أحمد بن محمد أول ما نبدأ به أدب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ثم أدبه صلى الله عليه وسلم لامته ثم الحكماء والعلماء وقد أدب الله نبيه بأحسن الآداب كلها فقال له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير وأمره بتوسط الحالتين كما قال عز وجل والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقد جمع الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم في كتابه المحكم ونظم له مكارم الاخلاق كلها في ثلاث كلمات فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ففي أخذه العفو صلة من قطعه والصفح عمن ظلمه وفي الامر بالمعروف تقوى الله وغض الطرف عن المحارم وصون اللسان عن الكذب وفي الاعراض عن الجاهلين تنزيه النفس عن مماراة السفيه ومنازعة اللجوج ثم أمر تبارك وتعالى فيما أدبه باللين في عريكته والرفق بامته فقال واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تبارك وتعالى لا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم فلما وعى عن الله عز وجل وكملت فيه هذه الآداب قال الله تبارك وتعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

﴿باب آداب النبي صلى الله عليه وسلم لامته﴾

قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما أدب به أمته وحضها عليه من مكارم الاخلاق وجميل المعاشرة واصلاح ذات البين وصلة الارحام فقال أوصاني ربي بتسع وأوصيكم بها أوصاني بالاخلاص في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر وان أعفو عمن ظلمني وأعطي من حرمني وأصل من قطعني وان يكون صمتي فكرا ونطقي ذكرا ونظري عبرا وقد قال صلى الله عليه وسلم نهيتكم عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تقعدوا على ظهور الطرق فان أبيتم فغضوا الابصار وأفشوا السلام واهدوا الضلال وأعينوا الضعيف وقال صلى الله عليه وسلم أوكئوا السقاء واكفئوا الاناء واغلقوا الابواب واطفئوا المصباح فان الشيطان لا يفتح غلقا ولا يحل وكاء ولا يكشف الاناء وقال صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بشرار الناس قالوا بلى يا رسول الله قال من أكل وحده ومنع رفده وجلد عبده ثم قال الا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه وقال حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا البلاء بالدعاء وقال ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وقال المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم وقال اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقال لا تمحن بملك على سماء لك ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وقال المرء كثير باخيه وقال افصلوا بين حديثكم بالاستغفار واستعينوا

من صلته فان الملوك تؤدب بالهجران ولا تعاقب بالحرمان * واصطنع أنو شروان رجلا فقيل له انه لا قديم له قال اصطناعنا اياه شرفه * قال معاوية رضي الله عنه نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع وكان يقول اني لآنف من ان يكون في الارض جهل لا يسعه حلمي وذنب لا يسعه عفوي وحاجة لا يسعها جودي (عبد الملك بن مروان) أفضل الناس من تواضع عن رفعة وعفا عن قدرة وأنصف عن قوة (زياد) استشفعوا الى من وراءكم فليس كل أحد يصل الى السلطان ولا كل من وصل اليه يقدر على كلامه (المهلب) عجبت لمن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الاحرار بمعروفه وقد روي هذا لابن المبارك وقال لبنيه يا بني أحسن ثيابكم ما كان على غيركم (قال أبو تمام الطائي) يستهدي فروا وعرض بقول المهلب

فهل أنت مهديه بمثل شكيرة
من الشكر يعلو مصعدا ويصوب
وأنت العليم الطب أي وصية
بها كان أوصى في الثياب المهلب

(يزيد بن المهلب) استكثروا من الحمد فان الذم قل من ينجو منه (السفاح) ما أقبح بنا أن تكون الدنيا لنا وأولياؤنا خالون من أثرها (المأمون) انما تطلب الدنيا لتملك فاذا ملكت فلتوهب وقال انما يتكثر بالذهب والفضة من يقلان عنده (الحسن بن سهل) الاطراف منازل الاشراف

على قضاء حوائجكم بالكتمان وقال أفضل الاصحاب من اذا ذكرت أعانك واذا نسيت ذكرك وقال لا يؤم ذو سلطان فى سلطانه ولا يجلس على تكرمته الا باذنه وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالى مالى وان ماله من ماله ما أكل فافنى ولبس فأبلى أو وهب فأمضى وقال ستحرصون على الامارة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة وقال لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان وقال لو تكاشفتم ما تدافنتم وما هلك امرؤ عرف قدره وقال الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة والناس كلهم سواء كاسنان المشط وقال رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم وقال خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة وخير المال عين ساهرة لعين نائمة وقال معادن الخيل بطونها كنز وظهورها حرز وقال ما أملق تاجر صدوق وما أقفر بيت فيه خل وقال قيدوا العلم بالكتابة وقال زر غبا تزدد حبا وقال علق سوطك حيث يراه أهلك

﴿باب فى آداب الحكماء والعلماء﴾

(منه فى فضيلة الادب) أوصى بعض الحكماء بنيه فقال الادب أكرم الجواهر طبيعة وأنفسها قيمة يرفع الاحساب الوضيعة ويفيد الرغائب الجليلة ويعز بلا عشيرة ويكثر الانصار بغير رزية فالبسوه حلة وتزينوه حلة يؤنسكم فى الوحشة ويجمع لكم القلوب المختلفة (ومن كلام على عليه السلام) فيما يروى عنه انه قال من حلم ساد ومن ساد استفاد ومن استحيا حرم ومن هاب خاب ومن طلب الرياسة صبر على السياسة ومن أبصر عيب نفسه عمى عن عيب غيره ومن سل سيف البغى قتل به ومن احتفر لاخيه بئرا وقع فيها ومن نسى زلته استعظم زلة غيره ومن هتك حجاب غيره انهتكت عورات بيته ومن كابر فى الامور عطب ومن اقتحم اللجج غرق ومن أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تجبر على الناس ذل ومن تعمق فى العمل مل ومن صاحب الانذال حقر ومن جالس العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن حسن خلقه سهلت له طرقه ومن حسن كلامه كانت الهيبة امامه ومن خشى الله فاز ومن استقاد الجهل ترك طريق العدل ومن عرف أجله قصر أمله ثم أنشأ يقول

البس أخاك على عيوبه * واستر وغط على ذنوبه
واصبر على بهت السفيه * وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفاضلا * وكل الظلوم الى حسيبه

(وقال شبيب بن شبة) اطلبوا الادب فانه مادة للعقل ودليل على المروأة وصاحب فى الغربة ومؤنس فى الوحشة وصلة فى المجالس (وقال عبد الملك بن مروان) لبنيه عليكم بطلب الادب فانكم ان احتجتم اليه كان لكم مالا وان استغنيتم عنه كان لكم جمالا (وقال بعض الحكماء) اعلم ان جاها بالمال انما يصحبك ما صحبك المال وجاها بالادب غير زائل عنك (وقال) ابن المقفع اذا أكرمك الناس لمال أو لسلطان فلا يعجبك ذلك فان الكرامة تزول بزوالهما ليعجبك اذا أكرموك لدين أو أدب (وقال الاحنف بن قيس) رأس الادب المنطق ولا خير فى قول الا بفعل ولا فى مال الا بجود ولا فى صديق الا بوفاء ولا فى فقه الا بورع ولا فى صدق الا بنية (وقال مطلقة الزبيدى) لا يستغنى الاديب عن ثلاث واثنين فاما الثلاثة فالبلاغة والفصاحة وحسن العبادة وأما الاثنان فالعلم بالاثر والحفظ للخبر (وقالوا) الحسب محتاج الى الادب والمعرفة محتاجة الى التجربة (وقال) بزرجمهر ما ورث الآباء الابناء شيأ خيرا من الادب لان بالادب يكسبون المال وبالجهل يتلفونه (وقال الفضيل بن عياض) رأس الادب معرفة الرجل قدره (وقالوا) حسن الخلق خير قرين والادب خير ميراث والتوفيق خير قائد (وقال سفيان الثورى) من عرف نفسه لم يضره ما قال الناس فيه (وقال أنوشروان) لموبد وهو العالم بالفارسية ما كان أفضل الاشياء قال الطبيعة النقية تكتفى من الادب بالرائحة ومن العلم بالاشارة وكما يموت البذر

يتناولون ما يريدون بالقدرة ويتناولهم من يريدهم بالحاجة (وتعرض) له رجل فقال له من أنت قال أنا الذى أحسنت الى يوم كذا وكذا فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا (ولما) أراد المعتصم أن يشرف اشناس التركى عقب فتح الخزمية أمر أصحاب المراتب بالترجل اليه فترجل اليه الحسن بن سهل فنظر اليه حاجبه يمشى ويتعثر فى مشيه فبكى فقال ما يبكيك ان الملوك شرفتنا وشرفت بنا (ومن) كلام أهل العصر للامير شمس المعالى قابوس بن وشمكير من أقعدته نكاية الايام أقامته اغاثة الكرام ومن ألبسه الليل ثوب ظلمائه نزعه النهار عنه بضيائه (وله) ابتناء المناقب باحتمال المتاعب واحراز الذكر الجميل بالسعى فى الخطب الجليل (الصاحب بن عباد)

وقائلة لما عرتك الهموم
وأمرك ممتثل فى الامم
فقلت ذرينى لما اشتكى
فان الهموم بقدر الهمم

(أبو الطيب المتنبى)

أفاضل الناس اغراض لذا الزمن
يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

(أبو الفتح البستى)

صاحب السلطان لا بد له
من هموم تعتريه وغمم
والذى يركب بحرا سيرى
قحم الاهوال من بعد قحم

﴿ومن كلام الملوك الجارى مجرى الامثال﴾

(أردشير) اذا رغبت الملوك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة (أفريدون) الايام صحائف

في السباخ كذلك تموت الحكمة بموت الطبيعة قال له صدقت ونحن لهذا قلدناك ما قلدناك (وقيل) لاردشير الادب أغلب أم الطبيعة فقال الأدب زيادة في العقل ومنبهة للرأى ومكسبة للصواب والطبيعة أملك لان بها الاعتقاد وبها الفراسة وتمام الغذاء (وقيل) لبعض الحكماء أى شئ أعون للعقل بعد الطبيعة المولدة قال أدب مكتسب (وقالوا) الادب أدبان أدب الغريزة وهو الاصل وأدب الرواية وهو الفرع ولا يتفرع شئ الا عن أصله ولا ينظر الا الاصل المادة وقال الشاعر

ما السيف الازهر لو تركته * على الحلقة الاولى لما كان يقطع

(وقال آخر) ما وهب الله لامرئ هبة * أفضل من عقله ومن أدبه

هما حياة الفتى فان فقدا * فان فقد الحياة أحسن به

(وقال ابن عباس) كفاك من علم الدين أن تعرف ما لا يسعك جهله وكفاك من علم الادب أن تروى الشاهد والمثال (قال ابن قتيبة) اذا أردت أن تكون أديبا فتفنن في العلوم (وقالت) الحكماء اذا كان الرجل طاهر الاثواب كثير الآداب حسن المذهب تأدب بأدبه وصلح بصلاحه جميع أهله وولده قال الشاعر

رأيت صلاح المرء يصلح أهله * ويفسدهم رب الفساد اذا فسد

يعظم في الدنيا لفضل صلاحه * ويحفظ بعد الموت في الاهل والولد

(وسئل ديحاس) أى الخصال أحمد عاقبة قال الايمان بالله عز وجل وبر الوالدين ومحبة العلماء وقبول الادب (روى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من لا أدب له لا عقل له (وقالوا) الادب يزيد العاقل فضلا ونباهة ويفيده رقة وظرفا (وفي رقة الادب) قال ابو بكر بن ابى شيبة قيل للعباس بن عبد المطلب أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو أكبر مني وأنا أسن منه (وقيل) لابي وائل ايكما أكبر أنت أم الربيع بن خيثم قال أنا أكبر منه سنا وهو أكبر مني عقلا وقال أبان بن عثمان لطويس المغني أنا أكبر أم أنت قال جعلت فداك لقد شهدت زفاف أمك المباركة (وقيل لعمر بن ذر) كيف بر ابنك بك قال ما مشيت نهارا قط الا مشى خلفي ولا ليلا الا مشى امامي ولا رقى علية وأنا تحته (ومن حديث) عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجل أحدا تجلة لعمه العباس وكان عمر وعثمان اذا لقيا العباس نزلا اعظاما له اذا كانا راكبين (الرياشي عن الاصمعي) قال قال هرون الرشيد لعبد الملك بن صالح هذا منزلك وقد تقدم هذا الخبر في الخبر الذى فيه مخاطبة الملوك وكذلك قول الحجاج للشعبي كم عطاؤك (ومن قولنا في رقة الادب)

أدب كمثل الماء لو أفرغته * يوما لسال كما يسيل الماء

(احمد بن ابي طاهر) قال قلت لعلي بن يحيي ما رأيت أكمل أدبا منك قال كيف لو رأيت اسحق بن ابراهيم فقلت ذلك لاسحق بن ابراهيم قال كيف لو رأيت ابراهيم بن المهدى فقلت ذلك لابراهيم فقال كيف لو رأيت جعفر بن يحيي (وقال) عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال لي رجاء بن حيوة ما رأيت أكرم أدبا ولا أكرم عشيرة من أبيك سمرت عنده ليلة فبينا نحن كذلك اذ غشى المصباح ونام الغلام فقلت يا امير المؤمنين قد غشى المصباح ونام الغلام فلو أذنت لي أصلحته فقال انه ليس من مروءة الرجل ان يستخدم ضيفه ثم حط رداءه عن منكبيه وقام الى الدبة فصب من الزيت في المصباح وأشخص الفتيلة ثم رجع فلم يقم احد فقال جرير بن عبد الله يا أمير المؤمنين اعزم علينا كلنا أن نقوم فنتوضأ قال صدقت ولا علمتك الا سيدا في الجاهلية فقيها في الاسلام قوموا فتوضؤا (الرياشي) عن الاصمعي قال حدثني عثمان الشحام قال قلت للحسن يا أبا سعيد قال لبيك قلت أتقول لي لبيك قال اني أقولها لخادمي وقال الشاعر

يا حبذا حين تمسي الريح باردة * زادى أنسي وفتيان به هضم

آجالكم تخلد وها أحسن أعمالكم (وقيل) للاسكندر ما بال تعظيمك لمؤدبك أكثر من تعظيمك لابيك قال لان ابي سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب حياتي الباقية (ودخل) محمد بن زياد مؤدب الواثق على الواثق فأظهر اكرامه وأكثر اعظامه فقيل له من هذا يا أمير المؤمنين قال هذا أول من فتق لساني بذكر الله وأدناني من رحمة الله (وأشير) على الاسكندر بتبييت الفرس فقال لا أجعل غلبتي سرقة (وقيل) له لو تزوجت بنت دارا فقال لا تغلبني امرأة غلبت أباها (أنوشروان) الملك اذا كثر ماله مما يأخذ من رعيته كان كمن يعمر سطح بيته بما يقتلعه من قواعد بنيانه (ابرويز) اطع من فوقك يطعك من دونك (السفاح) ان من أدنى الناس ووضعائهم من عد البخل حزما والعفو ذلا وكان يقول اذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة والصبر حسن الا على ما أوقع بالدين وأوهى السلطان والاناة محمودة الا عند امكان الفرصة وقد قال ابن المعتز

كم فرصة ذهبت فعادت غصة * تشجى بطول تلهف وتندم

(ولما) عزم المنصور على الفتك بابي مسلم فزع من ذلك عيسى ابن موسى فكتب اليه

اذا كنت ذا رأى فكن ذا تدبر * فان فساد الرأى أن تتعجلا

(فأجابه المنصور)

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى أن تترددا

يخدمون كرام فى مجالسهم * وفى الرجال اذا رافقتهم خدم
وما أصاحب من قوم فأذكرهم * الا يزيدهم حبا الىّ هم

(فى الادب فى الحديث والاستماع) وقالت الحكماء رأس الادب كله حسن الفهم والتفهم والاصغاء للمتكلم (وذكر الشعبى) قوما فقال مارأيت مثلهم أشد تناوبا فى مجلس ولا أحسن فهما من محدث (وقال الشعبى) فيما يصف به عبد الملك بن مروان والله ما علمته الا آخذا بثلاث تاركا لثلاث آخذا بحسن الحديث اذا حدث وبحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر المؤنة اذا خولف تاركا لمحاورة اللئيم ومماراة السفيه ومنازعة اللجوج (وقال بعض الحكماء) لابنه يا بنى تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث وليعلم الناس انك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول فاحذر أن تسرع فى القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل حتى يعلم الناس انك على فعل مالم تقل أقرب منك الى قول مالم تفعل (قالوا) من حسن الادب أن لا تغالب احدا على كلامه واذا سئل غيرك فلا تجب عنه واذا حدث بحديث فلا تنازعه اياه ولا تقتحم عليه فيه ولا تره انك تعلمه واذا كلمت صاحبك فأخذته حجتك فحسن مخرج ذلك عليه ولا تظهر الظفر به وتعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام (وقال الحسن البصرى) حدثوا الناس ما اقبلوا عليكم بوجوههم (وقال ابو عباد) اذا انكر المتكلم مخبر السامع فليسأله عن مقاطع حديثه والسبب الذى أجرى ذلك له فان وجده يقف على الحق أتم له الحديث والا قطعه عنه وحرمه مؤانسته وعرفه ما فى سوء الاستماع من الفشولة والحرمان للفائدة (وفى الادب فى المجالسة) قال المهلب بن أبى صفرة العيش كله فى الجليس الممتع ومن حديث أبى بكر بن أبى شيبة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يقم الرجل عن مجلسه ولكن ليوسع له (وكان) عبد الله بن عمر اذا قام له الرجل عن مجلسه لم يجلس فيه وقال لا يقم أحد لاحد عن مجلسه ولكن افسحوا يفسح الله لكم (أبو امامة) قال خرج الينا النبى صلى الله عليه وسلم فقمنا اليه فقال لا تقوموا كما يقوم العجم لعظمائها فما قام اليه احد منا بعد ذلك وحديث ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان خرجت عليكم وأنتم جلوس فلا يقومن أحد منكم فى وجهى وان قمت فكما انتم وان جلست فكما انتم فان ذلك خلق من أخلاق المشركين (وقال) صلى الله عليه وسلم الرجل احق بصدر دابته وصدر مجلسه وصدر فراشه ومن قام عن مجلسه ورجع اليه فهو احق به وقال صلى الله عليه وسلم اذا جلس اليك أحد فلا تقم حتى تستأذنه (وجلس) رجل الى الحسن بن على عليهما الرضوان فقال له انك جلست الينا ونحن نريد القيام افتأذن (وقال) سعيد بن العاص ما مددت رجلى قط بين يدى جليسى ولا قمت حتى يقوم (وقال) ابراهيم النخعى اذا دخل احدكم بيتا فليجلس حيث أجلسه اهله (وطرح) أبو قلابة لرجل جلس اليه وسادة فردها فقال اما سمعت الحديث لا ترد على أخيك كرامته (وقال) على بن ابى طالب رضوان الله عليه لا يأبى الكرامة الا حمار (وقال) سعيد بن العاص لجليسى على ثلاث اذا دنا رحبت به واذا جلس وسعت له واذا حدث أقبلت عليه (وقال) انى لاخاف ان يمر الذباب بجليسى مخافة ان يؤذيه (الهيثم) بن عدى قال دخل الاحنف بن قيس على معاوية فأشار اليه الى وسادة فلم يجلس عليها فقال له ما منعك يا احنف ان تجلس على الوسادة فقال يا أمير المؤمنين ان فيما اوصى به قيس ابن عاصم ولده ان قال لا تسع للسلطان حتى يملك ولا تقطعه حتى ينساك ولا تجلس له على فراش ولا وسادة واجعل بينك وبينه مجلس رجل او رجلين (وقال) الحسن مجالسة الرجل من غير ان يسئل عن اسمه واسم أبيه مجالسة النوكى ولذلك قال شبيب بن شبة لابى جعفر وافيته فى الطواف وهو لا يعرفه فاعجبه حسن هيئته وسمته اصلحك الله انى أحب المعرفة وأجلك عن المسئلة فقال انا فلان بن فلان (قال زياد) ما أتيت مجلسا قط الا تركت منه مالو جلست فيه لكان لى وترك مالى احب الى من أخذ ما ليس لى (وقال) اياك وصدور المجالس وان صدرك صاحبها فانها مجالس قلعة وقال لان ادعى

ولا تغول الاعداء يوما بغدوة
وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا
وهذا فى موضعه كقول الامام
على كرم الله وجهه من فكر فى
العواقب لم يشجع وقال سعد بن
ناشب فأفرط

عليكم بدارى فاهدموها فانها
تراث كريم لا يخاف العواقبا
اذا هم ألقى بين عينيه عزمه
ونكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر فى رأيه غير نفسه
ولم يرض الا قائم السيف
صاحبا
سأغسل عنى العار بالسيف
جالبا
على قضاء الله ما كان جالبا
ويصغر فى عينى تلادى اذا انثنت
عينى بادراك الذى كنت طالبا

وكان سعد من مردة العرب
وشياطين الانس وفيه يقول
الشاعر

وكيف يفيق الدهر سعد بن
ناشب
وشيطانه عند الاهلة يصرع

(كتب) مروان بن محمد الجعدى
الى عبد الله بن على يسأله حفظ
حرمه فقال له الحق لنا فى دمك
وعلينا فى حرمك (وقال) الرشيد
لاسمعيل بن صبيح اياك والدالة
فانها تفسد الحرمة ومنها أتى
البر امكة (وقال المأمون)
الملوك تحتمل كل شئ الا ثلاثا
افشاء السر والقدح فى الملك
والتعرض للحرم (المعتصم) اذا
نصر الهوى بطل الرأى (المنتصر)
لذة العفو أطيب من لذة التشفى
وذلك ان لذة العفو يلحقها حمد
العاقبة ولذة التشفى يلحقها ذم
الندم والمنتصر يقول عن تجربة

من بعد الى قرب احب الى من ان أقصى من قرب الى بعد (ذكروا) انه كان يوما ابو السمراء عند عبد الله بن طاهر وعنده اسحق بن ابراهيم فاستدنى عبد الله اسحق فناجاه بشئ وطالت النجوى بينهما قال فاعترتني حيرة فيما بين القعود على ما هما عليه والقيام حتى انقطع ما بينهما وتنحى اسحق الى موقفه ونظر عبد الله الىّ فقال

اذا النجيان سرّا عنك أمرهما * فابرح بسمعك يجهل ما ذة ولان
ولا تحملهما ثقلا لخوفهما * على تناجيهما بالمجلس الدانى

فما رأيت أكرم منه ولا أرفق أدبا ترك مطالبتى فى هفوتى بحق الامراء وادنى أدب النظراء (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم انما أحدكم مرآة أخيه فاذا رأى عليه أذى فليمطه عنه واذا أخذ احدكم عن أخيه شيأ فليقل لا يك السوء وصرف الله عنك السوء (وقالوا) اذا اجتمعت حرمتان أسقطت الصغرى الكبرى (وقال) المهلب بن أبي صفرة العيش كله فى الجليس الممتع

(الادب فى المماشاة)

وجه هشام بن عبد الملك ابنه على الصائفة ووجه معه ابن أخيه وأوصى كل واحد منهما بصاحبه فلما قدما عليه قال لابن اخيه كيف رأيت ابن عمك فقال ان شئت أجملت وان شئت فسرت قال بل أجمل قال عرضت بيننا جادة فتركها كل واحد منا لصاحبه فما ركبناها حتى رجعنا اليك (وقال) يحيى بن أكثم ماشيت المأمون يوما من الايام فى بستان مؤنسة بنت المهدى فكنت من الجانب الذى يستره من الشمس فلما انتهى الى آخره واراد الرجوع اردت أن أدور الى الجانب الذى يستره من الشمس فقال لا تفعل ولكن كن بحالك حتى أسترك كما سترتنى فقلت يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك حر النار لفعلت فكيف الشمس فقال ليس هذا من كرم الصحبة ومشى ساترا لى من الشمس كما سترته (وقيل) لعمر بن ذر كيف برابنك قال ما مشيت نهارا قط الا مشى خلفى ولا ليلا الا مشى امامى ولا رقى سطحا وأنا تحته (وقيل) لزياد انك تستخلص حارثة بن زيد وهو يواقع الشراب فقال وكيف لا أستخلصه وما سألته عن شئ قط الا وجدت عنده منه علما ولا استودعته سرا قط فضيعه ولا راكبنى قط فمست ركبتى ركبته (محمد) بن يزيد بن عمر بن عبد العزيز قال خرجت مع موسى الهادى أمير المؤمنين من جرجان فقال لى اما أن تحملنى واما أن أحملك فعلمت ما أراد فأنشدته أبيات ابن صرمة

أوصيكم بالله أول وهلة * وأحسابكم والبر بالله أول
وان قومكم سادوا فلا تحسدوهم * وان كنتم اهل السيادة فاعدلوا
وان انتم اعوزتم فتعففوا * وان كان فضل المال فيكم فأفضلوا
وان نزلت احدى الدواهى بقومكم * فانفسكم دون العشيرة فاجعلوا
وان طلبوا عرفا فلا تحرموهمو * وما حملوكم فى الملمات فاحملوا

قال فأمر لى بعشرين الف درهم (وقيل) ان سعيد بن سالم راكب موسى الهادى والحربة بيد عبد الله ابن مالك وكانت الريح تسفى التراب وعبد الله يلحظ موضع مسير موسى فيتكلف ان يسير على محاذاته واذا حاذاه ناله ذلك التراب فلما طال ذلك عليه أقبل على سعيد بن سالم فقال أما ترى ما نلقى من هذا الخائن قال والله يا أمير المؤمنين ما قصر فى الاجتهاد ولكن حرم التوفيق

(باب السلام والاذن)

قال النبي صلى الله عليه وسلم أطيبوا الكلام وافشوا السلام واصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام وقال صلى الله عليه وسلم ان أبخل الناس الذى يبخل بالسلام (وأتى) رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليك السلام يا رسول الله فقال لا تقل عليك السلام فانها تحية الموتى وقل السلام عليك وقال صاحب حرس عمر بن عبد العزيز خرج عمر فى يوم عيد وعليه قميص كتان وعمامة على قلنسوة لاطئة فقمت اليه وسلمت عليه فقال مه أنا واحد وانتم جماعة السلام علىّ والرد عليكم ثم سلم ورددنا

لانه قتل أباه المتوكل والامر فى ذلك أشهر من أن يذكر ولكنى الم منه باليسير كان المتوكل قد عقد لولده المنتصر والمعتز والمؤيد ولاية العهد ثم تغير على المنتصر دون أخويه وكان يسميه المنتظر ويقول له أنت تتمنى موتى وتنتظر وقتى ويأمر الندماء أن يعبثوا به الى أن أوغر صدره وقل صبره فلما كانت ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين كان المتوكل يشرب مع الفتح فى قصره المعروف بالجعفرى ومعه جماعة من الندماء والمغنين وكان المنتصر معهم فلما انصرف ثلاث ساعات من الليل قال لزرافة التركى الا تسقنى ساعة حتى أشكو اليك ما عرّنى قال بلى وجعل يماطله ويطاوله وغلق بغا الشرابى الابواب كلها الا باب الماء ومنه دخل الذين قتلوه فأول من ضربه باغر التركى ضربة قطع بها حبل عاتقه وتلقاه الفتح بنفسه فأكب عليه فقتلا جميعا وبويع المنتصر من ساعته وكانت مدة المنتصر فى الخلافة مدة شيرويه بن كسرى حين قتل اباه ستة أشهر وقال ابراهيم بن أحمد الاسدى يرثى المتوكل

هكذا فلتكن منايا الكرام
بين ناى ومزهر ومدام
بين كاسين أروتاه جميعا
كاس لذاته وكاس الحمام
يقظ فى السرور حتى أتاه
قدر الله حتفه فى المنام

عليه ومشى فشيعه الى المسجد وقال النبي صلى الله عليه وسلم يسلم الماشي على القاعد والراكب على الراجل والكبير على الصغير (ودخل) رجل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبي يقرئك السلام فقال عليك وعلى أبيك السلام (ابراهيم بن الاسود) قال قال عبد الله بن مسعود اذا لقيت عمر فاقرأ عليه السلام قال فلقيته فاقرأته السلام فقال وعليك وعليه السلام (دخل) ميمون بن مهران على سليمان بن هشام وهو والي الجزيرة فقال السلام عليكم فقال له سليمان ما منعك أن تسلم بالامرة فقال انما يسلم على الوالي بالامرة اذا كان عنده الناس * أبو بكر بن أبي شيبة قال كان الحسن وابراهيم وميمون بن مهران يكرهون أن يقول الرجل حياك الله حتى يقول السلام وسئل عبد الله بن عمر عن الرجل يدخل المسجد أو البيت ليس فيه أحد قال يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (ومر) رجل بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلم عليه فلم يرد عليه السلام (وقال) رجل لعائشة كيف أصبحت قالت بنعمة من الله (وقال) رجل لشريح كيف أصبحت قال أصبحت طويلا أملي قصيرا أجلي سيئا عملي (وقيل) لسفيان الثوري كيف أصبحت قال أصبحت في دار حارت فيها الادلاء (واستأذن) رجل من بني عامر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت فقال أألج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان وقل له يقول السلام عليكم أأدخل * جابر بن عبد الله قال استأذنت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من أنت فقلت أنا قال أنا أنا (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم الاستئذان ثلاثة فان أذن لك والا فارجع (وقال) علي بن أبي طالب رضي الله عنه الاولى اذن والثانية مؤامرة والثالثة عزيمة اما أن يأذنوا واما ان يردوا

﴿باب في تأديب الصغير﴾

قالت الحكماء من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا (وقالوا) اطبع الطين ما كان رطبا واغمز العود ما كان لدنا * وقالوا من أدب ولده غم حاسده (وقال) ابن عباس من لم يجلس في الصغر حيث يكره لم يجلس في الكبر حيث يحب (قال الشاعر)

اذا المرء أعيته المروءة ناشئا * فطلبها كهلا عليه شديد

(وقالوا) ما أشد فطام الكبير وأعسر رياضة الهرم (قال الشاعر)

وتروض عرسك بعد ما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم

(كتب شريح الى معلم ولده)

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها * يبغي الهراش مع الغواة الرجس

فاذا أتاك فعضه بملامة * وعظنه موعظة الاديب الكيس

فاذا هممت بضربه فبدرة * واذا بلغت ثلاثة لك فاحبس

واعلم بأنك ما أتيت فنفسه * مع ما يجرعني أعز الانفس

(وقال صالح بن عبد القدوس)

وان من أدبته في الصبا * كالعود يسقى الماء في غرسه * حتى تراه مورقا ناضرا

بعد الذي أبصرت من يبسه * والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يواري في ثرى رمسه

اذا ارعوى عاد له جهله * كذي الصبا عاد الى بأسه

ما تبلغ الاعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه

(وقال) عمرو بن عتبة لمعلم ولده ليكن أول اصلاحك لولدي اصلاحك لنفسك فان عيونهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه ولا تتركهم منه فيهجروه روهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه ولا تنقلهم من علم الى علم حتى يحكموه فان ازدحام الكلام في القلب مشغلة للفهم وعلمهم سنن الحكماء وجنبهم محادثة

والمنايا مراتب يتفاضلـ
ـن وبالمرهفات موت الكرام
لم يزر نفسه رسول المنايا
بصنوف الاوجاع والاسقام
هابه معلنا فدب اليه
في ستور الدجى بحد الحسام
(اخذ) هذا المعنى عبد الكريم ابن ابراهيم التيمي فقال يرثي عيسى بن خالف صاحب خراج المغرب وكان قد تناول دواء فمات بسببه
منايا سددت الطرق عنها ولم تدع
لها من ثنايا شاهقات مطلعا
فلما رأت سور المهابة دونها
عليك وانها لم تجد فيك مطمعا
ترقت بأسباب لطاف ولم تكد
تواجه موفور الجلالة أروعا
فجاءتك في سر الدواء خفية
على حين لم تحذر لداء توقعا
فلم أر ما لا يتقي مثل سمها
ولا مثلها لم تخش كيدا فترجعا
وقد رثاه البحتري ويزيد المهلبي بمرثيتين من أجود ما قيل في معناهما وكانا حاضرين ليلة قتله فاختفى أحدهما في طي الباب والآخر في قناة الشاذروان فمن قصيدة البحتري
تغير حسن الجعفري وأنسه
وقوض بادي الجعفري وحاضره
تحمل عنه ساكنوه فجاءة
فعادت سواء دوره ومقابره
ولم أر مثل القصر اذ ريع سربه
واذ ذعرت أطلاؤه وجآذره
واذ صيح فيه بالرحيل فهتكت
على عجل أستاره وستائره
اذا نحن زرناه أجد لنا الاسى
وقد كان قبل اليوم يبهج زائره

النساء ولا تتوكل على عذر مني لك فقد اتكلت على كفاية منك

(باب في حب الولد)

أرسل معاوية الى الاحنف بن قيس فقال يا أبا بحر ما تقول في الولد قال ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن له أرض ذليلة وسماء ظليلة فان طلبوا فأعطهم وان غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك فقال لله أنت يا أحنف لقد دخلت علي واني لمملوء غضبا على يزيد فسللته من قلبي فلما خرج الاحنف من عنده بعث معاوية الى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب فبعث يزيد الى الاحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب شاطره العطية (وكان) عبدالله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب حتى لامه الناس فيه فقال

يلومونني في سالم وألومهم * وجلدة بين العين والانف سالم

وقال ان ابني سالما ليحب الله حبا لو لم يخفه ما عصاه (وكان) يحيى بن اليمان يذهب بولده داود كل مذهب حتى قال يوما أئمة الحديث أربعة كان عبدالله ثم كان علقمة ثم كان ابراهيم ثم أنت يا داود وقال تزوجت أم داود فما كان عندنا شيء ألفه فيه حتى اشتريت له شكوة بدانق (وقال) زيد بن علي لابنه يا بني ان الله لم يرضك لي فأوصاك بي ورضيني لك فحذرنيك واعلم ان خير الآباء للابناء من لم يدعه الى التفريط وخير الابناء للآباء من لم يدعه التقصير الى العقوق * وفي الحديث المرفوع ريح الولد من ريح الجنة وفيه أيضا الاولاد من ريحان الله * وقال النبي صلى الله عليه وسلم لما بشر بفاطمة ريحانة أشمها ورزقها على الله (ودخل) عمرو بن العاصي على معاوية وبين يديه بنته عائشة فقال من هذه فقال هذه تفاحة القلب فقال له انبذها عنك فوالله انهن ليلدن الاعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال لا تقل ذلك يا عمرو فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الاحزان مثلهن ورب ابن أخت قد نفع خاله (وقال المعلى الطائي)

لولا بنيات كزغب القطا * حططن من بعض الى بعض
لكان لي مضطرب واسع * في الارض ذات الطول والعرض
وانما أولادنا بيننا * أكبادنا تمشي على الارض

(وقال) عبدالله بن أبي بكرة موت الولد صدع في الكبد لا ينجبر آخر الابد (ونظر) عمر بن الخطاب الى رجل يحمل طفلا على عنقه فقال ما هذا منك قال ابني يا أمير المؤمنين قال أما انه ان عاش فتنك وان مات حزنك (وكانت) فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقص الحسين بن علي رضي الله عنهما وتقول

ان بني شبه النبي * ليس شبيها بعلي (وكان الزبير) يرقص عروة ويقول

أبيض من آل أبي عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألذه كما ألذ ريقي

(وقال اعرابي وهو يرقص ولده)

أحبه حب الشحيح ماله * قد كان ذاق الفقر ثم ناله * اذا يريد بذله بدا له

(وقال آخر وهو يرقص ولده)

أعرف منه قلة النعاس * وخفة من رأسه في راسي

(وكان) رجل من طيئ يقطع الطريق فمات وترك بنيا رضيعا فجعلت أمه ترقصه وتقول

يا ليته قد قطع الطريقا * ولم يرد في أمره رفيقا
وقد أخاف الفج والمضيقا * فقل أن كان به شفيقا

(وقال) عبد الملك أضر بنا في الوليد حبنا له فلم نؤدبه وكأن الوليد أدبنا (وقال هرون الرشيد) لابنه المعتصم ما فعل وصيفك قال مات فاستراح من الكتاب قال وبلغ منك الكتاب هذا المبلغ والله لا حضرته أبدا ووجهه الى البادية فتعلم الفصاحة وكان أميا وهو المعروف بابن ماردة (وفي) بعض

فأين عميد الناس في كل نوبة
تنوب وناهي الدهر فيهم وآمره
تخفى له مغتاله تحت غرة
وأولى لمن يغتاله لو يجاهره
صريع تقاضاه السيوف حشاشة
يجود بها والموت حمر أظافره
حرام على الراح بعدك أو أرى
دما بدم يجري على الارض ماطره
وهل يرتجي أن يطلب الدم طالب
مدى الدهر والموتور بالدم واتره
فلا ملأ الباقي تراث الذي مضى
ولا حملت ذاك الدعاء منابره

وهي طويلة وكان أبو العباس ثعلب يقول فيها ما قيلت هاشمية أحسن منها وقد صرح فيها تصريح من أذهلته المصائب عن تخوف العواقب وقد كان البحتري يرتاح في كثير من شعره الى ذكره وذكر الفتح بن خاقان (فمن ذلك) قوله لبعض من عاده

تداركني الاحسان منك ونالني
على فاقة ذاك المدى والتطول
ودافعت عني حين لا الفتح يرتجى
لدفع الاذى عني ولا المتوكل

(وقال)

مضى جعفر والفتح بين موسد
وبين قتيل في الدماء مضرج
أأطلب أنصارا على الدهر بعدما
ثوى منهما في الترب أوسي وخزرجي

(وقال في غلام له)

عسى آيس من رجعة الوصل يوصل
ودهر تولى بالاحبة يقبل
أيا سكنا فات العراق بنفسه
وحال التمادي دونه والتزيل
أتبعت لما لم يبق جسمي الضنا
ولم يخترم نفسي الحمام المعجل

الحديث ان ابراهيم خليل الرحمن كان من أغير الناس فلما حضرته الوفاة دخل عليه ملك الموت في صورة رجل أنكره فقال له من أدخلك داري قال الذي أسكنك فيها منذ كذا وكذا سنة قال ومن أنت قال أنا ملك الموت جئت لقبض روحك قال أتاركي أنت حتى أودع ابني اسحق قال نعم فارسل الى اسحق فلما أتاه أخبره فتعلق اسحق بابيه ابراهيم وجعل يتقطع عليه بكاء فخرج عنهما ملك الموت وقال يارب ذبيحك اسحق متعلق بخليلك فقال له الله قل له اني قد أمهلتك ففعل وانحل اسحق عن ابيه ودخل ابراهيم بيتا ينام فيه فقبض ملك الموت روحه وهو نائم

(باب الاعتضاد بالولد)

قال الله تبارك وتعالى فيما حكاه عن عبده زكريا ودعائه اياه في الولد وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين وقال واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا والموالي ههنا بنو العم (وقال الشاعر)

من كان ذا عضد عزت ظلامته * أن الذليل الذي ليست له عضد
تنبو يداه اذا ماقل ناصره * و يأنف الضيم ان أثرى له عدد

(العتبي) قال لما أسن أبو براء عامر بن مالك وضعفه بنو أخيه وخرفوه ولم يكن له ولد يحميه أنشأ يقول

دفعتكم عني ومادفع راحة * بشئ اذا لم تستعن بالانامل
يضعفني حلمي وكثرة جهلكم * علي وأني لاأعضد بجاهل

وقال آخر

تعدو الذئاب على من لا كلاب له * وتتقي سورة المستنفر الحامي

(باب في التجارب والتأدب بالزمان)

قالت الحكماء كفى بالتجارب تأديبا وبتقلب الايام عظة (وقالوا) كفى بالدهر مؤدبا وبالعقل مرشدا (وقال حبيب) أحاولت ارشادي فعقلي مرشد * أم استمت تأديبي فدهري مؤدبي

(وقال ابراهيم بن شكلة)

من لم يؤدبه والداه * أدبه الليل والنهار * كم قد ادلا كريم قوم
ليس له منهما انتصار * من ذا يد الدهر لم تنله * أو اطمأنت به الديار
كل عن الحادثات مغض * وعنده للزمان ثار

(وقال آخر) وما أبقت لك الايام عذرا * وبالايام يتعظ اللبيب

(وقالوا) كفى بالدهر مخبرا بما مضى عما بقي (وقالوا) كفى الزمان مخبرا لذوي الالباب ما جربوا (وقالوا) لعيسى بن مريم عليهما السلام من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت الجهل قبيحا فاجتنبته

(باب في صحبة الايام بالموادعة)

قالت الحكماء اصحب الايام بالموادعة ولا تسابق الدهر فتنكب (وقال الشاعر)

من سابق الدهر كبا كبوة * لم يستقلها من خطا الدهر
فاخط مع الدهر اذا ما خطا * واجر مع الدهر كما يجري

(وقال بشار العقيلي)

اعاذل ان العسر سوف يفيق * وان يسارا من غد لخليق
وما كنت الا كالزمان اذا صحا * صحوت وان ماق الزمان أموق

(وقال آخر)

تحامق مع الحمقى اذا ما لقيتهم * ولاقهم بالجهل فعل ذوي الجهل
وخالط اذا لاقيت يوما مخالطا * يخلط في قول صحيح وفي هزل
فاني رأيت المرء يشقى بعقله * كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

وقال

وقبلك بان القوم مني مودعا
وفارقني شفعا له المتوكل
فما بلغ الدمع الذي كنت أرتجي
ولا فعل الوجد الذي خلت يفعل
وما كل نيران الجوى تحرق الحشا
وما كل أدواء الصبابة تقتل

(وقال) أبو خالد بن يزيد بن محمد المهلبي في قصيدة أولها

لا وجد الا أراه دون ما أجد
ولا كمن فقدت عيناي مفتقد

يقول فيها

لا يبعدن هالك كانت منيته
كما هوى من غطاء الزبية الاسد
جاءت منيته والعين هادئة
هلا اتته المنايا والقنا قصد
نخر فوق سرير الملك منجدلا
لم يحمه ملكه لما انقضى الامد
لا يرفع الناس صعبا بعد ليلتهم
اذ لا يهز الى الجاني عليك يد
علتك أسياف من لا دونه أحد
وليس فوقك الا الواحد الصمد
اذا بكيت فان الدمع منهمل
وان رثيت فان الشعر مطرد
انا فقدناك حتى لا اصطبار لنا
ومات قبلك أقوام فما فقدوا
قد كنت أسرف في مالي فتخلفه
فعلمتني الليالي كيف أقتصد

وقال فيها يذكر الاتراك ويحض على اصطناع العرب

لما اعتقدتم اناسا لا حفاظ لهم
ضعتم وضيعتم من كان يعتقد
ولو جعلتم على الاحرار نعمتكم
حمتكم الرادة المنسوبة الحشد
قوم هم الاصل والاسماء تجمعكم
والدين والمجد والارحام والبلد
ان العبيد اذا أذللتهم صلحوا
على الهوان وان أكرمتهم فسدوا

(وقال أبو حنيفة النميري)

(وقال آخر) ان المقادير اذا ساعدت * ألحقت العاجز بالحازم
وقال الآخر والسبب المانع حظ العاقل * هو الذي سبب حظ الجاهل
(ومن) أمثالهم في ذلك تطامن لها تخطاك (ومن قولنا في هذا المعنى)
تطامن للزمان يحزك عفوا * وان قالوا ذليل قل ذليل
(وقال حبيب) وكانت روعة ثم اطمأنت * كذاك لكل سائلة قرار
(وقال آخر) ماذا يريك الدهر من هوانه * ارفع القرد السوق في زمانه
(ولآخر) الدهر لا يبقى على حالة * لا بد أن يقبل أو يدبر
فان تلقاك بمكروهه * فاصبر فان الدهر لا يصبر
(ولآخر) اصبر لدهر نال منك فهكذا مضت الدهور
فرحا وحزنا مرة * لا الحزن دام ولا السرور
(ولآخر) عفا الله عن صبر الهم واحدا * وأيقن ان الدائرات تدور
تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت * وتحدث من بعد الامور أمور
وتجري الليالي باجتماع وفرقة * وتطلع فيها أنجم وتغور
ويطمع أن يبقى السرور لاهله * وهذا محال أن يدوم سرور
(ولآخر) ما تنظر الايام فيك امالها * تعود الى الوصل الذي هو أجمل

(باب التحفظ من المقالة القبيحة وان كانت باطلا)

قالت الحكماء اياك وما يعتذر منه (وقالوا) من عرض نفسه للتهم فلا يأمن من اساءة الظن (وقالوا) حسبك من شر سماعه (وقالوا) كفى بالقول عارا وان كان باطلا (وقال الشاعر)
ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل
مقالة السوء الى أهلها * أسرع من منحدر سائل
وقال آخر قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا * فما اعتذارك من قول اذا قيلا
(وقال ارسطاطاليس) للاسكندر ان الناس اذا قدروا أن يقولوا قدروا أن يفعلوا فاحترس من أن يقولوا تسلم من أن يفعلوا (وقال امرؤ القيس) * وجرح اللسان كجرح اليد * وقال الاخطل * والقول ينفذ ما لا تنفذ الابر * (وقال يعقوب الحمدي)
وقد يرجى لجرح السيف برء * ولا برء لما جرح اللسان
(ولآخر) قالوا ولو صح ما قالوا لعزت به * من لي بتصديق ما قالوا وتكذيب

(باب الادب في تشميت العاطس)

(ومن) حديث أبي بكر بن أبي شيبة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تشمت العاطس حتى يحمد الله فان لم يحمده فلا تشمته (وقال) اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه وان لم يحمد الله فلا تشمتوه (وقال) علي رضي الله عنه يشمت العاطس الى ثلاث فان زاد فهو داء يخرج من رأسه (عطس) ابن عمر فقالوا له يرحمك الله فقال يهديكم الله ويصلح بالكم (وعطس) علي بن أبي طالب فحمد الله فقيل له يرحمك الله فقال يغفر الله لنا ولكم (وقال) عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا عطس أحدكم فشمتوه ثلاثا فان زاد فقولوا انك مضنوك (وقال) بعضهم التشميت مرة واحدة

(باب الادب في القبلة)

(عبد الرحمن بن أبي ليلى) عن عبد الله بن عمر قال كنا نقبل يد النبي صلى الله عليه وسلم (وكيع) عن سفيان قال قبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب (ومن حديث) الشعبي عن النبي صلى الله عليه وسلم

رمته فتاة من ربيعة عامر
نؤم الضحى في مأتم أي مأتم
فقلن لها في السر نفديك لا يرح
صحيحا والا تقتليه فألمم
فألقت قناعا دونه الشمس واتقت
بأحسن موصولين كف ومعصم
وقالت فلما أفرغت في فؤاده
وعينيه منها السحر قالت له نم
فأصبح لا يدري أفي طلعة الضحى
تروح أم داج من الليل مظلم
(أخذ) قوله فألقت قناعا دونه الشمس من قول النابغة الذبياني
قامت تراءى بين سجفي كلة
كالشمس يوم طلوعها بالاسعد
سقط النصيف ولم ترد اسقاطه
فتناولته واتقتنا باليد
(وقال) أبو حية يرثي سلمة بن عياش
كان أبا حفص فتى البأس لم يجب
به الليل والبيض القلاص النجائب
الى الغاية القصوى ولم تهد فتية
كراما وتخطوه الخطوب النوائب
ويعمل عتاق العيس حتى كأنها
اذا وضعت عنها الولايا المشاجب
بعيد مثاني الهم يمسي وماله
سوى الله والعضب السريجي صاحب
يروم جسيمات العلا فينالها
فتى في جسيمات المكارم راغب
فان يمس وحشا بابه فلربما
تواتر أفواجا اليه المواكب
يحيون بساما كأن جبينه
هلال بدا وانجاب عنه السحائب
وما غائب من غاب يرجى ايابه
ولكنه من ضمن اللحد غائب

لما قدم جعفر بن أبي طالب فالتزمه وقبل بين عينيه (وقال) اياس بن دغفل رأيت أبا نضرة يقبل خد الحسن (الشيباني) عن أبي الحسن عن مصعب قال رأيت رجلا دخل على على بن الحسين رضي الله عنهما في المسجد فقبل يده ووضعها على عينيه ولم ينهه (العتبي) قال دخل رجل على هشام بن عبد الملك فقبل يده فقال آفة العرب ماقبلت الايدي الا هلوعا ولا قبلتها العجم الا خضوعا (واستأذن) رجل المأمون في تقبيل يده فقال ان القبلة من المؤمن ذلة ومن الذمي خديعة ولا حاجة بك أن تذل ولا حاجة بنا أن نخدع (واستأذن) أبو دلامة المهدي في تقبيل يده فمنعه وقال ما منعتني شيأ أيسر على عيالي فقدا منه (الاصمعي) قال دخل أبو بكر الهجري على المنصور فقال يا أمير المؤمنين نغض في وأنتم أهل بيت بركة فلو أذنت لي فقبلت رأسك لعل الله كان يمسك على مابقي من أسناني قال اختر بينها وبين الجائزة فقال يا أمير المؤمنين ان أهون من ذهاب درهم من الجائزة أن لا يبقى في في حاكة فضحك المنصور وأمر له بجائزة (وقالوا) قبلة الامام في اليد وقبلة الاب في الرأس وقبلة الاخ في الخد وقبلة الاخت في الصدر وقبلة الزوجة في الفم

(باب الادب في العيادة)

مرض أبو عمرو بن العلاء فدخل عليه رجل من أصحابه فقال له أريد أن أساهرك الليلة قال له أنت معافى وأنا مبتلى فالعافية لا تدعك أن تسهر والبلاء لا يدعني أن أنام وأسأل الله أن يهب لاهل العافية الشكر ولاهل البلاء الصبر (ودخل) كثير عزة على عبد العزيز بن مروان وهو مريض فقال لولا أن سرورك لا يتم الا بان تسلم وأسقم لدعوت ربي ان يصرف مابك الى ولكن أسأل الله لك أيها الامير العافية ولي في كنفك النعمة فضحك وأمر له بجائزة فخرج وهو يقول

ونعود سيدنا وسيد غيرنا * ليت التشكي كان بالعواد
لو كان يقبل فدية لفديته * بالمصطفى من طارفي وتلادي

(وكتب رجل من أهل الادب الى عليل)

نبئت انك معتل فقلت لهم * نفسي الفداء له من كل محذور
ياليت علته بي ثم كان له * أجر العليل واني غير مأجور

(وكتب آخر الى عليل)

وقيناك لو يعطى الهوى فيك والمنى * لكان بنا الشكوى وكان لك الاجر

(وكان) شاعر يختلف الى يحيى بن خالد بن برمك و يمتدحه فغاب عنه أياما لعلة عرضت له فلم يفتقده يحيى ولم يسأل عنه فلما أفاق الرجل من علته (كتب اليه)

أيهاذا الامير أكرمك الله * وأبقاك لي بقاء طويلا
اجملا تراه أصلحك الله * لكيما أراه أيضا جميلا
انني قد أقمت عنك قليلا * لا ترى منفذا اليك رسولا
الذنب فما علمت سوى الشكر * لما قد أوليته مجزيلا
أم ملالا فما علمتك للعا * هد مثلي على الزمان ملولا
قد أتى الله بالصلاح فما أنكرت * مما عهدت الا القليلا
وأكلت الدراج وهو غذاء * أملت علتي عليه أفولا
وكأني قد مت قبلك آتيك * غدا ان أجد اليك سبيلا

(فكتب الوزير يعتذر)

دفع الله عنك نائبة الدهر * وحاشاك أن تكون عليلا
اشهد الله ما علمت وماذا * لك من العذر جاء ثزامقبولا
ولعلى لو قد علمت لعاود * تك شهرا وكان ذاك قليلا
فاجعلن لي الى التعلق بالعذر * سبيلا ان لم أجد لي سبيلا
فقديما ما جاء ذو الفضل بالفضل * وما سامح الخليل خليلا

(وكتب

وزعم الصولي ان أبا حية انما قالها في محمد بن سليمان بن علي ابن عبد الله بن العباس وكان أبو حية جيد الطبع مألوف الكلام رقيق حواشي الشعر (وسئل) الاصمعي عن قيس بن الملوح المجنون فقال لم يكن مجنونا وانما كانت به لوثة كلوثة أبي حية وهو القائل

رمتني وستر الله بيني وبينها
عشية أحجار الكناس رميم
رميم التي قالت لجارات بيتها
ضمنت لكم أن لا يزال يهيم
الا رب يوم لو رمتني رميتها
ولكن عهدي بالنضال قديم
فيا عجبا من قاتل لي أوده
اشاط دمي شخص على كريم
يرى الناس اني قد سلوت واتني
لمدمن احناء الضلوع سقيم

(وانشد) اسحق بن ابراهيم الموصلي في مثله ولم يسم قائله

هل ادم كالآرام والدهر كالدمي
معاودتي أيامهن الصوالح
زمان سلاحي بينهن شبيبتي
لها سائف من حسنهن ورامح
فأقسم لا يسقينني قطر مزنة
لشيبي ولو سالت بهن الاباطح

(وقال هرون) بن علي بن يحيى المنجم

الغانيات عهودهن
الى انصرام وانقضاب
من شاب شبن له المود
دة بالخديعة والكذاب
فانعم بهن وزندسة
نلت في الشبيبة غير خابي
مادمت في ورق الصبا
وغصونه الخضر الرطاب

(وكتب المعتصم الى عبدالله بن طاهر)

اعزز علي بان اراك عليلا * أو ان يكون بك السقام نزيلا
فوددت اني مالك لسلامتي * فأعيرها لك بكرة وأصيلا
فتكون تبقى سالما بسلامتي * وأكون مما قد عراك بديلا
هذا أخ لك يشتكي ما تشتكي * وكذا الخليل اذا أحب خليلا

(ومرض) يحيى بن خالد فكان اسمعيل بن صبيح الكاتب اذا دخل عليه يعوده وقف عند رأسه ودعا له ثم يخرج فيسأل الحاجب عن منامه وشرابه وطعامه فلما أفاق قال يحيى بن خالد ما عادني في مرضي هذا الا اسمعيل بن صبيح (وقال الشاعر)

عيادة المرء يوم بين يومين * وجلسة لك مثل اللحظ بالعين
لا تبرمن مريضا في مساءلة * يكفيك من ذاك تسآل بحرفين

وقال بكر بن عبدالله لقوم عادوه في مرضه فاطالوا الجلوس عنده المريض يعاد والصحيح يزار (وقال) سفيان الثوري حمق القراء أشد على المرضى من أمراضهم يجيئون في غير وقت ويطيلون الجلوس (ودخل) رجل على عمر بن عبدالعزيز يعوده في مرضه فسأله عن علته فلما أخبره قال من هذه العلة مات فلان ومات فلان فقال له عمر اذا عدت المرضى فلا تنع اليهم الموتى واذا خرجت عنا فلا تعد الينا (وقال) ابن عباس اذا دخلتم على الرجل وهو في الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن ولقنوه الشهادة ولا تضجروه (ومرض) الاعمش فأبرمه الناس بالسؤال عن حاله فكتب قصته في كتاب وجعله عند رأسه فاذا سأله أحد قال عندك القصة في الكتاب فاقرأها (ومرض) محمد بن عبدالله ابن طاهر فكتب الى أخيه عبيدالله بن عبدالله

اني وجدت على جفا * ئك من فعالك شاهدا * اني اعتللت فما فقد
ت سوى رسولك عائدا * ولو اعتللت فلم أجد * سببا اليك مساعدا
لا استشعرت عيناي الكرى * حتى أعودك راقدا

(فأجابه)

كحلت مقلتي بشوك القتاد * لم أذق جرعة لطعم الرقاد * يا أخي الباذل المودة والنا
زل من مقلتي مكان السواد * منعتني عنك رقة قلبي * من دخولي اليك في العواد
لو باذني سمعت منك أنينا * لتفنى مع الانين فؤادي

(ولمحمد بن يزيد) يا عليلا أفديك من ألم العلة هل لي الى اللقاء سبيل
ان يحل دونك الحجاب فما يحجب عني بك الضنى والعويل

(وأنشد) محمد بن يزيد قال أنشدني أبو دهمان لنفسه وقد دخل على بعض الامراء يعوده

بأنفسنا لا بالطوارف والتلد * نقيك الذي تخفى من السقم أو تبدي
بنا معشر العواد ما بك من أذى * فان أشفقوا مما أقول فبي وحدي

(وكتب أبو تمام الطائي الى مالك بن طوق في شكاة له)

كم لوعة للندى وكم قلق * للمجد والمكرمات من قلقك * ألبسك الله منه عافية
في نومك المعتري وفي أرقك * يخرج من جسمك السقام كما * أخرج ذم الفعال من خلقك

(ودخل) محمد بن عبدالله على المتوكل في شكاة له يعوده فقال

الله يدفع عن نفس الامام لنا * وكلنا للمنايا دونه عرض
فليت أن الذي يعروه من مرض * بالعائدين جميعا لا به المرض
فبالامام لنا من غيرنا عوض * وليس في غيره منه لنا عوض

فاغفر بأيام الصبا
واخلع عذارك في التصابي
أعط الشباب نصيبه
ما دمت تعذر بالشباب
(وقال أشجع بن عمرو السلمي)
ومالي لا أعطي الشباب نصيبه
وغصناه يهتزان في عوده الرطب
رأيت الليالي ينتهبن شبيبتي
فاسرعت باللذات في ذلك النهب
فان بنات الدهر يخلسن لذتي
فقد خن سلمى وانتهين الى حربي
وقد حولت حالي الليالي
وأسرجت
على الرأس أمثال الفتيل من
العطب
وموت الفتى خير له من حياته
اذا كان ذا حالين يصبو ولا يصبي
(وقال آخر)
ما العيش الا أن تحب
ب وان يحبك من تحبه
(فقر تتصل بهذه الابيات في وصف الشباب) أطاع الشباب وغرته وأجاب الصبا وشرته جاز ازار الصبا وأزال ذيول الهوى وركض في ميدان التصابي وجنى ثمرات الملاهي هو في اقتبال شبابه وحداثة أترابه وريعان عمره وعنفوان أمره هو في ابان شبابه واعتداله وريعان اقباله واقتباله بعثه على ذلك أشر الصبا ولين الغصن وشرخ الشبيبة وسكر الحداثة فتى السن رطيب الغصن عمره في اقباله ونشاطه في استقباله وشبابه في اقتباله وماؤه بحاله فلان في حكم الاطفال الذين لم يمضوا على نواجذ الرجال هو في عنفوان شبيبة تخاف سقطاتها وهفواتها ولا يؤمن جيحاتها

فما أبالي اذا ما نفسه سلمت * لو باد كل عباد الله وانقرضوا

(وقال آخر في بعض الامراء)

واعتل فاعتلت الدنيا لعلته * واعتل فاعتل فيه البأس والكرم
لما استقل أثار المجد وانقشعت * عنه الضبابة والأحزان والسقم

(وبلغ) قيسا مجنون بني عامر ان ليلى بالعراق مريضة فقال

يقولون ليلى بالعراق مريضة * فمالك تجفوها وأنت صديق
شفى الله مرضى بالعراق فانني * على كل شاك بالعراق شفيق

(ولمحمد بن عبد الله بن طاهر)

ألبسك الله منه عافية * تغنيك عن دعوتي وعن حلدك
سقمك ذا الالعلة عرضت * بل سقم عينيك رد في جسدك

وقال غيره

يا أملي كيف أنت من ملك * وكيف ما تشتكيه من سقمك
هذان يومان لي أعدهما * مذلم يلح لي بروق مبتسمك
حسدت حمالك حين قيل لها * بانها قبلتك فوق فمك

(ولبعض عبد بني الحسحاس)

يجمعن شتى من ثلاث وأربع * وواحدة حتى كملن ثمانيا
وأقبلن من اقصى الخيام يعدنني * الا انما بعض العوائد دائيا

(وللعباس بن الاحنف)

قالت مرضت فعدتها وتبرمت * وهي الصحيحة والمريض العائد
والله لو قست القلوب كقلبها * مارق للولد الضعيف الوالد

وقال الواثق

لابك السقم ولكن كان بي * و بنفسي و بامي وأبي
قيل لي انك صدعت فما * خالطت سمعي حتى ديربي

(وأنشد محمد بن يزيد المبرد لعلية بنت المهدي)

تمارضت كي أشجى ومابك علة * تريدين قتلي قد ظفرت بذلك
وقولك للعواد كيف ترونه * فقالوا قتيلا قات أهون هالك
لئن ساءني ان نلتني بمساءة * لقد سرني اني خطرت ببالك

(ومن قولنا في هذا المعنى)

روح الندى بين أثواب العلا وصب * يفتن في جسد للمجد موصوب
ما انت وحدك مكسو شحوب ضنى * بل كلما منك من مضنى ومشحوب
يامن عليه حجاب من جلالته * وباب بذلك يوما غير محجوب
* ألقى عليك يد اللضر كاشفة * كشاف ضر نبي الله أيوب

(ومثله من قولنا)

لا غرو ان نال منك السقم والضرر * قد تكسف الشمس لا بل يخسف القمر
يا غرة القمر المروي غضارتها * فدى لترابك مني السمع والبصر
ان يمس جسمك موعوكا بصالبة * فهكذا يوعك الضرغامة الهصر
أنت الحسام فان تفلل مضاربه * فقبله ما يفل الصارم الذكر
روح من المجد في جثمان مكرمة * كانما الصبح من خديه ينفجر
لو غال مجلوده شئ سوى قدر * أكبرت ذاك ولكن غاله القدر

ونزواتها هو في سكرى الشباب والشراب و بين نزوات الشبان ونزغات الشيطان شبابه أعمى عن الرشد أصم عن العذل قد لبي داعي هواه وانغمس في لجة صباه قد هجم بسكر الحداثة على سكرات الحوادث يجري الى الصبا جري الصبا فلان غفل من سمة التجربة جامح في عذار الغفلة صعب الراس على لجام العظة هو من سلطان الصبا في النوبة الاولى قد خلع عذاره ومقوده وألقى الى البطالة باعه ويده هو بين خمار الغداة وسكر العشي لا يعرف الصحو ولا يفارق اللهو فلان لا يفيق ولا يذكر التوفيق هو بين غرر الشباب وغرر الاحباب (ويتعلق بهذه الالفاظ ألفاظ لهم في نجابة الشباب وترشحهم للمعالي) قد جمع نضارة الشباب الى أبهة المشيب وهو على حدوث ميلاده وقرب اسناده شيخ قدر وهيبة وان لم يكن شيخ سن وشيبة هو بين شباب مقتبل وعقل مكتمل قد اوس برد شبابه على عقل كهل ورأي جزل ومنطق فصل للدهر فيه مقاصد وللايام فيه مواعد أرى له في فصل ضمان الايام وودائع الحظوظ والاقسام تباشير نجح ومخايل نصر وفتح قد استكمل قوة الفضل ولم يتكامل له سن الكهل مازالت مخايله وليدا وناشئا وشمائله صغيرا و يافعا نواطق بالحسن عنه وضوامن النجح فيه قد سما الى مراتب أعيان الرجال التي لا تدرك الا مع الكمال والاكتهال حدث

(ومن

(ومن قولنا في هذا المعنى)

لا غرو ان نال منك السقم ما سألا * قد يكسف البدر احيانا اذا كملا

ما تشتكي في علة الدهر واحدة * الا اشتكى الجود من وجد بها عللا

(الادب في الاعتناق) أبو بكر بن محمد قال حدثنا سعيد بن اسحق قال كنت جالسا عند مالك فاذا سفيان بن عيينة يستأذن بالباب فقال مالك رجل صالح صاحب سنة أدخلوه فدخل فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام فقال سلام خاص وعام عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله فقال مالك وعليك السلام يا أبا محمد ورحمة الله فصافحه مالك وقال يا أبا محمد لولا انها بدعة لعانقناك فقال سفيان قد عانق من هو خير منا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك جعفرا قال نعم فقال مالك ذاك حديث خاص يا أبا محمد ليس بعام فقال سفيان ما عم جعفرا يعمنا وما خصه يخصنا اذا كنا صالحين افتأذن لي ان أحدث في مجلسك قال نعم يا أبا محمد فقال حدثني عبد الله بن طاوس عن أبيه عن عبد الله ابن عباس انه لما قدم جعفر من أرض الحبشة اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين عينيه وقال جعفر أشبه الناس بي خلقا وخلقا

(باب الادب في اصلاح المعيشة)

قالوا من أشبع أرضه عملا أشبعته خبزا (وقالوا) يقول الثوب لصاحبه أكرمني داخلا أكرمك خارجا (وقالت) عائشة المغزل بيد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد في سبيل الله (وقال) عمر بن الخطاب لا تنهكوا وجه الارض فان شحمها في وجهها (وقال) فرقوا بين المنايا واجعلوا الرأس رأسين (وقالوا) املكوا العجين فانه أحد الريعين (وقال) أبو بكر لغلام له كان يتجر بالثياب اذا كان الثوب سابغا فانشره وأنت قائم واذا كان قصيرا فانشره وأنت جالس وانما البيع مكاس (وقال) عبد الملك بن مروان من كان في يده شيء فليصلحه فانه في زمان ان احتاج فيه فأول ما يبذل دينه

(باب الادب في المؤاكلة)

(قال) النبي صلى الله عليه وسلم اذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وليشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله (محمد بن سلام الجمحي) قال قال بلال بن أبي بردة وهو أمير على البصرة للجارود ابن أبي سبرة الهذلي أتحضر طعام هذا الشيخ يعني عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر قال نعم قال فصفه لي قال نأتيه فنجده منبطحا يعني نائما فنجلس حتى يستيقظ فيأذن فنساقطه الحديث فان حدثناه أحسن الاستماع وان حدثنا أحسن الحديث ثم يدعو بمائدته وقد تقدم الى جواريه وأمهات أولاده ان لا تلطف واحدة منهن اذا وضعت مائدته ثم يقبل خبازه فيمثل بين يديه قائما فيقول له ما عندك فيقول عندي كذا وكذا فيعدد ما عنده يريد بذلك أن يحبس كل رجل نفسه وشهوته على ما يريد من الطعام وتقبل الالوان من ههنا ومن ههنا فتوضع على المائدة ثم يؤتى بثريدة شهباء من الفلفل رقطاء من الحمص ذات حفافين من العراق فيأكل مفردا حتى اذا ظن ان القوم قد كادوا يمتلؤن جثى على ركبتيه ثم استأنف الاكل معهم قال ابن أبي بردة لله در عبد الاعلى ما أربط جأشه على وقع الاضراس (وحضر) اعرابي سفرة هشام بن عبد الملك فبيناه يأكل معه اذ تعلقت شعرة في لقمة الاعرابي فقال له هشام عندك شعرة في لقمتك يا اعرابي فقال وانك لتلاحظني ملاحظة من يرى الشعرة في لقمتي والله لا أكلت عندك أبدا ثم خرج وهو يقول

وللموت خير من زيارة باخل * يلاحظ أطراف الاكيل على عمد

(محمد بن زيد) قال أكل قائد لابي جعفر المنصور معه يوما وكان على المائدة محمد المهدي وصالح ابناه فبينا الرجل يأكل من ثريدة بين أيديهم اذ سقط بعض الطعام من فيه في الغضارة وكان المهدي

عزائمه قبل ان حلت تمائمه وشهدت مكر وماته قبل أن تدرج لداته وقال البحتري

لا تنظرن الى العباس من صغر في السن وانظر الى المجد الذي شادا

ان النجوم نجوم الافق أصغرها في العين اذهبها في الجو اصعادا

(وقال آخر)

رأيت العقل لم يكن انتهابا
ولم يقسم على قدر السنينا
فلو أن السنين تقسمته
حوى الآباء انصبة البنينا

(وقال الفضل بن جعفر الكاتب)

فان خلفته السن فالعقل بالغ
به رتبة الكهل المؤهل للمجد
فقد كان يحيى أوتي الحكم قبله
صبيا وعيسى كلم الناس في المهد

(وكان) أبو حية كثير الرواية عن الفرزدق وعمر حتى التقى بابن مناذر فاستنشده شعره فأنشده أبو حية

ألا حي من أجل الحبيب المغانيا
لبسن البلى مما لبسن اللياليا
اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة
تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا
حبتك الليالي بعدما كنت مرة
سوى العصا لوكن يبقين باقيا

فقال أبو مناذر أو شعر هذا فقال أبو حية ما في شعري عيب غير انك تسمعه وفي هذه القصيدة يقول أبو حية

ولما أبت الا التواء بودها
وتكديرها الشرب الذي كان صافيا
شربت برنق من هواها مكدر

وأخوه عافا الاكل معه فأخذ أبو جعفر الطعام الذى سقط من فم الرجل فأكله فالتفت اليه الرجل فقال يا أمير المؤمنين أما الدنيا فهى أقل وأيسر من أن أتركها لك لكن والله لاتركن فى مرضاتك الدنيا والآخرة (وحدث) ابراهيم بن السندى قال كان فتى من بنى هاشم يدخل على المنصور كثيرا فأتاه يوما فادناه ثم دعاه الى الغداء فقال قد تغديت فأمهله الربيع حاجب المنصور حتى ظن انه لم يفهم الخطيئة فلما انصرف وصار وراء الستر دفع فى قفاه فلما رأى من الحاجب دفعه فى قفاه شكا الفتى حالته وما ناله الى عمومته فأقبلوا من غد الى أبى جعفر وقالوا ان الربيع نال من هذا الفتى كذا وكذا فقال لهم أبو جعفر ان الربيع لا يقدم على مثل هذا الا وفى يده حجة فان شئتم أمسكنا عن ذلك وأغضينا وان شئتم سألته وأسمعتكم قالوا بل يسأله أمير المؤمنين ونسمع فدعاه فسأله فقال ان هذا الفتى كان يأتى فيسلم وينصرف من بعيد فلما كان أمس أدناه أمير المؤمنين حتى سلم من قرب وتبذل بين يديه ردعاه الى غدائه فبلغ من جهله بحق المرتبة التى أحله فيها ان قال قد تغديت واذا هو ليس عنده لمن اكل مع أمير المؤمنين وشاركه فى يده الا سد خلة الجوع ومثل هذا لا يقومه القول دون الفعل فسكت القوم وانصرفوا (وقال بكر بن عبد الله) أحق الناس بلطمة من أتى طعاما لم يدع اليه وأحق الناس بلطمتين من يقول له صاحب البيت اجلس ههنا فيقول لا الا ههنا وأحق الناس بثلاث لطمات من دعى الى طعام فقال لصاحب المنزل ادع ربة البيت تأكل معنا (وقال) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ لا ينبغى للفتى أن يكون مكحلا ولا مقببا ولا مكوكبا ولا شكامدا ولا خدامدا ولا تغامدا ثم فسره فقال أما المكحل فالذى يتعرق العظام حتى يدعه كأنه مكحلة عاج والمقبب فالذى يركب اللقم بين يديه حتى يجعله كأنه قبة والمكوكب الذى يبصق فى الطشت ويتنخم فيها حتى يصير بصاقه كأنه الكواكب فى الطشت والخدامد الذى يأتى فى وقت الغداء والعشاء فيقول ما تأكلون فيقولون من بغضه سما فيدخل يده ويقول فحرم العيش بعدكم والشكامد الذى يتبع اللقمة بأخرى قبل أن يسيغها فيختنق كأنه ديك قد ابتلع فأرة والتغامد الذى يضع الطعام بين يديه ويأكل من بين يدى غيره (ومن الادب) أن يبدأ صاحب الطعام بغسل يده قبل الطعام ثم يقول لجلسائه من شاء منكم فليغسل فاذا غسل بعد الطعام فليقدمهم ويتأخر ۞ (أدب الملوك) ۞ قال العلماء لا يؤمر ذو سلطان فى سلطانه ولا يجلس على تكرمته الا باذنه (وقال) زياد لا يسلم على قادم بين يدى أمير المؤمنين (ودخل) عبد الله بن عباس على معاوية وعنده زياد فرحب به معاوية ووسع له الى جنبه وأقبل عليه يسائله ويحادثه وزياد ساكت فقال له ابن عباس كيف حالك أبا المغيرة كأنك أردت أن تحدث بيننا وبينك هجرة فقال لا ولكنه لا يسلم على قادم بين يدى أمير المؤمنين قال ابن عباس ما أدركت الناس الا وهم يسلمون على اخوانهم بين يدى أمرائهم فقال له معاوية كف عنه يا ابن عباس فانك لا تشاء أن تغلب الاغلبت (الشيبانى) قال بصق ابن مروان فقصر فى بصقته فوقعت فى طرف البساط فقام رجل من المجلس فمسحه بكمه فقال عبد الملك بن مروان أربعة لا يستحى من خدمتهم الامام والعالم والوالد والضيف (وقال يحيى بن خالد) مساءلة الملوك عن حالها من تحية النوكى فاذا أردت أن تقول كيف أصبح الامير فقل صبح الله الامير بالنعمة والكرامة وان كان عليلا فأردت أن تسأله عن حاله فقل أنزل الله على الامير الشفاء والرحمة (وقالوا) اذا زادك الملك اكراما فزده اعظاما واذا جعلك عبدا فاجعله ربا ولا تدم عن النظر اليه ولا تكثر من الدعاء له فى كل كلمة ولا تتغير له اذا سخط ولا تغتر به اذا رضى ولا تلحف فى مسئلته (وقالوا) الملوك لا تسئل ولا تشمت ولا تكيف وقال الشاعر

ان الملوك لا يخاطبونا ✱ ولا اذا ملوا يعاتبونا ✱ وفى المقال لا ينازعونا
وفى العطاس لا يشمتونا ✱ وفى الخطاب لا يكيفونا ✱ يثنى عليهم ويبجلونا

✱ فافهم وصاتى لا تكن مجنونا ✱ (وقالوا) من تمام خدمة الملوك أن يقرب الخادم اليه نعليه ولا يدعه

وكيف يعاف الرىّ من كان صاديا
(وقد قال عمر بن قمئة فى معنى قول أبى حية)
كانت قناتى لا تلين لغامز
فألانها الاصباح والامساء
ودعوت ربى فى السلامة جاهدا
ليصحنى فاذا السلامة داء
(وقال النمر بن تولب)
يود الفتى طول السلامة والبقا
فكيف يرى طول السلامة يفعل
يود الفتى من بعد حسن وصحة
ينوء اذا رام القيام ويحمل
(وقد روى) فى الحديث الشريف كفى بالسلامة داء
وقد أحسن حميد بن ثور فى قوله
أرى بصرى قد رابنى بعد صحة
وحسبك داء أن تصح وتسلما
ولن يلبث العصران يوم وليلة
اذا طلبا أن يدركا ما تيمما
وهذان البيتان من قصيدة طويلة وهى أجود شعر حميد ومن أجود ما فيها
وما هاج هذا الشوق الا حمامة
دعت ساق حر ترحة وترنما
تروح عليه والهام تغتدى
مولهة تبغى له الدهر مطعما
تؤمل منه مؤنسا لانفرادها
وتبكى عليه ان زقا وترنما
كأن على اشراقه نور خمرة
اذا هو مد الجيد منه ليطعما
فلما اكتسى الريش السخام ولم يجد
لها معه فى ساحة الحى مجثما
تنحت قريبا فوق غصن تذأبت
به الريح صرفا أى وجه تيمما
فأهوى لها صقر [illegible]

يمشى اليهما و يجعل النعل اليمنى قبالة الرجل اليمنى واليسرى قبالة الرجل اليسرى واذا رأى متكأ يحتاج الى اصلاح أصلحه ولا ينتظر فيه أمره و يتفقد الدواة قبل أن يأمره و ينفض عنها الغبار اذا قربها اليه وان رأى بين يديه قرطاسا قد تباعد عنه قربه اليه ووضعه بين يديه على كسره (وقال) أصحاب معاوية لمعاوية انا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك فأنت تكره ان تستخف بنا فتأمرنا بالقيام ونحن نكره أن نثقل عليك بطول الجلوس فلو جعلت لنا علامة نعرف بها ذلك فقال علامة ذلك أن أقول اذا شئتم (وقيل) مثل ذلك ليزيد بن معاوية فقال اذا قلت على بركة الله (وقيل) مثل ذلك لعبد الملك بن مروان فقال اذا وضعت الخيزرانة * وما سمعت بألطف معنى ولا أكمل أدبا ولا أحسن مذهبا فى مساءلة الملوك من شبيب بن شبة وقوله لابى جعفر أصلحك الله انى أحب المعرفة وأجلك عن السؤال فقال له فلان بن فلان

﴿باب الكناية والتعريض﴾

ومن أحسن الكناية اللطيفة عن المعنى الذى يقبح ظاهره قيل لعمر بن عبد العزيز وقد نبت له حبن تحت انثييه أين نبت بك هذا الحبن قال بين الرانفة والصفن (وقال آخر) ونبت به حبن فى ابطه أين نبت بك هذا الحبن قال تحت منكبى (وقد) كنى الله تعالى فى كتابه عن الجماع بالملامسة وعن الحدث بالغائط فقال أو جاء أحد منكم من الغائط والغائط الغمص وجمعه غيطان وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام وانما كنى عن الحدث وقال تعالى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء فكنى عن البرص (ودخل) الربيع بن زياد على النعمان بن المنذر وبه وضح فقال ما هذا البياض بك فقال سيف الله جلاه (ودخل) حارثة بن بدر على زياد وفى وجهه أثر فقال له زياد ما هذا الاثر الذى فى وجهك قال ركبت فرسى الاشقر فجمح بى فقال أما انك لو ركبت الاشهب لما فعل ذلك فكنى حارثة بالاشقر عن النبيذ وكنى زياد بالاشهب عن اللبن (وقال) معاوية للاحنف بن قيس أخبرنى عن قول الشاعر

اذا ما مات ميت من تميم * فسرك أن يعيش فجئ بزاد
بخبز أو بتمر أو بسمن * أو الشئ الملفف فى البجاد
تراه يطوف فى الآفاق حرصا * ليأكل رأس لقمان بن عاد

ما هذا الشئ الملفف فى البجاد قال الاحنف السخينة يا أمير المؤمنين قال معاوية واحدة بأخرى والبادى أظلم والسخينة طعام كانت تعمله قريش من دقيق وهو الحريرة فكانت تسب به وفيه يقول حسان بن ثابت

زعمت سخينة ان ستغلب ربها * وليغلبن مغالب الغلاب

(وقال آخر) * تمشوا من حريرتهم فناموا * (ولما) عزل عثمان بن عفان عمرو بن العاص عن مصر وولاها ابن أبى سرح دخل عمرو على عثمان وعليه جبة محشوة فقال له عثمان ما حشو جبتك يا عمرو قال أنا قال قد علمت انك فيها ثم قال له يا عمرو أشعرت ان اللقاح درت بعدك ألبانها فقال لانكم أعجفتم أولادها فكنى عثمان عن خراج مصر باللقاح وكنى عمرو عن جور الوالى بعده وانه حرم الرزق أهل العطاء ووفره على السلطان (وكان) فى المدينة رجل يسمى جعدة يرجل شعره ويتعرض للنساء المغربات فكتب رجل من الانصار كان فى الغزو الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

الا أبلغ أبا حفص رسولا * فدى لك من أخى ثقة ازارى
قلائصنا هداك الله انا * شغلنا عنكم زمن الحصار
يعقلهن جعد شيظمى * وبئس معقل الذود الظؤار

فكنى بالقلائص عن النساء وعرض برجل يقال له جعدة فسأل عنه عمر فدل عليه فجز شعره ونفاه عن المدينة (وسمع عمر بن الخطاب) امرأة فى الطواف تقول

فمنهن من تسقى بعذب مبرد * نقاخ فتلكم عند ذلك قرت

لها ولدا الا رماما وأعظما
فأوفت على غصن ضحيا ولم تدع
له ثحة فى نوحها متأوما
عجبت لها أنى يكون غناؤها
فصيحا ولم تفغر بمنطقها فما
فلم أر مثلى شاقه صوت مثلها
ولا عربيا شاقه صوت أعجما
(ومن خبيث الهجاء) قوله فى هذه القصيدة يخاطب رجلين بعثهما
وقولا اذا جاوزتما أرض عامر
وجاوزتما الحيين نهدا وخثعما
نزيعان من جرم بن زبان انهم
أبوا أن يريقوا فى الهزاهز محجما
وما هجيت جرم بأشد من هذا
يريد أنهم لذلتهم لم يتروا أحدا فيطالبهم بذحل (وقال الاصمعى) لبعض الصالحين كيف حالك قال كيف حال من يفنى ببقائه ويسقم بسلامته ويؤتى من مأمنه (وقال محمود الوراق)
يحب الفتى طول البقاء كأنه
على ثقة ان البقاء بقاء
اذا ما طوى يوما طوى اليوم بعضه
ويطويه ان جن المساء مساء
زيادته فى الجسم نقص حياته
وانى على نقص الحياة نماء
جديدان لا يبقى الجميع عليهما
ولا لهما بعد الجميع بقاء
(وقال المتنبى)
زيادة شيب وهى نقص زيادتى
وقوة عشق وهى من قوتى ضعف
وبيت محمود الاخير كقول البحترى
أناة أيها الفلك المدار
أنهب ما تطرف أم جبار

ومنهن من تسقى بأخضر آجن * أجاج ولولا خشية الله فرت

ففهم شكواها فبعث الى زوجها وجده متغير الفم فخيره بين خمسمائة من الدراهم وطلاقها فاختار الدراهم فأعطاه وطلقها (ودخل) على زياد رجل من أشراف البصرة فقال أين مسكنك من البصرة قال في وسطها قال له كم لك من الولد قال تسعة فلما خرج من عنده قيل له انه ليس كذلك في كل ما سألته وليس له من الولد الا واحد وهو ساكن في طرف البصرة فلما عاد اليه سأله زياد عن ذلك فقال له ما كذبتك لى تسعة من الولد قدمت منهم ثمانية فهم لى وبقى معى واحد فلا أدرى ألى يكون أم على ومنزلى بين المدينة والجبانة فأنا بين الاحياء والاموات فنزلى في وسط البصرة قال صدقت ﴿الكناية يورى بها عن الكذب والكفر﴾ لما هزم الحجاج عبد الرحمن بن الاشعث وقتل أصحابه وأسر بعضهم كتب اليه عبد الملك بن مروان أن يعرض الاسرى على السيف فمن أقر منهم بالكفر خلى سبيله ومن أبى يقتله فأتى منهم بعامر الشعبي ومطرف بن عبد الله بن الشخير وسعيد بن جبير فأما الشعبي ومطرف فذهبا الى التعريض والكناية ولم يصرحا بالكفر فقبل كلامهما وعفا عنهما وأما سعيد بن جبير فأبى ذلك فقتل وكان مما عرض به الشعبي فقال أصلح الله الامير نبا المنزل واحزن بنا الجناب واستحلسنا الخوف واكتحلنا السهر وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء فقال صدق والله ما بروا بخروجهم علينا ولا قووا خلوا عنه ثم قدم اليه مطرف بن عبد الله فقال له الحجاج اتقر على نفسك بالكفر قال ان من شق العصا وسفك الدما ونكث البيعة وأخاف المسلمين لجدير بالكفر قال خلوا عنه ثم قدم اليه سعيد بن جبير فقال له أتقر على نفسك بالكفر قال ما كفرت بالله منذ آمنت به قال اضربوا عنقه (ولما ولى الواثق) وأقعد للناس أحمد بن أبى دواد للمحنة في القرآن ودعا اليه الفقهاء أتى فيهم بالحرث بن مسكين فقيل له اشهد أن القرآن مخلوق قال اشهد ان التوراة والانجيل والزبور والقرآن هذه الاربعة مخلوقة ومد أصابعه الاربع فعرض بها وكنى عن خلق القرآن وخلص مهجته من القتل (وعجز) أحمد بن نصر فقيه بغداد عن الكناية فأباها فقتل وصلب * ودخل بعض النساك على بعض الخلفاء فدعاه الى طعامه فقال الصائم لا يأكل يا أمير المؤمنين وما أزكى نفسى بل الله يزكى من يشاء وانما كره طعامه (الاصمعى) عن عيسى بن عمر قال بينما ابن عرباض يمشى مقدما بطنه اذا استقبلته الخوارج يحزون الناس بسيوفهم فقال لهم هل خرج اليكم في اليوم شئ قالوا لا قال فامضوا راشدين فمضوا وتركوه (ولقى) شيطان الطاق رجلا من الخوارج وبيده سيف فقال له الخارجى والله لاقتلنك أو تبرأ من على فقال أنا من على ومن عثمان برىء (أبو بكر بن أبى شيبة) قال قال الوليد على المنبر بالكوفة اقسم على من سمانى أشعر بركا الا قام فقام اليه رجل من أهل الكوفة فقال له ومن هذا الذى تقوم اليك فيقول أنا الذى سميتك أشعر بركا وكان هو الذى سماه ﴿الكناية عن الكذب في طريق المدح﴾ المدائنى قال أتى العريان بن الهيثم بغلام سكران فقال له من أنت فقال

أنا ابن الذى لا تنزل الارض قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود

ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيام عندها وقعود

فظنه ولدا لبعض الاشراف فأمر بتخليته فلما كشف عنه قيل له انه ابن باقلانى (ودخل) رجل على عيسى بن موسى وعنده ابن شبرمة فقال له اتعرف هذا الرجل وكان رمى عنده بريبة فقال ان له بيتا وقدما وشرفا فخلى سبيله فلما انصرف ابن شبرمة قال له أصحابه أكنت تعرف هذا الرجل قال لا ولكنى عرفت أن له بيتا يأوى اليه وقدما يمشى عليها وشرفه أذناه ومنكباه (وخطب) رجل لرجل الى قوم فسألوه ما حرفته فقال نخاس الدواب فزوجوه فلما كشف عنه وجدوه يبيع السنانير فلما عنفوه في ذلك قال أوما السنانير دواب ما كذبتكم في شئ (ودخل) معلى الطائى على ابن السرى يعوده في مرضه وأنشد شعرا يقول فيه

يشفى مثل ما تفنى وتبلى
كما تبلى فيدرك منك ثار
تناب النائبات اذا تناهت
ويدمرفى تصرفه الدمار
وما أهل المنازل غير ركب
مطاياهم رواح وابتكار
(ويقول فيها)
لنا في الدهر آمال طوال
نرجيها وأعمار قصار
أما وأبى بنى حارث بن كعب
لقد طرد الزمان بهم فساروا
أصاب الدهر دولة آل وهب
ونال الليل منهم والنهار
أعارهم رداء العز حتى
تقاضاهم فردوا ما استعاروا
وقد كانوا وأوجههم بدور
لمبصرها وأيديهم بحار
أخذ قوله ستفنى مثل ما تفنى
أبو القاسم بن هانئ فقال
تفنى النجوم الزهر طالعة
والنيران الشمس والقمر
ولئن تبدت في مطالعها
منظومة فلسوف تنتثر
ولئن سعى الفلك المدار بها
فلسوف يسلمها وينفطر
وقد استقصى على بن العباس
الرومى المعنى الاول فقال
والدهر يبلى الفتى من حيث ينشئه
حتى تكر عليه ليلة القرب
يغذوه في كل آن وهو يأكله
ويحتسى دمه منه على تعب
يودى بحال فحال من شبيبته
تشرب المال في مستأنف الكتب
حسب امرئ من حتى دهر تطاوله
وان أجم فلم ينكب ولم ينب
في هدنة الدهر كاف من وقائعه
والعمر أقدح مبرات من الوصب

فأقسم ان منّ الاله بصحة * ونال السرى ابن السرى شفاء
لارتحلن العيس شهرا بحجة * ويعتق شكرا سالم وحفاء

فلما خرج من عنده قال له أصحابه والله مانعلم عبدك سالما ولا عبدك حفاء فن أردت أن تعتق قال هما هرتان عندى والحج فريضة واجبة فاعلى فى قولى شئ ان شاء تعالى

(باب فى الكناية والتعريض فى طريق الدعابة)

سئل ابن سيرين عن رجل فقال توفى البارحة فلما رأى جزع السائل قال الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها وانما أردت بالوفاة النوم (ومرض) زياد فدخل عليه شريح القاضى يعوده فلما خرج بعث اليه مسروق بن الاجدع يسأله كيف تركت الامير قال تركته يامر وينهى فقال مسروق ان شريحا صاحب تعريض فاسألوه فسألوه قال تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء (وكان) سنان بن مكمل النميرى يساير عمر بن هبيرة الفزارى يوما على بغلة فقال له ابن هبيرة غض من عنان بغلتك فقال انها مكتوبة أصلح الله الامير اراد ابن هبيرة قول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

(واراد سنان قول الشاعر)

لاتأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها بأسيار

(ومر) رجل من بنى نمير برجل من بنى تميم على يده بازى فقال التميمى للنميرى هذا البازى قال له النميرى نعم وهو يصيد القطا اراد التميمى قول جرير

أنا البازى المطل على نمير * اتيح لها من الجو انصبابا

(واراد النميرى قول الطرماح)

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

(ودخل) رجل من محارب على عبد الله بن يزيد الهلالى وهو والى ارمينية وقريب منه غدير فيه ضفادع فقال عبد الله بن يزيد ماتركتنا شيوخ محارب ننام الليلة فقال له المحاربى أصلح الله الامير أوتدرى لم ذلك قال ولم قال لانها أضلت برقعا لها قال قبحك الله وقبح ماجئت به اراد ابن يزيد الهلالى قول الاخطل

تنق بلاشئ شيوخ محارب * وماخلتها كانت تريش ولا تبرى
ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

(واراد المحاربى قول الشاعر)

لكل هلالى من اللؤم برقع * ولابن هلال برقع وقميص

(وقال) معاوية لعبد الرحمن بن الحكم استعرض لى هذين الفرسين فقال أحدهما أجش والآخر هزيم يعنى قول النجاشى

ونجى ابن هند سابح ذو غلالة * أجش هزيم والرماح دوانى

فقال معاوية أما ان صاحبها على مافيه يشبب بكنانة وكان عبد الرحمن يرمى بكنانة (وشاور) زياد رجلا من ثقاته فى امرأة يتزوجها فقال لاخبرلك فيها انى رأيت رجلا يقبلها فتركه وخالفه اليها وتزوجها فلما بلغ زيادا خبره ارسل اليه وقال له ماقلت لى انك رأيت رجلا يقبلها قال نعم رأيت اباها يقبلها (وقال) اعرابى لعمر بن الخطاب ياأمير المؤمنين احملنى وسحيما على جمل فقال نشدتك يااعرابى اسحيم هذا زق قال نعم ثم قال من لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه (وودع) رجل رجلا كان يبغضه فقال امض فى ستر من حفظ الله وحجاب من كلاءته ففطن له فقال رفع الله مكانك وشد ظهرك وجعلك منظورا اليك (الشيبانى) قال كان ابن أبى عتيق صاحب هزل ولهو واسمه عبد الله بن محمد بن أبى بكر

(وقال أيضا)

يا بابى الحصن أرساه وشيده * حوزا للشلو من الاعداء مشحون
انظر الى الدهر هل فاتته بغيته * فى مطمح النسر أو فى مسبح النون
ومن تحصن منخوبا على وجل * فانما حصنه سجن لمسجون
أشكو الى الله جهلا قد أضر بنا * بل ليس جهلا ولكن عالم مفتون

(وقال الطائى)

وان تبن حيطان عليه فانما * أولئك عقالاته لامعاقله

(ودخل) يحيى بن خالد على الرشيد وقد ابتدأت حاله فى التغير فأخبر انه مشغول فرجع فبعث اليه الرشيد خنتنى فاتهمتنى وقال اذا انقضت المدة كان الحتف فى الحيلة والله ماانصرفت الا تخفيفا * أخذه ابن الرومى فقال وقد فصده بعض الاطباء فزعم ان الفصد زاد فى علته

غلط الطبيب على غلطة مورد * عجزت محالته عن الاصدار
والناس يلحون الطبيب وانما * غلط الطبيب اصابة المقدار

(وقال أبو حية النميرى)

سقتنى بكأس الحب صرفا مروقا * رقاق الثنايا عذبة المترنق
وخمصانة تفتر عن متنشق * كنور الاقاحى طيب المتروق
اذا امتضغت بعد امتناع من الضحى * انابيب من عود الاراك المخلق
سقت شعب المسواك ماء غمامة * فضيضا بخرطوم الرحيق المروق

(وانشد الثورى)

وكانت لها امرأة من أشراف قريش وكان لها فتيات يغنين فى الاعراس والمآتم وأمرت جارية منهن أن تغني بشعر لها قالته فى زوجها فتغنت الجارية وهو يسمع

ذهب الاله بما تعيش به * وقمرت لبك أيما قمر
أنفقت مالك غير محتشم * فى كل زانية وفى الخمر

فقال للجارية لمن هذا الشعر قالت لمولاتي فأخذ قرطاسا فكتبه وخرج به فاذا هو بعبد الله بن عمر بن الخطاب فقال يا أبا عبد الرحمن قف قليلا أكلمك فوقف عبد الله بن عمر قال ما ترى فيمن هجاني بهذا الشعر وأنشد البيتين قال أرى أن تعفو وتصفح قال أما والله لئن لقيته لا نيكنه فأخذ ابن عمر ينكله ويزجره وقال قبحك الله ثم لقيه بعد ذلك بأيام فلما أبصره ابن عمر أعرض عنه بوجهه فاستقبله ابن أبي عتيق فقال له سألتك بالقبر ومن فيه الا سمعت مني حرفين فولاه قفاه وأنصت له قال علمت أبا عبد الرحمن اني لقيت قائل ذلك الشعر ونكته فصعق عبد الله ولبط به فلما رأى ما نزل به دنا من اذنه وقال أصلحك الله انها امرأتي فقام ابن عمر وقبل ما بين عينيه

﴿باب فى الصمت﴾

كان لقمان الحكيم يجلس الى داود صلى الله عليه وسلم وكان عبدا أسود فوجده وهو يعمل درعا من حديد فعجب منه ولم ير درعا قبل ذلك فلم يسأله لقمان عما يعمل ولم يخبره داود حتى تمت الدرع بعد سنة فقاسها داود على نفسه وقال زردطا باليوم فرايا تفسيره درع حصينة ليوم قتال فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله (وقال) أبو عبيد الله كاتب المهدى كن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام ان البلاء موكل بالمنطق (وقال) أبو الدرداء انصف أذنيك من فيك فانما جعل لك أذنان اثنان وفم واحد لتسمع أكثر مما تقول (ابن عوف) عن الحسن قال جلسوا عند معاوية فتكلموا وسكت الاحنف فقال معاوية مالك لا تتكلم أبا بحر قال أخافك ان صدقت وأخاف الله ان كذبت (وقال) المهلب بن أبي صفرة لان أرى لعقل الرجل فضلا على لسانه أحب الى من ان أرى للسانه فضلا على عقله (وقال سالم بن عبد الملك) فضل العقل على اللسان مروأة وفضل اللسان على العقل هجنة (وقالوا) من ضاق صدره اتسع لسانه ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن ساء خلقه قل صديقه (وقال هرم بن حيان) صاحب الكلام بين منزلتين ان قصر فيه خصم وان أعرق فيه اثم (وقال شبيب ابن شبة) من سمع الكلمة يكرهها فسكت عنها انقطع ضرها عنه (وقال أكثم بن صيفي) مقتل الرجل بين فكيه (وقال جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب رضى الله عنهم)

يموت الفتى من عثرة بلسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمى برأسه * وعثرته بالرجل تبرا على مهل

وقال الشاعر

الحلم زين والسكوت سلامة * فاذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما ان ندمت على سكوتى مرة * الا ندمت على الكلام مرارا

(وقال الحسن بن هانئ)

خل جنبيك لرام * وامض عنه بسلام * مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام
رب لفظ ساق آجا * ل فئام وفئام * انما السالم من ألجـ * ـم فاه بلجام

(وقال بعض الحكماء) حظى من الصمت لى ونفعه مقصور على وحظى من الكلام لغيرى ووباله راجع على (وقالوا) اذا أعجبك الكلام فاصمت (وقال رجل) لعمر بن عبد العزيز متى أتكلم قال اذا اشتهيت ان تصمت قال فمتى أصمت قال اذا اشتهيت أن تتكلم (وقال النبى صلى الله عليه وسلم) ما أعطى العبد شرا من طلاقة اللسان (وسمع) عبد الله بن الاهتم رجلا يتكلم فيخطئ فقال بكلامك رزق الصمت المحبة

﴿باب فى المنطق﴾

ترى الدر منثورا اذا ما تكلمت
وكالدر منظوما اذا لم تكلم
تعبد أحرار القلوب بدلها
وتملأ عين الناظر المتوسم
والبيت الاول من هذين كقول البحترى
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها
ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
وقد تقدم (قال أبو الفرج الرياشى) سمعت الاصمعى يقول أحسن ما قيل فى وصف الثغر قول ذى الرمة
وتجلو بفرع من أراك كأنه
من العنبر الهندى والمسك يصبح
ذرى أقحوان واجه الليل وارتقى
اليه الندى من رامة المتروح
هجان الثنايا مغرب لو تبسمت
لأخرس عنه كاد بالقول يفصح
(ومن قديم هذا المعنى وجيده) قول النابغة الذبيانى فى صفة المتجردة امرأة النعمان بن المنذر
تجلو بقادمتى حمامة أيكة
بردا أسف لثاته بالاثمد
كالاقحوان غداة غب سمائه
جفت أعاليه وأسفله ندى
زعم الهمام بأن فاها بارد
عذب مقبله شهى المورد
زعم الهمام ولم أذقه أنه
يشفى بريا ريقها العطش الصدى
ومن قوله ولم أذقه أخذ كل من أتى بهذا المعنى فتقه الناس بعده (قال المتوكل الليثى)
كأن مدامة صهباء صرفا
تصفق بين راووق ودن
تعل بها الثنايا من سليمى
فراسة مقلتى وصحيح ظنى

قال الذين فضلوا المنطق انما بعثت الانبياء بالكلام ولم يبعثوا بالسكوت وبالكلام وصف فضل الصمت ولم يوصف القول بالصمت وبالكلام يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر والبيان من الكلام هو الذى من الله به على عباده فقال خلق الانسان علمه البيان والعلم كله لا يؤديه الى أوعية القلوب الا اللسان فنفع المنطق عام لقائله وسامعه ونفع الصمت خاص لفاعله (قال) واعدل شئ قيل فى الصمت والمنطق قولهم الكلام فى الخير كله أفضل من الصمت والصمت فى الشر كله أفضل من الكلام (وقال عبد الله بن المبارك) صاحب الرقائق يرثى مالك بن أنس المدنى

صموت اذا ما الصمت زين أهله * وفتاق أبكار الكلام المختم

وعى ما وعى القرآن من كل حكمة * ونيطت له الآداب باللحم والدم

وقال عمر بن الخطاب ترك الحركة غفلة وقال بكر بن عبد الله المزنى الصمت خرسة وقالوا الصمت نوم والكلام يقظة (وقالوا) ما شئ ثنى الا قصر الا الكلام فانه كلما ثنى طال

{باب فى الفصاحة}

(محمد بن سيرين) قال ما رايت على امرأة اجمل من شحم ولا رأيت على رجل أجمل من فصاحة (وقال الله تبارك وتعالى) فيما حكاه عن نبيه موسى صلى الله عليه وسلم واستيحاشه لعدم الفصاحة وأخى هرون هو افصح منى لسانا فأرسله معى ردأ يصدقنى (وقال معاوية) يوما لجلسائه أى الناس أفصح فقال رجل من السماط يا أمير المؤمنين قوم قد ارتفعوا عن رتة العراق وتياسروا عن كشكشة بكر وتيامنوا عن فشفشة تغلب ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير قال من هم قال قومك يا أمير المؤمنين قريش قال صدقت فمن أنت قال من جرم قال الاصمعى جرم فصحاء الناس وهذا الحديث قد وقع فى فضائل قريش وهذا كان موضعه فذكرناه (قال أبو العباس) محمد بن يزيد النحوى التمتمة فى المنطق التردد فى التاء والفأفأة التردد فى الفاء والعقلة هى التواء اللسان عند ارادة الكلام والحبسة تعذر الكلام عند ارادته واللفف ادخال حرف فى حرف والطمطمة أن يكون الكلام مشبها الكلام العجم واللكنة أن تعترض على الكلام اللغة الاعجمية وسنفسر هذا حرفا حرفا وما قيل فيه ان شاء الله واللثغة أن يعدل بحرف الى حرف والغنة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم والخنة أشد منها والترخيم حذف الكلام يقال رجل فأفاء تقديره فاعال ونظيره من الكلام ساباط وخاتام قال الراجز

يامى ذات الجورب المنشق * أخذت خاتامى بغير حق

وقال آخر ليس بفأفاء ولا تمتام * ولا كثير هجر الكلام

وأما الرتة فانها تكون غريزية (وقال الراجز) * يا أيها المخلط الارت * ويقال انها تكثر فى الاشراف وأما الغمغمة فانها قد تكون من الكلام وغيره لانها صورة لا يفهم تقطيع حروفها وأما كشكشة تميم فان بنى عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا لقرب الشين من الكاف فى المخرج (وقال راجزهم)

هل لك أن تنتفعى وانفعش * وتدخلى الذى معى فى الذى معش

وأما كشكشة بكر فقوم منهم يبدلون من الكاف شينا كما فعل التميميون فى الشين وأما طمطمانية حمير (ففيها يقول عنترة)

تأوى له حزق النعام كأنها * حزق يمانية لاعجم طمطم

(وكان صهيب) أبو يحيى رحمه الله يرتضخ لكنة رومية (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيب سابق الروم (وكان) عبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية من قبل زوج أمه شيرويه الاسوارى (وكان زياد الاعجم) وهو رجل من عبد القيس يرتضخ لكنة عجمية (وأنشد المهلب فى مدحه اياه)

فتى زاده السلطان فى الحمد رغبة * اذا غير السلطان كل خليل

(وقال بشار)

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك

قد زرتنا مرة فى الدهر واحدة * ثنى ولا تجعليها بيضة الديك

يا رحمة الله حلى فى منازلنا * حسبى برائحة الفردوس من فيك

وقيل لبشار يا أبا معاذ كم بين قولك وانشد هذه الابيات وبين أن تقول

انما عظم سليمى خلتى * قصب السكر لا عظم الجمل

واذا أقرب منها بصل * غلب المسك على ريح البصل

فقال انما الشاعر المطبوع كالبحر مرة يقذف صدفة ومرة يقذف جيفة * وقد تناول هذا المعنى أبو الحسن على بن العباس الرومى من أقرب متناول فقال وكشفه باوضح عبارة فى صفته لجارية أبى الفضل عبد الملك ابن صالح السوداء وكان قد اقترح عليه وصفها بعد ان استوفى جميع صفاتها وصفت فيها الذى هويت على الـ

وهم ولم تختبر ولم تذق * الا بما حبارك التى رفعت

منك البناء عن ظبية البرق * حاشا السوداء منظر سكنت

ذراك الاعين مخبر يقق

وهذه الابيات من قصيدة له وصف فيها السواد واحتج بتفضيله على البياض حتى أغلق فيه الباب بعده ومنع ان يقصده فيه أحد يقصده الا كان مقصر السهم عن غرض الاحسان وقد نبه على بن عبد الله بن العباس المسيب على فضائلها

يريد السلطان وذلك ان بين التاء والطاء نسبا لان التاء من مخرج الطاء وأما اللثغة فتستحسن من
الجارية الحديثة السن (قال ابن الرقاع)

تزجي أغن كان ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

(وقال ابن المقفع) اذا كثر تقلب اللسان رقت حواشيه ولانت عذبته (وقال العتابي) اذا كثر
اللسان من الاستعمال اشتدت عليه مخارج الحروف (وقال الراجز)

كان فيه لففا اذا نطق * من طول تحبيس وهم وأرق

﴿باب في الاعراب واللحن﴾

(أبو عبيدة) قال مر الشعبي بقوم من الموالي يتذاكرون النحو فقال لهم لئن أصلحتموه انكم لاول من
أفسده (قال أبو عبيدة) لينه سمع لحن صفوان وخالد بن صفوان وخاقان والفتح بن خاقان والوليد بن
عبد الملك (وقال عبد الملك بن مروان) اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب والجدري في
الوجه (وقيل) له لقد عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين قال شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن (وقال
الحجاج) لابن يعمر أتسمعني ألحن قال لا ربما سبقك لسانك ببعضه في آن وآن قال فاذا كان ذلك فعرفني
(وقال المأمون) لابي علي المعروف بابي يعلى المنقري بلغني أنك أمي وانك لا تقيم الشعر وانك تلحن في
كلامك فقال يا أمير المؤمنين أما اللحن فربما سبقني لساني بالشيء منه وأما الامية وكسر الشعر فقد
كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا وكان لا ينشد الشعر قال المأمون سألتك عن ثلاث عيوب فيك
فزدتني عيبا رابعا وهو الجهل يا جاهل ان ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة وفيك وفي أمثالك
نقيصة وانما منع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لنفي الظنة عنه لا لعيب في الشعر والكتاب وقد قال
تبارك وتعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (وقال عبد
الملك بن مروان) الاعراب جمال للوضيع واللحن هجنة على الشريف (وقال) تعلموا النحو كما تتعلمون
السنن والفرائض (وقال رجل) للحسن ان لنا اماما يلحن قال أميطوه (وقال الشاعر)

النحو يبسط من لسان الالكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
فاذا طلبت من العلوم أجلها * فأجلها منها مقيم الالسن

(وقال آخر) الشعر صعب وطويل سلمه * اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه * يريد أن يعربه فيعجمه

(وقال رجل للحسن) يا أبو سعيد فقال أحسب ان الدوانيق شغلتك عن أن تقول يا أبا سعيد (وكان عمر
ابن عبد العزيز) جالسا عند الوليد بن عبد الملك وكان الوليد لحانا فقال يا غلام ادع لي صالح فقال الغلام
يا صالحا قال له الوليد انقص ألفا فقال عمر وانت يا أمير المؤمنين فزد ألفا (ودخل) على الوليد بن عبد
الملك رجل من أشراف قريش فقال له الوليد من ختنك قال له فلان اليهودي فقال ما تقول ويحك
قال لعلك انما تسأل عن ختني يا أمير المؤمنين هو فلان بن فلان (وقال عبد الملك بن مروان) أضر بنا في
الوليد حبنا له فلم نلزمه البادية (وقد) يستثقل الاعراب في بعض المواضع كما يستخف اللحن في بعضها
(وقال) مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري منطق بارع ولحن وخير الحديث ما كان لحنا وذلك انه
من حكى نادرة مضحكة وأراد أن يوفي حروفها حظها من الاعراب طمس حسنها وأخرجها عن مقدارها
ألا ترى ان من أكل طعاما فكظه وقيل له ألا تقيء قال وما أقي خبز نقي ولحم جدي مرقي امرأتي طالق
لو وجدت هذا قيأ لا كلته قال وكذلك يستقبح الاعراب في غير موضعه كما استقبح من عيسى بن عمر اذا
قال وابن هبيرة يضربه بالسياط والله ان كانت الا أثيابا في أسفاط قبضها عشاروك (وحكى) عن بعض
المغربين للحن ان جارية غنت به

اذا ما سمعت اللوم فيها رفضته * فيدخل من أذني ويخرج من أخرى

وأجاد التشبيه وكشف عن وجوه
الابداع وضروب الاختراع
وقد مدح الناس السواد
والسودان فأكثروا (فمن جيد
ما قالوا فيه) قول أبي حفص
الشطرنجي

أشبهك المسك وأشبهته
قائمة في لونه قاعدة
لا شك اذ لونكما واحد
انكما من طينة واحدة

فأخذ ابن الرومي هذا المعنى
وأضاف اليه أشياء أخر توسعا
واقتدارا فقال

يذكرك المسك والغوالي والـ
ـسك ذوات النسيم والعبق

وهذه الاشياء وان كانت ناقصة
عن المسك فهي ممدوحة
بالطيب غير مستغنى عن ذكرها
في التشبيه وأماز بادئه على
جميع من تعاطى مدح السود
فقوله

سوداء لم تنتسب الى برص الشـ
ـشقر ولا كلفة ولا بهق

والابيض الشديد البياض
معيب وقد دل عليه قوله

وبعض ما فضل السواد به
والحق ذو سلم وذو نفق
ان لا يعيب السواد حالكه
وقد يعاب البياض بالبهق

قوله الحق ذو سلم وذو نفق أراد
أن الحق يتصرف في جهات
وضروب الصعود والنزول لذلك
مثلا ثم قصد لوصف هذه السوداء
بالكمال في الصفة ومن عيب
السودان أن أكفهم عابسة
متشققة وأطرافهم ليست ناعمة
لينة وكذلك لا يزال الفلح في
شفاههم وهي الشقوق المذمومة
الموجودة في أكثر السودان في

فقال لها من أنوى يا فاعلة أما علمت ان من تخفض (وقال رجل) لشريح ما تقول فى رجل توفى وترك اباه واخيه فقال له أباه وأخاه فقال كم لاباه وأخاه فقال لابيه وأخيه قال أنت علمتنى فما أصنع (وقال بعض الشعراء) وادرك عليه رجل ممن استفصح يقال له حفص لحنا فى شعره وكان حفص به اختلاف فى عينيه وتشويه فى وجهه فقال فيه

لقد كان فى عينيك ياحفص شاغل * وأنف كمثل العود عما تتبع
تتبع لحنا من كلام مرقش * وخلقك مبنى من اللحن أجمع
فعيناك اقواء وانفك مكفأ * ووجهك ايطاء فانك مرتع

﴿باب فى اللحن والتصحيف﴾

(وكان أبو حنيفة) لحانا على انه كان فى الفتيا ولطف النظر واحد زمانه (وسأله) رجل يوما فقال له ما تقول فى رجل تناول صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله أتقيده به قال لا ولو ضربه بأبا قبيس (وكان بشر المريسى) يقول لجلسائه قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه واهنؤها فسمع قاسم التمار قوما يضحكون فقال هذا كما قال الشاعر

ان سليمى والله يكلؤها * ضنت بشئ ما كان يرزؤها

وبشر المريسى رأس فى الرأى وقاسم التمار متقدم فى أصحاب الكلام واحتجاجه لبشر أعجب من لحن بشر (ودخل شبيب بن شبة) على اسحق بن عيسى يعزيه عن طفل أصيب به فقال فى بعض كلامه أصلح الله الامير ان الطفل لا يزال محبنظئا على باب الجنة يقول لا أدخل حتى يدخل أبواى قال اسحق ابن عيسى سبحان الله ماذا جئت به انما هو محبنطئ أما سمعت قول الراجز

انى اذا أنشدت لا أحبنطى * ولا أحب كثرة التمطى

قال شبيب الى يقال مثل هذا وما بين لابتيها أعلم منى بها فقال له اسحق وهذه أيضا للبصرة لابتان يا لكع فابان بتقريعه عواره فأخجله فسكت (قوله) المحبنطئ الممتنع فى ظلال وهو بالطاء غير معجمة ورواه شبيب بالظاء المعجمة وقوله ما بين لابتيها خطأ اذ ليس للبصرة لابتان وانما اللابة للمدينة والكوفة واللابة الحرة وهى الارض ذات الحجارة السود ﴿نوادر الكلام﴾ يقال ماء نقاخ للماء العذب وماء فرات وهو أعذب العذب وماء نقاع وهو شديد الملوحة وماء خواق وهو الذى يخرق من ملوحته وماء شروب وهو دون العذب قليلا وماء مسوس وهو دون الشروب وماء شريب وهو دون العذب (اجتمع) المفضل الضبى وعبد الملك بن قريب الاصمعى فأنشد المفضل

* بصمت بالماء تولبا جدعا * فقال له الاصمعى تولبا جذعا والجدع السيئ الغذاء فصاح المفضل وأكثر فقال له الاصمعى لو نفخت فى الشبور ما نفعك تكلم بكلام النمل وأصب (وقال) مروان بن أبى حفصة فى قوم من رواة الشعر لا يعلمون ما هو على كثرة استكثارهم من روايته

زوامل للاشعار لا علم عندهم * بجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا * باوساقه أو راح ما فى الغرائر

﴿باب نوادر من النحو﴾

(قال) الخليل بن أحمد أنشدنى اعرابى

وان كلابا هذه عشر ابطن * وأنت برىء من قبائلها العشر

قال فجعلت أعجب من قوله عشر ابطن فلما رأى عجبى قال أليس هكذا قول الآخر

وكان مجنى دون من كنت أتقى * ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

(وقال) أبو زيد قلت للخليل لم قالوا فى تصغير واصل أويصل ولم يقولوا وويصل قال كرهوا أن يشبه كلامهم بنبيح الكلاب (وقال) أبو الاسود الدؤلى من العرب من يقول لولاى لكان كذا وكذا وقال

أوساط الشفاه وأيضا فان الاسود مهمه يخبث العرق فنفى هذه الصفات المذمومة الموجودة فى أكثر السودان عنها فقال

ليست من العبس الاكف ولا الا ـفلح الشفاه الخباث العرق

ثم عاج بخاطره على وصف هذه السوداء باضداد تلك الصفات المذمومة فقال

فى لين سمورة تخيرها الـ ـفراء أولين جيد الدلق

(ومن بديع مدح السوداء قوله)

أكسبها الحب انها صبغت صبغة حب القلوب والحدق
فانصرفت نحوها الضمائر والا بصار يعشقن أيما عشق

فأخبر أن القلوب انما أحبتها بالمجانسة التى بينها وبين حب القلوب من السواد وكذلك الحدق * ومن جيد تشبيهات أبى نواس وقد نبه نديما للصبوح فأخبر عن حاله وقال

فقام والليل يجلوه الصباح كما جلا التبسم عن غر الثنيات

ولعلى بن العباس عليه التقدم بقوله

يفتر ذاك السواد عن يقق من ثغرها كاللآلئ النسق
كأنها والمزاح يضحكها ليل تعرى دجاه عن فلق

وفضل هذا الكلام على ذلك ان هذا قدم لمعناه فى التشبيه مقدمة أيدته ووطأت له الآذان وأصغت الافهام الى الاستحسان وهى قوله

يفتر ذاك السواد عن يقق

وفى هذه السوداء يقول وقد سأله أبو الفضل الهاشمى أن

الشاعر وكم موطن لولاى طحت كما هوى * بأجرامه من قنة النيق منهوى

وكذلك لولا أنتم ولولا كم ابتداء وخبره محذوف (وقال) أبو زيد وراء وقدام لا يصرفان لانهما مؤنثان وتصغير قدام قديدمة وتصغير وراء وريئة وقدام خمسة أحرف لان الدال مشددة فاسقطوا الالف لانها زائدة واثلا يصغر اسم على خمسة أحرف (أبو حاتم) قال يقال أم بينة الامومة وعم بين العمومة ويقال مأموم اذا شج مأمومة ورجل مموم اذا أصابه الموم (وقال) المازنى يقال فى حسب الرجل أصاة ووصمة وابنة وكذلك يقال للعصا اذا كان فيها عيب ويقال قذيت عينه اذا أصابها الرمد وقد يقال فى التقديم والتأخير مثل قول الشاعر

شر يوميها واغواه لها * ركبت هند بحدج جملا

يريد ركبت هند بحدج جملا فى شر يوميها وشر يوميها انتصب لانه ظرف وقد يسمى الشئ باسم الشئ اذا جاوره (وقال الفرزدق) أخذنا بآفاق السماء عليكم * لنا قمراها والنجوم الطوالع

قوله لنا قمراها يريد الشمس والقمر وكذلك قول الناس فى العمرين أبى بكر وعمر (الرياشى) يقال أخذ قصتها وكعبيها اذا أخذ عذرتها (قال) أبو عبيدة المعيون الذى له منظر لا مخبر والمعين الذى قد أصيب بالعين والمعين الماء الظاهر (أبو عبيدة) قال سمعت رؤبة يقول أناريق يريد على الريق (الاصمعى) قال اتى أبو عمرو بن العلاء عيسى بن عمر فقال له كيف رجلك قال ما تزداد الا مثالة قال فما هذه العيورا التى تركض يريد ما هذه الحيرا التى تركب يقال معيوراء ومشيوخاء ومعبوداء (قال) الاصمعى انما يقال اقرأ عليه السلام وأنشد

اقرأ على عصر الشباب تحية * واذا لقيت ددا فقطى من دد

(وقال الفرزدق) وما سبق القيسى من ضعف عقله * ولكن طفت علماء قلفة خالد

وهذا آخر كتاب سيبويه (وقال بعض الوراقين)

رأيت بأجياد فى الصيد * أرانبا تؤخذ بالايدى * ان ذوى الضوء لهم أنفس

معروفة بالمكر والكيد * يضرب عبد الله زيدا وما * يريد عبد الله من زيد

(وأنشد أبو زيد الانصارى)

يا قرط قرط طى لا أبا لكم * يا قرط انى عليكم خائف حذر * قلتم لى اهج تميما لا أبا لكم

فى فم قائل هذا الترب والحجر * فان بيت تميم ذو سمعت به * بيت به راست فى عزها مضر

ذو ههنا فى مكان الذى لا يتغير عن حاله فى جميع الاعراب وهذه لغة طئ تجعل ذو فى مكان الذى (وقال الحسن بن هانئ) حب المدامة ذو سمعت به * لم يبق فى لغيرها فضلا

وبعض العرب يقول لا أباك فى مكان لا أبا لك مضافا ولذلك ثبتت الالف ولو كانت غير معربة لقالت لا أب لك بغير ألف وليس فى الاضافة شئ يشبه هذا لانه حال بين المضاف والمضاف اليه وقال الشاعر

أبا الموت الذى لا بد أنى * ملاق لا أباك تخوفينى

(وقال آخر) وقد مات شماخ ومات مزرد * وأى كريم لا أباك مخلد

(وأنشد الفراء لابن مالك العقيلى)

اذا أنا لم أومن عليك ولم يكن * لقاؤك الا من وراء وراء

هذا مثل قولهم بين بين (وقال محمود الوراق) مزج الصدود وصاله * فكان أمر بين بين

(وقال الفرزدق) واذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم * خضع الرقاب نواكس الابصار

(قال) أبو العباس محمد بن يزيد النحوى فى هذا البيت شئ مستطرف عند أهل النحو وذلك انه جمع فاعل على فواعل واذا كان هكذا لم يكن بين المذكر والمؤنث فرق لانك تقول ضاربة وضوارب ولا يقال فى المذكر فواعل الا فى موضعين وذلك قولهم فوارس وهوالك ولكنه اضطر فى الشعر فأخرجه عن الاصل

ولولا

يستغرق صفات محاسنها الظاهرة والباطنة فقال

لها حريستة يرو قدته * من قلب صب وصدر ذى حنق

كأنما حوه نذابره * ما الهيت فى حشاه من حرق

يزداد ضيقا على المراس كما * تزداد ضيقا أنشوطة الوهق

ثم فكر فيما فكر فيه النابغة وقد أمره النعمان بوصف المتجردة فوصف ما يجوز ذكره من ظاهر محاسنها ثم كره أن يذكر من فضائلها ما لا يسوغ بمثله أن يذكره منها فرد الاخبار عن تلك الفضائل الى صاحبها وهو الملك فقال

زعم الهمام بأن فاها بارد * عذب اذا قبلته قلت ازدد

فاحتذى على بن العباس هذا فقال بعد ما سأله أن يستغرق وصف فضائلها الظاهرة والباطنة

خذها أبا الفضل كسوة لك من * خز الاماديح لا من الخرق

وصفت فيها التى هويت على الـ * ـوهم ولم تختبر ولم تذق

الا بأخبارك التى وقعت * منك اليها عن طيبة العبق

حاشا السوداء منظر سكنت * ذراك الا عن مخبر يفق

وهذا المعنى أومأ اليه النابغة ايماء خفيا تذهب معرفته عن أكثر الناس ولو آثر النابغة ترك الاختصار وهم بكشف المعنى وايضاحه ما زاد على هذا الكشف الذى كشفه ابن الرومى وأصحاب المعانى ينشدون للفرزدق

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح * عليه ولم أبعث عليه البواكيا

ولولا الضرورة ما جازله (وقال) أبو غسان تلميذ أبي عبيد

تفكرت في النحو حتى مللت * وأتعبت نفسي له والبدن * وأتعبت بكرا وأصحابه
بطول المسائل في كل فن * سوى ان بابا عليه العفا * ء للفاء ياليته لم يكن
فكنت بظاهره عالما * وكنت بباطنه ذا فطن * وللواو باب الى جنبه
من المقت أحسبه قد لعن * اذا قال في الفاء ماذا تقا * ل لست بآتيك أو تأتين

(باب في الغريب والتعقيب)

دخل أبو علقمة على أعين الطبيب فقال أصلحك الله أكلت من لحوم هذه الجوازل وطسيت طسأة فأصابني وجع بين الوابلة ودأية العنق فلم يزل ينمو ويربو حتى خالط الخالب والشراسيف فهل عندك دواء قال نعم خذ خربقا وسلفقا وشبرقا فزهزقه واغسله بماء روب واشربه فقال له أبو علقمة لم أفهمك فقال ما أفهمتك الا كما أفهمتني (وقال) له مرة أخرى اني أجد معمعة وقرقرة فقال أما المعمعة فلا أعرفها وأما القرقرة فضراط لم ينضج (وقال) أبو الاسود الدؤلي لابي علقمة ما حال ابنك قال أخذته الحمى فطبخته طبخا ورضخته رضخا فتركته فرخا قال فما فعلت زوجته التي كانت تشاره وتهاره وتماره وتزاره قال طلقها فتزوجت بعده فحظيت وبظيت قال فما بظيت فقال له حرف من الغريب لم يبلغك فقال يا ابن أخي كل حرف لا يعرفه عمك فاستره كما تستر السنور خرأها (ودعا) أبو علقمة بحجام يحجمه فقال له أنق غسل المحاجم وأشدد قصب الملازم وأرهف ظبات المشارط وأسرع الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تردن أتيا ولا تكرهن آبيا فوضع الحجام محاجمه في جونته ومضى عنه (وسمع) اعرابي أبا المكنون النحوي وهو يقول في دعاء الاستسقاء اللهم ربنا والهنا ومولانا صل على محمد نبينا ومن أراد بنا سوأ فأحط ذلك السوء به كاحاطة القلائد بأعناق الولائد ثم ارسخه على هامته كرسوخ السجيل على هام أصحاب الفيل اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مجلجلا مسحنفرا هزجا سحا سفوحا طبقا غدقا مثعنجرا نافعا لعامتنا وغير ضار لخاصتنا فقال الاعرابي يا خليفة نوح هذا الطوفان ورب الكعبة دعني حتى آوي الى جبل يعصمني من الماء (وسمعه) مرة أخرى يقول في يوم بردان هذا يوم بلة عصبصب بارد هلوف فارتعد الاعرابي وقال والله هذا مما يزيدني بردا (وخطب) أبو بكر المذكور فأغرب في خطبته وتقعر في كلامه وعند أصل المنبر رجل من أهل الكوفة يقال له حنش فقال لرجل الى جنبه اني لابغض الخطيب يكون فصيحا بليغا متقعرا وسمعه أبو بكر المذكور الخطيب فقال له ما أحوجك يا حنش الى مدحرج مفتول ابن الجلاد لدن المهزة عظيم الثمرة قد أخذ من مغرز العنق الى عجب الذنب فتكثر له رقصاتك من غير جذل (وقال حبيب الطائي)

فما لك بالغريب يد ولكن * تعاطيك الغريب من الغريب
أما لو ان جهلك عاد علما * اذا لرسخت في علم الغيوب

(ومن قولنا نمدح رجلا باستعمال اللفظ وحسن الكلام)

قول كان فرنده * سحر على ذهن اللبيب * لا يشمئز على اللسا
ن ولا يشذ على القلوب * لم يغل في شنع اللغا * ت ولا يوحش بالغريب
سهل تقلد مثله * عطف القضيب على القضيب
هذا تجاذبه الرقا * ب وذا تجاذبه الحطوب

(باب في تكليف الرجل ما ليس من طبعه)

قالوا ليس الفقه بالتفقه ولا الفصاحة بالتفصح لانه لا يزيد متزيد في كلامه الا النقص يجده في نفسه (ومما) اتفقت عليه العرب والعجم قولهم الطبع أملك (وقال) حفص بن النعمان المرء يضع نفسه في ما تبله ينزع الى العرق (وقال العرجي)

وفي بطنه من دارم ذو حفيظة
لو ان المنايا أنسأته لياليا

ومعناه عندهم انه رثى امرأة توفيت حاملا فقال علي بن العباس وقد وصف هذه المرأة السوداء

أخلق بها أن تقوم عن ذكر
كالسيف يفري مضاعف الحلق
ان جفون السيوف أكثرها
أسود والحق غير مختلق

فهذه زيادة بينة وعبارة واضحة لم تحتج الى تفاسير أصحاب المعاني (وقال مما لم نشده المتنبي)

غصن من الآبنوس ركب في
مؤتزر مجب ومنتطق
يهتز من ناهديه في ثمر
ومن دواحي ذراه في ورق

وهذا معنى قد بلغ قائله من الاجادة فوق الارادة وامتثل أبو الفضل الهاشمي ما أشار به ابن الرومي فأولدها فأنجبت *وفي معنى قول الفرزدق قال الطائي وأحسن وذكر ولدين توأمين ماتا لعبد الله بن طاهر

ان ترزني طرفي نهار واحد
رزأين هاجا لوعة وبلابلا
فالثقل ليس مضاعفا لمطية
الا اذا ما كان وهما بازلا
لهفي على تلك المشاهد منهما
لو أمهلت حتى تكون شمائلا
لغدا سكونهما حجى وصباهما
حلما وتلك الاريحية نائلا
ان الهلال اذا رأيت نماءه
أيقنت أن سيكون بدرا كاملا

(وعلى ذكر التوأمين ألفاظ لاهل العصر في التهنئة بتوأمين)

تيسرت منحتان في موطن وانتظمت موهبتان في قرن طلع في أفق الكمال نجما سعد

يا أيها المتحلي غير شيمته * ومن شمائله التبديل والملق
ارجع الى خلقك المعروف ديدنه * ان التخلق يأتي دونه الخلق

(وقال آخر) ومن يبتدع ما ليس من سوس نفسه * يدعه ويغلبه على النفس خيمها

(وقال آخر) كل امرئ راجع يوما لشيمته * وان تخالق أخلاقا الى حين

(وقال الخزيمي) ملام أبو الفضل في جوده * وهل علك الهدران لا يفيضا

(وقال آخر) ولائمة لامتك يا فيض في الندى * فقلت لها هل يقدح اللوم في البحر
أرادت لتثني الفيض من عادة له * ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر

(وقال حبيب) تعود بسط الكف حتى لو انه * ثناها لقبض لم تجبه أنامله

(وقال آخر) ووقع أطرافهم قبضها * مان طاموا بسطها تنكسر

(وقالوا) ان ملكا من ملوك فارس كان له وزير حازم مجرب فكان يصدر عن رأيه ويتعرف اليمن في مشورته ثم انه هلك ذلك الملك وقام بعده ولده فعجب بنفسه مستبدا برأيه ومشورته فقيل له ان أباك كان لا يقطع أمرا دونه فقال كان يغلط فيه وسأمتحنه بنفسي فأرسل اليه فقال له أيهما أغلب على الرجل الادب أو الطبيعة فقال له الوزير الطبيعة أغلب لانها أصل والادب فرع وكل فرع يرجع الى أصله فدعا بسفرته فلما وضعت أقبلت سنانير بأيديها الشمع فوقفت حول السفرة فقال للوزير اعتبر خطأك وضعف مذهبك متى كان أبو هذه السنانير شماعا فسكت عنه الوزير وقال امهلني في الجواب الى الليلة المقبلة فقال ذلك لك فخرج الوزير فدعا بغلام له فقال التمس لي فارا واربطه في خيط وجئني به فأتاه به الغلام فعقده في سبنيته وطرحه في كمه ثم راح من الغد الى الملك فلما حضرت سفرته أقبلت السنانير بالشمع حتى حفت بها فحل الوزير الفار من سبنيته ثم ألقاه اليها فاستبقت السنانير اليه ورمت بالشمع حتى كاد البيت يضطرم عليهم نارا فقال الوزير كيف رأيت غلبة الطبع على الادب ورجوع الفرع الى أصله قال صدقت ورجع الى ما كان أبوه عليه معه فانما مدار كل شئ على طبعه والتكلف مذموم من كل وجه (قال) الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد وما أنا من المتكلفين (وقالوا) ومن تطبع بغير طبعه نزعته العادة حتى ترده الى طبعه كما ان الماء اذا أسخنته وتركته عاد الى طبعه من البرودة والشجرة المرة لو طليتها بالعسل لا تثمر الا مرا

(باب في ترك المشاراة والمماراة)

دخل السائب بن صيفي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتعرفني يا رسول الله قال وكيف لا أعرف شريكي في الجاهلية الذي كان لا يشاري ولا يماري (وقال) ابن المقفع المشاراة والمماراة يفسدان الصداقة القديمة ويحلان العقدة الوثيقة وأيسر ما فيهما انهما ذريعة الى المنافسة والمغالبة (وقال) عبد الرحمن بن أبي ليلى لا تمار أخاك فاما أن تغضبه واما أن تكذبه (وقال شاعرهم)

فاياك اياك المراء فانه * الى السب دعاء وللصرم جالب

(وقال) عبد الله بن عباس لا تمار فقيها ولا سفيها فان الفقيه يغلبك والسفيه يؤذيك (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر

(باب في سوء الادب)

دخل عروة بن مسعود الثقفي على النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يحدثه ويشير بيده اليه حتى تمس لحيته والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده السيف فقال له اقبض يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا ترجع اليك فقبض يده عروة وعروة هذا عظيم القريتين الذي قالت قريش لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ويقال انه الوليد بن المغيرة المخزومي (ولما) قدم وفد تميم على النبي صلى الله عليه وسلم نادا رجل من وراء الجدار يا محمد

وشيها باعز وكوكبا مجددفقا ماهات بيمار يوع المحاسن ووطئت لهما أكناف المكارم واستشرفت اليها صدور الاسرة والمنابر * بلغني خبر الموهبة المشفوعة بمثلها والنعمة المقرونة بعدلها في الفارسين المقبلين رضيعي العز والرفعة وقريني المجد والمنعة فشملني من الاغتباط ما يوجبه ازدواج البشرى واقتران غادية بأخرى والشئ يذكر بما قارب ناحية من انحائه وجاذب حاشيه من ردائه (وقال بعض أهل العصر) يعور جلا وضمن قول النابغة

* كالاقحوان غداة غب سمائه *
وأزاحه عن بابه فجاء مليحا في الطبع مقبولا في السمع
يا سائلي عن جعفر عهدي به
رطب العجان وكفه كالجلمد
كالاقحوان غداة غب سمائه
جفت أعاليه وأسفله ندي
(ومن) مستحسن ما روي في هذا التضمين قول الآخر وضمن بيتا لمهلهل بن ربيعة
وسائلة عن الحسن بن وهب
وعما فيه من كرم وخير
فقلت هو المهذب غير أني
أراه كثير ارخاء الستور
وأكثر ما يغنيه فتاه
حسين حين يخلو بالسرور
فلولا الريح أسمع من بحجر
صليل البيض تقرع بالذكور
وهذا البيت لمهلهل مما يعدونه من أول كذب العرب وكانت قبل ذلك لا تكذب في أشعارها وكان بين الموضع الذي كانت فيه الوقيعة وهي بالجزيرة وبين حجر

اخرج الينا فأنزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وفى قراءة ابن مسعود بنو تميم أكثرهم لا يعقلون وأنزل الله فى ذلك لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا (ونظر) أبو بكر الى رجل بيبع ثوبا فقال له أتبيع الثوب قال لا عافاك الله قال لقد علمتم لو تعلمون قل لا وعافاك الله (وخطب) الحسن فى دم فأجابه صاحب الدم فقال قد وضعت ذلك الدم لله ولوجوهكم قال له الحسن الاقلت وقد وضعت ذلك لله خالصا. (وذكر) اعرابى رجلا بسوء الادب فقال ان حدثته سابقك الى ذلك الحديث وان تركته أخذ فى الترهات (ودخل) بعض الرواة على المهدى فقال له أنشدنى قول زهير * لمن الديار بقنة الحجر * فأنشدها حتى أتى على آخرها فقال له المهدى ذهب والله من كان يقول هذا فقال له كما ذهب والله من كان يقال فيه فاستجهله واستحمقه (ولما) رفع قطرب النحوى كتابه فى القرآن الى المأمون أمر له بجائزة وأذن له فلما دخل عليه قال قد كانت عدة أمير المؤمنين أوقع من جائزته فغضب المأمون وهم به فقال له سهل بن هرون يا أمير المؤمنين انه لم يقل بذات نفسه وانما غلب عليه الحصر الا تراه كيف يرشح جبينه ويكسر أصابعه فسكن غضب المأمون واستجهله واستحمقه (وكان) الحسن اللؤلؤى ليلة عند المأمون بالرقة وهو يسامره اذ نعس المأمون والحسن يحدثه فقال له نعست يا أمير المؤمنين فانتبه فقال سوقى ورب الكعبة يا غلام خذ بيده (ودخل) أبو النجم على هشام بن عبد الملك بارجوزته التى أولها * الحمد لله الوهوب المجزل * وهى من أجود شعره فلما أتى على قوله * والشمس فى الجو كعين الاحول * غضب هشام وكان أحول فأمر بصفع قفاه واخراجه (ودخل) كثير عزة على يزيد بن عبد الملك فبينا هو يحدثه اذ قال يا أمير المؤمنين ما معنى قول الشماخ

اذا الارطى توسد ابرديه * خدود جوازئ بالرمل عين

فقال يزيد وماذا على أمير المؤمنين ان لا يعرف ما قال هذا الاعرابى الجلف مثلك واستحمقه وأمر باخراجه (ودخل) كثير عزة على عبد العزيز بن مروان فأنشده مديحته التى يقول فيها

وأنت فلا تفقد ولا زال منكم * امام يحيى فى حجاب مسدن

أشم من الغادين فى كل حلة * يميسون فى صبغ من العصب متقن

لهم ازر حمر الحواشى يطؤنها * باقدامهم فى الحضرمى الملسن

فاستحسنها وقال له سل حاجتك فقال توليني مكان ابن رمانة كاتبك فقال له ويلك ذاك كاتب وأنت شاعر فكيف تقوم مقامه وتسد مسده فلما خرج من عنده ندم وقال

عجبت لاخذى خطة العجز بعدما * تبين من عبد العزيز قبولها

لئن عاد لى عبد العزيز بمثلها * وأمكننى منها اذا لا أقولها

(ووقف) الاحنف بن قيس ومحمد بن الاشعث بباب معاوية فأذن للاحنف ثم لمحمد بن الاشعث فأسرع محمد فى مشيته حتى دخل قبل الاحنف فلما رآه معاوية قال له والله انى ما أذنت له قبلك وأنا أريد أن تدخل قبله وانا كما نلى أموركم كذلك نلى أدبكم ولا تزيد متزيد فى أمره الا لنقص يجده فى نفسه (وقال) عبد الملك بن مروان ثلاثة لا ينبغى للعاقل أن يستخف بهم العلماء والسلطان والاخوان فمن استخف بالعلماء أفسد دينه ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه ومن استخف بالاخوان أفسد مروأته (وقال) أبو الزناد كنت كاتبا لعمر بن عبد العزيز فكان يكتب الى عبد الحميد عامله على المدينة فى المظالم فيراجعه فيها فكتب انه يخيل الى انى لو كتبت اليك أن تعطى رجلا شاة لكتبت الى اضأنا أم معزا ولو كتبت اليك باحدهما لكتبت الى ذكرا أو أنثى ولو كتبت اليك باحدهما لكتبت أصغيرا أو كبيرا فاذا كتبت اليك فى مظلمة فلا تراجعنى فيها (وكتب) أبو جعفر الى سالم بن قتيبة يأمره بهدم دور من خرج مع ابراهيم وعقر نخلهم فكتب اليه بأى ذلك نبدأ بالدور أم بالنخل فكتب اليه أبو جعفر انى لو أمرتك بافساد تمرهم لكتبت بأى ذلك نبدأ بالصيحانى أم بالبرنى وعزله وولى محمد بن سليمان (ودخل)

وهى قصبة باليمامة مسافة بعيدة فأخرجه هذا الشاعر بقوة فطنته ونفاذ فطنته الى معنى آخر مستظرف فى بابه وهذا المذهب أحسن مذاهب التضمين (ومن مليح ما فى هذا الباب تضمينات الحمدونى) فى طيلسان أحمد بن حرب المهلبى وسيأتى ما أختار من ذلك فى غير هذا الموضع * وقد جاء فى صفة الثغور والافواه والريق شعر كثير (قال جميل)

تمنيت منها نظرة وهى واقف
تريك نقيا واضح الثغر أشنبا
كأن عريض الضمير فضيض غمامة
هزيم الذرا تمرى له الريح هيدبا
يصفق بالمسك الذكى رضابه
اذا النجم من بعد الهدو تصوبا

(وقال)

وكان طارقها على علل الكرى
والنجم وهنا قد بدا لتغور
يستاف ريح مدامة معلولة
برضاب مسك فى ذكى العنبر

(وقال) عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى

يمج ذكى المسك منها مفلج
نقى الثنايا ذو غروب مؤشر
يرف اذا تفتر عنه كأنه
حصى برد أو أقحوان منور

(وقال الهذلى)

وما صهباء صافية لصب
كلون الصرف صهباء قذاها
تمج بنطفة من ماء مزن
أحلته برضراض عراها
بأطيب مشرعا من طعم فيها
اذا ما طار عن سنة كراها

(وقال آخر)

وشق عنها قناع الخز عن برد
كالدر لا كسس فيه ولا ثعل

عدى بن ارطاة على شريح القاضى فقال له أين أنت أصلحك الله قال بينك وبين الحائط قال اسمع منى قال قل نسمع قال انى رجل من أهل الشام قال مكان سحيق قال وتزوجت عندكم قال بالرفاء والبنين قال وأردت ان أرحلها قال الرجل احق باهله قال وشرطت لها دارها قال الشرط أملك قال فاحكم الآن بيننا قال قد فعلت قال فعلى من حكمت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالتك أراد شريح اقراره على نفسه بالشرط فكان شريح صاحب حكم عويص (ودخل) شريك بن عبد الله على اسمعيل وهو يتبخر بعود فقال للخادم جئنا بعود لابى عبد الله فجاء ببربط فقال اسمعيل اكسره وقال لشريك أخذوا البارحة فى الحرس رجلا ومعه هذا البربط وقال بعض الشعراء فى على الخادم

ومتى أدعها بكأس من الما * ء أتتنى بصحفة وزبيب

وقال حبيب فى بنى تغلب من أهل الجزيرة يصفهم بالجفاء وقلة الادب مع كرم النفوس

لا رقة الحضر اللطيف غذتهم * وتباعدوا عن فطنة الاعراب

فاذا كشفتهم وجدت لديهم * كرم النفوس وقلة الآداب

(وكان) فتى يجالس الشعبى وكان كثير الصمت فالتفت الى الشعبى فقال له انى لاجد فى قفاى حكة أفتأمرنى بالحجامة فقال الشعبى الحمد لله الذى حوّلنا من الفقه الى الحجامة (وبعث) رجل من التجار وكيلا له الى رجل من الاشراف يقتضيه مالا عليه فرجع اليه مضروبا فقال له ويلك مالك قال سبك فسببته فضربنى قال وما قال لك قال قال أدخل ايرالحمار فى حرام من أرسلك قال دعنى من افترائه على وسبه لى وأخبرنى كيف جعلت أنت لاير الحمار من الحرمة مالم تجعله لحرام من أرسلك هلا قلت ايرالحمار فى حرام من أرسلك

﴿باب تحنك الفتى﴾

قيل لعمر بن الخطاب ان فلانا لا يعرف الشر قال ذلك أحرى أن يقع فيه (وقال) سفيان الثورى من لم يحسن أن يتفتى لم يحسن أن يتقرى (وقال) عمرو بن العاص ليس العاقل الذى يعرف الخير من الشر انما العاقل الذى يعرف خير الشرين ومثل ذلك قول الشاعر

رضيت ببعض الذل خوف جميعه * كذلك بعض الشر أهون من بعض

(وسئل) المغيرة بن شعبة عن عمر بن الخطاب قال كان والله له فضل يمنعه من أن يخدع وعقل يمنعه من ان يخدع (وقال) اياس لست بخب والخب لا يخدعنى ويخدع ابن سيرين والحسن (وكان) الحسن يرى كل مسلم جائز الشهادة حتى يظهر عليه سقطة أو يجرحه المشهود عليه وكان اياس لا يرى ذلك فأقبل رجل الى الحسن فقال يا أبا سعيد يقول الله تعالى ممن ترضون من الشهداء وهذا ممن لا نرضاه (وكان) عامر بن عبد الله بن الزبير فى غاية الفضل والدين وكان لا يعرف الشر فبينا هو جالس فى المسجد اذ أتى بعطائه فقام الى منزله فنسيه فلما صار الى بيته ذكره فقال لخادمه اذهب الى المسجد فائتنى بعطائى فقال له وأين نجده فقال سبحان الله وبقى أحد يأخذ ما ليس له (وقال) أبو أيوب من أصحابى من ارتجى بركة دعائه ولا أقبل شهادته (وذكرت) فاطمة بنت الحسين عليهما السلام عند عمر بن عبد العزيز وكان لها معظما فقيل انها لا تعرف الشر فقال عمر عدم معرفتها بالشر جنبها الشر (وكانوا) يستحسنون الحنكة للفتى والصبوة للحدث ويكرهون الشيب قبل أوانه ويشبهون ذلك بيبوس الثمرة قبل نضجها وان ذلك لا يكون الا من ضرر فيها فأمتع الاخوان مجالسا وأكرمهم عشرة وأشدهم حذقا وأبهم نفسا من لم يكن بالشاطر المتهتك ولا الزاهد المتنسك ولا الماجن المتطرف ولا العابد المتقشف ولكن كما قال الشاعر

يا هند هل لك فى شيخ فتى ابدا * وهل يكون شباب غير فتيان

(وقال آخر)

وفتى وهو قد اناف على الخمـ * ـسين يلقاك فى ثياب غلام

كأنه اقحوان بات يضربه * طل من الدجن سقاط الندى هطل

كان صرفا كميت اللون صافية * شجت بماء سماء شنه جبل

فوها اذا ماقضت من نومها سنة * أو اعترتها سبات النوم والكسل

(وقال آخر)

هيفاء اللون واضحة المحيا * قطيع الصوت آنسة كسول

تبسم عن اغر له غروب * فرات الريق ليس به فلول

كأن صبيب غادية لصب * تشج به شآمية شمول

علا فيها اذا الجوزاء عالت * محلقة وأردفها وعيل

(وقال ابن المعتز)

يا نديمى اشربا واسقيانا * قد بدا الصبح لنا واستبانا

واقتلا همى بصرف عقار * واتركا الدهر فما شاء كانا

ان للمكروه لذعة شر * فاذا دام على المرء هانا

وامزجا كأسى بريقة المى * طاب للعطشان وردا وحانا

من فم قد غرس الدر فيه * ناصح الريق اذا الريق خانا

(وقال ابن الرومى)

يا رب ريق بات بدر الدجى * يمجه بين ثنايا كا

يروى ولا ينهاك عن شربه * والماء يرويك وينهاكا

(وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر)

واذا سألتك رشف ريقك قلت لى * اخشى عقوبة مالك الاملاك

ماذا عليك جعلت قبلك فى الثرى

(وقال آخر) فللنسك منى جانب لا اضيعه * وللهو منى والبطالة جانب

(وقال حبيب) كهل الاناة فتى السراة اذا غدا * للروع كان القشعم الغطريفا

(ومن قولنا) اذا جالس الفتيان ألفيته فتى * وجالس كهل الناس ألفيته كهلا

(ونظيره قول ابن حطان)

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدنان

وقول عمر بن حطان هذا يحتمل غير هذا المعنى الا أن هذا أقرب اليه وأشبه به لانه أراد انه مع اليمانى يمانى ومع العدنانى عدنانى فيحتمل ان ذلك لخوف منه أو مساعدة وكل ذلك داخل فى باب الحنكة والحذق والتجربة (وقالوا) اصحب البر لتتأسى به والفاجر لتتحنك به (وقالوا) من لم يصحب البر والفاجر لم يؤدبه الرخاء والشدة مرقوم لم يخرج من الظل الى الشمس مرة لاتر جه (ومن هذا) قولهم حلب فلان الدهر أشطره وشرب أفاويقه اذا فهم خيره وشره فاذا نزل به الغناء عرفه واذا نزل به البلاء لم ينكره (وقال هدبة العذرى)

ولست بمفراح اذا الدهر سرنى * ولا جازع من صرفه المتقلب

ولا أتمنى الشر والشر تاركى * ولكن متى أحمل على الشر أركب

(وقال عبد العزيز بن زرارة فى هذا المعنى)

قد عشت فى الدهر أطوارا على طرق * شتى فصادفت منه اللين والفظعا

كلا عرفت فما النعماء تبطرنى * ولا تخشعت من لأوائه جزعا

لا يملأ الامر صدرى قبل وقعته * ولا أضيق به ذرعا اذا وقعا

(وقال آخر) عليكم بدارى فاهدموها فانها * تراث كريم لا يخاف العواقبا

ولم يستشر فى أمره غير نفسه * ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه * واضرب عن ذكر العواقب جانبا

سأغسل عنى العار بالسيف جالبا * على قضاء الله ما كان جالبا

(وسئلت) هند عن معاوية فقالت والله لو جمعت قريش من أقطارها ثم رمى به فى وسطها لخرج من أى اعراضها شاء وهذا نظير

برئت الى الرحمن من كل صاحب * أصاحبه الا اللئيم بن نائل

وعلاته بين السماكين انه * سينجو بحق أو سينجو بباطل

(وقال آخر)

لئن كنت محتاجا الى الحلم اننى * الى الجهل فى بعض الاحايين أحوج

وما كنت أرضى الجهل خدنا وصاحبا * ولكننى أرضى به حين أحوج

فان قال قوم ان فيه سماجة * فقد صدقوا والذل بالحر أسمج

ولى فرس للحلم بالحلم ملجم * ولى فرس للجهل بالجهل مسرج

فمن شاء تقويمى فانى مقوم * ومن شاء تعويجى فانى معوج

(وقال) معاوية فى سفيان بن عوف العامرى هذا الذى لا يكفكم من عجلة ولا يدفع فى ظهره من بطء ولا يضرب على الامور ضرب الجمل الثفال (وقال الحسن بن هانئ)

من للغداع اذا الميدان ماطلها * بكل مطاع الغايات قد قرحا

من لا يفضفض منه البؤس أغلة * ولا يصعد أطراف الربا مرحا

(وقال جرير) وابن اللبون اذا ما لز فى قرن * لم يستطع صولة البزل القناعيس

(باب فى الرجل الانفاع الضرار)

من ان اكون خليفة المسواك
أيجوز عندك أن يكون متيم
صب يحبك دون عود أراك
وهذا المعنى يجاوز الاحصاء
ويفوت الاستقصاء وكله مأخوذ
من قول امرئ القيس
كأن المدام وصوب الغمام
وريح الخزامى ونشر القطر
يعل به برد أنيابها
اذا طرب الطائر المستحر
فجمع ما فرقوه (وأخذه الجعفرى
فقصر عنه)
كأن المدام وصوب الغمام
وريح الخزامى وذوب العسل
يعل بها برد أنيابها
اذا النجم وسط السماء اعتدل
(ويلحق) بهذه المعانى من شعر
اهل العصر قول ابى على محمد بن
الحسين بن المظفر الحاتمى وذكر
خمرا
من كف ساق اهيف حركاته
فتن تقنع بالملاحة واعتجر
ناولته كأسى وكسر جفونه
يوحى الى أن ارتشفهم واصطبر
فثنى لها الاقلام در رخصة
تهوى الى ابراد درذى اشر
فصدرت من كاسه فى ثغره
كالشمس تغرب فى هلال من قمر
(واهدى) ابو الفتح كشاجم
لبعض القيان مسواكا وكتب
اليها
قد بعثناه لكى تجلو به
واضحا كاللؤلؤ الرطب اغر
طاب منه العرف حتى خلته
كان من ريقك يسقى فى السحر
واما والله لو يعلم ما
حظه منك لانثى وشكر
ليتنى المهدى فيروى عطشى
برد أنيابك فى كل سحر

يقال انه لتدراج ولاج وانه لحول قلب اذا كان متصرفا فى أموره نفاعا لأوليائه ضرارا لأعدائه واذا كان على غير ذلك قيل ما يحلى ولا يمرى ولا يعد فى العير ولا فى النفير وما فيه خير يرجى ولا شر يتقى (وقال) بعضهم لا يرضى العاقل أن يكون الا اماما فى الخير والشر (وقال الشاعر)

اذا أنت لم تنفع فضر فانما * يرجى الفتى كيما يضر وينفعا

(وقال حبيب) ولم أر نفعا عند من ليس ضائرا * ولم أر ضرا عند من ليس ينفع

(وسمع) اعرابى رجلا يقول ما أتى فلان بيوم خير قط فقال ان لا يكن أتى بيوم خير فقد أتى بيوم شر

(وقال الشاعر) وما فعلت بنو ذبيان خيرا * ولا فعلت بنو ذبيان شرا

(وقال آخر) قبح الاله عداوة لا تتقى * وقرابة يدلى بها لا تنفع

(وفخر) رجل فقال أبى الذى قتل الملوك وغصب المنابر وفعل وفعل فقال له رجل لكنه أسر وقتل وصلب فقال دعنى من أسره وقتله وصلبه أبوك حدث نفسه بشئ من هذا قط (وقال) رجل يذم قومه وأغارت بنو شيبان على ابله فاستنجدهم فلم ينجدوه وكان فيهم ضعف فقال فيهم

لو كنت من مازن لم تستبح ابلى * بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
اذا لقام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا
قوم اذا الشر أبدى ناجذيه لهم * طاروا اليه زرافات ووحدانا
لكن قومى وان كانوا ذوى عدد * ليسوا من الشئ فى شئ وان هانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته * سواهم فى جميع الناس انسانا

ولم يرد بهذا انه وصفهم بالحلم ولا بالخشية لله وانما أراد به الذل والعجز كما قال النجاشى فى رهط تميم بن مقبل

قبيلته لا يخفرون بذمة * ولا يظلمون الناس حبة خردل
ولا يردون الماء الا عشية * اذا صدر الوراد عن كل منهل

وكل من نفع فى شئ ضر فى شئ وكذلك قول أشجع بن عمرو

يصطاد أعناقا فيفصلها * ويفك أعناقا من الرق

(وقال الحسن بن هانئ)

يرجو ويخشى حالتيك الورى * كأنك الجنة والنار

(ومن قولنا فى هذا المعنى)

من يرتجى غيرك أو يتقى * وفى يديك الجود والباس
ما عشت عاش الناس فى نعمة * وان تمت مات بك الناس

(وقال آخر) وليس فتى الفتيان من راح واغتدى * لشرب صبوح أو لشرب غبوق
ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى * لضر عدو أو لنفع صديق

(باب فى طلب الرغائب واحتمال الرغائب)

فى كتاب للهند من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب ولم ينل الامر الذى لعله ان ينال منه حاجته مخافة ما لعله يوقاه فليس ببالغ جسيما وان الرجل ذا المروأة ليكون خامل الذكر خافض المنزلة فتأبى مروأته الا ان يستعلى ويرتفع كالشعلة من النار التى يصونها صاحبها وتأبى الا ارتفاعا وذو الفضل لا يخفى فضله وان أخفاه كالمسك الذى يختم عليه ثم لا يمنع ذلك ريحه من التذكى والظهور ومن قولنا فى هذا المعنى

ختمت فأرة مسك * فأبت الا التذكى * ليس يخفى فضل ذى الفضل بزور وبافك
والذى يبرز فى الفضل غنى عن مزكى * ربما غم هلال الفطر فى ليلة شك
ثم جلى وجهه النو * ر فجلى كل حلك * ان ظهر السيم لا تر * كبه من غير الملك

وكان ذكر بحضرة ابن ابى عتيق شعر عمر بن ابى ربيعة والحرث ابن خالد المخزوميين فقال رجل من ولد خالد بن العاصى بن هشام بن المغيرة صاحبنا الحرث أشعر فقال ابن ابى عتيق دع قولك يا ابن اخى فلشعر ابن ابى ربيعة لوطة بالقلب وعلق بالنفس ودرك للحاجة ليس لشعر الحرث وما عصى الله بشعر قط اكثر مما عصى بشعر ابن ابى ربيعة فخذ عنى ما اصف لك اشعر قريش من رق معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه وتعطفت حواشيه وانارت معانيه واعرب عن صاحبه فقال الذى من ولد خالد بن العاصى صاحبنا الذى يقول

انى وما نحروا غداة منى * عند الجمار تؤدها العقل
لو بدلت اعلى منازلها * سفلا واصبح سفلها يعلو
فيكاد يعرفها الخبير بها * فيرده الاقواء والمحل
لعرفت مغناها بما احتملت * منى الضلوع لاهلها قبل

فقال ابن ابى عتيق يا ابن اخى استر على صاحبك ولا تشاهد المحاضر بمثل هذا اما تطير الحرث عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله ما بقى الا ان يسأل الله حجارة من سجيل وعذابا اليما ابن ابى ربيعة كان احسن الناس للربع مخاطبة واجمل مصاحبة اذ يقول

سائلا الربع بالبلى وقولا * هجت شوقا لى الغداة طويلا
اين اهل حلوك اذ انت مسرو * ربهم آهل اراك جميلا

ونظام الدر لاتنسقه من غير سلك * ليس يصفو الذهب الابريز الا بعد سبك

هذه جملة امثا * ل فن شاء فيحكى * ابطلت كل عانى وشامى ومكى

ليس ذا من صوغ عينى ولا من نسج عكى

(وقالوا) لاينبغى للعاقل أن يكون الافى احدى منزلتين امافى الغاية من طلب الدنيا واما فى الغاية من تركها ولا ينبغى له ان يرى الافى مكانين امامع الملوك مكرما واما مع العباد متبتلا ولا يعد الغرم غرما اذا ماساق غنما ولا الغنم غنما اذا ساق غرما (ونظر) معاوية الى عسكر على رضى الله عنه يوم صفين فقال من طلب عظيما خاطر بعظيمته واشار الى رأسه (وقال حبيب الطائى)

اعاذلتى ماأخشن الليل مركبا * وأخشن منه فى الملمات راكبه

ذرينى وأهوال الزمان اقاسها * فأهواله العظمى تليها رغائبه

(وقال كعب بن زهير)

وليس لمن لم يركب الهول بغية * وليس لرحل حطه الله حامل

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا * أصبت حليما أو أصابك جاهل

(وقال الشماخ)

فتى ليس بالراضى بادنى معيشة * ولا فى بيوت الحى بالمتولج

فتى يملأ الشيزى ويروى سنانه * ويضرب فى رأس الكمى المدجج

(وقال امرؤ القيس)

فلوأن ماأسعى لادنى معيشة * كفانى ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

(وقال آخر)

لولا شماتة أعداء ذوى حسد * أوأن أنال بنفعى من يرجينى

لماخطبت من الدنيا مطالبها * ولا بذلت لها عرضى ولا دينى

لكن منافسة الاعداء تحملنى * على أمور أراها سوف تردينى

وكيف لا كيف أن أرضى بمنزلة * لادين عندى ولا دنيا تؤاتينى

(وقال الحطيئة فى هجائه الزبرقان بن بدر)

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

فاستعدى عليه عمر بن الخطاب واسمعه الشعر فقال ماأرى بما قال بأسا قال والله ياأمير المؤمنين ماهجيت ببيت قط أشد على منه فارسل الى حسان فسأله هل هجاه فقال ماهجاه ولكنه سلح عليه وقد أخذ هذا المعنى من الحطيئة بعض المحدثين فقال

انى وجدت من المكارم حسبكم * أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

فاذا تذكرت المكارم مرة * فى مجلس أنتم به فتقنعوا

(وقالوا) من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب ومن طلب العظائم خاطر بعظيمته وقال يزيد بن عبد الملك لما اتى برأس يزيد بن المهلب فنال منه بعض جلسائه فقال ان يزيد ركب عظيما وطلب جسيما ومات كريما وقال بعض الشعراء

لاتقنعن ومطلب لك ممكن * فاذا تضايقت المطالب فاقنع

(ومما) جبل عليه الحر الكريم أن لايقنع من شرف الدنيا والآخرة بشئ مما انبسط له املا فيما هو أسنى منه درجة وأرفع منزلة ولذلك قال عمر بن عبد العزيز لدكين الراجز ان لى نفسا تواقة فاذا بلغك انى صرت الى أشرف من منزلى فبعين ما أرينك قال له ذلك وهو عامل سليمان بن عبد الملك فلما صارت اليه الخلافة قدم عليه دكين فقال له أنا كما علمتك ان لى نفسا تواقة وان نفسى تاقت الى أشرف

قال ساروا وامعنوا واستقلوا
وبكرهى لواستطعت سبيلا
سئمونا وماسئمنا مقاما
واستحبوا دمامة وسهولا

(وههنا حكاية تأخذ بطرف الحديث) دخل مزيد المدنى على مولى لبعض أهل المدينة وهو جالس على سرير ممهد ورجل من ولد أبى بكر الصديق وآخر من ولد عمر رضى الله عنهما جالسان بين يديه على الارض فلما رأى المولى مزيدا تجهمه وقال يامزيد ماأكثر سؤالك وأشد الحافك جئت تسألنى شيأ قال لا والله ولكنى أردت أن أسألك عن معنى قول الحرث بن خالد

انى وما نحروا غداة منى
عند الجمار تؤدها العقل
لو بدلت أعلى منازلها
سفلا وأصبح سفلها يعلو

فلما رأيتك ورأيت هذين بين يديك عرفت معنى الذى قال فقال اعزب فى غير حفظ الله وضحك أهل المجلس وأخذ الحرث قوله لعرفت مغناها بما احتملت

منى الضلوع لاهلها قبل

من قول امرئ القيس قال على ابن الصباح وراق أبى محلم قال لى ابو محلم أتعرف لامرئ القيس أبياتا سينية قالها عند موته فى قروحه والحلة المسمومة غير قصيدته التى أولها

ألما على الربع القديم بعسعسا

فقلت لا اعرف غيرها فقال انشدنى جماعة من الرواة

لمن طلل درست آيه
وغيره سالف الاحرس
تنكره العين من حادث

منازل الدنيا فلما بلغته وجدتها تتوق الى أشرف منازل الآخرة (ومن الشاهد) لهذا المعنى ان موسى صلوات الله عليه لما كلمه الله تكليما سأله النظر اليه اذ كان ذلك لو وصل اليه أشرف من المنزلة التى نالها فانبسط أمله الى ما لا سبيل اليه ليستدل بذلك ان الحر الكريم لا يقنع بمنزلة اذا رأى ما هو أشرف منها (ومن قولنا فى هذا المعنى)

والحر لا يكتفى من نيل مكرمة * حتى يروم التى من دونها العطب
يسعى به أمل من دونه أجل * ان كفه رهب يستدعه رغب
لذاك ما سال موسى ربه أرنى * أنظر اليك وفى سؤاله عجب
يبغى التزيد فيما نال من كرم * وهو النجى لديه الوحى والكتب

(وقال تأبط شرا فى ابن عم له يصفه بركوب الاهوال وبذل الاموال)

وانى لمهد من ثنائى فقاصد * به لابن عم الصدق شمس بن مالك
اهزبه فى ندوة الحى عطفه * كما هز عطفى بالهجان الاوارك
قليل التشكى للملم يصيبه * كثير النوى شتى الهوى والمسالك
ويسبق وفد الريح من حيث تنتحى * بمنخرق من شدة المتدارك
يظل بموماة ويمسى بغيرها * وحيدا ويعرورى ظهور المهالك
اذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل * له كالئ من قلب شيحان فاتك
اذا هزه فى عظم قرن تهللت * نواجذ أفواه المنايا الضواحك

(وقال غيره من الشعراء)

اذا المرء لم يحتل وقد جد جده * أضاع وقاسى أمره وهو مدبر
ولكن أخو الحزم الذى ليس نازلا * به الامر الا وهو للقصد مبصر
فذاك قريع الدهر ما عاش حوله * اذا سد منه منخر جاش منخر

(باب فى الحركة والسكون)

قال وهب بن منبه مكتوب فى التوراة ابن آدم خلقت من الحركة فتحرك وأنا معك (وفى بعض) الكتب ابن آدم امدد يدك الى باب من العمل افتح لك بابا من الرزق (وشاور) عتبة بن ربيعة أخاه شيبة بن ربيعة فى النجعة وقال انى قد أجدبت ومن أجدب انتجع فذهبت مثلا قال له شيبة ليس من العز أن يتعرض للذل فذهبت مثلا (أخذه حبيب فقال)

أراد بان يحوى الغنى وهو وادع * ولن يفرس الليث الطلا وهو رابض

(وقيل) لاعشى بكر الى كم هذه النجعة والاغتراب أما ترضى بالخفض والدعة فقال لو دامت الشمس عليكم لمللتموها (أخذه حبيب فقال)

وطول مقام المرء فى الحى مخلق * لديباجتيه فاغترب تتجدد
فانى رأيت الشمس زيدت محبة * الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

(قال) ابو سعيد أحمد بن عبد الله المكى سمعت الشافعى يقول قلت بيتين من شعر وأنشده

انى أرى نفسى تتوق الى مصر * ومن دونها خوض المهامه والقفر
فوالله ما أدرى الى الخفض والغنى * أقاد اليها أم أقاد الى قبرى

فدخل مصر فمات (وقال موسى بن عمران عليه السلام) لا تذموا السفر فانى ادركت فيه ما لم يدرك أحد يريد أن الله عز وجل كلمه فيه تكليما (وقال المأمون) لا شئ ألذ من سفر فى كفاية لانك فى كل يوم تحل محلة لم تحلها وتعاشر قوما لم تعاشرهم وقال الشاعر

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة * من أن تبدل أوطانا بأوطان

تأتى

(وقد أخذه طريح بن اسمعيل الثقفى فقال)

تستخبر الدمن القفار ولم تكن
لترد اخبارا على مستخبر
فظللت تحكم بين قلب عارف
مغنى احبته وطرف منكر

وقال الحسن بن وهب اشارة الى هذا المعنى

أبليت جسمى من بعد جدته
فما تكاد العيون تبصره
كانه رسم منزل خلق
تعرفه العين ثم تنكره

(وقال) يحيى بن منصور الذهلى

وما يستفيق القلب الا انبرى له
تذكر طيف من سعاد ومربع
أخادع عن عرفانه العين انه
متى تعرف الاطلال عينى تدمع

(وقال آخر)

هى الدار التى تعر
ف لم لا تعرف الدارا
ترى منها الاحياد
لك أعلاما وآثارا
فيبدى القلب عرفانا
وتبدى العين انكارا

(وقال) ابو نواس وتعلق أول قوله بهذا المعنى وانما انشد الابيات كلها لاجتماعها اذا كان الغرض فى هذا التصرف هو ارادة الافادة

الا لا أرى مثلى امترى اليوم فى رسم
تغص به عينى ويلفظه وهمى
أتت صور الاشياء بينى وبينه
فظنى كلا ظن وعلمى كلا علم
فطب بحديث من حبيب مساعد
وساقية بين المراهق والحلم
ضعيفة كر الطرف تحسب انها
قريبة عهد بالافاقة من سقم

تلـقى بكل بلاد ان حللت بها * اهـلا باهـل واخوانا باخوان

مع أن المقام بالمقام الواحد يورث الملالة (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا (وقالت) الحكماء لاتنال الراحة الا بالتعب ولاتدرك الدعة الا بالنصب وقال حبيب

بصرت بالحالة العليا فلم ترها * تنال الا عـلى جسر من التعب

(وقال أيضا)
على انى لم أحوو فرا مجمعا * ففزت به الا بشمـل مبدد
ولم تعطنى الايام يوما مسكنا * ألذ به الا بيـوم مشرد

(وقال أيضا)
وركب كاطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه
لامر عليهـم أن يتم صـدوره * وليس عليهـم أن تتم عواقبـه

وبعد فهل يجوز فى وهم أو يتمثل فى عقل أو يصح فى قياس أن يحصد زرع بغير بذر أو تجنى ثمرة بغير غرس أو يورى زند بغير قدح أو يثمر مال بغير طلب (ولهذا) قال الخليل بن أحمد لاتصل الى ماتحتاج اليه الا بالوقوف على مالا تحتاج اليه فقال له أبو شمس المتكلم فقـد احتجت اذا الى مالا تحتاج اليـه اذ كنت لاتصل الى ماتحتاج اليـه الا به قال الخليل ويحك وهـل يقطع السيف الحسام الا بالضرب أو يجرى الجواد الا بالركض أو هل تنال نهاية أو تدرك غاية الا بالسعى اليها والا يضاع نحوها وقد يكون الاكداء مع الكد والخيبة مع الخبيبة وقال الشاعر

ومازلت أقطع عرض البلاد * من المشرقـين الى المغـربين
وأدرع الخوف تحت الرجاء * واستصحب الجدى والفرقدين
وأطوى وانشر ثوب الهـموم * الى أن رجعت بخفى حنـين
الى أن أكون عـلى حالة * مقلا من المـال صفر اليـدين
فقـيرا الصديق غنى العـدو * قليل الجـداوى الى الوالدين

ومثـل هـذا قليل فى كثير وانمـا يحكم بالاعم والاغلب والنجح مع الطلب والحرمان للعجز اصحب (وقد) شرح حبيب هذا المعنى فقال

هم الفتى فى الارض أغصان الغنى * غرست وليست كل حين تورق

(وقال اسمعيل بن ابراهيم الحمدونى فى المطالب)

لك الحاظ كالال مراض * غير أن الطرف عنها أكل * وأرى خديك وردا نضيرا
قد جلاه من دموعى طل * عذبة الالفاظ لو لم يشنها * كره تفنيـدى بعى يظـل
ان عيرى الـتى أبقت لى * من سواها كثرها الى قل * ظلت فى افناء ظلك حتى
ظل فوقى للخطوب أطل * أنا أولى منك بى لاعرام * لايحل الهول حيث يحل
مامقامى وحسامى قاطع * وسـنانى صارم مايفل * ولسانى مثل روضة حزن
أضحكتها ديمـة تستهل * ودليل بين فكى يعـلو * كل صعب ريض فيـذل
ثملا من خمرة الفخر اسقى * نهـلا من بعـده لى عل * ان يكن قربك عندى حاليا
فأقل الحزم منه أجـل * اقعـدا للقعيـدة الغنا * كل الف بى لعدمى محـل
ويك ليس الليث بالليل يضحى * مخرجا من عـثرة وهو كل * فاترك عيبا ولوما ودعى
وعلى الاقتار عينيك سجل * هو سيـف غمـده بردتاه * ينتضيه الحزم حين يسل
لايشك السمع حـين يراه * انه بالـيـد سمـع أزل * بين توبيه أحوعزمات
يتقيها الحادث المعضل * ليس تنبو بى رجال وبيد * أن ثيابى منزل ومحل
فأقلى بعض عـذل مقل * لايرى صرف الزمان يفل * ان وجدا العيش أثمار رزق
يجتنيها المسهب المشعـل * لاتفـلى حـد غرامى بلوم * انى للعـزم والدهر فل

يفرق مالى من طريف وتالد
تفوقى الصهباء من حلب الكرم
وانى لأبنى الوصـل من حيث يبتغى
وتعلم قوسى حين أنزع من ارمى
(وروى) أبو هفان قال كان أبو عبد الله محمد بن زياد الاعرابى يطعن عـلى أبى نواس ويعيب شعره ويضعفه ويستلينه فجمعه مع بعض رواة شعر أبى نواس مجلس والشيخ لايعرفه فقال له صاحب أبى نواس أتعرف أعزك الله احسن من هـذا وأنشـده صفة كرا الطرف الابيات فقال لا والله فلمن هو قال للذى يقول
رسم الـكرى بين الجفون محيل
عفى عليه بكا عليك طويل
يا ناظرا ما أقلعت لحظاته
حتى تشحط بينهن قتيل
فطرب الشيخ وقال ويحك لمن هذا فوالله ماسمعت أجود منه القديم ولا لمحدث فقال لا أخبرك أو تكتبه فكتبه وكتب الاول فقال الذى يقول
ركب تساقوا على الاكوار بينهم
كأس الكرى فانتشى المسقى والساقى
كان أرؤسهم والنوم واضعها
على المنا كب لم تخلق باعناق
ساروا فلم يقطعوا عقدا لراحلة
حتى أناخوا اليكم قبل أشواق
من كل جائلة الطرفين ناجية
مشتاقة حملت أوصال مشتاق
فقال لمن هذا وكتبه فقال للذى تذمـه وتعيب شـعره أبى على الحكمى قال اكتم على فوالله لا أعود لذلك أبدا أخذ قوله
كأن أرؤسهم والنوم واضعها

فالفتى من ليس يرعى جاده * طمعا يوما له مستنزل * من اذا خطب أظل عليه
فله صبر عليه مظل * يصحب الليل الوليد الى أن * يهرم الليل وما أن عل
ويرى الليل يابلج منه * مضغة الكتها لاتضل * شمرت أثوابه تحت ليل
ثوبه ضاف عليه ورقل * سأضيع النوم كيما تريني * ومضيق معظم لي مجل
فابتناء العز هدم نهاري * وانحلال العزم سير وحل

{ باب التماس الرزق ومايعود على الاهل والولد }

قال النبي صلى الله عليه وسلم العائد على أهله وولده كالمجاهد المرابط فى سبيل الله (وقال) صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول (وقال عمر بن الخطاب) لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وان الله تعالى انما يرزق الناس بعضهم من بعض وتلى قول الله جل وعلا فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (وقال محمد بن ادريس الشافعي) احرص على ماينفعك ودع كلام الناس فانه لا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة (ومثله) قول مالك بن دينار من عرف نفسه لم يضره ماقال الناس فيه (قال طاهر بن عبد العزيز) اخبرنا على بن عبد العزيز قال أنشدنا أبو عبيد القاسم بن سلام لاينقص الكامل من كماله * ماساق من خير الى عياله

(وقال عمر بن الخطاب) يامعشر القراء التمسوا الرزق ولا تكونوا عالة على الناس (وقال أكثم بن صيفي) من ضيع زاده اتكل على زاد غيره (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم خيركم من لم يدع آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته (وقال عمرو بن العاص) اعمل لدنياك عمل من يعيش أبدا واعمل لآخرتك عمل من يموت غدا (وذكر) رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد فى العبادة والقوة على العمل وقالوا صحبناه فى سفر فما رأينا بعدك يارسول الله أعبد منه كان لا ينفتل من صلاة ولا يفطر من صيام قال النبي صلى الله عليه وسلم فمن كان يمونه ويقوم به قالوا كلنا قال كلكم أعبد منه (ومر المسيح) برجل من بنى اسرائيل يتعبد فقال ما تصنع قال أتعبد قال ومن يقوم بك قال أخي قال أخوك أعبد منك (وقد جعل) الله طلب الرزق مقصورا على الخلق كله من الانس والجن والطير والهوام منهم بتعليم ومنهم بالهام وأهل التحصيل والنظر يطلبونه باحسن وجوه من التصرف والتحرز واهل العجز والكسل يطلبونه باقبح وجوهه من السؤال والاتكال والخلابة والاحتيال

{ باب فضل المال }

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا (وقال النبي صلى الله عليه وسلم) للمجاشعي ان كان لك مال فلك حسب وان كان لك خلق فلك مروأة وان كان لك دين فلك كرم (وقال عمر بن الخطاب) حسب الرجل ماله وكرمه دينه ومروأته خلقه (وفى كتاب الادب) للجاحظ اعلم أن تثمير المال آلة للمكارم وعون على الدين وتأليف للاخوان وان من فقد المال قلت الرغبة اليه والرهبة منه ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس به فاجهد جهدك كله فى ان تكون القلوب معلقة منك برغبة أو رهبة فى دين أو دنيا (وقال حكيم لابنه) يابنى عليك بطلب المال فلو لم يكن فيه الا أنه عز فى قلبك وذل فى قلب عدوك لكفى (وقال عبد الله بن عباس) الدنيا العافية والشباب الصحة والمروأة الصبر والكرم التقوى والحسب المال (وكان سعد بن عبادة) يقول اللهم ارزقني جهدا ومجدا فانه لا مجد الا بفعال ولا فعال الا بمال (وقالت الحكماء) لاخير فيمن لايجمع المال يصون به عرضه ويحمى به مروأته ويصل به رحمه (وقال عبد الرحمن بن عوف) ياحبذا المال أصون به عرضى وأتقرب به الى ربى (وقال سفيان الثورى) المال سلاح المؤمن فى هذا الزمان (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم نعم العون على طاعة الله الغنى ونعم السلم الى

طاعة

أبو العباس بن المعتز فقال يصف شربا

كأن أباريق اللجين لديهم
ظباء بأعلى الرقتين قيام
وقد شربوا حتى كأن رؤسهم
من اللين لم يخلق لهن عظام
البيت الاول من هذين من قول علقمة بن عبدة
كأن ابريقهم ظبي على شرف
مفدم بسبا الكتان ملثوم
ملثوم أراد بسبائب فحذف وقد أحسن مسلم بن الوليد فى قوله
ابريقنا سلب الغزالة جيدها
وحكى المدير بمقلتيه غزالا
يسقيك بالالحاظ كأس صبابة
ويديرها من كفه جريالا
وأنشد الحرث بن خالد أبياته
* انى وما نحروا غداة منى *
لعبد الله بن عمر فلما بلغ الى قوله
لو عرفت معناها بما احتملت
منى الضلوع لاهلها قبل
قال له ابن عمر قل ان شاء الله قال اذا يفسد الشعر يا أبا عبد الرحمن فقال لاخير فى شئ تفسده ان شاء الله (وكان الحرث بن خالد) أحد المجيدين فى التشبيب ولم يكن يعتقد شيأ من ذلك وانما يقوله تظرفا وتخالعا وكان أكثر شعره فى عائشة بنت طلحة فلما قتل عنها مصعب بن الزبير قيل له لو خطبتها قال انى لأكره أن لا يتوهم الناس على انى كنت معتقدا لما أقول فيها وهو القائل
يا أم عمران مازالت ومابرحت
بنا الصبابة حتى مسنا الشفق
القلب تاق اليكم كى يلاقيكم
كما يتوق الى منجاته الغرق
توفيك شيأ قليلا وهى خائفة
كما يمس بظهر الحية الفرق

طاعة الله الغنى وتلا ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقوله استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين (وقال خالد بن صفوان) لابنه يا بنى أوصيك باثنتين لن تزال بخير ما تمسكت بهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك وقال عروة بن الورد

ذرينى للغنى أسعى فانى * رأيت الناس شرهم الفقير
وأحقرهم وأهونهم عليهم * وان أمسى له كرم وخير
يباعده القريب وتزدريه * حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال * يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم * ولكن للغنى رب غفور

وقال آخر

سأكسب مالا أو أموت ببلدة * يقل بها قطر الدموع على قبرى

وقال آخر

سأعمل نص العيش حتى يكفنى * غنى المال يوما أو غنى الحدثان
فللموت خير من حياة يرى لها * على المرء بالاقلال وسم هوان
اذا قال لم يسمع لحسن مقاله * وان لم يقل قالوا عديم بيان
كأن الغنى عن أهله بورك الغنى * بغير لسان ناطق بلسان

(الرياشى قال أنشدنا أبو بكر بن عياش)

حيران يعلم أن المال ساق له * ما لم يسقه له دين ولا خلق
لولا ثلاثون ألفا سقتها بدرا * الى ثلاثين ألفا ضاقت الطرق
فمن يكن عن كرام الناس يسألنى * فأكرم الناس من كانت له ورق

وقال آخر

أجلك قوم حين صرت الى الغنى * وكل غنى فى العيون جليل
ولو كنت ذا فقر ولم تؤت ثروة * ذللت لديهم والفقير ذليل

(وقال محمود الوراق)

أرى كل ذى مال يبر لماله * وان كان لا أصل هناك ولا فضل
فشرف ذوى الاموال حيث لقيتهم * فقولهم قول وفعلهم فعل

(وأنشد أبو ملحم لرجل من ولد قيس بن عاصم)

وكنت اذا خاصمت خصما كببته * على الوجه حتى خاصمتنى الدراهم
فلما تنازعنا الخصومة غلبت * على وقالوا قم فانك ظالم

(وأنشدنى الرياشى)

لم يبق من طلب الغنى * الا التعرض للحتوف * ولاقذفن بمهجتى
بين الاسنة والسيوف * ولاطلبن ولو رأيت الموت يلمع فى الصفوف

(وكان لاحيحة بن الجلاح) بالزوراء ثلثمائة ناضح فدخل بستانا له فمر بتمرة فلقطها فعوتب فى ذلك فقال تمرة الى تمرة تمرات وجمل الى جمل ذود ثم أنشأ يقول

انى مقيم على الزوراء أعمرها * ان الكريم على الاخوان ذو المال
فلا يغرنك ذو قربى وذو نسب * من ابن عم ومن عم ومن خال
كل النداء اذا ناديت يخذلنى * الا ندائى اذا ناديت يا مالى

(ومن قولنا فى هذا المعنى)

دعنى أصن حر وجهى عن رذالته * وان تغربت عن أهلى وعن ولدى
قالوا نأيت عن الاخوان قلت لهم * مالى أخ غير ما تحوى عليه يدى

أخذ هذا الطائى بنفسه فقال

تأبى على التصريد الا نائلا
الا يكن ماء قراحا يمذق
نزرا كما استكرهت عابر نفحة
من فارة المسك التى لم تفتق

وحجت عائشة بنت طلحة فوجه اليها يستأذنها فى الزيارة فقالت نحن حرام فأخر ذلك حتى نحل فلما أحلت أدلجت ولم يعلم فكتب اليها

ما ضركم لو قلتم سددا
ان المنية عاجل غدها
ولها علينا نعمة سلفت
لسنا على الايام نجحدها
لو تممت أسباب نعمتها
تمت بذلك عندنا أيدها
انى واياها كمفتتن
بالنار تحرقه ويعبدها

وابن أبى عتيق هذا هو عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وكان من أفاضل زمانه علما وعفافا وكان أحلى الناس فكاهة وأظرفهم مزاحا وله أخبار مستظرفة سيمر منها ما يستحسن ان شاء الله روى الزبير بن أبى بكر انه دخل على عائشة يعنى بنت طلحة رضى الله عنهما وهى لما بها فقال كيف أنت جعلت فداك قالت فى الموت قال فلا اذن انما ظننت فى الامر فسحة فضحكت وقالت ما تدع مزاحك بحال وفيه يقول عمر بن أبى ربيعة القرشى

ليت شعرى هل أقول لركب
بفلاة هم لديها خشوع
طالما عرستم فاستقلوا
حان من نجم الثريا طلوع
ان همى قد نفى النوم عنى

(صنوف المال) قال معاوية لصعصعة بن صوحان انما أنت هاتف بلسانك لا تنظر فى أود الكلام ولا فى استقامته فان كنت تنظر فى ذلك فأخبرنى عن أفضل المال فقال والله يا أمير المؤمنين انى لادع الكلام حتى يختمر فى صدرى ثم أذهب به ولا الهف فيه حتى أقيم أوده وأحبر متنه وان أفضل المال لبرة سمراء فى تربة غبراء أو نعجة صفراء فى نبعة خضراء أو عين خوارة فى أرض خوارة قال معاوية لله أنت فأين الذهب والفضة قال حجران يصطكان ان أقبلت عليهما نفدا وان تركتهما لم يزيدا (وقيل لاعرابية) ما تقولين فى مائة من المعز قالت قنى قيل لها فمائة من الضأن قالت غنى قيل لها فمائة من الابل قالت منى (وقال عبد الله بن الحسن) غلة الدور مسألة وغلة النخل كفاف وغلة الحب ملك (وفى الحديث) أفضل اموالكم فرس فى بطنها فرس تتبعها فرس وعين ساهرة لعين نائمة وأنشد فرج ابن سلام لبعض العراقيين

ولقد أقول لصاحب نصحا له * خل العروض و بع لنا ارضا
انى رأيت الارض يبقى نفعها * والمال يأكل بعضه بعضا
واحذر أناسا يظهرون محبة * وعيونهم وقلوبهم مرضى
حتى اذا امكنتهم من فرصة * تركوا الخداع وأظهروا البغضا

(تدبير المال) قالوا الاخرق ولا عيلة على مصلح وخير المال ما أطعمك لا ما أطعمته (وقال صاحب كليلة ودمنة) لينفق ذو المال ماله فى ثلاثة مواضع فى الصدقة ان أراد الآخرة وفى مصانعة السلطان ان أراد الذكر وفى النساء ان اراد العيش وقال ان صاحب الدنيا يطلب ثلاثة ولا يدركها الا بأربعة فاما الثلاثة التى تطلب فالسعة فى المعيشة والمنزلة فى الناس والزاد الى الآخرة وأما الاربعة التى تدرك بها هذه الثلاثة فاكتساب المال من أحسن وجوهه وحسن القيام عليه ثم التثمير له ثم انفاقه فيما يصلح المعيشة و يرضى الاهل والاخوان ويعود فى الآخرة نفعه فان أضاع شيأ من هذه الاربعة لم يدرك شيأ من هذه الثلاثة ان لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به وان كان ذا مال واكتساب ولم يحسن القيام عليه يوشك أن يفنى و يبقى بلا مال وان هو أنفقه ولم يثمر لم يمنعه الانفاق من سرعة النفاد كالكحل الذى انما يؤخذ منه على الميل مثل الغبار ثم هو مع ذلك سريع نفاده وان هو اكتسب وأصلح وثمر ولم ينفق الاموال فى أبوابها كان بمنزلة الفقير الذى لا مال له ثم لا يمنع ذلك ماله من أن يفارقه ويذهب حيث لا منفعة فيه كحابس الماء فى الموضوع الذى تنصب فيه المياه ان لم يخرج منه بقدر ما يدخل فيه تفصل وسال من نواحيه فيذهب المال ضياعا (وهذا نظير) قول الله تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقوله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (ونظر عبد الله بن عباس) الى درهم بيد رجل فقال له انه ليس لك حتى يخرج من يدك يريد أنه لا ينتفع به حتى ينفقه ويستفيد غيره مكانه قال الحطيئة

مفيد ومتلاف اذا ما سألته * تهلل واهتز اهتزاز المهند

(وقال مسلم بن الوليد)

لا يعرف المال الا ريث ينفقه * أو يوم يجمعه للنهب والبدد

(وقال آخر) * مهلك مال ومفيد مال * (وقال سفيان الثورى) من كان فى يده شئ فليصلحه فانه فى زمان ان احتاج فيه فأول ما يبذله فى دينه وقال المتلمس

وحبس المال أيسر من فناه * وضرب فى البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبقى الكثير مع الفساد

(سعد القصير) قال ولانى عتبة أمواله بالحجاز فلما ودعته قال لى يا سعد تعاهد صغير مالى ولا تضيع كثيره فيصغر فانه ليس يشغلنى كثير ما عندى عن اصلاح كثير مالى ولا يغنى قليل ما فى يدى الصبر على

وحدث النفس منى ولوع
قال لى فيها عتيق مقالا
فجرت مما يقول الدموع
قال لى ودع سليمى ودعها
فأجاب القلب لا أستطيع
لا تلمنى فى اشتياقى اليها
وابك لى مما تجن الضلوع
قال أبو العباس محمد بن يزيد قوله * حان من نجم الثريا طلوع * كناية وانما يريد الثريا بنت على ابن عبد الله بن الحرث بن أمية الاصغر وكانت موصوفة بالجمال وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن ابن عوف الزهرى فنقلها الى مصر وفى ذلك يقول عمر وضرب لهما المثل بالنجمين
أيها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت
وسهيل اذا استقل يمان
فمات سهيل عنها أو طلقها فخرجت الى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة بدمشق تطلب فى دين عليها فبينا هى عند أم البنين ابنة عبد العزيز اذ دخل الوليد فقال من هذه عندك قالت الثريا جاءتك تطلب فى دين اركبها فأقبل الوليد عليها فقال أتروين من شعر عمر بن أبى ربيعة شيأ قالت نعم اما انه رحمه الله كان عفيفا عفيف الشعر أروى له قوله
ما على الرسم بالبليين لو بيـ
ـين رجع السلام أو لو أجابا
فالى قصر ذى العشيرة بالصا
ئف أمسى من الانيس يبابا
ربما قد أرى به حى صدق
ظاهرى العيش نعمة وشبابا
وحسانا جواريا خفرات

كثيرما بنو بنى قال فقدمت المدينة فحدثت بها رجالات قريش ففرقوا بها الكتب على الوكلاء

(الاولال) قال ارسطاطاليس الغنى فى الغربة وطن والمقل فى أهل غريب * أخذه الشاعر فقال

لعمرى ما الغريب بذى التنائى * ولكن المقل هو الغريب

اذا ما المرء اعوز ضاق ذرعا * بحاجته وأبعده القريب

(بيتان مكتوبان بالذهب)

فكل مقل حين يغدو لحاجة * الى كل من يلقى من الناس مذنب

وكان بنو عمى يقولون مرحبا * فلما رأونى مقترا مات مرحب

(ومن قولنا فى هذا المعنى)

اعاذل قد الامت ويلك فلومى * وما بلغ الاشراك ذنب عديم

لقد اسقطت حقى عليك صبابتى * كما اسقط الافلاس حق غريم

وأعذر من أدمى الجفون من البكا * كريم رأى الدنيا بكف لئيم

أرى كل قدم قد تبجح فى الغنى * وذو الطرف لا تلقاه غير عديم

(وقال الحسن بن هانئ)

الحمد لله ليس لى نشب * خف ظهرى وملنى ولدى

من نظرت عينه الى فقد * أحاط علما بما حوته يدى

(وكان) أبو الشمقمق الشاعر أديبا ظريفا محارفا صعلوكا متبرما قد لزم بيته فى اطمار مسحوقة وكان اذا استفتح عليه أحد بابه خرج فنظر من فرج الباب فان أعجبه الواقف فتح له والا سكت عنه فأقبل اليه بعض اخوانه فدخل عليه فلما رأى سوء حاله قال له ابشر أبا الشمقمق فانا روينا فى بعض الحديث ان العارين فى الدنيا هم الكاسون يوم القيامة قال ان كان والله ما تقول حقا لاكونن بزازا يوم القيامة ثم أنشأ يقول

انا فى حال تعالى الله ربى أى حال * ليس لى شئ اذا قيل لمن ذا قلت ذالى

ولقد أهزلت حتى * محت الشمس خيالى * ولقد أفلست حتى * حل أكلى لعيالى

من رأى شيأ محالا * فأنا عين المحال * فى حريم الله طرا * من نساء ورجال

لو ارى فى الناس حرا * لم أكن فى ذا المثال

وقال أيضا

أترانى ارى من الدهر يوما * لى فيه مطية غير رجلى

كلما كنت فى جموع فقالوا * قربوا للرحيل قربت نعلى

حيثما كنت لا أخلف رحلا * من رآنى فقد رآنى ورحلى

وقال أيضا

لو قد رأيت سريرى كنت ترحمنى * الله يعلم مالى فيه تلبيس

والله يعلم مالى فيه شابكة * الا الحصيرة والاطمار والديس

وقال أيضا

برزت من المنازل والقباب * فلم يعسر على أحد حجابى

فمنزلى الفضاء وسقف بيتى * سماء الله أو قطع السحاب

فانت اذا اردت دخلت بيتى * على مسلما من غير باب

لانى لم ادع مصراع باب * يكون من السحاب الى التراب

ولا انشق الثرى عن عود تخت * أؤمل ان اشد به ثيابى

ولا خفت الاباق على عبيدى * ولا خفت الهلاك على دوابى

ولا حاسبت يوما قهرمانا * محاسبة فأغلط فى حسابى

وفى ذا راحة وفراغ بال * فدأب الدهر ذا ابدا ودابى

(وفى كتاب للهند) ما التبع والاخوان والاهل والاصدقاء والاعوان والحشم الامع المال ومارى

حافظات عند الهوى الاحسابا

لا يكثرن بالحديث ولا ينـ

ـعقن ينعقن بالبهام الظرابا

فلما خلا الوليد بأم البنين قال لله در الثريا أتدرين ما أرادت بانشادها ما أنشدت من شعر عمر قالت لا قال فانى لما عرضت لها بعمر عرضت لى بان أمى اعرابية وأم الوليد ولادة ابنة العباس بن جزء بن الحرث بن زهير العبسى وهى أم سليمان ولا نعلم امرأة ولدت خليفتين فى الاسلام غيرها وغير الخيزران وهى سبية من خرشنة ولدت موسى الهادى وهرون الرشيد ابنى محمد المهدى وشاه سفرم بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار ابن كسرى ابرويز فانها ولدت للوليد بن عبد الملك يزيد بن الوليد الناقص وابراهيم بن الوليد المخلوع جلس فى الخلافة بعد أخيه يزيد مدة يسيرة ثم جاء مروان بن محمد بن مروان آخر ملوك بنى أمية فخلعه وولى بعده (وشبيه) بقول الثريا فى باب التعريض انه دخلت عزة على عبد الملك بن مروان فقال لها أنت عزة كثير قالت أنا أم بكر الضمرية قال لها يا عزة هل تروين من شعر كثير شيأ قالت ما أعرفه ولكن سمعت الرواة ينشدون له

قضى كل ذى دين فوفى غريمه

وعزة ممطول معنى غريمها

قال فتروين قوله

وقد زعمت انى تغيرت بعدها

ومن ذا الذى يا عز لا يتغير

تغير حالى والخليقة كالذى

عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

المروأة بظهره الا المال ولا الرأي والقوة الا بالمال ووجدت من لا مال له اذا اراد ان يتناول امرا قعد
به العدم فيبقى مقصرا عما أراد كالماء الذي يبقى في الاودية من مطر الصيف فلا يجري الى بحر ولا نهر
بل يبقى مكانه حتى تنشفه الارض ووجدت من لا اخوان له لا أهل له ومن لا ولد له لا ذكر له ومن
لا عقل له لا دنيا له ولا آخرة له ومن لا مال له لا شئ له لان الرجل اذا افتقر رفضه اخوانه وقطعه ذوو رحمه
وربما اضطرته الحاجة لنفسه وعياله الى التماس الرزق بما يغرر فيه بدينه ودنياه فاذا هو قد خسر الدنيا
والآخرة فلا شئ أشد من الفقر والشجرة النابتة على الطريق المأكولة من كل جانب أمثل حالا من
الفقير المحتاج الى ما في ايدي الناس والفقر داع صاحبه الى مقت الناس ومتلف للعقل والمروأة
ومذهب للعلم والأدب ومعدن للتهمة ومجمع للبلايا ووجدت الرجل اذا افتقر اساء به الظن من
كان له مؤتمنا وليس من خصلة هي للغني مدح وزين الا وهي للفقير ذم وشين فان كان شجاعا قيل اهوج
وان كان جوادا قيل مفسد وان كان حليما قيل ضعيف وان كان وقورا قيل بليد وان كان صموتا قيل
عيي وان كان بليغا قيل مهذار فالموت أهون من الفقر الذي يضطر صاحبه الى المسألة ولا سيما مسألة
اللئام فان الكريم ان يدخل يده في فم تنين و يخرج منه سما فيبتلعه كان أخف عليه من مسألة اللئيم
﴿السؤال﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم لأن يأخذ أحدكم احبله فيحتطب بها على ظهره أهون
عليه من ان يأتي رجلا اعطاه الله من فضله فيسأله اعطاه أو منعه (وقالوا) من فتح على نفسه بابا من
السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر (وقال اكثم بن صيفي) كل السؤال وان قل أكثر من
كل نوال وان جل (ورأى) علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رجلا يسأل بعرفات فقنعه بالسوط وقال
ويلك في مثل هذا اليوم تسأل أحدا غير الله (وقال عبد الله بن عباس) المساكين لا يعودون
مريضا ولا يشهدون جنازة ولا يحضرون جمعة واذا اجتمع الناس في أعيادهم ومساجدهم يسألون الله
من فضله اجتمعوا يسألون الناس ما في أيديهم (وقال النعمان بن المنذر) من سأل فوق حقه استحق
الحرمان ومن ألحف في مسئلته استحق المطل والرفق يمن والخرق شؤم وخير السخاء ما وافق الحاجة
وخير العفو مع المقدرة (وقال شريح) من سأل حاجة فقد عرض نفسه على الرق فان قضاها المسؤل
منه استعبده بها وان رده عنها رجع كلاهما ذليلا هذا بذل البخل وذاك بذل الرد وقال حبيب

ذل السؤال شجى في الحلق معترض * من دونه شرق من خلفه جرض
ما ماء كفك ان جادت وان بخلت * من ماء وجهي ان أفنيته عوض

(الحسني) قال قال ابو غسان أخبرني أبو زيد قال سأل سائل بمسجد الكوفة وقت الظهر فلم يعط شيأ
فقال اللهم انك بحاجتي عالم لا تعلم أنت الذي لا يئوزك نائل ولا يحفيك سائل ولا يبلغ مدحك قائل
أسألك صبرا جميلا وفرجا قريبا وبصرا بالهدى وقوة فيما تحب وترضى فتبادروا اليه يعطونه فقال والله
لا رزأتكم الليلة شيأ ثم خرج وهو يقول

ما نال باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو نال الغنى بسؤال
واذا النوال مع السؤال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

(وقال مسلم بن الوليد)

سل الناس اني سائل الله وحده * وصائن عرضي عن فلان وعن فلان

وقال عبيد بن الابرص من سأل الناس يحرموه * وسائل الله لا يخيب

(وقال ابن أبي حازم)

لطي يوم وليلتين * ولبس ثوبين باليين * أهون من منة لقوم
اغض منها جفون عيني * اني وان كنت ذا عيال * قليل مال كثير دين
لاحمد الله حين صارت * حوائجي بينه وبيني

قالت ما سمعت هذا ولكن
سمعتهم ينشدون
كأني أناذي صخرة حين
أعرضت
من الصم لو تمشي بها العصم زلت
صفوح فما تلقاك الا بخيلة
فمن مل منها ذلك الوصل ملت
قال وكل ما ذكر ابن أبي ربيعة
في شعره من عتيق أو ابي عتيق
فانما يريد ابن أبي عتيق وكان
عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة واسم
أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة بن
عبد الله بن عمر بن مخزوم ويكنى
ابا الخطاب امه ام ولد سبية
من حضرموت ويقال من حمير
ومن ثم اتاه الغزل لانه يقال
عشق يمان ودل حجازي (قال
اسحق بن ابراهيم الموصلي)
ان قلبي بالتل تل عزاز
مع ظبي من الظباء الجوازي
شادن لم ير العراق وفيه
مع ظرف العراق دل الحجاز
(وقال الطائي وذكر نفسه)
قد ثقفت منه الحجاز وسهلت
منه العراق ورققته المشرق
(وهجرت الثريا عمر فقال)
قال لي صاحبي ليعلم ما بي
أتحب القتول أخت الرباب
قلت وجدي بها كوجدك بالما
ء اذا ما فقدت برد الشراب
ارهقت ام نوفل اذ دعتها
مهجتي ما لقاتلي من متاب
أبرزوها مثل المهاة تهادى
بين خمس كواعب اتراب
وهي مكنونة تحير منها
في اديم الخدين ماء الشباب
ثم قالوا تحبها قلت بهرا
عدد الرمل والحصى والتراب

(ومن قولنا في هذا المعنى)

سؤال الناس مفتاح عتيد * لباب الفقر فاكلف بالسؤال

(سؤال السائل من السائل) مدح أبو الشمقمق مروان بن أبي حفصة فقال له أبا الشمقمق أنت شاعر وأنا شاعر وغايتنا كلنا السؤال (وذكر) اعرابي رجلا بالسؤال فقال انه أسأل من ذي عضوين (وقال حبيب) لم يخلق الرحمن أحمق لحية * من سائل يرجو الغنى من سائل

(الاصمعي) عن عيسى بن عمر النحوي قال قدمت من سفر فدخل على ذو الرمة الشاعر فعرضت لان أعطيه شيأ فقال أنا وأنت نأخذ ولا نعطي * (الشيب) * قال قيس بن عاصم الشيب خطام المنية وقال غيره الشيب نذير الموت وقال النميري الشيب عنوان الكبر (وقال) المعتمر بن سليم الشيب موت الشعر وموت الشعر علة لموت البشر (وقال) اعرابي كنت أنكر البيضاء فصرت أنكر السوداء فيا خير مبدل و ياشر بدل (وقيل) للنبي صلى الله عليه وسلم عجل عليك الشيب يارسول الله قال شيبتني هود وأخواتها (وقيل) لعبد الملك بن مروان عجل عليك الشيب ياأمير المؤمنين قال شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن (وقيل) لرجل من الشعراء عجل عليك الشيب فقال وكيف لا يعجل وأنا أعصر قلبي في عمل لا يرجى ثوابه ولا يؤمن عقابه (وقال حبيب الطائي)

غدا الشيب مختطا بفودي خطة * طريق الردى منها الى النفس مهيع

هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى * وذو الالف يقلى والجديد يرقع

له منظر في العين أبيض ناصع * ولكنه في القلب أسود أسفع

(وقال محمود الوراق)

بكيت لقرب الاجل * وبعد فوات الامل * ووافد شيب طرا

بعقب شباب رحل * شباب كأن لم يكن * وشيب كأن لم يزل

(وقال أيضا)

لا تطلبن أثرا بعين * فالشيب احدى الميتتين * ابدى مقابح كل شين

ومحا محاسن كل زين * فاذا رأتك الغانيا * ت رأين منك غراب بين

ولربما نافسن فيـ * ـك وكن طوعا لليدين * أيام عمك الشبا

ب وأنت سهل العارضين * حتى اذا نزل المشيـ * ـب وصرت بين عمامتين

سوداء حالكة وبيـ * ـضاء المناشر كاللجين * مزج الصدود وصالهـ

ـن فكن امرا بين بين * وصبرن ما صبر السوا * د على ممانعة ودين

حتى اذا شمل المشيـ * ـب مغارز قطر الحاجبين * فنقبن عن تقية

وأخذن منك الاطيبين * فاقن الحيا أو سل نفـ * ـسك أو فناء الفرقدين

ولئن أصابتك الخطو * ب بكل مكروه وشين * فلقد أمنت بان يصيـ

ـبك ناظر أبدا بعين

(وقال حبيب الطائي)

نظرت الى بعين من لم يعدل * لما تمكن حبها من مقتلي * لما رأت وضح المشيب بلمتي

صدت صدود مجانب متحمل * فجعلت أطلب وصلها بتلطف * والشيب يغمزها بان لا تفعلي

وقال آخر صدت امامة لما جئت زائرها * عني بمطروفة انسانها غرق

وراعها الشيب في رأسي فقلت لها * كذاك يصفر بعد الخضرة الورق

(وقال محمد بن أمية)

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي * فأعرضن عني بالخدود النواضر

ولما بلغ ابن أبي عتيق قوله

من رسولي الى الثريا فاني

ضقت ذرعا بهجرها والكتاب

قال اياي أراد وبي هتف وتوه لا جرم لا ذقت طعاما أو اشخص اليها وأصلح بينهما فقال مولى لبني تيم فنهض ونهضت معه ثم خرج الى السوق الى الضمريين فأتى قوما من بني الديل بن بكر يكرون النجائب فقال بكم تكروني راحلتين الى مكة قالوا بكذا وكذا درهما فقلت لبعض التجار استوضعوا شيأ فقال ابن أبي عتيق ويحك ان المكاس ليس من أخلاق الناس ثم ركب واحدة وركبت أخرى وأجد السير فقلت ارفق بنفسك فقال ويحك

أبادر حبل الوصل أن يتقضبا

وما أملح الدنيا اذا تم الوصل

بين عمر والثريا فقدم مناملة وأتى باب الثريا فقالت والله ما كنت لنا زوارا فقال أجل ولكن جئت برسالة يقول لك ابن عمك عمر

ضقت ذرعا بهجرها والكتاب

فلامه عمر فقال ابن أبي عتيق انما رأيتك مبادرا تلتمس رسولا فخففت في حاجتك فانما كان ثوابي ان اشكر (ووصف) ابن أبي عتيق لعمر امرأة من قومه وذكر جمالا رائعا وعقلا فائقا فرآها عمر فشبب بها فغضب ابن أبي عتيق وقال تشبب بامرأة من قومي فقال عمر

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي

ان بي يا عتيق ما قد كفاني

ان بي مضمرا من الحب قد أبـ

ـلى عظامي مكنونه وبراني

وكن اذا أبصرتني أو سمعن بي * دنين فرفعن الكرا بالمحاجر

وقال العلوي
عيرتني بشيب رأسي نوار * يا ابنة العم ليس في الشيب عار
انما العار في الفرار من الزحف اذا قيل أين أين الفرار

(ومن قولنا في الشيب)

بدا وضح المشيب على عذاري * وهل ليل يكون بلا نهار * شريت سواد ذا ببياض هذا
فبدلت العمامة بالخمار * وابسني النهى ثوبا جديدا * وجردني من الثوب المعار
ومابعت الهوى بيعا بشرط * ولا استثنيت فيه بالخيار

(ومن قولنا فيه)

قالوا شبابك قد ولى فقلت لهم * هل من جديد على كر الجديدين
صل من هويت وان أبدى معاتبة * فاطيب العيش وصل بين الفين
واقطع حبائل خدن لاتلائمه * فربما ضاقت الدنيا على اثنين

ومن قولنا فيه
جار المشيب على رأسي فغيره * لما رأى عندنا الحكام قد جاروا
كانما جن ليل في مفارقه * فاعتاقه من بياض الصبح اسفار

ومن قولنا فيه
سواد المرء تنفده الليالي * وان كانت تصير الى نفاد
فاسوده يعود الى بياض * وأبيضه يعود الى سواد

(ومن قولنا أيضا)

أطلال لهوك قد أقوت مغانيها * لم يبق من عهدها الا أثافيها
هذي المفارق قد قامت شواهدها * على فنائك والدنيا تزكيها
الشيب سفتجة فيها معنونة * لم يبق للموت الا أن يسحيها

(ومن قولنا أيضا)

نجوم في المفارق ماتغور * ولا يجري بها فلك يدور * كأن سواد لمته ظلام
أغار من المشيب عليه نور * الا ان القتير وعيد صدق * لنا لو كان يزجرنا القتير
نذير الموت أرسله الينا * فكذبنا بما جاء النذير * وقلنا للنفوس لعل عمرا
يطول بنا وأطوله قصير * متى كذبت مواعدها وخانت * فأولها وآخرها غرور
لقد كاد السلو يميت شوقي * ولكن قلما فطم الكبير * كاني لم أرق بل لم يرقني
شموس في الاهلة أو بدور * ولم ألق المنى في ظل لهو * بأقمار سحائبها الستور

(الشباب والصحة) قال أبو عمرو بن العلاء ما بكت العرب شيأ مابكت على الشباب ومابلغت به ما يستحقه (وقال) الاصمعي أحسن انماط الشعر المراثي والبكاء على الشباب (وقيل) لكثير عزة ماتقول الشعر قال ذهب الشباب فما أطرب ومات عبد العزيز فما ارغب (وقال) عبد الله بن عباس الدنيا العافية والشباب الصحة (وقال محمود الوراق)

أليس عجيبا بأن الفتى * يصاب ببعض الذي في يديه * فمن بين باك له موجع
و بين معز مقد اليه * ويسلبه الشيب شرخ الشباب * فليس يعزيه خلق عليه

(وقال ابن أبي حازم)

ولى الشباب فلي الدمع منهمل * فقد الشباب بفقد الروح متصل
لاتكذبن فما الدنيا بأجمعها * من الشباب بيوم واحد بدل

وقال جرير
ولى الشباب حميدة أيامه * لو كان ذلك يشترى أو يرجع

لاتلمني وأنت زينتها لي فقال ابن أبي عتيق أنت مثل الشيطان للانسان فقال عمر هكذا ورب الكعبة قلت فقال ابن أبي عتيق ان شيطانك ورب القبر ربما ألم بي * وحجت رملة بنت عبد الله بن خلف أخت طلحة الطلحات فقال عمر فيها

أصبح القلب في الحبال رهينا
مقصدا يوم فارق الظاعنينا
ولقد قلت يوم مكة سرا
قبل وشك من بينكم نولونا
أنت أهوى العباد قربا و بعدا
لو تواتين عاشقا محزونا
قاده الحين يوم سرنا الى الحي
ن حمارا ولم يخف أن يحينا
فاذا نعجة تراعي نعاجا
ومهى نجل النواظر عينا
فسبتني بمقلة وبجيد
وبوجه يضيء للناظرين
قلت من أنتم فصدت وقالت
أمبد سؤالك العالمينا
قلت بالله ذي الجلالة لما
ان تبلت الفؤاد أن تصدقينا
أي من تجمع المواسم أنتم
فأبيني لنا ولا تكذبينا
فرأت حرص الفتاة فقالت
أخبر به بعلم ما تكتمينا
نحن من ساكني العراق وكنا
قبلها قاطنين مكة حينا
قد صدقناك اذ سألت فمن أنـ
ـت عسى أن يجر شأن شؤونا
ونرى أننا عرفناك بالنعـ
ـت ظنونا وما قتلنا يقينا
بسواد الثنيتين ونعت
قد نراه لناظر مستبينا
قولها وكنا قبلها قاطنين مكة حينا أرادت اذا كانت مكة

(وقال صريع الغواني)

واهاً لايام الصبا وزمانه * لو كان أسعف بالمقام قليلا
سل عيش دهر قد مضت أيامه * هل يستطيع الى الرجوع سبيلا

وقال الحسن
ولذاتي اذ ذاك في طاعة الجهـ ـل وقوتي من الصبا أمراء
ترب عيش لم يطني فضل ذيل * ولرأسي ذؤابة فرعاء
بقناع من الشباب جديد * لم ترقعه بالخضاب النساء
قبل ان يلبس المشيب عذارى * وتبلى عمامتي السوداء

وقال اعرابي
لله أيام الشباب وعصره * لم يستعار جديده فيعار
ما كان أقصر ليله ونهاره * وكذاك أيام السرور قصار

(ومن قولنا في الشباب)

ولى الشباب وكنت تسكن ظله * فانظر لنفسك أي ظل تسكن
ونهى المشيب عن الصبا لو أنه * يدلى بحجته الى من يلقن

(ومن قولنا فيه)
قالوا شبابك قد مضت أيامه * بالعيش قلت وقد مضت أيامي
لله أية نعمة كان الصبا * لو أنها وصلت بطول دوام
حسر المشيب قناعه عن وجهه * وصحا العواذل بعد طول ملام
فكأن ذاك العيش ظل غمامة * وكأن ذاك اللهو طيف منام

وقال آخر
ان شرخ الشباب والشعر الاسـ ـود ما لم يعاص كان جنونا

وقال آخر
قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر

(ومن قولنا في الشباب)

كنت الف الصبا فودعني * وداع من بان غير منصرف
أيام لهوى كظل أسحلة * وذا شبابي كروضة أنف

(ومن قولنا في الشباب)

شبابي كيف صرت الى نفاد * وبدلت البياض من السواد * وما أبقى الحوادث منك الا
كما أبقت من القمر الدآدى * فراقك عرف الاحزان قلبي * وفرق بين جفني والرقاد
فبالنعيم عيش قد تولى * وبالغليل حزن مستفاد * كأني منك لم أربع بربع
ولم أرتد به أحلى مراد * سقى ذاك الثرى وبل الثريا * وغادى نبته صوب الغوادي
فكم لي من غليل فيه خاف * وكم لي من عويل فيه باد * زمان كان فيه الرشد غيا
وكان الغي فيه من الرشاد * يقبلني بذل من قبول * ويسعدني بوصل من سعاد
وأجنبه فيعطيني قيادا * ويجنبني فأعطيه قيادي

(الخضاب) قال النبي صلى الله عليه وسلم غيروا هذا الشيب * وكان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم (وقال) مالك بن أسماء بن خارجة لجارية له اخضبي رأسي ولحيتي فقالت دعني قد عيبت مما أرقعك فقال مالك بن أسماء

عيرتني خلقا أبليت جدته * وهل رأيت جديدا لم يعد خلقا

(ودخل) أبو الاسود الدؤلي على معاوية وقد خضب فقال لقد أصبحت يا أبا الاسود جميلا فلو علقت تميمة فأنشأ أبو الاسود يقول

أفنى الشباب الذي فارقت بهجته * مر الجديدين من آت ومنطلق
لم يبقيا لي في طول اختلافهما * شيأ يخاف عليه لذعة الحدق

لخزاعة وكان آخر من نذ مفتاح الكعبة من خزاعة أبو غبشان فباعه من قصي بزق خمر فقيل في المثل أخسر صفقة من أبي غبشان وكان أبو غبشان اذ باع المفتاح قصيا مريضا قد يئس من نفسه فلما أبل من مرضه لامه قومه وسألوه استرجاعه وذلك الذي هاج الحرب بين خزاعة وقريش فظفر قصي واستولى على مكة وجمع قريشا بها ولذلك سمي مجمعا (قال مطرف الخزاعي)

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

(وقال الطائي)

ولما نضى ثوب الحياة وأوقعت * به نائبات الدهر ما يتوقع
غدا ليس يدري كيف يصنع معدم * ذري دمعه في خده كيف يصنع
ولم أنس سعي الجود خلف سريره * بأكسف بال يستقل ويطلع
وتكبيره خمسا عليه معالنا * وان كان تكبير المصلين أربع
وما كنت أدري يعلم الله قبلها * بأن الندى في أهله يتشيع
غدوا في زوايا نعشه وكأنما * قريش قريش يوم مات مجمع

(وقال الشاعر في أمر قصي وأبي غبشان)

أبو غبشان أظلم من قصي * وأظلم من بني فهر خزاعة
فلا تلحوا قصيا في شراه * ولوموا شيخكم اذ كان باعه

وكان عمر أسود الثنيتين قال مولى ابن أبي عتيق بلال أتيت الثريا مسلما عليها فقالت أنشدني لعمر فأنشدتها

أصبح القلب في الحبال رهينا

(ودخل) معاوية على ابن جعفر يعوده فوجده مفيقا وعنده جارية فى حجرها عود فقال ما هذا يا ابن جعفر فقال هذه جارية أرويها رقيق الشعر فتزيده حسنا بحسن نغمتها قال فلتقل فحركت عودها وغنت وكان معاوية قد خضب

أليس عندك شكر للتى جعلت * ما ابيض من قادمات الريش كالحمم
وجددت منك ما قد كان أخلقه * ريب الزمان وصرف الدهر والقدم

فحرك معاوية رجله فقال له ابن جعفر لم حركت رجلك يا أمير المؤمنين قال كل كريم طروب (وقال محمود الوراق فى الخضاب)

للضيف ان يقرى ويعرف حقه * والشيب ضيفك فاقره بخضاب
وافى بأكذب شاهد ولربما * وافى المشيب بشاهد كذاب
فأزح شهادته عليك بخضبه * تنفى الظنون به عن المرتاب
فاذا دنا وقت المشيب فخله * والشيب يذهب فيه كل ذهاب

وقال آخر

وقائلة تقول وقد رأتنى * أرقع عارضى من القتير
عليك الخطر هل لك ان تدنى * الى بيض ترائبهن حور
فقلت لها المشيب نذير عمرى * ولست مسودا وجه النذير

وقال غيره

ان شيبا صلاحه بخضاب * لعذاب موكل بعذاب
فوحق الشباب لولا وابيض * وان تشهت نفس الكعاب
لأرحت الخدين من وضر الخط * ر وآذنت بانقضاء الشباب

وقال غيره

بكرت تحسن لى سواد خضابى * لكأن ذاك يعيد لى لشبابى
واذا أديم الوجه أخلقه البلى * لم ينتفع فيه بحسن خضاب
ماذا ترى يجدى عليك سواده * وخلاف ما يرضيك تحت ثيابى
ما الشيب عندى والخضاب لمن أصف * الا كشمس جللت بسحاب
تخفى قليلا ثم يقشعها الصبا * فيصير ما سترت به لذهاب

(ومن قولنا فى هذا المعنى)

أصم فى الغواية أم أنابا * وشيب الرأس قد أنضى الشبابا
اذا نصل الخضاب بكى عليه * ويضحك كلما نصل الخضابا
كأن حمامة بيضاء ظلت * تقاتل فى مفارقه غرابا

(فضيلة الشيب) قال النبى صلى الله عليه وسلم من شاب شيبة فى الاسلام كانت له نورا يوم القيامة (وقال) ابن أبى شيبة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن (وقالوا) أول من رأى الشيب ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم فقال يا رب ما هذا قال له هذا الوقار قال رب زدنى وقارا (وقال أبو نواس)

يقولون فى الشيب الوقار لأهله * وشيبى بحمد الله غير وقارى

وقال غيره

يقولون هل بعد الثلاثين ملعب * فقلت وهل قبل الثلاثين ملعب
لقد جل قدر الشيب ان كان كلما * بدت شيبة يعرى من اللهو مركب

(ودخل) أبو دلف على المأمون وعنده جارية وقد ترك الخضاب أبو دلف فغمز المأمون الجارية فقالت شبت أبا دلف انا لله وانا اليه راجعون عليك فسكت أبو دلف فقال له المأمون أجبها أبا دلف فأطرق ساعة ثم رفع رأسه فقال

تهزأت ان رأت شيبى فقلت لها * لا تهزئى من يطل عمر به يشب
شيب الرجال لهم زين ومكرمة * وشيبكن لكن الويل فاكتئبى
فينا لكن وان شيب بدا أرب * وليس فيكن بعد الشيب من أرب

(وقال محمود الوراق)

وعائب عابنى بشيب * لم يعد لما ألم وقته

فقالت الثريا بامه والله لئن سلمت له لأردن من شأوه ولأثنين من عنانه ولأعرفنه نفسه فررت فيها حتى انتهيت الى قوله

قلت من أنتم فصدت وقالت * أمبد سؤالك العالمينا

فقالت أوقد أجابته بهذا أى وقت فلما انتهت الى قوله

ونرى اننا عرفناك بالنعت

قالت جاءت النوكاء بأحمق ما عندها فى موقف واحد وسأله أخوه الحرث وهو المعروف بالقباع وكان من أفاضل أهل دهره أن يترك الشعر ورغب اليه فى ذلك ووعظه فقال أما ما دمت بمكة فلا أقدر ولكنى أخرج الى اليمن فخرج فلما سار الى هناك لم تدعه نفسه وترك الشعر فقال

هيهات من أمة الوهاب منزلنا * اذا نزلنا بسيف البحر من عدن
واحتل أهلك أجيادا وليس لنا * الا التذكر أو حظ من الحزن
بل ما نسيت غداة الخيف موقفها * وموقفى وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا وهى مطرقة * والدمع منها على الخدين ذو سنن
بالله قولى له فى غير معتبة * ماذا أردت بطول المكث فى اليمن
ان كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها * فما أخذت بترك الحج من ثمن

فلما بلغ الشعر الحرث قال قد علمنا أنه لا يفى (وروى سفيان ابن عيينة) عن ابن جريج قال لزمنى دين مرة فضاقت ساحتى وبلادى بى فتوجهت الى معن ابن زائدة باليمن فقال ما أقدمك هذه البلدة قلت دين طردنى عن وطنى قال يقضى دينك

فقلت

فقلت للعائبي بشيبي * ياعائب الشيب لابلغته

(وقال محمود بن مناذر)

لاسلام على الشباب ولا حيا الاله الشباب من معهود
قد لبست الجديد من كل شئ * فوجدت الشباب شر جديد
صاحب ما يزال يدعو الى العيـ * ـب وما من دعا له برشيد
ولنعم المشيب والوازع الشيـ * ـب ونعم المفاد للمستفيد

*(كبرة السن) قيل لاعرابي قد أخذته السن كيف أصبحت فقال أصبحت تقيدني الشعرة وأعثر بالبعرة قد اقام الدهر صعري بعد ان أقمت صعره (وقال) لقد كنت أنكر البيضاء فصرت أنكر السوداء فيا خير مبدول ويا شر بدل (ودخل) المستوغر بن ربيعة على معاوية بن أبي سفيان وهو ابن ثلثمائة سنة فقال كيف تجدك يا مستوغر فقال أجدني يا أمير المؤمنين قد لان مني ما كنت أحب أن يشتد واشتد مني ما كنت أحب أن يلين وابيض مني ما كنت احب ان يسود واسود مني ما كنت أحب ان يبيض ثم انشأ يقول سلني أنبئك بآيات الكبر * نوم العشاء وسعال بالسحر
وقلة الزاد اذا الزاد حضر * وتركك الحسناء من قبل الطهر
* والناس يبلون كما يبلى الشجر *

وقال اعرابي أشكو الى الله وجعا بركبتي * وهدجانا لم يكن في مشيتي
* كهدجان الرئال المبقة *

(وقال آخر) وللكبير رثيات أربع * الركبتان والنسا والاخدع
وقال جرير تحني العظام الراجفات من البلا * وليس لداء الركبتين دواء

(وقال اعرابي في امرأة)

يا بكر حواء من الاولاد * وأقدم العالم في الميلاد * عمرك ممدود الى التناد
فحدثينا بحديث عاد * ومبتدا فرعون ذي الاوتاد * وكيف جاء السيل بالاطواد

(وقال آخر) اذا عاش الفتى سبعين عاما * فقد ذهب المسرة والغناء

(كان) في غطفان نصر بن دهمان قاد غطفان وسادها حتى خرف وعمره تسعون ومائة سنة حتى اسود شعره ونبتت أضراسه وعاد شابا فلا يعرف في العرب أعجوبة مثله (وقال محمد بن مناذر في رجل من المعمرين) ان معاذ بن مسلم رجل * قد ضج من طول عمره الابد
قد شاب رأس الزمان واكتهل الدهر وأثواب عمره جدد
يا نسر لقمان كم تعيش وكم * تسحب ذيل الحياة يا لبد
قد أصبحت دار آدم خربت * وأنت فيها كأنك الوتد
تسأل غربانها اذا حجلت * كيف يكون الصداع والرمد

(ودخل) الشعبي على عبد الملك بن مروان فوجده قد كبا مهتما فقال ما بال أمير المؤمنين قال يا شعبي ذكرت قول زهير كأني وقد جاوزت تسعين حجة * خلعت بها عني عذار لجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى * فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو أنني أرمى بنبل رأيتها * ولكنني أرمى بغير سهام
على الراحتين تارة وعلى العصا * أنوء ثلاثا بعدهن قيامي
قال له الشعبي ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كما قال لبيد بن ربيعة وقد بلغ سبعين سنة
كأني وقد جاوزت سبعين حجة * خلعت بها عن منكبي ردائيا

(فلما بلغ سبعا وسبعين سنة قال)

وترد الى وطنك محبوا محبورا قال فاقمت عنده ثم رأيت الناس يرحلون الى الحج فحننت الى مكة وذكرت قول ابن أبي ربيعة وذكر الابيات فأتيت باب معن فقلت للحاجب استأذن لي على الامير فلما دخلت عليه قال ان لك لحادث خبر قلت أستودع الله الامير واستحفظه عليه قال وما هاج هذا منك فقلت رأيت خروج الناس الى الحج وذكرت قول عمر فحننت الى مكة فقال أنت وحنينك وان كنت بفراقك ضنينا وسيتبعك ما تحتاج اليه فسر مصاحبا قال فسرت الى رحلي فاتبعني بمال وثياب ومطايا ودواب وسرت الى مكة من فوري وكان عمر على غزله وما يذكره في شعره عفيفا (حدث) المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال دخلت مع أبي مكة فجاءه عمر فسلم عليه وأنا غلام شاب وعلى جبة فجعل يأخذ بخصلة منها فيمتد في يده ثم يرسلها فترجع فيقول واشباباه فقال لي يا ابن أخي قد سمعت قولي قلت لها وقالت لي وكل مملوك لي حر ان كنت قط كشفت عن فرج حرام قال فقمت وفي نفسي من يمينه شئ فسألت عن رقيقه فقيل لي أما في هذا الحول فسبعون * ويستحسن قول عمر في المساعدة

وخل كنت عين النصح منه
اذا نظرت ومستمعا مطيعا
أطاف بغية فنهيت عنها
وقلت له أرى أمرا شنيعا
أردت رشاده جهدي فلما
ابي وعصى أتيناها جميعا

باتت تشكى الى النفس مجهشة * وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فان تزادى ثلاثا تبلغى أملا * وفى الثلاث وفاء للثمانينا
(فلما بلغ مائة سنة قال)
ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الخلق كيف لبيد
(فلما بلغ مائة سنة وعشرا قال)
أليس فى مائة قد عاشها رجل * وفى تكامل عشر بعدها عمر
(فلما بلغ ثلاثين ومائة وقد حضرته الوفاة قال)
تمنى ابنتاى أن يعيش أبوهما * وهل أنا الا من ربيعة أو مضر * فقوما وقولا بالذى تعلمانه
ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر * وقولا هو المرء الذى لا صديقه * اضاع ولا خان الخليل ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
قال الشعبى فقد رأيت السرور فى وجه عبد الملك طمعا أن يعيشها (وقال لبيد أيضا)
أليس ورائى ان تراخت منيتى * لزوم العصا تحنى عليها الاصابع
أخبر اخبار القرون التى مضت * أدب كأنى كلما قمت راكع
فاصبحت مثل السيف أخلق جفنه * تقادم عهد الجفن والنصل قاطع
(وقال) مكتوب فى الزبور من بلغ السبعين اشتكى من غير علة (وقال) محمد بن حسان النبطى لا تسأل نفسك العام ما أعطتك فى العام الماضى (وقال) معاوية لما أسن ما من شئ كنت استلذه وأنا شاب فاجده اليوم كما أجده الا اللبن والحديث الحسن (عاش) ضرار بن عمرو حتى ولد له ثلاثة عشر ذكرا فقال من سره بنوه ساءته نفسه (وقال ابن أبى مثى)
من عاش أخلقت الايام جدته * وخانه ثقتاه السمع والبصر
قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * ان الشباب جنون برؤه الكبر
(قال أبو عبيدة) قيل لشيخ ما بقى منك قال يسبقنى من أمامى ويدركنى من خلفى واذكر القديم وأنسى الحديث وأنعس فى الملا وأسهر فى الخلا واذا قمت قربت الارض منى واذا قعدت تباعدت عنى (وقال حميد بن ثور الهلالى)
أرى بصرى قد رابنى بعد صحة * وحسبك داء أن تصح وتسلما
(وقال آخر) وكانت قناتى لا تلين لغامز * فألانها الاصباح والامساء
ودعوت ربى بالسلامة جاهدا * ليصحنى فاذا السلامة داء
(وقال أبو العتاهية) أسرع فى نقص أمرئ تمامه (وقالت الخنساء) ما زاد شئ الا انتقص ولا قام الا شخص
(وقال بعض المحدثين) يحيفنى عضوا فعضوا فلم يدع * سحيا سوى اسمى وحده ولسانى
ولو كانت الاسماء يدخلها البلى * اذا بلى اسمى لامتداد زمانى
ومالى لا أبلى لسبعين حجة * وسبع أتت من دونها سنتان
اذا عن لى شئ تخيل دونه * شبيه ضباب أو شبيه دخان
(وقال الغزالى)
أصبحت والله مجمودا على أمد * من الحياة قصير غير ممتد
حتى بقيت بحمد الله فى خلف * كأنى بينهم من وحشة وحدى
وما أفارق يوما من أفارقه * الا حسبت فراقى آخر العهد
وقال آخر يا من لشيخ قد تخدد لحمه * أفنى ثلاث عمائم الوانا
سوداء حالكة وبرد مفوف * وأجد لونا بعد ذاك هجانا

وهذا مأخوذ من قول دريد بن الصمة الجشمى
أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد
فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج
سراتهم بالفارسى المسرد
فلما عصونى كنت منهم وقد أرى
غوايتهم وأننى غير مهتدى
وما أنا الا من غزية ان غوت
غويت وان ترشد غزية أرشد
(ومن جيد شعره)
يقولون انى لست أصدق فى الهوى
وانى لا أرعاك حين تغيب
فما بال طرفى عف عما تساقطت
له أنفس من معشر وقلوب
عشية لا يستنكر القوم ان يروا
شفاه محيى ممن يقال لبيب
ولا فتنة من ناسك ومضت له
بعين الصبا كسلى القيام لغوب
تروح يرجو أن تحط ذنوبه
فآب وقد زيدت عليه ذنوب
وما النفس الا لى ولكن للهوى
على العين منى والفؤاد رقيب
ونظر عمر بن أبى ربيعة الى فتى من قريش يكلم امرأة فى الطواف فعاب ذلك عليه فذكر أنها ابنة عمه فقال ذلك أشنع لأمرك قال انى خطبتها الى عمى وانه زعم انه لا يزوجنى حتى أصدقها أربعمائة دينار وأنا غير قادر على ذلك وذكر من حاله وحبه لها فأتى عمر عمه فكلمه فى أمرها فقال انه مملق فزوجه وساق عمر عنه المهر وكان عمر حين أسن حلف أن لا يقول بيتا الا أعتق رقبة فانصرف الى منزله يحدث نفسه فبعثت جاريته

قصر الليالي خطوه فتدانى * وحنون قائم صلبه فتحانى
والموت يأتي بعد ذلك كله * وكأنما يعني بذاك سوانا

(من صحب من ليس من نظرائه لخصال فيه) كان حارثة بن بدر الغداني فارس بني تميم وكان شاعرا أديبا ظريفا وكان يعاقر الشراب ويصحب زيادا فقيل لزياد انك تصحب هذا الرجل وليس من شاكلتك انه يعاقر الشراب فقال كيف لا أصحبه ولم أسأله عن شيء قط الا وجدت عنده منه علما ولا مشى امامي فاضطرني أن أناديه ولا مشى خلفي فاضطرني ان ألتفت اليه ولا راكبني فمست ركبتي ركبته فلما هلك زياد قال فيه حارثة بن بدر

أبا المغيرة والدنيا مغررة * وان من غرت الدنيا لمغرور
قد كان عندك للمعروف معرفة * وكان عندك للشر تنكير
لو خلد الخير والاسلام ذا قدم * اذا لخلدك الاسلام والخير

وتمام هذه الابيات قد وقعت في الكتاب الذي أفردناه للمراثي (وكان) زياد لا يداعب في مجلسه ولا يضحك فاختصم اليه بنو راسب وبنو الطفاوة في غلام أثبته هؤلاء وهؤلاء فتحير زياد في الحكم فقال له حارثة بن بدر عندي أكرم الله الامير في هذا الغلام أمر ان أذن لي الامير تكلمت به فيه قال وما عندك فيه قال أرى أن يلقى في دجلة فان رسب فهو لبني راسب وان طفا فهو لبني الطفاوة فتبسم زياد وأخذ نعليه ودخل ثم خرج فقال لحارثة ما حملك على الدعابة في مجلسي قال طيبة حضرتني أصلح الله الامير خفت أن تفوتني قال لا تعد الى مثلها (ولما) ولي عبيد الله بن زياد بعد موت أبيه اطرح حارثة بن بدر وجفاه فقال له حارثة مالك لا تنزلني المنزلة التي كان ينزلني أبوك أتدعي انك أفضل منه أو أعقل منه قال له ان أبي كان برع في الفضل بروعا لا يضره صحبة مثلك وأنا حدث أخشى أن تحرقني بنارك فان شئت فاترك الشراب وتكون أول داخل وآخر خارج قال والله ما تركته لله فكيف أتركه لك قال فتخير بلدا أوليكه فاختار سرق من أرض العراق فولاه اياها فكتب اليه أبو الاسود الدؤلي وكان صديقا له

أحار بن بدر قد وليت ولاية * فكن جرذا فيها تخون وتسرق
وباه تميما بالغنى ان للغنى * لسانا به المرء الهيوبة ينطق
وما الناس الا اثنان اما مكذب * يقول بما يهوى واما مصدق
يقولون أقوالا ولا يحكمونها * فان قيل يوما حققوا لم يحققوا
فدع عنك ما قالوا ولا تكترث بهم * فحظك من مال العراقين سرق

فوقع في أسفل كتابه لا يعدمك الرشد (وكان أبو الوليد العجلي) وهو ابن أخت خالد بن عبد الله القسري ولي أصبهان وكان رجلا متسمتا متصلفا فقدم عليه حمزة بن بيض بن عوف في صحبته فقيل له ان مثل حمزة لا يصحب مثلك لانه صاحب كلاب ولهو فبعث اليه ثلاثة آلاف درهم وأمره بالانصراف فقال فيه

يا ابن الوليد المرتجى سيبه * ومن يجلي الحدث الحالكا
سبيل معروفك مني على * بال فما بالي على بالكا
حشو قميصي شاعر مفلق * والجود أمسى حشو سربالكا
يلومك الناس على صحبتي * والمسك قد يستصحب الرامكا
ان كنت لا تصحب الا فتى * مثلك لن تؤتى بأمثالكا
اني امرؤ حيث أريد الهوى * فعد عن جهلي بإسلامكا

قال له صدقت وقربه وحسنت منزلته (وكان) عبد الرحمن بن الحكم الامير قد عتب على ندمائه فأمر نصرا الفتى باسقاطهم من ديوان عطائه ولم يستبدل بهم فلما كان بعد أيام استوحش لهم فقال لنصر قد استوحشنا لاصحابنا أولئك فقال له نصر قد نالهم من سخط الامير ما فيه أدب لهم فان رأى أن يرسل فيهم أرسلت قال أرسل فأقبل القوم وعليهم كآبة السخط فأخذوا مجالسهم ولم ينشرحوا ولا خاضوا فيما

تكلمه ولا يجيبها فقالت انك لشأنا وأراك تريد أن تقول شعرا فقال

تقول وليدتي لما رأتني * طربت وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت أمرا * وهاج لك الهوى داء دفينا
وكنت زعمت انك ذو عزاء * اذا ما شئت فارقت القرينا
لعمرك هل رأيت لها سميا * فشاقك أم لقيت لها خدينا
فقلت شكا الي أخ محب * كبعض زماننا اذ تعلمينا
فقص علي ما يلقى بهند * فذكر بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وان تعزى * مشوق حين يلقى العاشقينا
فكم من خلة أعرضت عنها * لغير قلى وكنت بها ضنينا
أردت بعادها فصددت عنها * وان جن الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعة من رقيقه فأعتقهم (قال عثمان بن ابراهيم) حججت أنا وأصحاب لنا فلما رجعنا من مكة مررنا بالمدينة فرأينا عمر ابن أبي ربيعة وقد نسك وترك قول الشعر فقال بعضنا لبعض هل لكم فيه فملنا اليه وسلمنا عليه وجلسنا وهو ساكت لا يكلمنا فقال له بعضنا أيعجبك قول الفرزدق

سرت اليك سلمى بعد مغفاها * فبت مستلهيا من بعد مسراها
فقلت أهلا وسهلا من هداك لنا * ان كنت تمثالها أو كنت اياها
تأتي الرياح التي من نحو بلدتكم * حتى تقول دنت منا برياها

كانوا يخوضون فيه فقال الامير لنصر ما يمنع هؤلاء من الانشراح قال عليهم أبقى الله الامير وجه
السخط الذي نالهم قال قل لهم قد عفونا فلينشرحوا قال فقام عبد الرحمن بن الشمر الشاعر المتيم فجثى
بين يديه ثم أنشد شعراله أقذع فيه على بعض أصحابه الا انه ختمه ببيتين بديعين وهما

فيا رحمة الله في خلقه * ومن أنا أجوده يسكب
لئن عفت صحبة أهل الذنوب * لقل من الناس من يصحب

(وأحسن ماقيل في هذا المعنى قول النابغة)

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب

﴿قولهم في القرآن﴾ كتب المريسي الى أبي يحيى منصور بن محمد اكتب القرآن خالق أو مخلوق فكتب اليه عافانا الله واياك من كل فتنة وجعلنا واياك من أهل السنة وممن لا يرغب بنفسه عن الجماعة فانه ان يفعل فاعظم بها منة وان لا يفعل فهي الهلكة ونحن نقول ان الكلام في القرآن بدعة يتكلف المجيب ماليس عليه ويتعاطى السائل ماليس له وما نعلم خالقا الا الله وما سوى الله فمخلوق والقرآن كلام الله فانته بنفسك الى أسمائه التي سماه الله بها فتكون من المهتدين ولا تسم القرآن باسم من عندك فتكون من الضالين جعلنا الله واياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون

﴿كتاب الجوهرة في الامثال﴾

قد مضى قولنا في العلم والادب وما يتولد منهما وينسب اليهما من الحكم النادرة والفطن البارعة ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الامثال التي هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني التي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها كل زمان وعلى كل لسان فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة لم يسر شيء مسيرها ولا عم عمومها حتى قيل أسير من مثل

ما أنت الا مثل سائر * يعرفه الجاهل والخابر

(وقد ضرب) الله عز وجل الامثال في كتابه وضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلامه (قال) الله عز وجل يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له وقال ضرب الله مثلا رجلين ومثل هذا كثير في آي القرآن فأول ما نبدأ به أمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمثال العلماء ثم أمثال أكثم ابن صيفي وبزرجمهر الفارسي وهي التي كان يستعملها جعفر بن يحيى في كلامه ثم أمثال العرب التي رواها أبو عبيد وما أشبهها من أمثال العامة ثم الامثال التي استعملها الشعراء في أشعارهم في الجاهلية والاسلام

﴿أمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم﴾

(قال) النبي صلى الله عليه وسلم ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط أبواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخية وعلى رأس الصراط داع يقول ادخلوا الصراط ولا تعوجوا فالصراط الاسلام والستور حدود الله والابواب محارم الله والداعي القرآن (وقال) صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كالخامة من الزرع يقيمها الريح مرة كذا ومرة كذا ومثل الكافر مثل الارزة المجذية على الارض يكون انجعافها مرة (وسأله حذيفة) أبعد هذا الشر خير يا رسول الله فقال جماعة على أقذاء وهدنة على دخن (وقوله) حين ذكر الدنيا وزينتها فقال ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم (وقال) لابي سفيان أنت أبو سفيان كما قالوا كل الصيد في جوف الفرا (وقال) حين ذكر الغلو في العبادة ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى (وقال) صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء (وذكر) الربا في آخر الزمان وافتتان الناس به فقال من لم يأكله أصابه غباره (وقال) الايمان قيد الفتك (وقال) صلى الله عليه وسلم الولد للفراش

وللعاهر

وقد تراخت بهم عنا نوى قذف
هيهات مصبحها من بعد ممساها
من أجلها أغنى أن يلاقيني
من نحو بلدتها ناع فينعاها
كيما أقول افتراق لا اجتماع له
وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها
ولو تموت لراعتني وقلت لها
يا بؤس للدهر ليت الدهر أبقاها

فلم يهش لذلك فقال الآخر أيعجبك قول العذري

لو حز بالسيف رأسي في مودتها
لمر يهوي سريعا نحوها راسي
ولو بلي تحت أطباق الثرى جسدي
لكنت أبلي وما قلبي لكم ناسي
أو يقبض الله روحي صار ذكركم
روحا أعيش به ماعشت في الناس
لولا نسيم لذكراكم يروحني
لكنت محترقا من حر أنفاسي

فتحرك ثم قال باويحه أبعد ما يحز رأسه يميل اليها ثم أنشأ يحدثنا فقال أتاني خالد الدليل فقال ان هندا وأترابها بموضع كذا وكذا من الصحراء أيام الربيع فقلت كيف الحيلة فقال تتلثم وتكتفل كأنك طالب ضالة ففعلت فدفعت اليهن فقلن يا اعرابي ما تطلب قلت ضالة لي فقلن قد كانت يا اعرابي فلو جلست فأصبت من حديثنا وأصبنا من حديثك ولعلك تروح الى وجود ضالتك فنزلت فلما امتد الحديث بنا حسرت هند لثامي وقالت أتراك خدعتنا نحن والله خدعناك وبعثنا اليك خالدا ارتنا خلاء وعنظرا فأردناك ونظرت في درعي فأعجبني مارأيت فقال يا أبا الخطاب فقال عمر فقلت لبيك

(وفي ذلك أقول)

وللعاهر الحجر (وقال) فى فرس وجدته بحرا (وقال) ان من البيان لسحرا (وقال) لا ترفع عصاك عن أهلك (وقال) صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (وقال) الحرب خدعة وله صلى الله عليه وسلم وعلى آله أمثال كثيرة غير هذه ولكنا لم نذهب فى كل باب الى استقصائه وانما ذهبنا الى أن نكتفى بالبعض ونستدل بالقليل على الكثير ليكون أسهل مأخذا للحفظ وأبرأ من الملالة والهرب (وتفسيرها) أما المثل الاول فقد فسره النبى صلى الله عليه وسلم (وأما) قوله المؤمن كالخامة والكافر كالارزة فانه شبه المؤمن فى تصرف الايام به وما يناله من بلائها بالخامة من الزرع يقلبها الريح مرة كذا ومرة كذا والخامة فى قول أبى عبيد القصبة الرطبة من الزرع والارزة واحدة الارز وهو شجر له ثمر يقال له الصنوبر والمجذية الثابتة وفيها لغتان جذى يجذى وأجذى يجذى والانجعاف الانقلاع يقال جعفت الرجل اذا قلعته وصرعته وضربت به الارض (وقوله) لحذيفة هدنة على دخن وجماعة على اقذاء أراد ما تنطوى عليها القلوب من الضغائن والاحقاد فشبه ذلك باغضاء الجفون على الاقذاء والدخن مأخوذ من الدخان جعله مثلا لما فى الصدور من الغل (وقوله) ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم فالحبط كما ذكر أبو عبيدة عن الاصمعى أن تأكل الدابة حتى تنتفخ بطنها وتمرض منه يقال حبطت الدابة تحبط حبطا (وقوله) أو يلم معناه أو يقرب ذلك منه (وقوله) اذا ذكر أهل الجنة فقال ان أحدهم اذا نظر الى ما أعد الله له فى الجنة لو لا أنه شئ قضاه الله له لا ألم أن يذهب بصره لما يرى فيها يقول لقرب أن يذهب بصره (وقوله) لابى سفيان كل الصيد فى جوف الفرا فمعناه انك فى الرجال كالفرا فى الصيد وهو الحمار الوحشى وقال له ذلك يتألفه على الاسلام وقوله حين ذكر الغلو فى العبادة ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى يقول ان المغذ فى السير اذا أفرط فى الغذ عطبت راحلته من قبل أن يبلغ حاجته أو يقضى سفره فشبه بذلك من أفرط فى العبادة حتى يبقى حسيرا (وقوله) فى الرامن لم يأكله أصابه غباره انما هو مثل لما ينال الناس من حرمته وليس هناك غبار (وقوله) الايمان قيد الفتك أى منع منه كانه قيد له وفى حديث آخر لا يفتك مؤمن (وقوله) فى فرس وجدته بحرا وان البيان لسحرا انما هو تمثيل لا على التحقيق (وكذلك) قوله الولد للفراش وللعاهر الحجر معناه انه لا حق له فى نسب الولد (وقوله) صلى الله عليه وسلم لا ترفع عصاك عن أهلك انما هو الادب بالقول ولم يرد أن لا ترفع عنها العصا (وقوله) لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين معناه ان لدغ مرة تحفظ أخرى (وقوله) الحرب خدعة يريد انها بالمكر والخدعة

﴿أمثال روتها العلماء﴾

خطب النعمان بن بشير على منبر بالكوفة فقال يا أهل الكوفة انى وجدت مثلى ومثلكم كالضبع والثعلب أتيا الضب فى جحره فقالا أبا حسل قال أجبتكما قالا جئناك نختصم قال فى بيته يؤتى الحكم قالت الضبع فتحت عينى قال فعل النساء فعلت قالت فلقطت تمرة قال حلوا جنيت قالت فاختطفها ثعالة قال على نفسه بغى ثعالة اسم الثعلب الذكر والانثى قالت فلطمته لطمة قال حقا قضيت قالت فلطمنى أخرى قال كان حرا فانتصر قالت فاحكم الآن بيننا قال حدث امرأة حديثين وان لم تفهم فأربعة (وقال) عبد الله بن الزبير لاهل العراق وددت والله لو أن لى بكم من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم قال له رجل منهم أتدرى يا أمير المؤمنين ما مثلنا ومثلكم ومثل أهل الشام قال وما ذلك قال ما قاله أعشى بكر حيث يقول علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل أحببناك نحن وأحببت أنت أهل الشام وأحب أهل الشام عبد الملك ﴿مثل فى الرياء﴾ يحيى بن عبد العزيز قال حدثنى نعيم عن اسمعيل رجل من ولد أبى بكر الصديق رضوان الله عليه عن وهب بن منبه قال نصب رجل من بنى اسرائيل فخا فجاءت عصفورة فنزلت عليه فقالت مالى أراك منحنيا قال لكثرة

ألم تسأل الاطلال والمتربعا
ببطن حليات دوارس بلقعا
الى الضرح من وادى المغمس بدلت
معالمه وبلا ونكباء زعزعا
فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعدما
نكأن فؤادا كان قدما موجعا
لهند واتراب لهند اذ الهوى
جميع واذ لم نخش أن يتصدعا
واذ لا نطيع العاذلين ولا نرى
لواش لدينا يطلب الهجر مطمعا
واذ نحن مثل الماء كان مزاجه
كما صفق الساقى الرحيق المشعشعا
تنوحين حتى عاود القلب خبله
وحتى تذكرت الحديث المودعا
فقلت لمطريهن بالحسن انما
ضررت فهل تسطيع نفعا فتنفعا
وأشريت فاستشرى وقد كان قد صحا
فؤاد بأمثال المها كان موزعا
لئن كان ما حدثت حقا فما أرى
كمثل الالى أطريت فى الناس أربعا
فقال فقم فانظر فقلت وكيف لى
أخاف حديثا ان يشاع فيشنعا
فقال اكتفل ثم التثم فأت باغيا
فسلم ولا تكثر بأن تتورعا
وأقبلت أهوى مثل ما قال صاحبى
لموعده أزجى قلوصا موقعا
فلما تواقفنا وسلمت أقبلت
وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا
تبالهن بالعرفان لما رأيننى
وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا
وقربن أسباب الهوى لمتيم
يقيس ذراعا كلما قسن أصبعا

صلاتي انحنيت قالت فمالي أراك بادية عظامك قال لكثرة صيامي بدت عظامي قالت فمالي أرى هذا الصوف عليك قال لزهادتي في الدنيا لبست الصوف قالت فما هذه العصا عندك قال أتوكأ عليها واقضي حوائجي قالت فما هذه الحبة في يدك قال قربان ان مربي مسكين ناولته اياه قالت فاني مسكينة قال فخذيها فدنت فقبضت على الحبة فاذا الفخ في عنقها فجعلت تقول قعي قعي تفسيره لاغرني ناسك مراء بعدك أبدا (داود بن أبي هند) عن الشعبي أن رجلا من بني اسرائيل صاد قبرة فقالت ماتريد أن تصنع بي قال أذبحك فآكلك قالت والله ما أشفي من برم ولا أغني من جوع ولكني أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي أما الواحدة فاعلمكها وأنا في يدك والثانية اذا صرت على هذه الشجرة والثالثة اذا صرت على الجبل فقال هات قالت لا تلهفن على مافاتك فخلى عنها فلما صارت فوق الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درة فيها زنة عشرين مثقالا قال فعض على شفتيه وتلهف ثم قال هات الثالثة قالت له أنت قد نسيت الاثنتين فكيف أعلمك الثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على مافاتك فقد تلهفت على اذ فتك وقلت لك لا تصدقن بما لا يكون انه يكون فصدقت أنا وعظمي وريشي لا أزن عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي ما يزنها (وفي كتاب للهند مثل الدنيا وآفاتها ومخاوفها والموت والمعاد الذي اليه مصير الانسان) قال الحكيم وجدت مثل الدنيا والمغرور بالدنيا المملوءة آفات مثل رجل ألجأه خوف الى بئر تدلى فيها وتعلق بغصنين نابتين على شفير البئر ووقعت رجلاه على شئ فمدهما فنظر فاذا بحيات أربع قد أطلعن رؤسهن من جحورهن ونظر الى أسفل البئر فاذا بثعبان فاغر فاه نحوه فرفع بصره الى الغصن الذي يتعلق به فاذا في أصله جرذان أبيض وأسود يقرضان الغصن دائبين لا يفتران فبينما هو مغتم بنفسه وابتغاء الحيلة في نجاته اذ نظر فاذا بجانب منه جحر نحل قد وضعن شيأ من عسل فتطاعم منه فوجد حلاوته فشغلته عن الفكر في أمره والتماس النجاة لنفسه ولم يذكر ان رجليه فوق أربع حيات لا يدري من تساوره منهن وان الجرذين دائبان في قرض الغصن الذي يتعلق به وانهما اذا أوقعاه وقع في لهوات التنين ولم يزل لاهيا غافلا حتى هلك قال الحكيم فشبهت الدنيا المملوءة آفات وشرورا ومخاوف بالبئر وشبهت الحيات الاربع بالاخلاط الاربع التي في جسد الانسان عليها من المرتين والبلغم والدم وشبهت الغصن الذي تعلق به بالحياة وشبهت الجرذين الابيض والاسود اللذين يقرضان الغصن دائبين لا يفتران بالليل والنهار ودورانهما في افناء الايام والآجال وشبهت الثعبان الفاغر فاه بالموت الذي لا بد منه وشبهت العسيلة التي تطاعمها بالذي يرى الانسان ويسمع ويلبس فيلهيه ذلك عن عاقبة أمره وما اليه مصيره (من ضرب به المثل من الناس) قالت العرب أسخى من حاتم وأشجع من ربيعة بن مكدم وأنكى من قيس بن زهير وأعز من كليب بن وائل وأوفى من السموأل وأزكى من اياس بن ربيعة وأسود من قيس بن عاصم وأمنع من الحرث بن ظالم وأبلغ من سحبان بن وائل وأحلم من الاحنف ابن قيس وأصدق من أبي ذر الغفاري وأكذب من مسيلمة الحنفي وأعيى من باقل وأمضى من سليك المقانب وانعم من خريم الناعم وأحمق من هبنقة وأفتك من البراض (من يضرب به المثل من النساء) يقال أشأم من البسوس وأحمق من دغة وامنع من أم قرفة وأزنى من ظالمة وابصر من زرقاء اليمامة البسوس جارة جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ولها كانت الناقة التي قتل من أجلها كليب ابن وائل وبها ثارت بين بكر بن وائل وتغلب التي يقال لها حرب البسوس وأم قرفة امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري وكان يتعلق في بيتها خمسون سيفا كل سيف منها لذي محرم لها ودغة امرأة من عجل بن لجيم تزوجت في بني العنبر بن عمرو بن تميم وزرقاء بني نمير امرأة كانت باليمامة تبصر الشعرة في اللبن وتنظر الراكب على مسيرة ثلاثة أيام وكانت تنذر قومها الجيوش اذا غزتهم فلا يأتيهم

اذا ما تنازعن الاحاديث قلن لي
أخفت علينا أن نغر ونخدعا
قبالامس أرسلنا بذلك خالدا
اليك وبيناله الامر أجمعا
فما جئتنا الاعلى وفق موعد
على ملأ منا خرجنا له معا
رأينا خلاء من عيون ومنظرا
دميث الربى سهل المحلة ممرعا
وقلن كريم نال وصل كرائم
فحق له في اليوم أن يتمتعا
(قوله)
وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا
يقول هذه الوجوه مدلة بجمالها فلا تختمر فتستتر شيأ عن الناظرين اليها وقد أشار الى هذا المعنى الشماخ بن ضرار فقال يصف ناقته
كأن ذراعيها ذراع مدلة
بعيد الشباب حاولت ان تعذرا
من البيض أعطافا اذا اتصلت دعت
فراس بن غنم أو لقيط بن يعمرا
بها شرق من زعفران وعنبر
أطارت من الحسن الرداء المحبرا
قال وكانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لا تستر وجهها فلما دخلت على مصعب بن الزبير قال لها في ذلك فقالت أن الله تعالى وسمني بميسم جمال فأحببت أن يراه الناس والله مالي وصمة أسترها (وقال علي بن العباس الرومي) يصف قينة
لم يعتصم عودها بزامرة
ولا انضوى وجهها الى الستر
(وقد ردد معنى قوله)
* لم يعتصم عودها بزامرة *
(فقال يصف برعة الكبيرة)
غنت فلم تحوج الى زامر
هل تحوج الشمس الى شمعه

جيش الاوقد استعدوا له حتى احتال لها بعض من غزاهم فأمر أصحابه فقطعوا شجرا وأمسكوه امامهم بأيديهم ونظرت الزرقاء فقالت انى أرى الشجر قد أقبلت اليكم قالوا لها قد خرفت وذهب عقلك ورق بصرك فكذبوها وصبحتهم الخيل واغارت عليهم وقتلت الزرقاء قال فقوروا عينيها فوجدوا عروق عينيها قد غرقت فى الاثمد من كثرة ما كانت تكتحل به وظلمة امرأة من هذيل زنت أربعين عاما فلما عجزت عن الزنا والقود اتخذت تيسا وعنزا فكانت تنزى التيس على العنز فقيل لها لم تفعلين ذلك قالت حتى أسمع أنفاس الجماع {ما تمثلوا به من البهائم} قالوا أشجع من أسد وأجبن من الصافر وأمضى من ليث عفرين واحذر من غراب وأبصر من عقاب وأزهى من ذباب وأذل من قراد وأسمع من فرس وانوم من فهد وأعق من ضب وأجبن من صفرد وأضرع من سنور وأسرق من زبابة واصبر من عود وأظلم من حية وأحن من ناب وأكذب من فاختة واعز من بيض الانوق وأجوع من كلبة حومل واعز من الابلق العقوق الصافر الصغير من الطير والعود المسن من الجمال والانوق طير يقال انه يبيض فى الهواء والزبابة الفارة تسرق دود الحرير وفاختة طير يطير بالرطب فى غير ايامه {ما ضرب به المثل من غير الحيوان} قالوا أهدى من النجم واجود من الديم وأصبح من الصبح وأسمح من البحر وانور من النهار واقود من الليل وأمضى من السيل وأحمق من رجلة وأحسن من دمية وأنزه من روضة وأوسع من الدهناء وآنس من جدول وأضيق من قرار حافر وأوحش من مفازة وأثقل من جبل وأبقى من الوحى فى صم الصلاب وأخف من ريش الحواصل {ومما ضربوا به المثل} قولهم قوس حاجب وقرط مارية وحجام ساباط وشقائق النعمان وندامة الكسعى وحديث خرافة وكنز النطف وخفا حنين وعطر منشم * أما قوس حاجب فقد فسرنا خبره فى كتاب الوفود * وأما قرط مارية فانها مارية بنت ظالم بن وهب بن الحرث بن معاوية الكندى وأختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار وابنها الحرث الاعرج الذى ذكره النابغة بقوله * والحرث الاعرج خير الانام * واياها يعنى حسان بن ثابت بقوله

أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

وأما حجام ساباط فانه كان يحجم الجيوش بنسيئة الى انصرافهم من شدة كساده وكان فارسيا وساباط هو ساباط كسرى ونسب شقائق النعمان اليه لان النعمان بن المنذر أمر بان تحمى وتضرب قبته فيها استحسانا لها فنسبت اليه والعرب تسميها الشقر * وأما خرافة فان أنس بن مالك يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة رضى الله عنها ان من أصدق الاحاديث حديث خرافة وكان رجلا من بنى عذرة سبته الجن وكان معهم فاذا استرقوا السمع أخبروه فيخبر به أهل الارض فيجدونه كما قال * وأما كنز النطف فهو رجل من بنى يربوع كان فقيرا يحمل الماء على ظهره فينطف أى يقطر وكان أغار على مال بعث به باذان من اليمن الى كسرى فأعطى منه يوما حتى غربت الشمس فضربت به العرب المثل * وأما خفا حنين فانه كان اسكافا من أهل الحيرة ساومه اعرابى بخفين فاختلفا حتى أغضبه فأراد أن يغيظ الاعرابى فلما ارتحل أخذ أحد الخفين فألقاه فى طريق الاعرابى ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طريقه فلما مر الاعرابى بالخف الاول قال وما أشبه هذا بخف حنين لو كان معه صاحبه لاخذته فلما مر بالآخر ندم على ترك الاول فأناخ راحلته وانصرف الى الاول وقد كمن له حنين فوثب على راحلته وذهب بها وأقبل الاعرابى ليس معه غير خفى حنين فذهبت مثلا * وأما عطر منشم فانها كانت امرأة تبيع الحنوط فى الجاهلية فقيل للقوم اذا تحاربوا دقوا معهم عطر منشم يراد بذلك طيب الموتى * وأما ندامة الكسعى فانه رجل رمى فأصاب فظن انه أخطأ فكسر قوسه فلما علم ندم على كسر قوسه فضرب به المثل ۞ {أمثال أكثم بن صيفى وبزرجمهر الفارسى} ۞ العقل بالتجارب الصاحب مناسب الصديق من صدق غيبه الغريب من لم يكن له حبيب رب بعيد أقرب من قريب القريب

كأنما غنت لشمس الضحى
فألبستها حسنها خلعه
كأنما رقة مسموعها
رقة شكوى سبقت دمعه
تهدى الى قلبك ما يشتهى
كأنما قد أطلعت طلعه
يجتمع الظرف لجلاسها
والحسن والاحسان فى بقعه
طفل على من حصلت عنده
فبعض تطفيل الفتى رفعه
ربيع غيث فانتجع روضه
فلن يعاب الحر بالنجعه
(وكان) ابن الرومى لا يزال معتما وكان يغضب اذا سئل عن ذلك وسأله بعض الرؤساء لم تعتم فقال فيها
يا أيها السائلى لاخبره
عنى لم لا أزال معتجرا
أستر شيأ لو كان يمكننى
تعريفه السائلين ما سترا
(وقد) بين العلة التى أوجبت اعتمامه فى قوله
تعممت احصانا لرأسى برهة
من القر يوما والحرور اذا سفع
فلما دهى طول التعمم لمتى
وأودى بها بعد الاطالة والقزع
عزمت على لبس العمامة حيلة
لتستر ما جرت على من الصلع
فيا لك من جان على جناية
جعلت اليه من جنايته الفزع
وأعجب شئ كان دائى جعلته
دوائى على عمد وأعجب ان نفع
وهذا كقوله وان لم يكن فى معناه وقد رأيت من ينسبه الى كشاجم
نظرت الى المرآة فروعتنى
طوالع شيبتين ألمتا بى
فأما شيبة ففزعت منها
الى المقراض حبا للتصابى

من قرب نفعه لو تكاشفتم ما تدافنتم خير اهلك من كفاك خير سلاحك ما وقاك خير اخوانك من لم تخبره رب غريب ناصح الجيب وابن أب متهم الغيب أخوك من صدقك الاخ مرآة أخيه اذا عز أخوك فهن مكره أخاك لا بطل تباعدوا فى الديار وتقاربوا فى المحبة اى الرجال المهذب من لك بأخيك كله انك ان فرحت لاق قريبا أحسن يحسن اليك ارحم ترحم كما تدين تدان من بر يوما بر به والدهر لا يغتر به عين رفت فى كل خبرة عبرة من مأمنه يؤتى الحذر لا يعدو المرء رزقه وان حرص اذا نزل القدر عمى البصر واذا نزل الحين نزل بين الاذن والعين الحزم مفتاح كل شر الغناء رقية الزناء القناعة مال لا ينفد خير الغنى غنى النفس منساق الى ما أنت لاق خذ من العافية ما أعطيت من الانسان الا القلب واللسان انما لك ما أمضيت لا تتكلف ما كفيت القلم أحد اللسانين قلة العيال أحد اليسارين ربما ضاقت الدنيا باثنين لن تعدم الحسناء ما لم يعدم الغاوى لا عما لا نك فى أهلك كالجنازة لا تسخر من شئ فيحوز بك آخر الشر فاذا شئت تجانبه صغير الشر يوشك أن يكبر يبصر القلب ما يعمى عنه البصر الحر حر وان مسه الضر العبد عبد وان ساعده جد من عرف قدره استبان أمره من سره بنوه ساءته نفسه من تعظم على الزمان أهانه من تعرض للسلطان آذاه ومن تطامن له تخطاه من خطا يخطو كل مبذول مملول كل ممنوع مرغوب فيه كل عز بزتحت القدرة ذليل لكل مقام مقال لكل زمان رجال لكل أجل كتاب لكل عمل ثواب لكل نبأ مستقر لكل سر مستودع قيمة كل انسان ما يحسن اطلب لكل غلق مفتاحا أكثر فى الباطل يكن حقا عند القنط يأتى الفرج عند الصباح يحمد السرى الصدق منجاة والكذب مهواة الاعتراف يهدم الاقتراف رب قول انفذ من صول رب ساعة ليس بها طاعة رب عجلة تعقب ريثا بعض الكلام أقطع من الحسام بعض الجهل أبلغ من الحلم ربيع القلب ما اشتهى الهوى شديد العمى الهوى الاله المعبود الراى نائم والهوى يقظان غاب عليك من دعا اليك لا راحة لحسود ولا وفاء لاسرور كطيب النفس العمر أقصر من أن يحتمل الهجر أحق الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة خير العلم ما نفع خير القول ما اتبع البطنة تذهب الفطنة شر العمى عمى القلب أوثق العرى كلمة التقوى النساء حبائل الشيطان الشباب شعبة من الجنون الشقى من شقى فى بطن أمه السعيد من وعظ بغيره لكل امرئ فى بدنه شغل من يعرف البلاء يصبر عليه المقادير تريك ما لا يخطر ببالك أفضل الزاد ما تزود للمعاد الفحل احمى للشول صاحب الحظوة غدا من بلغ المدى عواقب الصبر محمودة لا تبلغ الغايات بالامانى الصريمة على قدر العزيمة الضيف يثنى أو يذم من تفكر اعتبر كم شاهد لك لا ينطق ليس منك من غشك ما نظر لامرئ مثل نفسه ما سد فقرك الا ملك يمينك ما على عاقل ضيعة الغنى فى الغربة وطن المقل فى أهله غريب أول المعرفة الاختبار يدك منك وان كانت شلاء أنفك منك وان كان أجدع من عرف بالكذب جاز صدقه الصحة داعية السقم الشباب داعية الهرم كثرة الصياح من الفشل اذا قدمت المصيبة تركت التعزية اذا قدم الاخاء سمج الثناء العادة أملك من الادب الرفق يمن والخرق شؤم المرأة ريحانة وليست بقهرمانة الدال على الخير كفاعله المحاجزة قبل المناجزة قبل الرماية تملأ الكنائن لكل ساقطة لاقطة مقتل الرجل بين فكيه ترك الحركة غفلة الصمت حبسة من خير خبر أن يسمع بطر كفى بالمرء خيانة ان يكون أمينا للخونة قيدوا النعم بالشكر من يزرع المعروف يحصد الشكر لا تغتر بمودة الامير اذا غشك الوزير أعظم من المصيبة سوء الخلق منها من أراد البقاء فليوطن نفسه على المصائب لقاء الاحبة مسلاة للهم قطيعة الجاهل كصلة العاقل من رضى على نفسه كثر الساخط عليه قتلت أرض جاهلها وقتل أرضا عارفها أدوأ الداء الخلق الدنى واللسان البذى اذا جعلك السلطان أخا فاجعله ربا احذر الامين ولا تأمن

الخائن

وأما شيبة فصفحت عنها

لقشهد بالبراءة من خضاب
فأعجب بالدليل على مشيبي
أقمت به الدليل على شبابي

(وهو القائل فى صفة رجل أصلع)

يجذب من نقرته طرة
الى مدى يقصر عن مياه
فوجهه يأخذ من رأسه
أخذ نهار الصيف من ليله

(وقال اعرابى)

قد ترك الدهر صفاتى صفصفا
فصار رأسى جبهة الى القفا
* كأنه قد كان ربعا فعفا *

(قال اعرابى لسليمان بن عبد الملك) انى أكلمك يا أمير المؤمنين بكلام فاحتمله فان وراءه ان قبلته ما تحبه قال هاته يا اعرابى فنحن نجود بسعة الاحتمال على من لا نأمن غيبته ولا نرجو نصيحته وأنت المأمون غيبا والناصح جيبا قال فانى سأطلق لسانى بما خرست عنه الالسن تأدية لحق الله تعالى انه قد اكتنفك رجال أساؤا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم وخافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك فهم حرب للآخرة وسلم للدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه فانهم لم يألوا الامانة تضييعا والامة كسفا وخسفا وأنت مسؤل عما اجترموا وليسوا مسؤلين عما اجترمت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أعظم الناس عند الله غبنا من باع آخرته بدنيا غيره فقال سليمان أما أنت يا اعرابى فقد سللت لسانك وهو سيفك قال

الحائن عند الغاية يعرف السبق عند الرهان يحمد المضمار السؤال وان قل أكثر من النوال وان جل كافئ المعروف بمثله أوانشره لا خلة مع عيلة لا مروأة مع ضر ولا صبر مع شكوى ليس من العدل سرعة العذل عبد غيرك حر مثلك لا يعدم الخيار من استشار الوضيع من وضع نفسه المهين من نزل وحده من أكثر أهجر كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع ﴿ومن أمثال العرب﴾ مما روى أبو عبيدة جودناها من الآداب التى أدخل فيها أبو عبيدة اذ كنا قد أفردنا للادب والمواعظ كتبا غير هذا أوضممنا الى أمثلة العرب القديمة ما جرى على ألسنة العامة من الامثال المستعملة وفسرنا من ذلك ما احتاج الى التفسير (فمن ذلك قولهم فى حفظ اللسان) التقى ملجم لعمر بن عبد العزيز لابى بكر الصديق البلاء موكل بالمنطق لابن مسعود ما شئ أولى بطول سجن من لسان لانس بن مالك لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يخزن من لسانه ولسان غيره احذر لسانك لا يضرب عنقك جرح اللسان كجرح اليد رب كلام اقطع من حسام القول ينفذ ما لا ينفذ الابر (وأحكمها قول الشاعر)

وقد يرجى لجرح السيف برء * ولا برء لما جرح اللسان

احتملنا هذا البيت لانه قد صار مثلا سائرا للعامة وجعلنا لامثال الشعراء فى آخر كتابنا هذا بابا (وقال) أكثم بن صيفى مقتل الرجل بين فكيه (وقال) ربما أعلم فأذر يريد أنه يدع ذكر الشئ وهو به عالم لما يحذر من عاقبته ﴿اكثار الكلام وما يتقى منه﴾ قالوا من ضاق صدره اتسع لسانه من أكثر أهجر اى خرج الى الهجر وهو القبيح من القول (وقالوا) المكثار كحاطب ليل وجالب خيل ربما نهشته الحية أو لسعته العقرب فى احتطابه ليلا (وقالوا) اول العى الاختلاط وأسوأ القول الافراط ﴿فى الصمت﴾ قالوا الصمت حكم وقليل فاعله (وقالوا) عى صامت خير من عى ناطق والصمت يكسب أهله المحبة (وقالوا) استكثر من الهيبة الصموت والندم على السكوت خير من الندم على الكلام (وقالوا) السكوت سلامة ﴿القصد فى المدح﴾ منه قولهم * من حفنا أو رفنا فليقتصد * يقولون من مدحنا فلا يغلون فى ذلك (وقولهم) لا تعرف بما لا تعرف والعرف الاطناب فى المدح والثناء (ومنه) قولهم شاكه أبا يسار من دون ذا ينفق الحمار * أخبرنا أبو محمد الاعرابى عن رجل من بنى عامر بن صعصعة قال لقى أبو يسار رجلا بالمربد يبيع حمارا ورجل يسومه فجعل أبو يسار يطرى الحمار فقال المشترى أعرفت الحمار قال نعم قال كيف سيره قال يصطاد به النعام معقولا قال له البائع شاكه أبا يسار من دون ذا ينفق الحمار والمشاكهة المقاربة والقصد ﴿صدق الحديث﴾ منه قولهم من صدق الله نجا * ومنه قولهم سبنى وأصدق * وقالوا الكذب داء والصدق شفاء (وقولهم) لا يكذب الرائد أهله معناه ان الذى يرتاد لاهله منزلا لا يكذبهم فيه (وقولهم) صدقنى سن بكره أصله ان رجلا ابتاع من رجل بعيرا فسأله عن سنه فقال له انه بازل فقال له أنخه فلما أناخه قال هدع هدع وهذه لفظة يسكن بها الصغار من الابل فلما سمع المشترى هذه الكلمة قال صدقنى سن بكره (ومنه) قولهم القول ما قالت حذام وهى امرأة لجيم بن صعب والد حنيفة وعجل ابنى لجيم وفيها قال

اذا قالت حذام فصدقوها * فان القول ما قالت حذام

﴿من أصاب مرة واخطأ مرة﴾ منه قولهم شخب فى الاناء وشخب فى الارض شبه بالحالب الجاهل الذى يحلب شخبا فى الاناء وشخبا فى الارض (وقولهم) يشج مرة ويأسو اخرى (وقولهم) سهم لك وسهم عليك (وقولهم) اطرقى وميشى وأصله ان يخلط الوبر بالصوف والمطراق العود الذى يضرب به بين ما خلط ﴿سوء المسئلة وسوء الاجابة﴾ قالوا أساء سمعا فأساء جابة هكذا تحكى هذه الكلمة جابة بغير الف وذلك انه اسم موضوع يقال أجابنى فلان جابة حسنة فاذا أرادوا المصدر قالوا اجابة بالالف (وقالوا) حدث امرأة حديثين فان لم تفهم فأربعة كذا فى الاصل والذى أحفظ فأربع اى امسك (وقولهم) اليك يساق الحديث ﴿من صمت ثم نطق بالفهاهة﴾ قالوا سكت ألفا ونطق

أجل يا أمير المؤمنين لك لا عليك (وروى) العتبى عن أبيه عن مولى لعمرو بن حريث قال شخصت الى سليمان بن عبد الملك فقيل لى انك تدعى لى أفصح العرب وسيسألك عن المطر فانظر ما تجيبه فقلت ما عندى من الجواب الا ما عند العامة فقيل لى ما ذلك يقنع عنده فلقينى اعرابى فقلت هل لك فى درهمين فقال انى والله محتاج اليهما حريص عليهما فما شأنك قلت لو سألك سائل عن هذا المطر بم كنت تجيبه قال أو يعيا بهذا احد قلت نعم سائلك قال أتعيا ان تقول أصابتنا سماء عمد لها الثرى واتصل بها العرى وقامت منها الغدر واتثلت فى مثل وجار الضبع فكتبت الكلام وأعطيته درهمين فكان همى يرى على الراحلة فاذا نزلت أقبلت عليه وأمثل نفسى كانى واقف بين يديه وقد سلمت عليه بالخلافة وهو يسألنى عن المطر فلما انتهيت اليه سألنى فاقتصصت الكلام فكسر احدى عينيه وقال انى لاسمع كلاما ما أنت بأبى عذرته قلت صدقت وحياتك يا أمير المؤمنين اشتريته بدرهمين فاستغرب ضحكا ثم أحسن صلتى (وقال اعرابى يمدح رجلا)

حليم مع التقوى شجاع مع الجدى
ندحين لا يندى السحاب سكوبه
ويحلو امورا لو تضيفن غيره
لمات خفاتا أو لكاد يذوب
شديد مناط القلب فى الموقف الذى
به القلوب العالمين وجيب

خلفا الخلف من كل شئ الردئ * {المعروف بالكذب يصدق مرة} * قولهم مع الخواطئ سهم صائب ورب رمية من غير رام وقولهم قد يصدق الكذوب * {المعروف بالصدق يكذب مرة} * قالوا لكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة ولكل عالم هفوة وقد يعثر الجواد ومن لك بأخيك كله واى الرجال المهذب * {كتمان السر} * قالوا صدرك اوسع لسرك وقالوا لا تفش سرك الى أمة ولا تبل على أكمة يقول لا تفش سرك الى امرأة فتبديه ولا تبل على مكان مرتفع فتبدو عورتك ويقولون اذا اسروا الى الرجل اجعل هذا في وعاء غير شرب * وقولهم سرك من دمك (وقيل) لاعرابي كيف كتمانك السر فقال ما صدرى الا قبر * {انكشاف الامر بعد اكتتامه} * قولهم حصحص الحق (وقولهم) أبدى الصريح عن الرغوة وفى الرغوة ثلاث لغات فتح الراء وضمها وكسرها (وقولهم) صرح المحض عن الزبدة (وقالوا) افرخ القوم بيضتهم اى اخرجوا فرختها يريدون اظهروا سرهم (وقولهم) برح الخفاء وكشف الغطاء * {ابداء السر} * قالوا افضيت اليك بشقورى اى اخبرتك بامرى واطلعتك على سرى (وقولهم) اخبرتك بعجرى وبجرى اى اطلعتك على معايبى والعجر العروق المنعقدة وأما البجر فهى فى البطن خاصة وتقول العامة لو كان فى جسدى مرض ما كتمتك * {الحديث يتذكر به غيره} * قالوا الحديث شجون وهذا المثل لضبة بن اد وكان له ابنان سعد وسعيد فخرجا فى طلب ابل لهما فرجع سعيد ولم يرجع سعد فكان ضبة كلما راى رجلا مقبلا قال أسعد أم سعيد فذهبت مثلا ثم ان ضبة بينا هو يسير يوما ومعه الحرث بن كعب فى الشهر الحرام فأتى على مكان فقال له الحرث اترى هذا الموضع فانى لقيت فتى هيئته كذا وكذا فقتلته وأخذت منه هذا السيف فاذا بصفة سعد فقال له ضبة أرنى السيف انظر اليه فناوله فعرفه فقال له ان الحديث شجون ثم ضربه به حتى قتله فلامه الناس فى ذلك وقالوا أقتلت فى الشهر الحرام قال سبق السيف العذل فذهبت مثلا * ومنه ذكرتنى الطعن وكنت ناسيا وأصل هذا ان رجلا حمل ليقتل رجلا وكان بيد المحمول عليه رمح فأنساه الدهش والجزع ما فى يده فقال له الحامل ألق الرمح قال الآخر فان رمحى لمعى ذكرتنى الطعن وكنت ناسيا ثم كر على صاحبه فهزمه أو قتله ويقال ان الحامل صخر بن معاوية السلمى اخو الخنساء والمحمول عليه يزيد بن الصعق * {العذر يكون للرجل ولا يمكن أن يبديه} * منه قولهم رب سامع خبرى لم يسمع عذرى ورب ملوم لا ذنب له ولعل له عذرا وأنت تلوم وقولهم المرء اعلم بشأنه * {الاعتذار فى غير موضعه} * منه قولهم ترك الذنب أيسر من التماس العذر وترك الذنب ايسر من طلب التوبة * {التعريض بالكناية} * منه قولهم اعن صبوح ترقق * ومنه قولهم اياك اعنى واسمعى ياجارة * {المن بالمعروف} * قالوا سوى احولك فلما ان صح رمقك وقولهم فضل القول على الفعل دناءة وفضل الفعل على القول مكرمة * {الحمد قبل الاختبار} * لا تحمدن امة عام اشترائها ولا حرة عام بنائها (وقولهم) لا تهرف قبل ان تعرف يقول لا تمدح قبل أن تختبر (وقولهم) اول المعرفة الاختبار * {انجاز الوعد} * قالوا أنجز حر ما وعد وقولهم العدة عطية وقولهم من أخر حاجة فقد ضمنها وقالوا وعد الحر فعل ووعد اللئيم تسويف وقالت العامة الوعد من العهد * {التحفظ من المقالة القبيحة وان كانت باطلا} * حسبك من شر سماعه وما اعتذارك من شئ قيل * {الدعاء بالخير} * منه قولهم للقادم من سفره خير حاء وردى اهل ومال اى جعلك الله كذلك وقولهم بلغ الله بك اكلأ العمر اى اقصاه وقولهم نعم عوفك اى نعم بالك وقولهم فى النكاح على يد الخير واليمن وقولهم بالرفاء والبنين يريد بالرفاء الكثرة يقال منه رفأته اذا دعوت له بالكثرة وقولهم هنيت ولا تنكداى اصابك خير ولا اصابك ضر وقولهم هوت امه وهبلت امه يدعون عليه وهم يريدون الحمد له ونحوه قاتله الله واخزاه الله اذا احسن (ومنه) قول امرئ القيس ماله لا عد من نفره * {تعيير الانسان صاحبه بعيبه} * قالوا رمتنى بدائها وانسلت وقولهم عير بجير بجره نسى بجير خبره وقولهم محترس

فتى هو من غير التخلق ماجد
ومن غير تأديب الرجال أديب
(وقال بعض المحدثين) يمدح
فتى يجعل المعروف قبل سؤاله
ويجعل دون العذر فضل التكرم
أغر متى تقصد به فضل حظه
تصب ومتى تطلب به الغنم تغنم
على رأيه ينضم منصدع الصفا
وينحل من عقد العرى كل مبرم
له عزمة أغنى من الجيش فى الوغى
وخطرة رام كالحسام المصمم
{جملة من كلام أبى الفضل أحمد ابن الحسين الهمدانى بديع الزمان} وهذا اسم وافق مسماه ولفظ طابق معناه وكلام غض المكاسر انيق الجواهر يكاد الهواء يسرقه لطفا والهوى يعشقه ظرفا ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسين بن دريد الازدى اغرب بأربعين حديثا وذكر انه استنبطها من ينابيع صدره واستخرجها من معادن فكره وابداها للابصار والبصائر وأهداها للافكار والضمائر فى معارض عجمية والفاظ حوشية فجاء أكثر ما اظهر تنبو عن قبوله الطباع ولا ترفع له حجبها الاسماع وتوسع فيها اذ صرف الفاظها ومعانيها فى وجوه مختلفة وضروب متصرفة عارضها بأربعمائة مقامة فى الكدية تذوب ظرفا وتقطر حسنا لا مناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى وعطف مساجلتها ووقف مناقلتها بين رجلين سمى احدهما عيسى بن هشام والآخر ابا الفتح الاسكندرى وجعلهما

من مثله وهو حارس (وقولهم) تبصر القذى فى عين اخيك ولا تبصر الجذع فى عينك *﴿الدعاء على الانسان﴾* منه قولهم فاها لفيك يريد الارض لفيك (وقولهم) بفيك الحجر وبفيك الاثلب وقولهم لليدين وللفم (ولما) اتى على بن ابى طالب رضى الله عنه بسكران فى رمضان قال له للمنخرين أولداننا صيام وانت مفطر وضربه مائة سوط (ومنه) قولهم لجنبه فليكن الوجه يريد الصرعة (ومنه) قولهم من كلا جانبيك لا لبيك اى لا كانت لك تلبية ولا سلامة من كلا جانبيك والتلبية الاقامة بالمكان * وقولهم بك لا بظبى (وقال الفرزدق)

اقول له لما اتانى نعيه * به لا بظبى بالصريمة اعفرا

(ومنه) قولهم جدع الله مسامعه وقولهم عقرا حلقا يريد عقره الله وحلقه * ومنه قولهم لا لعا له اى لا اقامه الله قال الاخطل * ولا لعا لبنى ذكوان اذ عثروا * (ولحبيب)

صفراء صفرة صحة قد ركبت * جسمانه فى ثوب سقم اصفر

قتلته سرا ثم قالت جهرة * قول الفرزدق لا بظبى اعفر

﴿رمى الرجل غيره بالمعضلات﴾ منه قولهم رماه بأقحاف راسه ورماه بثالثة الاثافى يريد قطعة من الجبل يجعل الى جنبها اثنتان وتكون هى الثالثة ومنه العصبية والافيكة اذا رماه بالبهتان وقولهم كأنما افرغ عليه ذنوبا اذا كلمه كلمة يسكته بها *﴿المكر والخلابة﴾* منه قولهم فتل فى ذروته اى خادعه حتى ازاله عن رأيه قال ابو عبيد ويروى عن الزبير حين سأل عائشة عن الخروج الى البصرة فأبت عليه فما زال يفتل فى الذروة والغارب حتى أجابت (وقولهم) ضرب اخماسا لاسداس يريدون المناكرة (وقال آخر) اذا ارادا امرؤ مكرا جنى عللا * وظل يضرب اخماسا لاسداس

(ومنه) قولهم الذئب يأدو للغزال اى يختله ليوقعه *﴿اللهو والباطل﴾* منه قولهم جاء فلان بالترهات وجرى فلان السمهى وهذا من اسماء الباطل (وقال) صلى الله عليه وسلم ما أنا من دد ولا دد منى وفيه ثلاث لغات دد وددا مثل قفا وددن مثل حزن *﴿خلف الوعد﴾* منه قولهم ما وعده الا برق خلب وهو الذى لا مطر معه ومنه ما وعده الا وعد عرقوب وهو رجل من العماليق أتاه اخوه يسأله فقال اذا أطلعت هذه النخلة فلك طلعها فأتاه للعدة فقال دعها حتى تصير بلحا فلما أبلحت قال دعها حتى تصير رطبا فلما أرطبت قال دعها حتى تصير تمرا فلما أتمرت عمد اليها عرقوب فجزها ولم يعط أخاه شيئا فصارت مثلا سائرا فى الخلف (قال الاعشى)

وعدت وكان الخلف منك سجية * مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

﴿اليمين الغموس﴾ منه قولهم جذها جذ العير الصليانة وذلك ان العير ربما اقتلع الصليانة اذا ارتعاها (ومنه) الحديث المرفوع اليمين الغموس تدع الديار بلاقع (قال) أبو عبيد اليمين الغموس هى المصبورة التى يوقف عليها الرجل فيحلف بها وسميت غموسا لغمسها حالفها فى المأثم (ومنه) قولهم اليمين حنث أو مندمة (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فليحلف بالله

﴿أمثال الرجال واختلاف نعوتهم﴾

﴿فى الرجل المبرز فى الفضل﴾ قولهم ما يشق غباره واصله السابق من الخيل وقولهم جرى المذكى حسرت عنه الحمراى كما يسبق الفرس القارح الحمر وقولهم جرى المذكيات غلاء أو غلاب وقولهم ليست له همة دون الغاية القصوى *﴿الرجل النبيه الذكر﴾* قولهم ما يجهر فلان فى العكم العكم الجوالق يريد انه لا يخفى مكانه * وقولهم ما يوم حليمة بسر وكانت فيه وقعة مشهورة قتل فيها المنذر ابن ماء السماء فضربت مثلا لكل امر مشهور وقولهم أشهر من ابلق وقولهم وهل يخفى على الناس النهار ومثله وهل يخفى على الناظر الصبح وقولهم وهل يجهل فلانا الا من يجهل القمر *﴿الرجل العزيز يعزبه الذليل﴾* منه قولهم * ان البغاث بأرضنا تستنسر * البغاث صغار الطير تستنسر تصير نسورا

يتهاديان الدر ويتنافثان السحر فى معان تضحك الحزين وتحرك الرصين يتطلع منها كل طريفة ويوقف منها على كل لطيفة وربما افرد احدهما بالحكاية وخص احدهما بالرواية وسأذكر منها ما لا يخل طوله بالشرط المعقود ولا ينافى حصوله الغرض المقصود

﴿كتب الى أبى نصر أحمد بن على الميكالى﴾

كتابى اعز الله الامير وودى ان أكونه فاسعد به دونه ولكن الحريص محروم لو بلغ الرزق فاه لولاه قفاه فرق الله بين الايام تفرقها بين الكرام والهمها ان تورد بعقل وتصدر بتمييز وما ذلك على الله بعزيز وانا فى مفاتحة الامير بين ثقة تعد ويد ترتعد ولم لا يكون ذلك والبحر وان لم اره فقد سمعت خبره ومن رأى من السيف أثره فقد عاين اكثره والليث وان لم القه فلم أجهل خلقه وما وراء ذلك من تالد أصل وحسب وطارف فضل وادب وبعد همة وصيت فعلوم تشهد بذلك الدفاتر والخبر المتواتر وتنطق به الاشعار كما تصدق به الآثار والعين اقل الحواس ادراكا والاذن اكثرها استمساكا وان بعدت الدار فلا ضير ان أيسر البعدين بعد الدارين وخير القربين قرب القلبين (وكتب اليه فى سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة) الامير الفاضل والشيخ الرئيس رفيع مناط الهمة بعيد منال الحرمة فسيح مجال الفضل رحيب منخرق الجود رطب ملاقى

وقولهم لاحر بوادي عوف يريدون عوف بن ملحم الشيباني وكان منيعا وقولهم تمرد مارد وعز الابلق مارد حصن بدومة الجندل والابلق حصن ومن عزبز ومن قل ذل ومن أمر فل أمر كثر * (الرجل الصعب) * منه قولهم فلان ألوى بعيد المستمر وقولهم ما بلت منه بأفوق ناصل وأصله السهم المكسور الفوق الساقط النصل يقول فهذا ليس كذلك وقولهم ما يقعقع لي بالشنان وقولهم ما يصطلى بناره وقولهم ما يقرن به الصعبة * (الحديد بالحديد يفلح) * منه قولهم * ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا * والحديد بالحديد يفلح والفلح الشق ولا يفل الحديد الا الحديد والنبع يقرع بعضه بعضا ورمى فلان بحجره أي قرن بمثله * (الاريب الداهي) * هو هتر اهتار وصل أصلال أصله من الحيات شبه الرجل بها ومثله حية ذكر وحية واد وقولهم هو عضلة من العضل وهو باقعة من البواقع وحول قلب ومؤدم مبشر يقول فيه لين الادمة وخشونة البشرة وفلان يعلم من حيث تؤكل الكتف * (التنبيه بالمنظر ولا سابقة) * قال أبو عبيد هو الذي تسميه العرب الخارجي يريدون خرج من غير أولية كانت له (قال الشاعر)

ألا يا مرو لست بخارجي * وليس قديم مجدك بانتحال

وقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وهو تصغير رجل منسوب الى معد (وقالوا) * نفس عصام سودت عصاما * (الرجل العالم النحرير) * قالوا انه لنقاب وهو الفطن الذكي * وقالوا انه لعض وهو العالم النحرير وقولهم انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب قال الاصمعي الجذيل تصغير الجذل وهو عود ينصب للابل الجربا لتحتك به من الجرب فأراد أن يشفي برأيه والعذيق تصغير عذق والعذق بالفتح النخلة نفسها فاذا مالت النخلة الكريمة بنوا من جانبها المائل بناء مرتفعا يدعمها لكي لا تسقط فذلك الترجيب وصغرهما للمدح * ومثله قولهم انه لجذل حكاك ومنه قولهم عنيته تشفي الجرب والعنية شئ تعالج به الابل اذا جربت وقولهم * لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا واول من قرعت له العصا سعد بن مالك الكناني ثم قرعت لعامر بن الظرب العدواني وكان حكم في الجاهلية فكبر حتى أنكر عقله فقال لبنيه اذا أنا زغت فقوموني وكان اذا زاغ قرعت له العصا فينزع عن ذلك ومنه قولهم انه لالمعي وهو الذي يصيب بالظن وقولهم ما حككت قرحة الا أدميتها وقولهم الامور تشابه مقبلة وتظهر مدبرة ولا يعرفها مقبلة الا العالم النحرير فاذا أدبرت عرفها الجاهل والعالم * (الرجل المجرب) * منه قولهم انه لشراب بأنقع أي معاود للخير والشر وقولهم انه لخراج ولاج وقولهم حلب الدهر أشطره وشرب أفاويقه أي اختبر من الدهر خيره وشره فالشطر هو شطر الحلبة والفيقة ما بين الحلبتين وقولهم رجل منجذ وهو المجرب وأصله من النواجذ يقال قد عض على ناجذه اذا استحكم وقولهم أول الغزو أخرق وقولهم لا تعدوا الا بغلام وقد غذا وقولهم زاحم بعود أودع وقولهم العوان لا تعلم الخمرة وقالت العامة الشارب لا يصفر له * (الذب عن الحرم) * قالوا الفحل يحمي شوله والخيل تجري على مساويها يقول ان الخيل وان كانت لها عيوب فان كرمها يحملها على الجري وقولهم النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه وقولهم النساء حبائل الشيطان وقولهم كل ذات صدار خالة يريد أنه يحميها كما يحمي خالته * (الصلة والقطيعة) * منه قولهم لا خير لك فيمن لا يرى لك ما يرى لنفسه وقولهم انما يضن بالضنين وقولهم خل سبيل من وهى سقاؤه وقولهم ألق حبله على غاربه وقولهم لو كرهتني يدي قطعتها * (الرجل يأخذ حقه قسرا) * منه قولهم يركب الصعب من لا ذلول له وقولهم مجاهرة اذا لم أجد مختلا يقول آخذ حقي قسرا علانية اذا لم أصل اليه بالستر والعافية وقولهم حلبتها بالساعد الاشد يقول أخذتها بالقوة والشدة اذا لم أقدر عليها بالرفق وقولهم التجلد خير من التبلد والمنية خير من الدنية ومن عزبز * (الاطراق حتى تصاب الفرصة) * منه قولهم تحت نبي عليها مطرق ليباع لينبعث يقول سكت حتى يصيب فرصته فيثب عليها

وقوله

فلو تقاست الثريا
والشعرتين قريضا
وكاهل الارض ضربا *
وشعب رضوى عروضا
وصغت للدر خدا
وللهواء نقيضا
بل لو جلوت عليه
سود الذوائب بيضا
او ادعيت الثريا
لا نجميه حضيضا
والبحر عند لهاه
يوم العطاء مغيضا
لما كنت الا في ذمة القصور وجانب التقصير فكيف وأنا قاعد الحال في المدح قاصر الآلة عن السرح ولكني أقول الثناء منجح أني سلك والسخي جوده بما ملك وان لم تكن غرة لائحة فلمعة دالة وان لم يكن صداء فماء وان لم يكن خمر فخل وان لم يصبها وابل فطل وبذل الموجود غاية الجود وبعض الجهد آخر المجهود وماش خير من لاش ووجود ما قل خير من عدم ما جل وقليل في الجيب خير من كثير في الغيب وجهد المقل خير من عذر المخل وحمار ايس خير من فرس ايس وكوخ في العيان خير من قصر في الوهم وزيت خير من ليت وما كان أجود من لو كان وقد قيل عصفور في الكف اجود من كركي في الجو ولان تقطف خير من ان تقف ومن لم يجد الجميم رعى الهشيم ومن لم يحسن صهيلا نهق ومن لم يجد ماء تيمم والامير الرئيس أدام الله نعماه لا ينظر في قوافي

صنيعته الى ركاكة ألفاظها وبعد اغراضها ولكن الى كثرة جدرها وثقل مهرها وقلة كفئها وانى منذ فارقت قصبة جرجان ووطئت عتبة
خراسان مازففتها الا اليه ولا وقفتها الا عليه هذا على تمرغي في أعطاف المحن وضروروتي الى ابناء الزمن وان كان الامير الرئيس يرفع
لكل لفظ حجاب سمعه ويفسح لكل شعر فناء طبعه فهاك من النثر ما ترى ومن النظم ما يترى ادهق الكاس فعرف الشـ ـفـ ـر قد كاد يلوح
فهو للناس صباح * ولدى الراى صبوح والذى عرح في حلـ ـبة ذا اللهـ ـو جموح فاسقنيها والامانى * لمـا عرف يفوح
ان للايام أسرا * وابها سوف تبوح لا يغـرنك جسم * صادق الحس وروح انما نحن الى الا * جال نغدو ونروح
وبك هذا العمر تبريـ ـح وهذا الروح ريح بينما أنت صحيح الـ ـجسم اذا انت طريح ٢٥٧ فاسقنيها مثل ما بـ ـفطها الديك الذبيح
قبل أن يضرب في الد
ـر بي القدح السنيح
انما الدهر غرور
وان أصغى نصيح
واسان الدهر بالو
ـظ لواعيه فصيح
نستبيح الدهر والا
يام منا تستبيح
نحن لاهون وآجا
ل المنايا لا تريح
ياغلام الكاس فالبا
س من الناس مريح
ضاع ما نحميه من أنـ
ـفسنا وهو مبيح
وقنوعا فقام الـ
ـذل بالمرء قبيح
أنا يادهر بأ بنا
ئك شق وسطيح
وبأبكار القوافى
لا على كف شحيح
يا بنى ميكال والجو
د الا لى مزيح
شرفا ان مجال الـ
فضل فيكم لفسيح
وعلى قدرسنا المم
ـدوح يأتيك المديح

٣٣ عقد ل وهناك الشرف الار * فع والطرف الطموح والندى والخلق الطا * هر والخلق الصبيح
مرتقى مجد بحار الطرف فيه ويطيح أى هذا الكرم الما * ثل والخلق السجيح كان هذا الجود ميتا * عاده منك المسيح هذه أطال الله بقاء
الامير هدية الوقت وعفو الساعة وفيض البديهة ومسارقة القلم ومسابقة اليد للفم وجرات الحدة وثمرات المدة ومجاراة الخاطر للناظر ومباراة
الطبع للسمع ومجاذبة الجنان للبيان والشعر اذا لم تتقدمه روية ولم تنضجه نية لم يفتح له السمع بابه ولم يرفع له القلب حجابه واذا لبس
الامير هذه على علاتها رجوت أن يكون بعدها ما هو افتن وأحسن وأرصن فرأيه ابده الله فى الوقوف عليها موفقا ان شاء الله (وله اليه معاتبة)
اثن ساءنى أن نلتنى بمساءة * لقد سرنى انى خطرت ببالك الامير الفاضل الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه الى آخر الدعاء فى حال بره وجفائه
متفضل وفى يومى ابعاده وادنائه متطول وهبنا لمن جنانا ما يحله ومن عرانا ما يحله ومن أعراضنا ما يستحله بلغنى أدام الله عزه استزراه

وقولهم تحسبها حمقاء وهى باخس وقولهم خبره فى صدره وقولهم أحمق بلغ يقول مع حمقه يدرك حاجته
(الرجل الجلد المصحح) أطرّى فانك ناعلة أصله ان رجلا قال لراعية له كانت ترعى فى السهولة
وتترك الحزونة فقال لها اطرّى أى خذى طرر الوادى وهو نواحيه فانك ناعلة يريد فان عليك نعلين
وقولهم به داء ظبي معناه انه ليس بالظبي داء وقالوا الشجاع موقى (الذل بعد العز) منه قولهم كان
جملا فاستنوق أى صار ناقة وقولهم كان حمارا فاستأتن أى صار أتانا وقولهم الحور بعد الكور وقولهم
ذل لو وجد ناصرا أصله ان الحرث بن شمر الغسانى سأل أنس بن أبى الجبير عن بعض الامر فأخبره
فلطمه الحرث فقال أنس ذل لو وجد ناصرا فلطمه ثانية فقال لو نهيت الاولى لم تلطم الثانية فذهبتا
مثلين (الانتقال من ذل الى عز) منه قولهم كنت كراعا فصرت ذراعا وقولهم كنت عنزا فاستتيست
وقولهم كنت بغاثا فاستنسرت أى صرت نسرا (تأديب الكبير) قالوا اشتد فطام الكبير وقولهم
عود يقلح أى جمل مسن تنقى أسنانه اشتد الهرير وقالوا من العناء رياضة الهرم (قال الشاعر)
وترو ض عرسك بعدما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم
وقولهم أعييتنى بأشر فكيف بدردر يقول أعييتنى وأنت شابة فكيف اذا بدت دردرك وهى مغارز
الاسنان (الذليل المستضعف) منه قولهم فلان لا يعوى ولا ينبح من ضعفه يقول لا يتكلم بخير ولا
شر وقولهم أهون مظلوم سقاء مروب وهو السقاء الذى يكف حتى يبلغ اوان المخض وقالوا أهون
مظلوم عجوز معقومة وقولهم * لقد ذل من بالت عليه الثعالب (الذليل يستعين بأذل منه) قالوا عيل
صريخه أمه وقولهم مثقل استعان بذقنه وأصله البعير يحمل عليه الحمل الثقيل فلا يقدر على النهوض
به فيعتمد على الارض بذقنه وقولهم العبد من لا عبد له (الاحمق المائق) قالوا عدو الرجل حمقه
وصديقه عقله وقولهم خرقاء عيابة وهو الاحمق الذى يعيب الناس وقالوا فى الرجل اذا اشتد حمقه جدا
ثأطة مدت بماء الثأطة الحمأة فاذا أصابها الماء ازدادت فسادا ورطوبة (الذى تعرض له الكرامة
فيختار الهوان) منه قولهم تجنب روضة واختار يعدو يقول ترك الخصب واختار الشقاء وقولهم لا يخلو
مسك السوء من عرف السوء يقول لا يكن جلد رذل الا والريح المنتنة موجودة فيه ومنه قول العامة
قيل للشقى هلم الى السعادة قال حسبى ما انا فيه ومنه قول العامة * ان الشقى بكل حبل يختنق *
وقولهم لا يعدم الشقى مهيرا أى لا يعدم الشقى رياضة مهر (الرجل تريد اصلاحه وقد أعياك أبوه
قبله) منه قولهم لا تقتنى من كلب سوء جروا (وقال الشاعر)
ترجو الوليد وقد أعياك والده * وما رجاؤك بعد الوالد الولدا

صنيعته وكنت أظنني محببا عليه مسبقا اليه فاذا أنا في قرارة الذنب وبمثابة العتب وليت شعري أي محظور في العشرة حضرته أو مفروض من الخدمة رفضته أو واجب في الزيارة أهملته وهل كنت الا ضيفا أهداه بلد شاسع وأداه أمل واسع وحداه فضل وان قل وهداه رأى وان ضل ثم لم يلق الا في آل ميكال رحله ولم يصل الا بهم حبله ولم ينظم الا فيهم شعره ولم يوقف الا عليهم شكره ثم ما بعدت صحبة الا دنت مهانة ولا زادت حرمة الا نقصت صيانة ولا تضاعفت همة الا تواضعت منزلة ولم تزل الضيعة بنا حتى صار وابل الاعظام قطرة وعاد قميص القيام صدرة وذلك التقرب ازورارا وطويل السلام اختصارا والاهتزاز ايماء والعبارة اشارة وحين عاتبته وكاتبته أرجو عتابه وانتظر جوابه وسألته آمل ايجابه فأجاب بالسكوت واعتب بالقنوت فما ازددت الا له ولاء وعليه ثناء لا جرم أني اليوم ابيض وجه العهد واضح محجة الود طويل عنان القول رفيع حكمة العذر وقد حملت فلانا من الرسالة ما تجافى عنه القلم والامير الرئيس اطال الله بقاءه ينعم بالاصغاء لما يورده موفقا ان شاء الله ﴿وله اليه في هذا الباب﴾ انا في خدمة الامير الرئيس اطال الله بقاءه مترجح بين ان اشرب بها رنقة ولا اسيغها واقابل منها مضغة ولا اميزها وبين ان اطويها على غرها ولا ارتضع اخلاف درها فلا نفسي تطاوعني لرفض ولا همتي توطنني لخفض وبقي ان اقرصه وأنامل العتب واحشمه بألفاظ العذل واعرفه اني ما اطوى مسافة مزار الا متجشما ولا أطأ عتبة دار الا متبرما ولست كمن يبسط يده مستجديا او ينقل قدمه مستعديا فان كان الامير الرئيس ايده الله يسرح طرفه مني في طامح او طامع فليعد للفراسة نظرا فما الفقر من أرض العشيرة ساقنا اليك ولكنا بقربك نجمع واجدني كلما استفزني الشوق الى تلك المحاسن اطير اليها جناحين محجلا وارجع بعد رجاوين فتملقوا خجلا ولولا ان الرضا بذلك ضرب من سقوط الهمة وان العتاب نوع من انواع الخدمة لصنت مجالسه عن قلمي كما اصونه عن قدمي وملت الى أرض الدعاء فهو انجع والى جانب الثناء فهو أوسع وسأفعل لتخف مؤنتي ولا تثقل وطأتي اذا ما عتبت فلم تعتب * وهنت عليك فلم تعن بي سلوت ولو كان ماء الحيا * فاعفت الورود ولم أشرب ﴿قطعة من مفردات الابيات لأهل العصر في معان شتى تجري مجرى الامثال﴾ (أبو فراس الحمداني) اذا كان غير الله للمرء عدة * أتته الرزايا من وجوه المكاسب (وله) عفافك عي انما عفة الفتى * اذا عف عن لذاته وهو قادر (وقال المتنبي) كل حلم أتى بغير اقتدار * حجة لاجئ اليها اللئام (وله) واذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الاجسام (وله) واذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني فاضل

﴿الواهن العزم الضعيف الرأى﴾ منه قولهم ماله أكل ولا صبور أي ليس له رأي ولا قوة قال الاصمعي طلب اعرابي ثوبا من تاجر فقال اعطني ثوبا له أكل يعني قوة وصفاقة ومنه قولهم هو امعة وهو امرة قال أبو عبيدة هو الرجل الذي لا رأي له ولا عزم فهو يتابع كل أحد على رأيه ولا يثبت على شئ وكذلك الامرة الذي يتابع كل أحد على امره ومنه قولهم بيت الجبل ومعناه الصدى يجيبك من الجبل أي هو مع كل متكلم يجيبه بمثل كلامه ﴿الذي يكون ضارا ولا نفع عنده﴾ منه قولهم المعزى لا يكون منها الابنية وهي بيوت الاعراب وانما تكون من وبر الابل وصوف الضأن ولا تكون من الشعر وربما صعدت المعزى الى الخباء فخرقته فذلك قولهم تنهى يقال أنهيت البيت اذا اخرقته فاذا انخرق قيل بيت ناه ﴿الرجل يكون ذا منظر ولا خير فيه﴾ ومنه قولهم ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل وقال الحجاج لعبد الرحمن بن الاشعث انك لمنظراني قال نعم ومخبراني ﴿أمثال الجماعات وحالاتهم من اجتماع الناس وافتراقهم﴾ قال الاصمعي ويقال لن يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تساووا هلكوا قال أبو عبيدة معناه ان الغالب على الناس الشر والخير في القليل من الناس فاذا كان التساوي فانما هو من الشر (ومن اشد العجائب قول القائل) سواسية كاسنان الحمار ومنه قولهم الناس سواء كاسنان المشط وقولهم * الناس اشباه وشتى في الشيم وقولهم الناس اخياف أي مفترقون في اخلاقهم والاخيف من الخيل الذي احدى عينيه زرقاء والاخرى كحلاء ومنه قولهم بيت الاسكاف فيه من كل جلد رقعة ﴿المتساويان في الخير والشر﴾ هما كفرسي رهان وكركبتي بعير وهما زندان في وعاء وهذا في الخير وأما في الشر فيقال هما كحماري العبادي ﴿الفاضلان وأحدهما أفضل﴾ منه قولهم مرعى ولا كالسعدان وقولهم ماء ولا كصداء وصداء ركية ذات ماء عذب وقولهم فتى ولا كمالك وقولهم في كل الشجر نار واستمجد المرخ والعفار وهما أكثر الشجر نارا ﴿الرجل يرى لنفسه فضلا على غيره﴾ منه قولهم كل مجر بالخلاء يسر واصله الذي يجري فرسه في المكان الخالي فهو يسر بما يرى منه ﴿المكافأة﴾ منه قولهم سنة بتلك وقولهم اضئ لي أقدح لك أي كن لي أكن لك وقولهم اسق رقاش انها سقاية يقول أحسنوا لها انها محسنة

﴿الامثال في القربى﴾

﴿التعاطف لذوي الارحام﴾ قال الكلبي منه قولهم يا بعضي دع بعضا واصل هذا ان زرارة بن عدس زوج ابنته من سويد بن ربيعة فكان له منها تسعة بنين وان سويدا قتل أخا صغيرا لعمرو بن هند الملك وهرب ولم يقدر عليه ابن هند فأرسل الى زرارة ان ائتني بولده من ابنتك فجاء بهم فأمر عمرو بقتلهم

فتعلقوا بجدهم زرارة فقال يا بعضي دع بعضا فذهبت مثلا (ومن أمثالهم) في التحنن على الاقارب قولهم لكن على بالدح قوم عجفى وقولهم لكن بالاثلات لحم لا يظلل وأصل هذا ان بيهسا الذي يلقب بنعامة كان بين أهل بيته وبين قوم حرب فقتلوا سبعة اخوة لبيهس وأسروا بيهسا فلم يقتلوه لصغره وارتحلوا به فنزلوا منزلا في سفرهم ونحروا جزورا فقال بعضهم ظللوا لحم جزوركم فقال بيهس لكن بالاثلات لحم لا يظلل يعني لحم اخوته القتلى ثم ذكروا كثرة ما غنموا فقال بيهس لكن على بالدح قوم عجفى ثم انه أفلت أو خلوا سبيله فرجع الى أمه فقالت أنجوت من بينهم وكانت لا تحبه فقال لها لو خيرت لاخترت فلما لم يكن لها ولد غيره رقت له وتعطفت عليه فقال بيهس الثكل أرأمها فذهبت كلماته هذه الاربع كلها أمثالا ومنه قولهم لا يعدم الحوار من أمه حنة وقولهم لا يضر الحوار ما وطئته أمه وقولهم واياي أوحد اليتامى (حمية القريب وان كان مبغضا) من ذلك قولهم آكل لحمي ولا أدعه يؤكل ومنه لا تعدم من ابن عمك نصرا وقولهم الحفائظ تحلل الاحقاد وقولهم في ابن العم عدوك وعدو عدوك وقولهم كفك منك وان كانت شلاء وقولهم انصر أخاك ظالما أو مظلوما (اعجاب الرجل باهله) منه قولهم كل فتاة بأبيها معجبة وقولهم القرنبى في عين أمها حسنة وقولهم زين في عين والد ولده وقولهم حسن في كل عين من تود وقولهم من يمدح العروس الا أهلها (تشبيه الرجل بابيه) منه قولهم من أشبه أباه فما ظلم وقولهم العصية من العصا وقولهم ما أشبه حجل الجبال بألوان مضرها وقولهم ما أشبه الحول بالقبل وما أشبه الليلة بالبارحة وقولهم شنشنة أعرفها من أخزم يقال هذا في الولد اذا كانت فيه طبيعة من أبيه قال زهير

وهل ينبت الخطى الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل

ومنه قول العامة لا تلد الذئبة الا ذئبا وقولهم حذو النعل بالنعل وحذو القذة بالقذة والقذة الريشة من ريش السهم تحذى على صاحبتها (تحاسد الاقارب) من ذلك قولهم الاقارب هم العقارب وقال عمر تزاوروا ولا تجاوروا * وقال أكثم تباعدوا في الديار وتقاربوا في المحبة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي هريرة زر غبا تزدد حبا ومنه قولهم فرق بين معد تحاب يريد أن ذوي القربى اذا تدانوا تحاسدوا وتباغضوا (قولهم في الاولاد) قالوا من سره بنوه ساءته نفسه أي من يرى فيهم ما يسر يرى في نفسه ما يسوءه وقولهم

ان بني صبية صيفيون * أفلح من كان له ربعيون

الولد الصيفي الذي يولد للرجل وقد أسن والربعي الذي يولد له في عنفوان شبابه أخذ من ولد البقرة

(وله) لا يعجبن مضيما حسن بزته * وهل تروق دفينا جودة الكفن (وله) من أطاق التماس شئ غلابا * واغتصابا لم يلتمسه سؤالا (وله) والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم (وله) ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها * اني بما أنا باك منه محسود (وله) ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته * ما فاته وفضول العيش أشغال والمتنبي أكثر المحدثين افتنانا واحسانا في الاغراب بهذا الباب والاستقصاء يخرج عن شرط الكتاب (وقال السري الموصلي) خذوا من العيش فالاعمار فانية * والدهر منصرم والعيش منقرض (وله) فانك كلما استودعت سرا * أنم من النسيم على الرياض (وقال أبو اسحق الصابي) الضب والنون قد يرجى التقاؤهما وليس يرجى التقاء اللب والذهب (وقال ابن نباتة) مثل خلعت على الزمان رداءه * عوز الدراهم آفة الاجواد (وله) يهوى الثناء مبرز ومقصر حب الثناء طبيعة الانسان (وقال أبو الحسن السلامي) تبسطنا على اللذات لما رأينا العفو من ثمر الذنوب (وقال ابن السكاك البصري) وماذا أرتجي من حياة تكدرت ولو قد صفت كانت كاحلام نائم (وقال أبو طالب المأموني) لي في ضمير الدهر سر كامن لا بد أن تستله الاقدار (وقال أبو الفضل بن العميد) الرأي يصدأ كالحسام لعارض يطرا عليه وصقله التذكير (وقال أبو الفتح) بطرتم فطرتم والعصا زجر من عصى وتقويم عبد الهون بالهون رادع (وله) اذا بلغ المرء آماله فليس له بعدها مقترح (وقال الصاحب أبو القاسم اسمعيل بن عباد) ان أم الصقر في الود * دلمة لا تر ود (وله) من لم يعدنا اذا مرضنا ان مات لم نشهد الجنازه (وله) حفظ اللسان راحة الانسان فاحفظه حفظ الشكر للاحسان (وقال اسمعيل الناشي) وكنت أرى ان التجارب عدة * فخانت ثقات الناس حتى التجارب (وقال أبو الفتح البستي) لا ترج شيأ خالصا نفعه * فالغيث لا يخلو من العيب (وله) ولم أر مثل الشكر جنة غارس ولا مثل حسن الصبر جنة لابس (وله) وطول مقام الماء في مستقره * يغيره ريحا ولونا ومطعما (وله) ما استقامت قناة رأيي الا بعد ما عوج المشيب قناتي (وقال أبو الفضل الميكالي) هو الشوك لا يعطيك وافر مسة * يد الدهر الا حين تضرب جلدا (وله) ذو الفضل لا يسلم من قدح * وان غدا أقوم من قدح (وقال شمس المعالي) وفي السماء نجوم ما لها عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر (هذا مأخوذ من قول الطائي) ان الرياح اذا ما استعصفت قصفت * عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم * بنات نعش ونعش لا كسوف لها * والشمس والبدر منها الدهر في الرقم (وقال أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي) الهجر أروح من وصل على حذر

والموت أطيب من عيش على غرر (وقال ابو بكر الخوارزمي) لاتغرنك هذه الأوجه الغر فيارب حية في رياض (وقال أبو العيناء) كان عيسى بن فرخان شاه يتيه على في ولايته الوزارة فلما صرف رهبني فلقيني فسلم على فأحفى فقلت لغلامي من هذا قال أبو موسى فدنوت منه وقلت أعزك الله والله لقد كنت اقنع بإيمائك دون بيانك وبلحظك دون لفظك فالحمد لله على ما آلت اليه حالك فلئن كانت اخطأت فيك النعمة فلقد أصابت فيك النقمة ولئن كانت الدنيا أبدت مقابحها بالاقبال عليك لقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك ولله المنة اذ أغنانا عن الكذب عليك ونزهنا عن قول الزور فيك فقد والله اسأت حمل النعم وما شكرت حق المنعم فقيل له يا أبا عبد الله لقد بالغت في السب فما كان الذنب قال سألته حاجة أقل من قيمته فردني عنها بأقبح من خلقته (وقال على بن العباس الرومي) لابي الصقر اسمعيل بن بلبل لما نكبه الموفق أبو أحمد والم في بعض قوله بقول ابي العيناء

لازال يومك عبرة لغدك
وبكت بشجو عين ذى حسدك
فلئن نكبت لطالما نكبت
بك همة لجأت الى سندك
لو تسعد الايام ما سعدت
الا بموت في عضدك
يا نعمة ولت غضارتها
ما كان اقبح حسنها بيدك
فلقد غدت بردا على كبدى
لما غدت حرا على كبدك
ورأيت نعمى الله زائدة
لما استبان النقص في عددك
ولقد تمنت كل صاعقة
لو انها صبت على كتدك
لم يبق لى مما برى جسدى
الا بقاء الروح في جسدك

(وله فيه أهاج كثيرة لما نكب) منها قوله

خفض أبا الصقر فكم طائر
خر صريعا بعد تحليق
زوجت نعمى لم تكن كفأها
فصانها الله بتطليق
لاقدست نعمى تسربلتها
كم حجة فيها لزنديق

(وكان) أبو الصقر لما ولى الوزارة مدحه ابن الرومي بقصيدته النونية التي أولها الحمد

أجنيك الورد أغصان وكثبان * فيهن نوعان تفاح ورمان
وفوق ذينك أعناب مهدلة * سود لهن من الظلماء ألوان
وتحت هاتيك عناب تلوح به * اطرافهن قلوب القوم قنوان
غصون بان عليها الزهر فاكهة * وما الفواكه مما يحمل البان
ونرجس بات سارى الطل يضربه * وأقحوان منير اللون ريان
ألفن من كل شئ طيب حسن * فهن فاكهة شتى وريحان
ثمار صدق اذا عاينت ظاهرها * لكنها حين تبلو الطعم خطبان
ولابد من على عهد لمعتقد * والغانيات كما شبهن بستان
يميل طورا بحمل ثم يعدمه * ويكتسى ثم يلفى وهو عريان

وهي أكثر من مائتي بيت مر له فيها احسان كثير فأنشدها أبا الصقر فلما سمع قوله قالوا ابو الصقر من شيبان قلت لهم * كلا لعمري ولكن منه شيبان * قال هجاني قيل له ان هذا من أحسن المدح الا تسمع ما بعده

الربعي والصيفي ويقال للمرأة اذا تبنت غير ولدها ابنك من دمى عقبيك (الرجل يؤتى من حيث أمن) قالوا من مأمنه يؤتى الحذر وقال عدى بن زيد العبادى

لو بغير الماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصارى

قال الاصمعي هذا من أشرف أمثال العرب يقول ان كل من شرق بالماء لا مستغاث له (وقال الآخر)

كنت من كربتى أفر اليهم * فهم كربتى فأين الفرار

(ومثله قول عباس بن الاحنف)

قلبى الى ما ضرنى داعى * يهيج أحزانى وأوجاعى
كيف احتراسى من عدوى اذا * كان عدوى بين أضلاعى

(الامثال في مكارم الاخلاق)

(الحلم) قال أبو عبيدة من أمثالهم في الحلم اذا نزل الشر فاقعد أى فاحلم ولا تسارع اليه ومنه قول الأحنف الحليم مطية الجهول وقولهم لا ينتصف حليم من جاهل وقولهم أحوال الشرفاء شتت تحملته وقولهم في الحليم انه كواقع الطير وكساكن الريح وقولهم في الحلماء كأنما على رؤسهم الطير ومنه قولهم رب سامع فادر وقولهم حلمى أصم وأذنى غير صماء (العفو عند المقدرة) منه قولهم ملكت فأسجح وقد قالته عائشة رضوان الله عليها لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها وكلمها فاجابته ملكت فأسجح ومنه قولهم المقدرة تذهب الحفيظة وقولهم اذا ارجحن شاصيا فارفع يدا يقول اذا رأيته قد خضع واستكان فاكفف عنه والشاصى الرافع رجله (المساعدة وترك الخلاف) من ذلك قولهم اذا عز أخوك فهن وقولهم لولا الوآم هلك اللئام والوآم المباهاة يقول لولا المباهاة لم يفعل الناس خيرا (مداراة الناس) قالوا اذا لم تغلب فاخلب يقول اذا لم تغلب فاخدع ودار والطف وقولهم الا حظية فلا الية معناه ان لم يكن حظوة فلا تقصير والالية من الو وأتلى وهو التقصير وقولهم سوء الاستمساك خير من حسن الصرعة ومنه قول ابى الدرداء انا لنبش في وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار الناس من داراه الناس لشره ومنه قول شبيب بن شيبة في خالد بن صفوان ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية يريد ان الناس يدارونه لشره وقلوب الناس تبغضه (مفاكهة الرجل أهله) منه قولهم كل امرئ في بيته صبى يريد حسن الخلق والمفاكهة ومنه قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انا اذا خلونا قلنا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم خياركم خيركم لاهله ومنه قول معاوية انهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام (اكتساب

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علت برسول الله عدنان قال انا بشيبان لا شيبان بى فقيل له فقد قال * ولم أقصر بشيبان التى بلغت بها المبالغ اعراق وأغصان * لله شيبان قوم لا يشوبهم * روع اذا الروع شابت منه ولدان * فقال لا والله لا أثيبه على هذا الشعر وقد هجانى (قال ابو بكر) محمد بن يحيى الصولى كنت يوما عند عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد ذكروا قصيدة ابن الرومى هذه النونية وقال هذه دار البطيخ فاعرفوا تشبيهها تعلموا ذلك فضحك جميع من حضر وفى هذه القصيدة يقول من المختار فى النسب

يارب حسانة منهن قد فعلت * سوأ وقد يفعل الاسواء احسان * تشكى المحب وتلفى الدهر شاكية *

كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان * وهذا كقوله فى قصيدة يصف فيها قوس البندق * لها رنة اولى بها من تصيبه * واجدر بالاعوال من كان موجعا * (يقول فيها) لا تلحيانى واياها على ضرعى * وزهوها لج مفتون وفتان

انى ملكت فبى للرق مسكنة

وملكت فلها بالملك طغيان

لى مذنبات وجنة رياء شرفها

من عبرتى وفم ما عشت ظمآن

(وفيها فى مدح بنى شيبان)

قوم سماحتهم غيث ونجدتهم

غوث وآراؤهم فى الخطب شهبان

تلقاهم ورماح الخط حولهم

كالاسد البسها الآجام خفان

صانوا النفوس عن الفحشاء وابتذلوا

منهن فى سبل العلياء ما صانوا

المنعمون وما منوا على احد

يوما بنعمى ولو منوا لما مانوا

(يقول فيها فى ابى الصقر)

يفديه من فيه عن مقدار فديته

عن المفاداة تقصير ونقصان

قوم كأنهم موتى اذا مدحوا

وما لهم من حبير الشعر أكفان

صاحى الطباع اذا سالت هواجسه

وان سألت يديه فهو نشوان

يصحبه ذهن ويأبى صحوه كرم

مستحكم فهو صاح وهو سكران

فرد جميع يراه كل ذى بصر

كأنه الناس طرا وهو انسان

(وهذا كقول ابى الطيب) واقيت كل الماطلين كأنما * ردالاله نفوسهم والاعصرا * نسقوا لنا نسق الحساب مقدما * وأتى فذلك اذ اتيت مؤخرا * وقد تقدم وقال فان يك سيار بن مكرم انقضى * فانك ماء الورد ان ذهب الورد مضى وبنوه وانفردت بفضلهم * والف اذا ما جمعت واحد فرد (وقال البحترى) * ولم أر امثال الرجال تفاوتا * لدى المجد حتى عد الف بواحد * ومدحه وعاتبه بقصائد كثيرة فما انجحت (فمن ذلك قوله فى قصيدة طويلة يمدحه)

فى وجهه روضة للحسن مونقة * ما رادفى مثلها طرف ولا سرحا طل الحياء عليها ساقط أبدا * كاللؤلؤ الرطب لو رقرقته سفحا انا الزعيم لمكحول بغرته * أن لا يرى بعده بؤسا ولا ترحا مهما اتى الناس من طول ومن كرم * فانما دخلوا الباب الذى فتحا

(الحمد واجتناب الذم) قالوا الحمد مغنم والذم مغرم وقولهم قليل الذم غير قليل وقولهم ان خيرا من الخير فاعله وان شرا من الشر فاعله وقولهم

الخير يبقى وان طال الزمان به * والشر أخبث ما أوعيت من زاد

(الصبر على المصائب) من ذلك قولهم * هون عليك ولا تولع باشفاق * وقولهم من أراد طول البقاء فليوطن نفسه على المصائب وقولهم المصيبة للصابر واحدة وللجازع اثنتان * وقال أكثم بن صيفى حيلة من لا حيلة له الصبر * وذكروا عن بعض الحكماء انه أصيب بابن له فبكى حولا ثم سلا فقيل له ما لك لا تبكى قال كان جرحا فبرئ (قال أبو خراش الهذلى)

بلى انها تعفو الكلوم وانما * يوكل بالادنى وان جل ما يمضى

ومنه قولهم لا تاسف على ما فات (الحض على الكرم) منه قولهم اصطناع المعروف يقى مصارع السوء وقولهم الجود محبة والبخل مبغضة (وقول حطيئة)

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

(الكريم لا يجد) منه قولهم نيتى تبخل لا انا وقولهم بالساعد تبطش الكف (وقولهم)

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد

(وقال آخر) ترى المرء احيانا اذا قل ماله * من الخير تارات ولا يستطيعها

متى ما يرمها يثنه الفقر كفه * فيضعف عنها والغنى يضيعها

(القناعة والدعة) منه قولهم * وحسبك من غنى شبع ورى * وقولهم يكفيك ما بلغك المحل (وقال الشاعر) من شاء أن يكثر أو يقلا * يكفيه ما بلغه المحلا

(الصبر على المكاره تحمد العواقب) قالوا عواقب المكاره محمودة (وقالوا) عند الصباح يحمد القوم السرى وقولهم لا تدرك الراحة الا بالتعب (أخذه حبيب فقال)

على انى لم أحو مالا مجمعا * ففزت به الا بشمل مبدد

ولم تعطنى الايام يوما مسكنا * ألذ به الا بيوم مشرد

(وأحسن منه قوله أيضا)

بصرت بالراحة العليا فلم ترها * تنال الا على جسر من التعب

(الانتفاع بالمال) قالوا خير مالك ما نفعك ولم يضع من مالك ما وعظك (ونظر ابن عباس) الى درهم بيد رجل فقال انه ليس لك حتى يخرج من يدك (وقولهم) تقتير المرء على نفسه توفير منه على غيره

(قال الشاعر) أنت للمال اذا امسكته * فاذا انفقته فالمال لك

{المتصافيان} منه قولهم هما كندماني جذيمة قال الكلبي هو جذيمة الابرش الملك ونديماه رجلان من بلقين يقال لهما مالك وعقيل بلقين يريد من بني القين (وقولهم)

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

ومنه قولهم في ابني شمام وهما جبلان {خاصة الرجل} منه قولهم عيبة الرجل يريدون خاصته وموضع سره ومنه الحديث في خزاعة كانوا عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنهم وكافرهم {من يكسب له غيره} منه قولهم ليس عليك غزله فاسحب وجر وقولهم ورب ساع لقاعد وقولهم خير المال عين ساهرة لعين نائمة {المروءة مع الحاجة} منه قولهم تجوع الحرة ولا تأكل بثديها وقولهم شر الفقر الخضوع وخير القناعة الغنى ومنه الحديث المرفوع أجملوا في الطلب

(قال الشاعر) فاذا افتقرت فلا تكن * متخشعا وتجمل

(ومنه قول هدبة العذري)

ولست بمفراح اذا الدهر سرني * ولا جازع من صرفه المتقلب

ولا أتمنى الشر والشر تاركي * ولكن متى أحمل على الشر أركب

{المال عند من لا يستحقه} منه قولهم خرقاء وجدت صوفا وعند مالك عيدا وقولهم من يطل ذيله ينتطق به ورعي ولا أكولة وعشب ولا بعير يعني مال ولا منفق {الحض على التكسب} منه قولهم اطلب تظفر وقولهم من عجز عن زاده اتكل على زاد غيره وقولهم من العجز نتجت الفاقة وقولهم لا يفترس الليث الظبي وهو رابض وقول العامة كلب طواف خير من أسد رابض وقولهم

أوردها سعد وسعد مشتمل * يا سعد لا تروى على ذاك الابل

{الخبير بالامر البصير به} منه قولهم على الخبير سقطت وقولهم كفى قوما بصاحبهم خبيرا وقولهم لكل أناس في جملهم خبر وقولهم على يدي دار الحديث وقولهم تعلمني بضب انا حرشته يقول اتخبرني بامر انا وليته وقولهم ول القوس باريها وقولهم الخيل أعلم بفرسانها وقولهم كل قوم أعلم بصناعتهم وقولهم قتل أرضا عالمها وقتلت أرض جاهلها {الاستخبار عن علم الشيء وتيقنه} من ذلك قولهم ما وراءك يا عصام أول من تكلم به النابغة الذبياني لعصام صاحب النعمان وكان النعمان مريضا فكان اذا لقيه النابغة قال له ما وراءك يا عصام وقولهم * سيأتيك بالاخبار من لم تزود * اليك يساق الحديث {انتحال العلم بغير آلته} منه قولهم لك الحادي وليس لك بعير وقال الحطيئة

يقلى المزاح ويغلى الجد حقهما * فالموت ان جد والمعروف ان مزحا وافى عطارد والمريخ مولده * فأعطياه من الحظين ما اقترحا ان قال لا قالها الا تربيها * ولم يقلها لمن يستمنح المنحا في كفه قلم ناهيك من قلم * نبلا وناهيك من كف بها اتشحا يمحو ويثبت ارزاق العباد به * فما المقادير الا ما محا ووحا كأنما القلم العلوي في يده * يجريه في أي انحاء البلاد نحا لما تبسم عنك المجد قلت له * قهقه فلا نعلا تبدي ولا قلحا أثني عليك بنعماك التي عظمت * وقد وجدت بها في القول منفسحا أمطر بذاك جناني تكسه زهرا * انت الحيا برباه اذا انفسحا انشدتها على متوالى الاختيار وكذلك اجرى في كثير من الاشعار (وقال يعاتبه ويستبطئه) عقيد الندى اطلق مدائح جمة * حبائس حسري قد ابت أن تسرحا وكنت متى تنشدمه بمحافظة يرى لك اهيى ما يرى لك امدحا * عذرتك لو كانت سماء تقشعت * سحائبها او كان روض تصوحا ولكنها سقيا حومت رويها وعارضها املق كلا كل جنحا واكلاء معروف حرمت مريعها وقد عادمنها السهل والحزن مسرحا عرضت لاورادي وبحرك زاخر فلما أردت الورد الفين ضحضحا فلو لم ترد أورادغيري غماره لقلت سراب بالمتان توضحا فيالك بحرا لم أجد فيه مشربا وأن كان غيري واجدا فيه مسبحا مديحي عصا موسى وذلك انني ضربت به بحر الندى فتضحضحا سأمدح بعض الباخلين لعله اذا اطرد المقياس ان يتسمحا فياليت شعري ان ضربت به الصفا أيبعث لي منه جدا ول سيحا كتلك التي أبدت ثرى الارض يابسا وشقت عيونا في الحجارة سفحا ملكت فأسجح يا أبا الصقر انه اذا ملك الاحرار مثلك أسجحا وما ضرع الى احد هذه الضراعة ولا في طوقه هذا الاحتمال وهذه الابيات الاخيرة انما ولدا كثرها من قول ابي تمام الطائي لمحمد بن عبد الملك الزيات * ألك

فلو حاردت شول عذرت لقاحها * ولكن حرمت الدر والضرع حافل اكابرنا عطفا علينا فاننا * بنا ظمأ برح وانتم مناهل (وفيه يقول) هذا مقامي يا بني وائل * من مستجير بكم عائذ انشب فيه الدهر اظفاره * وعضه بالناب والناجذ فانصفوا منه اخا حرمة * لاذ بكم منه مع اللائذ فما ارى الدهر على جوره * يخرج من حكمكم النافذ (وقال ايضا) يا أيها السيد الذي وهنت * انصار اموالنه ولم يهن فأصبحت في يد الضعيف وذي الـقوة والباقلي والالسن غيري على أني مؤملك الـ أقدم سائر بذاك وامتحن مادح عشرين حجة كملا * محرومها عنك غير مضطغن

فضلك أو عدلك الذي ائتمن الله عليه أجل مؤتمن ان كنت في الشعر ناقدا فطنا * فلتعطني حق حصة الفطن

وان أكن فيه ساقطا زمنا * فلتعطني حق حصة الزمن سم بي ديوانك الذي عدلت * جدواه بين الصحيح والضمن

كثر شخص من استطعت من الناس فان لم أزنك لم أشن ماحق من لان صدره لك بالـ ود ولقاء بجانب خشن

(وقال) أبو العباس الرومي في رجل مدحه في كلمة أعد لقاي دونك كل قفر * يدق الشخص فيه أن يلاقي واعمالي اليك به المطايا *

وقد ضرب الظلام له رواقا * ورفضي النوم الآن تراني * أعانق واسط الكور اعتناقا * تسوق بنا الحداة فليس ندري

* أشوقا كان ذلك أم سياقا * أصادف ضرة المعروف شكري * لديك ولا أذوق لها ذواقا (يقول فيها)

غدا يعلو الجياد وكان يعلو
اذا ما استفره السبت الرفاقا
اعنتها الشسوع فان عراها
حفاء الكد أنعلها طراقا
فزوج بعد فقر منه نعمى
أراني الله صحتها الطلاقا

(قال) أبو القاسم علي بن حمزة ابن شهردل حدثني أبي قال سألت أبا العيناء عن نسبه فقال أنا محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان واصل قومي من بني حنيفة من أهل اليمامة ولحقهم سباء في أيام المنصور فلما صار ياسر في قبضته أعتقه فولاؤنا لبني هاشم وكان أبو العيناء ضرير البصر ويقال ان جده الأكبر لقي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالعمى فكل من عمي منهم صحيح النسب قال الصولي حدثني أبو العيناء قال لما دخلت على المتوكل دعوت له وكلمته واستحسن كلامي فقال لي بلغني ان فيك شرا فقلت يا أمير المؤمنين ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسيء باساءته فقد زكى الله تعالى وذم فقال في التزكية نعم العبد انه أواب وقال في الذم هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم وقال الشاعر

اذا أنا لم أمدح على الخير أهله * ولم أذم الجبس اللئيم المذمما ففيم عرفت الخير والشر باسمه * وشق لي الله المسامع والفما

وان كان الشر كفعل العقرب التي تلسع النبي والذمي بطبع لا بتمييز فقد صان الله عبدك عن ذلك فقال لي بلغني انك رافضي فقلت يا أمير المؤمنين وكيف أكون رافضيا وبلدي البصرة ومنشئي في مسجد جامعها واستاذي الاصمعي وليس يخلو القوم ان يكونوا أرادوا الدين أو الدنيا فان كانوا أرادوا الدين فقد أجمع الناس على تقديم من أخروا وتأخير من قدموا وان كانوا أرادوا الدنيا فأنت وآباؤك أمراء المؤمنين لا دين الا بك ولا دنيا الا معك قال كيف ترى داري هذه قال قلت رأيت الناس بنوا دورهم في الدنيا وأنت بنيت الدنيا في دارك فقال لي ما تقول في عبيد الله بن يحيي قلت نعم العبد لله ولك مقسم بين طاعته وخدمتك يؤثر رضاك على كل فائدة وما عاد بصلاح ملكك

---

* ألك الماشي وليس له حذاء * وقولهم انباض بغير توتير وكقابض على الماء أخذه الشاعر فقال

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

وخرقاء ذات نيفة يضرب للرجل الجاهل بأمر يدعي معرفته (من يوصي غيره وينسى نفسه) يا طبيب طب لنفسك ومنه لا تعظيني وتعظعظي أي لا توصيني وأوصي نفسك (الاخذ في الامور بالاحتياط) منه قولهم ان ترد الماء بماء أكيس وقول العامة لا تصب ماءك حتى تجد ماء وقولهم عش ولا تغتر يقول عش ابلك ولا تغتر بما تقدم عليه (ويروى) عن ابن عباس وابن عمر وابن الزبير ان رجلا أتاهم فقال كما لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع الايمان تقصير فكلهم قال عش ولا تغتر وقولهم ليس بأول من غره السراب وقولهم اشتر لنفسك وللسوق ومنه الحديث المرفوع عن الرجل الذي قال أرسل ناقتي وأتوكل قال اعقلها وتوكل (الاستعداد للامر قبل نزوله) منه قولهم قبل الرمي يراش السهم وقولهم قبل الرماء تملأ الكنائن وقولهم خذ الامر بقوابله أي باستقباله قبل أن يدبر وقولهم شر الرأي الدبري وقولهم المحاجزة قبل المناجزة وقولهم التقدم قبل التنزول وقولهم يا عاقد اذكر حلا وقولهم خير الامور أحمدها مغبة وقولهم ليس للدهر بصاحب من لم ينظر في العواقب (طلب العافية بمسالمة الناس) قولهم من سالك الجد أمن العثار واحذر تسلم ومنه قولهم خير الخطير من حولك الخطير زمام الناقة ومنه قولهم لا تكن أدنى العيرين الى السهم يقول لا تكن أدنى أصحابك الى موضع التلف وكن ناحية أو وسطا (قال كعب) ان لكل قوم كلبا فلا تكن كلب أصحابك وتقول العامة لا تكن لسان قوم (توسط الامور) من ذلك قولهم لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقي أي تلفظ يقال أعقى الشيء اذا اشتدت مرارته وتقول العامة لا تكن حلوا فتؤكل ولا مرا فتلفظ وتوسط الامور أدنى الى السلامة ومنه قول مطرف بن الشخير الحسنة بين السيئتين وخير الامور أوسطها وشر السير الحقحقة قوله بين السيئتين يريد بين المجاوزة والتقصير ومنه قولهم بين المنهعة والجفاء بين السمين والمهزول ومنه قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه خير الناس هذا النمط الاوسط يلحق بهم التالي ويرجع اليهم العالي (الانابة بعد الاجرام) منه قولهم أقصر لما أبصر ومنه أتبع السيئة الحسنة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له والندم توبة والاعتراف يهدم الاقتراف (مدافعة الرجل عن نفسه) حاص فلان عن خيط رقبته وخيط الرقبة النخاع يقول دافع عن دمه ومهجته وقالت العامة * وأية نفس بعد نفسك تنفع * ادفع عن نفسي اذا لم يكن عنها دافع (قولهم في الانفراد) الذئب خاليا أسد يقول اذا وجدك خاليا اجترأ

على كل لذة قال فما تقول فى صاحب البريد ميمون بن ابراهيم وكان قد علم أنى واجد عليه بتقصير وقع منه فى أمرى فقلت يا أمير المؤمنين يد تسرق واست تضرط وهو مثل اليهودى سرق نصف جزيته فله اقدام بما أدى واحجام بما بقى اساءته طبيعة واحسانه تكلف قال قد أردتك لمجالستى قلت لا أطيق ذاك وما أقول ذلك جهلا بمالى فى هذا المجلس من الشرف ولكنى محجوب والمحجوب تختلف عليه الاشارة ويخفى عليه الايماء ويجوز أن يتكلم بكلام غضبان ووجهك روض أو بكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم أميز بين هذين هلكت قال صدقت ولكن تلزمنا قات لزوم الفرض الواجب اللازم فوصلنى بعشرة آلاف درهم (ولابى العيناء) مع المتوكل مجالس ادخل الرواة بعضها فى بعض وسأورد مستظرفها ٢٦٤ ان شاء الله * وقال له المتوكل يوما يا أبا العيناء لا تكثر الوقيعة فى الناس قال ان لى فى بصرى لشغلا عن الوقيعة فيهم قال ذلك اشد لحنقك فى أهل العافية * وقال له يوما هل رأيت طالبيا حسن الوجه قط فقال يا أمير المؤمنين أرأيت أحدا قط سأل ضريرا عن هذا قال لم تكن ضريرا فيما تقدم وانما سألتك عما سلف قال نعم رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة فتى ما رأيت اجمل منه قال المتوكل تجده كان مؤاجرا وتجدك كنت قوادا عليه فقال ابو العيناء وفزعت لهذا يا امير المؤمنين اترانى ادع موالىّ على كثرتهم واقود على الغرباء قال اسكت يا مأبون قال مولى القوم منهم قال المتوكل اردت ان اشتفى به منهم فاشتفى لهم منى * وكان ابو العيناء أحد الناس خاطرا واحضرهم نادرا واسرعهم جوابا وأبلغهم خطابا والمتوكل أوّل من أظهر من خلفاء بنى العباس الانهماك على شهوته وكان أصحابه يسخفون ويستخفون بحضرته وكان يهاتر الجلساء ويفاخر الرؤساء وهو مع ذلك من قلوب الناس محبب واليهم مقرب اذ أمات ما احياه الواثق من اظهار الاعتزال واقامة سوق الجدال (قال محمد مهموزان ابن مكرم الكاتب) من زعم ان عبد الحميد اكتب من أبى العيناء اذا أحس بكرم أو شرع فى طمع فقد ظلم كتب الى ابى عبيد الله بن سليمان وقد نكبه واباه المعتمد وهما يطالبان بمال يبيعان له ما ملكانه من عقار واثاث وعبد وامة وقد أعطى بخادم اسود لعبيد الله خمسون دينارا قد علمت اصلحك الله ان الكريم المنكوب أجدى على الاحرار من اللئيم الموفور لان اللئيم يزيد مع النعمة لؤما والكريم لا يزيد مع المحنة الا كرما هذا متكل على رازقه وهذا يسىء الظن بخالقه وعبدك الى ملك كافور فقير وثمنه على ما اتصل بى يسير لانه بخدمته السلطان يعرفنى الرؤساء والاخوان ولست بواجد ذلك فى غيره من الغلمان فان سمحت به فتلك عادتك وان أمرت باخذ ثمنه فمالك مادتى أدام الله دولتك واستقبل بالنعمة نكبتك فأمر له به (وسمع ابن مكرم) رجلا يقول من ذهب بصره قلت حيلته قال ما اغفلك عن ابى العيناء (وكتب ابو العينا

عليك ومنه الحديث المأثور الدحيل شيطان وفى الحديث الآخر عليكم بالجماعة فان الذئب انما يصيب من الغنم الشاردة (من ابتلى بشئ مرة فخافه أخرى) منه الحديث المرفوع لا يلسع المؤمن من جحر مرتين يريد انه اذا لسع مرة تحفظ اخرى وقولهم من لدغته الحية يفرق من الرسن وقولهم * من يشترى سيفى وهذا أثره * يضرب هذا المثل للذى قد اختبر وجرب وقولهم

* كل الحذاء يحتذى الحافى الوقع * الوقع الذى يمشى فى الوقع وهى الحجارة (قال اعرابى)

* ياليت لى نعلين من جلد الضبع * كل الحذاء يحتذى الحافى الوقع (اتباع الهوى) قال ابن عباس ما ذكر الله الهوى فى شئ الا ذمه قال الشعبى قيل له هوى لانه يهوى به (ومن أمثالهم فيه) حبك الشئ يعمى ويصم وقالوا الهوى اله معبود (الحذر من العطب) قالوا ان السلامة منها ترك ما فيها وقولهم أعور عينك والحجر وقولهم الليل واهضام الوادى واصله أن يسير ليلا فى بطون الاودية فحذره ذلك وقولهم دع خيرها لشرها وقولهم لا ترا هن على الصعبة وقولهم أعذر من أنذر (حسن التدبير والنهى عن الخرق) الرفق يمن الخرق شؤم ورب أكلة تحرم أكلات وقولهم قلب الامر ظهر البطن وقولهم وجه الامر وعينيه وآخر الامور على اذلالها أى على وجوهها وقولهم وجه الحجر وجهة ما وقولهم ولى حارّها من تولى قارّها (المشورة) قالوا أول الحزم المشورة ومنه لا يهلك امرؤ عن مشورة قال ابن المسيب ما استشرت فى أمر واستخرت وأبالى على أى جنبىّ سقطت (الجدّ فى طلب الحاجة) أبل عذرا وخلاك ذم ومنه * هذا أوان الشدّ فاشتدى زيم * وقولهم درب عليه حرونك أى وطن عليه نفسك ومنه أجمع عليه جراميزك واشدد عليه حيازيمك وقولهم شمر ذيلا وادرع ليلا ومنه ائت به بحسك وبسك ومنه قول العامة جئ به من حيث ايس وليس وايس الموجود ليس المعدوم (التأنى فى الامر) من ذلك قولهم رب عجلة تعقب ريثا وقولهم المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى (وقال القطامى)

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

ومنه ضح رويدا أى لا تعجل والرشف أنقع اى أروى يقال شرب حتى نقع ومنه لا ترسل الساق الا ممسكا ساقا (وقال مالك بن دينار) من عرف نفسه لم يضره قول الناس فيه وقول أبى الدرداء ان قارضت الناس قارضوك وان تركتهم لم يتركوك (سوء الجوار) منه قولهم لا ينفعك من جار سوء توق والجار السوء قطعة من نار ومنه هذا أحق منزل بترك (سوء المرافقة) أنت تئق وأنا مئق فما نتفق التئق السريع الشر والمئق السريع البكاء ويقال الممتلئ من الغضب والتئق والمئق

الى عبيد الله بن سليمان) انا اعزك الله تعالى وولدى وعيالى زرع من زرعك ان اسقيته راع وزكا وان جفوته ذبل وذوى وقد مسنى منك جفاء بعد بر واغفال بعد تعاهد حتى تكلم عدو وشمت حاسد واعبث بى ظنون رجال كنت بهم لاعبا ولهم محرسا ولله در ابى الاسود فى قوله

لاتهنى بعد اذ أكرمتنى * وشديد عادة منتزعه

فوقع فى رقعته يا أسعدك الله على الحال التى عهدت وميلى اليك كما علمت وليس من أنسيناه اهملناه ولا من اخرناه تركناه مع اقتطاع الشغل لنا واقتسام زماننا وكان من حقك علينا أن تذكرنا بنفسك وتعلمنا أمرك وقد وقعت لك برزق شهرين لتريح غلتك وتعرفنى مبلغ استحقاقك لا طلق لك باقى أرزاقك ان شاء الله والسلام (وكان) اذا خرج من داره يقول اللهم انى أعوذ بك من الركب والركب والا تجروا لخشب والروايا والقرب ٢٦٠ (قطعة من خطابه وجوابه) دخل على ابى الصقر بعد ما تأخر عنه فقال ما أخرك عنا قال سرق حمارى قال وكيف سرق قال لم أكن مع اللص فأخبرك قال فلم لم تأتنا على غيره قال قعد بى عن الشراء قلة يسارى وكرهت ذلة المكارى ومنة العوارى (وزحمه رجل بالجسر على حماره) فضرب بيديه على اذنى الحمار وقال يا فتى قل للحمار الذى فوقك يقول الطريق (ودخل على ابراهيم ابن المدبر) وعنده الفضل بن اليزيدى وهو يلقى على ابنه مسائل من النحو فقال فى أى باب هذا قال فى باب الفاعل والمفعول به قال هذا بابى وباب الوالدة حفظها الله فغضب الفضل وانصرف وكان البحترى حاضرا فكتب بعد ذلك بقصيدته الى ابراهيم بن المدبر التى أولها

ذكرتنيك روحة للشمول

اوقدت لوعتى وهاجت غليلى

اى شئ الهاك عن سر من را

ءوظل للعيش فيها ظليل

(وفيها يقول)

اقتصارا على أحاديث فضل * لم يعد المخراق نزر القبول

٣٤ عقد ل * وهو مستكره كثير الفضول * فعلام اصطفيت منكسف البا

ان تزره تجده أحلق من شيب الغوانى ومن تعفى الطلول

مسرحا لحماوما متع الصبح ادلاجا للشهد والتطفيل

غير أن المعلمين على حا * ل قليلو التمييز ضعفى العقول

فاذا ما تذاكر الناس معنى * من متين الاشعار والمجهول

قال هذا الناونحن كشفنا * غيبه للسؤال والمسؤل

ضرب الاصمعى فيهم ام الاحمر أم القيم يا بأمر الخليل

جل ما عنده التردد فى الفا * عل من والديه والمفعول

(وعزى بعض الامراء) فقال أيها الامير كان العزاء لك لا بك والله لنا لا لك واذا كنت البقية فالرزية عطية والتعزية تهنية (وسئل أبو العيناء) عن مالك بن طوق فقال لو كان فى زمن بنى اسرائيل ونزل ذبح البقرة ما ذبح غيره قيل فأخوه عمر قال كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ (وكان موسى بن عبد الملك) قد اغتال نجاح بن سلمة فى

مهمو زان وقولهم ما يجمع بين الاروى والنعام يريد أن مسكن الاروى الجبل ومسكن النعام الرمل الاروى جمع أروية ومنه لا يجتمع السيفان فى غمد ومنه لا ينتاط هذا بصغرى أى لا يلصق بقلبى (العادة) قالوا العادة أملك من الادب وقالوا عادة السوء شر من المغرم وقالوا أعط العبد ذراعا يطلب باعا (ترك العادة والرجوع اليها) منه قولهم عاد فلان فى حافرته أى فى طريقته ومنه قوله تعالى أئنا لمردودون فى الحافرة ومنه رجع فلان على قروائه ومنه الحديث لا ترجع هذه الامة على قروائها (اشتغال الرجل بما يعنيه) منه كل امرئ فى شأنه ساع وقولهم همك ما أهمك همك ما دالك وقولهم ولى حارّها من تولى قارّها (قلة الاكتراث) منه قولهم ما أباليه بالة اسمع يسمع لك وسئل ابن عباس عن الوضوء من اللبن فقال ما أباليه بالة وقولهم الكلاب على البقر يقول خل الكلاب وبقر الوحش (قلة اهتمام الرجل بصاحبه) هان على الاملس ما لاقى الدبر وقولهم ما يلقى الشجى من الخلى قال أبو زيد الشجى مخفف والخلى مشدد ومنه قول العامة هان على الصحيح أن يقول للمريض لا بأس عليك (الجشع والطمع) منه قولهم تقطع أعناق الرجال المطامع ومنه قولهم غثك خير لك من سمين غيرك وقولهم المسألة خموش فى وجه صاحبها (وقال) أبو الاسود فى رجل دنىء اذا سئل أرز واذا دعى انتهز ومنه قول عون بن عبد الله اذا سأل ألحف واذا سئل سوّف (الشره للطعام) منه قولهم وحمى ولا حبل اى لا يذكر شئ الا اشتهاه كشهوة الحبلى وهى الوحمى ومنه المرء تواق الى ما لم ينل * وقولهم يبعث الكلاب على مرابضها أى يطردها طمعا أن يجد شيأ يأكله من تحتها ومنه قولهم اراد أن يأكل باليدين ومنه الحديث المرفوع الرغبة شؤم (الغلط فى القياس) مثل قولهم ليس قطا مثل قطى وقال ابن الاسلت

ليس قطا مثل قطىّ ولا ال * مرعى فى الاقوام مثل الراعى

ومنه قولهم مذكية تقاس بالجذاع يضرب لمن يقيس الكبير بالصغير والمذكية هى المسنة من الخيل (وضع الشئ فى غير موضعه) منه كمستبضع التمر الى هجر وهجر معدن التمر (قال الشاعر)

فانا ومن يهدى القصائد نحونا * كمستبضع تمرا الى أهل خيبرا

ومنه قولهم كمعلمة أمها الرضاعا ومنه الحديث المرفوع رب حامل فقه الى من هو أفقه منه وفى وضع الشئ فى غير موضعه ظلم من استرعى الذئب الغنم (وقال ابن هرمة)

كتاركة بيضها بالعراء * وملحفة بيض أخرى جناحا

يصف النعامة التى تحضن بيض غيرها وتضيع بيضها (كفران النعمة) منه سمن كلبك يأكلك

شراب شربه عنده فقال المتوكل بعد ذلك لابى العيناء ما تقول فى نجاح بن سلمة قال ما قال الله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه فاتصل ذلك بموسى فلقى الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان فقال أيها الوزير اردت قتلى فلم تجد الى ذلك سبيلا الا بادخال أبى العيناء الى أمير المؤمنين مع عداوته لى فعاتب عبيد الله أبا العيناء فى ذلك فقال والله ما استعذبت الوقيعة فيه حتى ذممت سريرته لك فأمسك عنه ثم دخل بعد ذلك أبو العيناء على المتوكل فقال كيف كنت بعد قال فى أحوال مختلفة خيرها رؤيتك وشرها غيبتك فقال قد والله اشتقتك قال انما يشتاق العبد لانه يتعذر عليه لقاء مولاه وأما السيد فمتى أراد عبده دعاه وقال له المتوكل من أسخى من رأيت قال ابن أبى دواد قال المتوكل تأتى الى رجل رفضته فتنسبه الى السخاء قال ان الصدق يا أمير المؤمنين ليس فى موضع من المواضع انفق منه فى مجالسك وان الناس يغلطون فيمن ينسبونه الى الجود لان سخاء البرامكة منسوب الى الرشيد وسخاء الفضل والحسن ابنى سهل منسوب الى المأمون وجود ابن أبى دواد منسوب الى المعتصم فاذا نسب الناس الفتح وعبيد الله ابنى يحيى الى السخاء فذلك سخاؤك يا أمير المؤمنين قال صدقت فمن أبخل من رأيت قال موسى بن عبد الملك قال وما رأيت من بخله قال رأيته يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة فقال له قد وقعت فيه عندى مرتين وما أحب لك ذلك فالقه واعتذر اليه ولا يعلم انى وجهت بك قال يا أمير المؤمنين من يستكتمنى بحضرة ألف قال ان تخاف قال على الاحتراس من الخوف فصار الى موسى فاعتذر كل واحد منهما الى صاحبه وافترقا عن صلح فلقيه بعد ذلك بالجعفرى فقال يا أبا عبد الله قد اصطلحنا فما لك لا تأتينا قال أتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس فقال موسى ما أرانا الا كما كنا * وقال له المتوكل ابراهيم بن نوح النصرانى واجد عليك قال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قال ان جماعة من الكتاب يلومونك فقال اذا رضيت عنى كرام عشيرتى * فلا زال غضبانا على لئامها قال المتوكل لا كان أبوك فى البلاغة مثلك فقال لو رأى أمير المؤمنين أبى لرأى عبدا له لا يرضانى عبدا له (وقيل لابى العيناء) ان المتوكل قال لولا انه ضرير البصر لنادمته فقال ان أعفانى من رؤية الاهلة وقراءة نقش الفصوص فأنا أصلح للمنادمة * ولقيه رجل من اخوانه فى السحر فجعل يعجب من بكوره فقال اراك تشاركنى بالفعل وتفردنى بالتعجب * ووقف به رجل من العامة فأحس به فقال من هذا قال رجل من بنى آدم قال مرحبا بك اطال الله بقاءك وبقيت فى الدنيا ما ظننت هذا النسل الا قد انقطع * ودخل على عبيد الله بن سليمان فقال اقرب منى يا أبا عبد الله فقال اعز الله الوزير تقريب الاولياء وحرمان الاعداء قال تقريبك غنم وحرمانك ظلم وانا ناظر فى امرك نظرا يصلح من حالك ان شاء الله * وقال له يوما اعذرنى فانى مشغول

أحسبك وتروّنى قاله فى مخاطبة فرسه أعلفك الحشيش وتروّنى على ومنه قول الآخر

أعلمه الرماية كل يوم * فلما استد ساعده رمانى

(التبذير) منه قولهم لا مالك أبقيت ولا درنك أنقيت وقولهم لا أبوك ينشر ولا التراب ينفد أصل هذا المثل لرجل قال ليتنى أعرف قبر أبى حتى آخذ من ترابه على رأسى (التهمة) منه قولهم عسى الغوير أبؤسا والابؤس جمع بأس قال ابن الكلبى الغوير ماء معروف لكلب وهذا مثل تكلمت به الزباء وذلك انها وجهت قصيرا اللخمى بالعير ليجلب لها من بز العراق وكان يطلبها بدم جذيمة الابرش فجعل الاحمال صناديق وجعل فى كل صندوق رجلا معه السلاح ثم تنكب بهم الطريق وأخذ على الغوير فسألت عن خبره فأخبرت بذلك فقالت عسى الغوير أبؤسا تقول عسى أن يأتى الغوير بشر واستنكرت أخذه على غير الطريق ومنه سقطت به النصيحة على الظنة أى نصحته فاتهمك ومنه لا تنقش الشوكة بمثلها يقول لا تستعن فى حاجتك بمن هو المطلوب منه الحاجة أنصح (تأخير الشئ وقت الحاجة اليه) منه لا عطر بعد عروس وأصل هذا ان عروسا اهديت فوجدها الرجل تفلة فقال لها اين الطيب قالت ادخرته قال لا عطر بعد عروس وقولهم لا بقاء للحمية بعد الحرمة يقول انما يحمى الانسان حريمه فاذا ذهب فلا حمية له (الاساءة قبل الاحسان) منه يسبق درته غراره الغرار قلة اللبن والدرة كثرته ويسبق سيله مطره (البخل) ماعنده خير ولا مير سواء هو والعدم العدم والعدم لغتان ما يبض حجره والبض أقل السيلان ما تبذل احدى يديه لاخرى (الجبن) ان الجبان حتفه من فوقه فى القرآن يحسبون كل صيحة عليهم ومنه كل ازب نفور ووقف شعره واقشعرت ذؤابته ومعناه قام شعره من الفزع وشرق بريقه (الجبان يواعد بما لا يفعل) الصدق ينبى عنك لا الوعيد ينبى ويدفع عنك من يغبو ومنه أوسعتهم شتما وأودوا بالابل وقيل لاعرابى خاصم امرأته الى السلطان كبها الله لوجهها فقال ولو امر بى الى السجن (الاستغناء بالحاضر عن الغائب) قولهم ان ذهب عير فعير فى الرباط ومنه * اذا غاب منها كوكب لاح كوكب * وقولهم راس براس وزيادة خمسمائة قاله الفرزدق فى رجل كان فى جيش فقال من جاء براس فله خمسمائة ثم برز ثانية فقتل فبكى عليه أهله فقال لهم الفرزدق اما ترضون راسا براس وزيادة خمسمائة (المقادير) منه قولهم المقادير تريك ما لا يخطر ببالك وقولهم اذا نزل القدر غشى البصر واذا نزل الحين غطى العين ولا يغنى حذر من قدر من مأمنه يؤتى الحذر وقولهم كيف ترقى ظهر ما انت راكبه (الرجل يأتى الى حتفه) منه قولهم أتتك بحائن رجلاه لا تكن كالباحث عن المدية وقولهم حتفها

فقال له اذا فرغت من شغلك لم تحتج اليك وانشده فلا تعتذر بالشغل عنا فانما * تناط بك الآمال ما اتصل الشغل ثم قال ياسيدى قد عذرتك فانه لا يصلح اشكرك من لا يصلح لعذرك واقبل اليه يوما فقال من اين يا ابا عبد الله قال من مطارح الجفاء (وقال) له مرة نحن فى العطلة مرحومون وفى الوزارة محرومون وفى القيامة كل نفس بما كسبت رهينة * وسار يوما الى باب صاعد بن مخلد فقيل هو مشغول يصلى قال لكل جديد لذة وكان صاعد نصرانيا قبل الوزارة (ودخل) الى عبيد الله بن سليمان فشكا اليه حاله فقال أليس قد كتبنا لك الى ابراهيم بن المدبر فقال كتبت الى رجل قد قصر من همته طول الفقر وذل الاسر ومعاناة محن الدهر فاخفقته فى طلبتى قال انت اخترته قال وما على اعزالله الوزير فى ذلك قد اختار موسى قومه سبعين رجلا فما كان منهم رشيد واختار النبى صلى الله عليه وسلم ابن أبى سرح كاتبا فرجع الى المشركين مرتدا واختار على بن أبى طالب أباموسى حاكما له فحكم عليه وكان ابراهيم بن المدبر أسره صاحب الزنج بالبصرة وحبسه فاحتال حتى نقب السجن وهرب فلذلك ذكر ابو العيناء ذل الاسر وكان قد ضرب فى وجهه ضربة بقى أثرها الى أن مات ولذلك قال البحترى

ومبينة شهر المنازل وسمها * والخيل تكبو فى العجاج الكابى

كانت بوجهك دون عرضك اذ رأوا * ان الوجوه تصان بالاحساب

ولئن أسرت فما الاسار على امرئ * نصر الاسار على الفرار بعاب

نام المضلل عن سراك ولم يخف * عين الرقيب وقسوة البواب

فركبتها هولا متى تخبر بها * يقل الجبان اتيت غير صواب

ما راعهم الا استراقك مصلتا * فى مثل برد الارقم المنساب

تحمى اغيلمة وطائشة الخطا * تصل النقاب خشية الطلاب

قد كان يوم ندى بطولك باهرا * حتى اضفت اليه يوم ضراب

ذكر من الباس استعذت الى الذى * اعطيت فى الاخلاق والآداب

ووحيدة انت افردت بمصابها * لولاك ما كتبت على الكتاب

(قال ابو بكر الصولى) حدثنى محمد بن ابى الازهر وقد ذاكرته خبر على صاحب الزنج قال ادعى انه على بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم فنظرت مولده ومولد محمد بن احمد الذى ادعاه فكان بينهما ثلاث سنين وكان لمحمد بن احمد ولد اسمه على مات بعد هذا المدعى اسمه ونسبه بزمان ثم رجع عن هذا النسب فادعى انه على بن محمد بن عبد الرحيم بن رحيب بن يحيى المقتول بخراسان ابن زيد بن على قال ابو عبيدة محمد بن على بن حمزة ولم يكن ليحيى ولد يقال له رحيب ولا لغيره لانه قتل ابن ثمانى عشرة سنة ولا ولد له قال بشر بن محمد بن السرى بن عبد الرحمن بن رحيب هو ابن عم ابى لخاعلى بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب ورحيب رجل من العجم من اهل ورتين من ضياع الرى وهو القائل لبنى العباس

تحمل ضأن بأطلافها {ما يقال للجانى على نفسه} يداك أوكتا وفوك نفخ وأصله ان رجلا نفخ زقا وركبه فى النهر فانحل الوكاء وخرجت الريح وغرق الرجل فاستغاث باعرابى على ضفة النهر فقال يداك أوكتا وفوك نفخ {جالب الحين الى أهله} منه قولهم دلت على أهلها رقاش ورقاش كلبة لحى من العرب مر بهم جيش ليلا ولم ينتبهوا لهم فنبحت رقاش فدلت عليهم وقالوا كانت عليهم كراعية البكر يعنون ناقة ثمود وقال الاخطل

ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

{تصرف الدهر} منه قولهم مرة عيش ومرة جيش ومنه اليوم خمر وغدا أمر قاله امرؤ القيس أو مهلهل أخو كليب لما أتاه موت أخيه وهو يشرب وقالوا عش رجبا ترى عجبا وقالوا اتى الابد على لبد وقول الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

وقولهم من يجتمع يتقعقع عمده وأنشد

اجارتنا من يجتمع يتفرق * ومن يك رهنا للحوادث يغلق

{الامر الشديد المعضل} منه قولهم أظلم عليه يومه وأين يضع المخنوق يده ومنه لو كان ذا حيلة لتحول ومنه قولهم رأى الكوكب ظهرا * قال طرفة وتريه النجم يهوى بالظهر {هلاك القوم} منه قولهم طارت بهم العنقاء وطارت بهم عقاب ملاع يقال ذلك فى الواحد والجمع وأحسبها معدولة عن مليع والمنايا على الحوايا قال أبو عبيد يقال ان الحوايا فى هذا الموضع مركب من مراكب النساء واحدتها حوية وأحسب أصلها ان قوما قتلوا فحملوا على الحوايا فصارت مثلا ومنه اتتهم الدهيم ترمى بالرضف معناه الداهية العظيمة وهذا أمر لا ينادى وليده معناه ان الامر اشتد حتى ذهلت المرأة ان تدعو وليدها ومنه التقت حلقتا البطان وبلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين وتقول العامة بلغ السكين العظم {اصلاح ما لا صلاح له} منه قولهم * كدابغة وقد حلم الاديم * حلم نغل وكتب الوليد ابن عتبة الى معاوية بهذا البيت

فانك والكتاب الى على * كدابغة وقد حلم الاديم

فى شعر له {صفة العدو} يقال فى العدو هو ازرق العين وان لم يكن ازرق وهو أسود الكبد وأصهب السبال {البخيل يعتل بالعسر} منه قولهم قبل البكاء كان وجهك عابسا ومنه قبل النفاس كنت مصفرة {اغتنام ما يعطى البخيل وان قل} منه خذ من الرضفة ما عليها وخذ من جذع ما أعطاك قال الكلبى وأصل هذا المثل ان غسان كانت تؤدى الى ملوك سليح دينارين كل سنة عن كل رجل وكان

الذي ولي ذلك سبطة بن المنذر السليحي فجاء سبطة الى جذع بن عمرو الغساني يسأله الدينارين فدخل جذع منزله واشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به سبطة حتى سكت ثم قال له خذ من جذع ما اعطاك فامتنعت غسان من الدينارين بعد ذلك وصار الملك لهم حتى أتى الاسلام ﴿البخيل يمنع غيره ويجود على نفسه﴾ منه قولهم سمنكم في أديمكم ومنه يا مهدي المال كل ما أهديت ومنه قول العامة الجمار حلبه والجمار أكله ﴿موت البخيل وماله وافر﴾ منه مات فلان عريض البطان ومات بطنته لم يتفصفص منها شيء والتفصفص النقصان ﴿البخيل يعطي مرة﴾ منه قولهم ما كانت عطيته الا بيضة العقر وهي بيضة الديك (قال) الزبيري الديك ربما باض بيضة وانشد لبشار

قد زرتني زورة في الدهر واحدة * ثني ولا تجعليها بيضة الديك

والليل طويل وانت مقمر وأصل هذا السليك بن سلكة كان نائما مشتملا فجثم رجل على صدره وقال له استأسر فقال له الليل طويل وانت مقمر يا خبيث فضمه ضمة ضرط منها فقال له اضرط وأنت الاعلى فذهبت ايضا مثلا ﴿طلب الحاجة المتعذرة﴾ منه قولهم تسألني برامتين سلجما وأصله ان امرأة تشهت على زوجها سلجما وهو ببلد قفر فقال هذه المقالة والسلجم اللفت ومنه شر ما نال امرؤ ما لم ينل ومنه السائل فوق حقه مستحق الحرمان ومنه قولهم

انك ان كلفتني ما لم أطق * ساءك ما سرك مني من خلق

﴿الرضا بالبعض دون الكل﴾ منه قد يركب الصعب من لا ذلول له وقولهم خذ من جذع ما أعطاك وقولهم خذ من طفلك ما امكنك أي ارض ومنه قولهم زوج من عود خير من قعود وقولهم ليس الري الشفاف اي ليس يروي الشارب بشرب الشفافة كلها وهي بقية الماء في الاناء ولكنه يروى قبل بلوغ ذلك وقولهم لم يحرم من فصد له ومعناه انهم كانوا اذا لم يقدروا على قرى الضيف فصدوا له بعيرا وعالجوا دمه بشيء حتى يمكن أن يأكلوه ومنه قول العامة اذا لم يكن شحم فنفس أصل هذا ان امرأة لبست ثيابها ثم مشت وأظهرت البهر في مشيتها بارتفاع نفسها فلقيها رجل فقال لها اني أعرفك مهزولة فمن أين هذا النفس قالت ان لم يكن شحم فنفس . وقال ابن هانئ

قال لي ترضى بوعد كاذب * قلت ان لم يكن شحم فنفس

﴿التنوق في الحاجة﴾ منه قولهم فعلت فيها فعل من طب لمن أحب ومنه قولهم جاء تضب لثاته على الحاجة معناه اشتدة حرصه عليها (وقال بشر بن أبي حازم) * خيل تضب لثاتها للمغنم * ﴿استتمام الحاجة﴾ أتبع الفرس لجامها يريد انك قد جدت بالفرس واللجام أيسر خطبا وأتم الحاجة ومنه تمام

بنى عمنا انا وانتم انامل * تضمنها من راحتيها عقودها بني عمنا وليتم الترك امرنا * ونحن قديما أصلها وعمودها فما بال عجم الترك تقسم فيئنا * ونحن لديها في البلاد شهودها فأقسم لاذقت القراح وان اذق * فبلغة عيش او يباد عميدها (وقال ايضا) لهف نفسي على قصور ببغدا * د وما قد حوته من كل عاص * وخمور هناك تشرب جهرا * ورجال على المعاصي حراص * است بابن الفواطم الزهر ان لم * أقحم الخيل بين تلك العراص وله في هذا المعنى شعر كثير قد ناقضه البغداديون وكانت مدته حين نجم الى أن قتل أربع عشرة سنة وجملة من قتل ألف الف وخمسمائة الف (وذكر) ابو العيناء رجلا فقال ضحك كالبكاء وتودد كالعزاء ونوادر كندب الموتى وكان يهاتر ابن مكرم كثيرا وكتب اليه ابن مكرم يوما قد ابتعت لك غلاما من بني ناشر ثم من بني ناعط ثم من بني نهد فكتب اليه فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين * وولد لابي العيناء مولود فأتى ابن مكرم فسلم عليه ووضع حجرا بين يديه وانصرف فأحس به فقال من وضع هذا فقيل ابن مكرم قال لعنه الله انما عرض بقول النبي صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر وقال لابن مكرم وقد قدم من سفر ما لك لم تهد الينا هدية قال لم آت بشيء وانما قدمت في خف قال لو قدمت في خف لخلفت روحك * واتى الى باب ابراهيم بن رباح فحجب فقال اذا اشتغل بكاس يمناه وبخمر بيسراه وانتسب الى اب لا يعرف أباه لم يحفل بحجاب من أتاه (وقدم اليه) ابو عيسى ابن المتوكل سكباجة فجعل لا تقع يده الا على عظم فقال جعلت فداك هذه قدر أو قبر * ودعاه ضرير ليعشيه فلم يدع شيأ الا أكله فقال يا هذا دعوتك رحمة فتركتني رحمة

﴿الفاظ لاهل العصر في صفات الطعام ومقدماته وموائده وآلاته﴾

افرش طعامك اسم الله والحفه حمد الله لا يطيب حضور الخوان الامع الاخوان البخل بالطعام من أخلاق الطغام الكريم لا يحظر تقديم ما يحضر قد قامت خطباء القدور وقدور ابكار بخواتم النار قد رطاو عرفها وطاب غرفها دهماء تهدر كالفنيق وتفوح كالمسك العتيق مائدة كدارة البدر تباعد بين انفاس الجلاس مائدة مثل عروس مائدة لطيفة محفوفة بكل طريفة مائدة تشتمل على بدائع المأكولات وغرائب الطيبات مائدة كانما عمها صناع صنعاء تجمع بين انواع الربيع وثمار الخريف (وقال الجماز) جاءنا ولاب بمائدة كانها زمن البرامكة على العفاة (وذم آخر رجلا) فقال لا يحضر مائدته الا كرم الخلق والأمهم يريد الملائكة والذباب (وقال ابن الحجاج لرجل) دعاه واحر الطعام قد جن اصحابك من جوعهم * فأقرأ عليهم سورة المائدة (ولبعض أهل العصر يذم رجلا) خوان لا يلم به ضيوف *

وعرض مثل منديل الخوان * رغفان كالبدور المنطقة بالنجوم حل ذهبي الدثار فضي الشعار أطيب ما يكون الحمل اذا حات
الشمس الحمل جدى كانما ندف على جبينه القزز برباجة هي للمائدة ديباجة تشفى السقام ولونها لون السقيم سكباجة تفتق الشهوة
واسفيذباجة تغذى القوم وطباهجة يتفكه بها وخبيص يختم بخير طباهجة من شرط الملوك كأعراف الديوك وقلية كالعود المطرى
مغمومة تفرج غم الجائع هريسة نفيسة كأنها خيوط قز مشتبكة كان المرى عليها عصارة المسك على سبيكة الفضة أرزة ملبونة في السكر
مدفونة شواء رشراش وفالوذج رجراج طباهجة تغذى وفالوذجة تعزى واسفيذباجة تصفع قفا الجوع لا فراش للبيض كالحمل الحنيذ
دجاجة سميطة لها من الفضة جسم ومن الذهب قشرة دجاجة دينارية غنا ولونا وهذا محلول من قول على بن العباس الرومي يصف
طعاما أكله عند أبي بكر الباقطاني وسميطة صفراء دينارية * ثمنا ولونا زفها لك حزور عظمت فكادت أن تكون اوزة
وغلت فكادها اهابها تتفطر
طفقت تجود بذوبها جوذابة
فأتى لباب اللوز فيها السكر
ظلنا نقشر جلدها عن لحمها
فكأن تبرا عن لجين يقشر
وتقدمتها قبل ذاك ثرائد
مثل الرياض بمثل ذلك تصدر
ومرققات كلهن مزخرف
بالبيض منها ملبس ومدثر
وأتت قطائف بعد ذاك لطائف
ترضى اللهاة بها ويرضى الحنجر
ضحك الوجوه من الطبرزد فوقها
دمع العيان من الدهان يعصر
(قال البديع) حدثني عيسى ابن هشام قال اشتهيت الازاذ وانا ببغداذ وليس معي عقد على نقد فخرجت انتهز محاله حتى أحلني الكرخ فاذا أنا بسوادي يحدو بالجهد حماره ويطرف بالعقد ازاره فقلت ظفرنا والله بصيد وحياك الله ابا زيد من اين اقبلت واين نزلت ومتى وافيت فهلم الى البيت فقال السوادي لست بأبي زيد وانما أنا أبو عبيد فقلت نعم لعن الله
الشيطان وأبعد النسيان انسانى طول العهد بك كيف أبوك اشاب كعهدي أم شاب بعدي قال قد نبت المرعى على دمنته وأرجو أن
يصيره الله الى جنته فقلت انا لله ولا قوة الا بالله ومددت يد البدار الى الصدار أريد تمزيقه وأحاول تخريقه فقبض السوادي على
خصري بجمعه وقال نشدتك بالله لا مزقته فقلت فهلم الى البيت نصب غداء أو الى السوق نشتري شواء والسوق أقرب وطعامه أطيب
فاستفزته حمية القرم وعطفته عاطفة اللهم وطمع ولم يعلم انه وقع ثم أتيت شواء يتقاطر شواؤه عرقا ويتسايل جوذابه مرقا فقلت افرز
لابي زيد من هذا الشواء ثم زن له من تلك الحلواء واختر من تلك الاطباق وانضد عليها أوراق الرقاق وشيأ من ماء السماق ليأكله أبو
زيد هنيئا فانحى الشواء بساطوره على زبدة تنوره فجعلها كالكحل سحقا وكالطحين دقا ثم جلس وجلست ولا يئس ولا يئست حتى

الربيع الصيف وأصله في المطر فالربيع أوله والصيف آخره (المصانعة في الحاجة) من يطلب
الحسناء يعط مهرها وقولهم البضاعة تيسر الحاجة ومن اشترى فقد اشتوى يقول من اشترى لحما فقد
أكل شواء (تعجيل الحاجة) قولهم السراح من النجاح النفس مولعة بحب العاجل (الحاجة
تمكن من وجهين) منه قولهم * كلاجانبي هرشي لهن طريق * هرشي عقبة ومنه هو على
حبل ذراعك اذ لا يخالفك (من منع حاجة فطلب أخرى) منه قولهم الاده فلاده قال ابن الكلبي
معناه ان كاهنا تقاضى اليه رجلان من العرب فقالا أخبرنا في أي شئ جئناك قال في كذا وكذا
قالا لاده أي انظر غير هذا النظر قال الاده فلاده قال الاصمعي معناه ان لم يكن هذا الآن فلا يكون
بعد الآن (الحاجة يحول دونها حائل) منه قولهم قد علقت دلوك دلوا أخرى وقولهم الامر يحدث
بعده الامر وقولهم أخلف رويعا ظنه وأصله ان راعيا اعتاد مكانا فجاء يرعاه فوجده قد تغير
وحال عن عهده ومنه قولهم * سد ابن بيض الطريق سدا * وابن بيض رجل عقر ناقة في رأس
ثنية فسد بها الطريق (اليأس والخيبة) منه قولهم من لي بالسانح بعد البارح أي من لي باليمن
بعد الشؤم وقولهم جاء بخفي حنين وقد فسرناه في الكتاب الذي قبل هذا ومنه أطال الغيبة وجاء
بالخيبة ونظير هذا قولهم سكت ألفا ونطق خلفا أي أطال السكوت وتكلم بالقبيح وهذا المثل يقع
في باب العي وله ههنا وجه أيضا (وقال الشاعر)

وما زلت أقطع عرض البلاد * من المشرقين الى المغربين
وادرع الخوف تحت الدجى * واستصحب القمر والفرقدين
واطوى وأنشر ثوب الهموم * الى ان رجعت بخفي حنين

(طلب الحاجة بعد فوتها) منه قولهم لا تطلب أثرا بعد عين وقولهم الصيف ضيعت اللبن معناه ان
الرجل اذا لم يطرق ماشيته في الصيف كان مضيعا (الرضا من الحاجة بتركها) منه قولهم من
نجا برأسه فقد ربح وقولهم * رضيت من الغنيمة بالاياب * وقول العامة الهزيمة مع السلامة غنيمة
(وقال امرؤ القيس) وقد سافرت في الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب
(وقال آخر) الليل داج والكباش تنتطح * فمن نجا برأسه فقد ربح
(من طلب الزيادة فانتقص) منه كطالب القرن في اذنه وقولهم كطالب الصيد في عريسة الاسد
وقولهم سقط العشاء بها على سرحان يريد دابة خرجت تطلب العشاء فصادفت ذئبا ونظير هذا من
قولنا طلبت بك التكثير فازددت قلة * وقد يخسر الانسان في طلب الربح

استوفيناه وقالت اصاحب الحلوا زن لابي زيد من اللوزينج رطلين فانه أجرى في الحلوق وأسرى في العروق وليكن ليلي العمر يومي القشر رقيق القشر كثيف الحشو لؤلؤي الدهن كوكبي اللون يذوب كالصمغ قبل المضغ ليأكله ابوزيد هنيا قال فوزنه ثم قعد وقعدت وجود وجودت واستوفينا ثم قالت يا اباز يد ما احوجنا الى ماء يشعشع بالثلج ليقمع هذه الصاره ويفثأ هذه اللقم الحاره اجلس أبا زيد حتى آتيك بسقاء يجيئنا بشربة من ماء ثم خرجت وجلست بحيث أراه ولا يراني انظر ما يصنع به فلما ابطأت عليه قام السوادي الى حماره فاعتلق الشوّاء بازاره وقال اين ثمن ما أكلت قال ما اكلته الاضيفا قال الشوّاء هاك وآك متى دعوناك زن يا أخا القحبة عشرين والا أكلت ثلاثا وتسعين فجعل السوادي يبكي ويمسح دموعه بارداته ويحل عقده باسنانه ويقول كم قلت لذلك القريد أنا أبو عبيد وهو يقول أنت أبو زيد فانشدت

اعمل لرزقك كل آلة * لا تقعدن بذل حالة
وانهض بكل عزيمة
فالمرء يعجز لا محالة

(ومن مليح ما قيل في القطائف) قول علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم

قطائف قد حشيت باللوز
والسكر الماذي حشو الموز
يسبح في آذي دهن الجوز
سررت لما وقعت في حوزي
سرور عباس بقرب فوزي

(ومن الفاظ أهل العصر في الحلواء) فالوذج بلباب البر ولعاب النحل كأن اللوز فيه كواكب در في سماء عقيق ولم يقل أحد في صفة اللوزينج احسن من قول ابن الرومي

لا يخطئني منك لوزينج
اذا بدا أعجب او عجبا
لو شاء ان يذهب في صخرة
لسهل الطيب له مذهبا
لم تغلق الشهوة أبوابها
الا ابت زلفاه ان يحجبا
يدور بالنفخة في جامه
دورا ترى الدهن له لولبا
عاون فيه منظر مخبرا
مستحسن ساعد مستعذبا
مستكثف الحشو ولكنه * أرق جلدا من نسيم الصبا
كأنما قدت جلابيبه * من نقطة القطر اذا حببا اللاء
يخال من رقة خرشائه * شارك في الاجنحة الجندبا
لوانه صوّر من خبزه * ثغر لكان الواضح الاشنبا
من كل بيضاء يود الفتى * أن يجعل الكف لها مركبا
مدهونة زرقاء مدقوقة * صهباء تحكي الازرق الاشهبا
قرة عين وفم حسنت * وطيبت حتى صبا من صبا
دبف له اللوز فسامرة * مرت على الدائق الابا
وانتقد السكر نقاده * وشاوروا في نقده المذهبا
فلا اذا العين رأته نبت * ولا اذا الضرس علاه نبا
لا تنكر الادلال من وامق * وجه تلقاه كم المطلبا

هذه الابيات يقولها في قصيدة طويلة يمدح فيها أبا العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن بشر المرثدي ويهنئه بابن ولد له واوّلها

{الخلاء بالحاجة} منه قولهم * خلا لك الجو فبيضي واصفري * ومنه برنسك على غاربك وهذا المثل قالته عائشة لابن أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ذهبت والله ميمونة ورمى برنسك على غاربك {ارسالك في الحاجة من تثق به} * أرسل حكيما ولا توصه * وقولهم الحريص يصيد لك لا الجواد يقول ان الذي يحرص بحاجتك هو الذي يقوم بها الا القوي عليها اذا لم يحرص لك ومنه لا يرحل رحلك من ليس معك ومنه في المعنى بالحاجة جعلها نصب عينيه وتحملها من اذنه وعاتقه ولم يجعلها بظهر {قضاء الحاجة قبل السؤال} منه قولهم ائت الصارخ وانظر ماله يريد لم يأتك مستصرخا الا من ذعر أصابه فأغثه قبل أن يسألك ومنه كفى برغائها مناديا ومنه يخبر عن مجهوله وقولهم في عينه فراره يعنون في نظرك الى الفرس ما يغنيك عن أن يفر {الانصراف بحاجة تامة مقضية} جاء فلان ثانيا من عنانه فان جاء بغير قضاء حاجته قالوا جاء يضرب أصدريه أي عطفيه وقد جاء لفظ لجامه وجاء سبهللا فان جاء بعد شدة قيل جاء بعد اللتيا والتي وجاء بعد الهياط والمياط {تجديد الحزن بعد أن يبكي منه} منه قولك حرك لها حوارها تحن وهذا المثل يروى عن عمرو بن العاص انه قال لمعاوية حين أراد أن يستنصر اهل الشام أخرج اليهم قميص عثمان رضوان الله عليه الذي قتل فيه ففعل ذلك معاوية فأقبلوا يبكون فعندها قال عمرو حرك لها حوارها تحن {جامع أمثال الظلم} منه قولهم الظلم مرتعه وخيم وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ومنه فانك لا تجني من الشوك العنب وقولهم الحرب غشوم {الظلم من نوعين} منه أحشفا وسوء كيلة ومنه أغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وهذا المثل لعامر بن الطفيل حين أصابه الطاعون في انصرافه عن النبي صلى الله عليه وسلم فلجأ الى امرأة من سلول فهلك عندها ومنه أغيرة وجبنا قالته امرأة من العرب لزوجها تعيره حين تخلف عن عدوه في منزله ورآها تنظر الى القتال فضربها فقالت أغيرة وجبنا وقولهم أكشفا وامساكا اصله الرجل يلقاك بعبوس وكلوح مع بخل ومنع وقولهم يا عبري مقبلة يا سهري مدبرة يضرب للامر الذي يكره من وجهين ومنه قول العامة * كالمستغيث من الرمضاء بالنار * وقولهم الموت يفزع والموت بدر وقولهم كالاشقر ان تقدم نحروان تأخر عقر وقولهم كالارقم ان يقتل ينقم وان يترك يلقم يقول ان قتلته كان له من ينتقم له منك وان تركته قتلك ومنه هو بين حاذف وقاذف الحاذف الضارب بالعصا والقاذف الرامي بالحجر {من يزاد غما على غمه} منه قولهم ضغث على ابالة الضغث الحزمة الصغيرة من الحطب والابالة الكبيرة ومنه وقعوا في أم جندب اذا ظلموا {المغبون في تجرة} قولهم صفقة لم يشهدها حاطب وأصله أن بعض أهل حاطب باع بيعة غبن بها ومنه أعطاه

شمس و بدر ولدا كوكبا * اقسمت بالله لقد أنجبا (قال أبو عثمان) سعيد بن محمد الناجم دخلت على أبي الحسن وهو يعمل هذه القصيدة فقلت لو تفاءلت فيها لابي العباس بسبعة من الولد لان لابي العباس منهم كوسا سابع لجاء المعنى ظريفا فقال * وقد تفاءلت له زاجرا *

كنيته لا زاجرا ثم لاهبا * انى تأملت له كنية اذا بدا مقلوبها أعجبا * يصوغها العكس أبا سابع * لا كذب الله ولا خيبا

بل ذاك فال ضامن سبعة * مثل الصقور استشرفت مرقبا يأتون من صلب فتى ماجد * وذاك فال لم يعد مطلبا

وقد أتانا منهم واحد * فلننتظرهم ستة غيبا في مدة تغمرها نعمة * يجعلها الله له ترتبا * حتى تراه جالسا بينهم *

أجل من رضوى ومن كبكبا * كالبدر وافى الارض من نوره * بين نجوم سبعة فاجتبا * وليشكر الناجم عن هذه

فانها من بعض ما ثوّبا * سدى والحمد اخ لم أزل * أشكر ما أسدى وما سببا وكان ابن الرومي منهوما في المآكل

وهي التي قتلته وكان معجبا بالسمك فوعده أبو العباس المرثدي أن يبعث اليه كل يوم بوظيفة لا تنقطع فبعث اليه يوم سبت ثم قطعه فقال

ما لحيتانينا جفتنا وأني

أخلف الزائرون منتظريهم

جاء في السبت زورهم فأتينا

من حفاظ عليه ما يكفيهم

وجعلناه يوم عيد عظيم

فكأنا اليهود أو نحكيهم

وأراهم مصممين على الهجـ

ـر فلم يسخطون من يرضيهم

قد سبقنا وما أتتنا وكانوا

يوم لا يسبتون لا تأتيهم

فاتصل ذلك بالناجم فكتب الى ابن الرومي

أباحسن أنت من لا نزا

ل نحمد في الفضل ريحانه

فكم تحسن الظن بالمرثدي

وقد قال الله احسانه

ألم تدر أن الفتى كالسراب

اذا وعد الوعد اخوانه

فهز السراب يفوت القلوب

فقل في طلابك حيتانه

(وخرج) ابن الرومي الى بعض المتنزهات وقصدوا كرما رازقيا فشربوا هناك عامة يومهم وكانوا يتهمونه في شعره وقالوا ان كان ما تنشد نالك فقل في هذا شيأ فقال لا تبرحوا حتى أقول فيه وأنشدهم لوقته

ورازقي مخطف الخصور * كأنه مخازن البلور

قد ضمنت مسكا من الشطور * وفي الاعالي ماء ورد جوري

بلا فريد وبلا شذور * له مذاق العسل المشور

وبرد مس الخصر المقرور * ونكهة المسك مع الكافور

ورقة الماء على الصدور * باكرته والطير في الوكور

بفتية من ولد المنصور * املا للعين من البدور

حتى أتينا خيمة الناطور * قبل ارتفاع الشمس للذرور

فانحط كالطاوي من الصقور * بطاعة الراغب لا المقهور

والجرعبد الحاجب المشطور * حتى أتانا بضروع حور

العاء غير الوفاء ﴿سرعة الملامة﴾ منه ليس من العدل سرعة العذل ومنه رب ملوم لا ذنب له الشعير يؤكل ويذم وقول العامة أكلا وذما وقول الحجاج قبح الله منا الحسن ﴿الكريم يتضعه اللئيم﴾ لو ذات سوار لطمتني ومنه ذل لو أجد ناصرا ﴿الانتصار من الظلم﴾ هذه بتلك والبادي أظلم ومنه من لم يذد عن حوضه يهدم ﴿الظلم ترجع عاقبته على صاحبه﴾ قالوا من حفر مغوّاة وقع فيها والمغوّاة البئر تحفر للذئاب ويجعل فيها جدي ليسقط الذئب فيها ليصيده فيصطاد ومنه يعدو على كل امرئ ما يأتمر ومنه عاد الرمي على النزعة وهم الرماة يرجع عليهم رميهم وتقول العامة كالباحث عن مدية ومنه قولهم رمي بحجره وقتل بسلاحه ﴿المضطر الى القتال﴾ مكره أخوك لا بطل قد يحمل العير من ذعر على الاسد ﴿المأخوذ بذنب غيره﴾ جانيك من يجني عليك ومنه * كذي العر يكوى غيره وهو راتع * ومنه * كالثور يضرب لما عافت البقر * يعني عافت الماء (وقال أنس بن مدركة) اني وقتلي سليكا ثم أعقله * كالثور يضرب لما عافت البقر يعني ثور الماء وهو ثورانه يقال ثار الماء ثورا وثوارا ومنه قولهم كل شاة برجلها تناط يريد لا يؤخذ رجل بغير ذنبه ﴿المتبري من الشئ﴾ ما هو من ليله ولا سمره ما هو من بزي ولا من عطري مالي فيه ناقة ولا جمل ومنه قولهم برئت منه الى الله ومنه لست منك ولست مني وما أنا من دد ولا الدد مني ﴿سوء معاشرة الناس﴾ قالوا الناس شجرة بغي لا سبيل الى السلامة من ألسنة العامة ورضا الناس غاية لا تدرك ومنه الحديث المرفوع الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة ومنه قولهم الناس يعيرون ولا يغفرون والله يغفر ولا يعير (وقال الشاعر)

قد زرتنا مرة في الدهر واحدة * ثني ولا تجعلها بيضة الديك

(ومنه قول الشاعر)

لا تهين لخير زل عن يده * فالكوكب النحس يسقي الارض احيانا

ومنه مع الخواطئ سهم صائب ﴿الجبان وما يذم من أخلاقه﴾ منه قولهم ان الجبان حتفه من فوقه * وهو قول عمرو بن امامة

لقد وجدت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه

قال أبو عبيدة أحسبه أراد حذره وتوقيه ليس بدافع عنه المنية وهذا غلط من أبي عبيدة عندي والمعنى فيه انه وصف نفسه بالجبن وانه وجد الموت قبل أن يذوقه وهذا من الجبن ثم قال ان الجبان حتفه من فوقه يريد انه نظر الى منيته انها تحوم على رأسه وقال الله تبارك وتعالى في المنافقين يحسبون كل صيحة

حلواة من عسل محصور * والطل مثل اللؤلؤ المنثور ثم حلسنا جاسة المحبور * بين حقاق جدول منضور أبيض مثل المهرق المنشور * أومثل متن المتصل المشهور ينساب مثل الحية المذعور * بين شاطئ شجر مسطور ناهيك العقود من طهور * فنيلت الاوطار في سرور وكل ما تقضى من الامور * تعلة من يومنا المنظور ومتعة من متع الغرور (الفاظ تناسب هذا النحو لاهل العصر في صفات الفواكه والثمار) كرم تسلفه الماء القراح و يقضينا امهات الراح عنقود كالثريا وعنب كمخازن البلور وضروب النور وأوعية السرور أمهات الرحيق في مخازن العقيق نخل تسلفه الماء و يقضينا العسل رطب كأنها شهدة بالعقيق مقنعة و بالعقيان مقمعة رمان كأنه صرر الياقوت الاحمر سفرجل يجمع طيبا ومنظرا حسنا عجيبا كأنه زئبر الخز الأغبر على الديباج الاصفر تفاح نفاح يجمع وصف العاشق الوجل والمعشوق الخجل له نسيم العبير وطعم السكر رسول المحب وشبيه الحبيب تين كأنه سفر مضمومة على عسل مشمش كأنه الشهد في بنادق الذهب (قال بعض الرواة أنشدت اعرابيا قول جرير بن عطية بن الخطفى

أبدل الليل لا تسرى كواكبه
أم طال حتى حسبت النجم حيرانا

فقال هذا حسن في معناه وأعوذ بالله من مثله ولكني أنشدك في ضده من قولي وأنشدني

وليل لم يقصره رقاد
وقصر طوله وصل الحبيب
نعيم الحب أورق فيه حتى
تناولنا جناه من قريب
بمجلس لذة لم نقو فيه
على شكوى ولا عد الذنوب
بخلنا ان نقطعه بلفظ
فترجمت العيون عن القلوب

فقلت له زدني فما رأيت أظرف منك شعرا فقال أما هذا الباب فحسبك ولكن أنشدك من غيره

وكنت اذا علقت حبال قوم
صحبتهم وشيمتي الوفاء
فاحسن حين يحسن محسنوهم * واجتنب الاساءة ان أساؤا
أشاء سوى مشيئتهم فآتى * مشيئتهم واترك ما اشاء

(قال ﴿نفى الاصمعي) قرأت على أبي محذر خلف بن حيان الاحمر شعر جرير فلما بلغت الى قوله

ويوم كابهام القطاة محبب * الى صباه غالب لى باطله
رزقنا به الصيد العزيز ولم نكن * كمن نبله محرومة وحبائله
فيالك يوم خيره قبل شره * تغيب واشيه واقصر عاذله

فقال خلف ويحه فما ينفعه خير يؤول الى شر فقلت له كذا قرأته على ابي عمرو بن العلاء فقال لي وكذا قال جرير وما كان أبو عمرو ليقرئك الا ما سمع قلت فكيف كان يجب ان يكون قال الاجود ان يقول خيره دون شره فاروه كذلك فقد كانت الرواة قديما تصلح أشعار الاوائل فقلت والله لا أرويه بعدها الا كذا (ومن أجود ما قيل في قصر الليل قول ابراهيم بن العباس)

وليلة من الليالي الغر * قابلت فيها بدرها ببدرى
لم تك غير شفق وفجر * حتى تقضت وهي بكر الدهر

(وقال محمد بن أحمد الاصبهاني) فيما يتعلق بهذا المعنى وان

شاليهم (وقال جرير للاخطل يعيره)

جاءت عليك رجال قيس خيلها * شعثا عوابس تحمل الابطالا
ما زلت تحمل كل شئ بعدهم * خيلا تكر عليهم ورجالا

ولو كان معناه ما ظن أبو عبيدة ما كان معناه يدخل في هذا الباب لانه باب الجبان وما يذم من أخلاقه وليس الاخذ في الحذر من الجبن في شئ لان أخذ الحذر محمود وقد أمر الله به والجبن مذموم من كل وجه ومنه الشعر الذي تمثل به سعد بن معاذ يوم الخندق

لبث قليلا يدرك الهيجا جمل * ما أحسن الموت اذا كان الاجل

ومنه قولهم كل أزب نفور وانما يقال في الازب من الابل لكثرة شعره ويكون ذلك في عينيه فكلما رآه ظن أنه شخص ينفر من أجله ومنه قولهم * بصبص اذ حدين بالاذناب * ومنه قولهم * دردب لما عضه الثقاف * وقولهم حال الجريض دون القريض وهذا المثل لعبيد بن الابرص قاله للنعمان بن المنذر بن ماء السماء حين أراد قتله فقال له انشدني شعرك * أقفر من آهله ملحوب * فقال عبيد حال الجريض دون القريض ومنه وقف شعره واقشعرت ذوائبه من الفزع ﴿افلات الجبان بعد اشفائه﴾ منه قولهم افلت وانحص الذنب ومنه افلت وله حصاص ويروى في الحديث ان الشيطان اذا سمع الاذان ادبر وله حصاص ومنه افلتني بجريعة الذقن اذا كان منه قريبا كقرب الجرعة من الذقن ثم افلته ومنه قول العامة ان تفلت العير فقد ذرق وقولهم افلتني وقد بل النفق الذي تسميه العامة النافق ﴿الجبان يتهدد غيره﴾ منه قولهم جاء فلان ينفض مذرويه اي يتوعد ويتهدد والمذروان فرعا الاليتين ولا يكاد يقال هذا الا لمن يتهدد بلا حقيقة ومنه ابرق لمن لا يعرفك واقصد بذرعك ولا تبق الا على نفسك ﴿تصرف الدهر﴾ منه من يجتمع يتقعقع عمده اي ان الاجتماع داعية الافتراق ومنه كل ذات بعل ستئيم (ومنها البيت السائر)

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر ابيك الا الفرقدان

ومنه لم يفت من لم يمت ﴿الاستدلال بالنظر على الضمير﴾ ومنه قولهم شاهد البغض اللحظ وجلي محب نظره (قال زهير)

فان تك في صديق أو عدو * تخبرك العيون عن الضمير

وقال ابن أبي حازم

خذ من العيش ما كفا * ومن الدهر ما صفا
عين من لا يحب وصـ * ـلك تبدي لك الجفا

كان فى ذكر النهار كيف يرجى لقائى عدوّ * ورقادى لطرف عينى عدوّ بأبى من نعمت منه بيوم * لم يزل للسرور فيه غدوّ
يوم لهو قد التقت طرفاه * فكأن العشى فيه غدوّ اذ شخص الرقيب فيه تناء * ولبدر السماء منى دنوّ (وقال ابن المعتز)
يارب ليل سحركله * مفتضح البدر عليل النسيم تلتقط الانفاس برد الندى * فيه فتهديه لحر الهموم لا أعرف الاصباح لما بدا *
فى ضوئه الا بسكر النديم لبست فيه بالتذاذ الهوى * ولذة الراح ثياب النعيم (اخذ قوله سحركله) من قول عبد الملك بن صالح بن على
وقد قال له الرشيد لما دخل منبج أهذا منزلك قال هو لك ولى بك يا امير المؤمنين قال كيف بناؤه قال دون منازل اهلى وفوق منازل الناس
قال وكيف ذلك وقدرك فوق اقدارهم قال ذلك خلق امير المؤمنين اتأسى به واقفو اثره ٢٧٣ واحذو حذوه قال فكيف طيب منبج
قال عذبة الماء طيبة الهواء قليلة الادواء قال فكيف ليلها قال سحر كله * واخذ هذا الطائى فقال
ايامنا مصقولة اطرافها
بك والليالى كلها اسحار
(ولاهل العصر) قال أبو على محمد بن الحسين بن المظفر الحاتمى
يارب ليل سرور خلته قصرا
كعارض البرق فى افق الدجا برقا
قد كاد يعثر اولاه بآخره
وكاد يسبق منه فجره الشفقا
كأنما طرفاه طرف اتفق الـ
جفنان منه على الاطباق وافترقا
﴿ألفاظ فى هذا المعنى لاهل العصر﴾ ليلة من حسنات الدهر هواؤها صحيح ونسيمها عليل ليلة كبرد الشباب وبرد الشراب ليلة من ليالى الشباب فضية الاديم مسكية النسيم ليلة هى لمعة العمر وغرة الدهر ليلة مسكية الاديم كافورية النجوم ليلة رقد الدهر عنها وطلعت سعودها وغابت عذالها ليلة كالمسك منظرها ومخبرها ليلة هى باكورة العمر وبكر الدهر ليلة ظلماتها أنوار وطول أوقاتها اقصار

٣٥ عقد ل

(كان) سبب اتصال سعيد بن هريم بذى الرياستين الفضل وسمى ذا الرياستين لانه جمع بين رياسة القلم ورياسة التدبير للمأمون انه دخل عليه يوما فقال الاجل آفة الامل والمعروف ذخر الابد والبرغنيمة الحازم والتفريط مصيبة أخى القدرة وانالم نصن وجوهنا عن سؤالك فصن وجهك عن ردنا وضعنا من احسانك بحيث وضعنا انفسنا من تأميلك فأمران يكتب كلامه وسماه سيدا الناطق ووصله المأمون فخص به فلحقته فى بعض الاوقات جفوة من الفضل فكتب اليه يا حافظ من يضيع نفسه عنده ويا ذاكر من نسى نصيبه منه ليس كتابى اذا كتبت استبطاء وما امساكى اذا امسكت استغناء فكتبت مذكرا لامستقصر افعلمك فوصله وأحسن اليه (وقد روى) بعض هذا الكلام المنسوب الى سعيد بن هريم لابى حفص الكرمانى مع ذى الرياستين يقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التميمى

﴿نفى المال عن الرجل﴾ منه قولهم ماله سعنة ولا معنة معناه لاشئ له ومنه ماله هلع ولا هلعة وهما الجدى والعناق ومنه ماله هارب ولا قارب معناه ليس له أحد يهرب منه ولا أحد يقرب اليه فليس له شئ وقولهم ماله عافطة ولا نافطة وهما الضائنة والماعزة ومابه نبض ولا حبض قال الاصمعى النبض المتحرك ولا أعرف الحبض وقال غيره النبض والحبض فى الوتر والنبض تحرك الوتر والحبض صوته وقال * والنبل يهوى نبضا وحبضا * ومنه قولهم ماله سبد ولا لبد هما الشعر والصوف ولم يعرف الاصمعى السعنة والمعنة ﴿اذا لم يكن فى الدار أحد﴾ منه قولهم ما بالدار شفر ولا بها داعوى ولا بها دبى معناه ما بها من يدعو ومن يدب وما بها من عريب ولا بها دورى ولا طورى وما بها اوابر وما بها اصافر وما بها ديار وما بها نافخ ضرمة وما بها أرم معنى هذا كله ما بها احد ولا يقال منها شئ فى الاثبات والايجاب وانما يقولونها فى النفى والجحد ﴿اللقاء وأوقاته﴾ ومنه لقيت فلانا أوّل عين يعنى اوّل شئ وقال ابو زيد لقيته أوّل عائنة ولقيته أوّل وهله ولقيته اول ذات يدين ولقيته اوّل صوك واوّل بوك فان لقيته فجأة من غير أن تريده قلت لقيته نقابا ولقيته التقاطا اذا لقيته من غير طلب (وقال الراجز)
* ومنهل وردته التقاطا * وان لقيته مواجهة قلت لقيته صفاحا ولقيته كفاحا ولقيته كفة كفة (قال ابو زيد) فان عرض لك من غير أن تذكره قلت رفع لى رفعا وأشب لى اشبابا فان لقيته وليس بينك وبينه أحد قلت لقيته صحرة بحرة وهى غير مجراة فان لقيته فى مكان قفر لا أنيس به قلت لقيته صحرة بحرة اصمت غير مجرى أيضا ولقيته بين سمع الارض وبصرها فان لقيته قبل الفجر قلت لقيته قبل صيح ونفر النفر النفرق وان لقيته بالهاجرة قلت لقيته صكة عمى (قال رؤبة) يصف الفلاة اذا لمعت بالسراب فى الهاجرة * شبيه بسهم قوس لعا * صك عمى زاجرا دبرعا فان لقيته فى اليومين والثلاثة قلت لقيته فى الفرط ولا يكون الفرط فى اكثر من خمس عشرة ليلة فان لقيته بعد شهر ونحوه قلت لقيته فى عفر فان لقيته بعد الحول ونحوه قلت لقيته عن هجر فان لقيته بعد أعوام قلت لقيته ذات العويم فان لقيته فى الزمان قلت لقيته ذات الزمين والغب فى الزيارة وهو الابطاء فيها والاعتمار فى الزيارة وهو التردد فيها ﴿فى ترك اللقاء﴾ منه قولهم لا آتيك ما حنت النيب ولا اطت الابل وما اختلف الدرة والجرة وما اختلف الملوان وما اختلف الجديدان ولا آتيك الشمس والقمر وابد الابد ويقال ابد الآبدين ودهر الداهرين وحتى يرجع السهم الى فوقه وحتى يرجع اللبن فى الضرع ولا آتيك سن الحسل تفسير النيب جمع ناب وهى المسنة من الابل والدرة الحلبة من اللبن والجرة من اجترار البعير والملوان الجديدان الليل والنهار والحسل هو ولد الضب يقول حتى تسقط اسنانه

لعمرك ما الاشراف فى كل بلدة * وان عظموا للفضل الا صنائع ترى عظماء الناس للفضل خشعا * اذا ما بدا والفضل لله خاشع
تواضع لما زاده الله رفعة * وكل جليل عنده متواضع (وقال ابراهيم بن العباس) لفضل بن سهل يد * تقاصر عنها المثل
فباطنها للندى * وظاهرها للقبل وبسطتها للغنى * وسطوتها للاجل (أخذه ابن الرومى فقال لابراهيم بن المدبر)
أصبحت بين ضراعة وتجمل * والمرء بينهما يموت هزيلا فامدد الى يدا تعوّد بطنها * بذل النوال وظهرها التقبيلا (وقال) يمدح عبيد الله بن
عبد الله بن طاهر وزاد فى هذا المعنى تشبيها ظريفا مقبل ظهر الكف وهاب بطنها * لها راحة فيها الحطيم وزمزم فظاهرها للناس ركن مقبل
وباطنها عين من العرف عيلم (وكان ذو الرياستين) يقبل صواب القائلين بما فى قوته من صفاء الغريزة وجودة الخبرة فهو كما قال
أبو الطيب
ملك منشد القريض لديه
يضع الثوب فى يدى بزاز
وكانت مخايل فضله ودلائل عقله ظهرت ليحيى بن خالد وهو على دين المجوسية فقال له أسلم أجد السبيل الى اصطناعك قال فأسلم على يد المأمون ولم يزل فى حنبته الى ان رقى الى رتبته وذكره يحيى عند الرشيد فأجمل الثناء فامر باحضاره فلما رآه أعجم فنظر الرشيد الى يحيى كالمستفهم فقال يا أمير المؤمنين ان من أدل دليل على فراهة المملوك ان تملك هيبة مولاه لسانه وقلبه فقال الرشيد لئن كنت سكت لكى تقول هذا فقد أحسنت ولئن كان هذا شيأ اعتراك عند الحصر لقد اجدت وزاد فى اكرامه وتقريبه وجعل لا يسأله بعد ذلك عن شئ الا أجابه بأفصح لسان واجود بيان (قال) سهل بن هرون ومما حفظ من كلام ذى الرياستين مما رأينا تخليده فى الكتب ليؤتم به وينتفع بقول حكمته قوله من ترك حقا فقد
غبن حظا ومن قضى حقا فقد أحرز غنما ومن أتى فضلا فقد أوجب شكرا ومن أحسن توكلا لم يعدم من الله صنعا ومن ترك لله شيأ لم يجد لما ترك فقدا ومن التمس بمعصية الله حمدا عاد ذلك على ملتمسه ذما ومن طلب بخلاف الحق له دركا عاد ما أدرك من ذلك له موبقا وذلك أوجب الفلاح للمحسنين وجعل سوء العاقبة للمسيئين المقصرين (ووقع) فى رقعة ساع نحن نرى قبول السعاية شرا منها لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ واخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعى فانه لو كان فى سعايته صادقا لكان فى صدقه آثما اذ لم يحفظ الحرمة ويستر العورة والشئ يقرن مع جنسه (كتب محمد بن على) الى محمد بن يحيى بن خالد وكان واليا على أرمينية للرشيد ان قوما صاروا الى سبيل النصح فذكروا ضياعا بارمينية قد عفت ودرست يرجع منها الى السلطان مال عظيم وانى وقفت عن المطالبة حتى أعرف رأيك فكتب اليه قرأت هذه الرقعة المذمومة وفهمتها وسوق السعاية بحمد الله فى أيامنا كاسدة والسنة السعاة فى أيامنا كليلة

ولا تسقط ابدا حتى يموت ﴿(استجهال الرجل ونفى العلم)﴾ منه قولهم ما يعرف الحو من اللو وما يعرف الحى من اللى ولا هر برا من غريره ولا قبيلا من دبير وما يعرف اى طرفيه اطول واكبر وما يعرف من يهره ممن يبره والقبيل ما اقبلت به من قبل الحبل والدبير ما أدبرت منه واى طرفيه أطول أنسب ابيه ام نسب امه ﴿(امثال مستعملة فى الشعر)﴾ قال الاصمعى لم اجد فى شعر شاعر بيتا اوله مثل وآخره مثل الا ثلاثة ابيات (منها بيت الحطيئة)

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

وبيت امرئ القيس وافلتهن علباء جريضا * ولو ادركنه صفر الوطاب

وقاهم جدهم ببنى ابيهم * وبالاشقين ما كان العقاب

ومثل هذا كثير فى القديم والحديث ولا ادرى كيف اغفل القديم منه الاصمعى (فمنه قول طرفة)

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزوّد

وفى هذا مثلان من اشرف الامثال ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع هذا البيت فقال ان معناه من كلام النبوّة (ومن هذا قول الآخر)

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد

(ومن ذلك قول الحسن بن هانئ)

ايها المنتاب عن عفره * لست من ليلى ولا سمره

لا أذود الطير عن شجره * قد بلوت المر من ثمره

ان العرب تقول انتاب فلان عن عفره اى تباعد عن اصله لست من ليلى ولا سمره مثل ثان وليس فى البيت الثانى الا مثل واحد (ومن قولنا فى بيت أوله مثل وآخره مثل)

قد صرح الاعداء بالبين * واشرق الصبح لذى العين

وبعده ابيات فى كل بيت منها مثل (وذلك قوله)

وعاد من اهواه بعد القلا * شقيق روح بين جسمين * واصبح الداخل فى بيننا

كساقط بين فراشين * قد البس البغضاء من ذاوذا * لا يصلح الغمد لسيفين

ما بال من ليست له حاجة * يكون أنفا بين عينين

(ومن قولنا الذى هو امثال سائرة)

قالوا شبابك قد ولى فقلت لهم * هل من جديد على كر الجديدين

صل من هويت وان أبدى معاتبة * فأطيب العيش وصل بين الفين
فاقطع حبائل خل لا تلائمه * فربما ضاقت الدنيا باثنين

(وقال بعد هذا في المدح)

فكرت فيك أبحر انت أم قمر * فقد تحير فكري بين هذين
ان قلت بحرا وجدت البحر منحسرا * وبحر جودك ممتد العبابين
أو قلت بدرا رأيت البدر منتقصا * فقلت شتان ما بين اليزيدين

(ومن الامثال) التى لم تأت الا في الشعر أو في قليل من الكلام من ذلك قول الشاعر

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

كتاب الزمردة في المواعظ والزهد

(قال أحمد بن محمد بن عبد ربه) قد مضى قولنا في الامثال وما تفننوا فيه على كل لسان ومع كل زمان ونحن نبتدأ بعون الله وتوفيقه بالقول في الزهد ورجاله المشهورين به ونذكر المنتحل من كلامهم والمواعظ التى وعظت بها الانبياء واستخلصتها الآباء للابناء وجرت بين الحكماء والادباء ومقامات العباد بين أيدى الخلفاء (فأبلغ المواعظ كلها) كلام الله تعالى الاعز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قال الله تبارك وتعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة الى آخر السورة وقال جل ثناؤه كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون وقال أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين الى قوله عليم فهذه أبلغ الحجج وأحكم المواعظ ثم مواعظ الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ثم مواعظ الآباء للابناء ثم مواعظ الحكماء والادباء ثم مقامات العباد بين أيدى الخلفاء ثم قولهم في الزهد ورجاله المعروفين به ثم المشهورين من المنتسبين اليه والموعظة ثقيلة على السمع مستحرجة على النفس بعيدة من القبول لاعتراضها الشهوة ومضادتها الهوى الذى هو ربيع القلب ومراد الروح ومربع اللهو ومسرح الامانى الا من وعظه علمه وأرشده قلبه وأحكمته تجربته قال الشاعر

لن ترجع النفس عن غيها * حتى يرى منها لها واعظ

(وقالت الحكماء) السعيد من وعظ بغيره لا يعنون من وعظه غيره ولكن من راى العبر في غيره فاتعظ بها في نفسه ولذلك كان يقول الحسن اقرعوا هذه النفوس فانها طالعة وحادثوها بالذكر فانها سريعة

حاسدة فاذا قرأت كتابي هذا فاحمل الناس على قانونك وخذهم بما في دوانك فانا لم نولك الناحية لتقيم الرسم المعافية ولا لاحياء الاعلام الدائرة وجنبني وتجنب بيت جرير يخاطب الفرزدق

وكنت اذا حللت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

واجر أمورك على ما يكسب الدعاء لنا لا علينا واعلم انها مدة تنتهى وأيام تنقضى فاما ذكر جميل واما خزى طويل (وقال) رجل للمهدى عندى نصيحة يا أمير المؤمنين فقال لمن نصيحتك هذه لنا أم لعامة المسلمين أم لنفسك قال لك يا أمير المؤمنين قال ليس الساعى بأعظم عورة ولا أقبح حالا ممن قبل سعايته ولا تخلو من ان تكون حاسد نعمة فلا نشفى غيظك أو عدوا فلا نعاقب لك عدوك ثم اقبل على الناس فقال لا ينصح لنا ناصح الا بما فيه رضا الله وللمسلمين صلاح فانما لنا الابدان وليس لنا القلوب ومن استترعنا لم نكشفه ومن بادانا طلبنا توبته ومن أخطأ اقلنا عثرته فانى أرى التأديب بالصفح ابلغ منه بالعقوبة والسلامة مع العفو أكثر منها مع المعاجلة والقلوب لا تبقى لوال لا ينعطف اذا استعطف ولا يعفو اذا قدر ولا يغفر اذا ظفر ولا يرحم اذا استرحم (ووقع) ذو الرياستين الى تميم بن خزيمة الامور بتمامها والاعمال بخواتمها والصنائع باستدامتها والى الغاية يجرى الجواد فهنالك كشفت الخبرة قناع الشك فحمد السابق وذم الساقط وذو الرياستين القائل

أنضيت أحرف لا مما لفظت بها
تحولي ردها عنا الى نعم
أوصيرتها اليها منك منعمة
ان كنت حاولت فيها خفة الكلم
قستم علينا فما رضنا قياسكم
يا أحسن الناس من فرق الى قدم

(ولما) قتل ذو الرياستين دخل المأمون على أمه فقال لا تجزعى فانى ابنك بعد ابنك فقالت أو لا ابكى على ابن اكسبنى ابنا مثلك (ووصف) ابن القرية فرسا اهداه الحجاج الى عبد الملك بن مروان فقال حسن القد اسيل الخد يسبق الطرف ويستغرق الوصف (واهدى) عبد الله بن طاهر الى المأمون فرسا وكتب اليه قد بعثت الى أمير المؤمنين بفرس يلحق الارانب في الصعداء ويجاوز الظباء في الاستواء ويسبق في الحدور جرى الماء فهو كما قال تأبط شرا

ويسبق وفد الريح من حيث تنتحى * بمنخرق من شدة المتدارك

(وقال) رجل لبعض النخاسين اشترلى فرسا جيد القميص حسن الفصوص وثيق القصب نقى العصب يشير باذنيه ويتدس برجليه كانه موج في لجة أو سيل في حدور (جمع) محمد بن الحسين بين هذين الكلامين وزاد فيه فقال يصف فرسا هو حسن القميص جيد الفصوص وثيق القصب نقى العصب يبصر باذنيه ويتبوع بيديه ويداخل برجليه كانه موج في لجة أو سيل في حدور يناهب المشى قبل أن يبعث ويلحق الارانب في الصعداء ويجاوز جوارى الظباء في الاستواء ويسبق في الحدور جرى الماء ان عطف جار وان أرسل طار وان كلف السير امعن وسار وان حبس صفن وان

المستوقف قطان وان رمى ابن فهو كما قال تأبط شراوذ ا البيت واول هـذه الابيات واني لمهـد من ثنائي فقاصـد *
به لابن عم الصـدق شمس بن مالك اهز به في ندوة الحي عطفه * كما هز عطفي بالهجان الاوارك قليل التشكي للم يصيبه *
كثير الهوى شتى النوى والمسالك يظل بموماة ويمسي بغيرها * جحيشا ويعروري ظهور المهالك ويسبق وفد الريح من حيث تنتحي *
بمنخرق من شدة المتدارك اذا خاط عينيه كرى النوم لم يزل * له كالئ من قلب شيحان فاتك اذا طلعت أولى العدو فنفرة *
الى سلة من صارم العزفاتك ويجعل عينيه ربيئة قلبه * الى ضربة من حـد أحلق صائك اذا هزه في عظم قرن تهللت *
نواجذ افواه المنايا الضواحك يرى الوحشة الانس الانيس ويهتـدي * بحيث اهتدت أم النجوم الشوابك

(واهدى) عمرو بن العاص الى معاوية ثلاثين فرسا من سوابق خيل مصر فعرضت عليه وعنده عقبة بن سنان بن يزيد الحارثي فقال له معاوية كيف ترى هـذا يا يا أبا سعيد فان أخاك عمرا قد أطنب في وصفها فقال أراها يا أمير المؤمنين عـلى ما وصف وانها المخيلة بكل خـير انها لسامية العيون لاحقـة البطون مصغية الآذان اقباء الأسنان ضخام الركبات مشرفات الحجبات رحاب المناخر صلاب الحوافر وقعها تحليـل ورفعها تعليل فهـذه ان طلبت سبقت وان طلبت لحقت قال له معاوية اصرفها الى رحلك فان بنا عنها غنى وبفتيانك اليها حاجة (وقال النابغة الجعدي)

وانا اناس لا نعود خيلنا
اذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
وتنكر يوم الروع ألوان خيلنا
من الطعن حتى تحسب الجون اشقرا
فليس بمعروف لنا ان نردها
صحاحا ولا مستنكر أن تعقرا

(وقال بعض العرب) ولقد شهدت الخيل يوم طرادها * بسليم اوظفة القوائم هيكل فدعوا نزال فكنت اول نازل رسول وعلام اركبه اذا لم انزل (ووصف) اعرابي فرسا فقال لما ارسلت الخيل جا وا شيطان في اشطان فأرسلوه فلمع لمع البرق واستهل استهلال الودق فكان اقربهم اليه الذي يقع عينه من بعد عليه (وذكر) اعرابي رجلا فقال عنده فرس طويل العذار امين العثار وكنت اذا رأيته عليه ظننته بازيا على مربا عليه رمح طويل يقصر به الآجال (وقال) بعض المحدثين في هـذا التطابق لقيناهم بارماح طوال * تبشرهم باعمار قصار (ووصف) اعرابي خيلا لبني يربوع فقال خرجت علينا خيل من مستطير نقع كأن هواديها اعلام وآذانها أقلام وفرسانها أسود آجام (ولما انشد) العماني الرشيد يصف فرسا كأن اذنيه اذا تشوفا * قادمة او قلما محرفا ولحن ففهم ذلك أكثر من حضر فقال الرشيد اجعل مكان كأن تخال فعجبوا للسرعة تهديه * وللطائيين في هـذا النوع اشعار كثيرة مغني من اختيارها كثرة

الدثور واعصوها فانها ان أطيعت برعت في الشر غاية وكان يقول عند انقضاء مجلسه وختم موعظته بالها من موعظة لو صادفت من القلوب حياة (وكان ابن السماك) يقول اذا فرغ من كلامه ألسن تصف وقلوب تعرف وأعمال تخالف (وقال يونس بن عبيد) لو أمرنا بالجزع لصبرنا يريد ثقل الموعظة على السمع وجنوح النفس الى مخالفتها ومنه قولهم

* أحب شيء الى الانسان ما منعا * وقولهم * والشيء يرغب فيه حين يمتنع *

والموعظة مانعة لك مما تشتهي حاملة لك على ما تكره الا أن تلقاها بسمع قد فتقته العبرة وقلب قد حت فيه الفكرة ونفس لها من علمها زاجر ومن عقلها رادع فيفتح لك باب التوبة ويوضح لك سبيل الانابة (قال النبي صلى الله عليه وسلم) حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يريد ان الطريق الى الجنة احتمال المكروه في الدنيا والطريق الى النار ركوب الشهوات وخير الموعظة ما كانت من قائل مخلص الى سامع منصف (وقال بعضهم) الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان (وقالوا) ما أحسن التاج وهو على رأس الملك أحسن وما أحسن الدر وهو على نحر الفتاة أحسن وما أحسن الموعظة وهي من الفاضل التقي أحسن (وقال زياد) أيها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تنتفعوا باحسن ما تسمعون منا قال الشاعر

اعمل بقولي وان قصرت في عملي * ينفعك قولي ولا يضررك تقصيري

(وقال عبد الله بن عباس) ما انتفعت بكلام احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتفعت بكلام كتبه الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه كتب الي اما بعد فان المرء يسره ادراك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من امر آخرتك وليكن اسفك على ما فاتك منها وما نلت من امر دنياك فلا تكن به فرحا وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا وليكن همك ما بعد الموت (ووقف حكيم) بباب بعض الملوك فحجب فتلطف لرقعة وصلت اليه فكتب فيها هذا البيت

الم تر ان الفقير يرجى له الغنى * وان الغني يخشى عليه من الفقر

فلما قرأ البيت لم يلبث ان انتعل وجعل لاطية على رأسه وخرج في ثوب فاضل فقال له والله ما اتعظت بشيء بعد القرآن اتعاظي ببيتك هذا ثم قضى حوائجه (مواعظ الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم) ابو بكر بن ابي شيبة يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال يكفي احدكم من الدنيا قدر زاد الراكب (وقال) صلى الله عليه وسلم ابن آدم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك (عبد الله بن سلام) قال لما قدم علينا

رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتيته فلما رأيت وجهه علمت انه ليس بوجه كذاب فسمعته يقول ايها الناس أطعموا الطعام وافشوا السلام وصلوا والناس نيام (وقال عيسى بن مريم) عليه السلام الا اخبركم بخير كم مجالسة قالوا بلى ياروح الله قال من تذكركم بالله رؤيته ويزيد فى علمكم منطقه ويشوقكم الى الجنة عمله (وقال عيسى بن مريم عليهما السلام) للحواريين ويلكم ياعبيد الدنيا كيف تخالف فروعكم اصولكم واهواؤكم عقولكم قولكم شفاء يبرى الداء وفعلكم داء لايقبل الدواء ألستم كالكرمة التى حسن ورقها وطاب ثمرها وسهل مرتقاها ولكنكم كالسمرة التى قل ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها ويلكم ياعبيد الدنيا جعلتم العمل تحت أقدامكم من شاء اخذه وجعلتم الدنيا فوق رؤسكم لايمكن تناولها فلا انتم عبيد نصحاء ولا احرار كرام ويلكم يا اجراء السوء الاجر تأخذون والعمل تفسدون سوف تلقون ماتحذرون اذا نظر رب العمل فى عمله الذى افسدتم واجره الذى اخذتم (وقال عليه السلام) للحواريين اتخذوا المساجد بيوتا والبيوت منازل وكلوا بقل البرية واشربوا الماء القراح وانجوا من الدنيا سالمين (وقال عليه السلام) للحواريين لاتنظروا فى أعمال الناس كأنكم ارباب وانظروا فى اعمالكم كأنكم عبيد فانما الناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا اهل البلاء واحمدوا الله على العافية (وقال عليه السلام) لهم ايضا عجبا لكم تعملون للدنيا وانتم ترزقون فيها بغير عمل ولا تعملون للآخرة وانتم لاترزقون فيها الابعمل (وقال يحيى) بن زكريا عليهما السلام للكذابين من بنى اسرائيل يانسل الافاعى من دلكم على الدخول فى المساخط الموبقة بكم ويلكم تقربوا بعمل صالح ولا تغرنكم قرابتكم من ابراهيم فان الله قادر على ان يستخرج من هذه الجنادل نسلا لابراهيم ان الفاس قد وضعت فى اصول الشجر فاخلق بكل شجرة مرة الطعم ان تقطع وتلقى فى النار (وقال شعياء) لبنى اسرائيل اذ أطلق الله لسانه بالوحى ان الدابة تزداد على كثرة الرياضة لينا وقلوبكم لاتزداد على كثرة الموعظة الاقسوة ان الجسد اذا صلح كفاه القليل من الطعام وان القلب اذا صح كفاه القليل من الحكمة كم من سراج قد اطفأته الريح وكم من عابد قد افسده العجب يابنى اسرائيل اسمعوا قولى فان قائل الحكمة وسامعها شريكان واولاهما بها من حققها بعمله (وقال المسيح صلى الله عليه وسلم) ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين نظروا الى باطن الدنيا اذ نظر الناس الى ظاهرها والى آجلها اذ نظروا الى عاجلها فأماتوا منها ماخشوا ان يميتهم وتركوا ماعلموا ان سيتركهم هم اعداء ماسالم الناس وسلم لما عادى الناس لهم خبر عجيب وعندهم الخبر العجيب بهم نطق الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الهدى وبه علموا لايرون أمانا دون مايرجون ولاخوفا دون مايحذرون (وهب بن منبه) قال قال

اشهارها وسأنشد بعض ذلك (قال ابو تمام) ماه قرب يختال فى اشطانه * ملآن من صلف به وتلهوق بحوافر حفر وصلب اصلت *
واشاعر شعر وخلق اخلق ذو اولق تحت العجاج وانما * من صحة افراط ذاك الاولق صافى الاديم كأنما البسته *
من سندس بردا ومن استبرق املسه املسدة لوعاقت * فى صهوتيه العين لم تتعلق مسود شطر مثل ماسود الدجى *
مبيض شطر كابيضاض المهرق (وقال ابو عبادة) واغر فى الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على اغر محجل
وافى الضلوع يشد عقد حزامه * يوم اللقاء على معم مخول يهوى كما هوت العقاب اذا رأت * صيدا وينتصب انتصاب الاجدل
متوحش بدقيقتين كأنما * تريان من ورق عليه موصل كالرائح النشوان اكثر مشيه *
عرض على السنن البعيد الاطول
ويظن ريعان الشباب يروعه
من نشوة أوجنة اوافكل
هزج الصهيل كأن فى نبراته
نغمات معبد فى الثقيل الاول
تتوهم الجوزاء فى ارساغه
والبدر غرة وجهه المتهلل
صافى الاديم كأنما عنيت له
بصفاء نقبته مداوس صيقل
وكأنما كسى الخدود نواعما
مهما تلاحظها بلحظ يخجل
وكأنما نفضت عليه صبغها
صهباء للبردان اوقطربل
ملك العيون فان بدا اعطينه
نظر المحب الى الحبيب المقبل
(وقال اسحق بن خلف النهروانى) لابى دلف وكان له فرس ادهم يسميه غرابا
كم كم تجرعه المنون ويسلم
لويستطيع شكا اليك له الفم
من كل منبت شعرة من جلده
خط ينمقه الحسام المخذم
ماتدرك الارواح ادنى جريه
حتى يفوت الريح وهو مقدم
رجعته أطراف الاسنة اشقرا
والاون أدهم حين ضرجه الدم وكأنما عقد النجوم بطرفه * وكأنه يعرى المجرة ملجم (وقال أبو الطيب)
جفتنى كأنى لست انطق قومها * وأطعنهم والشهب فى صورة الدهم (وقال أبو الفتح كشاجم) قد راح تحت الصبح ليل مظلم *
اذ لاح فى السرج المحلى الادهم ديباج ألوان الجياد ولم يكن * ليخص بالديباج الاالاكرم ضحك اللجين على سواد اديمه *
وكذا الظلام تنير فيه الانجم فكأنه ببنات نعش ملبب * وكأنما هو بالثريا ملجم (قلت هذا من قول ابن المعتز)
الافاسقيانى والظلام مقوض * ونجم الدجا تحت المغارب يركض كأن الثريا فى أواخر ليلها * تفتح نور أولجام مفضض
(وقال ابو الفتح) من شك فى فضل الكميت فبينه * فيه وبين يقينه المضمار فى منظر مستحسن محمودة *
اخباره اذ تبتلى الاخبار ماء تدفق طاعة وسلاسة * فاذا استدر الحضر فيه فنار واذا عطفت به على ناورده *

اقتدير ه فكانه بركار   وصف الخلوق اديمه فكانما * اهدى الخلوق لجلده عطار   فصرت قلادة نحره وعذاره *
والرسغ وهي من العتاق قصار   وكانما هاديه جذع مشرف * وكانما الضبع فيه وجار   يرد الضحاضح غير ثانى سنبك *
و برود طرفك خلفه فتحار   لولم تكن للخيل نسبة خلقه * ما كنه من اشكالها الاطيار   (وقال ابن المعتز)
وخيل طواها القود حتى كأنها * أنابيب سمر من قنا الخط ذبل   صببناعليها ظالمين سياطنا * فطارت بها أيد سراع وارجل
قوله ظالمين من ابدع حشو جرى فى بيت وكأن ابن المعتز اشار الى قول اعرابى مولد   وعود قليل الذنب عاودت ضربه *
اذا هاج شوقى من معاهد هاذكر   فقالت له ذا لقاء و يحك سبيت * لك الضرب فاصبر ان عادتك الصبر   (وقال ابن المعتز)
اراه متى فداك بأعوجى *   بأدهم كالظلام اغر يجلو * بغرته ديا جير الظلام   كقدح النبع فى الريش اللؤام
ترى احجاله يصعدن فيه
صعود البرق فى جو الغمام
(وقال ايضا)
قداغتدى والصبح كالمشيب
فى افق مثل مداك الطيب
بقارح مسوم يعبوب
ذى اذن كخصوة العسيب
أوآسة اوفت على قضيب
يسبق شأو النظر الرحيب
أسرع من ماء الى تصويب
ومن رجوع لحظة المريب
(وقال)
رب ركب عرسوا ثم هبوا
نحو اسراج وشد رحال
وعدونا باعنة خيل
تأكل الارض بايد عجال
زينتها غرر ضاحكات
كبدور فى وجوه ابال
(وقال على بن محمد الايادى)
مسح الظلام بعرفه يده
ومشى فقبل وجهه البدر
(وقال الناشئ أبو العباس عبد الله بن محمد)
أحوى عليه مسائح من ليطة
شهب تسيل على تواثم ساقه
فكانه متلفع قبطية
اثناؤها مشدودة بنطاقه   فسواده كالليل فى اظلامه * وبياضه كالصبح فى اشراقه   صافى الاديم كريمة أنسابه *   جبل
اخلاقه عيص على اعراقه   (كتب ابو منصور) عبد الملك بن محمد بن اسمعيل الثعالبى الى الامير ابى الفضل عبد الله بن أحمد بن ميكال
وقد زاره الامير فى داره   لازال مجدك للسماك رسيلا * وعلا وجدك بالخلود كفيلا   ياغرة الزمن البهيم اذاغدا *
أهل العلا لزمانهم تحجيلا   يا زائرا مدت سحائب طوله * ظلا على من الجمال ظليلا   وأتت بصوب جواهر من لفظه *
حتى انتظمن لمفرقى اكليلا   بابى وغيرابى هلال نوره * يستعجل التسبيح والتهليلا   نقشت حوافر طرفه فى عرصتى *
نقشا محوت رسومه تقبيلا   ولو استطعت فرشت مسقط خطوه * بعيون عين لا ترى التكحيلا   ونثرت روحى بعدما ملكت يدى *

د واد عليه السلام يارب ابن آدم ليس منه شعرة الا وتحتها لك نعمة وفوقها لك نعمة فمن اين يكافئك بما اعطيته فاوحى الله اليه ياداود انى اعطى الكثير وارضى من عبادى بالقليل وارضى من شكر نعمتى بان يعلم العبد ان مابه من نعمة فمن عندى لامن عند نفسه (ولما أمر الله عز وجل ابراهيم) صلى الله عليه وسلم بذبح ولده وان يجعله قربانا واسر ذلك الى خليله قال له العاذر وكان له صديقا فقال له الصديق ان الله لا يبتلى بمثل هذا مثلك ولكنه يريد ان يختبرك او يخبر بك وقد علمت انه لا يبتليك بمثل هذا ليفتنك ولا ليضلك ولا ليعنتك ولا لينقص به بصيرتك وايمانك ويقينك فلا يروعنك هذا ولا يسوان بالله ظنك وانما رفع الله اسمك فى الملأ الاعلى على جميع أهل البلاء حتى كنت أعظمهم محنة فى نفسك وولدك ليرفعك بقدر ذلك عليهم فى المنازل والدرجات والفضائل فليس لاهل الصبر فى فضيلة الصبر الافضل صبرك وليس لاهل الثواب فى فضيلة الثواب الافضل ثوابك وليس هذا من وجوه البلاء الذى يبتلى الله به أولياءه لان الله أكرم فى نفسه وأعدل فى حكمه و أرحم بعباده من أن يجعل ذبح الولد الطيب بيد الوالد النبى المصطفى وانا أعوذ بالله أن يكون هذا منى حتما على الله أوردا لامره اوسخطا لحكمه ولكن هذا الرجاء فيه والظن به فان عزم ربك على ذلك فكن عند أحسن علمه بك فانى أعلم انه لم يعرضك لهذا البلاء الجسيم والخطب العظيم الا لحسن علمه بك وصدقك وتصبرك ليجعلك اماما ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (ومن وحى الله تعالى الى أنبيائه) أوحى الله عز وجل الى نبى من أنبيائه انى أنا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدى فمن أطاعنى جعلت الملوك عليه رحمة ومن عصانى جعلت الملوك عليه نقمة (ومما أنزل الله على المسيح فى الانجيل) شوقناكم فلم تشتاقوا ونحنا لكم فلم تبكوا يا اصحاب الخمسين ماقدمت وما اخرت يا اصحاب الستين قد دنا حصادك ويا اصحاب السبعين هلم الى الحساب (وفى بعض الكتب) القديمة المنزلة يقول الله عز وجل يوم القيامة يا عبادى طالما ظمئتم وتقلصت فى الدنيا شفاهكم وغارت اعينكم عطشا وجوعا فكلوا واشربوا هنيأ بما اسلفتم فى الايام الخالية (واوحى الله تعالى) الى نبى من انبيائه هب لى من قلبك الخشوع ومن نفسك الخضوع ومن عينيك الدموع وسلنى فانا القريب المجيب (وفى بعض الكتب) عبدى كم اتحبب اليك بالنعم وتتبغض الى بالمعاصى خيرى اليك نازل وشرك الى صاعد (واوحى الله الى نبى من انبيائه) ان اردت ان تسكن غدا حظيرة القدس فكن فى الدنيا فريدا وحيدا طريدا مهموما حزينا كالطير الوحدانى يظل بارض الفلاة ويرد ماء العيون ويأكل من اطراف الشجر فاذا جن عليه الليل اوى الى وحده استيحاشا من الطير واستئناسا بربه (ومما اوحى الله الى موسى) فى التوراة ياموسى بن عمران ياصاحب

جبل لبنان أنت عبدى وأنا الملك الديان لاتستذل الفقير ولاتغبط الغنى وكن عند ذكرى خاشعا وعند تلاوة وحيى طائعا اسمعنى لذاذة التوراة بصوت حزين (وقال وهب بن منبه) أوحى الله الى موسى عند الشجرة لايعجبنك زينة فرعون ولاما متع به ولاتمدن الى ذلك عينك فانها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ولوشئت ان أوتيك زينة يعلم فرعون حين ينظر اليها ان مقدرته تعجز عنها فعلت ولكنى أرغبتك عن ذلك وأزويه عنك وكذلك أفعل باوليائى انى لاذودهم عن نعيمها ولذاتها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وانى لاحميهم عيشها وحلوتها كما يحمى الراعى ذوده عن مبارك العارة (وذكر عن وهب بن منبه) ان يوسف لما لبث فى السجن بضع سنين أرسل الله جبريل اليه بالبشارة بخروجه فقال أما تعرفنى أيها الصديق قال يوسف أرى صورة طاهرة وروحا طيبا لايشبه أرواح الخاطئين قال جبريل انا الروح الامين رسول رب العالمين قال يوسف فما أدخلك مداخل المذنبين وأنت سيد المرسلين ورأس المقربين قال ألم تعلم أيها الصديق أن الله يطهر البيوت بطهر النبيين وان البقعة التى تكون فيها هى أطهر الارضين وان الله قد طهر بك السجن وماحوله ياابن الطاهرين قال يوسف كيف تشبهنى بالصالحين وتسمينى باسماء الصادقين وتعدنى مع آبائى المخلصين وأنا أسير بين هؤلاء المجرمين قال جبريل لم يكلم قلبك الجزع ولم يغير خلقك البلاء ولم يتعاظمك السجن ولم تطأ فراش سيدك ولم ينسك بلاء الدنيا بلاء الآخرة ولم تنسك نفسك أباك ولاأبوك ربك وهذا الزمان الذى يفك الله فيه عنقك ويعتق فيه رقبتك ويبين للناس فيه حكمتك ويصدق رؤياك وينصفك ممن ظلمك ويجمع لك أحبتك ويهب لك ملك مصر تملك ملوكها وتذل جبابرتها وتصغر عظماءها وتذل لك أعزتها وتخدمك سوقتها وتخولك خولها وترحم بك مساكينها وتلقى لك المودة والهيبة فى قلوبهم وتجعل لك اليد العليا عليهم والاثر الصالح فيهم ويرى فرعون حلما يفزع منه حتى يسهر ليله ويذهب نومه ويعمى عليه تفسيره وعلى السحرة والكهنة ونعلمك تأويله

❁(مواعظ الحكماء)❁ قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه أوصيكم بخمس لو ضربت عليها آباط الابل لكان قليلا لايرجون أحدكم الاربه ولايخافن الاذنبه ولايستحى اذا سئل عما لايعلم أن يقول لاأعلم واذا لم يعلم الشئ أن يتعلمه واعلموا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا قطع الرأس ذهب الجسد (وقال أيضا) من أراد الغنى بغير مال والكثرة بلا عشيرة فليتحوّل من ذل المعصية الى عز الطاعة أبى الله الا ان يذل من عصاه (وقال الحسن) من خاف الله أخاف الله منه كل شئ ومن خاف الناس أخافه الله من كل شئ (وقال بعضهم) من عمل

وخرت بين يدى هواه قتيلا (وقال أبو القاسم بن هانئ) يصف خيل المعز له المقربات الجرد ينعلها دما * اذا قرعت هام الكماة السنابك
يريق عليها اللؤلؤ الرطب ماءه * ويسبك فيها اذائب التبر سابك صقيلات اجسام البروق كانما * امرت عليها بالشموس المداوك
(وقال يصف فرسا) لجعفر بن على بن حمدون تهال مصقول النواحى كأنه * اذاجال ماء الحسن فيه غريق
من البهم ورد اللون شيب بكمتة * كما شيب بالمسك الفتيق خلوق فلو ميز منه كل لون بذاته * جرى مبهج منه وذاب عقيق
(وقال فى قصيدة يمدح بها أبا الفرج الشيبانى) فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر انى العوالى السمهرية والسيو * ف المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كأنه * تحت السوابغ تبع فى حمير
القائد الخيل العتاق شوازيا * خزرا الى لحظ السنان الاخزر
شعث النواصى حسرة آذانها * قب الاياطل داميات الانسر
تنبو سنابكهن عن عفر الثرى * فيطأن فى خد العزيز الاصعر
فى فتية صدأ الحديد عبيرهم * وخلوقهم علق النجيع الاحمر
لاياكل السرحان شلو عقيرهم * مما عليه من القنا المتكسر
(وقال فى قصيدة) يمدح بها ابراهيم بن جعفر بن على
نغرا الطرف أعوجى أنت فى * صهواته والحسن والتطهيم
يبدى اعزك نخوة فكأنه * ملك تدين له الملوك عظيم
هاد على الخيل العتاق كأنه * بين الدجنة والصباح صريم
سامى القذال لسمعه عيافة * تحت الدجى واطرفه تنجيم
أذن مؤللة وقلب أصمع * وحشى أقب وكاهل ملزوم
فالطود من صهواته متزلزل * والجيش من أنفاسه مهزوم خرق العيون فضل عنها لونه * وصفا فقلنا ماعليه أديم
فكانما جدت عليه مزنة * وانجاب عنه عارض مركوم وكأنما انحرت عليه بوارق * وكأنما كسفت عليه نجوم
وكأنك ابن المنذر النعمان فو * ق سراته وكانه اليحموم (وقال على بن محمد الايادى) يصف فرس أبى عبدالله جعفر بن ابى القاسم
القائم وأقب من لحق الجياد كأنه * قصر تباعد ركنه من ركنه ليست قوائمه عصائب فضة * رغدت بسمر صفا المسيل ودكنه
وكأنما انفجر الصباح بوجهه * حسنا أو احتبس الظلام بمتنه قيد العيون اذا بصرن بشخصه * ورضا القلوب اذا اصطلين بضغنه
متسبطر بالراكبين كأنه * بازتروح به الجنوب لوكنه يستوقف اللحظات فى خطراته * بكمال خلقته ودقة حسنه
حلو الصهيل تخال فى لهواته * حاديصوغ بدائعا من لحنه متحير يبنى بعتق نجاره * أشراف كاهله ودقة اذنه

دو يحوه سعب به عن يده * وشم امه حجبت به عن قرنه وكأنه فلك اذا حركته * جار على سهل البلاد وحزنه
قد راح يحمل جعفر بن محمد * حمل النسيم لوابل من مزنه (وما أحسن ما قال أبو الطيب المتنبي)
يديم سوت العاشقين كمنته * أراقب فيه الشمس أيان تغرب وعينى الى اذنى أغر كأنه * من الليل باق بين عينيه كوكب
له فضلة عن جسمه فى اهابه * تجيء على صدر رحيب وتذهب شققت به الظلماء أدنى عنانه * فيطغى وأرخيه مرارا فيلعب
واصرع أى الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين أركب وما الخيل الا كالصديق قليلة * وان كثرت فى عين من لا يجرب
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها * وأعضائها فالحسن عنك مغيب (وينخرط فى سلك هذا المعنى)

مقامة من مقامات الاسكندرى فى الكدية مما أنشأه بديع الزمان وأملاه فى شهور سنة خمس وثمانين وثلثمائة (قال البديع) حدثنا عيسى بن هشام قال حضرنا مجلس سيف الدولة يوما وقد عرض عليه فرس متى ما ترق العين فيه تسهل فلحظته الجماعة فقال سيف الدولة أيكم أحسن صفته جعلته صلته فكل جهد جهده وبذل ما عنده فقال أحد خدمه أصلح الله الامير رأيت بالامس رجلا يطأ الفصاحة بنعليه وتقف الابصار عليه يسلى الناس ويشفى الباس ولو أمر الامير باحضاره لفضلهم باحضاره فقال سيف الدولة على به فى هيئته فصار الخدم فى طلبه بغاؤا للوقت به ولم يعلموه لأى حال دعى به ثم قرب واستدنى وهو فى طمرين قد أكل الدهر عليهما وشرب وحين حضر السماط لثم البساط ووقف فقال سيف الدولة بلغنا عنك عارضة فأعرضها فى هذا الفرس وصفه فقال أصلح الله الامير كيف به قبل ركوبه ووثوبه وكشف عيوبه فقال اركبه فركبه وأجراه ثم قال أصلح الله الامير هو طويل الاذنين قليل الاثنين واسع المراث لين الثلاث غليظ الاكرع غامض الاربع شديد النفس لطيف الخمس ضيق القلت رقيق الست حديد السمع غليظ السبع رقيق اللسان عريض الثمان شديد الضلع قصير التسع واسع الجحر بعيد العشر يأخذ بالسابح ويطلق بالرامح ويطلع بلائح ويضحك عن قارح يخزوجه الكديد بمذاق الحديد يحضر كالبحر اذا ماج والسيل اذا هاج فقال سيف الدولة لك الفرس مباركا فيه فقال لازالت تأخذ الانفاس وتمنح الافراس ثم انصرف وتبعته وقلت لك على ما يليق بهذا الفرس من خلعة ان فسرت ما وصفت فقال سل عما أحببت فقلت ما معنى قولك بعيد العشر فقال بعيد النظر والخطو واعالى الجنبير وما بين الوقبين والجاعرتين وما بين الغرابين والمنخرين وما بين الرجلين وما بين العقبة والصفاق وبعيد القامة فى السباق قلت لا فض فوك فما معنى قولك قصير التسع قال

لآخرته كفاه الله أمر دنياه ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن أخلص سريرته اخلص الله علانيته (قال العتبى) اجتمعت العرب والعجم على أربع كلمات قالوا لا تحملن على قلبك ما لا تطيق ولا تعملن عملا ليس لك فيه منفعة ولا تثق بامرأة ولا تغتر بمال وان كثر (وقال أبو بكر الصديق لعمر بن الخطاب رضى الله عنهما) عند موته حين استخلفه أوصيك بتقوى الله فان لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفرائض وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يكون خفيفا وان الله ذكر أهل الجنة فذكرهم باحسن أعمالهم وتجاوز عن سيآتهم فاذا سمعت بهم قلت انى أخاف أن لا أكون من هؤلاء وذكر أهل النار بأقبح أعمالهم وأمسك عن حسناتهم فاذا سمعت بهم قلت أنا خير من هؤلاء وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا لا يتمنى على الله غير الحق فاذا حفظت وصيتى فلا يكونن غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك وان ضيعت وصيتى فلا يكونن غائب أكره اليك من الموت وان تعجزه (ودخل) الحسن بن أبى الحسن على عبد الله بن الاهتم يعوده فى مرضه فرآه يصوب بصره فى صندوق فى بيته ويصعده ثم قال أبا سعيد ما تقول فى مائة ألف فى هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أصل منها رحما قال ثكلتك أمك ولمن كنت تجمعها قال لروعة الزمان وجفوة السلطان ومكاثرة العشيرة قال ثم مات فشهده الحسن فلما فرغ من دفنه قال انظروا الى هذا المسكين أتاه شيطانه فحذره روعة زمانه وجفوة سلطانه ومكاثرة عشيرته عما رزقه الله اياه وغمره فيه انظروا كيف خرج منها مسلوبا محزونا ثم التفت الى الوارث فقال أيها الوارث لا تخدعن كما خدع صويحبك بالامس أتاك هذا المال حلالا فلا يكونن عليك وبالا أتاك عفوا صفوا ممن كان له جموعا منوعا من باطل جمعه ومن حق منعه قطع فيه لجج البحار ومفاوز القفار لم تكدح فيه بيمين ولم يعرق لك فيه جبين ان يوم القيامة يوم ذو حسرات وان من أعظم الحسرات غدا ان ترى مالك فى ميزان غيرك فيالها عثرة لا تقال وتوبة لا تنال (ووعظ حكيم) قوما فقال يا قوم استبدلوا العوارى بالهبات تحمدوا العقبى واستقبلوا المصائب بالصبر تستحقوا النعمى واستدعوا الكرامة بالشكر تستوجبوا الزيادة واعرفوا فضل البقاء فى النعمة والغنى فى السلامة قبل الفتنة الفاحشة والمثلة البينة وانتقال العمل وحلول الاجل فانما أنتم فى الدنيا أغراض المنايا وأوطان البلايا وان تنالوا نعمة الا بفراق أخرى ولا يستقبل منكم

منكم معمر يوما من عمره الا بانتقاص آخر من أجله ولا يحيا له أثر الا مات له أثر وأنتم أعوان الحتوف على أنفسكم وفي معاشكم أسباب مناياكم لا يمنع شيأ منها ولا يشغلكم شيء عنها فأنتم الاخلاف بعد الاسلاف وستكونون أسلافا بعد الاخلاف بكل سبيل منكم صريع منعفر وقائم ينتظر فمن اى وجه تطلبون البقاء وهذا الليل والنهار لم يرفعا شيأ قط الا أسرعا الكرة في هدمه ولا عقدا أمرا قط الا رجعا في نقضه (وقال أبو الدرداء) يا أهل دمشق ما لكم تبنون ما لا تسكنون وتأملون ما لا تدركون وتجمعون ما لا تأكلون هذه عاد وثمود قد ملؤا ما بين بصرى وعدن أموالا وأولادا فمن يشترى منى ما تركوا بدرهمين (وقال ابن شبرمة) اذا كان البدن سقيما لم ينجع فيه الطعام ولا الشراب واذا كان القلب مغرما بحب الدنيا لم تنجع فيه الموعظة (وقال الربيع بن خيثم) اقلل الكلام الا من تسع تكبير وتهليل وتسبيح وتحميد وسؤالك الخير وتعوذك من الشر وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر وقراءتك القرآن (قال رجل لبعض الحكماء) عظنى قال لا يراك الله بحيث نهاك ولا يفقدك من حيث امرك (وقيل لحكيم) عظنى قال جميع المواعظ كلها منتظمة في حرف واحد قال وما هو قال تجمع على طاعة الله فاذا أنت قد حويت المواعظ كلها (وقال أبو جعفر) لسفيان عظنى قال وما عملت فيما علمت فاعظك فيما جهلت (وقال هرون) لابن السماك عظنى قال كفى بالقرآن واعظا يقول الله تبارك وتعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد الى قوله لبالمرصاد ❊(مكاتبة جرت بين الحكماء)❊ عتب حكيم على حكيم فكتب المعتوب عليه الى العاتب يا أخى ان أيام العمر اقصر من أن تحتمل الهجر فرجع اليه (وكتب الحسن) الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل والسلام (وكتب اليه عمر) أما بعد فكأن آخر من كتب عليه الموت قد مات والسلام (ابن المبارك) قال كتب سلمان الفارسى الى ابى الدرداء أما بعد فانك لن تنال ما تريد الا بترك ما تشتهى ولن تنال ما تأمل الا بالصبر على ما تكره فليكن كلامك ذكرا وصمتك فكرا ونظرك عبرا فان الدنيا تتقلب وبهجتها تتغير فلا تغتر بها وليكن بيتك المسجد والسلام فاجابه أبو الدرداء سلام عليك أما بعد فانى أوصيك بتقوى الله وان تأخذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك ومن فراغك لشغلك ومن حياتك لموتك ومن جفائك لمودتك واذكر حياة لا موت فيها في احدى المنزلتين اما في الجنة واما في النار فانك لا تدرى الى ايهما تصير (وكتب ابو موسى الاشعرى) الى عامر بن عبد القيس أما بعد فانى عاهدتك على أمر وبلغنى انك تغيرت فان كنت على ما عاهدتك فاتق الله ودم

لك قصير الشعرة قصير الاطرة قصير العسيب قصير القضيب قصير العضدين قصير الرسغين قصير النسا قصير الظهر قصير الوظيف فقلت لله أنت فما معنى قولك عريض الثمان قال عريض الجبهة عريض الصهوة عريض الكتف عريض الجنب عريض الورك عريض العصب عريض البلدة عريض صفحة العنق فقلت أحسنت فما معنى قولك غليظ السبع قال غليظ الذراع غليظ المحزم غليظ العكوة غليظ الشوى غليظ الرسغ غليظ الفخذين غليظ الحبال فقلت لله درك فما معنى قولك رقيق الست فقال رقيق الجفن رقيق السالفة رقيق الجحفلة رقيق الاديم رقيق أعلى الاذنين رقيق الغرضين فقلت احسنت فما معنى قولك لطيف الخمس قال لطيف الزور لطيف النسر لطيف الجبهة لطيف الجباية لطيف الركبة فقلت حياك الله فما معنى قولك غامض الاربع قال غامض أعالى الكتفين غامض المرفقين غامض الحاجبين غامض الشظا قلت فما معنى قولك لين الثلاث قال لين المردعين لين الفرق لين العناق قلت فما معنى قولك قليل الاثنين قال قليل لحم الوجه قليل لحم المتنين قلت فمن أين نبئت هذا العلم قال من الثغور الاموية وبلاد الاسكندرية قلت له انت مع هذا الفضل تعرض وجهك لهذا البذل فأنشأ يقول

ساخف زمانك جدا

فالدهر جد سخيف

دع الحمية نسيا

وعش بخير ورغيف

وقل لعبدك هذا

يجئ لنا برغيف

سقط عنا تفسيره في لين الثلاث وأكثر هذا التفسير يحتاج الى تفسير ولم يرد بها أوردا فهام العوام والبلاغة لمحة دالة وبلاغة النثر أخت بلاغة الشعر وقد قال البحترى

والشعر لمح تكفى اشارته

وليس بالهذر طولت خطبه

وسأقول في شرحه بكلام وجيز زيادة في الافادة الوقبان نقرتان فوق العينين والجاعرتان من الفرس موضع الرقمتين من الحمار وهما منتهى ضربه بذنبه اذا حركه والغرابان الناتئان من أعلى الوركين وذكر القبة هنا وهو الذى يعرف المنقب وهو من السرة حيث ينقب البيطار والصفاق الخاصرة وقد قيل جلد البطن كله صفاق والذى أراد الخاصرة واراد بعد القامة في الساق امتداده اذا جرى مع الارض والاطرة هنا طرف الابهر وهى طفطفة غليظة والابهر عرق يستبطن الظهر فيتصل بالقلب وقيل هو الاكحل والعسيب عظم الذنب والرسغ من الفرس موضع القيد والنسا عرق مستبطن الفخذين وقصره محمود في جرى الفرس ولكنه لا يسمح بالمشى والوظيف لكل ذى أربع ما فوق الرسغ الى الساق والصهوة الظهر والبلدة ما بين عينيه والعكوة مغرز الذنب والشوى الاطراف والحبال حبلا العاتق والظهر والجحفلة من ذوات الحافر هى الشفة من الانسان والغرضان من الفرس ما انحدر من قصبة الانف من جانبيها والزور

الصدر والقمر في الحافر لحمة يابسة في أسفله تشبهها الشعراء بالنوى والجبة التي فيها الحوشب والحوشب حشو الحافر والعجاية عظم في قوائم الفرس والبعير مركب فيه فصوص من عظام كامثال الكعاب تكون عند الرسغ والحجاجان العظمان المطيفان بالعين والشظا عظم لاحق بالذراع والمتنان جانبا الظهر وسقط عنا تفسير الثلاث من نفس المقامة (قال الجاحظ) قال أبو القاسم بن معن المسعودي لعيسى بن موسى أيها الامير ما انتفعت بك منذ عرفتك ولا الى خير وصلت منك منذ صحبتك فقال ولم ألم أكلم لك أمير المؤمنين في كذا وكذا قال بلى فهل استنجزت ما وعدت وعاودت ما ابتدأت فقال حالت دون ذلك أمور قاطعة وأحوال عاذرة قال أيها الامير فما زدتني على ان نبهت الهم من رقدته واثرت الحزن من ربضته ان الوعد اذا لم يصحبه انجاز يحققه كان كلفظ لا معنى له وجسم لا روح فيه (وكلم منصور بن زياد يحيى بن خالد في حاجة لرجل فقال عده قضاءها قال فقلت اصلحك الله وما يدعوك الى العدة مع وجود القدرة فقال هذا قول من لا يعرف موضع الصنائع من القلوب ان الحاجة اذا لم تتقدمها موعد ينتظر به نجحها لم تتجاذب الانفس سرورها ان الوعد تطعم والانجاز اطعام وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحته وتعلق به وتطعمه ثم طعمه فدع الحاجة تختم بالوعد ليكون بها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل (ووعد المهدي) عيسى بن داب جارية ثم وهبها له فأنشده عبد الله بن مصعب الزبيري معرضا بقول مضرس الاسدي

فلا تيأسن من صالح أن تناله
وان كان قدما بين أيد تبادره

فضحك المهدي وقال ادفعوا الى عبد الله فلانة لجارية أخرى فقال عبد الله بن مصعب

أنجز خير الناس قبل وعده
اراح من مطل وطول كده

فقال ابن داب ما قلت شيأ ألا قلت

حلاوة الفضل بوعد ينجز * لا خير في العرف كنهب ينهز السماء

فقال المهدي

الوعد احسن ما يكو * ن اذا تقدمه ضمان

وقد قال ابو قابوس النصراني يمدح يحيى بن خالد

رأيت يحيى اتم الله نعمته * عليه يأتي الذي لم يأته احد
ينسى الذي كان من معروفه ابدا * الى الرجال ولا ينسى الذي يعد

(وقال ابو الطيب المتنبي)

قوم بلوغ الغلام عندهم * طعن نحور الكماة لا الحلم
كانما يولد الندى معهم * لا صغر عاذر ولا هرم
اذا تولوا عداوة كشفوا * وان تولوا صنيعة كتموا
تظن من فقدك اعتدادهم * انهم انعموا وما علموا

(ودخل ابو علي البصير) على الفضل بن يحيى فأنشده

وصف الصدان اهوى فصد * وبدا يمزح بالهجر فجد
ماله يعدل عني وجهه * وهو لا يعدله عندي احد
لا تريدوا غرة الفضل ومن * يطلب الغرة في خيس الاسد
ملك ندفع ما نخشى به * وبه نصلح منا ما فسد

وان كنت على ما ابتغى فاتق الله وعد (وكتب محمد بن النضر) الى أخ اما بعد فانك على منهج وامامك منزلان لابد لك من نزول أحدهما ولم يأتك امان فتطمئن ولا براءة فتتكل (وكتب حكيم) الى آخ اعلم حفظك الله ان النفوس جبلت على أخذ ما اعطيت ومنع ما سئلت فاحملها على مطية لا تبطئ اذا ركبت ولا تسبق اذا قدمت فانها تحفظ النفوس على قدر الخوف وتطالب على قدر الطمع وتطمع على قدر السبب فاذا استطعت ان يكون معك خوف المشفق وقناعة الراضي فافعل (وكتب) عمر بن عبد العزيز الى رجاء بن حيوة اما بعد فانه من أكثر من ذكر الموت اكتفى باليسير ومن علم ان الكلام عمل قل كلامه الا فيما ينفعه (وكتب عمر بن الخطاب) الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة اما بعد فقد اصبحت اميرا تقول فيسمع لك وتأمر فينفذ أمرك فيالها نعمة ان لم ترفعك فوق قدرك وتطغيك على من دونك فاحترس من النعمة أشد من احتراسك من المصيبة واياك ان تسقط سقطة لا شوى لها وتعثر عثرة لا لعا لها اي لا اقالة (وكتب الحسن) الى عمران فيما امرك الله به شغلا عما نهاك عنه والسلام (وكتب عمر بن عبد العزيز) الى الحسن اجمع لي امر الدنيا وصف لي أمر الآخرة فكتب اليه انما الدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط ونحن في اضغاث احلام من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجا ومن اطاع هواه ضل ومن حلم غنم ومن خاف سلم ومن اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم ومن علم عمل فاذا زللت فارجع واذا ندمت فاقلع واذا جهلت فاسأل واذا غضبت فامسك واعلم ان افضل الاعمال ما اكرهت النفوس عليه ❁ (مواعظ الآباء للابناء) ❁ قال لقمان لابنه اذا اتيت مجلس قوم فارمهم بسهم السلام ثم اجلس فان افاضوا في ذكر الله فأجل سهمك مع سهامهم وان افاضوا في غير ذلك فخل عنهم وانهض (وقال) يا بني استعذ بالله من شرار الناس وكن من خيارهم على حذر (ومثل هذا) قول اكثم بن صيفي احذر الامين ولا تأمن الخائن فان القلوب بيد غيرك (وقال لقمان لابنه) لا تركن الى الدنيا ولا تشغل قلبك بها فانك لم تخلق لها وما خلق الله خلقا اهون عليه منها فانه لم يجعل نعيمها ثوابا للمطيعين ولا بلاءها عقوبة للعاصين يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسأل عما لا يعنيك يا بني لا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني انه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل الباطل يأثم ومن لا يملك لسانه يندم يا بني زاحم العلماء بركبتيك وانصت اليهم بأذنيك فان القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الارض الميتة بمطر

ينجز الناس اذا ما وعدوا * واذا ما أنجز الفضل وعد (وقال ابن الرومي في هذا المعنى) * له مواعد بالخيرات بادرة *
* لكنها تسبق الميعاد بالصفد * يعطيك في اليوم حتى اليوم مبتدئا * ولا يضيع بعد اليوم حتى غد (خطب سليمان بن عبد الملك)
فقال أيها الناس من لم يعلم أبواب مدخله في الكرامة وجهل طريقته التي وقعت به على النعمة كان بعرض رجوع الى دار هوان وانقلاب
بفادح خسران فقام اليه أبو واثلة السدوسي وهو حاجبه فقال يا أمير المؤمنين كنا كما قال الله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم
يكن شيأ مذكورا ثم صرنا كما قال زهير يد الملك الجليل تناولتهم * باحسان فليس لها مزيل * لان الخير أجمع في يديه *
* وربي بالجزاء له كفيل * فقال سليمان هذه والله المعرفة بقدر النعمة والعلم بما يجب للنعم (وروى) يونس بن المختار في دار المأمون
ومرتبته في أعلى مراتب بني العباس قاعدا على الارض فقال الحاجب ارتفع يا أبا المعلى الى مرتبتك قال قد رفعني الله
اليها يا أمير المؤمنين وليس لي عمل يفي بها فلم لا أكرمها عن القعود عليها الى أن ينتهي الى الشكر عليها فبلغ الكلام المأمون فقال هذا والله غاية الشكر وبمثله تدر النعم (وقال) رجل لمعلى بن أيوب وقد رفعه المعتصم الى مرتبة أهل بيته ما زيدك التقريب الا تباعدا فقال يا هذا اني أصون تقريبه اياي بتباعدي منه لئلا تفسد حرمتي عنده بقلة الشكر على نعمته (ولما استعان) المنصور بالحرث بن حسان قال له يا حارث اني قد مكنتك من حسن رأيي فيك فاحفظه بترك اغفال ما يجب عليك قال يا أمير المؤمنين من اغفل سبب حلول النعمة ولها عن الحال التي اصارته اليها استحق اليأس من نيل مثلها وانقطع رجاؤه من الزيادة فيها فقال أبو جعفر من كانت عنده هذه المعرفة دامت النعمة له وبقي الاحسان اليه (ولما) قال المأمون لعبد الله
ابن طاهر عند قدومه من مصر ما أمرني الله منذ وليت الخلافة بشئ عظيم موقعه عندي بعد جميل عافية الله هو اكثر من سروري
بقدومك فقال عبد الله ائذن لي يا أمير المؤمنين في تفريق اموالي من طارف وتالد قال ولم قال شكرا على هذه الكلمة والاقصر بي الحياء
عن النظر الى أمير المؤمنين وقال المأمون لمن حضر من اهل بيته وقواده ما شئ من الخلافة يفي لعبد الله ببعض شكره (وقال أبو نواس)

قد قلت للعباس معتذرا * عن ضعف شكريه ومعترفا
أنت امرؤ جللتني نعما * أوهت قوى شكري فقد ضعفا
فاليك مني اليوم تقدمة * تلقاك بالتصريح منكشفا
لا تسدين الى عارفة * حتى أقوم بشكر ما سلفا

(عارضه الناشئ واعترض معناه فقال)

ان أنت لم تحدث الي يدا * حتى أقوم بشكر ما سلفا * لم أحظ منك بنائل أبدا *

السماء (وقال خالد بن صفوان) لابنه كن أحسن ما تكون في الظاهر حالا أقل ما تكون في الباطن مالا ودع من أعمال السر ما لا يصلح لك في العلانية (وقال اعرابي) لابنه يا بني انه قد أسمعك الداعي وأعذر اليك الطالب وانتهى الامر فيك الى حده ولا أعرف أعظم رزية ممن ضيع اليقين وأخطأه الامل (وقال علي بن الحسين) لابنه وكان من أفضل بني هاشم يا بني اصبر على النوائب ولا تعرض للحتوف ولا تجب أخاك من الامر الى ما مضرته عليك أكثر من منفعته لك (وقال حكيم) لبنيه يا بني اياكم والجزع عند المصائب فانه مجلبة للهم وسوء ظن بالرب وشماتة للعدو واياكم أن تكونوا بالاحداث مغترين ولها آمنين فاني والله ما سخرت من شئ الا نزل بي مثله فاحذروها وتوقوها فانما الانسان في الدنيا غرض تتعاوره السهام فمجاوزله ومقصر عنه وموقع عن يمينه وشماله حتى يصيبه بعضها واعلموا ان لكل شئ جزاء ولكل عمل ثوابا وقد قالوا كما تدين تدان ومن بر يوما بر به (وقال الشاعر)

اذا ما الدهر جر على أناس * حوادثه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

(وقال حكيم) لابنه يا بني اني موصيك بوصية فان لم تحفظ وصيتي عني لم تحفظها عن غيري اتق الله ما استطعت وان قدرت أن تكون اليوم خيرا منك أمس وغدا خيرا منك اليوم فافعل واياك والطمع فانه فقر حاضر وعليك باليأس فانك لن تيأس من شئ قط الا أغناك الله عنه واياك وما يعتذر منه فانك لن تعتذر من خير أبدا واذا عثر عاثر فاحمد الله ان لا تكون هو يا بني خذ الخير من أهله ودع الشر لاهله واذا قمت الى صلاتك فصل صلاة مودع وأنت ترى أن لا تصلي بعدها (وقال علي بن الحسين) عليهما السلام لابنه يا بني ان الله لم يرضك لي فأوصاك بي ورضيني لك فحذرني منك واعلم ان خير الآباء للابناء من لم تدعه المودة الى التفريط فيه وخير الابناء للآباء من لم يدعه التقصير الى العقوق (وقال حكيم) لابنه يا بني ان أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل كسب مالا من غير حله فادخله النار وأورثه من عمل فيه بطاعة الله فادخله الجنة (عمر بن عتبة) قال لما بلغت خمس عشرة سنة قال لي أبي يا بني قد تقطعت عنك شرائع الصبا فالزم الحياء تكن من أهله ولا تزايله فتبين منه ولا يغرنك من اغتر بالله فيك فمدحك بما تعلم خلافه من نفسك فانه من قال فيك من الخير ما لم يعلم اذا رضي قال فيك من الشر مثله اذا سخط فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء تسلم من غب عواقبهم (وقال عبد الملك بن مروان) لبنيه كفوا الاذى وابذلوا المعروف واعفوا اذا قدرتم ولا تبخلوا اذا سئلتم ولا تلحفوا

* ورجعت بالحرمان منصرفا (وقال ابن الرومي) عاقنا ان نعود أنك أولت * أمورا يضيق عنها الجزاء
غمرتنا منك الأيادي اللواتي * ما لمعشارها الدنيا كفاء فنهانا عنك الحياء طويلا * ثم قد ردنا إليك الحياء
ولما حق ان قربت التنائي * ولما حق ان برزت الجفاء غير انا نصاء شكرا ربحت * وقديما أربحت الانضاء
(ألفاظ لأهل العصر في العجز عن الشكر) لكاثر الانعام والبر عندي من بره ما ملك الاعتذار بأزمته وقبض ألسنة أمراء الكلام وأئمته عندي له ما أعجزني شكرها كما أعوزني حصرها شكره شأو بعيد لا تبلغه أشواطي ولا أتلافى التفريط في حقه بإفراطي احسانه يعيد العرب عجما والفصحاء بكما قد زحمني من مكارمه ما يحصر عنه المبين ويحصب الى ويبز القرين (وقال اعرابي)

رهنت يدي بالعجز عن شكر بره * وما فوق شكري للشكور مزيد ولو كان شيأ يستطاع استطعته * ولكن ما لا يستطاع شديد
(وقال يحيى بن اكثم) كنت عند المأمون وأتي برجل ترعد فرائصه فلما مثل بين يديه قال المأمون كفرت نعمتي ولم تشكر معروفي فقال يا أمير المؤمنين وأين يقع شكري في جنب ما أنعم الله بك علي فنظر الى المأمون وقال متمثلا
ولو كان يستغني عن الشكر ماجد * لرفعة قدر أو علو مكان
لما أمر الله العباد بشكره * فقال اشكروا لي أيها الثقلان
ثم التفت الى الرجل فقال هلا قلت كما قال اصرم بن حميد
ملكت حمدي حتى انني رجل * كلي بكل ثناء فيك مشتغل
خولت شكري لما خولت من نعم * فحر شكري لما خولتني خول
(وقال أبو الفتح البستي)
لئن عجزت عن شكر برك قوتي * وأقوى الورى عن شكر برك عاجز
فان ثنائي واعتقادي وطاقتي * لأولاك ما أوليتنيه مراكز
(وقال أبو القاسم الزعفراني) لي لسان كأنه لي معادي * ليس ينبي عن كنه ما في فؤادي * حكم الله لي عليه فلو أنـ * ـصف قلبي عرفت قدر ودادي * (وقال اسمعيل بن القاسم) أبو العتاهية يمدح عمر بن العلاء اني أمنت من الزمان وريبه * لما علقت من الأمير حبالا لو يستطيع الناس في اجلاله * لحذوا له حر الوجوه نعالا ما كان هذا الجود حتى كنت يا * عمر ولو يوما تزول لزالا * ان المطايا تشتكيك لانها * قطعت اليك سباسبا ورمالا * فاذا وردن بنا وردن مخفة * واذا صدرن بنا صدرن ثقالا وهي قصيدة سهلة الطبع سلسة النظام قريبة المتناول (وروى) ان عمر بن العلاء وصله عليها بسبعين ألف درهم فحسدته الشعراء وقالوا لنا ببابك الامير أعوام نخدم الآمال ما وصلنا الى بعض هذا فاتصل ذلك به فأمر باحضارهم فقال بلغني الذي قلتم

اذا ألم فانه من ضيق ضيق عليه ومن أعطى أخلف الله عليه (وقال الاشعث بن قيس) لبنيه ذلوا في أعراضكم وانخدعوا في أموالكم ولتخف بطونكم من أموال الناس وظهوركم من دمائهم فان لكل امرئ تبعة واياكم وما يعتذر منه أو يستحى فانما يعتذر من ذنب ويستحى من عيب وأصلحوا المال لجفوة السلطان وتغير الزمان وكفوا عند الحاجة المسئلة فانه كفى بالرد منعا واجملوا في الطلب حتى يوافق الرزق قدرا وامنعوا النساء من غير الأكفاء فانكم أهل بيت يتأسى بكم الكريم ويتشرف بكم اللئيم وكونوا في عوام الناس ما لم يضطرب الحبل فاذا اضطرب الحبل فالحقوا بعشائركم (وكتب عمر بن الخطاب) الى ابنه عبد الله في غيبة غابها أما بعد فان من اتقى الله وقاه ومن اتكل عليه كفاه ومن شكر له زاده ومن اقترضه جزاه فاجعل التقوى عمارة قلبك وجلاء بصرك فانه لا عمل لمن لا نية له ولا خير لمن لا خشية له ولا جديد لمن لا خلق له (وكتب علي بن أبي طالب) الى ولده الحسن عليهما السلام من علي أمير المؤمنين الوالد الفان المقر للزمان المستسلم للحدثان المدبر العمر المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك غرض الاسقام ورهينة الأيام وعبد الدنيا وتاجر الغرور وأسير المنايا وقرين الرزايا وصريع الشهوات ونصب الآفات وخليفة الأموات أما بعد يا بني فان فيما تفكرت فيه من ادبار الدنيا عني واقبال الآخرة علي وحنو الدهر علي ما نزعني عن ذكر سوائي والاهتمام بما ورائي غير انه حيث تفردني هم نفسي دون هم الناس وصدقني هواي وصرح بي محض رأيي فأفضى بي الى جد لا يزرى به لعب وصدق لا يشوبه كذب وجدتك يا بني بعضي بل وجدتك كلي حتى كأن شيأ لو أصابك لأصابني وحتى كأن الموت لو أتاك أتاني فعند ذلك عناني من أمرك ما عناني من أمر نفسي كتبت اليك كتابي هذا يا بني ان بقيت أو فنيت فاني موصيك بتقوى الله وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله فان الله تعالى يقول واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وأي سبب يا بني أوثق من سبب بينك وبين الله تعالى أحي قلبك بالموعظة ونوره بالحكمة وقوه بالزهد وذلله بالموت وقوه بالغنى عن الناس وحذره صولة الدهر وتقلب الأيام والليالي واعرض عليه أخبار الماضين وسر في ديارهم وآثارهم فانظر ما فعلوه وأين حلوا فانك تجدهم قد انتقلوا من دار الغرور ونزلوا دار الغربة وكأنك عن قليل يا بني قد صرت كأحدهم فبع دنياك بآخرتك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والأمر فيما لا تكلف وأمر بالمعروف بيدك ولسانك وانه عن المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله وخض الغمرات الى الحق ولا تأخذك في الله لومة لائم واحفظ وصيتي

وان أحدكم يأتي فيجيء بالقصيدة يشبب فيها فلا يصل الى المدح حتى تذهب لذة حلاوته ورائق طلاوته وان أبا العتاهية أتى فشبب بأبيات يسيرة ثم قال * ان المطايا تشتكيك لانها * وأنشد الابيات وكان أبو العتاهية لما مدحه بهذا الشعر تأخر عنه بره قليلا فكتب اليه يستبطئه

أصابت علينا جودك العين يا عمر * فنحن لها نبغي التمائم والنشر
أصابتك عين في سخائك صلبة * ويارب عين صلبة تفلق الحجر
سنرقيك بالاشعار حتى تملها * فان لم تفق منها رقيناك بالسور

(وقال)

يا ابن العلاء ويا ابن القوم من داس * اني امتدحتك في صحبي وجلاسي *
أثني عليك ولي حال تكذبني * فيما أقول فأستحيي من الناس *
حتى اذا قيل ما أولاك من صفد * طأطأت من سوء حالي عند ها راسي

وأمر حاجبه أن يدفع اليه المال وقال لا تدخله علي فاني استحي منه (وذكر بعض الرواة) ان المهدي خرج متصيدا فسمع رجلا يتغنى من القصيدة التي مرت منها الابيات في عمر بن العلاء آنفا

يا من تفرد بالجمال فما ترى * عيني على احد سواه جمالا
أكثرت في قولي عليك من الرقى * وضربت في شعري لك الامثالا
فأبيت الا جفوة وقطيعة * وأبيت الا نخوة ودلالا
بالله قولي ان سألتك واصدقي * أوجدت قتلي في الكتاب حلالا
أم لا فهيم جفوتني وظلمتني * وجعلتني للعالمين نكالا
كم لائم لو كنت أسمع قوله * قد لامني ونهى وعدو قالا

فقال المهدي علي به فجاءه فقال لمن هذا الشعر قال لاسمعيل بن القاسم أبي العتاهية قال لمن يقوله قال لعتبة جارية المهدي قال كذبت لو كانت جاريتي لوهبتها له وكانت عتبة لريطة بنت أبي العباس السفاح وكان أبو العتاهية قد بلغ من أمرها كل مبلغ وكل ذلك فيما زعم الرواة تصنع وتخلق ليذكر بذلك (وقال يزيد حوراء المغني) كلمني ابو العتاهية أن أكلم له المهدي في عتبة فقلت ان الكلام لا يمكنني ولكن قل شعرا أغنيه اياه فقال

نفسي بشيء من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدي يكفيها
اني لأيأس منها ثم يطمعني * فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فعملت فيه لحنا وغنيته المهدي فقال لمن هذا فأخبرته خبر أبي العتاهية فقال ننظر في امره فأخبرت بذلك أبا العتاهية فمكثت أشهرا ثم أتاني فقال هل حدث خبر فقلت لا فقال غنه بهذا الشعر

ليت شعري ما عندكم ليت شعري * انما اخر الجواب لأمر
ما جواب اولى بكل جميل * من جواب يرد من بعد شهر

قال يزيد فغنيت به المهدي فقال علي بعتبة فأحضرت فقال ان أبا العتاهية كلمني فيك وعندي لك وله ما تحبان فقالت له قد علم مولاي امير المؤمنين ما أوجبه من حق مولاتي فأريد اذكر لها ذلك قال فافعلي فأعلمت أبا العتاهية بما جرى ومضت الايام فسألني معاودة المهدي فقلت له قد عرفت الطريق فقل ما شئت

ولا تذهب عنك صفحا فلا خير في علم لا ينفع واعلم انه لا غنى بك عن حسن الارتياد مع بلاغك من الزاد فان أصبت من أهل الفاقة من تحمل عنك زادك فيوافيك به في معادك فاغتنمه فان امامك عقبة كؤودا لا يجاوزها الا أخف الناس حملا وأجمل في الطلب وأحسن المكتسب فرب طلب قد جر الى حرب وانما المحروب من حرب دينه والمسلوب من سلب يقينه واعلم انه لا غنى يعدل الجنة ولا فقر يعدل النار والسلام عليك ورحمة الله وبركاته (وكتب) الى ابنه محمد بن الحنفية أن تفقه في الدين وعود نفسك الصبر على المكروه وكل نفسك في أمورك كلها الى الله عز وجل فانك تكلها الى كاف حريز ومانع عزيز وأخلص المسئلة لربك فان بيده العطاء والحرمان وأكثر الاستخارة له واعلم ان من كانت مطيته الليل والنهار يسار به وان كان لا يسير فان الله تعالى قد أبى الا خراب الدنيا وعمارة الآخرة فان قدرت ان تزهد فيها زهدك كله فافعل ذلك وان كنت غير قابل نصيحتي اياك فاعلم علما يقينا انك لن تبلغ أملك ولا تعدو أجلك فانك في ديوان من كان قبلك فأكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك رغب فانك لن تعتاض بما ابتذلت من نفسك واياك ان توجف بك مطايا الطمع وتقول متى ما أخرت نزعت فان هذا أهلك من هلك قبلك وأمسك عليك لسانك فان تلافيك ما فرط من صمتك أيسر عليك من ادراك ما فات من منطقك واحفظ ما في الوعاء بشد الوكاء فحسن التدبير مع الاقتصاد أبقى لك من الكثير مع الفساد والعفة مع الحرفة خير من السرور مع الفجور والمرء أحفظ لسره ولربما سعى فيما يضره واياك والاتكال على الاماني فانها بضائع النوكى وتثبط عن الآخرة والاولى ومن خير حظ الدنيا القرين الصالح فقارن أهل الخير تكن منهم وباين أهل الشر تبن عنهم ولا يغلبن عليك سوء الظن فانه لن يدع بينك وبين خليل صلحا أذك قلبك بالادب كما تذكى النار بالحطب واعلم ان كفر النعمة لؤم وصحبة الاحمق شؤم ومن الكرم منع الحرم ومن حلم ساد ومن تفهم ازداد امحض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة لا تصرم أخاك على ارتياب ولا تقطعه دون استعتاب وليس جزاء من سرك ان تسوءه الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته أتاك واعلم يا بني ان مالك من دنياك الا ما أصلحت به من مثواك فانفق من خيرك ولا تكن خازنا لغيرك وان جزعت على ما فلت من يديك فاجزع على ما لم يصل اليك ربما أخطأ البصير رشده وابصر الاعمى رشده ولم يهلك امرؤ اقتصد ولم يفتقر من زهد من ائتمن الزمان خانه ومن تعظم عليه أهانه رأس الدين اليقين وتمام الاخلاص اجتناب المعاصي وخير المقال ما صدقه الفعال سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار واحمل لصديقك عليك واقبل عذر من اعتذر اليك وأخر الشر ما استطعت

فانك اذا شئت تجلته لا يكن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته وعلى الاساءة أقوى منك على الاحسان لا علـيكن المرأة من الامر ما يجاوز نفسها فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فان ذلك أدوم لحالها وأرخى لبالها واغضض بصرها بسترك واكففها بحجابك واكرم الذين هـم تصول فاذا تطاولت تطول أسأل الله أن يلهمك الشكر والرشد ويقويك على العمل بكل خير ويصرف عنك كل محذور برحمته والسـلام عليك ورحمة الله وبركاته ❁ (مقامات العباد عند الخلفاء) ❁ قام صالح ابن عبد الجليل بين يدى المهدى فقال له انه لما سهل علينا ما توعر على غيرنا من الوصول اليك قمنا مقام الاداء عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم باظهار ما فى اعناقنا من فريضة الامر والنهى بانقطاع عذر الكتمان ولا سيما حين اتسمت بميسم التواضع ووعدت الله وحملت كتابه ايثار الحق على ما سواه فجمعنا واياك مشهد من مشاهد التمحيص وقد جاء فى الاثر من حجب الله عنه العلم عذبه على الجهل وأشـد منه عذابا من أقبل اليه العلم فأدبر عنه فاقبل يا أمير المؤمنين ما أهدى اليك من ألسنتنا قبول تحقيق وعمل لا قبول سمعة ورياء فانما هو تنبيه من غفلة وتذكير من سهو وقد وطن الله نبيه على نزولهما فقال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم (مقام رجل من العباد عنـد المنصور) بينما المنصور فى الطواف بالبيت ليلا اذ سمع قائلا يقول اللهم انى أشكو اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهـله من الطمع فخرج المنصور فجلس بناحية من المسجد وأرسل الى الرجل فصلى ركعتين واستلم الركن واقبل مع الرسول فسـلم عليه بالخلافة فقـال المنصور ما الذى سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغى فى الارض وما الذى يحول بين الحق واهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعى ما امرضنى فقال ان امنتنى يا امير المؤمنين اعلمتك بالامور من أصولها والا احتجزت منك واقتصرت على نفسى فلى فيها شاغل قال فأنت آمن على نفسك فقـال فقال يا امير المؤمنين ان الذى دخله الطمع وحال بينه وبين ما ظهر فى الأرض من الفساد والبغى لانت فقال فكيف ذلك ويحك يدخلنى الطمع والصفراء والبيضاء فى قبضتى والحلو والحامض عنـدى قال وهل دخل احدا من الطمع ما دخلك ان الله استرعاك امر عباده واموالهم فاغفلت امورهم واهتممت بجمع اموالهم وجعلت بينك وبينهـم حجابا من الجص والآجر وابوابا من الحديد وحراسا معهم السلاح ثم سجنت نفسك عنهم فيها وبعثت عمالك فى جبايات الاموال وجمعها وامرت ان لا يدخـل عليك احـد من الرجال الا فلان وفلان نفرا سميتهـم ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العارى اليك ولا احد الا وله فى هـذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهـم على رعيتك

سوى اغنيه فقال آشربت قلبى من رجائك ماله * عنق اليك يخب بى ورسيم واملت نحو سماء جودك ناظرى * ارعى مخايل برقها واشيم ولقد تنسمت الرياح لحاجتى * واذا لها من راحتيك نسيم ولربما استيأست ثم اقول لا * ان الذى ضمن النجاح كريم فغنيتـه بالشعر فقال عـلى بعتبة فأتت فقال ما صنعت قالت ذكرت ذلك لمولاتى فأبته وكرهته فليفعل امير المؤمنين ما يريد فقال ما كنت لافعل شيأ تكرهه فأعلمت أبا العتاهية بذلك فقال قطعت منك حبائل الآمال * وارحت من حل ومن ترحال ما كان اشأم اذ رجاؤك قادنى * ويداك وعدك بعدين بمالى ولئن طمعت لرب برق خلب مالت بذى طمع ولمعة آل وقد نقلت هذه الحكاية على غير هذا الوجه والله اعلم بالحق فى ذلك * وضرب المهدى أبا العتاهية مائة سوط لقوله الا ان ظبيا للخليفة صادنى * ٢٨٦ ومالى على ظبى الخليفة من عدوى وقال أبى يتترس وجرمى يتعرض وبنسائى يعبث ونفاه الى الكوفة وفى ضربه يقول ابو دهمان لولا الذى احدث الخليفة للـ ـعشاق من ضربهم اذا عشقوا لبحت باسم الذى احب ولا كنى امرؤ قد شفانى الفرق وكان ابو العتاهية بالكوفة لما نفى يذكر عتبة ويبكى اسمها (فمن ذلك قوله)

قل لمن لست أسمى
بأبى انت وامى
بأبى انت لقد اصـ
ـبحت من اكبر همى
ولقد قلت لأهلى
اذ أذاب الحب لحمى
واراد والى طبيبا
فاكتفوا منى بعلمى
من يكن يجهل ما الـ
ـقى فان الحب سقمى
ان روحى ببغدا
دوفى الكوفة جسمى

(وقوله)

أمسى ببغداد ظبى لست أذكره * الابكيت اذا ما ذكره خطرا
ان المحب اذا شطت منازله * عن الحبيب بكى أو حن أو ذكرا
يارب ليل طويل بت أرقبه * حتى اضاء عمود الصبح فانفجرا
ما كنت أحسب الا مد عرفتكم * ان المضاجع مما تنبت الابرا
وامرت والليل أطول من يوم الحساب على * عين الشجى اذا ما نومه نفرا

ولما قدمت عتبة بغداد قدم معها أبو العتاهية وتلطف حتى اتصل بالرشيد فى خلافة أبيه المهدى وتمكن منه وبلغ المهدى خبره وأحضره فقال يا بائس أنت مستقتل وسأله عن حاله وأنشده قصيدته التى يقول فيها

أنت المقابل والمدا * برفى المناسب والعديد
بين العمومة والخئو * لة والابوة والجدود
فاذا انتمت الى أبـ * ـيه فانت فى المجد المشيد
واذا انتمى خال فما * خال باكرم من يزيد

يريد يزيد بن منصور وكانت أم المهدى أم موسى بنت منصور الحميرى وأنشده

علم العالم ان المنايا * سامعات لك فمن عصاكا
فادا وحتها وطاغ * رجعت ترعف منه قناكا

ولوان الريح بارتك يوما * فى سماح قصرت عن نداكا (وأنشده) أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها ولورامها أحد غيره * لزلزلت الارض زلزالها ولولم تطعه بنات القلوب

لما قبل الله أعمالها * فقال له المهدى ان شئت أدبناك بضرب وجيع لاقدامك على مانهيت عنه وأعطيناك ثلاثين ألف درهم جائزة

على مدحك لنا وان شئت عفونا عنك فقط فقال بل يضيف أمير المؤمنين الى كريم عفوه جميل معروفه ومكرمتان أكثر من واحدة وأمير

المؤمنين أولى من شفع نعمه وأتم كرمه فأمر له بثلاثين ألف درهم وعفا عنه (ولما) قدم الرشيد الرقة أظهر أبو العتاهية الزهد والتصوف

وترك الغزل فأمره الرشيد ان يتغزل فأبى فحبسه فغنى بقوله خليلى مالى لاتزال مضرتى * تكون على الاقدار حتما من الحتم

كفاك بحق الله ماقد ظلمتنى * فهذا مقام المستجير من الظلم ألا فى سبيل الله جسمى ٢٨٧ وقوتى * ألا مسعد حتى انوح على جسمى

فأمر باحضاره وقال بالامس ينهاك امير المؤمنين المهدى عن الغزل فتأبى الا لجاجا ومحكا واليوم آمرك بالقول فتأبى جراءة على واقداما فقال ياأمير المؤمنين ان الحسنات يذهبن السيآت كنت اقول فى الغزل ولى شباب وجدة وبى حراك وقوة وأنا اليوم شيخ ضعيف لايحسن بمثلى تصاب ورده الى حبسه فكتب اليه

أنا اليوم لى والحمد لله أشهر * يروح على الغم منك ويبكر

تذكر أمين الله حقى وحرمتى * وما كنت توليني املك تذكر

ليالى تدنى منك بالقرب مجلسى * ووجهك من ماء البشاشة يقطر

فمن لى بالعين التى كنت مرة * الى بها من سالف الدهر تنظر

فبعث اليه لابأس عليك فقال

كأن الخلق ركب فيه روح * له جسد وأنت عليه راس

أمين الله ان الحبس بأس * وقد وقعت ليس عليك باس

فأخرجه (اخذ البيت الاول) من

هذين على بن جبلة وزاد فيه فقال لابى غانم الطوسى دجلة تسقى وأبو غانم * يطعم من تسقى من الناس

والخلق جسم وامام الهدى * رأس وأنت العين فى الراس (وكان) عمر بن العلاء ممدحا وفيه يقول بشار بن برد

اذا أيقظتك حروب العدى * فنبه لها عمرا ثم نم دعانى الى عمر جوده * وقول العشيرة بحر خضم ولولا الذى ذكروا لم أكن *

لامدح ريحانة قبل شم فتى لايبيت على دمنة * ولا يشرب الماء الا بدم (أخذ) هذا البيت أبو سعيد المخزومى فقال

وما يريدون لولا الجبن من رجل * بالليل مشتمل بالجرم مكتحل لايشرب الماء الا من قليب دم * ولا يبيت له جار على وجل

(وقال أبو الطيب) تعوّدان لاتقضم الحب خيله * اذا الهام لم ترفع جنوب العلائق ولا ترد الغدران الا وماؤه

وأمرت ان لايحجبوا دونك تجبى الاموال وتجمعها قالوا هذا قد خان الله فما لنا لانخونه فائتمروا ان لا

يصل اليك من علم اخبار الناس شئ الا ما أرادوا ولا يخرج لك عامل الا خونوه عندك ونفوه حتى

تسقط منزلته عندك فلما انتشر ذلك عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم وصانعوهم فكان أول

من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليقووا بها على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوا المقدرة والثروة من

رعيتك لينالوا ظلم من دونهم فامتلأت بلاد الله بالطمع ظلما وبغيا وفسادا وصار هؤلاء القوم شركاءك

فى سلطانك وأنت غافل فان جاء متظلم حيل بينك وبينه فان أراد رفع قصته اليك عند ظهورك وجدك

قد نهيت عن ذلك وأوقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم فان جاء ذلك المتظلم فبلغ بطانتك خبره

سألوا صاحب المظالم ان لايرفع مظلمته اليك فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ويشكو ويستغيث

وهو يدفعه فاذا اجهد وأخرج ثم ظهرت صرخ بين يديك فيضرب ضربا مبرحا يكون نكالا لغيره

وأنت تنظر فما تنكر فما بقاء الاسلام وقد كنت ياأمير المؤمنين أسافر الى الصين فقدمتها مرة وقد اصيب

ملكهم بسمعه فبكى يوما بكاء شديدا فحثه جلساؤه على الصبر فقال اما انى لست ابكى للبلية النازلة

ولكنى ابكى لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته ثم قال اما اذ قد ذهب سمعى فان بصرى لم يذهب نادوا

فى الناس ان لايلبس ثوبا احمر الا متظلم ثم كان يركب الفيل طرفى النهار وينظر هل يرى مظلوما فهذا

ياأمير المؤمنين مشرك بالله بلغت رأفته بالمشركين هذا المبلغ وأنت مؤمن بالله من اهل بيت نبيه

لاتغلبك رأفتك بالمسلمين على شح نفسك فان كنت انما تجمع المال لولدك فقد أراك الله عبرا فى

الطفل يسقط من بطن امه ماله على الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة تحويه فما يزال الله

يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس له ولست الذى تعطى بل الله تعالى يعطى من يشاء ما يشاء

فان قلت انما تجمع المال لتشديد السلطان فقد أراك الله عبرا فى بنى أمية ما اغنى عنهم جمعهم من

الذهب وما اعدوا من الرجال والسلاح والكراع حين اراد الله بهم ما أراد وان قلت انما تجمع المال

لطلب غاية هى اجسم من الغاية التى أنت فيها فوالله مافوق ما أنت فيه الا منزلة ماتدرك الا بخلاف

ما أنت عليه ياأمير المؤمنين هل يعاقب من عصاك باشد من القتل فقال المنصور لا فقال فكيف

تصنع بالملك الذى خولك ملك الدنيا وهو لايعاقب من عصاه بالقتل ولكن بالخلود فى العذاب

الاليم قد رأى ماعقد عليه قلبك وعملته جوارحك ونظر اليه بصرك واجترحته يداك ومشت اليه

رجلاك هل يغنى عنك ماشححت عليه من ملك الدنيا اذا انتزعه من يدك ودعاك الى الحساب

قال فبكى المنصور ثم قال ليتنى لم اخلق ويحك كيف احتال لنفسى فقال ياأمير المؤمنين ان

من الدم كالريحان تحت الشقائق (وقال أبو القاسم بن هانئ) من لم ير الميدان لم يرمعركا * أشباو يوما بالاسنة أكهبا
وكتائبا تردى غوارسها العدى * وفوارسا تعدو صوالجها الظبا لا يوردون الماء سنبك سابح * أو يكتسى بدم الفوارس طحلبا
(قال) وبلغ عمر بن العلاء ان أبا العتاهية عليه عاتب فى هناة نالها منه فى مجلس وكان كثير الانقطاع اليه فتخلف عنه فساء ذلك عمر فكتب اليه
قد بلغنى الذى كان من تجنيك فيما استخفك به سوء الادب عن علم حقيقته منى فصرت مترددا من العمى فى بلاميع الشبهة ولو كان معك من
علمك داع الى لقائى لكشفت لك موردا لامر ومصدره ثم ترجع الى الصلة فتقال أو تأبى الا الصريمة فتصرم وقد قال الاول
ومستعتب أبدى على الظن عتبه * ٢٨٨ وأخرج منه المحفظات غليل كشفت له عذرا فابصر وجهه * فعاد الى الانصاف وهو ذليل
فاجابه أبو العتاهية لم أجر بعتبى الحقيقة الى الشبهة ولم أجد سعة مع عظيم قدرتك الى حمل اللائمة فقصرنى الخوف من سخطك على ترك معاتبتك لان المعاتبة لا تجتنى الا من المساوى ولو رغبت عن الصلة الى القطيعة لتقاضيتك ذلك عن طول الصحبة وسالف المدة وأنا أقول
رضيت ببعض الذل خوف جميعه * وايس لمثلى بالملوك يدان
وكنت امرأ اخشى العقاب واتقى * مغبة ما تجنى يدى ولسانى
فهل من شفيع منك يضمن توبتى * فانى امرؤ أوفى بكل ضمان
فتراجعا الى أحسن ما كانا عليه وانما ألم أبو العتاهية فى قوله ان المطايا تشتكيك وما يليه بقول أبى الجنباء نصيب الاكبر
فعاجوا فاثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب
(وقال أبو الطيب) فى أبى العشائر الحمدانى تنشد أثوابنا مدائحه * بألسن مالهن أفواه اذا مررنا على الاصم بها * أغنته عن مسمعيه عيناه وهذا المعنى من القضية الدالة بذاتها التى ذكرتها عن الجاحظ فى أقسام البيان (وقال بعض الخطباء) أشهد ان فى السموات والارض آيات ودلالات وشواهد قائمات كل يؤدى عنك الحجة ويشهد لك بالربوبية (ونظير هذا قول أبى العتاهية)
فواعجبا كيف يعصى المليك * أم كيف يجحده الجاحد
ولله فى كل تحريكة * وتسكينة فى الورى شاهد وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد وروى انه جلس فى دكان وراق وأخذ كتابا فكتب على ظهره
فانصرف فاجتاز أبو نواس بالموضع فرأى الابيات فقال ان هذا الوددت لى بجميع شعرى فقيل لاسمعيل بن القاسم فوقع تحتها سبحان من خلق الخلق من ضعيف مهين
فصاغه من قرار * الى قرار مكين يحول شيأ فشيأ * فى الحجب دون العيون حتى بدت حركات * مخلوقة من سكون

للناس اعلاما يفزعون اليهم فى دينهم ويرضون بهم فى دنياهم فاجعلهم بطانتك يرشدوك وشاورهم
فى أمرك يسددوك قال قد بعثت اليهم فهربوا منى قال خافوك أن تحملهم على طريقتك ولكن افتح
بابك وسهل حجابك وانصر المظلوم واقمع الظالم وخذ الفئ والصدقات على حلها واقسمها بالحق
والعدل على أهلها وأنا ضامن عنهم أن يأتوك يساعدوك على صلاح الامة وجاء المؤذنون فاذنوه
بالصلاة فصلى وعاد الى مجلسه وطلب الرجل فلم يوجد ❁ (مقام الاوزاعى عند المنصور) ❁ قال
الاوزاعى دخلت عليه فقال لى ما الذى أبطأ بك عنى قلت وما تريد منى يا أمير المؤمنين قال أريد
الاقتباس منك فقلت يا أمير المؤمنين انظر ما تقول فان مكحولا حدثنى عن عطية بن بشير ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من بلغته عن الله نصيحة فى دينه فهى رحمة من الله سيقت اليه فان قبلها
من الله بشكر والا فهى حجة من الله عليه ليزداد اثما ويزداد الله عليه غضبا ثم قلت يا أمير المؤمنين
انك تحملت امانة هذه الامة وقد عرضت على السموات والارض فابين أن يحملنها واشفقن منها وقد
جاء عن جدك عبد الله بن عباس فى تفسير قول الله عز وجل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال
الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك فما ظنك بالقول والعمل فاعيذك بالله يا أمير المؤمنين ان ترى أن
قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعك مع المخالفة لامره فقد قال صلى الله عليه وسلم يا صفية
عمة محمد ويا فاطمة بنت محمد استوهبا أنفسكما من الله فانى لا أغنى عنكما من الله شيأ وكذلك جدك
العباس سأل امارة من النبى صلى الله عليه وسلم فقال أى عم نفس تحييها خير لك من امارة لا تحصيها
نظرا لعمه وشفقة عليه من أن يلى فيحيد عن سنته جناح بعوضة فلا يستطيع له نفعا ولا عنه دفعا وقال
صلى الله عليه وسلم ما من راع يبيت غاشا لرعيته الا حرم الله عليه رائحة الجنة وحقيق على الوالى ان
يكون لرعيته ناظرا ولما استطاع من عوراتهم ساترا وبالحق فيهم قائما فلا يتخوف محسنهم رهقا ولا
مسيئهم عدوانا فقد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويردع عنه المشركين
بها فأتاه جبريل فقال يا محمد ما هذه الجريدة التى معك اتركها لا تملأ قلوبهم رعبا فما ظنك بمن سفك
دماءهم وقطع أستارهم ونهب أموالهم يا أمير المؤمنين ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا الى
القصاص من نفسه بخدش خدشه اعرابيا لم يتعمده فقال جبريل يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا تكسر
قرون أمتك واعلم يا أمير المؤمنين ان كل ما فى يدك لا يعدل شربة من شراب الجنة ولا ثمرة من ثمارها
ولو ان ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والارض لاهلك الناس رائحته فكيف بمن تقمصه ولو
ان ذنوبا من النار صب على ماء الدنيا لاحمه فكيف بمن تجرعه ولو ان حلقة من سلاسل جهنم وضعت

(وقال الفضل بن عيسى الرقاشى) سل الارض عن غرس أشجارك وشق أنهارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا (وهذا) شبيه بقول عدى بن زيد وقد نزل النعمان بن المنذر تحت سرحة فقال أتدرى ماتقول هذه السرحة ايها الملك قال وما تقول قال تقول

رب ركب قد أناخوا حولنا * يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم * وكذاك الدهر حالا بعد حال

ويروى عكف الدهر بهم فتكدر حال النعمان وما كان فيه من لذة ۞(ألفاظ لاهل العصر فى الشكر بدلالة الحال)۞ لو سكت الشاكر لنطقت الما‌ثر لو صمت المخاطب لاثنت الحقائب واشهدت شواهد حاله على صدق مقاله ان جحدت ما أولانيه وكفرت ما أعطانيه نطقت آثار أياديه على ولمعت أعلام عوارفه لدى (ولابى الفضل الميكالى) ٢٨٩ من رسالة ورد فلان فتعاطى من شكره على نعمه التى ألبسه جمالها واسحبه أذيالها مالولم يتحدث به ناشرا ومثنيا ومعيدا ومبديا لاثنت به حاله وشهدت به رحاله حتى لقد امتلأت بذكره المحافل وسارت بخبره الركبان والقوافل وصارت الالسنة على الشكر والثناء لسانا والجماعة على النشر والدعاء انصارا واعوانا على انه وان بالغ فى هذا الباب وجاوز حد الاكثار والاسهاب نهايته القصور دون واجبه والسقوط عن ادنى درجاته ومراتبه (ومما يقترن لهم بهذا المعنى من ذكر الشكر) قال أبو الفتح البستى الحر نحل الشكر ان أجناه المرء من خيره شكر أجناه من بره شهدا (غيره) الشكر ترجمان النية ولسان الطوية وشاهد الاخلاص وعنوان الاختصاص الشكر نسيم النعم وهو السبب الى الزيادة والطريق الى السعادة الشكر قيد النعمة ومفتاح المزيد وثمن الجنة من شكر

قليلا استحق جزيلا شكر المولى هو الاولى الشكر قيد النعم وشكالها وعقالها وهى شبيه بالوحش الذى لا يقيم مع الايحاش ولا يريم مع الايناس موقع الشكر من النعمة موقع القرى من الضيف ان وجده لم يرم وان فقده لم يقم الشكر غرس اذا أودع سمع الكريم اثمر الزيادة وحفظ العادة اذا الشكر تعرض للمزيد السائغ والاعم السوابغ شكر شكر الاسير لمن أطلقه والمملوك لمن اعتقه اثنى عليه ثناء الروض الممحل على الغيث المسبل اثنى عليه ثناء لسان الزهر على راحة المطر اثنى عليه ثناء العطشان الوارد على الزلال البارد شكره شكر الارض للديم وزهير لهرم بسط لسان الثناء والدعاء وبلغ عنان الشكر عنان السماء شكره شكرا توتاح له المكارم وتهتز له المواسم لاشكرنه شكرا تشيع انواعه وتنبسط ابواعه ويلذ ذكره وسماعه شكر ملأ القلب واللسان كشكر حسان لآل غسان اطال عنان الشكر وفسح مجاله ورفع اعلامه ومد أروقته شكر كانفاس الاحباب او انفاس الاسحار او انفاس الرياض غب

على جمل لا دابته وكيف بمن يسلك فيها ويرد حضاها على عاتقه (كلام أبى حازم لسليمان بن عبد الملك) حج سليمان بن عبد الملك فلما قدم المدينة للزيارة بعث الى أبى حازم الاعرج وعنده ابن شهاب فلما دخل قال تكلم يا أبا حازم قال فيم أتكلم يا أمير المؤمنين قال فى المخرج من هذا الامر قال يسير ان أنت فعلته قال وما ذاك قال لا تأخذ الاشياء الا من حلها ولا تضعها الا فى أهلها قال ومن يقوى على ذلك قال من قلده الله من أمر الرعية ما قلدك قال عظنى أبا حازم قال اعلم ان هذا الامر لم يصر اليك الا بموت من كان قبلك وهو خارج من يديك بمثل ما صار اليك قال يا أبا حازم أشر على قال انما أنت سوق فما نفق عندك حمل اليك من خير أو شر فاختر أيهما شئت قال مالك لا تأتينا قال وما أصنع باتيانك يا أمير المؤمنين ان أدنيتنى فتنتنى وان أقصيتنى أخزيتنى وليس عندك ما أرجوك له ولا عندى ما أخافك عليه قال فارفع الينا حاجتك قال قد رفعتها الى من هو أقدر منك عليها فما أعطانى منها قبلت وما منعنى منها رضيت ۞(مقام ابن السماك عند الرشيد)۞ دخل عليه فلما وقف بين يديه قال له عظنى يا ابن السماك وأوجز قال كفى بالقرآن واعظا يا أمير المؤمنين قال الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الى قوله لرب العالمين هذا يا أمير المؤمنين وعيد لمن طفف فى الكيل فما ظنك بمن أخذه كله (وقال) له مرة عظنى وأتى بماء ليشربه فقال يا أمير المؤمنين لو حبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك قال نعم قال فلو حبس عنك خروجها أكنت تفديها بملكك قال نعم قال فما خير فى ملك لا يساوى شربة ولا بولة قال يا ابن السماك ما أحسن ما بلغنى عنك قال يا أمير المؤمنين ان لى عيوبا لو اطلع الناس منها على عيب واحد ما ثبتت لى فى قلب أحد مودة وانى لخائف فى الكلام الفتنة وفى السر الغرة وانى لخائف على نفسى من قلة خوفى عليها (كلام عمرو بن عبيد عند المنصور) دخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده ابنه المهدى فقال له أبو جعفر هذا ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين ورجائى ان تدعو له فقال يا أمير المؤمنين أراك قد رضيت له أمورا يصير اليها وأنت عنه مشغول فاستعبر أبو جعفر وقال له عظنى أبا عثمان قال يا أمير المؤمنين ان الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها هذا الذى أصبح فى يديك لو بقى فى يد من كان قبلك لم يصل اليك قال أبا عثمان أعنى بأصحابك قال ارفع علم الحق يتبعك أهله ثم خرج فاتبعه أبو جعفر بصرة فلم يقبلها وجعل يقول

كلكم خاتل صيد * كلكم يمشى رويدا * غير عمرو بن عبيد

(خبر سفيان الثورى مع أبى جعفر) لقى أبو جعفر سفيان الثورى فى الطواف وسفيان لا يعرفه

(رجع ما انقطع) كان سبب قول نصيب * فعاجوا فاثنوا بالذى انت اهله * انه كان مع الفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال سليمان بن عبد الملك يا فرزدق من اشعر الناس قال انا يا امير المؤمنين قال لماذا قال بقولي وركب كان الريح تطلب عندكم * لها ترة من جذبها بالعصائب سروا وسرت نكباء وهي تلفهم * الى شعب الاكوار ذات الحقائب اذا آنسوا نارا يقولون ليتها * وقد خصرت ايديهم نار غالب يريد اباه وهو غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع فأعرض عنه سليمان كالمغضب لانه انما اراد ان ينشده مدحا فيه ففهم نصيب مراده فقال يا امير المؤمنين قد قلت ابياتا على هذا الروى ليست بدونها فقال هاتها فانشأ نصيب يقول * ٢٩٠ اقول لركب قافلين لقيتهم * قفا ذات اوشال ومولاك قارب فقد اخبروني عن سليمان انني * لمعروفه من آل ودان طالب
فعاجوا فاثنوا بالذى انت اهله
ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب
فقالوا تركناه وفي كل ليلة
يطيف به من طالبي العرف راكب
ولو كان فوق الناس حي فعاله
كفعالك اوللفعل منك يقارب
لقلنا له شبه ولكن تعذرت
سواك عن المستشفعين المطالب
هو البدر والناس الكواكب حوله
وهل تشبه البدر المنير الكواكب
فقال سليمان احسنت والتفت الى الفرزدق فقال كيف تسمع يا أبا فراس قال هو اشعر اهل جلدته قال واهل جلدتك فخرج الفرزدق وهو يقول
وخير الشعرا كرمه رجالا
وشر الشعر ماقال العبيد
قال ابو العباس محمد بن يزيد وهذا باب في المدح حسن متجاوز مبتدع لم يسبق اليه قول نصيب من آل ودان (قال اسحق) بن ابراهيم الموصلي ذكر محمد بن كناسة والزبيدي ان نصيبا من اهل ودان وكان عبدا لرجل من بني كنانة هو واهل بيته وزعم ابو هفان انه كان عبدا لعبد العزيز بن مروان وكان نصيب شديد السواد وهو القائل كسيت ولم املك سوادا وتحته * قميص من القوهي بيض بنائقه فما ضر أثوابي سوادي وانني * لكالمسك لايسلو عن المسك ذائقه (وقال سحيم عبد بني الحسحاس) اشعار عبد بني الحسحاس قمن له * عند الفخار مقام الاصل والورق ان كنت عبدا فنفسي حرة كرما * او اسود اللون اني ابيض الخلق (وقال ابو الطيب المتنبي) لكافور الاخشيدي انما الجلد ملبس وابيضاض الـ * ـنفس خير من ابيضاض القباء (وقال نصيب) لبعض ملوك بني امية ان لي بنات نفضت عليهن من سوادي فقال ما احسن ما تلطفت لهن وامر له بصلة (وكان ابو تمام حبيب بن اوس) لما مدح أبا جعفر محمد بن عبد الملك الزيات بقصيدته التي اولها لهان علينا ان تقول وتفعلا * ونذكر بعض الفضل منك وتفضلا

فضرب بيده على عاتقه وقال أتعرفني قال لا ولكنك قبضت على قبضة جبار قال عظني أبا عبد الله قال وما عملت فيما علمت فأعظك فيما جهلت قال فما يمنعك أن تأتينا قال ان الله نهى عنكم فقال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فمسح أبو جعفر يده به ثم التفت الى أصحابه فقال ألقينا الحب الى العلماء فلقطوا الا ما كان من سفيان فانه أعيانا فرارا (كلام شبيب بن شبة للمهدى) قال العتبي سألت بعض آل شبيب بن شبة أتحفظون شيأ من كلامه قالوا نعم قال للمهدي يا امير المؤمنين ان الله اذا قسم الاقسام في الدنيا جعل لك أسناها وأعلاها فلا ترضى لنفسك في الآخرة الا مثل مارضي لك به من الدنيا فأوصيك بتقوى الله فعليكم نزلت ومنكم أخذت واليكم ترد (من كره الموعظة لبعض مافيها من الغلظ أو الخرق) قال رجل للرشيد يا أمير المؤمنين اني اريد أن أعظك بعظة فيها بعض الغلظة فاحتملها قال كلا ان الله أمر من هو خير منك بالالانة القول لمن هو شر مني قال لنبيه موسى اذ أرسله الى فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى (دخل) اعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين اني مكلمك بكلام فاحتمله ان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته قال هات يا اعرابي قال اني سأطلق لساني بما خرست عنه الالسن من عظتك تأدية لحق الله تعالى وحق امامتك انه قد اكتنفك رجال أساؤا الاختيار لانفسهم فابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فهم حرب الآخرة سلم للدنيا فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه فانهم لا يألونك خبالا والامانة تضييعا والامة عسفا وخسفا وأنت مسؤل عما اجترحوا وليسوا مسؤلين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فان أخسر الناس صفقة يوم القيامة وأعظمهم غبنا من باع آخرته بدنيا غيره قال سليمان اما انت يا اعرابي فقد سللت لسانك وهو احد سيفيك قال اجل يا امير المؤمنين لك لا عليك (ووعظ) رجل المأمون فاصغى اليه منصتا فلما فرغ قال قد سمعت موعظتك فاسأل الله أن ينفعنا بها وبما علمنا غير أنا أحوج الى المعاونة بالفعال منا الى المعاونة بالمقال فقد كثر القائلون وقل الفاعلون (العتبي) قال دخل رجل من عبد القيس على ابي فوعظه فلما فرغ قال ابي له لو اتعظنا بما علمنا لانتفعنا بما علمنا ولكنا علمنا علما لزمتنا فيه الحجة وغفلنا غفلة من وجبت عليه النقمة فوعظنا في أنفسنا بالتنقل من حال الى حال ومن صغر الى كبر ومن صحة الى سقم فأبينا الا المقام على الغفلة وايثار العاجل لا بقاء لاهله واعراضا عن آجل اليه المصير (سعد القصير) قال دخل أناس من القراء على عتبة بن ابي سفيان فقالوا انك سلطت السيف على الحق ولم تسلط الحق على السيف وجئت بها عشواء عصبية ٣ قال كذبتم بل سلطت الحق وبه سلطت فاعرفوا الحق تعرفوا السيف

فانكم الحاملون له حيث وضعه أفضل والواضعون له حيث عمله أعدل ونحن فى أول زمان لم يأت آخره وآخر دهر قد فات أوله فصار المعروف عندكم منكرا والمنكر معروفا وانى أقول لكم مهلا قبل أن أقول لنفسى هلا قالوا فخرج آمنين قال غير راشدين ولا مهديين * حاد قوم سفر عن الطريق فدفعوا الى راهب منفرد فى صومعته فنادوه فاشرف عليهم فسألوه عن الطريق فقال ههنا واومأ بيده الى السماء فعلموا ما أراد فقالوا انا سائلوك قال سلوا ولا تكثروا فان النهار لا يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث قالوا علام الناس يوم القيامة قال على نياتهم وأعمالهم قالوا الى اين الموئل قال الى ما قدمتم قالوا أوصنا قال تزودوا على قدر سفركم فخير الزاد ما بلغ المحل ثم أرشدهم الجادة وانقمع (وقال) بعضهم اتيت الشام فمررت بدير حرملة فاذا فيه راهب كان عينيه مزادتان فقلت له ما أشد ما يبكيك قال يا مسلم أبكى على ما فرطت فيه من عمرى وعلى يوم يمضى من أجلى لم يحسن فيه عملى قال ثم مررت بعد ذلك فسألت عنه فقيل لى انه قد أسلم وغزا الروم وقتل (قال أبو زيد الحيرى) قلت لثوبان الراهب ما معنى لبس الرهبان هذا السواد قال هو أشبه بلباس أهل المصائب قلت وكلكم معشر الرهبان قد أصيب بمصيبة قال يرحمك الله وهل مصيبة أعظم من مصائب الذنوب على أهلها قال أبو زيد فما أذكر قوله الا ابكانى (حبيب العدوى) عن موسى الاسوارى قال لما وقعت الفتنة أردت أن أحرزدينى فخرجت الى الاهواز فبلغ ازدمرد قدومى فبعث الى متاعا فلما أردت الانصراف بلغنى أنه ثقيل فدخلت عليه فاذا هو كالخفاش لم يبق منه الا رأسه فقلت ما حالك قال وما حال من يريد سفرا بعيدا بغير زاد ويدخل قبرا موحشا بلا مؤنس وينطلق الى ملك عدل بلا حجة ثم خرجت نفسه (العتبى) قال مررت براهب باك فقلت ما يبكيك قال أمر عرفته وقصرت عن طلبه ويوم مضى من عمرى نقص له أجلى ولم ينقص له أملى

﴿باب من كلام الزهاد وأخبار العباد﴾

قيل لقوم من العباد ما أقامكم فى الشمس قالوا طلب الظل (قيل) لعلقمة الاسود بن يزيد كم تعذب هذا الجسد الضعيف قال لا تنال الراحة الا بالتعب (وقيل) لآخر لو رفقت بنفسك قال الخير كله فيما أكرهت النفوس عليه قال النبى صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره (وقيل) لمسروق بن الاجدع لقد أضررت ببدنك قال كرامته أريد (وقالت) له امرأته فيروز لما رأته لا يفطر من صيام ولا يفتر من صلاة ويلك يا مسروق اما يعبد الله غيرك اما خلقت النار الا لك قال لها ويحك يا فيروز ان طالب الجنة لا يسأم وهارب النار لا ينام (وشكت) أم الدرداء الى أبى الدرداء الحاجة فقال لها تصبرى فان أمامنا عقبة

وهى من احسن شعره وقع له على ظهرها رأيتك سمح البيع سهلا وانما * يغالى اذا ما ضن بالشئ بائعه فاما اذا هانت بضائع بيعه فيوشك ان تبقى عليه بضائعه هو الماء ان اجممته طاب ورده * ويفسد منه ان تباح مشارعه فأجابه بقصيدة طويلة واحتج عليه واعتذر اليه فى مدحه لغيره فقال فى بعض ذلك اما القوافى فقد حصنت غرتها * فما يصاب دم منها ولا سلب منعت الا من الاكفاء اعيها وكان ملك عليها العطف والحدب ولو عضلت عن الاكفاء ايمها * ولم يكن لك فى اظهارها ارب كانت ثياب نصيب حين ضن بها على الموالى ولم تحفل بها العرب (وقد قيل) ان ابا تمام أجابه بقوله اباجعفر ان كنت اصبحت شاعرا * اسامح فى بيعى له من ابايعه فقد كنت قبلى شاعرا تاجرا به * تساهل من عادت عليك منافعه فصرت وزيرا والوزارة مكرع * يغص به بعد اللذاذة كارعه وكم من وزير قد رأينا مسلطا فعاد وقد سدت عليه مطالعه ولله قوس لا تطيش سهامها ولله سيف لا تفل مقاطعه قال ابو بكر محمد بن يحيى الصولى ويقال ان هذه الابيات منحولة لحبيب وليس مثل ابى جعفر فى جلالة قدره واصطناعه لحبيب يقابل بمثل هذا الجواب ولا ينتهى جهل حبيب أن يقابل مأموله ومن يرتجى جليل الفائدة منه بهذه الابيات وقد قيل بل قالها ولم ينشدها احدا وانما ظهرت بعد موته وكان ابن الزيات كما قال شاعرا ومدح الحسن بن سهل فى وزارته للمأمون واعطاه عشرة آلاف درهم فقال لم امتدحك رجاء المال اطلبه لكن لتلبسنى التحجيل والغررا ما كان ذلك الا انى رجل لا اقرب الورد حتى اعرف الصدرا قال الصولى وكان السبب الذى اوجد اباجعفر على ابى تمام حتى قال رأيتك سمح البيع الابيات قول ابى تمام قصيدته المشهورة فى ابن ابى دواد التى اولها سقى عهد الحمى سبل العهاد * وروى حاضر منه وبادى نزحت به ركى الدمع لما * رأيت الدمع من خير العتاد يقول فيها فى مدحه هو عظم الاثاف من نزار * واهل الهضب منها والنجاد معرس كل معضلة وخطب * ومنبت كل مكرمة وآد

اذا حدث القبائل ساجلوهم * فانهم بنو الجد التلاد
يفرج عنهم الغمرات بيض * جلاد تحت قسطلة الجلاد
وحشو حوادث الايام منهم * معاقل مطرد وبنو طراد
لهم جهل السباع اذا المنايا * تمشت فى الوغى وحلوم عاد
لقد انست مساوى كل دهر * محاسن احمد بن ابى دواد
متى تحلل به تحلل جنابا * رضيعا للسوارى والغوادى
وما اشتبهت سبيل المجد الا * هداك لقبلة المعروف هاد
وما سافرت فى الآفاق الا * ومن جدواك راحلتى وزادى
مقيم الظن عندك والامانى * وان قلقت ركابى فى البلاد

وهذه النكت التى احقدت اباجعفر واعتبته على ابى تمام (وفى هذه

قصيدة) يقول معتذرا اليه في الذي قرب به عنده من هجاء مضر

آتاني عابر الانباء تسرى * عقاربه بداهية نآد
نثا خبر كان القلب منه * يجر به على شوك القتاد
باني نلت من مضر وخبت * اليك شكيتي خبب الجواد
وما ربع القطيعة لي بربع * ولا نادي الاذى مني بنادى
وأين يجوز عن قصد لساني * وقلبي رائح برضاك غاد
ومما كانت الحكماء قالت * لسان المرء من خدم الفؤاد
وقدما كنت معسول القوافي * ومأدوم المعاني بالسداد

وكان ابن أبي دواد غاليا في التعصب لاياد والحاقها بنزار على مذهب نساب العدنانيين قال وكل من بالعراق من اياد دخلوا في النخع واليهم ينسبون ومن كان بالشام فهم على نسبهم في نزار وابن أبي دواد يرمى بالدعوة والتكثير من اخباره يخرج الى ما احاطه من تطويل التصرف في مملول التكلف وكان ابن أبي دواد عالما بضروب العلم والادب متصرفا في صناعة الجدال على مذهب أهل الاعتزال وكانت العداوة بينه وبين ابن الزيات بينة والنفاسة في الرياسة بينهما متمكنة وقال له بعض الشعراء

أكل أبي دواد من اياد
فكل أبي ذؤيب من هذيل

قال ابو مسلم ما تاه الاوضيع ولا فاخر الا سقيط ولا تعصب الا دخيل (وقال رجل) مدني لرجل ممن أنت فقال من قريش والحمد لله قال بأبي أنت التحميد ههنا ريبة واسم أبي دواد دعمى قال أبو اليقظان وهم من قبيلة يقال لها بنو زهرة اخوة بني حدان وقد ذكره الطائي في قوله

والغيث من زهر سحابة رأفة
والركن من شيبان طود حديد

ذكر شيبان لان خالد بن يزيد الشيباني شفع له عند ابن أبي دواد فيما ينساق الحديث اليه من موجدته عليه * قال محمود الوراق كنت جالسا طرف الجسر مع أصحاب لي فر بنا أبو تمام فجلس الينا فقال له رجل منا يا أبا تمام أي رجل أنت لولم تكن من اليمن قال ما أحب اني بغير الموضع الذي اختاره الله لي فمن تحب أن أكون قال من مضر قال انما شرفت مضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك ما قيسوا بملوك كنا واوائلنا وفينا كذا ومنا كذا يفخر وذكر أشياء عاب بها مضر ونمي الخبر الى ابن أبي دواد وزيد فيه فقال ما أحب أن يدخل علي فقال يعتذر اليه بقصيدة اولها

سعدت غربة النوى بسعاد * في طلوع الاتهام والانجاد
فطمت في وهي غير جداد * يقول فيها بعدان أصات الوشاة سيوفا
من أحاديث حين دوختها بالرأي كانت ضعيفة الاسناد * فنفى عنك زخرف القول سمع لم يكن فرصة لغير السداد
ضرب الحلم والوقار عليه * دون عور الكلام بالاسداد
ملأته الاحساب أي حياة * وحيا أزمة وحية واد

كؤدا لا يجاوزها الا أخف الناس حملا (ومر) أبو حازم بسوق الفاكهة فقال موعدك الجنة (ومر بالجزارين) فقالوا له يا أبا حازم هذا لحم سمين فاشتر قال ليس عندي ثمنه قالوا نؤخرك قال انا أؤخر نفسي (وكان) رجل من العباد يأكل الرمان بقشره فقيل له لم تفعل هذا فقال انما هو عدو فادخل فيه ما أمكنك (وكان) علي بن الحسين عليهما السلام اذا قام الى الصلاة أخذته رعدة فسئل عن ذلك فقال ويحكم أتدرون الى من أقوم ومن أريد أناجي (وقال) رجل ليونس بن عبيد هل تعلم احدا يعمل بعمل الحسن قال لا والله ولا أحدا يقول بقوله (وقيل) لمحمد بن علي أو لعلي بن الحسين عليهم السلام ما أقل ولد أبيك قال العجب كيف ولدت له وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء وحج خمسة وعشرين حجة راجلا (ولما) ضرب سعيد بن المسيب وأقيم للناس قالت له امرأة لقد أقمت مقام خزية فقال من مقام الخزية فررت (وشكا) الناس الى مالك بن دينار القحط فقال انتم تستبطئون المطر وانا أستبطئ الحجارة (وشكا) أهل الكوفة الى الفضيل بن عياض القحط فقال أمدبرا غير الله تريدون (وذكر) أبو حنيفة أيوب السختياني فقال رحمه الله تعالى ثلاثا لقد قدم المدينة مرة وأنا بها فقلت لاقعدن اليه لعلي أتعلق منه بسقطة فقام بين يدي القبر مقاما ما ذكرته الا اقشعر له جلدي (وقيل) لاهل مكة كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم قالوا كان مثل العافية التي لا يعرف فضلها حتى تفقد وكان عطاء أفطس أسود أشل أعرج ثم عمي وامه سوداء تسمى بركة (وكان) الاوقص المخزومي قاضيا بمكة فما رؤي مثله في عفافه وزهده فقال يوما لجلسائه قالت لي أمي يا بني انك خلقت خلقة لا تصلح معها المجامعة للفتيان عند القيان فعليك بالدين فان الله يرفع به الخسيسة ويتم به النقيصة فنفعني الله تعالى بكلامها وأطعتها فوليت القضاء (الفضيل بن عياض) قال اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار في مجلس بالبصرة فقال مالك بن دينار ما هو الا طاعة الله أو النار فقال محمد بن واسع ما هو كما تقول ليس الا عفو الله أو النار قال مالك صدقت ثم قال مالك انه يعجبني أن يكون للرجل معيشة قدر ما يقوته قال محمد بن واسع ولا هو كما تقول ولكن يعجبني أن يصبح الرجل وليس له غداء ويمسي وليس له عشاء وهو مع ذلك راض عن الله قال مالك ما أحوجني الى ان يعلمني مثلك (جعفر بن سليمان) قال سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول ما رأيت أحدا أشفق من شعبة ولا أعبد من سفيان الثوري ولا احفظ من ابن المبارك وما أحب ان ألقى الله بصحيفة أحد الا بصحيفة بشر بن منصور مات ولم يدع قليلا ولا كثيرا (عبد الاعلى بن حماد) قال دخلت على بشر بن منصور وهو في الموت فاذا به من السرور في أمر عظيم فقلت له ما هذا السرور فقال سبحان الله أخرج من بين

عانق معتق من الرق الا * من مقاساة مغرم أونجاد للعمالات والجمائل فيه * كاهوب الموارد الاعداد
فارضى عنه حتى تشفع اليه بخالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى فقال فى قصيدة اسرى طريد اللحيا من التى * زعموا وليس لقوله بطريد
كنت الربيع امامه ووراءه * قمر القبائل خالد بن يزيد وغدا تبين ما براءة ساحتى * لوقد نفضت تهائمى ونجودى
لله درك أى باب ملمة * لم يرم فيه اليك بالاقليد لما اطلتنى غمامك اصبحت * تلك الشهود على وهى شهودى
من بعد ماظنوا بان سيكون لى * يوم بزعمهم كيوم عبيد يريد عبيد بن الابرص الاسدى وكان النعمان بن المنذر لقيه يوم
بؤسه فقتله وكان ابن ابى دواد كريما فصيحا جولا (قال أبو العيناء) كنا عند ابن أبى دواد ومعنا محمود الوراق وجماعة من
اهل الادب والعلم فجاءه رسول ايتاخ فقال ان الحاجب أبا منصور يقرأ على القاضى السلام ويقول القاضى يتعنى ويجىء فى الاوقات وقد تفاقم الامر بينه وبين كاتب امير المؤمنين يريد ابن الزيات فصار يضرنا عنده قصد القاضى وما أحب أن يتعنى الى لهذا السبب اذ كنت لا أصل الى مكافأته فقال أجيبوه عن رسالته فلم ندر ما نقول ونظر بعضنا الى بعض فقال أما عندكم جواب قلنا القاضى أعزه الله أعلم بجوابه منا فقال للرسول اقرأ عليه السلام وقل له ما أتيتك متكثرا بك من قلة ولا متعززا بك من ذلة ولا طالبا منك رتبة ولا شاكيا اليك كربة ولكنك رجل ساعدك زمان وحركك سلطان ولا علم ذؤاف ولا أصل يعرف فان جئتك فبسلطانك وان تركتك فلنفسك فعجبنا من جوابه (صعد خالد بن عبد الله القسرى) المنبر يوم جمعة فخطب وهواذ ذاك أمير على
مكة فذكر الحجاج فأحمد طاعته وأثنى عليه خيرا فلما كان فى الجمعة الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره فيه بشتم الحجاج
وذكر عيوبه واظهار البراءة منه فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان ابليس كان ملكا من الملائكة وكان يظهر من طاعة الله
ما كانت الملائكة ترى له بذلك فضلا وكان الله تعالى قد علم من غشه ما خفى عن الملائكة فلما أراد الله فضيحته ابتلاه بالسجود لآدم
فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم فلعنوه وان الحجاج كان يظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له بذلك فضلا وكان الله عز وجل أطلع أمير
المؤمنين من غله وخبثه على ما خفى عنا فلما أراد الله فضيحته أجرى ذلك على يدى أمير المؤمنين فالعنوه لعنه الله ثم نزل (وكان أبو تمام)
قد مدح الافشين التركى واسمه حيدر بن كاوس وكان من أجل قواد المعتصم وابلى فى امر بابك الخرمى بلاء أحمده له فلما سخط المعتصم عليه
لما نسب اليه من سوء السيرة وقبح السريرة وانه يخطب درجة بابك ويريد التحصن بموضع يخلع فيه يده عن الطاعة وأظهر القاضى أحمد بن

الظالمين والباغين والحاسدين والمغتابين وأقدم على أرحم الراحمين ولا أسر (حج هرون الرشيد)
فبلغه عن عابد بمكة مجاب الدعوة معتزل فى جبال تهامة فأتاه هرون الرشيد فسأله عن حاله ثم قال
له أوصنى ومرنى بما شئت فوالله لا عصيتك فسكت عنه ولم يرد عليه جوابا فخرج عنه هرون فقال له
اصحابه مامنعك اذ سألك ان تأمره بما شئت وحلف ان لا يعصيك ان تأمره بتقوى الله والاحسان الى
رعيته فخط لهم فى الرمل انى اعظمت الله ان يكون يأمره فيعصيه وآمره أنا فيطيعنى (عمر بن حمزة بن
أخت سفيان الثورى) قال لما مرض سفيان مرضه الذى مات فيه ذهبت ببوله الى ديرانى فأريته اياه
فقال ياهذا بول حنيفى قلت اى والله من خيارهم قال فانا أذهب معك اليه قال فدخل عليه وجس
عرقه فقال هذا رجل قطع الحزن كبده (مورق العجلى) قال ما رأيت أحدا أفقه فى ورعه ولا أورع فى
فقهه من محمد بن سيرين ولقد قال يوما ما غشيت امرأة قط فى نوم ولا يقظة الا امرأتى أم عبد الله فانى أرى
المرأة فى النوم فاعلم أنها لا تحل لى فاصرف بصرى عنها (الاصمعى) عن ابن عون قال رأيت ثلاثة
لم أر مثلهم محمد بن سيرين بالعراق والقاسم بن محمد بالحجاز ورجاء بن حيوة بالشام (العتبى) قال سمعت
أشياخنا يقولون انتهى الزهد الى ثمانية من التابعين عامر بن عبد القيس والحسن بن أبى الحسن
البصرى وهرم بن حيان وأبى مسلم الخولانى وأويس القرنى والربيع بن خيثم ومسروق بن الاجدع
والاسود بن يزيد (كيف يكون الزهد) العتبى يرفعه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما الزهد فى الدنيا قال أما انه ما هو بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهد فى الدنيا أن
تكون بما فى يد الله أغنى منك بما فى يدك (وقيل) للزهرى ما الزهد قال أما انه ليس تشعث اللمة
ولا قشف الهيئة ولكنه صرف النفس عن الشهوة (وقيل) لآخر ما الزهد فى الدنيا قال أن لا يغلب
الحرام صبرك ولا الحلال شكرك (وقيل) لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من أزهد
الناس فى الدنيا قال من لم ينس المقابر والبلى وآثر ما يبقى على ما يفنى وعد نفسه مع الموتى (وقيل)
لمحمد بن واسع من ازهد الناس فى الدنيا قال من لا يبالى بيد من كانت الدنيا (وقيل) للخليل بن أحمد
من أزهد الناس فى الدنيا قال من لم يطلب المفقود حتى يفقد الموجود (وقال النبى) صلى الله عليه
وسلم الزهد فى الدنيا مفتاح الرغبة فى الآخرة (وقالوا) مثل الدنيا والآخرة كمثل رجل له امرأتان
ضرتان ان أرضى احداهما أسخط الاخرى (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم من جعل الدنيا أكبر همه
نزع الله خوف الآخرة من قلبه وجعل الفقر بين عينيه وشغله فيما عليه لا له (وقال) ابن السماك
الزاهد الذى ان أصاب الدنيا لم يفرح وان أصابته الدنيا لم يحزن يضحك فى الملا ويبكى فى الخلا

أبي دواد عليه انه على غير الاسلام قال ابو تمام معتذرا للمعتصم من تقدمه واجتبائه ولنفسه من مدحه واطرائه

ما كان لولا فحش غدرة حيدر * ليكون في الاسلام عام فجار
هذا الرسول وكان صفوة ربه * من خير بادٍ في الانام وقار
قد خص من أهل النفاق عصابة * وهم اشد أذى من الكفار
واختار من سعد لقيس بني أبي * سرح لعمر الله غير خيار
حتى استضاء بشعلة السور التي * رفعت له ستر امن الاستار
ثم ذكر في هذه القصيدة ان قتل الافشين لبابك لم يكن بصدق بصيرة ولا لصحة سريرة فقال
والهاشمون استقلت عيرهم * عن كربلاء باثقل الاوزار
فشفاهم المختار منه ولم يكن * في دينه المختار بالمختار

أما ماذكر من أهل النفاق فقد كانوا يظهرون غير ما يسرون حتى أطلع الله نبيه عليه السلام على اخبارهم ونشر له مطوى أسرارهم وأما ابن أبي سرح فهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح ابن الحسام بن الحارث بن حبيب ابن خزيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى اسلم قبل الفتح واستكتبه النبي عليه الصلاة والسلام فكان يكتب موضع الغفور الرحيم العزيز الحكيم واشباه ذلك فأطلع الله عليه النبي عليه الصلاة والسلام فهرب الى مكة مرتدا وانزل فيه ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله فاهدر النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دمه فهرب من مكة فاستأمن له عثمان رضي الله عنه فامنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أخو عثمان من الرضاعة وأسلم فحسن اسلامه وولي مصر سنة أربع وعشرين فاقام عليها الى أن حصر عثمان ومات بعسقلان بقيسارية الشام ولم يدخل في شيء من الفتن الحادثة في ذلك الوقت وأما المختار الذي ذكره فهو المختار بن أبي عبيد ابن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن عروة بن عوف بن قسي وهو ثقيف وكانت لابيه في الاسلام آثار جميلة وأخت المختار صفية بنت أبي عبيد زوج ابن عمر * والمختار هو كذاب ثقيف الذي جاء فيه الحديث وكان يزعم انه يوحى اليه في قتلة الحسين فقتلهم بكل موضع وقتل عبيد الله بن زياد وله أسجاع يصنعها وألفاظ يبتدعها ويزعم انها تنزل عليه وتوحى اليه (وقيل) للاحنف ابن قيس ان المختار يزعم انه يوحى اليه فقال صدق وتلا وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم واخباره كثيرة ليس هذا موضعها * لما هزم امية بن خالد بن اسيد لم يدر الناس كيف يقولون له فدخل عبد الله بن الاهتم عليه فقال الحمد لله الذي نظر لنا أيها الامير عليك ولم ينظر لك علينا فقد تعرضت للشهادة بجهدك الا ان الله علم حاجة اهل الاسلام اليك وأبقاك لهم بخذلان من معك فصدر الناس عن كلامه

(ويتعلق بهذه المقامة فصل في غرائب التكاتب) كتب حمدون بن نهراق الى عامل عزل عن عمله بلغني اعزك الله انصرافك عن عملك

(وقال الفضيل) أصل الزهد في الدنيا الرضا عن الله تعالى (صفة الدنيا) قال رجل لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه يا امير المؤمنين صف لنا الدنيا قال ما اصف من دار اولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب من استغنى فيها افتتن ومن افتقر فيها احزن (قيل) لارسطاطاليس صف لنا الدنيا فقال ما اصف من دار اولها فوت وآخرها موت (وقيل) لحكيم صف لنا الدنيا قال امل بين يديك واجل مطل عليك وشيطان فتان واماني جرارة العنان تدعوك فتستجيب وترجوها فتخيب (وقيل) لعامر بن عبد القيس صف لنا الدنيا قال الدنيا والدة للموت ناقضة للمبرم مرتجعة العطية وكل من فيها يجري الى ما لا يدري (وقيل) لبكر بن عبد الله المزني صف لنا الدنيا فقال ما مضى منها فحلم وما بقي فاماني (وقيل) لعبد الله بن ثعلبة صف لنا الدنيا قال امسك مذموم فيك ويومك غير محمود وغدك غير مأمون عليك (وقال النبي) صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (وقال) الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر يفصل الحق من الباطل (وقال) الدنيا خضرة حلوة فمن اخذها بحقها بورك له فيها ومن اخذها بغير حقها كان كالآكل الذي لا يشبع (وقال ابن مسعود) ليس من الناس احد الا وهو ضيف على الدنيا وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة (وقال المسيح) عليه السلام الدنيا لابليس مزرعة واهلها له حراثون (وقال ابليس) ما ابالي اذا احب الناس الدنيا ان لا يعبدوا صنما ولا وثنا الدنيا أفتن لهم من ذلك (وكان) النبي صلى الله عليه وسلم يسمي الدنيا أم دفر الدفر النتن (وقال النبي) صلى الله عليه وسلم للضحاك بن سفيان ما طعامك قال اللحم واللبن قال ثم الى ماذا يصير قال يصير الى ما قد علمت قال فان الله عز وجل ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا (وقال المسيح) عليه السلام لاصحابه اتخذوا الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها (وفي بعض الكتب) أوحى الله الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه (وقيل) لنوح عليه السلام يا أبا البشر ويا طويل العمر كيف وجدت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر (وقال لقمان) لابنه ان الدنيا بحر عريض قد هلك فيه الاولون والآخرون فان استطعت أن تجعل سفينتك تقوى الله وعدتك التوكل على الله وزادك العمل الصالح فان نجوت فبرحمة الله وان هلكت فبذنوبك (وقال ابن الحنفية) من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا (وقال) ان الملوك خلوا الحكمة لكم الحكمة فخلوا لهم الدنيا (وقيل) لمحمد بن واسع انك لترضى بالدون قال انما رضي بالدون من رضي بالدنيا (وقال المسيح) عليه الصلاة والسلام للحواريين أنا الذي كفأت الدنيا على وجهها فليس لي زوجة تموت ولا بيت يخرب

شكا

ورجوعك الى منزلك فسررت بذلك ولم استفظعه واجزع له لعلمي بان قدرك اجل واعلى من ان يرفعك عمل تتولاه او يضعك عزل عنه ووالله لولم تختر الانصراف وترد الاعتزال لكان في اطف تدبيرك وثقوب رويتك وحسن تأتيك ما تزيل به السبب الداعي الى عزلك والباعث على صرفك ونحن الى ان نهنيك بهذه الحال اولى بنا من ان نعزيك اذا اردت الانصراف فأوتيته واحببت الاعتزال فأعطيته فبارك الله لك في منقلبك وهناك النعم بدوامها ورزقك الشكر الموجب لها الزائد فيها (وكتب) ابن مكرم الى نصراني اسلم اما بعد فالحمد لله الذي وفقك لشكره وعرفك هدايته وطهرك من الارتياب قلبك وما زالت مخايلك ممثلة لنا حقيقة ما وهب الله فيك حتى كانك لم تزل بالاسلام موسوما وان كنت على غيره مقيما وكنا مؤملين لما صرت اليه مشفقين ٢٩٥ مما كنت عليه حتى اذا كاد اشفاقنا ان يستعلي رجاءنا أتت السعادة بما لم تزل الانفس تعدمنك فاسأل الله الذي اضاء لك سبيل رشدك ان يوفقك لصالح العمل وان يؤتيك في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ويقيك عذاب النار * قال بعض الحكماء من الحق ما يستحسن تركه ويستهجن عمله وقد يقع من ذلك فيما يحله الشرع ويكرهه الادباء وكثير ممن يغلب على طبعه هذا المعنى يراه من تنفس وعلو همة حتى رأينا من لا يحضر تزويج كريمته ويولي أمرها غير نفسه ورأينا من يجاوز ذلك الى ان لا ينكح مستنكحها وزاد به الغلو الى ما ترك ذكره اولى وكنا عرفنا حال انسان تزوجت امه فعظم لذلك همه وانفرد عن اودائه وتوارى عن اصفيائه حياء من لقائهم وكرها لتهنئتهم له او عزائهم واضطرته الوحشة الى قصد من ظن به منهم المسكة فتحامى خطابه فيما اجتنب لاجله خلانه وفارق لسببه اخوانه وتخيل ذلك المقصود انه انما لجأ اليه ليسليه فأفاض معه فيما قدر انه قصد له من المعنى الذي جهله وحمد اخوف المفاوضة ثم مضت الايام واختلف الحال ورجع الى العشرة وابناء المودة فكان عنده من لم يخاطبه احظى وفي نفسه أوفى وعلى قلبه اخف وفي نفسه اشف ونقم على ذلك الصديق وعتب اذا كل من الناس الا من طاب محتده وطال سودده حال من الالف والرغبة تحسن المساوي ثم حال من الملل والزهادة تقبح المحاسن واعتذر المتكلف من التسلية بما لم يلزمه ولم يرد صفيه فانه فعل ما أوجبه الاخوة وحقوق الخلطة واسباب العشرة وانبساط المفاوضة ودبت عقارب الظنون والوشاية الى ان خرجا بالملاحاة الى المعاداة فلما وقع بعض الناس بينهما من معاودة الحسنى ومراجعة الاولى جاهر هذا المماقت بقرع سن الاسف على تخيل النهى والوقار من الممقوت وظاهر الممقوت بتقريع المماقت بتزويج أمه الذي تجشم من كلامه فيه فضلا وتكلف من خطابه عليه ما حسره خلا فافضى الامر بينهما الى الاوتار وطلب الثار فان اضطر الى القول في هذا

شكا رجل الى يونس بن عبيد وجعا يجده فقال له يا عبد الله هذه دار لا توافقك فالتمس لك دارا توافقك لقي رجل راهبا فقال يا راهب صف لنا الدنيا فقال الدنيا تخلق الابدان وتجدد الآمال وتباعد الامنية وتقرب المنية قال فما حال اهلها قال من ظفر بها تعب ومن فاتته نصب قال فما الغنى عنها قال قطع الرجاء منها قال فأين المخرج قال في سلوك المنهج قال وما ذاك قال بذل المجهود والرضا بالموجود (قال الشاعر)

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكيف ما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون أخا الدنيا وان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

(وقال آخر)

يا خاطب الدنيا الى نفسها * تنح عن خطبتها تسلم
ان التي تخطب غدارة * قريبة العرس من المأتم

(داود بن المحبر) قال أخبرنا عبد الواحد بن الخطاب قال أقبلنا قافلين من بلاد الروم حتى اذا كنا بين الرصافة وحمص سمعنا صوتا من تلك الجبال تسمعه آذاننا ولم تبصره ابصارنا يقول يا مستور يا محفوظ انظر في ستر من انت انما الدنيا شوك فانظر أين تضع قدميك منها (وقال ابو العتاهية)

رضيت بذي الدنيا لكل مكاثر * ملح على الدنيا وكل مفاخر
ألم ترها ترقيه حتى اذا صبا * فرت حلقه منها بشفرة جازر
ولم يرض بالدنيا ثوابا لمؤمن * ولم يرض بالدنيا عقابا لكافر

(وقال أيضا)

هي الدنيا اذا كملت * وتم سرورها خذلت
وتفعل في الذين بقوا * كما في من مضى فعلت

(وقال بعض الشعراء يصف الدنيا)

لقد غرت الدنيا رجالا فأصبحوا * بمنزلة ما بعدها متحول
فساخط أمر لا يبدل غيره * وراض بأمر غيره سيبدل
وبالغ أمر كان يأمل دونه * ومختلج من دون ما كان يأمل

(وقال هرون الرشيد) لو قيل للدنيا صفي لنا نفسك وكانت ممن ينطق ما وصفت نفسها بأكثر من قول ابي نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق
وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق

(وقال آخر في صفة الدنيا)

فرحنا وراح الشامتون عشية * كأن على أكتافنا فلق الصخر
لحا الله دنيا تدخل النار أهلها * وتهتك ما بين الاقارب من ستر

المعنى أحد بأمر قاهر من السلطان أو حوادث الأزمان أو تطارح الاخوان فليقل وليكتب ما مثلناه ان لم يجد منه بدا أنت بفضل الله عليك واحسانه تبصيره اياك من أهل الدين وخلوص اليقين فكما لا تتبع الشهوة في محظور رتبته فكذا لا تتبع الانفة في مباح تحضره واتصل بنا ما اختاره الله والقضاء لذات الحق عليك المنسوبة بعد نسبك اليها اليك مما كرهه اباؤك الدنيوي لك ولها ورضيه الحلال الديني له ولها فنحن نعزيك عن فائت محبوبك ونهنيك في الخيرة في احتيار القدر لك ونسأل الله أن يجعلها أبدا أمامك فيما رضيت وكرهت وأبيت وأتيت فهذا ونحوه أصوب وأسلم ان اضطررت اليه وتركه أحسن وأحزم ان ملكت رأيك فيه والتلطف للكتابة عما يستهجن ولا يستحسن التواجه به من أحسن الاشياء وأسدها (وكتب أبو الفضل بن العميد في بابه) الحمد لله الذي كشف عنا ستر الحيرة هدانا استر العورة وجدع بما شرع من الحلال أنف الغيرة ومنع من عضل الامهات كما منع من وأد البنات استنزالا للنفوس الأبية عن حمية الجاهلية ثم عرض لجزيل من الأجر من استسلم لمواقع قضائه وعوض جزيل الثواب من صبر على نازل بلائه وهناك الله الذي شرح للتقوى صدرك ووسع في البلوى صبرك ما ألهمك من التسليم لمشيئته والرضا بقضيته ووفقك له من قضاء الواجب في أحد أبويك ومن عظم حقه عليك وجعل الله تعالى حدة ما تجرعته من أنف وكظمته من أسف معدودا يعظم الله عليه أجرك ويجزل به ذخرك وقرن بالحاضر من امتعاضك لفعلها المنتظر من ارتماضك لدفنها وعوضك من أسرة فرشها أعواد نعشها وجعل ما ينعم به عليك من بعدها من نعمة معرى من نقمة وما يوليك بعد قبضها من منحة مبرأ من محنة

(ألفاظ لأهل العصر في التهاني بالبنات) هنأ الله سيدي ورود الكريمة عليه وعرفه بها أعداد النسل الطيب لديه وجعلها وانشد مؤذنة بأخوة بررة يعمرون أندية الفضل ويغبرون بقية الدهر اتصل بي خبر المولودة كرم الله غرتها وأنبتها نباتا حسنا وما كان من تغيرك بعد اتضاح الخبر وانكارك ما اختاره الله لك في سابق القدر وقد علمت أنهن أقرب من القلوب وان الله تعالى بدأ بهن في الترتيب فقال جل من قائل يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وما سماه هبة فهو بالشكر أولى وبحسن التقبل أحرى أهلا وسهلا بعقيلة النساء وأم الابناء وجالبة الاصهار وأولاد الاطهار والمبشرة بأخوة يتناسقون ونجباء يتلاحقون فلو كان النساء كمثل هذي *

لفضلت النساء على الرجال فما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال والله يعرفك البركة في مطلعها والسعادة في موقعها فادرع اغتباطا واستأنف نشاطا فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها والنار مؤنثة والذكور يعبدونها والارض

(ولأبي العتاهية) كلنا تكثر الملامة للدنيا وكل بحبها مفتون

والمقادير لا تناولها الاو * هام لطفا ولا تراها العيون

وعمر الفتى وفي كل يوم * حركات كأنهن سكون

(ومن قوله أيضا في وصف الدنيا)

ألا انما الدنيا نضارة أيكة * اذا اخضر منها جانب جف جانب

هي الدار ما الآمال الا فجائع * عليها ولا اللذات الا مصائب

فكم سخنت بالامس عين قريرة * وقرت عيون دمعها اليوم ساكب

فلا تكتحل عيناك فيها بعبرة * على ذاهب منها فانك ذاهب

(وقال أبو العتاهية) أصبحت الدنيا لنا فتنة * والحمد لله على ذلكا

قد أجمع الناس على ذمها * ما ان ترى منهم لها تاركا

(وقال ابراهيم بن أدهم) نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وما سمعت في صفة الدنيا والسبب الذي يحبها الناس لأجله بأبلغ من قول القائل

نراع بذكر الموت في حين ذكره * وتعترض الدنيا فنلهو ونلعب

ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها * وما كنت منه فهو شيء محبب

فذكر ان الناس بنو الدنيا وما كان الانسان منه فهو محبب اليه * واعلم أن الانسان لا يحب شيئا الا أن يجانسه في بعض طبائعه وان الدنيا جانست الانسان في طبائعه كلها فأحبها بكل أطرافه (وقال بعض ولد ابن شبرمة) كنت مع أبي جالسا قبل أن يلي القضاء فمر به طارق مولى زياد في موكب نبيل فلما رآه أبي تنفس الصعداء وقال

أراها وان كانت تحب كأنها * سحابة صيف عن قليل تقشع

ثم قال اللهم لي ديني ولهم دنياهم فلما ابتلي بالقضاء قلت يا أبت أتذكر يوم طارق فقال يا بني انهم يجدون خلفا من أبيك وان أباك لا يجد خلفا منهم ان أباك خطب في أهوائهم وأكل من حلوائهم

(وقال الشعبي) ما رأيت مثلنا ومثل الدنيا الا كما قال كثير عزة

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

(وأحكم بيت) قيل في تمثيل الدنيا قول الشاعر

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

مؤنثة ومنها خلقت البرية وفيها كثرت الذرية والسماء مؤنثة وقد حليت بالكواكب وزينت بالنجوم الثواقب والنفس مؤنثة وهي قوام الابدان وملاك الحيوان والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف الاجسام ولاعرف الانام والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون وفيها ينعم المرسلون فهناك الله ما أوليت واوزعك شكر ما أعطيت وأطال الله بقاءك ما عرف النسل والولد وما بقي العصر والابد انه فعال لما يشاء * والتصرف في النساء ضيق النطاق شديد الخناق واكثر ما يمدح به الرجال ذم لهن ووصم عليهن قال ابن الرومي

الى المسيآت طول الدهر نحسان ... ما للحسان مسيآت بنا ولنا

فان يحن بعهد قلن معذرة * انا نسينا وفي النسوان نسيان

لا نلزم الذكر انا لم نسم به ... ولا مضناه بل للذكر ذكران

فضل الرجال علينا أن شيمتهم ... جود وبأس واحلام واذهان *

وان منهم وفاء لا نقوم له

وهل يكن مع النقصان رجحان

(وقال ابو الطيب المتنبي)

بنفسي الخيال الزائري بعد هجعة

وقولته لي بعدنا الغمض تطعم

سلام فلولا البخل والخوف عنده

لقلنا ابو حفص علينا المسلم

ألا ترى ان الجود والوفاء بالعهود والشجاعة والفطن وما جرى في هذا السنن من فضائل الرجال لو مدح النساء به لكان نقصا عليهن وذما لهن ولمديح النساء ابواب تفرقت في الكتاب (انشد رجل زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور)

أزبيدة ابنة جعفر

طوبى لزائرك المثاب

تعطين من رجليك ما

تعطي الاكف من الرغاب

فوثب اليه الخدم يضربونه فمنعتهم من ذلك وقالت اراد خيرا وأخطأ وهو أحب الينا ممن اراد شرا فاصاب سمع قولهم شمالك اندى من يمين غيرك فظن انه اذا قال هكذا كان أبلغ اعطوه ما امل وعرفوه ما جهل (وقال كثير)

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح

وشدت على حدب المطايا رحالنا * ولا يعلم الغادي الذي هو رائح

اخذنا باطراف الاحاديث بيننا * وسالت باعناق المطي الاباطح

نقعنا قلوبا بالاحاديث واشتفت * بذاك صدور منضجات قرائح

ولم نخش ريب الدهر في كل حالة * ولا راعنا منه سنيح وبارح

(وقال)

تفرق آلاف الحجيج على منى * وشتتهم شحط النوى مشي اربع

فريقان منهم سالك بطن نخلة * وآخر منهم جازع ظهر تصرع

فلم أر دارا مثلها دار غبطة * وملقى اذا التاف الحجيج بمجمع

اقل مقيما راضيا بمكانه * واكثر جارا ظاعنا لم يودع

فأصبح لا تلقى خباء عهدته * بمضرب اوتاده لم تنزع

فشاقوك لما وجهوا كل وجهة * فبانوا وخلوا عن منازل بلقع

(ودخل) كثير على عزة يوما فقالت ما ينبغي ان نأذن لك في

وانشد العباس بن الفرج الرياشي قال رأيت الاصمعي ينشد هذا البيت ويستحسنه في صفة الدنيا

ما عذر مرضعة بكا * س الموت تفطم من غذت

(ولقطري بن الفجاءة) في وصف الدنيا خطبة مجردة تقع في جملة الخطب في كتاب الواسطة ❁ (قولهم في الخوف) ❁ سئل ابن عباس عن الخائفين لله فقال هم الذين صدقوا الله في مخافة وعيده قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم على أنفسهم باكية ودموعهم على خدودهم جارية يقولون كيف نفرح والموت من ورائنا والقبور من امامنا والقيامة موعدنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا موقفنا (وقال علي) كرم الله وجهه الا ان عباد الله المخلصين كمن رأى أهل الجنة في الجنة فاكهين وأهل النار في النار معذبين شرورهم مأمونة وقلوبهم محزونة وأنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا أياما قليلة لعقبى راحة طويلة اما بالليل فصفوا أقدامهم في صلاتهم تجري دموعهم على خدودهم يجأرون الى ربهم ربنا ربنا يطلبون فكاك قلوبهم وأما بالنهار فعلماء حلماء بررة اتقياء كأنهم القداح القداح السهام يريد في ضمرتها ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ويقولون خولطوا ولقد خالط القوم أمر عظيم (وقال منصور بن عمار) في مجلس الزهد ان لله عبادا جعلوا ما كتب عليهم من الموت مثالا بين أعينهم وقطعوا الاسباب المتصلة بقلوبهم من علائق الدنيا فهم انضاء عبادته حلفاء طاعته قد نضحوا خدودهم بوابل دموعهم وافترشوا جباههم في محاريبهم يناجون ذا الكبرياء والعظمة في فكاك رقابهم (ودخل) قوم على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه وفيهم شاب ذابل ناحل فقال له عمر يا فتى ما بلغ بك ما ارى قال يا أمير المؤمنين امراض واسقام قال له عمر لتصدقني قال بلى يا أمير المؤمنين ذقت يوما حلاوة الدنيا فوجدتها مرة واقيم افاستوى عندي حجرها وذهبها وكأني أنظر الى عرش ربنا بارزا والى الناس يساقون الى الجنة والنار فأظمأت نهاري واسهرت ليلي وقليل كل ما انا فيه في جنب ثواب الله وخوف عقابه (وقال ابن ابي الحواري) قلت لسفيان بلغني في قول الله تبارك وتعالى الا من اتى الله بقلب سليم الذي يلقى ربه وليس فيه احد غيره فبكى وقال ما سمعت منذ ثلاثين سنة احسن من هذا التفسير (وقال الحسن) ان خوفك حتى تلقى الامن خير من امنك حتى تلقى الخوف وقال ينبغي ان يكون الخوف اغلب على الرجاء فان الرجاء اذا غلب الخوف فسد القلب (وقال الحسن) عجبا لمن خاف العقاب ولم يكف ولمن رجا الثواب ولم يعمل (وقال) علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لرجل ما تصنع فقال ارجو واخاف قال من رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه (وقال) الفضيل بن عياض اني لاستحي من الله ان أقول توكلت على الله ولو

وحين قال ولم ذلك قالت لانى رأيت الاحوص ألين جانبا عند الغوانى منك فى شعره وأضرع خدا للنساء وانه الذى يقول

يا بها الارعنى فيها الاصرمها * أكثرت لوكان يغنى عنك اكثار اقصر فلست مطاعا اذ وشيت بها * لاالقلب سال ولا فى حبها عار

(ويعجبنى قوله) ادور ولولا ان ارى ام جعفر * بأبياتكم مادرت حيث ادور وما كنت زوارا ولكن ذا الهوى * اذا لم يزر لابد ان سيزور

لقد منعت معروفها ام جعفر * وانى الى معروفها لفقير (ويعجبنى قوله) كم من دنى لها قد كنت اتبعه * ولو صحا القلب عنها كان لى تبعا

لا استطيع نزوعا عن محبتها * أو يصنع الحب بى فوق الذى صنعا ادعو الى هجرها قلبى فيتبعنى * حتى اذا قلت هذا صادق نزعا

وزادنى رغبة فى الحب أن منعت * أشهى الى المرء من دنياه مامنعا (وقوله) اذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى * ٢٩٨

فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

وما العيش الا ما تلذ وتشتهى

وان لام فيه ذو الشنان وفندا

وانى لأهواها واهوى لقاءها

كما يشتهى الصادى الشراب المبردا

علاقة حب لج فى سنن الصبا

فأبلى ومايزداد الا تجددا

هذان البيتان ألحقهما العتبى

وغيره بشعر الاحوص

(وأنشدها) أبو بكر بن دريد

لاعرابى فقال كثير قد والله

اجاد فما استقبحت من قولى

قالت قولك

وكنت اذا ما جئت اجللن مجلسى

واظهرن منى هيبة لا تجهما

يحاذرن منى غيرة قد عرفنها

قديما ولا يضحكن الا تبسما

تراهن الا ان يخالسن نظرة

بمؤخر عين او يقلبن معصما

كواظم لا ينطقن الا محورة

رجيعة قول بعد ان تتفهما

وكن اذا ما قلن شيأ يسره

أمر الرضا فى نفسه وتحرما

وقولك

وددت وبيت الله انك بكرة * هجان وانى مصعب ثم نهرب كلانا به عرفن يرنا يقل * على حسنها اجرباء تعدى واجرب وقف

نكون لذى مال كثير مغفل * فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب اذا ما وردنا منهلا صاح اهله * علينا فما ننفك نؤذى ونضرب

ويحك لقد اردت بى الشقاء أفما وجدت امنية أوطأ من هذه فخرج خجلا * وقد تمنى بمثل هذه الامنية الفرزدق * واغرب من هذا قول

ابى صخر الهذلى تمنيت من حبى عليه أننا * على رمث فى البحر ليس لنا وفر على دائم لا يعبر الفلك موجه

ومن دوننا الاهوال واللجج الخضر فنقضى هم النفس فى غير رقبة * ويغرق من نخشى نميمته البحر وقيل الامل رفيق مؤنس

ان لم يبلغك فقد ألهاك (وقال مسلم بن الوليد) واكثر افعال الليالى اساءة * واكثر ما تلقى الامانى كواذبا (وقال آخر)

منى ان تكن حقا تكن احسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا أمانى من ليلى حسانا كأنما * سقتنى بها ليلى على ظما بردا

توكلت عليه حق التوكل ماخفت ولا رجوت غيره (وقالوا) من خاف الله اخاف الله منه كل شئ ومن لم يخف الله اخافه الله من كل شئ (وقال) وعد من الله لمن خافه ان يدخله الله الجنة وتلا قوله عز وجل ولمن خاف مقام ربه جنتان (وقال) عمر بن ذر عباد الله لا تغتروا بطول حلم الله واحذروا اسفه فانه قال عز وجل فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين (وقال محمد بن سلام) سمعت يوسف بن عبيد يقول لا تأمن من قطع فى خمسة دراهم أشرف عضو فيك ان تكون عقوبته فى الآخرة باضعاف ذلك (وقال الربيع بن خيثم) لو ان لى نفسين اذا علقت احداهما سعت الاخرى فى فكاكها ولكنها نفس واحدة فان انا أوبقتها من يفكها (وفى الحديث) من كانت الدنيا همه طال فى الآخرة غمه ومن خاف الوعيد لها عما يريد ومن خاف ما بين يديه ضاق ذرعا بما فى يده (وقال محمود الوراق)

يا غافلا ترنو بعينى راقد * ومشاهد الامر غير مشاهد

تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى * درك الجنان بها وفوز العابد

ونسيت أن الله أخرج آدما * منها الى الدنيا بذنب واحد

(وقال نابغة بنى شيبان)

ان من يركب الفواحش سرا * حين يخلو بسره غير خال

كيف يخلو وعنده كاتباه * شاهداه وربه ذو الجلال

❁(قولهم فى الرجاء)❁ قال العلماء لا تشهد على أحد من أهل القبلة بجنة ولا بنار يرجى للمحسن ويخاف عليه ويخاف على المسىء ويرجى له (وفى الحديث المرفوع) ان الله يغفر ولا يعير والناس يعيرون ولا يغفرون (وفى حديث آخر) لا تكفروا أهل الذنوب (وتوفى رجل) فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مسرفا على نفسه فرفع رأسه وهو يكيد بنفسه فاذا أبواه يبكيان عند رأسه فقال ما يبكيكما قالا نبكى لاسرافك على نفسك قال لا تبكيا فوالله ما يسرنى ان الذى بيد الله من أمرى بأيديكما ثم مات فأتى جبريل عليه الصلاة والسلام النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ان فتى توفى اليوم فاشهده فانه من أهل الجنة فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه عن عمله فقالا ما علمنا عنده شيأ من خير الا انه قال لنا عند الموت كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ههنا أوتى ان حسن الظن بالله من أفضل العمل عنده (وتوفى) رجل بجوار ابن ذر وكان مسرفا على نفسه فتحامى الناس من جنازته وبلغ ذلك عمر بن ذر فأوصى أهله اذا جهزتموه فآذنونى ففعلوا فشهده والناس معه فلما أدلى

(وقال آخر) رفعت عن الدنيا المنى غير حبها * فلا اسأل الدنيا ولا استزيدها (وقيل) لاعرابي ما أمتع لذات الدنيا فقال ممازحة المحب ومحادثة الصديق وأماني تقطع بها أيامك (وينشد) عللني بوعد * وامطلي ما حييت به ودعيني أفوز منك بنجوى تطلبه فعسى يعثر الزما * ن بحظي فيقتبه (وكان) كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الخزاعي و يعرف بعزة على حدة خاطره و جودة شعره أحمق الناس ودخل عليه نفر من قريش وهو عليل يهزؤن به فقال بعضهم فقلت له كيف تجدك قال بخير هل سمعت الناس يقولون شيأ فقلت نعم سمعتهم يقولون انك الدجال فقال والله لئن قلت ذاك انى لاجد فى عينى اليمنى ضعفا منذ أيام وكان رافضيا يدين بالرجعة و يقول بامامة محمد بن الحنفية والروافض يزعمون انه دخل فى شعب باليمن فى اربعين من اصحابه ولا بد من ظهوره وفى ذلك يقول

الا ان الائمة من قريش
ولاة الحق اربعة سواء
على والثلاثة من بنيه
هم الاسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط ايمان و بر
وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى
يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى عنهم زمانا
برضوى عنده عسل وماء

وكانت خلفاء بنى امية يعلمون ذلك منه و يلبسونه عليه ودخل يوما على عبد الملك بن مروان فقال نشدتك بحق على بن ابى طالب هل رأيت اعشق منك فقال يا أمير المؤمنين لو سألتنى بحقك ما أخبرتك نعم بينا أنا اسير فى بعض الفلوات اذا أنا برجل قد نصب حبائله فقلت له ما اجلسك ههنا قال أهلكنى وأهلى الجوع فنصبت حبائلى لاصيب لهم ولنفسى ما فيمنا سحابة يومنا قلت أرأيت ان أقمت معك فأصبنا صيدا اتجعل لى منه جزأ قال نعم فبينما نحن كذلك اذ وقعت ظبية فخرجنا مبتدرين فأسرع اليها فحلها وأطلقها فقلت ما حملك على هذا قال دخلتنى لها رقة لشبهها بليلى وانشأ يقول

أيا شبه ليلى لا تراعى فاننى * لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطلقتها من وثاقها * لانت لليلى ما حييت طليق

(وروى) الكلبي وابن داب انه لما حلها قال

اذهبي فى كلاءة الرحمن * أنت منى فى ذمة وأمان
لا تخافى بأن تهاجى بسوء * ما تغنى الحمام فى الاغصان
ترهبين والجيد منك لليلى * والحشا والبغام والعينان

(وقال قيس بن الملوح)

راحوا يصيدون الظباء وانني * لارى تصيدها على حراما
أشبهن منك محاجراً وسوالفاً * فأرى على لها بذاك ذماما
أعزز على بأن أروع شبيهها * أو ان يذقن على يدى حماما

(ومن جيد شعر كثير)

وكانت لقطع الحبل بينى وبينها * كناذرة نذرا وفت فاحلت
فقلت لها يا عز كل مصيبة * اذا وطنت يوما لها النفس ذلت
ولم يلق انسان من الحب ميعة * تعم ولا عمياء الا تجلت

وقف على قبره فقال رحمك الله أبا فلان فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك لله بالسجود فان قالوا مذنب وذو خطايا فمن منا غير مذنب وذى خطايا (الاصمعى) قال سمعت اعرابيا يقول فى دعائه وابتهاله الهى ما توهمت سعة رحمتك الا وكان نعمة عفوك تقرع مسامعى ان قد غفرت لك فصدق ظنى بك وحقق رجائى فيك يا الهى (ومن أحسن) ما قيل فى الرجاء هذا البيت

وانى لأرجو الله حتى كأننى * أرى بجميل الظن ما الله صانع

﴿ومن قولهم فى التوبة﴾ مر المسيح صلى الله عليه وسلم بقوم من بنى اسرائيل يبكون فقال لهم ما يبكيكم قالوا نبكى لذنوبنا قال اتركوها تغفر لكم (وقال على) بن أبى طالب كرم الله وجهه عجبا لمن يهلك ومعه النجاة قيل له وما هى قال التوبة والاستغفار (وقالوا) كان شاب من بنى اسرائيل قد عبد الله عشرين حجة ثم عصاه عشرين حجة فبينما هو فى بيته يتراءى فى مرآته نظر الى الشيب فى لحيته فساءه ذلك فقال الهى اطعتك عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك تقبلنى فسمع صوتا من زاوية البيت ولم ير شخصا أحببتنا فأحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فأمهلناك وان رجعت الينا قبلناك (عبد الله بن العلاء) قال خرجنا حجاجا من المدينة فلما كنا بالحليفة نزلنا فوقف علينا رجل عليه أثواب رثة له منظر وهيئة فقال من يبغى خادما من يبغى ساقيا من يملأ قربة أو اداوة فقلنا دونك هذه القرب فملأها وأخذها وانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طينا فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ثم قال لكم غير هذا قلنا لا وأطعمناه قرصا باردا فأخذه وحمد الله وشكره ثم اعتزل وقعد يأكل أكل جائع فأدركتنى عليه الرقة فقمت اليه بطعام طيب كثير وقلت قد علمت انه لم يقع منك القرص موقعا فدونك هذا الطعام فكله فنظر فى وجهى وتبسم وقال يا عبد الله انما هى فورة هذه النار قد أطفأتها وضرب بيده على بطنه فرجعت وقد انكسف بالى لما رأيت من هيبته فقال لى رجل كان الى جانبى أتعرفه قلت ما أعرفه قال هذا رجل من بنى هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب كان يسكن البصرة فتاب وخرج منها ففقد وما يعرف له أثر فأعجبنى قوله ثم لحقت به وناشدته الله وقلت له هل لك ان تعادلنى فان معى فضلا من راحلتى وأنا رجل من بعض اخوالك جزاك الله خيرا وقال لو أردت شيأ من هذا لكان لى معدا ثم أنس الى وجعل يحدثنى وقال انا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وجبروت وبذخ وانى أمرت خادما لى ان تحشو لى فراشا من حرير وورد نثير ومخدة ففعلت فانى لنائم اذ أيقظتنى قمع وردة أغفلته الخادم فقمت اليها فأوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعى بعد ان خرج ذلك القمع من المخدة فأتانى آت فى منامى فى صورة فظيعة فهزنى وزبرنى

أباحت حمى لم يرعه الناس قبلها * وحلت تلاعا لم تكن قبل حلت
أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة * لدينا ولا مقلية إن تقلت
وما مر من يوم علي كيومها * وإن عظمت أيام أخرى وجلت
وإني وتهيامي بعزة بعدما * تخليت مما بيننا وتخلت
هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت
ووالله ما قاربت إلا تباعدت * بصرم ولا استكثرت إلا أقلت
فما عجبا للقلب كيف اعترافه * وللنفس لما وطنت كيف ذلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما * تبوأ منها للمقيل اضمحلت

(وكان) كثير قصيرا دميما ولذلك قال فإن أك معروق العظام فإنني * إذا ما وزنت القوم بالقوم وازن (ودخل) كثير على عبد الملك بن مروان في أول خلافته فقال أنت

كثير فقال نعم فاقتحمه وقال تسمع بالمعيدي لا أن تراه فقال يا أمير المؤمنين كل انسان عند محله رحب الفناء شامخ البناء عالي السناء وأنشد يقول

ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير إذا تراه
فيخلف ظنك الرجل الطرير
بغاث الطير أطولها رقابا
ولم تطل البزاة ولا الصقور
خشاش الطير أكثرها فراخا
وأم الباز مقلاة نزور
ضعاف الأسد أكثرها زئيرا
وأصرمها اللواتي لا تزير
وقد عظم البعير بغير لب
فلم يستغن بالعظم البعير
ينوخ ثم يضرب بالهراوى
فلا عرف لديه ولا نكير
يقوده الصبي بكل أرض
ويصرعه على الجنب الصغير
فما عظم الرجال لهم بزين
ولكن زينهم حسب وخير

فقال قاتله الله ما أطول لسانه وأمد عنانه وأوسع جنانه إني لأحسبه كما وصف نفسه (وأنشد) أحمد بن عبيد الله لشاعر قديم

وعاذلة هبت بليل تلومني * ولم يعتمرني قبل ذاك عذول
تقول اتئد لا يدعك الناس مملقا * وتزري بمن يا ابن الكرام تعول
فقلت أبت نفس علي كريمة * وطارق ليل عند ذاك يقول
ألم تعلمي يا عمرك الله أنني * كريم على حين الكرام قليل
وإني لأخزى إذا قيل مملق * سخي وأخزى أن يقال بخيل
فلا تتبعي العين الغوية وانظري * إلى عنصر الأحساب كيف يؤول
ولا تذهبن عيناك في كل شرمخ * له قصب جوف العظام أسيل
عسى أن تبغي عرسه أن لها * به حين يشتد الزمان بديل
إذا كنت في القوم الطوال فطلتهم * بعارفة حتى يقال طويل
ولا خير في حسن الجسوم وطولها * إذا لم تزن حسن الجسوم عقول
فكائن رأينا من فروع طويلة * تموت إذا لم تحيهن أصول
فإن لا يكن جسمي طويلا فإنني * له بالفعال الصالحات وصول
ولم أر كالمعروف أما مذاقه * فحلو وأما وجهه فجميل
(وقال ابن الرومي) وقصيف من الرجال نحيف * راجح الوزن عند وزن الرجال

وقال أفق من غشيتك وأقصر من حيرتك ثم أنشأ يقول

يا أحمد انك ان توسد لينا * وسدت بعد الموت صم الجندل
فامهد لنفسك صالحا تحوي به * فلتندمن غدا إذا لم تفعل

فانتبهت فزعا وخرجت من ساعتي هاربا بديني الى ربي (وقالوا) علامة التوبة الخروج من الجهل والندم على الذنب والتجافي عن الشهوة وترك الكذب والانتهاء عن الخلق السوء (وقالوا) التائب من الذنب كمن لا ذنب له وأول التوبة الندم (ومن قولنا في هذا المعنى)

يا ويلنا من موقف ما به * أخوف من أن يعدل الحاكم
أبارز الله بعصيانه * وليس لي من دونه راحم
يارب غفرانك عن مذنب * أسرف إلا أنه نادم

(وقال بعض أهل التفسير) في قول الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا قال التوبة النصوح أن يتوب العبد عن الذنب ولا ينوي العود اليه (وقال) ابن عباس في قول الله عز وجل إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ان الرجل لا يركب ذنبا ولا يأتي فاحشة إلا وهو جاهل وقوله ثم يتوبون من قريب قال كل من كان دون المعاينة فهو قريب والمعاينة أن يؤخذ بكظم الانسان فذلك قوله إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن قال أهل التفسير هو إذا أخذ بكظمه (وقال ابن شبرمة) إني لأعجب ممن يحتمي مخافة الضرر ولا يدع الذنوب مخافة النار

﴿البدار بالعمل الصالح﴾

قال الله عز وجل وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة وقال تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون (وقال الحسن) بادروا بالعمل الصالح قبل حلول الأجل فإن لكم ما أمضيتم لا ما أبقيتم (وقالوا) ثلاثة لا أناة فيهن المبادرة بالعمل الصالح ودفن الميت وانكاح الكفء (وقال النبي) صلى الله عليه وسلم ابن آدم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وغناك قبل فقرك (وقال الحسن) صم قبل أن لا تقدر على يوم تصومه كأنك إذا ظمئت لم تكن رويت وكأنك إذا رويت لم تكن ظمئت (وكان يزيد الرقاشي) يقول يا يزيد من يصوم عنك أو يصلي لك أو يترضى لك ربك إذا مت (وكان خالد بن معدان) يقول إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا * ندمت على التفريط في زمن البذر
(وقال ابن المبارك) كنت مع محمد بن النضر في سفينة فقلت بأي شيء أستخرج منه الكلام فقلت له ما تقول في الصوم في السفر فقال إنما هي المبادرة يا ابن أخي فجاءني والله بفتيا غير فتيا ابراهيم والشعبي (ومن قولنا في هذا المعنى)

بادر

فى أناس أو قوا حلوم العصافيـــر * فلم تغنهم جسوم البغال (أخذه) من قول حسان بن ثابت وقال له بنو الديان الحارثيون قد كنا ونحن نطول بأجسامنا على العرب حتى قلت دعوا التخاجؤ وامشوا مشية سجحا * ان الرجال ذوو قد وتذ كير لا بأس بالقوم من طول ومن عظم * جسم البغال وأحلام العصافير فتركتنا لا نرى أجسامنا شيأ والعرب تمدح الطول وتثنى عليه (وقال عنترة بن شداد) بطل كأن ثيابه فى سرحة * يحذى نعال السبت ليس بتوأم قوله ليس بتوأم يريد ليس ممن زوحم فى الرحم فضعف كما قال الشعبى وقد دخل على عبد الملك بن مروان فجعل ينظر اليه وكان الشعبى قد ولد توأما مع أخيه فكان نحيفا فقال يا أمير المؤمنين انى زوحمت فى الرحم (وقال أعرابى) ولما التقى الصفان واختلف القنا * نهالا وأسباب المنايا نهالها
تبين لى ان القماءة ذلة
وان أعزاء الرجال طوالها
(وقال أبو نواس)
وكنا اذا ما الحائن الجد غره
سنا برق غاد أو ضجيج رعاد
تردى له الفضل بن يحيى بن خالد
بماضى الظبا ازهاه طول نجاد
امام خميس أرجوان كأنه
قميص محوك من قنا وجياد
ومن هذا البيت أخذ أبو الطيب المتنبى قوله
وملمومة زرد ثوبها
ولكنه بالقنا مخمل
(ودخل) كثير على عبد العزيز ابن مروان وهو عليل وأهله يتمنون أن يتبسم فقال لولا أن سرورك لا يتم بان تسلم وأسقم لدعوت الله أن يصرف ما بك الى ولكنى أسأل الله أيها الامير العافية لك ولى فى كنفك فضحك وأمر له بمال فخرج وهو يقول
ونعود سيدنا وسيد غيرنا
ليت التشكى كان بالعواد
لو كان تقبل فدية لفديته
بالمصطفى من طارفى وتلادى
(قال محمد بن سلام الجمحى) قال ابى ذاكرت مروان بن ابى حفصة شعر جرير والفرزدق وكثير فذهب الى تقديم كثير وجعل يطريه ويقول هو أمدحهم للخلفاء فقلت امن جودة مدحه للخلفاء قوله لعبد الملك بن مروان
توى ابن ابى العاصى وقد صف دونه * ثمانون الفا قد توافت كمولها
يقلب عينى حية بمفازة * اذا أمكنته شدة لا يقيلها
فقال هذا الخليفة ودونه ثمانون الفا وجعله يقلب عينى حية وقوله
وان امير المؤمنين هو الذى * غزا كامنات الود منى فنالها
زعم ان أمير المؤمنين استعطفه حتى غزا كامنات صدره وقوله لعبد العزيز بن مروان
وما زالت رقاك تسل ضغنى * وتخرج من مكامنها ضبابى
ويرزقى لك الحاوون حتى * أجابك حية تحت الحجاب
زعم ان عبد العزيز تركاه واحتال له ورقاه حتى أجابه أكذا تمدح الملوك فاسكته ﴿فصول قصار﴾ من كان له من نفسه واعظ كان من الله عليه حافظ العبد حر ان قنع * والحر عبد ان قنع الامانى تخدعك وعند الحقائق تدعك اذا كان الطمع هلاكا كان اليأس

بادر الى التوبة الخلصاء مجتهدا * والموت ويحك لم يمدد اليك يدا
وارقب من الله وعدا ليس يخلفه * لا بد لله من انجاز ما وعدا
(وقال على بن أبى طالب) رضى الله عنه لاصحابه فيم أنتم قالوا نرجو ونخاف قال من رجا شيأ طلبه ومن خاف شيأ هرب منه (وقال الشاعر)
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس
وقال آخر
اعمل وأنت من الدنيا على حذر * واعلم بأنك بعد الموت مبعوث
واعلم بأنك ما قدمت من عمل * يحصى عليك وما خلفت موروث
(وقدمت عائشة) رضى الله عنها الى النبى صلى الله عليه وسلم صحفة فيها خبز شعير وقطعة من كرش وقالت يا رسول الله ذبحنا اليوم شاة فما أمسكنا منها غير هذا فقال بل كلها أمسكتم غير هذا ﴿العجز عن العمل﴾ قال رجل لمورق العجلى أشكو اليك نفسى انها لا تريد الصلاة ولا تستطيع الصبر على الصيام قال بئس الثناء أثنيت على نفسك فاذا ضعفت عن الخير فاضعف عن الشر فان الشاعر قال
احزن على أنك لا تحزن * ولا تسئ ان كنت لا تحسن
واضعف عن الشر كما تدعى * ضعفا عن الخير وقد يمكن
(وقال بكر بن عبد الله) اجتهدوا فى العمل فان قصر بكم ضعف فامسكوا عن المعاصى (وقال الحسن رحمه الله) من كان قويا فليعتمد على قوته فى طاعة الله وان كان ضعيفا فليكف عن معاصى الله (وقال على) لا تكن كمن يعجز عن شكر ما أوتى فيبتغى الزيادة فيما بقى وينهى الناس ولا ينتهى (وكان الحسن) اذا وعظ يقول يا لها موعظة لو صادفت من القلوب حياة أسمع حسيسا ولا أرى أنيسا ما لهم تفاقدوا عقولهم فراش نار وذباب طمع (وكان ابن السماك) اذا فرغ من موعظته يقول ألسنة تصف وقلوب تقف وأعمال تخالف (وقال) الحسنة نور فى القلب وقوة فى العمل والسيئة ظلمة فى القلب وضعف فى العمل (وقال بعض الحكماء) يا أيها المشيخة الذين لم يتركوا الذنوب حتى تركتهم الذنوب ثم ظنوا ان تركها لهم توبة وليتهم اذ ذهبت عنهم لم يتمنوا عودها اليهم (وكان مالك بن دينار) يقول ما أشد فطام الكبير وينشد
أتروض عرسك بعد ما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم
(ومن حديث محمد بن وضاح) قال اذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب مسح ابليس بيده على وجهه وقال بابى وجه لا أفلح أبدا (قال الشاعر)

ادراكا ايس بالحكيما من لم يكن لنفسه خصيما تعزعن الشئ اذا منعته بقلة مايصحبك اذا منحته تجرع مضض الصبر تطفئ نار الضر الحكمة حفظ ما كلفت وترك ما كفيت الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله (شذور لاهل العصر في معان شتى) قطعة من كلام الامير قابوس بن وشمكير شمس المعالى فى أثناء رسائله بزند الشفيع تورى نار النجاح ومن كف المفيض ينتظر فوز القداح الوسائل أقدام ذوى الحاجات والشفاعات مفاتيح الطلبات العفو عن المجرم من موجبات الكرم وقبول المعذرة من محاسن الشيم وبالقوادم والخوافى قوة الجناح وبالاسنة والعوالى عمل الرماح الدنيا دار تغرير وخداع وملتقى ساعة لوداع والناس متصرفون بين كل ورود وصدر وصائرون خبرا بعد أثر غاية كل متحرك الى سكون ونهاية كل متكون أن لا يكون وآخر الاحياء فناء والجزع على الاموات عناء واذا كان ذلك كذلك فلم التهالك على الهالك حشو الدهر أحزان وهموم وصفوه من غير كدر معدوم اذا اسمع الدهر بالحباء فأبشر بوشك الانقضاء واذا أعار فاحسبه قد أغار الدهر طعمان حلو ومر والايام ضربان عسر ويسر ولكل شئ غاية ومنتهى وانقطاع وان بلغ المدى ترك الجواب داعية الارتياب والحاجة الى الاقتضاء كسوف فى وجه الرجاء هم المنتظر للجواب ثقيل والمدى فيه وان كان قصيرا طويل الشهب اذا جرى لم يشق غباره واذا سرى لم تلحق آثاره من أين للضباب صوب الحساب وللغراب هوى العقاب وهيهات أن تكتسب الارض لطافة الهواء ويصير البدر كالشمس فى الضياء (وقد ترجم عن شمس المعالى أبو منصور الثعالبي فى كتاب ألفه له) قال فى أوله اما على اثر حمد الله الذى هو أول كتابه وآخر دعوى ساكنى دار ثوابه والصلاة على خيرته من بريته وعلى الصفوة من ذريته فان خير الكلام ما شغل بخدمة من جمع الله له عزة الملك الى بسطة العلم ونور الحكمة الى نفوذ الحكم وجعله ميزا على ملوك العصر ومدبرى الارض وولاة الامر بخصائص من العدل وجلائل من الفضل ودقائق من الكرم المحض لا يدخل أيسرها تحت العادات ولا يدرك أقلها بالعبارات ومحاسن سير الايام تحرسها أسنة الاقلام وتدرسها ألسنة الليالى والايام وهذه صفة تغنى عن تشبيه الموصوف لاختصاصه بمعناها واستحقاقه اياها واستئثاره على جميع الملوك بها ولعلم سامعها ببديهة السماع أنها للامير شمس المعالى خالصة وعليه مقصورة وبه لائقة وعن غيره نافرة اذ هو بمعاينة الآثار وشهادة الاخبار واجماع الاولياء واتفاق الاعداء كافل المجد وكافى الخلق وواحد الدهر وغرة الدنيا ومفزع الورى وحسنة العالم وبركة الملك الدائر فبلغه الله اقصى نهاية العمر كما بلغه أقصى غاية الفخر وملكه ازمة الامر كما ملكه أعنة

فاذا رأى ابليس غرة وجهه * حيا وقال فديت من لا يفلح

(وقال رجل للحسن) أبا سعيد أردت البارحة ان أصلى فلم أستطع قال قيدتك ذنوبك ❁ (قولهم فى الموت) ❁ قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه ما عندك من ذكر الموت أبا حفص قال أمسى فما ارى انى أصبح وأصبح فما ارى انى أمسى قال الامر وشك من ذلك أبا حفص اما انه يخرج عن نفسى فما أرى انه يعود الى (وقال عبيد الله بن شداد) أرى داعى الموت لا يقلع ومن مضى لا يرجع ومن بقى فاليه ينزع (وقال الحسن) ابن آدم انما انت عدد فاذا مضى يومك فقد مضى بعضك (وقال أبو العتاهية)

الناس فى غفلاتهم * ورحى المنية تطحن

(وقال عمر بن عبد العزيز) من أكثر من ذكر الموت اكتفى باليسير ومن علم أن الكلام عمل قل كلامه الا فيما ينفع (وكان) أبو الدرداء اذا رأى جنازة قال اغدى فانا رائحون أو روحى فانا غادون (وقال رجل) للحسن مات فلان فجأة فقال لو لم يمت فجأة لمرض فجأة ثم مات (وقال) يعقوب صلوات الله عليه للبشير الذى أتاه بقميص يوسف ما أدرى ما أثيبك به ولكن هون الله عليك سكرات الموت (وقال) أبو عمرو بن العلاء لقد جلست الى جرير وهو يملى على كاتبه * ودع امامة حان منك رحيل * ثم طلعت جنازة فامسك وقال شيبتنى هذه الجنازة قلت فلم تساب الناس قال يبدؤننى ثم لا أعفو وأعتدى ولا ابتدى ثم أنشأ يقول

تروعنا الجنائز مقبلات * فنلهو حين تذهب مدبرات
كروعة هجمة لمغار سبع * فلما غاب عادت راتعات

(وقالوا) من جعل الموت بين عينيه لها عما فى يديه وقالوا اتخذ نوح بيتا من جص فقيل لو بنيت ما هو احسن من هذا قال هذا كثير لمن يموت (واحكم) بيت قالته العرب فى وصف الموت بيت أمية بن أبى الصلت حيث يقول

يوشك من فر من منيته * فى بعض غراته يوافقها
من لم يمت غبطة يمت هرما * للموت كاس والمرء ذائقها

(وقال) أصبغ بن الفرج كان بنجران عابد يصيح فى كل يوم صيحتين بهذين البيتين

قطع البقاء مطالع الشمس * وغدوها من حيث لا تمسى
وطلوعها حمراء قانية * وغروبها صفراء كالورس
اليوم يخبر ما يجىء به * ومضى بفصل قضائه أمس

الفضل وأدام حسن النظر للعباد والبلاد بادامة أيامه التى هى أعياد الدهر ومواسم اليمن والامن ومطالع الخير والسعد وزاد دولته شبابا ونموا كما زاد فى الشرف علوا حتى تكون السعادة وفد بابه والبشائر قرى سمعه والمسار غذاء نفسه ويترامى به الاقبال الى حيث لا يبلغه أمل ولا يقطعه اجل ونحا فى قوله وهذه صفة تغنى عن الموصوف الى قول ابى الطيب يرثى اخت سيف الدولة

يا أخت خير أخ يا بنت خير أب * كناية بهما عن أشرف النسب
اجل قدرك ان تسمى مؤنثة * ومن دعاك فقد سماك للعرب

(وفى شمس) المعالى يقول الامير ابو الفضل الميكالى

لا تبصين شمس المعالى قابوسا * فان عصى قابوس لاقى بوسا

وله يقول بديع الزمان فى قصيدة نظمها فى تضاعيف رسالة موشحة

ان من كنت من مناه برأى * وتعداك سيئ الاقتراح
بين بشر برد غائض جاهى * وقبول يعيد ريش جناحى
وبساط وردت مشرعة الانس به وادرعت برد النجاح
فاقض اوطار التقت والمعالى * فى نظام من التهى ونصاح
ملك دونه تقطع ابصار الليالى يوما ندى وكفاح
ملك لو يشاء مد على النجم رواقا ورد وفد الرياح
تارة فى خشونة الدهر تلقاه وطورا فى حسن ذات الوشاح
ملك كلما بدا تقف الافلاك عجبا به وفرط ارتياح
هكذا هكذا تكون المعالى * طرق الجد غير طرق المزاح

وهى طويلة كتبتها على طريق الاختيار (رقعة لبديع الزمان الى شمس المعالى وقد ورد حضرته) لم تزل الآمال اطال الله بقاء الامير السيد شمس المعالى وادام سلطانه تعدنى هذا اليوم والايام تمطلنى بألسنة صروفها على اختلاف صنوفها بين حلو استرقنى ومر استعقنى وشر صار الى وخير صرت اليه وانا فى خلال هذه الاحوال اربع الآفاق فأكون طورا مشرقا بالمشرق الاقصى وطورا مغربا بالمغرب لا مطمح الا حضرته الرفيعة وسدته المريعة ولا وسيلة الا المنزع الشاسع والامل الواسع وقد صرت أطال الله بقاء الامير مولانا بين انياب النوائب وتجشمت هول الموارد وركبت اكتاف المكاره ورضت اخلاف العوائق ومسحت أطراف المراحل حتى حضرت الحضرة البهية أوكدت وبلغت الامنية اوزدت وللامير السيد فى الاصغاء الى المجد والبسط من عنان الفضل بتمكين خادمه من المجلس بلقاء بقدمه والبساط بلثمه بفمه تفضله فله الرأى العالى ان شاء الله (وله الى بعض الرؤساء وقد وعد بحضور مجلسه بالغد وأمره أن يزف اليه ما أنشأه فبعث به وكتب اليه) مرحبا بسلام الشيخ سيدى ومولاى أطال الله بقاءه ولا كالمرحب بطلعته وقد وصلت تحيته فشكرتها وعدته الجميلة بالحضور غدا فانتظرتها ودعوت الله أن يطوى ساعات النهار ويزج الشمس فى المغار ويقرب مسافة الفلك الدوار ويرفع البركة من سيره ويحهز الحركة الى دوره ويسرفى

(وقال آخر)

زينت بيتك جاهلا وعمرته * ولعل غيرك صاحب البيت
من كانت الايام سائرة به * فكأنه قد حل بالموت
والمرء مرتهن بسوف وليتنى * وهلاكه فى السوف والليت
لله در فتى تدبر أمره * فغدا وراح مبادر الموت

(وقال صريع الغوانى)

كم رأينا من أناس هلكوا * قد بكوا أحبابهم ثم بكوا
تركوا الدنيا لمن بعدهم * ودهم لو قدموا ما تركوا
كم رأينا من ملوك سوقة * ورأينا سوقة قد ملكوا

(وقال الصلتان العبدى)

أشاب الصغير وأفنى الكبير * كر الليالى ومر العشى
اذا ليلة هرمت يومها * أتى بعد ذلك يوم فتى
نروح ونغدو لحاجاتنا * وحاجة من عاش لا تنقضى
تموت مع المرء حاجاته * وتبقى له حاجة ما بقى

(وكان) سفيان بن عيينة يستحسن قول عدى بن زيد

اين أهل الديار من قوم نوح * ثم عاد من بعدها وثمود
بينما هم على الاسرة والانماط أفضت الى التراب الخدود
وصحيح أمسى يعود مريضا * وهو أدنى للموت ممن يعود
ثم لم ينقض الحديث ولكن * بعد ذا كله وذاك الوعيد

(وقال أبو العتاهية فى وصف الموت)

كأن الارض قد طويت عليا * وقد أخرجت مما فى يديا
كأنى صرت منفردا وحيدا * ومرتهنا لديك بما عليا
كأن الباكيات على يوما * ولا يغنى البكاء على شيا
ذكرت منيتى فنعيت نفسى * الا أسعد أخيك يا أخيا

(وقال)

ستخلق جدة وتجود حال * وعند الحق تختبر الرجال
وللدنيا ودائع فى قلوب * بها جرت القطيعة والوصال
تخوف ما لعلك لا تراه * وترجو ما لعلك لا تنال
وقد طلع الهلال لهدم عمرى * وأفرح كلما طلع الهلال

(وله أيضا)

من يعش يكبر ومن يكبر يمت * والمنايا لا تبالى من أتت
نحن فى دار بلاء وأذى

وبه ظلام ويذر تاما لم يابيت الاريثما رشغل وقد بعثت عاطلب سعا الامر وطاعة والنعمة أسقم من أجفان الغضبان والشيخ سيدى آدام الله عزه بركض قلمه فى اصلاحها وحبذا هو فى غد وقد طلع كالصبح اذا سطع والبرق اذا لمع يا مرحبا بغد و يا أهلاه * ان كان المام الاحبة فى غد

(وله الى أبى الطيب سهل بن محمد يسأله أن يصله بأبى ابراهيم اسمعيل بن احمد) لو كان للكرم عن جناب الشيخ مولاى أطال الله بقاءه وأدام تأييده ونعماءه عن جنابه منصرف لانصرفت أو للامل مصرف الى سواه لانحرفت أو للنجح باب سواه لولجت أو للفضل خاطب غيره لزوجت ولكن أبى الله ان يعقد الا عليه الخنصر او يحلى الا به فواضله الدهر ولا نزال كذا يقسم المجد بسمته ويجذب الملاء بهمته ويسعد الدين بنظره والدنيا بجماله وغلامه أنا لو استعار الدهر لسانا واتخذ الريح ترجمانا ليشيع انعامه حق الاشاعة اقصرت عنه يد الاستطاعة فليس الان يلبس مكارمه ضافية سابغة ويرد مشارعه صافية سائغة ويحيل الجزاء على يد قصور والشكر على لسان قصير ثم ان حاجاتى اذا لم يعر من قلائد المجد نحرها ولم يعطل عن حلى الجود صدرها كبر مهرها وعز كفؤها ولم أجد لها الا واحدا أخضر الجلدة فى بيت العرب أوماجدا علا الدلو الى عقد الكرب وهذه حاجة أنا ازفها الى الشيخ الامام حرس الله مهجته وأسوقها منظومة من الصدر الى العجز كما يساق الماء الى الارض الجرز وأنا من مفتتح اليوم الى مختتمه ومن قرن النهار الى قدمه قاعد كالكركى أو الديك الهندى فى هذا الادهى عربى أولو الحلى والحلل ويجتاز ذو والخيل والخول وما أنا و النظر الى مالا يعنينى والسؤال عما لا يعنينى واليوم لما افتضضت عذرة الصباح ملأت جفونى من منظر ما وجدته بلا عيب يصرف عين كماله عن جماله فقلت لمن حضر من هذا فاخذوا يحركون الرؤس استظرافا لحالى ويتغامزون تعجبا من سؤالى وقالوا هذا الشيخ الفاضل يخاف أبو ابراهيم اسمعيل بن أحمد فقلت حرس الله مهجته وأدام غبطته فكيف الوصول الى خدمته • وانى مأتى معرفته قالوا ان الشيخ الامام ادام الله تأييده يضرب فى مودته بالقدح المعلى ويؤخذ فى معرفته بالحظ الاعلى فان رأى الشيخ أطال الله بقاءه أن يجعل عنايته حرف الصلة وتفضله لام المعرفة فعل (قال الرشيد) ليحيى بن خالد ياأبت انى أردت أن أجعل الخاتم الذى فى يد الفضل الى جعفر وقد احتشمت منه فاكفنيه فكتب اليه يحيى قد أمر أمير المؤمنين أعلى الله أمره أن يحول الخاتم من يمينك الى شمالك فأجاب الفضل قد سمعت ما قاله أمير المؤمنين فى أخى وقد اطلعت على أمره وما انقلبت عنى نعمة صارت اليه ولا عزبت عنى رتبة طلعت عليه فقال جعفر لله أخى ما انفس نفسه وأبين دلائل الفضل عليه وأقوى منة العقل فيه وأوسع فى البلاغة ذرعه وأرحب بها جنابه يوجب على نفسه ما يجب له و يحمل بكرمه

وشقاء وعناء وعنت * منزل ما يثبت المرء به * سالما الا قليلا ان ثبت

أيها المغرور وماهذا الصبا * لو نهيت النفس عنه لانتهت * رحم الله امرأ انصف من نفسه اذ قال خيرا أو سكت

(ومن قولنا فى ذكر الموت)

من لى اذا جدت بين الاهل والولد * وكان منى نحو الموت قيس يدى

والدمع يهمل والانفاس صاعدة * فالدمع فى صبب والنفس فى صعد

ذاك القضاء الذى لاشئ يصرفه * حتى يفرق بين الروح والجسد

(ومن قولنا فيه)

أتلهو بين باطية وزير * وأنت من الهلاك على شفير * فيامن غره أمل طويل

يؤديه الى أجل قصير * أتفرح والمنية كل يوم * تريك مكان قبرك فى القبور

هى الدنيا فان سرتك يوما * فان الحزن عاقبة السرور * ستسلب كل ما جمعت منها

كعارية ترد الى المعير * وتعتاض اليقين من التظنى * ودار الحق من دار الغرور

(ولابى العتاهية) وليس من منزل يأويه مرتحل * الا وللموت سيف فيه مسلول

(وله أيضا)

ما أقرب الموت منا * تجاوز الله عنا * كأنه قد سقانا * بكاسه حيث كنا

(وله أيضا) أؤمل ان اخلد والمنايا * يثبن على من كل النواحى

وما أدرى اذا أمسيت حيا * لعلى لا أعيش الى الصباح

(وقال الغزال) أصبحت والله مجهودا على أمل * من الحياة قصير غير ممتد

وما أفارق يوما من أفارقه * الا حسبت فراقى آخر العهد

انظر الى اذا أدرجت فى كفنى * وانظر اذا أدرجن فى لحدى

واقعد قليلا وعاين من يقيم معى * ممن يشيع نعشى من ذوى ودى

هيهات كلهم فى شأنه لعب * يرمى التراب و يحثوه على خدى

(وقال أبو العتاهية) نعى لك ظل الشباب المشيب * ونادتك باسم سواك الخطوب

فكن مستعدا لريب المنون * فان الذى هو آت قريب

وقبلك داوى الطبيب المريض * فعاش المريض ومات الطبيب

يخاف على نفسه من يتوب * فكيف ترى حال من لا يتوب

(وله أيضا)

أخي ادّخرهما استطعت ليوم بؤسك وافتقارك
فلتنزلن بمنزل * يحتاج فيه الى ادخارك

(وقال أبو الاسود الدؤلي)

أيها الآمل ما ليس له * ربما غرّ سفيها أمله رب من مات يمنى نفسه
حال من دون مناه أجله والفتى المحتال فيما نابه * ربما ضاقت عليه حيله
قل لمن قدمات في اشعاره * يهلك المرء ويبقى مثله
نافس المحسن في احسانه * فسيكفيك مسيأ عمله

(وقال عدي بن زيد العبادي)

أين كسرى كسرى الملوك انوشر * وان أم اين قبله سابور وبنو الاصفر الكرام ملوك ال
روم لم يبق منهم مذكور وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـ * ـلة تجبي اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلـ * ـسا فللطير في ذراه وكور لم يهبه ريب المنون فباد الـ
ـملك عنه فبابه مهجور وتفكر رب الخورنق اذ أشـ * ـرف يوما وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يمـ * ـلك والبحر معرضا والسدير فارعوى قلبه وقال فما غبـ
ـطة حي الى الممات يصير ثم بعد الفلاح والملك والنعـ * ـمة وارتهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور

(وقال جبلة بن حريث العذري)

يا قلب انك في الاحياء مغرور * فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
حتى متى أنت فيها مدنف وله * لا يستفزنك منها البدر والحور
قد بحت بالجهل لا تخفيه عن أحد * حتى جرت بك اطلاقا محاضير
تريد أمرا فما تدري أعاجله * خير لنفسك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيرا وارضين به * فبينما العسر اذ دارت مياسير
وبينما المرء في الاحياء مغتبطا * اذ صار في الرمس تعفوه الاعاصير
حتى كأن لم يكن الا توهمه * والدهر في كل حاليه دهارير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته في الحي مسرور

فوق طاقته (ذكر) جعفر بن يحيى في مجلس ثمامة بن أشرس فقال ما رأيت أحدا من خلق الله كان أبسط لسانا ولا ألحن بحجته ولا أقدر على كلام بنظم حسن وألفاظ عذبة ومنطق فصيح من جعفر بن يحيى كان لا يتوقف ولا يتحبس ولا يصل كلامه بحشو من الكلام ولا يعيد لفظا ولا معنى ولا يخرج من فن الى غيره حتى يبلغ آخر ما فيه وكان لا يرى شيأ الا حكاه ولا يحكي شيأ الا كان أكثر منه ولا يمر بذهنه شيء الا حفظه وكان اذا شاء أضحك الثكلى وأذهل الزاهد وخشن قلب العابد قلت فكيف كانت معرفته قال كان من أعلم الناس بالخبر الباهر والشعر النادر والمثل السائر والفصاحة التامة واللسان البسيط (قال) سهل بن هرون وذكر يحيى [illegible] وابنه جعفرا فقال لو كان الكلام متصوّرا درا ويلقيه المنطق جوهرا لكان كلامهما والمنتقى من الفاظهما ولقد عبرت معهما وأدركت طبقة المتكلمين في أيامهما وهم يرون البلاغة لم تستكمل الا فيهما ولم تكن مقصورة الا عليهما ولا انقادت الا لهما وانهما للباب الكرم عتق منظر وجودة مخبر وسهولة لفظ وجزالة منطق ونزاهة نفس وكمال خصال حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهما والمأثور من خصائصهما جميع أيام من سواهما من لدن آدم الى أن ينفخ في الصور ويبعث أهل القبور حاشا انبياء الله الكرام وسلف عباده الصالحين لما باهت الا بهما ولا عوّلت في الفخر الا عليهما ولقد كانا مع تهذيب أخلاقهما ومعسول مذاقهما وسنا اشراقهما وكمال خصال الخير فيهما في محاسن المأمون كالنقطة في البحر والخردلة في القفر * ووقع جعفر بن يحيى لرجل اعتذر عنده من ذنب قد قدمت طاعتك وظهرت نصيحتك ولا تغلب سيئة حسنتين ووقع وقد قرأ كتابا فاستحسن خطه الخط خيط الحكمة ينظم فيه منثورها ويفصل فيه شذورها * واختصم رجلان بحضرته فقال لاحدهما

أنت خلي وهذا شجي فكلامك يجري على برد العافية وجوابه يجري على حر المصيبة (ودخل) مروان بن أبي حفصة على جعفر بن يحيى فانشده ابر فما ترجو الجياد لحاقه * ابو الفضل سباق الاصاحيم جعفر وزير اذا ناب الخلافة حادث * اشار بما عنه الخلافة تصدر فقال جعفر انشدني مرثيتك في معن بن زائدة فانشده اقما باليمامة أو نسينا * مقاما ما نريد به زوالا وقلنا اين نذهب بعد معن * وقد ذهب النوال فلا نوالا وكان الناس كلهم لمعن * الى ان زار حفرته عيالا حتى فرغ من القصيدة وجعفر يرسل دموعه على خديه فقال هل اثابك على هذه المرثية احد من اهل بيته وولده قال لا قال فلو كان معن حيا ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها قال اربعمائة دينار قال فانا كنا اظن انه لا يرضى لك بذلك وقد امرنا لك عن معن رحمه الله بالضعف مما ظننته وزدناك مثل ذلك فاقبض من الخازن الفا وستمائة دينار قبل ان تخرج فقال مروان يذكر جعفرا وما سمع به عن معن نفحت مكافئا عن جود معن *

انافيما تجودبه مهالا * فجلت العطية يا ابن يحيى * لنادبه ولم ترد المطالا   فكافأ عن صدى من جواد * بأجود راحة بذلت نوالا
بنى لك خالد وأبوك يحيى * بناء فى المكارم لن ينالا   كأن البرمكى لكل مال * تجود به يداه يغادمالا   (اخذ هذا من قول زهير)
تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى انت سائله   وهذا البيت لزهير من قصيدة يقول فيها   وذى نعمة تممتها وشكرتها *
وخصم يكاد يغلب الحق باطله   دفعت بمعروف من الحق صائب * اذا ما أضل القائلين معاضله   وذى خطل فى القول يحسب انه
مصيب فما يلمم به فهو قائله   عبأت له حلما وأكرمت غيره * وأعرضت عنه وهو باد مقاتله   وأبيض فياض يداه غمامة
على معتفيه ما تغب نوافله   غدوت عليه غدوة فرأيته * قعودا لديه بالصريم عواذله   يفدينه طورا وطورا يلمنه

وأعيا فما يدرين اين مخاتله
فأعرضن عنه من كريم مرزأ
جموح عن الامر الذى هو فاعله
أخى ثقة لا يذهب الخمر ماله
ولكنه قد يذهب المال نائله

(قال) أبو الفرج قدامة بن جعفر فى معنى أبيات زهير الاولى لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان على ما عليه أهل الالباب من الاتفاق فى ذلك انما هى العقل والعفة والعدل والشجاعة كان القاصد لمدح بهذه الاربعة مصيبا و بما سواها مخطئا وقد قال زهير

أخى ثقة لا يتلف الخمر ماله
ولكنه قد يهلك المال نائله

فوصفه بالعفة لقلة امعانه فى اللذات وانه لا ينفد فيها ماله وبالسخاء لاهلاك ماله فى النوال وانحرافه عن غير ذلك من اللذات وذلك هو العدل ثم قال

تراه اذا ما جئته متهللا
كأنك تعطيه الذى أنت سائله

فزاد فى وصف السخاء بأنه يهش ولا يلحقه مضض ولا تكره لفعله ثم قال   فمن مثل حصن فى الحروب ومثله   فبلغ
لانكار ضيم اولامر يحاوله   فأتى فى هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل فاستوفى ضروب المدح الاربعة التى هى فضائل الانسان على الحقيقة وزاد الوفاء وان كان داخلا فى الاربعة فكثير من الناس لا يعلم وجه دخوله فيها حيث قال اخى ثقة فوصفه بالوفاء والوفاء داخل فى هذه الفضائل التى قدمناها وقد يتفنن الشعراء فيعدون أنواع الفضائل الاربع وأقسامها وكل ذلك داخل فى جملتها مثل أن يذكروا ثقابة المعرفة والحياء والبيان والسياسة والصدع بالحجة والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى وهو من أقسام العقل وكذكرهم القناعة وقلة الشره وطهارة الازار وغير ذلك أيضا من أقسام العفة وكذكرهم الحماية والاخذ بالثار والدفاع والنكاية والمهابة وقتل الاقران والسير فى المهامه والقفار وما شاكل ذلك وهو من أقسام الشجاعة وكذكرهم السماحة والتغابن

فذاك آخر عهد من أخيك اذا * ما ضمنت شلوه اللحد المحافير

(قولهم فى الطاعون) قال أبو عبيدة بن الجراح لعمر بن الخطاب رضوان الله عليه لما بلغه أن الطاعون وقع فى الشام فانصرف بالناس أفرارا من قدر الله يا أمير المؤمنين قال عمر لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم نفر من قدر الله الى قدر الله أرأيت لو أن لك ابلا هبطت بها واديا له جهتان احداهما خصيبة والاخرى جديبة أليس لو رعيت فى الخصيبة رعيتها بقدر الله ولو رعيت الجديبة رعيتها بقدر الله وكان عبد الرحمن بن عوف غائبا فأقبل فقال عندى فى هذا علم سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به فى أرض فلا تقدموا عليها واذا وقع فى أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف بالناس (وقيل) للوليد بن عبد الملك حين فر من الطاعون يا أمير المؤمنين ان الله يقول قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا قال ذلك القليل نطلب (العتبى) قال وقع الطاعون بالكوفة فخرج صديق لشريح الى النجف فكتب اليه شريح أما بعد فان الموضع الذى هربت منه لم يسق الى أجلك تمامه ولم يسلبه أيامه وان الموضع الذى صرت اليه لبعين من لا يعجزه طلب ولا يفوته هرب وأنا واياك على بساط ملك والنجف من ذى قدرة لقريب (لما) وقع الطاعون الجارف أطاف الناس بالحسن فقال ما أحسن ما صنع بكم ربكم أقلع مذنب وأنفق ممسك (وخرج) اعرابى هاربا من الطاعون فلدغته أفعى فى طريقه فمات فقال أخوه يرثيه

طاف يبغى نجوة * من هلاك فهلك   ليت شعرى ضلة * أى شئ قتلك
أجحاف سائل * من جبال حملك   والمنايا رصد * للفتى حيث سلك
كل شئ قاتل * حين تلقى أجلك

(حكى) ان ماء المطر اتصل فى وقت من الاوقات فقطع الحسن بن وهب عن لقاء محمد بن عبد الملك الزيات فكتب اليه الحسن

يوضح العذر فى تراخى اللقاء * ما توالى من هذه الانواء   فسلام الاله اهديه منى
كل يوم لسيد الوزراء   لست أدرى ماذا أذم واشكو * من سماء تعوقنى عن سماء
غير انى أدعو لهاتيك بالثكل وادعو لهذه بالبقاء

(اتصل) لمحمد بن أبى داود أن محمد بن عبد الملك هجاه بقصيدة فيها تسعون بيتا فقال

أحسن من تسعين بيتا سدى * جمعك معناهن فى بيت
ما أحوج الناس الى مطرة * تزيل عنهم وضر الزيت

والانظلام والتبرع بالنائل واجابة السائل وقرى الاضياف وما جانس هذه الاشياء وهو من أقسام العدل فأما تركيب بعضها على بعض فتحدث منها ستة اقسام يحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على الملمات ونوازل الخطوب والوفاء بالايعاد وعن تركيب العقل مع السخاء انجاز الوعد وما أشبه ذلك وعن تركيب العقل والعفة التنزه والرغبة عن المسئلة والاقتصار على أدنى معيشة وما أشبه ذلك وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الاتلاف والاخلاف وما أشبه ذلك وعن تركيب الشجاعة مع العفة انكار الفواحش والغيرة على الحرم ومن السخاء مع العفة الاسعاف بالقوت والايثار على النفس وما شا كل ذلك وكل واحدة من هذه الفضائل الاربع وسط بين طرفين مذمومين

وقد قال أبو جعفر محمد بن مناذر لما حج الرشيد مع البرامكة أتانا بنو الاملاك من آل برمك ٣٠٧ * فيا طيب اخبار ويا حسن منظر

لهم رحلة فى كل عام الى العدى
وأخرى الى البيت العتيق المطهر
فتظلم بغداد ويجلو لنا الدجا
بمكة ما حجوا ثلاثة أقمر
اذا نزلوا بطحاء مكة اشرقت
بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت الا لجود أكفهم
وأقدامهم الا لاعواد منبر
اذا راض يحيى الامر ذلت صعابه
وحسبك من راع له ومدبر
ترى الناس اجلالا له وكانهم
غرانيق ماء تحت باز مصرصر

(قطعة من شعر الامير أبى الفضل الميكالى) فى طرف آخذة بطرف من التجنيس مستطرفة فى ضروب من الغزل قال

لقد راعنى بدر الدجا بصدوده
ووكل أجفانى برعى كواكبه
فيا جزعى مهلا عساه يعود لى
ويا كبدى صبرا على ما كوالك به

(وقال)

مواعيده فى الفضل احلام نائم
اشبهها بالقفر او بسرابه
فمن لى بوجه لو تحير فى الدجا
اخو سفر فى ليل غيم سرى به

(وقال) صل محبا اعياه وصف هواه * فضناه ينوب عن ترجمانه
كلما راقه سواك تصدت * مقلتاه بدمعه ترجمانه (وقال)
ماذا الذى ارسل من طرفه * على سيفا قدنى لو فرا
شفاء نفسى منك تخميشة * تغرس فى خدك نيلوفرا (وقال)
يا مبتلى بضناه بر حور جمة * من مالك يشفيه من أوصابه
اوصالك سحر جفونه بتسهد * وتباعد فقبلت ما أوصى به
اصبر على مضض الهوى ولربما * تحلو مرارة صبره أوصابه (وقال) كتبت اليه أستهدى وصالا * فعللنى بوعد فى الجواب
ألا ليت الجواب يكون خيرا * فيطفى ما أحاط من الجوابى (وقال) ان كنت تأنس بالحبيب وقربه * فاصبر على حكم الرقيب وداره
ان الرقيب اذا صبرت لحكمه * بوالك فى مثوى الحبيب وداره (وقال) شكوت اليه ما الاقى فقال لى *
رويدا ففى حكم الهوى أنت مولى * فلو كان حقا ما ادعيت من الهوى * لقل بما تلقى اذا أن تموت لى

فبلغ قوله محمدا فقال

يا أيها المافون رأيا لقد * عرضت لى نفسك للموت
قد برتم الملك فلم ينقه * حتى قلعنا القار بالزيت
الملك لا نزرى باحسابنا * احسابنا معروفة البيت

(وقيل) لابن ابى داود لم لا تسأل حوائجك الخليفة بحضرة محمد بن عبد الملك فقال لا أحب ان اعلمه شأنى (وقد حدث) ابو القاسم جعفر ابن محمد الحسنى قال اخبرنا محمد بن زكريا العلائى قال حدثنا محمد بن نجيح النوبختى قال حدثنا يحيى ابن سليمان قال حدثنى ابى وكان ممن لحق الصحابة قال دخلت الكوفة فاذا أنا برجل يحدث الناس فقلت من هذا قالوا بكر بن الطرماح فسمعته يقول سمعت زيد بن حسين يقول لما قتل أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أتى بنعيه الى المدينة كلثوم بن عمرو فكانت تلك الساعة التى أتى فيها اشبه بالساعة التى قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من باك وباكية وصارخ وصارخة حتى اذا هدأت عبرة البكاء عن الناس قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالوا حتى نذهب الى عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فننظر حزنها على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام الناس جميعا حتى اتوا منزل عائشة رضى الله عنها فاستأذنوا عليها فوجدوا الخبر قد سبق اليها واذا هى فى غمرة الاحزان وعبرة الاشجان ما تفتر عن البكاء والنحيب منذ وقت سمعت بخبره فلما نظر الناس الى ذلك منها انصرفوا فلما كان من غد قيل انها غدت الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق فى المسجد أحد من المهاجرين الا استقبلها يسلم عليها وهى لا تسلم ولا ترد ولا تطيق الكلام من غزرة الدمعة وغمرة العبرة تتخنق بعبرتها وتتعثر فى أثوابها والناس من خلفها حتى أتت الى الحجرة فأخذت بعضادتى الباب ثم قالت السلام عليك يا نبى الهدى السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا رسول الله وعلى صاحبيك يا رسول الله انا ناعية اليك احظى احبابك واذكرهم لك أكرم أوداتك عليك قتل والله حبيبك المجتبى وصفيك المرتضى قتل والله من زوجته خير النساء قتل والله من آمن ووفى وانى لنادبة ثكلاء وعليه باكية حراء فلو كشف عنك الثرى لقلت انه قتل أكرمهم عليك وأحظاهم لديك ولو أمرت أن يجيب النداء لك منى ما عرضى له منذ اليوم والله يجرى الامور على السداد (قال المبرد) عزى أحمد بن يوسف الكاتب ولد الربيع فقال عظم أجركم ووجه الى فقيدكم وجعل لكم من وراء مصيبتكم حالا يجمع شملكم ويلم شعثكم ولا يفرق ملأكم (وقيل لاعرابية) مات لها بنون عدة ما فعل بنوك قالت أكلهم دهر لا يشبع (وعزى) رجل الرشيد فقال يا أمير المؤمنين كان لك الاجر لا بك وكان العزاء لك لا عنك (ومما روى)

(وقال) نوى لى بعدا كثار السؤال * حسب أن دسامح بالنوال فلما رمت انجازا لوعدى * عليه أبى الوفاء بما نوى لى
وكان القرب منه شفاء نفسى * فقد قضت النوائب بالنوى لى (وقال) سقيا الدهر مضى والوصل يجمعنا *
ونحن نحكى عناقا شكل تنوين فصرت اذ عاقت كفى حبائلكم * فسهم هجرك ترمى ثم تنوين (وقال) صدف الحبيب بوصله
فبفار فادى اذ صدف لى ونثرت لؤلؤ ادمع * أضحى لها جفنى صدف (وقال) يامن يقول الشعر غير مهذب *
ويسومنى التعذيب فى تهذيبه لو أن كل الناس فيك مساعدى * اعجزت عن تهذيب ما تهذى به (وقال) اراد أن يخفى هواه وقد
نم بما يخفى أساريره وكيف يخفى داءه مدنف * قد ذاب من فرط الاسى ريره (وقال)

ان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما نعى اليه ابنه وهو فى السفر فاسترجع ثم قال عورة سترها الله
ومؤنة كفاها الله وأجر ساقه الله (وقال اسامة بن زيد) رضى الله عنهما ولما عزى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بابنته رقية قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات وفى رواية من المكرمات دفن
البنات (وقال الغزال) ماتت ابنة لبعض ملوك كندة فوضع بين يديه بدرة من الذهب وقال من
أبلغ فى التعزية فهى له فدخل عليه أعرابى فقال أعظم الله أجر الملك كفيت المؤنة وسترت العورة
ونعم الصهر القبر فقال له الملك أبلغت وأوجزت وأعطاه البدرة ﴿من أحب الموت ومن كرهه﴾
فى بعض الاحاديث لا يتمنى أحدكم الموت فعسى أن يكون محسنا فيزداد فى احسانه ويكون مسيأ
فينزع عن اساءته (وقد) جاء فى الحديث يقول الله تبارك وتعالى اذا أحب عبدى لقائى أحببت
لقاءه واذا كره لقائى كرهت لقاءه وليس معنى هذا الحديث حب الموت وكراهته ولكن معناه من
أحب الله أحبه الله ومن كره الله كرهه الله (وقال) أبو هريرة كره الناس ثلاثا وأحببتهن كرهوا
المرض وأحببته وكرهوا الفقر واحببته وكرهوا الموت وأحببته (عبد الاعلى بن حماد) قال دخلنا
على بشر بن منصور وهو فى الموت واذا هو من السرور فى أمر عظيم فقلنا له ما هذا السرور قال سبحان
الله أخرج من بين الظالمين والحاسدين والمغتابين والباغين واقدم على أرحم الراحمين ولا امر
(ودخل) الوليد بن عبد الملك المسجد فخرج كل من كان فيه الا شيخا قد حناه الكبر فأرادوا أن
يخرجوه فأشار اليهم أن دعوا الشيخ ثم مضى حتى وقف عليه فقال له يا شيخ تحب الموت قال لا يا امير
المؤمنين ذهب الشباب وشره وأتى الكبر وخيره فاذا قمت حمدت الله واذا قعدت ذكرته فأنا أحب
أن تدوم لى هاتان الخلتان (عبد الله بن عمر) جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يارسول الله مالى لا أحب الموت قال هل لك مال قال نعم قال فقدمه بين يديك قال لا أطيق ذلك فقال
النبى عليه السلام أن المرء مع ماله ان قدمه أحب أن يلحقه وان أخره أحب أن يتخلف معه
(وقال الشاعر فى كراهية الموت)

قامت تشجعنى هند فقلت لها * ان الشجاعة مقرون بها العطب
لا والذى منع الابصار رؤيته * ما يشتهى الموت عندى من له أدب

(وقالت) الحكماء الموت كريه (وقالوا) أشد من الموت ما اذا نزل بك أحببت له الموت وأطيب
من العيش ما اذا فارقته أبغضت له العيش ﴿التهجد﴾ المغيرة بن شعبة قال قام النبى صلى الله عليه
وسلم حتى ورمت قدماه (وقيل) للحسن ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها قال انهم خلوا

ومهفهف تهفو بلبـ
ـب المرء منه شمائل
فالردف دعص هائل
والقد غصن مائل
والخد نور شقائق
تنشق عنه خمائل
والعرف نشر حدائق
نمت بهن شمائل
والطرف سيف ماله
الا العذار حمائل
(ولابى الفتح البستى فى هذا المذهب)
ان لى فى الهوى لسانا كتوما
وجنانا يخفى حريق جواه
غير انى أخاف دمعى عليه
ستراه يفشى الذى ستراه
(ولابى الفتح البستى فى مذهب هذا البيت الاخير)
ناظراه فيما جنى ناظراه
أودعانى أمت بما أودعانى
(وله)
خذ العفو وأمر بعرف كما
أمرت وأعرض عن الجاهلين
وان فى الكلام لكل الانام
فمستحسن من ذوى الجاه لين
(وله)
الى حتفى سعى قدمى * ارى قدمى اراق دمى فما أنفك من ندمى * وليس بنافعى ندمى (وله) بالرحمن
ان هز اقلامه يوما ليعملها * انساك كل كمى هز عامله وان أقر على رق انامله * اقر بالرق كتاب الانام له (وقال لمن استدعاه
الى مودته) فديتك قل الصديق الصدوق * وقل الخليل الحفى الوفى ولى راغب فيك اما وفيت * فهل راغب انت فى ان تفى
(وللامير ابى الفضل) اهلا بظبى حواه قصر * كجنة قد حوت نعيما طرقته لا اهاب سوأ * اباحنى حبه الحريما
فعاد من فيه لى براح * تنفى حريقا به قديما افدى حريقا اباح ريقا * لا بل حريما اباح ريما (وله)
من لى بشمل المنى والانس اجمعه * بشادن حل فيه الحسن اجمعه ما زال يعرض عن وصلى واخدعه * فالآن قد لان بعد الصد اخدعه
(وقال) بابى غزال نام عن وصبى به * وسرا فى دمعى للنوى وصبيبه ياليته يرثى على ولهى به * اغرام دابى فى الهوى ولهيبه

(وله في هذا الباب) من غير هذا الفظ يصف غلاما مخمورا خمش وجهه * به تغيرحا الاعن عهده * ورمى فؤادي بالصدود فأزعجا
مابال نرجسه تحوّل وردة * والورد في خديه عاد بنفسجا (وله في هذا المعنى) وريم على السكر خمشته * بقرص بعارضه أثرا
فأصبح نرجسه وردة * ووردة خديه نيلوفرا (وقال في وصف العذار) طي كسا رأسي المشيب بعارض * ثم العذار بحافتيه فلاحا
فكأنما أهدى لعارض خده * شعري ظلاما واستعاض صباحا (وقال في غلام افتصد) ومهفهف غرس الجمال بخده روضا مريعا
فصد الطبيب ذراعه * فجرى له دمي ذريعا وأمني وقع الحديد بعرقه ألما وجيعا فأريته من عبرتي * ماسال من دمه نجيعا

{فقر في ذكر العلم والعلماء} العلماء ورثة الانبياء العلماء أعلام الاسلام العلماء في الارض كالنجوم في السماء (ابن المعتز)

بالرحمن فاسفر نورهم من نوره (وكان) بعضهم يصلي الليل حتى اذا نظر الى الفجر قال عند الصباح يحمد القوم السرى (وقالوا) الشتاء ربيع المؤمنين يطول ليلهم للقيام ويقصر نهارهم للصيام (وقال) صلى الله عليه وسلم اطعموا الطعام وأفشوا السلام وصلوا بالليل والناس نيام (وقال) الله تبارك وتعالى وبالاسحار هم يستغفرون وهذا يوافق الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل الى سماء الدنيا في الثلث الاخير من الليل فيقول هل من سائل فاعطيه هل من داع فاستجيب له هل من مستغفر فاغفر له هل من مستغيث فاغيثه (أبو عوانة) عن المغيرة قال قلت لابراهيم النخعي ما تقول في الرجل يرى الضوء بالليل قال هو من الشيطان لو كان خيرا لاريه أهل بدر {البكاء من خشية الله عز وجل} قال النبي صلى الله عليه وسلم حرم الله على النار كل عين تبكي من خشية الله وعين غضت عن محارم الله (وكان) يزيد الرقاشي قد بكى حتى سقطت أشفار عينيه (وقيل) لغالب بن عبد الله أما تخاف على عينيك من العمى من طول البكاء فقال شفاؤها أريد (وقيل) ليزيد بن مزيد ما بال عينك لا تجف قال أي أخي ان الله أوعدني ان عصيته ان يحبسني في النار ولو أوعدني أن يحبسني في الحمام لكنت حريا ان لا تجف عيني (وقال) عمر بن ذر لابيه مالك اذا تكلمت أبكيت الناس واذا تكلم غيرك لم يبكهم قال يا بني ليست النائحة الثكلاء مثل النائحة المستأجرة (وقال) الله لنبي من انبيائه هب لي من قلبك الخشوع ومن عينيك الدموع ثم ادعني أستجب لك (ومن قولنا في البكاء)

مدامع قد خددت في الخدود * وأعين مكحولة بالهجود
ومعشر أوعدهم ربهم * فبادروا خشية ذاك الوعيد
فهم عكوف في محاريبهم * يبكون من خوف عقاب المجيد
قد كاد أن يعشب من دمعهم * ماقابلت اعينهم في السجود

(وقال قيس بن الاصم في هذا المعنى)

صلى الاله على قوم شهدتهم * كانوا اذا ذكروا أو ذكروا شهقوا
كانوا اذا ذكروا نار الجحيم بكوا * وان تلا بعضهم تخويفا صعقوا
من غير همز من الشيطان يأخذهم * عند التلاوة الا الخوف والشفق
صرعى من الحزن قد سجوا ثيابهم * بقية الروح في أوداجهم رمق
حتى تخالهم لو كنت شاهدهم * من شدة الخوف والاشفاق قد زهقوا

العلماء غرباء لكثرة الجهال (وله) العلم جمال لا يخفى ونسب لا يخفى (وله) زلة العالم كانكسار سفينة تغرق ويغرق معها خلق كثير (غيره) اذا زل العالم زل بزلته عالم (غيره) الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا ما صين العلم بمثل بذله لاهله من كتم علما فكأنه جاهله
العلم يمنع أهله
أن يمنعوه أهله
(أبو الفتح كشاجم)
لا تمنع العلم امرأ
والعلم يمنع جانبه
اما الغبي فليس يفـ
ـهم لطفه وغرائبه
وتكون حاضرة الفوا
ئد عنده كالغائبه
واخو الحصافة مستحق
ق ان ينال مطالبه
فحقه اعطيته
من فضل علمك واجبه
ومن رق وجهه عند السؤال
رق علمه عند الرجال علم بلا عمل

كشجرة بلا ثمر كما لا ينبت المطر الكثير الصخر كذلك لا ينفع البليد كثرة التعلم من ترفع بعلمه وضعه الله بعمله الجاهل صغير وان كان كبيرا والعالم كبير وان كان صغيرا من أكثر مذاكرة العلماء لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم (ابن المعتز) المتواضع في طلاب العلم أكثرهم علما كما ان المكان المنخفض أكثر البقاع ماء اذا علمت فلا تذكر من دونك من الجهال واذكر من فوقك من العلماء النار لا ينقصها ما أخذ منها ولكن يخمدها ان لا تجد حطبا كذلك العلم لا يفنيه الاقتباس منه وفقد الحاملين له سبب عدمه مات خزنة الاموال وهم احياء وعاش خزان العلم وهم اموات مثل علم لا ينفع ككنز لا ينفق منه ازهد الناس في عالم جيرانه (وقيل للصلت بن عطاء) وكان مقدما عند البرامكة كيف غلبت عليهم وعندهم من هو آدب منك قال ليس للقرباء ظرافة الغرباء وكنت امرأ بعيد الدار نائي المزار غريب الاسم قليل الجرم كثير الالتواء شحيحا بالاملاء فرغبهم في رغبتي عنهم وزهدني فيهم رغبتهم في علم لا يعبر معك الوادي لا يعمر بك النادي

لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف أذا ازدحم الجواب خفى الصواب الغلط تحت اللغط خرق الاجماع خرق المحجوج بكل شئ ينطق ﴿استعارات فقهية تليق بهذا المكان﴾ دخل ابو تمام الطائى على احمد بن أبى دواد فى مجلس حكمه وانشده أبياتا يستمطر نائله وينشر فضائله فقال سيأتيك ثوابها يا أبا تمام ثم اشتغل بتوقيعات فى يده فأحفظ ذلك اباتمام فقال احضر ايدك الله فانك غائب واجمع فانك مفترق ثم انشده

انت حراما قبول مدحتنا * وترك ما نرتجى من الصفد

كالدنانير والدراهم فى الصرف حرام الايدا بيد

فأمر بتوفير حباته وتعجيل عطائه (ولما) ولى طاهر بن عبد الله بن طاهر خراسان دخل الشعراء يهنونه وفيهم تمام بن ابى تمام فأنشده

هنالك رب الناس هنا كا * والبأس والانعام عينا كا

ما من بجزيل الملك اعطاكا قرت بما أعطيت ياذا الحجى

اشرقت الارض بما نلته

واورق العود بجدواكا

فاستضعف الجماعة شعره وقالوا يابعد ما بينه وبين ابيه فقال طاهر لبعض الشعراء أجبه فقال

حياك رب الناس حياكا

ان الذى أملت أخطاكا

فقلت قولا فيه ما زانه

ولو رأى مدحا لآساكا

فهاك ان شئت بها مدحة

مثل الذى أعطيت أعطاكا

فقال تمام أعز الله الامير ان الشعر بالشعر ربا فاجعل بينهما ضحا من الدراهم حتى يحل لى ولك فضحك وقال الا يكن معه شعر أبيه ففيه ظرف ابيه اعطوه ثلاثة آلاف درهم فقال عبد الله بن اسحق لولم يعط الا لقول ابيه فى الامير ابى العباس رحمه الله يريد عبد الله بن طاهر يقول فى قومس صحبى وقد اخذت

منا السرى وخطا المهرية القود

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا

فقلت كلا ولكن مطلع الجود

فقال ويعطى بهذا ثلاثة آلاف وكان سبب ولاية طاهر خراسان بعد ابيه ما حدث به ابو العيناء قال كنا عند احمد بن البصرة

أبى دواد فجاء الخبر ان الكتب وردت على الواثق من خراسان بوفاة عبد الله بن طاهر وان الواثق يعزى عنه وانه قد ولى مكانه خراسان اسحق بن ابراهيم وكان عدوا له لانخراطه فى سلك ابن الزيات فلبس ثيابه ومضى وقال لا تبرحوا حتى أعود اليكم فلبث قليلا ثم عاد الينا مخدثنا انه دخل على الواثق فعزاه عن عبد الله وجلس قال فقال لى الواثق قد ولينا اسحق خراسان فما عندك قلت وفق الله امير المؤمنين ولا اندمه قال قل ما عندك فى هذا قلت أمر قد امضى فما عسيت أن أقول فيه قال لتفعلن فقلت يا أمير المؤمنين خراسان منذ ثلاثين سنة فى يد طاهر وابنه وكل من بها صنائعهم وقد خلف عبد الله عشرة بنين اكثرهم رجال و جميع جيش خراسان لهم عبد وموالى أو صنائعه ويقولون أما كان فينا مصطنع وكان يجب ان يجربنا أمير المؤمنين قال وفينا ما كان يفى به أبونا وجدنا والا استبدل منا بعد عذر فينا

﴿النهى عن كثرة الضحك﴾ فى الحديث المرفوع كثرة الضحك تميت القلب وتذهب بماء المؤمن (وفيه) لو علمتم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا (وفيه) ان الله يكره لكم العبث فى الصلاة والرفث فى الصيام والضحك فى الجنائز (ومر الحسن) بقوم يضحكون فى شهر رمضان فقال ياقوم ان الله جعل رمضان مضمارا لخلقه يتسابقون فيه الى رحمته فسبق أقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب من الضاحك اللاهى فى اليوم الذى فاز فيه السابقون وخاب فيه المتخلفون أما والله لو كشف الغطاء لشغل محسنا احسانه ومسيأ اساءته (ونظر) عبد الله الى رجل يضحك مستغرقا فقال له أتضحك ولعل أكفانك قد أخذت من القصار (وقال الشاعر)

وكم من فتى يمسى ويصبح آمنا * وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى

﴿النهى عن اتيان الملوك وخدمة السلطان﴾ قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من دخل على الملوك خرج وهو ساخط على الله (أرسل) أبو جعفر الى سفيان فلما دخل عليه قال سلنى حاجتك أبا عبد الله قال وتقضيها يا أمير المؤمنين قال نعم قال فان حاجتى اليك ان لا ترسل الى حتى آتيك ولا تعطينى شيأ حتى أسألك ثم خرج فقال ابو جعفر القينا الحب الى العلماء فلقطوا الا ما كان من سفيان الثورى فانه أعيانا فرارا (وقال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه الدخول على الاغنياء فتنة للفقراء (وقال) زياد لاصحابه من اغبط الناس عيشا قالوا الامير واصحابه قال كلا ان لاعواد المنبر لهيبة ولقرع لجام البريد لفزعة ولكن أغبط الناس عيشا رجل له دار يسكنها وزوجة صالحة يأوى اليها فى كفاف من عيش لا يعرفنا ولا نعرفه فان عرفنا وعرفناه أفسدنا آخرته ودنياه (وقال الشاعر)

ان الملوك بلاء حيثما حلوا * فلا يكن لك فى اكنافهم ظل

ماذا تريد بقوم ان هم غضبوا * جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا

فاستغن بالله عن اتيانهم أبدا * ان الوقوف على ابوابهم ذل

(وقال آخر)

لا تصحبن ذوى السلطان فى عمل * تصبح على وجل تمسى على وجل

كل التراب ولا تعمل لهم عملا * فالشر أجمعه فى ذلك العمل

(وفى كتاب كليله ودمنه) صاحب السلطان مثل راكب الاسد لا يدرى متى يهيج به فيقتله (ودخل) مالك بن دينار على رجل فى السجن يزوره فنظر الى رجل جندى قد اتكأ فى رجليه كبول قد قرنت بين ساقيه وقد أتى بسفرة كثيرة الالوان فدعا مالك بن دينار الى طعامه فقال له أخشى ان أكلت من طعامك هذا أن يطرح فى رجلى مثل كبولك هذه (وفى كتاب الهند) السلطان مثل النار ان باعدت عنها احتجت اليها وان دنوت منها أحرقتك (أيوب السختيانى) قال طلب ابو قلابة لقضاء

و يقدم خراسان اسحق وهو رجل غريب فينافسه هؤلاء و يتعصب أهاليهم فينتقض ما ابرم و يفسد ما أصلح قال صدقت يا ابا عبد الله والرأي ما قلت اكتبوا بعهد طاهر بن عبد الله على خراسان فكتبت كتب طاهر وحرقت كتب اسحق فخرجت الزنج تطير بهاشم لقيني اسحق داخلا فقلت يا ابا الحسن لاعدمت عداوة رجل ازال عنك ولاية خراسان بكلمة * ومدح ابن الرومي ابا العباس بن ثوابة فعارضه أخوه ابو الحسن بقصيدة يمدح أخاه بها فقال ابن الرومي

أليس القوافي بنات الفتى * اذا صورة الحق لم تمسخ
فلا تقبلن اماديحه * حرام نكاح بنات الاخ

(ولما أنشد ابو تمام قصيدته في المعتصم) * السيف اصدق انباء من الكتب * قال له لقد جلوت عروسك يا ابا تمام فأحسنت جلاءها قال يا امير المؤمنين والله لو كانت من الحور العين لكان حسن اصغائك اليها من اوفى مهورها (وقال الامير) ابو الفضل الميكالي

اقول لشادن في الحسن اضحى * يصيد بلحظه قلب الكمي
ملكت الحسن اجمع في قوام * فأدركاة منظرك البهي
وذلك أن تجود لمستهام * بريق من مقبلك الشهي
فقال أبو حنيفة لي امام * فعندي لا زكاة على الصبي

وربما أنشد هذه الابيات على قافية اخرى فقال

اقول لشادن في الحسن فرد * يصيد بلحظه قلب الجليد
ملكت الحسن أجمع في قوام * فلا تمنع وجوبا عن وجود
وذلك أن تجود لمستهام * برشف رضابك العذب البرود
فقال أبو حنيفة لي امام * فعندي لا زكاة على الوليد

(وقال)

بنفسي غزال صار للحسن قبلة * يحج من البيت العتيق و يقصد
دعاني الهوى فيه فلبيت طائعا * وأحرمت بالاخلاص والسعي يشهد
فطرفي بالتسهيد والدمع قارن * وقلبي عليه بالصبابة مفرد

(وقال أبو الفتح كشاجم)

فديت زائرة في العيد واصلة * والهجر في غفلة من ذلك الخبر
فلم يزل خدها ركنا أطوف به * والخال في خدها يغني عن الحجر

{و ينضاف الى هذا النظم قطعة من رسالة طويلة كتبها بديع الزمان الى أبي نصر بن المرزبان} كتابي أطال الله بقاء الشيخ وانا سالم والحمد لله رب العالمين كيف تتابع الشيخ في درع العافية وأحواله بتلك الناحية فاني ببعده منغص شرعة العيش مقصوص أجنحة الانس ورد كتابه المشتمل من خبر سلامته على ما أرغب الى الله في ادامته وسكنت اليه بعد انزعاجي لتأخره وقد كان رسم أن أعرفه سبب خروجي من جرجان ووقوعي بخراسان وسبب غضب السلطان وقد كانت القصة أني لما وردت من ذلك السلطان حضرته التي هي كعبة المحتاج لا كعبة الحجاج ومستقر الكرم لا مشعر الحرم وقبلة الصلات لا قبلة الصلاة ومنى الضيف لا منى الخيف ووجدت بها ندماء من بنات العام اجتمعوا واقبضة كاب على تلفيق خطب أزعجني عن ذلك الفناء

البصرة فهرب منها الى الشام فأقام حينا ثم رجع قال ايوب فقلت له لو وليت القضاء وعدلت كان لك أجران قال يا أيوب اذا وقع السباح في البحر كم عسى ان يسبح (وقال بقية) قال لي ابراهيم يا بقية كن ذنبا ولا تكن رأسا فان الرأس يهلك والذنب ينجو (ومن قولنا في خدمة السلطان وصحبته)

تجنب لباس الخز ان كنت عاقلا * ولا تختتم يوما بفص زبرجد
ولا تتغال بالغوالي تعطرا * وتسحب أذيال الملاء المعضد
ولا تتخترص صب النعل زاهيا * ولا تتصدر في الفراش الممهد
وكن ثقلا في الناس أغبر شاعثا * تروح وتغدو في ازار و برجد
ترى جلد كبش تحته كل ما استوى * عليه سرير فوق صرح ممرد
ولا تطمح العينان منك الى امرئ * له سطوات باللسان وباليد
تراءت له الدنيا بزبرج عيشها * وقادت له الاطماع غير مقود
فأمسن كفه به وأهزل دينه * ولم يرتقب في اليوم عاقبة الغد
فيوما تراه تحت سوط مجردا * و يوما تراه فوق سرج مجود
فيرحم تارات ويحسد تارة * فذا شر مرحوم وذا شر محسد

{(القول في الملوك)} الاصمعي قال بلغني ان الحسن قال يا ابن آدم أنت أسير الجوع صريع الشبع ان قوما لبسوا هذه المطارف العتاق والعمائم الرقاق ووسعوا دورهم وضيقوا قبورهم وأسمنوا دوابهم وأهزلوا دينهم يتكئ أحدهم على شماله و يأكل غير ماله ثم يقول يا جارية هاتي هاضومك و يلك وهل تهضم الا دينك (يحيى بن يحيى) قال جلس مالك يوما فأطرق مليا ثم رفع رأسه فقال يا حسرة على الملوك لاهم تركوا في نعيم دنياهم وما تواقبل أن يموتوا حزنا على ما خلفوا وجزعا مما استقبلوا (وقال الحسن) وذكر عنده الملوك أما انهم وان هملجت بهم البغال وأطافت بهم الرجال وتعقبت لهم الاموال ان ذل المعصية في قلوبهم أبى الله الا أن يذل من عصاه (الاصمعي) قال خطب عبد الله بن الحسن على منبر البصرة فأنشد على المنبر

أين الملوك التي عن حظها غفلت * حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

{(بلاء المؤمن في الدنيا)} قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن كالخامة من الزرع تميل بها الريح مرة كذا ومرة كذا والكافر كالارزة المجدئة حتى يكون انجعافها مرة ومعنى هذا الحديث تردد الرزايا على المؤمن وتجافيها عن الكافر ليزداد اثما (وقال) وهب منبه قرأت في بعض الكتب اني لاذود عبادي

وأشرف بى على الفناء ولولا ماتداركنى الله بجميل صنعه وحسن دفعه ولا أعلم كيف كان ولا ما الذى قالوا وبالجملة فغيروا رأى السلطان فأشار على اخوانى بمفارقة المكان وبقيت لا أعلم أعينه أضرب أم شآمه وتجدا أقصد أم تهامه ولو كنت فى سلمى أجا وشعابها

لكان لحجاج على دليل وقد علم الشيخ ان ذلك السلطان سماء اذا تغيم لم يرج صحوه وماء اذا تغير لم يشرب صفوه وملك اذا سخط لم ينتظر عفوه وليس بين رضاه واسخطه عرجه كما ليس بين غضبه والسيف فرجه وليس من وراء سخطه مجاز كما ليس بين الحياة والموت معه حاجز فهو سيد من يغضبه الجرم الخفى ولا يرضيه العذر الجلى وتكفيه الجناية وهى ارجاف ثم لا تشفيه العقوبة وهى اجحاف حتى انه ليرى الذنب وهو أضيق من ظل الرمح ويعمى عن العذر وهو ٣١٢ أبين من عمود الصبح وهو ذو أذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ويحجب عن هذه العذر وله برهان وذو يدين يبسط احداهما الى السفك والسفح ويقبض الاخرى عن العفو والصفح وذو عينين يفتح احداهما الى الجرم ويغمض الاخرى عن الحلم فرجه بين القد والقطع وجده بين السيف والنطع ومراده بين الظهور والكمون وأمره بين الكاف والنون ثم لا يعرف من العقاب غير ضرب الرقاب ولا يهتدى من التأديب الا الى ازالة النعم ولا يعلم من التأديب غير اراقة الدم ولا يحتمل الهنة على حجم الذره ورقة الشعرة ولا يحلم عن الهفوة كوزن الهبوة ولا يغضى عن السقطة كجرم النقطة ثم ان النقم بين لفظه وقلمه والارض تحت يده وقدمه لا يلقاه الولى الا بنعمه ولا العدو الا بنقمه والارواح بين حبسه واطلاقه كما ان الاجسام بين حله ووثاقه فنظرت فاذا أنا بين جودين اما ان أجود بمالى واما ان أجود براسى وركوبين اما المفازة وأما الجنازة وبين طرفين اما الغربة واما التربة وبين فراقين اما أن أفارق أرضى أو أفارق عرضى وبين راحلتين اما ظهور الجمال واما أعناق الرجال فاخترت السماح بالوطن على السماح بالبدن وأنشدت (وقالوا)

اذا لم يكن الا الاسنة مركب * فلا رأى للمحمول الا ركوبها

ولدماذ كر من كمية المحتاج لا كعبة الحجاج من قول ابى تمام

بيتان حجهما الانام فهذه * حج الغنى وتلك كم للمعدم

(وشتم بعض الطالبيين) أبا على الفضل بن جعفر البصير فقال ابو على والله ما نعيا عن جوابك ولا نعجز عن مسابك ولكنا نكون خير النفسك منك ونحفظ منه ما أضعت فاشكر توفيرنا ما وفرنا منك ولا يغرنك بالجهل علينا حلمنا عنك (وسأل أبو على البصير) بعض الرؤساء حاجة ولقيه فاعتذر اليه من تأخرها فقال ابو على فى شكر ما تقدم من احسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه * وأبو على أحد من جمع له حظ البلاغة فى الموزون والمنثور وهو القائل

ألمت بنا يوم الرحيل اختلاسة * فأضرم نيران الهوى النظر الخلس
تأيت قليلا وهى ترعد خيفة * كما تتأبى حين تعتدل الشمس

المخلصين عن نعيم الدنيا كما يذود الراعى الشفيق ابله عن موارد الهلكة (وقال الفضيل بن عياض) الا ترون كيف يزوى الله الدنيا عمن يحب من خلقه يمررها عليه مرة بالجوع ومرة بالعرى ومرة بالحاجة كما تصنع الام الشفيقة بولدها تفطمه بالصبر مرة ومرة بالحضض وانما يريد بذلك ما هو خير له

﴿كتمان البلاء اذا نزل﴾ قال النبى صلى الله عليه وسلم من ابتلى ببلاء فكتمه ثلاثة أيام صبرا واحتسابا كان له أجر شهيد (وسمع) الفضيل بن عياض رجلا يشكو بلاء نزل به فقال يا هذا تشكو من يرحمك الى من لا يرحمك (وقال) من شكا مصيبة نزلت به فكأنما شكا ربه (وقال دريد بن الصمة) يرثى اخاه عبد الله بن الصمة

قليل التشكى للمصائب ذاكرا * من اليوم أعقاب الاحاديث فى غد

(وقال تأبط شرا) قليل التشكى للملم يصيبه * كثير النوى شتى الهوى والمسالك

(الشيبانى) قال أخبرنى صديق لى قال سمعنى شريح وأنا اشتكى بعض ما غمنى الى صديق فأخذ بيدى وقال يا ابن أخى اياك والشكوى الى غير الله فانه لا يخلو من تشكو اليه أن يكون صديقا أو عدوا فأما الصديق فتحزنه ولا ينفعك واما العدو فيشمت بك انظر الى عينى هذه واشار الى احدى عينيه فوالله ما أبصرت بها شخصا ولا صديقا منذ خمس عشرة سنة وما اخبرت بها أحدا الى هذه الغاية أما سمعت قول العبد الصالح انما أشكو بثى وحزنى الى الله فاجعله مشكاك ومحزنك عند كل نائبة تنوبك فانه أكرم مسؤل وأقرب مدعو اليه (كتب عقيل) الى أخيه على بن أبى طالب رضوان الله عليهما يسأله عن حاله فكتب اليه

فان تسألى كيف أنت فاننى * جليد على ريب الزمان صليب
عزيز على أن ترى بى كآبة * فيفرح واش أو يساء حبيب

(وكان) ابن شبرمة اذا نزلت به نازلة قال سحابة ثم تنقشع (وكان) يقال أربع من كنوز الجنة كتمان المصيبة وكتمان الصدقة وكتمان الفاقة وكتمان الوجع

﴿والقناعة﴾ قال النبى صلى الله عليه وسلم من اصبح وأمسى آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها السرب المسلك يقال فلان واسع السرب يعنى المسلك والمذهب (وقال) قيس بن عاصم يا بنى عليكم بحفظ المال فانه منبهة الكريم ويستغنى به عن اللئيم واياكم والمسئلة فانها آخر كسب الرجل (وقال) سعد بن أبى وقاص لابنه يا بنى اذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة فانها مال لا ينفد واياك والطمع فانه فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تيأس من شئ قط الا أغناك الله عنه

(وقالوا) الغنى من استغنى بالله والفقير من افتقر الى الناس (وقالوا) لا غنى الا غنى النفس (وقيل) لابى حازم ما مالك قال مالان الغنى بما فى يدى عن الناس واليأس عما فى أيدى الناس (وقيل لآخر) ما مالك فقال التجمل فى الظاهر والقصد فى الباطن (وقال آخر)

لابد مما ليس منه بد * اليأس حر والرجاء عبد * وليس يغنى الكد الا الجد

(وقالوا) ثمرة القناعة الراحة وثمرة الحرص التعب (وقال البحترى)

اذا ما كان عندى قوت يوم * طرحت الهم عنى يا سعيد
ولم تخطر هموم غد ببالى * لان غدا له رزق جديد

(وقال عروة بن اذينة) لقد علمت وخير القول أصدقه * بأن رزقى وان لم يأت يأتينى
أسعى اليه فيعنينى تطلبه * ولو قعدت أتانى لا يعنينى

(وفد) عروة بن اذينة على عبد الملك بن مروان فى رجال من أهل المدينة فقال له عبد الملك الست القائل يا عروة * أسعى اليه فيعنينى تطلبه * فما أراك الا قد سعيت له فخرج عنه عروة وشخص من فوره ذلك الى المدينة فافتقده عبد الملك فقيل له توجه الى المدينة فبعث اليه بألف دينار فلما أتاه الرسول قال قل لامير المؤمنين الامر على ما قلت قد سعيت له فعنانى تطلبه وقعدت عنه فأتانى لا يعنينى (وقال النبى) صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها فاتقوا الله واجملوا فى الطلب (وقال تعالى) فيما حكى عن لقمان الحكيم يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير (وقال) الحسن ابن آدم لست بسابق أجلك ولا ببالغ أملك ولا مغلوب على رزقك ولا بمرزوق ما ليس لك فعلام تقتل نفسك (وقال ابن عبد ربه) قد أخذت هذا المعنى فنظمته فى شعرى فقلت

لست بقاض أملى * ولا بعاد أجلى * ولا بمغلوب على الرزق الذى قدر لى
ولا بمعطى رزق غيرى بالشقاء والعمل * فليت شعرى ما الذى * أدخلنى فى شغلى

(وقال آخر) سيكون الذى قضى * غضب المرء أم رضى

(وقال محمود الوراق)

أما عجب أن يكفل الناس بعضهم * ببعض فيرضى بالكفيل المطالب
وقد كفل الله الملى بنفسه * فلم يرض والانسان فيه عجائب
عليم بأن الله موف بوعده * وفى قلبه شك على القلب دائب

فلما لم أصمتى بما أنا مضمر * وأنبست حتى ليس يسمع لى حس * وولت كما ولى الشباب لطية * طوت دونها كشحا على يأسها النفس
(وقال) يصف بلاغة الفتح بن خاقان وشعره * سمعنا بأشعار الملوك فكلها * اذا عض متنيه الثقاف تأودا
سوى ما رأينا لامرئ القيس انما * نراه متى لم يشعر الفتح أوحدا * أقام زمانا يسمع القول صامتا * ونحسبه ان رام أكدى وأصلدا
فلما امتطاه راكبا ذل صعبه * وسار فأضحى قد أغار وأنجدا * (والفتح بن خاقان يقول) * وانى واياها لكالخمر والفتى *
متى يستطع منها الزيادة يزدد * اذا ازددت منها زاد وجدى بقربها * فكيف احتراسى من هوى متجدد (وكتب الى أبى الحسن عبيد الله)
ابن يحيى وان أمير المؤمنين لما استخلصك لنفسه وائتمنك على رعيته فنطق بلسانك واخذ وأعطى بيدك وأورد وأصدر عن
رأيك وكان تفويضه اليك بعد امتحانه اياك وتسليطه الحق على الهوى فيك وبعد أن مثل بينك وبين الذين سموا لمرتبتك وجروا الى غايتك فاسقطهم مضمارك وخفوا فى ميزانك ولم يزدك أكرمك الله رفعة وتشريفا الا ازددت له هيبة وتعظيما ولا تسلطا وتمكينا الا ازددت نفسك عن الدنيا عزوفا وتنزيها ولا تقريبا واختصاصا الا ازددت بالعامة رأفة وعليها حدبا لا يخرجك فرط النصح له عن النظر لرعيته ولا ايثار حقه عن الاخذ بحقها عنده ولا القيام بما هو له عن تضمين ما هو عليه ولا يشغلك معاناة كبار الامور عن تفقد صغارها ولا الجد فى صلاح ما يصلح منها عن النظر فى عواقبها تمضى ما كان الرشد فى امضائه وترجى ما كان الحزم فى ارجائه وتبذل ما كان الفضل فى بذله وتمنع ما كانت المصلحة فى منعه وتلين فى غير تكبر وتخض فى غير ميل وتعم فى غير تصنع لا يشقى بك المحق
وان كان عدوا ولا يسعد بك المبطل وان كان وليا فالسلطان يعتدلك من الغناء والكفاية والدب والحياطة والنصح والامانة والعفة والنزاهة والنصب فيما أدى الى الراحة بما يراك معه حيث تنتهى احسانه اليك مستوجبا للزيادة وكافة الرعية الا من غمط منهم النعمة مثنون عليك بحسن السيرة وعن النقيبة ويعدون من مآثرك أنك لم تدحض لاحد حجة ولم تدفع حقا بشبهة وهذا يسير من كثير لو قصدنا التفصيل لانفدنا الزمان قبل تحصيله ثم كان قصدنا الوقوف دون الغاية منه (وله الى عبيد الله بن يحيى) يقطعنى عن الاخذ بحظى من لقائك وتمريك ما أنا عليه من شكر انعامك وافرادى اياك بالتأميل دون غيرك تخلفى عن منزلة الخاصة ورغبتى عن الحلول محل العامة وانى لست معتادا للخدمة ولا الملازمة ولا قويا على المغاداة والمراوحة ولا يمنعك ارتفاع قدرك وعلو أمرك وما تعانيه من جلائل الاحوال الشاغلة من أن تتطول بتعهد بذكرك والاصغاء الى من يحصك على وصلى وبرى ويرغبك فى اسداء حسن الصنيعة عندى (وله

اليه آخر فصل كتاب) وأنا أسأل الله الذى رحم العباد بك على حين افتقار منهم اليك أن يعيذهم من فقدك ولا يعيدهم الى المكاره التى استنقذهم منها بيدك * ولقى رجل رجلا خارجا من مصر يريد المغرب فقال يا أخى أتتبع القطر وتدع مجرى السيول فقال أخرجنى من مصر حق مضاع وشح مطاع واقتار الكريم وحركة اللئيم وتغير الصديق بين السعة والضيق والهرب الى التعزز بالعز خير من طلب الوفر بذل العجز (وأوصى) بعض الحكماء صديقا له وقد أراد سفرا فقال انك تدخل بلدا لا تعرفه ولا يعرفك أهله فتمسك بوصيتى تنفق بها فيه عليك بحسن الشمائل فانها تدل على الحرية ونقاء الاطراف فانها تشهد بالملوكية ونظافة البزة فانها تنبئ عن النشء فى النعمة وطيب الرائحة فانها تظهر المروأة والادب الجميل فانه يكسب المحبة وليكن عقلك دون دينك وقولك دون فعلك ولباسك دون قدرك والزم الحياء والانفة فانك ان استحييت من الغضاضة اجتنبت الخساسة وان أنفت عن الغلبة لم يتقدمك نظير فى مرتبة (قال الاصمعى) سمعت اعرابيا يوصى آخر أراد سفرا فقال آثر بعملك معادك ولا تدع لشهوتك رشادك وليكن عقلك وزيرك الذى يدعوك الى الهدى ويجنبك من الردى واحبس هواك عن الفواحش وأطلقه فى المكارم فانك تبر بذلك سلفك وتشيد به شرفك (وأوصت) اعرابية ابنها فى سفر فقالت يا بنى انك تجاور الغرباء وترحل عن الاصدقاء ولعلك لا تلقى غيرا لاعداء فخالط الناس بجميل البشر واتق الله فى العلانية والسر (وقال) بعض الملوك لحكيم وقد أراد سفرا قفنى على أشياء من حكمتك اعمل بها فى سفرى قال اجعل تأنيك أمام عجلتك وحلمك رسول شدتك وعفوك مالك قدرتك وأنا ضامن لك قلوب رعيتك ما لم تحرجهم بالشدة عليهم أو تبطرهم بالاحسان اليهم (وقال) ابان بن تغلب شهدت اعرابية توصى ولدا لها أراد سفرا وهى تقول اى بنى اجلس أمنحك وصيتى وبالله توفيقك قال أبان فوقفت مستمعا الكلام مها مستحسنا الوصية لها فاذا هى تقول اى بنى اياك والنميمة فانها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين واياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا وخليق أن لا يثبت الغرض على كثرة السهام وقلما اعتورت السهام غرضا الا كلمته حتى يهى ما اشتد من قوته واياك والجود بدينك والبخل بمالك واذا هززت فاهزز كريما يلين لهزتك ولا تهزز لئيما فانه صخرة لا ينفجر ماؤها ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به وما استقبحت من غيرك فاجتنبه فان المرء لا يرى عيب نفسه ومن كانت مودته بشره وخالف منه ذلك فعله كان صديقه منه على مثل الريح فى تصرفها ثم أمسكت فدنوت منها فقلت لها بالله يا اعرابية الا ما زدته فى الوصية قالت أوقد اعجبك كلام العرب يا حضرى قلت نعم قالت العذر أقبح ما تعامل به الناس بينهم ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة ريطتها وسربالها (فقر فى مدح السفر) أبو القاسم

آبى الجهل الا ان يضير بعلمه * فلم يغن عنه علمه والتجارب

(وله أيضا) أتطلب رزق الله من عند غيره * وتصبح من خوف العواقب آمنا
وترضى بصراف وان كان مشركا * ضمينا ولا ترضى بربك ضامنا

(وقال أيضا) غنى النفس يغنيها اذا كنت قانعا * وليس بمغنيك الكثير من الحرص
وان اعتقاد الهم للخير جامعا * وقلة هم المرء يدعو الى النقص

(وله أيضا) من كان ذا مال كثير ولم * يقنع فذاك الموسر المعسر
وكل من كان قنوعا وان * كان مقلا فهو المكثر
الفقر فى النفس وفيها الغنى * وفى غنى النفس الغنى الاكبر

(وقال بكر بن حماد)

تبارك من ساس الامور بعلمه * وذل له أهل السموات والارض
ومن قسم الارزاق بين عباده * وفضل بعض الناس فيها على بعض
فمن ظن أن الحرص فيها يزيده * فقولوا له يزداد فى الطول والعرض

(وقال ابن ابى حازم) ومنتظر للموت فى كل ساعة * يشيد ويبنى دائما ويحصن
له حين تبلوه حقيقة موقن * وأفعاله أفعال من ليس يوقن
عيان كانكار وكالجهل علمه * يشك به فى كل ما يتيقن

(وقال أيضا) اضرع الى الله لا تضرع الى الناس * واقنع بيأس فان العز فى الياس
واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم * ان الغنى من استغنى عن الناس

(وله أيضا) فلا تحرصن فان الامور * بكف الاله مقاديرها
فليس بآتيك منهيها * ولا قاصر عنك مأمورها

(وله أيضا) كم الى كم أنت للحر * ص وللآمال عبد
ليس يجدى الحرص والسعى * اذا لم يك جد
ما لما قد قدر الله * من الامر مرد
قد جرى بالشر نحس * وجرى بالخير سعد
وجرى الناس على جر * يهما قبل وبعد
أمنوا الدهر وما للدهر * والايام عهد
نحالهم فاصطلم الجمع * وأفنى ما أعدوا
انها الدنيا فلا تحفل * بها جزر ومد

(وقال الاضبط بن قريع) ارض من الدهر ما آتاك به * من يرض يوما بعيشه نفعه

قد

ابن عباد الصاحب الخبر المنقول شهيد أن المقبوض غريبا شهيد * فى الحديث سافروا لتغنموا السفر واحد اسباب العيش التى بها قوامه وعليها نظامه ان الله لم يجمع منافع الدنيا فى الارض بل فرقها وأحوج بعضها الى بعض المسافر يسمع العجائب ويكسب التجارب ويجاب المكاسب الاسفار مما تزيدك علما بقدرة الله وحكمته وتدعوك الى شكر نعمته ليس بينك وبين بلد نسب فخير البلاد ما حملك السفر يسفر عن أخلاق الرجال أوحش اهلك اذا كان فى ايحاشهم انسك واهجر وطنك اذا نبت عنه نفسك ربما أسفر السفر عن الظفر وتعذر فى الوطن قضاء الوطر وانشد ليس ارتحالك تزداد الغنى سفرا * بل المقام على خسف من السفر وهذا كقول الطائى

وما القفر بالبيد القضاء بل التى * نبت بى وفيها ساكنوها هى القفر * أخذه المتنبى ٣١٥ فقال اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا

ان لاتفارقهم فالراحلون هم

(نقيض ذلك فى ذم السفر والغربة) فى الحديث ان المسافر وماله لعلى قلت الا ماوقى الله

أنى على هلاك * شيئان لايعرفهما الامن ابتلى بهما

السفر الشاسع والبناء الواسع

السفر والسقم والقتال ثلاث متقاربة فالسفر سفينة الاذى والسقم حريق الجسد والقتال منبت المنايا اذا كنت فى غير بلدك فلاتنس نصيبك من الذل الغربة كربة النقلة مثلة الغريب كالغرس الذى زايل ارضه وفقد شربه فهو ذاو لايثمر وذابل لاينضر الغريب كالوحش النائى عن وطنه فهو لكل سبع فريسة ولكل رام رمية وانشد

لقرب الدار فى الاقطار خير
من العيش الموسع فى اغتراب

(وقال أبو الفتح البستى)

لايعدم المرء شملا يستعين به
ومنعة بين أهليه وأصحابه
ومن نأى عنهم قلت مهابته
كالليث يحقر لما غاب عن غابه

(كتب أبو عبيد الله) الى المهدى بعد عزله اياه عن الدواوين لم ينكر أمير المؤمنين حالى فى قرب المؤانسة وخصوص الخلطة من حالى عنده قبل ذلك فى قيامى بواجب خدمته التى ادنتنى من نعمته ووطدت اقدمى من كرامته فلم أبدل أعز الله امير المؤمنين حال التبعيد وبقرب فى محل الاقصاء وما يعلم الله منى فيما قلت الا ماعلمه أمير المؤمنين فان رأى أكرمه الله أن يعارض قولى بعلمه بدا وعاقبة فعل ان شاء الله فلما قرأ كتابه شهد بتصديقه قلبه فقال ظلمنا أبا عبيد الله فليرد الى حاله ويعلم ما تجدد له من حسن رأيى فيه (ولما) امر المأمون أن يحجب عنه الفضل بن الربيع لسبب تألم قلبه منه كتب اليه يا أمير المؤمنين لم ينسنى التقريب حالى ايام التبعيد ولا اغفلتنى المؤانسة عن شكر الابتداء فعلى أى الحالين أبعد من أمير المؤمنين ويلحقنى ذم التقصير فى واجب خدمته وأمير المؤمنين أعدل شهودى على الصدق فيما وصفت فان رأى أمير المؤمنين أن لايكتم شهادتى فعل ان شاء الله (وقال) أبو جعفر المنصور لابى مسلم حين ازمع على قتله هل كنت قبل قيامك بدولتنا جائز الامر على عبد بن قال

قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه

(وقال مسلم بن الوليد) ان يبطئ الامر ما امات اوبته * اذا أعانك فيه رفق متئد

والدهر آخذ ما أعطى مكدر ما * اصفى ومفسد ما اهوى له بيد

فلا يغرنك من دهر عطيته * فليس يترك ما اعطى على أحد

(وقال كلثوم العتابى)

تلوم على ترك الغنى باهلية * لوى الدهر عنها طارفى وتالدى

رأت حولها النسوان يرفلن فى الكسا * مقلدة اجيادها بالقلائد

يسرك انى نلت مانال جعفر * ومانال يحيى فى الحياة ابن خالد

وان أمير المؤمنين اعضنى * معضهما بالمرهفات الحدائد

ذرينى تجئنى منيتى مطمئنة * ولم اتجشم هول تلك الموارد

فان الذى يسمو الى الرتب العلى * سيرمى بالوان الغرى والمكايد

وجدت لذاذات الحياة مشوبة * بمستودعات فى بطون الاساود

(وقال) حتى متى أنا فى حل وترحال * وطول شغل بادبار واقبال

ونازح الدار ما أنفك مغتربا * عن الاحبة مايدرون ما حالى

بمشرق الارض طورا ثم مغربها * لايخطر الموت من حرص على بالى

ولو قنعت أتانى الرزق فى دعة * ان القنوع الغنى لا كثرة المال

(وقال) عبد الله بن عباس القناعة مال لانفاد له وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه الرزق رزقان فرزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته أتاك (وقال حبيب)

فالرزق لاتكمد عليه فانه * يأتى ولم تبعث عليه رسولا

(وفى كتاب للهند) لاينبغى للملتمس ان يلتمس من العيش الا الكفاف الذى به يدفع الحاجة عن نفسه وماسوى ذلك انما هو زيادة فى تعبه وغمه (ومن هذا) قالت الحكماء أقل الدنيا يكفى وأكثرها لايكفى (وقال ابو ذؤيب) والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

(وقال) المسيح عليه الصلاة والسلام عجبا منكم انكم تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بلا عمل ولاتعملون للآخرة ولاترزقون فيها الا بالعمل (وقال) الحسن عيرت اليهود عيسى عليه الصلاة والسلام بالفقر فقال من الغنى أتيتم (أخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال)

لا يا أمير المؤمنين قال فلم لم تعرض حالى عسرتك ومهانتك على ايامنا وتعرف لنا ما يعرف غيرك من اجلالنا واعظامنا حتى لا ينازعك الخبز
عنا ان الطمأنينة قال قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ولكن الزمان واساءته قلبا ما كان من حسن صنيعتى قال فلا مرغوب فيك ولا مأسوف
عليك وفى الله خلف منك وأمر بقتله (جملة من شعر ابى الفتح كشاجم فى الاوصاف) قال يصف اجزاء من القرآن

من يقب خشية العقاب فانى * تبت انسا بهذه الاجزاء بعثتنى على القراءة والنسك وما خلتنى من القراء
حين جاءت تروقنى باعتدال * من قدود وصيغة واستواء سبعة أشبهت لى السبعة الانـجم ذات الانوار والاضواء
كسبت من اديمها الحالك اللو * ن غشاء احبب به من غشاء مشبها صبغة الشباب ولما * ت العذارى والبسة الخطباء

يا عائب الفقر الا تزدجر * عيب الغنى أكثر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله * على الغنى ان صح منك النظر
انك تعصى كى تنال الغنى * وليس تعصى الله كى تفتقر

(سفيان) عن مغيرة بن ابراهيم قال كانوا يكرهون الطلب فى أطارف الارض (وقال) الاعمش أعطانى البنانى مضاربة أخرج بها الى ماء فسألت ابراهيم فقال لى ما كانوا يطلبون الدنيا هذا الطلب وبين ماء وبين الكوفة عشرة أيام (الاصمعى) عن يونس بن حبيب قال ليس دون الايمان غنى ولا بعده فقر (قيل) لخالد بن صفوان ما أصبرك على هذا الثوب فقال أحق ما صبر عليه ما ليس الى مفارقته سبيل (وقيل) لرجل من أهل المدينة ما أصبرك على الخبز والتمر قال ليتهما صبرا على

﴿الرضا بقضاء الله﴾ قالت الحكماء أصل الزهد الرضا عن الله (وقال) الفضيل بن عياض استخيروا الله ولا تتخيروا عليه فربما اختار العبد أمرا هلاكه فيه وقالت الحكماء رب محسود على رخاء هو شقاؤه ومرحوم من سقم هو شفاؤه ومغبوط بنعمة هى بلاؤه (وقال الشاعر)

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

﴿من قتر على نفسه وترك المال لوارثه﴾ زياد عن مالك قال من لم يكن فيه خير لنفسه لم يكن فيه خير لغيره لان نفسه أولى الانفس كلها فاذا ضيعها فهو لما سواها اضيع ومن أحب نفسه حاطها وأبقى عليها وتجنب كل ما يعيبها أو ينقصها فجنبها السرقة مخافة القطع والزنا مخافة الحد والقتل خوف القصاص (على بن داود الكاتب) قال لما افتتح هرون الرشيد هرقلة واباحها ثلاثة أيام وكان بطريقها الخارج عليه فسيل الرومى فنظر اليه الرشيد مقبلا على جدار فيه كتاب باليونانية وهو يطيل النظر فيه فدعا به وقال له لم تركت النظر الى الانتهاب والغنيمة واقبلت على هذا الجدار تنظر فيه فقال يا أمير المؤمنين قرأت فى هذا الجدار كتابا هو أحب الى من هرقلة وما فيها قال له الرشيد ما هو قال بسم الله الملك الحق المبين ابن آدم غافص الفرصة عند امكانها وكل الامور الى وليها ولا تحمل على قلبك هم يوم لم يأت بعد ان يكن من أجلك يأتك الله برزقك فيه ولا تجعل سعيك فى طلب المال اسوة المغرورين فرب جامع لبعل حليلته واعلم ان تقتير المرء على نفسه هو توفير منه على غيره فالسعيد من اتعظ بهذه الكلمات ولم يضيعها قال له الرشيد أعدها على يا فسيل فأعادها عليه حتى حفظها (وقال الحسن) ابن آدم انت اسير فى الدنيا رضيت من لذتها بما ينقضى ومن نعيمها بما يمضى ومن ملكها بما ينفد فلا تجمع الاوزار لنفسك ولا هلك الاموال فاذا مت حملت الاوزار الى قبرك وتركت أموالك لاهلك

ورأت انها تحسن بالضد
فتاهت بحلية بيضاء
فهى مسودة الظهور وفيها
نور حق يجلو دجى الظلماء
مطبقات على صحائف كالريـ
ـط تخيرن من مسوك الظباء
وكأن الخطوط فيها رياض
شاكرات صنيعة الانواء
وكأن البياض والنقط السو
د عبير رششته فى ملاء
وكأن العشور والذهب السا
طع فيها كواكب فى سماء
وهى مشكولة بعدة أشكا
ل ومقروأة على انحاء
فاذا شئت كان حمزة فيها
واذا شئت كان فيها الكسائى
خضرة فى خلال حمر وصفر
بين تلك الاضعاف والاثناء
مثل ما أثر الدبيب من الذر
ر على جلد بضة عذراء
ضمنت محكم الكتاب كتاب الله
ذى المكرمات والآلاء
شفيق على ان أتلوا القر
آن فيهن مصبحى ومسائى
(وقال) يصف التخت الذى
يضرب عليه حساب الهند

وقلم مداده تراب * فى صحف سطورها احساب يكثر فيها المحو والاضراب * من غير أن يسود الكتاب اخذ
حتى يبين الحق والصواب * وليس اعجام ولا اعراب فيه ولا شك ولا ارتياب (وقال يصف بركار استهداه)
جدلى ببركارك الذى صنعت * فيه يد اقينه الاعاجيبا ملتئم الشعبتين معتدل * ماشين من جانب ولا عيبا
شخصان فى شكل واحد قدرا * وركبا بالعقول تركيبا أشبه شيئين فى اشتكالهما * بصاحب لا يزال مصحوبا
أوثق مسماره وغيب عن * نواظر الناقدين تغييبا فعين من يجتليه يحسبه * فى قالب الاعتدال مصبوبا
قد ضم قطريه محكما لهما * ضم محب اليه محبوبا يزداد حرصا عليه مبصره * ما زاده بالبنان تقليبا
ذو مقلة بصرته مقسية * لم تأله رقة وتهذيبا ينظر فيها الى الصواب فما * بها يزال الصواب مطلوبا

لولاه ماصح خط دائرة * ولاوجدنا الحساب محسوبا الحق فيه فان عدلت الى * سواه كان الحساب تقريبا
لو عاين اقليدس به بصرت * خوله بالسعود مكبوبا فابعثه واجنبه لى بسطرة * تلف الهوى بالثناء مجنوبا
(وقال يصف بيكانا). روح من الماء فى جسم من الصفر * مولد بلطيف الحسن والنظر مستعبر لم يغب عن طرفه سكن *
ولم يبت من ذوى ضغن على حذر له على الظهر أجفان محجرة * ومقلة دمعها جار على قدر ينشى له حركات من اسافله *
كانها حركات الماء فى الشجر وفى أعاليه حسبان بفصله * للناظرين بلا ذهن ولا فكر اذا بكى دار فى أحشائه فلك *
جاف المسير وان لم يبك لم يدر مترجم عن مواقيت يخبرنا * بها فيوجد فيها صادق الخبر ٣١٧ تقضى به الخمس فى وقت الوجوب وان
غطى على الشمس ستر الغيم والمطر
وان سهرت لاوقات تؤرقنى
عرفت مقدار ما القى من السهر
مجدد كل ميقات تخيره
ذوو التخير للاسفار والحضر
ومخرج لك بالاجزاء الطفها
من النهار وقوس الليل والسحر
نتيجة العلم والتفكير صوره
يا حبذا بدع الافكار فى الصور
(وقال يصف اسطرلابا)
ومستدير كجرم البدر مسطوح
عن كل رافعة الاشكال مصفوح
صلب يدار على قطب بثبته
تمثال طرف بشكل الحذق مكبوح
ملء البنان وقد أوفت صفائحه
على الاقاليم من اقطارها الفيح
تلقى به السبعة الافلاك محدقة
بالماء والنار والارضين والريح
تنبيك عن طالع الابراج هيئته
بالشمس طورا وطورا بالمصابيح
وان مضت ساعة او بعض ثانية
عرفت ذاك بعلم فيه مشروح
وان تعرض فى وقت يقدره
لك التشكك جلاه بتصحيح
مميز فى قياسات الطلوع به * بين المشائم منها والمناجيح له على الظهر عينا حاكم بهما * يحوى الضياء وتجنيه من اللوح
وفى الدواوين من اشكاله حكم * تنقح العقل فيها أى تنقيح لا يستقل لما فيه بمعرفة * الا الحصيف اللطيف الحس والروح
حتى ترى الغيب فيه وهو منغلق الابواب عن سواه حد مفتوح نتيجة الذهن والتفكير صوّره * ذوو العقول الصحيحات المراجيح
(وكان أبو شجاع) فنا خسرو عضد الدولة قد نكب أبا اسحق الصابى على تقدمه فى الكتابة ومكانه فى البلاغة واستصفى أمواله من غير ايقاع
به فى نفسه فأهدى اليه فى يوم مهرجان اسطرلابا فى دور الدرهم وكتب اليه أهدى اليك بنو الحاجات واحتشدوا *
فى مهرجان عظيم أنت تعليه لكن عبدك ابراهيم حين رأى * سمو قدرك عن شئ يساميه لم يرض بالارض يهديها اليك فقد *
أهدى لك الفلك الاعلى بما فيه وقول أبى الفتح ملء البنان البيت نظير قول على بن العباس الرومى يصف هن امرأة

(أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال)

أبقيت مالك ميراثا لوارثه * فليت شعرى ما أبقى لك المال
القوم بعدك فى حال تسوؤهم * فكيف بعدهم دارت بك الحال
ملوا البكاء فما يبكيك من احد * واستحكم القيل فى الميراث والقال

(وفى الحديث المرفوع) اشد الناس حسرة يوم القيامة رجل كسب مالا من غير حله فدخل به النار وورثه من عمل فيه بطاعة الله فدخل به الجنة (وقيل) لعبد الله بن عمر توفى زيد بن حارثة وترك مائة الف قال لكنها لا تتركه (ودخل) الحسن على عبد الله بن الاهتم يعوده فى مرضه فرآه يصعد بصره فى صندوق فى بيته ويصوبه ثم التفت الى الحسن فقال أبا سعيد ما تقول فى مائة الف فى هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم اصل بها رحما فقال له ثكلتك امك ولمن كنت تجمعها قال لروعة الزمان وجفوة السلطان ومكاثرة العشيرة ثم مات فشهد الحسن جنازته فلما فرغ من دفنه ضرب بيده على القبر ثم قال انظروا الى هذا أتاه شيطانه فحذره روعة زمانه وجفوة سلطانه ومكاثرة عشيرته عما استودعه الله فيه وعمره فيه انظروا اليه يخرج منها مذموما مدحورا ثم قال ايها الوارث لا تخدعن كما خدع صويحبك بالامس أتاك هذا المال حلالا فلا يكون عليك وبالا أتاك عفوا صفوا ممن كان له جموعا منوعا من باطل جمعه ومن حق منعه قطع فيه لجج البحار ومفاوز القفار لم تكدح فيه بيمين ولم يعرق لك فيه جبين ان يوم القيامة يوم حسرة وندامة وان من أعظم الحسرات غدا ان ترى مالك فى ميزان غيرك فيالها حسرة لا تقال وتوبة لا تنال (لما حضرت) هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى اهله يبكون عليه فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكاء وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما حمل ما اعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له ﴿نقصان الخير وزيادة الشر﴾ عاصم بن حميد عن معاذ بن جبل قال انكم لن تروا من الدنيا الا بلاء وفتنة ولا يزيد الامر الا شدة ولا الائمة الا غلظا وما يأتيكم امر يهولكم الا حقره ما بعده (قال الشاعر) الخير والشر مزداد ومنتقص * فالخير منتقص والشر مزداد

وما أسائل عن قوم عرفتهم * ذوى فضائل الا قيل قد بادوا

﴿العزلة عن الناس﴾ قال النبى صلى الله عليه وسلم استأنسوا بالوحدة عن الجلساء السوء (وقال) ان الاسلام بدا غريبا ولا تقوم الساعة حتى يعود غريبا كما بدا (وقال) العتابى ما رأيت الراحة الا مع الخلوة ولا الانس الا مع الوحشة (وقال النبى) صلى الله عليه وسلم خيركم الاتقياء الاصفياء الذين اذا حضروا لم يعرفوا واذا غابوا لم يفتقدوا (وقال) لا تدعوا حظكم من العزلة فان العزلة لكم عبادة

(وقال) لقمان لابنه استعذ بالله من شرار الناس وكن من خيارهم على حذر (وقال ابراهيم بن أدهم) فر من الناس فرارك من الاسد وقيل لابراهيم بن أدهم لم تجتنب الناس فأنشأ يقول

ارض بالله صاحبا * وذر الناس جانبا

(وكان) محمد بن عبد الملك الزيات يأنس بأهل البلادة ويستوحش من أهل الذكاء فسئل عن ذلك فقال مؤنة التحفظ شديدة (وقال) ابن محيريز ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتسأل ولا تسئل وتمشي ولا يمشى اليك فافعل وقال أيوب السختياني ما احب الله عبدا الا أحب ان لا يشعر به وقيل للعتابي من تجالس اليوم قال من أبصق في وجهه ولا يغضب قيل له ومن هو قال الحائط (وقيل) لدعبل الشاعر ما الوحشة عندك قال النظر الى الناس ثم أنشأ يقول

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم * الله يعلم انى لم أقل فندا
انى لأفتح عيني حين أفتحها * على كثير ولكن لا أرى احدا

(وقال ابن أبي حازم) طب عن الامرة نفسا * وارض بالوحشة أنسا
ما عليها احد يشكو على الدبرة فلسا

(وقال آخر) قد بلوت الناس طرا * لم أجد في الناس حرا
صار احلى الناس في العين اذا ماذيق مرا *

❁(اعجاب الرجل بعمله)❁ قال عمر بن الخطاب ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وفي الحديث خير من العجب بالطاعة ان لا تأتي طاعة (وقالوا) ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه وقالوا سيئة تسيئك خير من حسنة تعجبك * وقال الله تبارك وتعالى ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء (وقال) الحسن ذم الرجل لنفسه في العلانية مدح لها في السريرة (وقالوا) من أظهر عيب نفسه فقد زكاها * وقيل أوحى الله الى عبده داود يا داود خالق الناس بأخلاقهم واحتجز الايمان بيني وبينك (وقال ثابت البناني) دخلت على داود فقال لى ما جاء بك قلت أزورك قال ومن أنا حتى تزورني أمن العباد أنا لا والله أم من الزهاد لا والله ثم أقبل على نفسه يوبخها فقال كنت في الشبيبة فاسقا ثم شبت فصرت مرائيا والله ان المرائي شر من الفاسق (لقي) عابد عابدا فقال أحدهما لصاحبه والله انى أحبك في الله قال والله لو اطلعت على سريرتي لابغضتني في الله (وقال) معاوية بن أبي سفيان لرجل من سيد قومك قال انا قال لو كنت كذلك لم تقله (وقال محمود الوراق)

يسع السبعة الاقاليم طرا * وهو في اصبعين من اقليم
لضمير الفؤاد يلتهم الدنيا وتحويه دفتا حيزوم
وانما أخذه ابن الرومي من قول بعض الشعراء يذكر كاتبا في كفه اخرس ذو منطق * بفائه واللام والميم شبر اذا قيس ولكنه * في فعله مثل الاقاليم محذف الرأس ومسوده * كابرة الروق من الريم وهذا البيت الاخير مقلوب من قول عدى بن الرقاع العاملي وقد وصف قرن ريم وشبهه بقلم عليه مداد وذكر ظبية تزجي اغن كأن ابرة روقه * قلم اصاب من الدواة مدادها وقلب المعنى اذا تمكن من اخفاء يجري في السرقة وقد ترى تكثير الشعراء من تشبيه أوراك النسوان بالرمل والكثبان قال الشاعر
وبيض نضيرات الوجوه كأنما * تأزرن دون الأزر رملات عالج خدال الشوى لا تحتشى غير خلقها * اذا الريح لم يصبرن دون المنافج
يذرين مروط الخز ملأى كأنها قصار وان طالت بايدى النواسج
وهذا المعنى متداول متناقل في الجاهلية والاسلام فاغرب ذو الرمة في قلبه وأحسن فقال يصف رملا
ورمل كأوراك العذارى قطعته وقد جللته المظلمات الحنادس
وكذلك مدحهم ضمور الكشح وجولان الوشح وصموت القلب والخلخال وامتناع الخدام من المجال قال خالد بن يزيد بن معاوية وذكر رملة بنت الزبير ابن العوام
تجول خلاخيل النساء ولا ارى لرملة خلخالا يجول ولا قلبا
أحب بنى العوام طرا لحبها ومن أجلها أحببت اخوالها كلبا
(وقال النابغة)
على ان حجليها وان قلت اوسعا صموتان من ملء وقلة منطق
(وقال الطائي)
مها الوحش الا ان هاتا أوانس قنا الخط الا ان تلك ذوابل
من الهيف لو ان الخلاخيل صيرت لها وشحا جالت عليها الخلاخل
(وقال ابن ابي زرعة الدمشقي) استكتمت خلخالها ومشت تمشي تحت الظلام به فما نطقا حتى اذا ريح الصبا نسمت * ملأ العبير بسيرها الطرقا (وقال المتنبي) وخصر تثبت الابصار فيه * كأن عليه من حدق نطاقا (فلب هذا كله أبو عثمان الناجم) فقال يهجو قينة مسلولة الكل غير بطن * مثقل فهي عنكبوت يجولها الدهر في اضطراب * ووشحها كاظم صموت (وقال أبو عثمان يمدح قينة) محسنة في كل الحانها * لا كالتي تحسن في الندرة ثم قلبه في هجاء فقال عجبت منها ويحها كيف لا * تخطئ بالاحسان في الندره وهذا مأخوذ من قول محمد بن مناذر يهجو خالد ابن طليق وكان قد تقلد قضاء البصرة يا عجبا من خالد كيف لا * يخطئ فينا مرة بالصواب كان قضاة الناس فيما مضى * من رحمة الله وهذا عذاب * وهذا أيضا من قلب الهجاء مديحا والمديح هجاء كما قال مسلم بن الوليد يهجو قوما قبحت مناظرهم فحين خبرتهم *

تعصى الاله وانت تظهر حبه * هذا محال فى القياس بديع
لو كنت تضمر حبه لاطعته * ان المحب لمن أحب مطيع

(وقال أبو الاشعث) دخلنا على ابن سيرين فوجدناه يصلى فظن انا جئنا بصلاته فلما انفتل منها التفت الينا فقال الرياء أخاف (زياد) عن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء وقال عبد الله بن مسعود سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا رياء ولا سمعة من سمع سمع الله به وقال صلى الله عليه وسلم ما اسر امرؤ سريرة الا البسه الله رداءها ان خيرا فخير وان شرا فشر (وقال) لقمان الحكيم لابنه احذر واحدة هى أهل للحذر قال وما هى قال اياك ان ترى الناس انك تخشى الله وقلبك فاجر * وفى الحديث من اصلح سريرته صلح الله علانيته (وقال الشاعر)

واذا اظهرت شيأ حسنا * فليكن احسن منه ما تسر
فمسر الخير موسوم به * ومسر الشر موسوم بشر

(صلى) اشعث فخفف الصلاة فقيل له ما اخف صلاتك قال انه لم يخالطها رياء (وصلى) رجل من المرائين فقيل له ما احسن صلاتك فقال ومع ذلك انى صائم (وقال) طاهر بن الحسين لابى عبد الله المروزى كم لك منذ نزلت بالعراق قال منذ عشرين سنة وانا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة قال أبا عبد الله سألناك عن مسئلة فأجبتنا عن مسئلتين (الاصمعى) قال أخبرنى ابراهيم بن القعقاع بن حكيم قال أمر عمر بن الخطاب لرجل بكيس فقال الرجل آخذ الخيط قال عمر ضع الكيس (قال) رجل للحسن وكتب عنده كتابا أتجعلنى فى حل من تراب حائطك قال يا ابن أخى بلى ورعك لا ينكر (وقال) محمود الوراق أظهروا لله دينا * وعلى الدينار داروا وله صاموا وصلوا * وله حجوا وزاروا
لو بدا فوق الثريا * ولهم ريش لطاروا

(وقال مساور الوراق)

شمر ثيابك واستعد لقائل * واحكك جبينك للقضاء بثوم
وعليك بالعلوى فاجلس عنده * حتى تصيب وديعة ليتيم
واذا دخلت على الربيع مسلما * فاخصص سبابة منك بالتسليم

(وقال) تصوف كى يقال له أمين * وما معنى التصوف والامانه
ولم يرد الاله به ولكن * أراد به الطريق الى الخيانه *

حسنت مناظرهم بقبح المخبر (قلبه أبو الطيب المتنبى فقال) واستكبر الاخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغر الخبر الخبر (وقال أبو تمام) عما الكمين له فضل لحينه * وكينه المخفى عليه كمين (قلبه البحترى فقال) لا ييأس المرء أن ينجيه * ما يحسب الناس انه عطبه (وقال أبو تمام) وحشية ترمى القلوب اذا غدت * وسنا فما تصطاد غير الصيد (قلبه البحترى فقال) على انى اخشى على دار امنها فوارس يصطاد الفوارس صيدها (وقال أبو تمام) يشنأ الغيث وهو حد حبيب * رب حزم فى بغضة الموموق (قلبه البحترى فقال) يسرنى الشئ قد يسوءكم * نوه يوما بخامل لقبه قال أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر المعنى فى المصراع الاول ابين منه فى الثانى الا ترى انه لو قال انه ليسوءك الشئ قد يسر كان مثل ذلك المعنى مستويا الا انه قلب لحاجته (قال ابن الرومى) يهجو مغنية
قينة ملعونة من اجلها
رفض اللهو معا من رفضه
فاذا غنت ترى فى حلقها
كل عرق مثل بيت الارضه
فقلبه ابن المعتز فقال يصف ارضة
كلت له كتابا
تثنى أنابيب لها فيه اسبل
مثل العروق لا ترى فيها خلل
وهذا كثير يكتفى منه باليسير
ومن المعانى ما لا ينقلب الا ترى
انك تقول نام القوم حتى كانهم
موتى ولا يحسن ان تقول ماتوا
حتى كانهم نيام وقد أخذ على
أبى نواس فى قوله يصف دارا
وقف بها
كانها اذ خرست جارم
بين يدى تقنيده مطرق
قالوا انما يجب أن يشبه الجارم
اذا عذلوه فسكت وانقطعت
حجته بالدار الخالية التى لا تجيب
وأخذوا قوله
كان نيراننا فى جنب حصنهم
معصفرات على ارسان قصار
وقد تبعه أبو تمام الطائى فقال
فى الافشين لما احرق
ما زال سر الكفر بين ضلوعه
حتى اصطلى سر الزناد الوارى نارا يساور جسمه من حرها * لهب كما عصفرت شق ازار طارت له شعل يهدم لفحها أركانه هدما بغير غبار فصلن منه كل مجمع مفصل * وفعلن فاقرة بكل فقار صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الكفار وكذاك أهل النار فى الدنيا هم * يوم القيامة جل أهل النار أردت البيت الثانى قالوا انما تشبه الثياب المعصفرة بالنار فهذا وما أشبهه لا ينقلب لانه كاسه وتتضاد قضاياه وانما يصح القلب فيما يتحقق تضاده او يتقارب (قطعة من شعر اهل العصر فى ذكر النجوم) قال أبو الفتح البستى قد غض من أملى انى أرى عملى * أقوى من المشترى فى اول الحمل وانى راحل عما أحاوله * كانى أستدر الحظ من زحل (وقال) اذا غدا ملك باللهو مشتغلا * فاحكم على ملكه بالويل والحرب الم تر الشمس فى الميزان هابطة * لما غدا برج نجم اللهو والطرب وقال وقد تدنى الملوك لدى رضاهم * وتبعد حين تحتقد احتقادا كما المريخ فى التثليث يعطى *

(وقال الغزالي)

يقول لي القاضي معاذ مشاورا * وولي امرأ فيما يرى من ذوي العدل
قعيدك ماذا يحسب المرء فاعلا * فقلت وماذا يفعل الرب في النحل
يدق خلاياها ويأكل شهدها * ويترك للذبان ما كان من فضل

(يحيي بن عبد العزيز) قال حدثني نعيم عن اسمعيل رجل من ولد ابي بكر الصديق عن وهب بن منبه قال نصب رجل من بني اسرائيل فخا فجاءت عصفورة فوقعت عليه فقالت مالي أراك منحنيا قال لكثرة صلاتي انحنيت قالت فمالي أراك باديا عظامك قال لكثرة صيامي بدت عظامي قالت فمالي ارى هذا الصوف عليك قال لزهادتي في الدنيا لبست الصوف قالت فما هذه العصا عندك قال أتوكأ عليها واقضي بها حوائجي قالت فما هذه الحبة في يدك قال قربان ان مر بي مسكين ناولته اياه قالت فاني مسكينة قال فخذيها فقبضت على الحبة فاذا الفخ في عنقها فجعلت تقول قعي قعي قال الحشني تفسيره لا غرني ناسك مراء بعدك أبدا ❁(الدعاء)❁ قال النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء سلاح المؤمن والدعاء يرد القدر والبر يزيد في العمر وقال الدعاء بين الأذان والاقامة لا يرد وقال النبي صلى الله عليه وسلم استقبلوا البلاء بالدعاء وقال الله تعالى ادعوني أستجب لكم وقال تعالى فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وقال عبد الله بن عباس اذا دعوت الله فاجعل في دعائك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فان الصلاة عليه مقبولة والله أكرم من ان يقبل بعض دعائك ويرد بعضا (وقال) سعيد بن المسيب كنت جالسا بين القبر والمنبر فسمعت قائلا يقول اللهم اني أسألك عملا بارا ورزقا دارا وعيشا قارا فالتفت فلم أر أحدا (هشام بن عروة) عن أبيه عن عائشة قالت كنت نائمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة النصف في شعبان فلما الصق جلدي بجلده أغفيت ثم انتبهت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس عندي فأدركني ما يدرك النساء من الغيرة فلففت مرطي اما والله ما كان خزا ولا قزا ولا ديباجا ولا قطنا ولا كتانا قيل فما كان يا أم المؤمنين قالت كان سداه من شعر ولحمته من أوبار الابل قالت فخنوت اليه أطلبه حتى الفيته كالثوب الساقط على وجهه في الارض وهو ساجد يقول في سجوده سجد لك خيالي وسوادي وآمن بك فؤادي هذه يدي وما جنيت بها على نفسي ترجى لكل عظيم فاغفر لي الذنب العظيم فقلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله انك لفي شأن واني لفي شأن فرفع رأسه ثم عاد ساجدا فقال أعوذ بوجهك الذي أضاءت له السموات السبع والارضون السبع من فجأة نقمتك وتحول عافيتك ومن شر كتاب قد سبق وأعوذ برضاك من

لتبيع بسلب ما أفادا وقال الا فشقوا بي فاني كما * عدمت فليمحص من يحب هما لو لي راحما في الوفا * ولا برج قلبي بالمنقلب
وقال لئن كسفونا بلا علة * وفازت قداحهم بالظفر فقد يكسف المرء من دونه * كما يكسف الشمس جرم القمر (وقال)
شرف الوغد بوغد مثله * مثل ما فيه زيغ وخال ودليل الصدق فيما قلته * شرف المريخ في بيت زحل (وقال)
قل للذي غرته عزة ملكه * حتى أخل بطاعة الشعراء شرف الملوك بعلمهم وبرأيهم * وكذاك أوج الشمس في الجوزاء وقال
وقد يفسد المرء بعد الصلاح * فساد الاماكن والشر يعدي كما السعد يقبل طبع النحوس * اذا كان في موضع غير سعد
(وقال) ما انس ظمآن بماء بارد ٣٢٠ * من بعد طول العهد بالموارد الا كانسي بكتاب وارد * من سيد محض النجار ماجد
كانما استملاه من عطارد

(وقال)

يا معشر الكتاب لا تتعرضوا
لرياسة وتصاغروا وتخادموا
ان الكواكب كن في اشرافها
الا عطارد حين صور آدم

(وقال) دعاني الى بيته سيد
له الخلق الاشرف الاظرف
فلازمت بيتي ولاطفته
بعذر هو الاظرف الالطف
عطارد نجمي ولا شك ان
عطارد في بيته أشرف

وقال لئن تنقلت من دار الى دار
وصرت بعد ثواء رهن اسفار
فالحر حر عزيز النفس حيث ثوى
والشمس في كل برج ذات أنوار

(وقال)

لئن صدع الدهر المشتت شملنا
وللدهر حكم للجميع صدوع
فللنجم من بعد الرجوع استقامة
وللشمس من بعد الغروب طلوع

(وقال لمحبوس)

حبست ومن بعد الكسوف تبلج
تضيء به الآفاق للبدر والشمس
فلا تعتقد للحبس غما ووحشة
فاول كون المرء في اضيق الحبس

(وقال أيضا) يا من تولى المشتري تدبيره * حاشاك ان تنقاد للمريخ (وقال) لا تفزعن من كل شيء مفزع * فحظاك ما كل تدبير البروج بضائر (وقال يرثي أبا القاسم الصاحب) فقدناه لما تم واعتم بالعلا * كذاك كسوف البدر عند تمامه (وقال) أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن درست لابي الفضل الميكالي اذا ما غاب وجه البدر عنا * فوجهك عندنا البدر المقيم
فان رجعت نجوم السعد يوما * فوجهك نجم سعد مستقيم (وقال مسكويه الخالدي) لا يعجبنك حسن القصر تنزله *
فضيلة الشمس ليست في منازلها لو زيدت الشمس في أبراجها مائة * ما زاد ذلك شيأ في فضائلها (وقال أبو بكر الخوارزمي)
رأيتك ان أيسرت خيمت عندنا * لزاما وان أعسرت زرت لماما فما أنت الا البدر ان قل ضوءه * أغب وان زاد الضياء أقاما
وهذا كقول ابراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات اسد ضاريا اذا ما فعته * وأب برا اذا ما قدرا يعرف الا بعدان اثرى ولا *

سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فلما انصرف من صلاته تقدمت امامه حتى دخلت البيت ولي نفس عال فقال مالك ياعائشة فأخبرته الخبر فقال ويح هاتين الركبتين ما لقيتا في هذه الليلة ومسح عليهما ثم قال أتدري أي ليلة هذه ياعائشة فقلت الله ورسوله أعلم فقال صلى الله عليه وسلم هذه الليلة ليلة النصف من شعبان فيها تؤقت الآجال وتثبت الاعمال (العتبي) عن أبيه قال خرجت مع عمر بن ذر الى مكة فكان اذا لبى لم يلب أحد من حسن صوته فلما جاء الحرم قال يارب مازلنا نهبط وهدة ونصعد أكمة ونعلو نشزا ويبدو لنا علم حتى جئناك بها نقبة اخفافها دبرة ظهورها ذابلة أسنمتها وليس أعظم المؤنة علينا اتعاب أبداننا ولكن أعظم المؤنة علينا ان ترجعنا خائبين من رحمتك ياخير من نزل به النازلون (وكان آخر) يدعو بعرفات يارب لم أعصك اذ عصيتك جهلا مني بحقك ولا استخفافا بعقوبتك ولكن الثقة بعفوك والاغترار بسترك المرخي علي مع الشقوة الغالبة والقدر السابق فالآن من عذابك من يستنقذني وبحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني فيا أسفي على الوقوف بين يديك اذا قيل للمخفين جوزوا وللمذنبين حطوا (أبو الحسن) قال كان عروة بن الزبير يقول في مناجاته بعد ان قطعت رجله ومات ابنه كانوا أربعة يعني بنيه فأخذت واحدا وأبقيت ثلاثة وكن أربعا يعني يديه ورجليه فأخذت واحدة وأبقيت ثلاثا فلئن ابتليت لطالما عافيت ولئن عاقبت لطالما أنعمت (وكان داود) اذا دعا في جوف الليل يقول نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم اغفر لي ذنبي العظيم فانه لا يغفر الذنب العظيم الا العظيم اليك رفعت رأسي نظر العبد الذليل الى سيده الجليل (وكان) من دعاء يوسف ياعدتي عند كربتي وياصاحبي في غربتي ويا غايتي عند شدتي ويارجائي اذا انقطعت حيلتي اجعل لي فرجا ومخرجا (وكان) عبد الله بن ثعلبة البصري يقول اللهم أنت من حلمك تعصى فكأنك لا ترى وأنت من جودك وفضلك تعطى فكأنك لا تعصى وأي زمان لم تعصك فيه سكان أرضك فكنت عليهم بالعفو عوادا وبالفضل جوادا (وكان) من دعاء علي بن الحسين رضي الله عنهما اللهم اني أعوذ بك أن تحسن في مرأى العيون علانيتي وتقبح في خفيات القلوب سريرتي اللهم كما أسأت فأحسنت الي فاذا عدت فعد علي وارزقني مواساة من قترت عليه ما وسعت علي (الشيباني) قال أصاب الناس ببغداد ريح مظلمة فانتهيت الى رجل في المسجد وهو ساجد يقول في سجوده اللهم احفظ محمدا في أمته ولا تشمت بنا أعداءنا من الامم فان كنت أخذت العوام بذنبي فهذه ناصيتي بين يديك (وكان) الفضيل بن عياض يقول الهي لو عذبتني بالنار لم يخرج حبك من قلبي ولم أنس أياديك عندي في دار الدنيا (وقال عبد الله بن مسعود) اللهم وسع علي في الدنيا وزهدني فيها ولا تزوها عني وترغبني فيها (مر أبو الدرداء) برجل يقول في سجوده اللهم اني سائل فقير فأغنني من سعة فضلك خائف مستجير فأجرني من عذابك (الاصمعي) قال كان عطاء بن أبي رباح يقول في دعائه اللهم ارحم في الدنيا غربتي وعند الموت صرعتي وفي القبور وحدتي ومقامي غدا بين يديك (العتبي) قال حدثني عبد الرحمن بن زياد قال اشتكى أبي فكتب الى أبي بكر بن عبد الله يسأله أن يدعو له فكتب اليه حق لمن عمل ذنبا لا عذر له فيه وخاف موتا لا بد له منه أن يكون مشفقا سأدعو لك ولست أرجو أن يستجاب لي بقوة في عملي ولا براءة من ذنب (العتبي) قال كان عبد الملك بن مروان يدعو على المنبر يارب ان ذنوبي قد كثرت وجلت عن ان توصف وهي صغيرة في جنب عفوك فاعف عني

﴿كيف يكون الدعاء﴾

سفيان بن عيينة عن أبي معبد عن عكرمة عن ابن عباس قال الاخلاص هكذا وبسط يده اليسرى وأشار باصبعه من يده اليمنى والدعاء هكذا وأشار براحته الى السماء والابتهال هكذا ورفع يديه فوق رأسه وظهورهما الى وجهه (سفيان الثوري) قال دخلت على جعفر بن محمد رضي الله عنهما فقال لي

يعرف الادنى اذا ما افتقرا

(وقال ابن المعتز)

اذا ما أراد الحاسدون انهدامه
بناه الهغالب العز قاهره
وماذا يريد الحاسدون من امرئ
تزينهم اخلاقه ومآثره
اذا ما هو استغنى اهتدى لافتقارهم
ولا تهتدي يوما اليهم مفاقره
وكانوا كراما كوكبا بصاقه
فردعليهم بله ومواطره

وهذا البيت كما قال بعض العرب في احدى الروايات

رماني بأمر كنت منه ووالدي
بريئا ومن جال الطوى رماني

الجول والجال الناحية والطوى البئر يريد رماني بما عاد عليه والرواية المشهورة ومن أجل الطوى فعلى هذا تسقط المناسبة بينه وبين قول ابن المعتز قال بعض الرواة كنا مع أبي نصر راوية الاصمعي في رياض من المذاكرة نجتني ثمارها ونجتلي أنوارها الى ان افضنا في ذكر ابي سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي فقال رحم الله الاصمعي انه لمعدن حكم وبحر علم غير انه لم نر قط مثل اعرابي وقف بنا فسلم فقال ايكم الاصمعي فقال أنا ذاك فقال اتأذنون بالجلوس فأذنا له وعجبنا من حسن أدبه مع جفاء ادب الاعراب قال يا أصمعي انت الذي يزعم هؤلاء النفر انك أثقبهم معرفة بالشعر والعربية وحكايات الاعراب قال الاصمعي فيهم من هو أعلم مني ومن هو

ياسفيان اذا كثرت همومك فأكثر من لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واذا تداركت عليك النعم فاكثر من الحمد لله واذا أبطأ عنك الرزق فاكثر من الاستغفار (وقال عبد الله بن عباس) لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار * وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عجبا من يهلك والنجاة معه قيل له وما هي قال الاستغفار ﴿دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق وعمر رضوان الله عليهما﴾ أم سلمة قالت كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك (المغيرة) بن شعبة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير (وكان) آخر دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه في خطبته اللهم اجعل خير زماني آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم لقائك (وكان) آخر دعاء عمر رضي الله عنه في خطبته اللهم لا تدعني في غمرة ولا تأخذني في غرة ولا تجعلني مع الغافلين ﴿الدعاء عند الكرب﴾ عبد الله بن مسعود قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد أصابه هم فقال اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسالك بكل اسم سميت به نفسك أو ذكرته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ان تجعل القرآن ضياء صدري وربيع قلبي وجلاء حزني وذهاب همي الا أذهب الله همه وبدله مكان حزنه فرحا (وقالوا) كلمات الفرج من كل كرب لا اله الا الله الكريم الحليم وسبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين ﴿الكلمات التي تلقى آدم من ربه﴾ اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فتب على انك أنت التواب الرحيم ﴿اسم الله الاعظم﴾ عبد الله بن بريدة عن أبيه قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم اني أسالك بانك أنت الله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد سألت الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى (أسماء) بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اسم الله الاعظم فيما بين الآيتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم ﴿الاستغفار﴾ شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت (الاسود وعلقمة) قالا قال عبد الله بن مسعود ان في كتاب الله آيتين ما أصاب عبد ذنبا فقرأهما ثم استغفر الله الا غفر له والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الى آخر الآية ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما (أبو سعيد) الخدري قال من قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه خمس مرات غفر له ولو فر من الزحف ﴿دعاء المسافر﴾ عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفرا قال اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الحضر اللهم اني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور ومن سوء المنظر في الأهل والمال (الشعبي) عن أم سلمة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج في سفر يقول اللهم اني أعوذ بك أن أذل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على (وقالت) من خرج في طاعة الله فقال اللهم اني لم أخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ولكني خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك فاسالك بحقك على جميع خلقك ان ترزقني من الخير أكثر مما أرجو وتصرف عني من الشر أكثر مما أخاف استجيب له باذن الله ﴿الدعاء عند الدخول على السلطان﴾ سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اذا دخلت على السلطان المهيب تخاف أن يسطو عليك فقل الله أكبر الله أكبر وأعز مما أخاف واحذر اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم

دوني قال أفلا تنشدوني من بعض شعر اهل الحضر حتى اقتدى على شعراء اصحابنا فانشده شعر الرجل امتدح به مسلمة بن عبد الملك

اسلم أنت البحران جاء وارد
وليث اذا ما الحرب طار عقابها
أنت كسيف الهندواني ان غدت
حوادث من حرب يهب عبابها
وما خلقت أكرومة في امرئ له
ولا غاية الا اليك مآبها
كأنك ديان عليها موكل
بها أو على كفيك يجري حسابها
اليك رحلنا العيس اذ لم نجد لها
أخا ثقة يرجى لديه ثوابها

قال فتبسم الاعرابي وهز رأسه فظننا ان ذلك لاستحسانه الشعر ثم قال يا اصمعي هذا شعر مهلهل خلق النسج خطؤه أكثر من صوابه يغطي عيوبه حسن الروي ورواية المنشد يشبهون الملك اذا امتدح بالاسد والاسد ابخر شتيم المنظر وربما طرده شرذمة اماثنا وتلاعب به صبياننا ويشبهونه بالبحر والبحر صعب على من ركبه مر على من شربه وبالسيف وربما خان في الحقيقة ونبا عند الضريبة الا انشدتني كما قال صبي من حينا قال الاصمعي وما ذا قال صاحبكم فانشده

اذا سألت الورى عن كل مكرمة
لم يعز اكرمها الا الى الهول
فتى جواد اذاب المال نائله
فالبخل يشكر منه كثرة البذل
المؤت يكره ان يلقى منيته

العظيم كن لي جارا من عبدك فلان وجنوده وأشياعه واتباعه تبارك اسمك وجل ثناؤك وعز جارك ولا اله غيرك (ابو الحسن) المدائني قال لما حج أبو جعفر المنصور مر بالمدينة فقال للربيع علي بجعفر بن محمد قتلني الله ان لم أقتله فطال به ثم الح فيه فحضر فلما كشف الستر بينه وبينه ومثل بين يديه همس جعفر بشفتيه ثم تقرب وسلم فقال لا سلم الله عليك يا عدو الله تعمل لي الغوائل في ملكي قتلني الله ان لم اقتلك فقال له جعفر يا امير المؤمنين ان سليمان صلى الله عليه وسلم اعطى فشكر وان أيوب ابتلي فصبر وان يوسف ظلم فغفر وانت على ارث منهم وأحق من تأسى بهم فنكس أبو جعفر رأسه مليا ثم رفع اليه راسه فقال له يا أبا عبد الله فأنت القريب القرابة وأنت ذو الرحم الواشجة السليم الناحية القليل الغائلة ثم صافحه بيمينه وعانقه بيساره وأجلسه معه على فراشه وانحرف له عن بعضه وأقبل عليه بوجهه يسائله ويحادثه ثم قال عجلوا لابي عبد الله اذنه وكسوته وجائزته قال الربيع فلما خرج وخلف الستر امسكت بثوبه فارتاع وقال ما أرانا يا ربيع الا وقد حبسنا قلت هذه مني لا منه قال فذلك أيسر قل حاجتك قلت اني منذ ثلاث أدافع عنك وأداري عليك ورأيتك اذ دخلت همست بشفتيك ثم رأيت الامر انجلى عنك وأنا خادم سلطان ولا غنى بي عنه فأحب منك ان تعلمنيه قال نعم قل اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يرام ولا أهلك وأنت رجائي فكم من نعمة أنعمتها علي قل عندها شكري فلم تحرمني وكم من بلية ابتليتني بها قل عندها صبري فلم تخذلني اللهم بك أدرأ في نحره وأعوذ بخيرك من شره ❁ (الدعاء على الطعام) ❁ من قال على طعامه بسم الله خير الاسماء في الارض وفي السماء ولا يضر مع اسمه داء اللهم اجعل فيه الدواء والشفاء لم يضره ذلك الطعام كائنا ما كان (وكان) النبي صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من طعامه قال الحمد لله الذي من علينا وهدانا وأطعمنا وأروانا وكل بلاء حسن أبلانا (الدعاء عند الاذان) من قال اذا سمع الاذان رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا غفرله ذنوبه (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاذان فقولوا مثل ما يقول المؤذن (الدعاء عند الطيرة) قال النبي صلى الله عليه وسلم من رأى من الطير شيأ يكرهه فقال اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك لم يضره (الساعة التي يستجاب فيها الدعاء) الفضيل عن أبي حازم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم أجمعوا ان الساعة التي يستجاب فيها الدعاء آخر ساعة من يوم الجمعة ❁ (التعوذ) ❁ انس بن مالك قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع (وقال) صلى الله عليه وسلم من قال اذا أمسى واصبح أعوذ بكلمات الله التامات المباركات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الارض وما يخرج منها لم يضره شئ من الشياطين والهوام (مسروق) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بهذه الكلمات أعيذ كما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة (وكان ابراهيم) صلى الله عليه وسلم يعوذ بها اسمعيل واسحق (وقال اعرابي يصف دعوة)

وسارية لم تسر في الارض تبتغي * محلا ولم يقطع بها البيد قاطع

تظل وراء الليل والليل ساقط * بأرواقه فيه سمير وهاجع

تفتح أبواب السماء لوفدها * اذا قرع الابواب منهن قارع

اذا سألت لم يردد الله سؤلها * على أهلها والله راء وسامع

واني لارجو الله حتى كأنما * أرى بجميل الظن ما الله صانع

(ومن قولنا في هذا المعنى)

في كره عند لف الخيل بالخيل

لو زاحم الشمس أبقى الشمس كاسفة

أو زاحم الصم ألجاها الى الميل

أمضى من النجم ان نابته نائبة

وعند أعدائه اجرى من السيل

لا يستريح الى الدنيا وزينتها

ولا تراه اليها ساحب الذيل

يقصر المجد عنه في مكارمه

كما يقصر عن أفعاله قولي

قال أبو نصر فأبهتنا والله ما سمعنا من قوله قال فتأنى الاعرابي ثم قال للاصمعي ألا تنشدني شعرا ترتاح اليه النفس ويسكن اليه القلب فأنشده لابن الرقاع العاملي

وناعمة تجلو بعود اراكة

مؤشرة يسبي المعانق طيبها

كأن بها خمرا بماء غمامة

اذا ارتشفت بعد الرقاد غروبها

أراك الى نجد تحن وانما

منى كل نفس حيث كان حبيبها

فتبسم الاعرابي وقال يا أصمعي ما هذا بدون الاول ولا فوقه ألا انشدتني كما قلت قال الاصمعي وما قلت جعلت فداك فأنشده

تعلقتها بكرا وعلقت حبها

فقلبي عن كل الورى فارغ بكر

اذا احتجبت لم يكفك البدر ضوأها

وتكفيك ضوء البدر ان حجب البدر

بنى لثق اعيا الطبيب ابن مسلم * ضناك واعيا ذا البيان المشيع
لا بتهان تحت الظلام بدعوة * متى يدعها داع الى الله يسمع
تغلغل من بين الضلوع نشيجها * له شافع من عبرة وتضرع
الى فارج الكرب المجيب لمن دعا * فزعت بكربى انه خير مفزع
فيا خير مدعو دعوتك واسمع * ومالى شفيع غير فضلك فاشفع

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى واوله كتاب الدرة فى التعازى والمراثى)

وما الصبر عنها ان صبرت وجدته
جميلا وهل فى مثلها يحسن الصبر
وحسبك من خمر يفوتك ريقها
ووالله ما من ريقها حسبك الخمر
ولو ان جلد الذر لامس جلدها
لكان لمس الذر من جلدها اثر
ولو لم يكن للبدر ضدا جمالها
وتفضله فى حسنها الصفا البدر
قال ابو نصر قال لنا الاصمعى
اكتبوا ما سمعتم ولو باطراف
المدى فى رقاق الاكباد قال
واقام عندنا شهرا فجمع له
الاصمعى خمسمائة دينار وكان
يتعاهدنا فى الحين بعد الحين حتى
مات الاصمعى وتفرق اصحابنا

